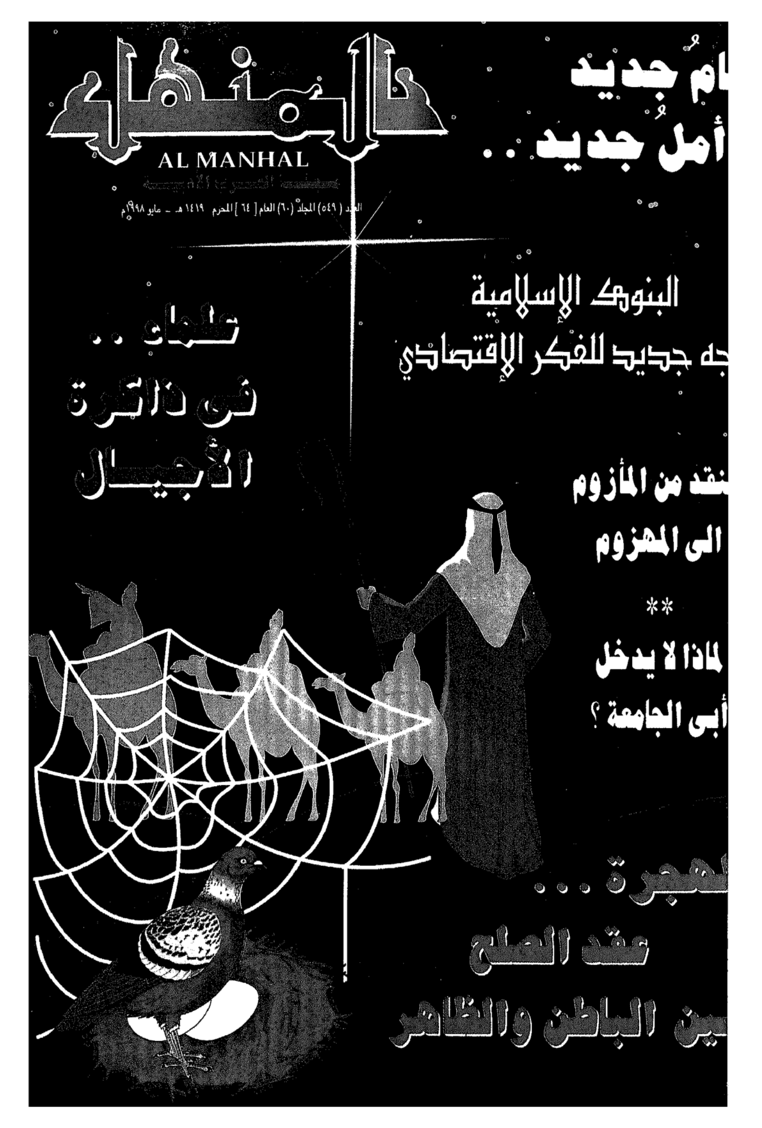
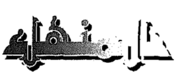


المنهل
AL MANHAL
العدد (٥٤٩) المجلد (٦٠) العام [٦٤] المحرم ١٤١٩هـ - مايو ١٩٩٨م
ام جديد
أمل جديد ..
البنوك الإسلامية
جه جديد للفكر الإقتصادي
علماء ..
في ذاكرة
الأجيال
نقد من المأزوم
الى المهزوم
**
لماذا لا يدخل
أبى الجامعة ؟
لهجرة ...
عقد الصلح
ين الباطن والظاهر



مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



التقدير والتخدير

قد لا نعدو الحقيقة إذا زعمنا أن المعيار الدقيق، لوزن رقي الأمة وانحطاطها يتكون من هاتين الكفتين: التقدير، التخدير. فمن دأب الأمة الراقية والفرد الراقي أن يُقَدِّر ليشجع؛ من دأب الأمة المنحطة والفرد الجاهل أن يُخَدِّر ليصدع.

والأمر الصغير البسيط النافع تقدره، فيضخم، ويثمر؛ والأمر الكبير الخطير الرافع تخدره، فما ينفك يضؤل وينحل، حتى يبدو شبحاً خيالياً منبوذاً عقيما.

وعلى هذا فالتقدير والتخدير ساحران جباران؛ مهمة أولهما ومرماه أن يكمل الأشياء وينميها، ومهمة ثانيهما أن يمسخها ويذبلها.

وقد كشف الأولون عن مبلغ تقديرهم واحتفالهم بكلا التقدير والتخدير، لما لأولهما من الأثر الباهر في تنظيم الأعمال، ولما لثانيهما من الأثر البالغ في تحطيم الآمال إذ قالوا عن الأول: (لا يعرف الفضل الا ذووه) وقالوا عن الثاني: (من جهل الشيء عاداه) فمعرفة الفضل أول مراحل التقدير، وعداوة الشيء النافع آخر مراحل التخدير.

«عبدالقدوس الأنصاري»

١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م

صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس
الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلاً عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



لقطة الشهر



اشــــارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ـ جدة
تليفون : ٦٦٧٠٦٠٦ ـ فاكس : ٦٦٠٤٦٧٦



المنهل
Almanhal
مجلة شهرية للادب والعلوم والثقافة

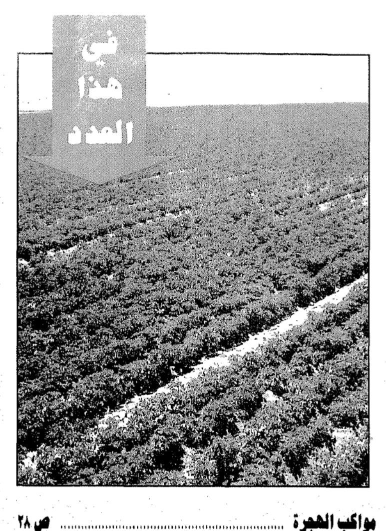
العدد: (٥٤٩)
المجلد: (٦٠)
العام: (٦٤)

الفهرس





وكلاء التوزيع
الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة



أقلام

حسين على الهنداوي	٠د٠ بهاء الدين عزي
د٠ محمد رجب البيومي٠	د٠ نور الدين صمود٠
د٠ محمد همام٠	د٠ عبد الله العوينة٠
د٠ عبده بدوي	د٠ ابراهيم السامرائي٠

متطلبات

الرقابة في حياتنا

ما نخشاه حقيقة أن يكون أمرنا كله قد تحول إلى مجرد عادة رتيبة، تتوالى بانتظام أو غير نظام، لا يؤثر فينا تواليها، ولا يترك بصمة على صفحة حياتنا تدلنا على الحضور أو الغياب٠

لا شك ـ هذه صيغة من صيغ الحياة كئيبة، لا طعم لها ولا مذاق٠٠

الحياة اشتقاقها من الحيوية والتفاعل، وتعاقب الأيام وتواليها مع الحيوية والتفاعل وهذا يعني حياة معافاة من امراض الخمول والتكاسل والضمور٠٠

هذا عام هجري جديد٠

ترى كم من الاعوام قبله قد مضت٠٠؟ وكم الاعوام من بعده ستأتي٠٠؟! وما يفيدنا هذا التوالي الرتيب؟!

حقيقة٠٠؟!

حياتنا في حاجة لنفضها من الجذور٠٠

رئيس التحرير

٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات:
يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



جائزة أمين مدني في دورتها الثالثة

في يوم الأربعاء ٢٠ ذو القعدة ١٤١٨هـ الموافق ١٨ مارس ١٩٩٨م وفي النادي الأدبي في المدينة المنورة أقيم عرس للثقافة والفكر والبحث العلمي إذ قام صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة بتسليم الدكتور/ سعد بن عبد العزيز الراشد أستاذ الآثار بجامعة الملك سعود ووكيل وزارة المعارف للآثار والمتاحف جائزة أمين مدني للبحث العلمي في تاريخ الجزيرة العربية وعن دراساته المنشورة واعماله التنقيبية في منطقة الربذه.. وتبلغ قيمة الجائزة خمسة عشر ألف دولار أمريكي.

وتشكل جائزة السيد أمين مدني للبحث في تاريخ الجزيرة العربية، رافدا جديدا لاثراء حركة الفكر والثقافة، وحفز البحث العلمي وفتح آفاق الابداع الادبي والفني في المملكة وفي المنطقة. وهي دعوة علمية الى معرفة تاريخ وحضارة وتراث هذا الجزء من العالم العربي الذي هو بمثابة اللبنة الاساس في ذلك الكفاح الطويل الذي شهدته جميع الأقطار العربية.

وإن هذه الجائزة تنطلق من مفهوم أن قيام نهضة حضارية شاملة يرتكز أساسا على وجود بناء ثقافي راسخ، وهوية فكرية واضحة، وإن حاضر الأمة ومستقبلها يرتبطان بماضيها أشد ما يكون الارتباط.

الدكتور الراشد في سطور:

- ولد في مدينة صبياء عام ١٣٦٥هـ - ١٩٤٥م.
- حصل على شهادة البكالوريوس في الآداب - تخصص تاريخ - من جامعة الملك سعود عام ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م وعلى درجة الدكتوراه في الفلسفة من قسم الدراسات السامية في جامعة ليدز ببريطانيا عام ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م، ونال درجة استاذ في عام ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
- عمل وكيلا لكلية الآداب بجامعة الملك سعود عام ١٣٩٩ - ١٤٠١هـ وانتهاء برئاسة قسم الآثار والمتاحف منذ عام ١٤١٤ إلى ١٤١٦هـ ثم كلف بالعمل وكيلا مساعداً للآثار والمتاحف بوزارة المعارف وشارك في العديد من المؤتمرات والندوات داخل المملكة وخارجها.
- له العديد من النتاج العلمي منه: الربذة - درب زبيدة.

ومما لا شك فيه أن هذه الجائزة لها أثر ايجابي على المستوى الفكري والمستوى الثقافي والعلمي بالاضافة إلى أنها تحمل اسم المرحوم «أمين مدني» العالم الجليل والكاتب الكبير الذي ترك مادة غزيرة عن جغرافية وتاريخ المملكة العربية السعودية ، كما أن أمين عام الجائزة هو الأديب والصحفي البارع الأستاذ إياد أمين مدني عضو مجلس الشورى هو خير من يجسد تطور هذه الجائزة وتوسيع قاعدتها واعطائها الخطوات التي تضمن سيرها من حسن الى أحسن.

يقول الدكتور الراشد بعد حصوله على الجائزة: أعتقد أن نيلي لهذه الجائزة هو تكريم لي ولزملائي في الميدان حيث أن ما قمت به هو عمل جد متواضع ولكن آمل إن شاء الله أن تكون الجائزة حافزا لي شخصيا بأن أقدم المزيد والمزيد سواء من خلال عملي في الجامعة ومن خلال عملي الحالي في وزارة المعارف وهذه مسؤولية كبيرة تقع على عاتقي في تطوير العمل الأثري في المملكة العربية السعودية.. وادعو كافة الأخوه الزملاء في هذا التخصص «الآثار والتراث» بأن نلتقي ونجعل هذا الإرث الحضاري «أمانة في أعناقنا».



صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز
أمير منطقة المدينة المنورة



موضوع جائزة ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م)

وقد قررت الهيئة العلمية المشرفة على الجائزة أن يكون موضوع جائزة امين مدني للبحث في تاريخ الجزيرة العربية في دورتها الرابعة احد الموضوعين التاليين:

- تأثير الدعوة الاصلاحية التي قامت في منتصف القرن الثاني عشر الهجري في وسط الجزيرة العربية على النهضة العربية الحديثة.
- المدن الاسلامية في الجزيرة العربية تاريخ وحضارة، وترسل البحوث والاعمال باسم امين عام الجائزة في موعد اقصاه نهاية شهر ذي الحجة ١٤١٩هـ الموافق (ابريل ١٩٩٩م).

ومما هو جدير بالذكر أنه قد صدرت الموافقة السامية على تقديم جائزة سنوية باسم الاديب والمؤرخ الراحل الأستاذ أمين عبد الله مدني في ١٤٠٩/١٢/١٣هـ، وذلك لأفضل كتاب أو بحث أو رسالة جامعية أو كشف علمي أو اثري أو تحقيق لكتاب يدور حول تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها والدراسات المتعلقة بها وتقدم عن طريق النادي الأدبي بالمدينة المنورة.



السيد أمين مدني

السيد إياد مدني



د. سعد الراشد



شعار الجائزة

طرفة بن العبد .. بين الحكاية والاسطورة

في البحرين، وباشراف من صحيفة الأيام، كمشاركة فكرية وثقافية عقد ملتقى (طرفة بن العبد)..

الملتقى حضره جمهرة من الأدباء والمثقفين والمفكرين والشعراء وقدمت في الملتقى مجموعة من الدراسات حول طرفه وأدبه.

كما اشتمل الملتقى على معرض الكتاب وفعاليات ثقافية أخرى متنوعة.

من الدراسات المقدمة:

- «القيم الفكرية والجمالية في تجربة طرفة» قدمها الدكتور عبد القادر فيدوح.
- «الشاعر بوصفه حكاية» للدكتور عبد الله الغذامي.
- «الصراع بين اللامنتمي والملتزم في شخصية طرفه» للدكتور محمد جابر الأنصاري.
- «شخصية طرفة في الشعر العربي الحديث» د. سعد البازعي.
- «مشكلة المصير عند الشاعر» للدكتور مصطفى ناصف.
- «اسطورة طرفه.. المدخل العربي الى القصيدة الكوتية» للدكتور محي الدين اللاذقاني.
- «الموت والجفاف ورثاء الذات في معلقة طرفه» للدكتور فضل العماري.

الرجوع للتراث في قراءات جديدة، لاكتشاف مجموعة من الصياغات الفكرية والادبية لشخصيات

التقنية في العالم الاسلامي ضرورة واجبة

مؤتمر القمة الاسلامي الثامن الذي عقد في طهران نهاية العام الماضي اكد على ضرورة الأخذ بانتاج وتصنيع التقنية الحديثة في العالم الاسلامي.. وكخطوة ايجابية اعتمد المؤتمر استراتيجية تطوير العلوم والتكنولوجيا في البلدان الاسلامية التي أعدتها المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم.. النظرة السريعة لما عليه العالم الاسلامي اليوم تقول ان هذا العالم الاسلامي يعيش في تخلف علمي بعيد المدى، والعالم من حوله قد امتلك كل اسباب التقدم العلمي والتقني.

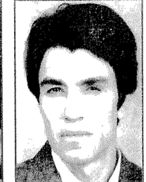
لا شك أن كل ابواب التنمية في كل مجالات الحياة من اقتصادية وعمرانية واعلامية وسياسية اصبحت كلها تتوقف على القاعدة العلمية والتكنولوجية.. والاحصاءات والدراسات المقدمة من الجهات المختصة حول العالم الاسلامي ، ومدى إمكانية تفاعله وتعاطيه لمستحدثات التقنية، هذه الدراسات تضعنا امام الحقائق التالية:

فالعالم الإسلامي الذي يضم ٥٢ دولة مستقلة ويمتد من اندونيسيا إلى المغرب يربو عدد سكانه على مليارْ نسمة (حوالى ٢٠ في المائة من مجموع سكان العالم).

ولا يتجاوز عدد المتعلمين من هؤلاء السكان في المتوسط ٥٥ في المائة على تفاوت في ذلك بين البلدان الإسلامية ويقدر مجموع الأطر العلمية والتكنولوجية

ومرجعيات ذلك التراث، خطوة تعد في حدّ ذاتها حضارية.. ولكي تكتمل دائرة العطاء يكون الربط بين التراث والحاضر هو الأجدى والانفع لايجاد صياغة جديدة قائمة على هذه المقارنة الفاعلة. ذلك بغرض الخروج بفاعلية تمثل النمط المستحدث المتنامي والمتسامي في أوردة حاضرنا يمده بأسباب البقاء.

أما أن تعقد الندوات واللقاءات والمؤتمرات، تحضرها وجوه من الادباء والشعراء والكتاب والمفكرين ظلت اسماؤها متداولة على مرّ السنين في سجلات المؤتمرات والندوات، لتعيد كلماتها بصياغات جديدة فهذا مالا يجدى ولا يفيد.



د. عبد القادر فيدوح



د. عبد الله الغذامى

د. محمد جابر الانصاري



د. سعد البازعي

د. محي الدين اللاذقاني



د. معجب الزهراني

في البلدان الإسلامية حاليا بحوالي ٧ر٦ مليون، وهي نسبة لا تتعدي ٧ر٣٪ من مجمل الكفاءات العلمية والتكنولوجية في العالم، وأخطر من ذلك أن عدد المتفرغين للبحث في خدمة التنمية في العالم الإسلامي لا يتجاوز ١٨ر١٪ من مجموع الأطر العلمية والتكنولوجية العالمية. وهذا دليل على أن هناك خصاصا في الأطر العلمية والتكنولوجية وفي الأطر المؤهلة العاملة في مجال البحث في خدمة التنمية بشكل خاص ومن هنا، فلم يتحقق أي تقدم ملموس ومهم بالقدر الكافي خلال العقود الأربعة الأخيرة، وقد نشرت إحصاءات كثيرة تتعلق بالعلوم والتكنولوجيا والبحث في خدمة التنمية في مختلف البلدان الإسلامية ويكفي أن نلقي نظرة على الكفاءات العلمية والتكنولوجية.

إن مجرد نظرة عاجلة إلى المعطيات تدلنا على قلة الكفاءات العلمية والتكنولوجية في معظم البلدان الإسلامية فهذه البلدان التي يناهز عدد سكانها مليار نسمة، لا تملك سوى ٣٥٠ جامعة بعضها حديث النشأة ولا تعدو أن تكون مجرد مدارس عليا. ثم إن جامعات العالم الإسلامي مجتمعة لا يتخرج منها اكثر من ١٠٠٠ دكتور في العام. أما عدد الأطر العلمية في كل مليون نسمة فهو دون معدل الدول المتقدمة بكثير (أي ٣٠٠٠ أو اكثر) بل يقل حتى عن معدل بعض الدول النامية.

وقد أجريت دراسات متعددة حول المعطيات المتعلقة بالكفاءات العلمية والتكنولوجية والإنفاق في مجال البحث لخدمة التنمية والمنشورات والمؤسسات العلمية والتكنولوجية ورغم أن الأرقام المتعلقة بالعالم الإسلامي منخفضة جدا بالمقارنة مع البلدان الغربية المتقدمة فإن الوضع تحسن نسبيا خلال العقد الأخير.

إن الدول الإسلامية اعتباراً لحاجاتها التنموية من الآن وإلى مطلع القرن الحادي والعشرين، توصي بالعمل على توفير ٨ ملايين من الأطر العلمية والتكنولوجية على الأقل، على أن يتفرغ ١٠ في المائة منهم لانشطة البحث في خدمة التنمية.

العولمة والهوية الثقافية

لا ندري إلى أي حد أصبح عالمنا العربي أداة استقبال خصبة لكثير من معطيات الآخر؟!.

أم أن الآخر هو الذى يقتحم علينا دارنا؟!

مصطلحات وصناعات وتقنيات .. ونماذج وأطر لحيوات قد تطول أو تقصر فترة حضانتها لتمتثل أو تُستوعب أو تُرفض.. (العولمة) المصطلح الساري على الألسن، فرض نفسه على المؤتمرات والندوات وشغل فكر المختصين من العلماء والسياسيين.. العالم بأسره أصبح اليوم (قرية كونية) تتجول في انحائها وازقتها وحواريها بازرار بين (السبابة والابهام).

حتى لقد سمي مجتمع اليوم بـ (مجتمع الاعلام) الاعلام اسطورة العصر الساحرة.. ثقافات العالم، حضاراته، سياساته، اقتصادياته، رياضاته، نظم حياته بكاملها في صحوه ومنامه، في اكله وشربه في اخلاقياته وسلوكياته.

اسطورة العصر، أو إن شئت أعجوبة العصر هذه، تنقل اليك كل شيء عن كل شيء، وأنت لم تغادر اريكتك بعد.

هنا فقط..

تلاشت الحدود.. والأمر بعدُ ، هل هو التقاء وتلاقح بين الثقافات؟ أم هو تضاد وتضارب؟..

منذ القدم كانت (رحلة الشتاء والصيف) تعرف فيها العرب على شعوب آخرين، وتعرفت تلك الشعوب على العرب، وتبادلوا ما لديهم إلا أن ثقافات الشعوب كانت على تميزها، رغم التأثر والتأثير المتبادل في محدوديته.. لكن يبقى لكل أمة تميزها.

والأمر بكل تفاصيله لم يصل إلى ما وصلنا اليه اليوم.

(الاعلام) جعل من العالم بأسره (قرية كونية) صغيرة.. وامام هذا (الضخ) الاعلامي المتواصل غير المنقطع لا شك تندثر حضارة، وتنشأ حضارة بديلة، لعل معالم بداياتها تقول انها خليط، قد لا تسعد بصفة التناسق والتناغم الى حد كبير.

أما الحضارة القوية ذات القيم فهي التي ستبقى خالده شامخة لما تحمل من خير وفضيلة وجمال هذا شريطة أن يتمسك بها اهلها وسط هذا الركام المتداعي.. وهذه الحضارة التي هي اجدر بالبقاء وأحق به هي الحضارة الاسلامية الربانية.

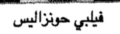
يأتي قولنا هذا ويتداعى وينساق في اشارة إلى (الندوة) التي عقدت مؤخراً في المغرب الاقصى تحت عنوان (العولمة والهوية الثقافية).

شارك فيها جمع من المفكرين والمثقفين والصحفيين واصحاب الاختصاص من العرب وغيرهم وكان فيهم الاستاذ عثمان العمير رئيس تحرير جريدة الشرق الاوسط، والاستاذ ميشال روكار رئيس لجنة التنمية في البرلمان الاوروبي والاستاذ عبده الفيلالى الأنصاري مدير مؤسسة









عثمان العمير — فيلبي حونزاليس — ميشال روكال — عبده الفيلالي الأنصارى

الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الاسلامية والعلوم الاجتماعية بالدار البيضاء.

والدكتور برهان غليون رئيس مركز دراسات الشرق الاوسط في جامعة السوربون.. وجميعهم تحدث عن (العولمة) مضموناً وعطاء .. كما تحدثوا عن ايجابياتها وسلبياتها وكيفية التعامل معها.

وفي اطار (العولمة) أيضاً انعقد في القاهرة مؤتمر بعنوان (العولمة وقضايا الهوية الثقافية) في المجلس الاعلى للثقافة برئاسة الدكتور جابر عصفور.

همـوم

في زماننا هذا ..

كثرت مستجدات الحياة وغرائبها..

وكثرت الوافدات على شبابنا..

ابتداء من الأفكار والسلوكيات والمبتدعات، وانتهاء بـ (الموضات والتقليعات) ويبدو أن عقدة الخواجة ـ التي ظننّاها مرحلة تاريخية قد انتهت وولت ـ هي اليوم اكثر عمقاً في شبابنا.

«عيد الفالنتاين» أو عيد العشاق، صرخة مجنونة احتفى بها شباب بعض الدول العربية..

في لبنان والاردن، تقول الأخبار أن الشباب اشتروا من الورد ما قيمته اربعة آلاف دولار احتفاء بهذه الموضة الوافدة.

وقديما قيل:

«إن الشباب والمال والجدة مفسدة للمرء أيّ مفسدة».

شباب فقد الانتماء، وفي يده مال وفير، وفراغ قاتل .. ترى ما النتيجة؟!!

إنها تقليد الآخر..

وكم تمنينا .. ولا نزال.

أن يكون التقليد فيما ينفع، ويبني، ويرفع..

ابو احمد ـ جدة

نصف قرن على احتلال فلسطين

مهرجان كبير، وتظاهرة مشهودة عقدت في لبنان بمناسبة مرور نصف قرن على اغتصاب اسرائيل لارض فلسطين المحتلة وتشريد أهلها وتقتيلهم.

«مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي»

«الثورة الفلسطينية»

«فلسطين والانتفاضة والعالم الثالث»

«هل هناك مكان محتمل لفلسطين في الضمير الغربي»

هذه بعض عناوين المحاضرات واللقاءات والندوات والمداخلات التي شارك فيها جمهرة من المختصين في القضية الفلسطينية من الفلسطينيين أنفسهم ومن العرب والأوربيين.. ومحاور هذا المهرجان فيها الشعر، والغناء، والمسرح والسينما، واللوحات وتوج المهرجان بوثيقة بعنوان (رؤية للقضية الفلسطينية) ضمت توقيعات ألف مثقف وسوف تتلى هذه الوثيقة في العديد من الدول العربية والأوروبية.

المنهل

الأستاذ الكريم الدكتور/ محمد بن حسن الزير الملحق الثقافي للمملكة العربية السعودية في جمهورية مصر العربية ، نشكر له هذه اللفتة الكريمة الرفيعة .. ونسأل الله سبحانه ان يديم عليه توفيقه في رسالته النبيلة لخدمة بلده ووطنه..

وسوف نظل على تواصل ثقافي وعلمي دائم باذن الله تعالى..

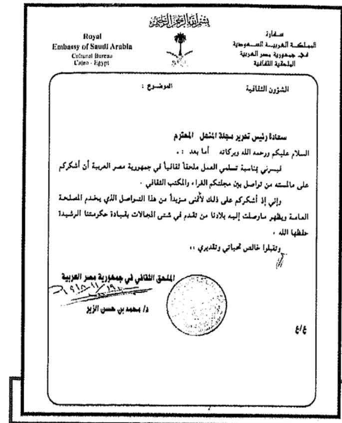
رسالة وفاء

الى السيد رئيس تحرير مجلة المنهل المحترم..

بعد ما يناسبكم من معاني التقدير والاحترام يطيب لي أن أرفع إليكم هذا الخطاب الودي لأعرب لكم من خلاله عن إعجابي الفائق وتقديري الكبير لكم وللدور الإعلامي المتميز الذي تؤدونه، الإعجاب الذي نلمسه من خلال صفحات مجلتكم الجامعة ذات الأفكار النيرة والمواضيع الهامة.

إن مجلتكم كان ولا يزال لها الأثر البالغ في تكويني المهني حيث نهلت من معينها حتى أصبحت شرها لمائدتها الثقافية الدسمة، وإنني وإن كنت قد تأخرت في رفع مشاعري هذه نحو مجلتكم التي كانت بالنسبة لي الأستاذ والمكون، فإنني ها أنا أرفعها إليكم وإن كنت أفتقر للعبارة المناسبة والمعبرة عن مكانتكم عندي كرمز من الرموز.

إن مجلتكم هي الوحيدة التي أقرأها صفحة صفحة وحرفا حرفا بنهم وشراهة، وإن تعذر عليَّ الحصول عليها في أوقات كثيرة، إلا أني كنت أسعى دائما للبحث عنها لدى الأصدقاء والمعارف، وقد ولد لدي إدماني عليها ميولا إلى مهنة المتاعب مهنة الصحافة والإعلام، الشيء الذي جعلني أسعى للحصول على رخصة لإصدار صحيفة



بسم الله الرحمن الرحيم

سفارة
المملكة العربية السعودية
في جمهورية مصر العربية
الملحقية الثقافية

Royal
Embassy of Saudi Arabia
Cultural Bureau
Cairo - Egypt

الشؤون الثقافية — الموضـوع :

سعادة رئيس تحرير مجلة المنهل المحترم

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته أما بعد :،

فيسرني بمناسبة تسلمي العمل ملحقاً ثقافياً في جمهورية مصر العربية أن أشكركم على ما لمسته من تواصل بين مجلتكم الغراء والمكتب الثقافي .

وإني إذ أشكركم على ذلك لأتمنى مزيداً من هذا التواصل الذي يخدم المصلحة العامة ويظهر ماوصلت إليه بلادنا من تقدم في شتى المجالات بقيادة حكومتنا الرشيدة حفظها الله .

وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري ،،

الملحق الثقافي في جمهورية مصر العربية

١٩/١١/١٤١٨هـ

د/ محمد بن حسن الزير

ع/ع

إعلامية تسمى «الصدى» وقد تم لي ذلك بعون الله ومشيئته، وأسعى الآن جاهدا لإظهارها على أرض الواقع.

وأنا لا أجد حرجا في أن أمد لكم يدي للاستفادة من تجربتكم الرائدة وخبراتكم المهنية الفائقة، وأنا واثق من أن عطاءاتكم في شتى الميادين الإعلامية ستصلني من أجل إنجاح المشروع الإعلامي الذي أسعى لتحقيقه قريبا إن شاء الله. وكلي ثقة في أن صرحا للتواصل الإعلامي سيشيد بين مجلتكم الجامعة وصحيفة الصدى الناشئة.

وسأكون سعيدا حين تصلني مجلتكم باستمرار مع أعداد مختارة من الأرشيف، وسأكون سعيدا أكثر حين أزف لكم العدد الأول من «الصدى» عربون وفاء وإخلاص.

وتقبلوا فائق التقدير والاحترام.

أخوكم / محمد عبد الرحمن بن محمد فال

المنهل

للأخ الفاضل الأستاذ الفال التحية والتقدير على هذه الكلمات الطيبة التى تدل على نفس كريمة طيبة.

ونحن سعداء بهذا الاصدار الجديد (الصدى) متمنين لكم التوفيق والسداد في رحلة الكلمة وأمانة أدائها.



الاستشراق والدراسات الاستشراقية، أصبحت قضية من قضايا التاريخ، وغالباً ما تعاد دراسة الاستشراق من هذا المنظور التاريخى، إلا أن الأمر في حقيقته غير هذا.

يمثل الاستشراق في مضمونه حركة فكرية في الاتجاه المعاكس للفكر الاسلامي في كثير من دراساته، وهذا (الاتجاه المعاكس) كسب ويكسب استمراريته كلما رأى أن حركة (الدفع) الاسلامي ورقعته تزيد اتساعاً في انحاء متعددة.

وبطبيعة الحال، فالاستشراق يجدد نفسه أسلوباً ومنهجية في الطرح والتداخل حسب مستجدات المعطيات.

ولا نبعد عن الحقيقة إن قلنا أن بعض برامج الارسال الفضائى الآن أصبحت واحدة من أدوات ترويج الفكر الاستشراقى، وتدعو إليه، سواء أقصدت الى ذلك ـ وهذا هو الغالب الأعم ـ أم لم تقصد، وهذا في القليل النادر .. وحسبنا من المؤتمرات التى تعقد في عالمنا العربي والاسلامي عن (الاستشراق ودراساته) ـ وهي كثيرة ـ ألا تحصر نفسها في الدراسة التاريخية للاستشراق فحسب، ذلك لأن الفكر الاستشراقي في كل توجهاته ومقاصده الدفينة غدا اليوم ـ بفضل وسائل الاعلام الحديثة ـ أعمق نشاطاً، واكثر انتشارا من ذي قبل.. فإن كان قبلُ محدوداً ومحصوراً في النخبة المثقفة القارئة، فإن الفكر الاستشراقي بكل توجهاته أصبح اليوم مشاهداً لكل من يريد ـ كلمة وسلوكاً ـ

محمد السمان ـ السودان

اللوفر والهرم الزجاجي

نابليون واللوفر:

المتحف هو زينة المدينة التي تحترم ذاتها، فكرة متحف اللوفر لم تظهر الا في عهد لويس السادس عشر، ثم تحققت في عهد الثورة التي أطاحت بالملكية، وفي عهد نابليون بونابرت أصبح اللوفر أغنى متحف في العالم.. فعند اشتعال الثورة ضد لويس السادس عشر كانت إحدى شعارات الثورة هي توزيع التحف على الشعب أو التخلص منها نهائياً ولكن حكومة الثورة وضعت كل هذه التحف في متحف وفتح القصر أبوابه أمام الجمهور في ١٠ أغسطس ١٧٩٣.

وقد تطور متحف اللوفر بمساعدة نابليون بونابرت والحروب التى خاضها نابليون كما قال لورانس مادلين المتخصص في المتحف أنه كان عاشقاً للفن.

ولقد استطاع نابليون أن يزود المتحف بـ ٢٥ ألف قطعة حصل عليها من مصر وهولندا وايطاليا وأسبانيا ومن روسيا أيضا.

فبعد انتهاء الحروب كان يشرف بنفسه على تغليف القطع الغنية وإرسالها مع الحرس الإمبراطوري الى المتحف.

متحف الأورسي .. جاليري ريشيليو وحده يعادل مساحته

أصل المتحف:

المتحف في الأصل كان قلعة قديمة حكايته تبدأ من عام ٨٨٥ حين حاصر محاربو الفايكنغ القادمون من إسكندنافيا باريس وأقاموا معسكراً لهم على الضفة اليمنى

اعداد : باسل يوسف النيرب
- الأردن -

ـاجي



الهرم الزجاجي المدخل الجديد للوفر

لنهـر السين، ولكن المدينة لم تسقط في ايديهم وبعدها رحلوا وتركوا المعسكر.

وكان شاهداً على آثار غزوة ماشيله، وفي هذا المكان قرر الملك فليب أغسطس في القرن الثاني عشر أن يشيد قلعة مربعة الشكل، وكانت هذه القلعة مسرحاً للاغتيالات، والاحتفالات الصاخبة الى أن قرر الملك فرانسو الأول أن يشيد قصر اللوفر وهي الكلمة المحرفة أصلا، من اسم البقعة التي أقيمت عليها القلعة لوبارا، وفي عهده أزيلت التحصينات حول القلعة وأعيد بناء القصر وألغي السجن الملحق به وحلت محله حديقة فسيحة. وعندما مات الملك هنري الثاني قررت أرملته الايطالية كارتين دي ميديتش بناء قصر آخر لها ولابنها الملك فرانسوا الثاني، ولكن العمل في البناء توقف بعد أن حذرها أحد المنجمين إن سكنت القصر ماتت.

وكانت خطة كاترين أن تقيم طريقاً مغطاة بين قصري اللوفر والتويلري على امتداد نهر السين وتسمي رواق حافة الماء ولم يتم البناء إلا في عهد الملك هنري الرابع بعد توقف دام ٢٢ سنة.

وفي عهد الثورة الفرنسية لحق بالقصر واستوطنه رعاع باريس وطردهم نابليون، وأقام به حفل زفافه على مارى لويز ولقد استقر اللوفر على شكله الحالي في عهد الأمبراطور نابليون الثالث وأصبح أضخم قصر في العالم.

موجودات اللوفر:

في اللوفر ساهمت مصر دون ارادتها في تدعيم متحف اللوفر، فبعد فشل الحملة العسكرية التي قام بها نابليون على مصر، حملت سفينة واحدة كنوزاً وآثار فرعونية لا تقدر بثمن ولذلك لم يحاسب أحد نابليون على الفشل لأنه أغشى العيون بالكنوز الشرقية التى أحضرها وقد بلغ عدد القطع الأثرية ٥٦٩٤ قطعة.

من مجموعة المتحف الشرقية

أما عالم المصريات بيار مونتيه فأزاح التراب عن كنوز ومدافن السلالتين ٢٢، ٢٣ في نانيس دلتا النيل وأشهرهم أوغست مارين الذي عمل في جناح المصريات باللوفر قبل بدئه عام ١٨٥٠ وكشف طريق أبي الهول ومعابد وقبوراً جعلت من منطقة سقارة محط أنظار علماء الآثار، وعمل على

الرؤية الأوربية لمصر كانت صامتة، وظلت حضارة الفراعنة غريبة الى أن جاء النصف الأول من القرن التاسع عشر وجاء جان فرنسوا شامبليون ليحل رموز حجر رشيد الهيروغليفي ويجعلها تنطق، وقرر أوجيوست مارين إقناع الخديوي سعيد باشا بانشاء المتحف المصري للحفاظ على الآثار.

ارسال ما يعثر عليه الى اللوفر ويعود الفضل له في إنشاء متحف بولاق المتحف المصري الحالي.

أما فينوس إله الحب التي عشقها الأغريق ثم عشقها الرومان، ثم عشقها فلاح يوناني، كان يحرث الأرض عندما اصطدم المحراث بشيء صلب، وعندما حفر الفلاح قليلا اكتشف وجود تمثال من المرمر الناصع أخرجه الفلاح، وجمعه



في المنزل وكان يمثل اسرة عارية.. عشقها الفلاح ووقف أمامها ذاهلا عندها شعرت زوجته بالغيرة وأنها لا تصبر على منافسة التمثال وأبلغت السلطات التركية التى كانت تحتل اليونان وعندما استولت عليه تركيا وحملته على ظهر سفينة الى أسطنبول، ولكن بارجه فرنسية اعترضت طريقها واستولت على التمثال وعادت مسرعة الى فرنسا حاملة فينوس دي ميلو وكان أروع استقبال لاجمل سيدة على الاطلاق، واليوم تستقبلك في المدخل الرئيسي منحنية قليلا.. قصيرة الشعر وبلا ذراعين. أيضاً نبض الحياه المعلق على الجدران بالاضافة إلى الجوكندا فقبل أن تصل الى القاعة التي بها الجوكندا يوجد العديد من الأسهم التي تدل على مكان خالدة دافنشي اللوحة الوحيدة التى تعرضت للسرقة وللإهانة في اللوفر ويحيطها صندوق زجاجي لحمايتها من كل أعتداء بعد أن سرقت عام ١٩١١ وعادت بعده الى اللوفر.

تجديدات اللوفر:

لعل انبهار الفرنسيين بالحضارة الفرعونية تجلى فيما بناه المهندس الأمريكي الصيني الأصل (مينغ بيي) وهو هرم مقلوب وشفاف يرمز للحياة وكان المهندس مينغ سبق وأن شيد أعلى برج في آسيا في هونغ كونغ وغيرها من الأعمال.

بدأ المشروع بقرار من الرئيس الفرنسي الراحل فرانسو ميتران بالعمل على ارجاع اللوفر الى وظيفته الأصلية كمتحف، بمعنى إخلاء الغرف والقاعات وكان آخرها مغادرة وزارة



الجوكندا .. من أشهر لوحات اللوفر

المالية اللوفر.

ويتألف التصميم من هرم زجاجي شفاف بارتفاع ٧١ قدماً صنع من الزجاج المتين، وقد تمت عمليات حفر هائلة تحت الموقع وذلك لجعل ارتفاعه لا يتجاوز المقرر وهو ٧١ قدماً وقد قال عنه المهندس منيغ لقد حان الوقت لاحياء اللوفر لأنه إن غرق في سبات عميق فإن باريس بأسرها ستغرق في سبات أيضاً.

منهج الاسلام في التبشير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يعتبر التبشير بالاسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أهم العقائد الأساسية في هذا الدين:

وينطلق الإيمان بهذه الشعيرة من الأصل الأول للعقائد الاسلامية، أي الايمان بالله بوصف أن الأمر بالمعروف، وأن النهي عن المنكر، هما الصورة الواقعية والمرئية لقيام رقابة جماعية من المجتمع الاسلامي علي نفس هذا المجتمع.

وبوصف أنهما أيضا الضمانة الوحيدة لمواصلة المجتمع الاسلامي لعمله الضخم الذي هو في أسه الحقيقي، ومن رسالته المتوخاة: الارشاد والتبشير، حتى يفيد هذا المجتمع بالافضالات التي يمنحها إياه إيمانه بعقيدة الاسلام.

وأصول هذه العقيدة يمكن أخذ خطوطها العريضة والكبرى من الآيات القرآنية الآتية: **{ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون}** (آل عمران/ ١٠٤)، **{كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله}** (آل عمران/ ١١٠)، **{والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}** (التوبة/ ٧١)، **{التائبون، العابدون، الحامدون، السائحون، الراكعون، الساجدون، الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، والحافظون لحدود الله}** (التوبة/ ١١٢)، **{الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور}** (الحج/٤١)، **{فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض}** (هود/ ١١٦).

كما توضح تلك الخطوط العريضة، وتبين أهدافها ومجالاتها وأبعادها كلمات سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الآتية:

(أفضل الجهاد كلمة حق تقال عند إمام جائر)

(سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ثم رجل قام إلى إمام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى، فقتله على ذلك)[١].

{من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان}[٢]، {والذى نفس محمد بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يصب عليكم عذابه فتدعونه فلا يستجب لكم) وقوله - كما في كنز العمال معزوا الى أبي داوود عن ابن مسعود (إن أول ما دخل النقص على بني اسرائيل، كان الرجل يلقى الرجل فيقول له يا هذا اتق الله ودعها تصنع فانه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه



بقلم : عبدالكريم التواتي
جامعة القرويين - فاس



ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، وأضاف عليه السلام قائلا: والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتضربن على يد المسيء، ولتأطرنه على حق أطرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم، ثم تلا عليه السلام، قوله تعالى: **{لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون}** (المائدة/٧٨، ٧٩)٠

ومن كلمات سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} أيضا في توضيح أهمية عقيدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ فيما رواه عبد الله بن مسعود ـ (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)٠

وتعتبر هذه الشعيرة، بحق وبدون ريب، أساس وركيزة قيام وحدة وجامعة اسلامية حقة٠ من حيث اليقظة التى تفرضها على كل الخلايا التى يتكون منها هذا المجتمع الاسلامي، ومن حيث استهدافها العمل لقيام التكافل الحقيقي بين هذه الخلايا، لأن (الأمة اذا اجتمعت على هذا الهدف النبيل أي أن تكون مسيطرة ـ كما قال محمد عبده ـ على الأمم كلها، مربية لها ومهذبة لنفوسها، فلا شك أن جميع الأهواء الشخصية تتلاشى من بينهم فاذا عرض الحسد والبغي لأحد من أفراده تذكر وظيفته الغالية الشريفة، التى لا تتم الا بالتعاون والاجتماع، فأزالت الذكرى ما عرض، وشفت النفوس قبل تمكن المرض[٣]٠

أما إذا تركوا دعوة الخير، وسكت بعضهم لبعض على ارتكاب المنكرات، خرجوا من معنى الأمة، وكانوا أفذاذا متفرقين، لا جامعة لهم، مع أن القرآن الكريم يقول: **{ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات}** (آل عمران/ ١٠٥)٠

والاعتصام - كما يقول محمد عبده أيضا - هو الأصل، وبه يكون الاجتماع والاتحاد، الذي يجعل الأمة كالشخص الواحد. ثم الدعوة الى الخير هي التي تنمي هذه الوحدة وتغذيها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحفظ هذه الوحدة، ويؤيدها، ويشد أزرها اذا كانت تقوم به أمة موحدة.. متضامنة متكافلة.. والآية الأولى من ضمن الآيات التى أوردناها في بداية هذا الفصل، وان يكون لفظها - أو على الأصح لفظة (منكم) فيها - قد يشعر بعدم عينية القيام بهذه الشعيرة - خاصة ونحن نعلم أن من المسلَّم به أن ليست كل قطاعات المجتمع الاسلامي ذات مؤهلات وكفاءات تسمح لها بمباشرة هذه الشعيرة - فإن مفهومها العام يوحي بالوجوب المطلق، حتى ولو لم يتحقق المباشر لها أمنا على نفسه أو صدى لعله لدى من يأمرهم وينهاهم.

ومن كلمات رشيد رضا في أمر وجوب قيام هذه الشعيرة، أو قيام جماعة أو أمة اسلامية بها، نورد هذه الفقرات لبلاغتها قال: (إنه يجب على مجموع المسلمين أن تكون لهم جماعة أو دولة قوية تنشر دعوة الاسلام، وتقيم أحكامه وحدوده، وتحفظ بيضته، وتحمي دعاته وأهله من بغي الباغين، وعدوان العادين وظلم الظالمين، فإذا كانت هذه الجماعة أو الدولة أو الحكومة ضعيفة يخشى عليها من اغارة الأعداء، وجب على المسلمين أينما كانوا وحيثما حلوا أن يشدوا أزرها، حتى تقوى، وتقوم بما يجب عليها فإذا توقف ذلك على هجرة البعيد عنها اليها، وجب عليه ذلك وجوبا قطعيا لا هوادة فيه.

والاسلام بعد ذلك يرى أن لا يكتفي المسلم في هذه القضية بأمر نفسه ونهيها فحسب متخذا الآية الكريمة: **{يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم}** (المائدة/ ١٠٥) تكأة وسندا ودليلا.

فقد روي أن أبا بكر - رضي الله عنه - قام يوما خطيبا وقال - بعد أن حمد الله وأثنى عليه - {أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يَضُرُّكم من ضَلّ إذا اهتديتم} وإنكم تضعونها غير موضعها وإني سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب)، وفي رواية ابن مردويه لنفس القصة: (إن أبا بكر مد يده فوضعها على المجلس الذى كان النبي عليه السلام يجلس عليه من منبره ثم قال: سمعت الحبيب - وهو جالس في هذا المجلس - يتأول هذه الآية، ثم فسرها فكان تفسيره لها أن قال: (نعم ليس من قوم يعمل فيهم بمنكر ويفسد فيهم بقبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا حَقّ على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم).

ويمنع من قصر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على خصوص نفس الفرد ما توحيه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في الموضوع، والمؤكدة لشموليته وفي جميع الظروف وفي كل الأحوال.

ومحمد عبده هو الآخر يحتضن هذا الرأى ويتشبث به فقد قال: فيما يخص وضعية لفظة (منكم) في الآية التى نحن بصدد التعليق عليها (إن الكلام على حد قولك (ليكن لي منك صديق)، فالأمر عام ويدل على العموم.

أولا: آية العصر {والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر} فإن التواصي هو الأمر والنهي.

ويدل على العموم كذلك:

ثانيا: آية المائدة رقم ٧٨ - ٧٩ **{لُعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون}**.

قال: والمسلم لا يجهل ما يجب عليه، وهو مأمور بالعلم والتفرقة بين المعروف والمنكر. على أن المعروف عند الاطلاق يراد به ما عرفته العقول والطباع السليمة والمنكر ضده وهو ما أنكرته العقول والطباع

السليمة[٤].

ويرى المودودي العالم الباكستاني - تحليلا للفظة (منكم) الواردة في هذه الآية - أن المعنى العام المراد بالآية هو: يقول الله عز وجل اذا كان كل أفراد الأمة واعين لدورهم، كاملي الايمان، وصارت الأمة بأجمعها منارة لهداية الدنيا آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، لكل أممها وشعوبها فإنكم إذن خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله، وأما إذا عجزتم عن القيام بهذه المرتبة العليا، ولم تكن أمتكم بأجمعها متصفة بهذه الصفة، فلتكن منكم على الأقل، ولابد من وجود طائفة منتصبة لفريضة الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[٥].

وكان المودودي يشير الى مضمون الحديث (ما تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم أو كما قال: ما يجب على القائم بالتبشير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إلا أن الاسلام الذي أوجب القيام بهذه الشعيرة ورأى، تركها بداية انهيار احدى الدعائم الكبرى لصيانة الدين والمعتقدات، ولحماية المجتمع من التردي في المهالك والضلالات، من حيث أن هذه الدعوة في نظر الاسلام وسيلة سليمة لتحقيق رغبته في ارساء قواعد التعاون الدولي الذي تشير إليه الآية: **{يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا}** (الحجرات/ ١٣).

والآية هذه وإن تكن خبرية الشكل فهي انشائية المضمون، أي عليكم أن تتعارفوا، أقول إن الاسلام الذى أوجب ذلك القيام ونهى عن ذلك الترك لتحقيق هذا التعاون الدولي يوصي المباشر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يتسلح بالأسلحة الواجبة واللازمة في مثل هذه المواطن، مؤكدا بأنه يجب عليه:

أولا: أن يوطن النفس على تحمل الأذى، وعلى ما قد يجابه به من التكذيب لما يدعو إليه، ومن السخرية بآرائه، والاستهزاء بأفكاره، وعلى ما قد يلقى من مناهضة شديدة لدعوته، إذ تلك أمور لابد أن يلقاها كل من يتصدى للقيام بمثل هذه المهام، ورحم الله ورقة بن نوفل حين قال لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام - وقد جاء صُحْبَة خديجة يخبره بما رآه من الوحي وعلاماته (إنه ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عُودي)..

وتستشعر ضرورة حدوث ذلك لكل من يتصدى للدعوات الصالحة أو الطالحة على السواء اذا جاءت مخالفة لمألوف الناس وما اعتادوه إنَّ القرآن مليء بالصورة المشخصة لهذه الاذايات المتنوعة التي تعرض لها مختلف الرسل والأنبياء، مليء بتلك المكائد التي تربص بها الجاحدون ، ثم تكذيبا حينا، وتسفيها آنا، وإذاية عملية حينا آخر.

والقرآن الكريم بعد ذلك يذكر المؤمنين أن كل تلك المكائد، والاذايات أمور لازمة لكل دعوة جديدة، وبالأكثر اذا كانت نافعة هادفة، لأن مثل هذه غالبا ما تقترن بمضايقات ومضاعفات.

وفي هذا الصدد نقرأ في القرآن الكريم الآيات الآتية: - وهي قليل من كثير - : **{أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب}** (البقرة/ ٢١٤).. **{لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور}** (آل عمران/ ١٨٦).. **{قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون، فإنهم لا يكذبونك، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون، ولقد كُذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كُذِّبُوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا}** (الأنعام/ ٣٣، ٣٤).. **{ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون}** (الأنبياء/ ٤١).. **{وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين}** (الأنبياء/ ٧٠).. **{واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف**

في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا} (الحج/٧٢).. {فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون} (الروم/٦٠).. {ولا تطع الكافرين والمنافقين، ودع أذاهم، وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا} (الأحزاب/٣).. {يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها} (الأحزاب/٦٩).. {واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث، فقالوا إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم الا تكذبون، قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين، قالوا إنّا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنَرْجُمَنَّكُم وليمسنكم منا عذاب أليم} (يس/ ١٣ : ١٨).. {يا حَسْرَةً على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون} (يس/٣٠) .. {بل عجبت ويسخرون وإذا ذُكروا لا يذكرون، وإذا رأوا آية يستسخرون، وقالوا إن هذا إلا سحر مبين} (الصافات/ ١٢:١٥) .. {إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون، ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون}.. {قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم، فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين}.. {ولقد مننا على موسى وهارون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم} (الصافات/ ٣٥، ٣٦، ٩٧، ٩٨، ١١٤، ١١٥).. {وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا؟ إنَّ هذا لشيء عجاب، وانطلق الملأ منهم: أن امشوا واصبروا على آلهتكم، إنَّ هذا لشيء يراد، ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة، إنْ هذا إلا اختلاق، أأنزل عليه الذِّكْر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لمّا يذوقوا عذاب}.. {كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمودُ وقوم لوط وأصحاب الأيكة، أولئك الأحزاب، إن كُلٌّ إلا كذَّب الرُّسل فحقَّ عقاب} (ص/ ٨:٤ ومن ١٤:١٢).. {كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم، وهمّت كلُّ أمّة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق}.. {فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم}.. {وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه}.. {وقال فرعون ياهامان ابنِ لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطّلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا} (غافر/ ٥، ٢٥، ٢٦، ٣٦، ٣٦ - ٣٧).

والقرآن بعد أن أشار الى هذه الآيات التى أوردناها اشارات عامة الى هذه الأنواع من الاذاية التي تعرض لها كل من جاء من عند الله بدين وهداية عاد فأجملها في هذه الآية: {ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه} (المؤمنون/٤٤).

وتعرض القرآن بعد ذلك لذكر موقف الكافرين من المؤمنين بأولئك الرسل وما يدعون اليه فقال: {وقال الذين كفروا للذين آمنوا: لو كان خيرا ما سبقونا إليه} (الأحقاف/ ١١).

ثم أشار القرآن في آيات أخرى الى خصوص ما أوذي به بعض الرسل، مذكرا في نفس الوقت بأن هذا الأذى وعلى اختلاف ضروبه ومهاتراته جزء من صدق الدعوة، ودليل على عمق الايمان، مع تأكيده رأيناه فيما أوردناه من آيات بأنه لم ينج واحد من الرسل من انتقادات مرة وجهت اليه من أولئك المنكرين للرسالات والجاحدين للنبوات، المكذبين للافضالات.

ومما قاله أولئك المنكرون لنوح عليه السلام:

{ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين إن هو إلا رجل به جنّة فتربصوا به حتى حين} (المؤمنون/٢٤ - ٢٥).

وقالوا له: {أنؤمن لك واتبعك الارذلون؟} (الشعراء/ ١١١).

وانتهوا الى تهديده قائلين: {لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين} (الشعراء/ ١١٦).

وقالوا في موسى وأخيه هارون: {أنؤمن لبَشَرَيْن



مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما} (المؤمنون/ ٤٧ ـ ٤٨) وقالوا لموسى: **{ما هذا إلا سحر مُفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين}** (القصص/٣٦).

وقالوا لهود: **{سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين إن هذا إلا خُلُقُ الأولين وما نحن بمعذبين}** (الشعراء/ ١٣٦/ ١٣٧/ ١٣٨).. وقالوا لصالح: **{إنما أنت من المسَحَّرين ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين}** (الشعراء/ ١٥٣/١٥٤).. وأنهوا قولهم له بهذه اللامبالاة التى وصفها القرآن قائلا: **{اطَّيَّرْنَا بك وبمن معك}** (النمل/٤٧).

وقالوا للوط: **{لئن لم تنتـه يالوط لتكونن من المخرجين}** (الشعراء/١٦٧)، كما قالوا له ولأتباعه: **{أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يَتَطَهَّرُونَ}** (النمل/ ٥٦). وانتهوا الى محاولة تعجيزه حين قالوا له: **{ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين}** (العنكبوت/ ٢٩).

وقالوا لشعيب: **{إنما أنت من المسحرين، وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين، فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين}** (الشعراء/ ١٨٦/١٨٧).

وقالوا لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من جملة ما قالوه: إذ أن القرآن طافح بتلك الترهات والأباطيل التي الصقوها به فبرأه الله مما قالوا حين أظهره ودينه عليهم: **{إن هذا إلا إفك افتراه، وأعانه عليه قوم آخرون، فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه بُكرة وأصيلا}** (الفرقان/ ٤/ ٥).

والقرآن بعد ذلك يصور لنا كيف أن أولئك المفطورين على الإذاية والتكذيب لن يكفوا عنهما حتى ولو قدمت لهم من البراهين والحجج ما طلبوه هم أنفسهم، وجعلوه شرطا لإيمانهم.

ويصف القرآن موقفهم هذا بهذه السخرية اللاذعة فيقول: **{ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا: ربنا لولا أرسلتَ إلينا رسولا فنتَّبِع آياتك ونكون من المؤمنين، فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا: لولا أوتي مثل ما أوتي موسى، أولم يكفروا بما أوتِي موسى من قبل}** (القصص/ ٤٧/ ٤٨)..

ويرسم القرآن صورة أخرى لنوع آخر من أولئك الجاحدين وهي تلك الخاصة بأدعياء العلم منهم أو أدعياء القوة الذين يرون أنفسهم بما يتوفرون عليه من ذلك أنهم أسمى من الانصياع لنداءات الرسل والمصلحين قال القرآن: **{فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون}** (غافر/٨٣) **{وقالوا: من أشد منا قوّة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوّة}** (فصلت/١٥).

والقرآن يصف نهاية عتو هذه الطائفة بهذه الآية: **{وما يهلكنا إلا الدهر}** (الجاثية/٢٤).. ولكن القرآن أيضا أجابهم بنفس الأسلوب معقبا على هرائهم ومنبهاً الى جهلهم المطبق حتى لقيمة مصيرهم الذى ما كان ينبغى لهم أن ينهوه على هذه الأرض ـ لو كانوا يعلمون ـ بتلك الغاية التى تصوروها هم فقد أجابهم، وفي نفس الآية والصورة قائلا: **{ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون}** والقرآن مع كل هذا التعنت والجحود اللذين غالبا ما يتمسك بهما المدعوون، وعلى اختلاف الأحوال الزمنكية، يوصينا نحن المسلمين المؤمنين أن نكون هينين لينين مع جميع الناس حين ندعوهم الى الله: **{ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم}** (فصلت/٣٤).

ويوصي القرآن المسلمين بالخصوص أن يكونوا أكثر ليونة مع أهل الكتاب: **{ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون}** (العنكبوت/٤٦).

وأمرنا الاسلام كذلك ـ ونحن نباشر مهمة التبشير بهذا الدين والدعوة له ـ أن ننهج في مجابهة أولئك

المعاندين أو المترددين ما أمر الله رسوله أن يفعله في مثل هذه المواطن أي أن نمضي في مهمتنا التبشيرية لا نعير اهتماما لغيرها، مع تمسكنا بالعفو والصفح وسعة الصدر مع كل الناس حتى المكذبين والساخرين والكافرين {**فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ**} (الشورى/٤٨)٠٠{**ثم جعلناك على شريعة من الأمور فاتّبعْها**} (الجاثية/١٨)٠٠ {**فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل**} (الأحقاف/ ٣٥)٠

ثانيا: ويجب على المباشر لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن يكون ملما عظيم الإلمام بأسلوب الدعوة وطرقها العلمية، وحسب الزمان والمكان، وعلى كامل العلم بمعرفة طرق توصيل الارشاد الى الناس، من معرفة خصائص النفوس، واختلاف ميولها وبيئاتها فكل تلك المعارف أمور ضروري التسلح بها لمن يتولى القيام بمثل هذه المهمة إذ كثيرا ما أجدت الأساليب النفسية المدروسة في وقت عجزت فيه الحجة القطعية عن تحقيق أي تفاهم أو الوصول الى أي إدراك٠

وسيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} صاحب الرسالة، كان هو نفسه يتخير لدعوته الأساليب الحية، اذ ما دامت رسالته انما جاءت لتبشر بالحياة على أسلوب جديد، تطبيقا لمفهوم الآية القرآنية: {**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**} (الأنفال/ ٢٤)٠ فمن الواجب التقيد في منهاج الدعوة بالأساليب الحية التى تتوخى الوضوح والبساطة وتضرب على الأوتار الحساسة وتمس خلايا الوجدان الانساني الذي ظل ـ وما يزال ـ قرونا وقرونا متعطشا لدين الاسلام، هذا الدين الذي:

فيه من الحياة ما يزين للانسان الحياة، ويربطه بها رباطا هو نفسه دين٠

وفيه من الروحانية، ما يجعله ينتقل في سبحات من الايمان، تنسيه رعونة المادة وجهامة بعض جوانبها وفيه من المادة ما يمده بالروافد الأساسية منها لبقاء ذاتيته وأداء رسالتها، التى تربطه بدورها بالحياة في جانبها العملي، الذي هو قيام علاقات بالآخرين، وتمتين الصلة معهم، على أساس من المحبة والتعاطف٠

الدعوة نوعان: خاصة وعامة:

وتعني الأولى التناصح الذي يجب أن يسود فيما بين المسلمين، والضرب على أيدى العابثين أو الخارجين منهم على قانون الأخلاق، أو المنحرفين عما يقتضيه السلوك الاجتماعي في كل مجتمع اسلامي، وكل ذلك أخذا من كلمة سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} «الدين النصيحة، قلنا: لمن يارسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولامة المسلمين وعامتهم»٠

وضمن هذا السلوك يدخل التقيد بفكرة التكامل، وتوزيع المسؤوليات وتحمل التبعات، وبصفة جماعية انطلاقا من معطيات هذه الآية الكريمة: {**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**} (الانفال/٢٥)٠ ومن أمثلة هذه المسؤولية الجماعية ما (رووه عن سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} في قصة ركاب السفينة المشهورة٠٠ ويدخل ضمن هذه الدعوة الخاصة الرقابة التى من الواجبات العينية على الأمة أن تفرضها على كل المسؤولين عن رسالتها وقضاياها٠٠

وقد كان موقف المسلمين الأولين من حكامهم يُجسم هذه الرقابة أروع تجسيم٠

وقصة بلال مع خالد بن الوليد حين تولى الأول تنفيذ حكم عمر في الثاني، وخالد يومئذ أكبر قائد اسلامي تتوج الانتصارات الباهرة هامته، وترفع ناصيته، أقول: إن هذه القصة ـ التى ولا شك يستحضرها الجميع ـ تعد مثالا رائعا لرقابة الشعب على المسؤولين في المجتمع الاسلامي٠

أما الدعوة العامة:

فهي تلك التي تلزم الأمة الاسلامية تجاه غيرها من الدول والأمم والشعوب أخذا من الخطاب الموجه الى محمد {صلى الله عليه وسلم} في الآيتين الآتيتين ومن كلماته المفسرة لهما ـ قال تعالى: {**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**} (الأعراف/ ١٥٨) {**وما**

أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا} (سبأ/ ٢٨).

ومن كلمات سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} في كون رسالته دعوة عامة، أي ومن ثمة فيجب على أمته أن تضعها في مقدمة مهامها التبشيرية قوله: (كان النبي يبعث الى قومه وأنا بعثت الى الناس كافة) بعثت الى الأحمر والأسود).

ويجب أن تتوخى هذه الدعوة، سواء أكانت عامة أو خاصة، ايقاظ المشاركة الوجدانية، وتنمية العلاقات الاجتماعية، بين مختلف قطاعات الانسانية واتجاهاتها، ثم يجب أن تعمل على بلورتها، في هذه الدعوة الاسلامية القائمة على الايمان بالله، وبالانسان بصفته عبدا لله، ومنفذا لأوامره في أرض الله، وقيما على مصالح عباده في هذه الدنيا، التى يجب أن تعتبر - وعلى الدوام - مجرد معبر، ومختبر اعداد لما هو خير وأبقى.

ويجب أن تتوخى هذه الدعوة كذلك - وهى تباشر أبعادها ومعطياتها - العدل والميزان والمساواة التامة في كل الأمور، هذه المساواة التى تعتبر بحق الميزة الخاصة والأكثر بروزا وتقديرا في الاسلام: ذلك أن هذه المساواة - ولما يبني عليها الاسلام من نتائج - تمكنت عقيدتها من كافة القادة الاسلاميين، حتى بلغ من تقديرهم لها ما جعل عمر بن الخطاب لا يتورع عن منع ابنيه من صلبه من الاتجار بأموال المسلمين، ما دام لم يسمح لغيرهما بنفس العمل..

ثم هذه الدعوة العامة فريضة عينية، لا يمكن التخلي عنها بحال ما دام هناك في الدنيا وفي العالم الاسلامي بالخصوص من هم في وضعية تستوجب مباشرتها، ويتوفرون على الامكانيات الميسرة لذلك ولكن لا على أن يتولى جميع أفراد الأمة هذه المهمة فوجود طائفة مؤمنة مخلصة صادقة ذات كفاءات وأهلية تتولاها كاف.

ويشترط في هؤلاء الدعاة:

أولا وقبل كل شيء أن يفهموا أن مهمتهم تلك تقتصر وبالدرجة الاولى على تهيىء الجو الصالح للمدعوين، حتى يتفهموا أهداف ما يدعون اليه، ومدى استجابته لمتطلبات حياتهم في هذه الدار وتلك مع ترك المجال فسيحا أمام أولئك المدعوين ليشعروا بأن حريتهم فيما يخص انشاء أو استمرار علاقاتهم بالناس مضمونة ومكفولة، ما داموا قد ايقنوا وفهموا وآمنوا أنهم عبيد لله المحرك لكل شيء وأن ما سواه في درجة واحدة دون تمايز الا بالتقوى والقدرة على نفع الناس.

فمهمة الدعاة تقتصر على توضيح ما غمض على الناس من أمور دينهم، فلا وسائط ولا شفعاء، لأن أي شيء من هذا القبيل - في نظر العقيدة الاسلامية الصحيحة - يدان بأنه انكار صريح لأهم اسس وأصول هذه العقيدة أي التوحيد والاعتراف بالألوهية المطلقة لله {**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما**} (النساء/٤٨).. {**ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا**} (النساء/ ١١٦).. وحذف المتعلق من الآية {ومن يشرك بالله} يعم أي نوع من الاشراك: في العقيدة، أو الدعاء، أو الحكم، أو الوساطة، أو التوسل أو الشفاعة أو الزلفي {**تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم، إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار**} (الزمر/ ١، ٢، ٣).

ويجب على هؤلاء الدعاة:

وبعد ما تقدم، أن يفهموا بأن أحسن الطرق وأقربها إلى إدراك النتائج الايجابية، يكمن في حسن الربط بين الاسلام كدين وعقيدة وبين حياة الانسان ومشاكله اليومية كمجال لتطبيق سلوك هذه العقيدة وجعلها تتساوق والحياة التى يحياها الناس أو كمجال لتلوين هذه الحياة بالشكل الذي يجعلها تنسجم وتتناغم مع السلوك الفطري لهذا الدين.

وعمل من هذا النوع يتطلب دون شك إعدادا تربويا وتدريبيا نفسانيا دقيقا، لأن الدعوة الاسلامية في هذا العصر: عصر النور والتقنية والمجالات الفضائية والصواريخ لم تعد ـ كما يقول جمال بغدادي القادري ـ أدعيــة وتراتيل وإنما أسلوب حي يسلط الأضــواء الكاشفة على أمراضنا وآلامنا، فيقدم العلاج المستمد من قبس القرآن الكريم ويضع اللبنات الأولى للمجتمع الاسلامي المنتظر.

ويجب بالإضافة الى ذلك:

أن يتجدد هذا الاسلوب بتجدد روافده التي هي اكتشافات الانسان المعبرة عن اتجاهاته وميوله ورغائبه إما لمباركتها وإما لتقويم المعوج منها، أو لتوجيه المتأرجح منها الوجهة الصالحة والامام محمد عبده يضع ـ لتحقيق أهلية وكفاءة الدعوة والمبشرين الاسلاميين: اخذا من الايحاءات والتلقينات القرآنية والتعليمات النبوية ـ احد عشر شرطا، نرى اتماما للفائدة اختصار أهم نقاطها فيما يلي:

١ ـ العلم التام بما يدعون اليه، والمعرفة الدقيقة لاهداف القرآن وعلومه والحديث وأصوله وأسانيده، والسيرة النبوية والمواقف الحاسمة منها، مع ما يكفي من الاطلاع على الأحكام.

٢ ـ العلم بحال من توجه اليهم الدعوة اجتماعيا استعدادا وطبائع وأخلاقا.

٣ ـ العلم بمناشيء التاريخ العام ودراسة أسباب الانحرافات في العقائد والأخلاق والعادات وهذا سر تعرض القرآن الكريم كثيرا للاحداث التاريخية.

٤ ـ الالمام بعلوم الجغرافيا على اختلاف أنواعها وفروعها.

٥ ـ الاطلاع الواسع على علم النفس، ومعرفة ما يكون صفة للنفس حاكما على ارادتها متصرفا في أعمالها، وما هو صورة تعرض للذهن ولا أثر لها في الارادة فلا تبعث على العمل.

٦ ـ الالمام بعلم الأخلاق، لمعرفة الفضائل وكيف يربي المرء عليهاوالرذائل وكيفية الوقاية منها.

٧ ـ الالمام بعلم الاجتماع الذى يكون مع الاخلاق والتاريخ فلسفة الاتجاهات الانسانية في الحياة عبر الأجيال الماضية، ذلك لأن علم الاجتماع خطير الأهمية، وخاصة في مجال معرفة أحوال الأمم في بداوتها وحضارتها، وأسباب ضعفها وقوتها، وتدنيها وترقيها.

٨ ـ الدراسة العميقة للسياسات الدولية ومختلف علاقات الأمم فيما بينها، والاتجاهات الخارجية والداخلية لكل بلد وأهدافه من ربطه علاقاته بالآخرين.

٩ ـ الالمام باللغات الأجنبية المراد دعوة أصحابها الى الاسلام، أخذا من عمل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، حين أمر أصحابه بتعلم العبرانية اللغة الدينية لليهود المجاورين لمركز الدعوة يومئذ في المدينة المنورة فإنه وإن يكن من الممكن الى حد ما قيام الترجمة بهذه المهمة في غير الأقطار الناطقة بالعربية، إلا أن المترجم مهما كان أمينا فلا يتيسر له أن يفهم من حقيقة الاسلام ما يفهمه العالم المسلم المتقن لهذه اللغات الأجنبية.

١٠ ـ العلم بالفنون والعلوم المتداولة لدى تلك الأمم الموجهة اليها الدعوة ولو لمعرفة ما يرد من شبهات تلك العلوم ومعرفة ما يليق لها من أجوبة وايضاحات.

١١ ـ الدراسة المستفيضة لمختلف الملل والنحل ومذاهب الأمم فيها ليتيسر للدعاة ادراك ما فيها من الباطل، فإن من لم يتبين له بطلان ما هو عليه، لا يلتفت الى الحق الذى عليه غيره وإن دعاه اليه.

والاسلام بعد كل ذلك وقبله، يضع منهاجا نفسيا رائعا لاسلوب الدعوة، مراعيا فيه الأسس التربوية الاجتماعية والحاسمة فهو لا يريد أن يعرف الناس دفعة واحدة ـ ونحن ندعوهم الى اعتناق عقائده وسلوك مذهبه ـ في الأصول والمباديء والعقائد التى يرى أن الايمان بها والتسليم لمقتضياتها ضروريان لصحة العقيدة، وإنما على العكس من ذلك يأمر الدعاة بأن ينتهجوا طريقة التروي والتوأدة، وما يعرف حاليا في

المناهج التربوية من التسلسل الفكري وتداعيه، ومن الانتقال من الابسط الى البسيط ومن المحسوس الى المعقول.

والاسلام إذ يأمر معتنقيه بأن يكونوا خير أمة أخرجت للناس يلزمهم:

(١) وهم يباشرون معطيات هذه الخيرية التى وصفوا بها - القيام بالدعوة لدينهم، على أن تستهدف هذه الدعوة في بداية منطلقها تذكير الناس بالميثاق والعهد الذى قطعوه على أنفسهم، وعلى لسان أصولهم الأولى يوم ذراها الله وسخر لها ما في السماوات وما في الأرض، وحملها مسؤولية مختلف أنشطتها وأعمالها، وكل ذلك أخذا من مضمون ما أشارت اليه الآيتان الكريمتان التاليتان:

{**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون؟**} (الأعراف/ ١٧٢، ١٧٣).

{**واذكروا نعمت الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا، واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور**} (المائدة/ ٧).

(٢) يلزمهم تحذير هؤلاء الناس من أن تحيق عليهم كلمة العذاب، إذا هم تخلوا عن مقتضيات ذلك الميثاق {**الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون**} (البقرة/ ٢٧)..

والاسلام بالاضافة الى ذلك يتوعد المتقاعسين من دعائه عن هذه المهمة، أو الكاتمين منهم لما يعلمون عنها، بأقصى عقاب وأشده، أي الطرد من رحمة الله والحرمان من بركاته: {**أن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّنّاه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون**} (البقرة/ ١٥٩).

(٣) يلزمهم مباشرة هذا التبشير وتلك الدعوة بالتي هي أحسن: {**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**} (النحل/ ١٢٥).. ثم على فكرة استهداف قيام (أخوة تتوارثها الأمم والأجناس، في مجتمع متحد تحت رعاية الله لإنجاز إرادة الله (كما يقول الكاتب الفرنسي «روني كروس»).

(٤) يلزمهم انتهاج الحكمة والتبصر والاتزان، وبأن لا يحاولوا اكراه المدعوين على اتباعهم، أو يرغمون على اجابة دعوتهم {**لا إكراه في الدين**} (البقرة/ ٢٥٦).. {**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**} (يونس/ ٩٩).. {**لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين**} (الشعراء/٣).. {**لست عليهم بمصيطر**} (الغاشية/ ٢٢).

(٥) يلزمهم - أخيرا - التنفيذ التام والكلي في دعوتهم وتبشيرهم بالتسامح الديني تسامحا حقيقيا رائعا ينطلق من المبدأين الآنفي الذكر والقريبين، أي الحكمة التى تعني التبصر والاتزان، وبالتي هي أحسن: وعلى أساس ما تشير اليه هذه القاعدة العامة المستوحاة من هذه الآية: {**لا إكراه في الدين قد تبيّن الرُّشد من الغي**} (البقرة/ ٢٥٦).

نحن مدعوون لدعوة هؤلاء الناس الى الايمان بما نؤمن به ونعتقده، وفي الوقت الذي لا يباح فيه أن نستعمل القوة أو الإكراه لحمل الناس على اعتناق ديننا، يجب على النقيض من ذلك أن نتسلح بالحكمة والهدوء ونتمسك بكامل قوانا التوازنية، اقول: في هذا الوقت يجب علينا - في نظر الإسلام - أن نعايش الاديان الأخرى على أساس السياسة القرآنية في الموضوع، تلك التى تحدد أبعادها هذه الآية الكريمة: {**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهُم وتُقسطُوا إليهم إن الله يُحبُّ المقسطين**} (الممتحنة/ ٨).

وهذا يقتضي منا في نفس الوقت أن لا نعايشهم على أساس الاعتقاد بحقية دينهم وصدقه، أو كون

معتنقيه على الحق، لان الحق واحد لا يتعدد بتعدد الأطراف المتنازعة عليه، ومن ثمة فلا يمكن أن نكون نحن على حق - والواقع كما هو معتقدنا أننا وحدنا على الحق - ويكون أولئك المخالفون لنا دينا، في نفس الوقت، هم على الحق أيضا.

ولكن معنى التعايش المفهوم من الآية السابقة هو ذلك القائم على فكرة أنه ما دامت حريتنا في الدعوة والتحرك لها، والعمل لنجاحها مكفولة ومضمونة، وما دمنا لا نجد من أولئك المخالفين معارضة سافرة، أو تحديا لعملنا، فلا علينا من جهتنا أن نحترم عواطفهم عن طريق عدم التعرض لتسفيه أحلامهم، أو التشهير بأوهامهم، الا أن يكونوا عباد أصنام، أو عباد نار، أو عباد أي شيء قد يعود بالانسان ومداركه العقلية القهقرى، أو الى أجناس العجماوات والبهائم السفلى.

والآيات القرآنية الآتية توضح هذا التسامح الديني الذي ينبغي أن يتحلى به الدعاة المسلمون، ازاء الأديان الأخرى، وازاء الجاليات غير الاسلامية المستوطنة في بلدان الاسلام، بوجه من الوجوه المشروعة، وهذه الآيات التي سنوردها كدليل لما نذهب اليه من وجوب قيام تعايش وتسامح دينيين يمكن تصنيفها الى الأصناف الآتية:

أولا: آيات تؤكد اشعار أولئك المخالفين بمغايرة ديننا لدينهم: {**قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين**} (سورة الكافرون) {**أغير الله أبغي ربًّا وهُوَ ربُّ كلّ شيء؟**} (الأنعام/ ١٦٤).

ثانيا: آيات توجب المسالمة في الجدال والمناقشة، حتى لا يؤدي التشاحن الى ما يحرمه الاسلام نفسه ويعتبره احدى الكبائر، أي سب الله - والعياذ بالله - أو الاستهانة بقدرته: {**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبُّوا الله عدوا بغير علْم**} (الأنعام/ ١٠٨).

ثالثا: آيات تأمر بالتغاضي عن شطحات الكافرين وتهافتهم في ميدان الأهواء والاختلاف، وعدم الالتفات الى مهاتراتهم التى لا تقوم على حجة، ولا تستند الى برهان وانما على الدعاة في مثل هذه الحالة أن يمضوا في رسالتهم واعين لدورهم، يقظين لكل ما من شأنه أن يجعلهم جديرين بحمل أعبائها، والقيام بشؤونها، والى هذا المعنى تشير هاتان الآيتان: {**وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه، وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين**} (القصص/ ٥٥).. {**الله ربّنا وربّكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حُجّةَ بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا واليه المصير**} (الشورى/ ١٥).

رابعا: آيات تنبه الدعاة الى أنه لا عليهم إذا لم يلب الناس دعوتهم ولم يستجيبوا لنداءاتهم ولكن عليهم فقط أن يحذروا مغبة الانزلاق لترضية أولئك المخالفين للدعوة المجاهرين ببطلانها، وأن يحذروا في نفس الوقت تطامنهم أو التظاهر بالعطف على معتقداتهم الباطلة.

والقرآن في هذه القضية بالذات نبه سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام الى أن المخالفين ما كانوا ليقتنعوا بمجرد السكوت عن باطل معتقداتهم، أو التظاهر بإمكانية صحتها، إذا أظهر لهم ما ينم عن امكانية تغاضيه عن معتقداتهم على أساس صحتها أو تساوقها والعقائد السماوية الصحيحة، وإنما سيسعون وراء ذلك الى شيء أفظع، وهو الاعتراف بحقيتهم فيما يدعونه وصدقهم فيما يعتقدون، ثم الدخول معهم فيما يبيتون أو يباشرون {**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من لي ولا نصير**} (البقرة/ ١٢٠).

ويمكن اعتبار كلمة سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} الآتية تحديدا لمدى التسامح الديني المرغوب فيه في الاسلام، قال محمد عليه السلام «ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان حقا لم تكذبوهم، وإن كان باطلا لم تصدقوهم».

ومن التعايش السلمي بين الأديان، والذى اختطه الاسلام ما فعله قادة هذا الدين حين فهموا أن مبدأ



الجزية الذي يطبق علي مخالفي العقيدة الاسلامية، الذين حاربوا الدعوة حين عرضت عليهم وانهزموا في ميدان القتال ثم ارتضوا وفضلوا ـ بدل الدخول في دين الله ـ الاحتفاظ بعقائدهم والابقاء على طقوسهم، أقول فهموا أن ليس معنى فرض الجزية ضريبة لازمة لمجرد أن أولئك مخالفون ومغلوبون على أمرهم، لا، ثم لا، وانما هو من جانب المعاهدين تأكيد لمبدأ قبولهم مسالمة المسلمين ومهادنتهم، وعدم عرقلة أعمالهم التبشيرية، وهو في نفس الوقت من الجانب الاسلامى اكلاف ما يتحمله من دفاع عن أولئك المعاهدين، وحمايتهم في معتقداتهم واعرافهم وتقاليدهم.

ولا أدل على هذا الفهم من موقف أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة، كما كان يسميه الرسول (صلى الله عليه وسلم)، من نصارى حمص الذين كان أخذ منهم الجزية، فلما رأى الجموع التى حشدتها الروم لمجابهة المسلمين قد بلغت من الكثرة والعدد ما خشي معه أن لا يستطيع الدفاع عن بلدة أولئك النصارى المعاهدين (حمص) أمر برد ما أخذه من أموالهم.

وإن يكن هؤلاء ـ كما تتحدث كتب الفتوح ـ قدروا هذا الموقف الاسلامي حق قدره برفضهم استرجاع ما دفعوه مضيفين (أن عدلكم أحب الينا من جور ملوكنا).

ثم أقاموا أي نصارى (حمص) الدليل المحسوس على امتنانهم للمسلمين حين أعانوهم باغلاق أبواب المدينة في وجه الرومان، داعين للمسلمين بالفوز والنصر[٦].

مسؤولية العلماء تجاه شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من الانصاف الاعتراف بأن العلماء يتحملون، أو يجب أن يتحملوا في اعتقادنا، القسط الأوفر في المحافظة على هذا الركن، امتدادا لمواقف اسلافهم الصالحين الذين كانوا منذ تحملوا وراثة دعوة سيدنا محمد عليه السلام الحفاظ على اسس ومباديء دينه، التى من أولها وآكدها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والتاريخ الاسلامي مليء بالمواقف الحاسمة التي كان وقفها ويقفها العلماء كلما رأوا انحرافا عن الدين، أو عملا مجانبا لمصالح المسلمين التى هي مخ الدين.

وضمن الدعوة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي يرجع أهم شيء فيها الى العلماء اتخاذ الوسائل اللازمة لمحو آثار الجهل والأمية من المجتمع الاسلامي بحيث يتعين على القائمين بأمور الدين ـ والعلماء في مقدمتهم ـ اذا علموا أن هناك جماعة ما في مكان ما تجهل أمور دينها أو دنياها، أن يبادروا الى اتخاذ الاجراءات الحاسمة لانتشال أولئك الجاهلين. ولعل الاعراف الدولية الدبلوماسية، تلك التى تقضي بأن يكون ضمن كل هيأة دبلوماسية مبعوث ثقافي، انما ترمز الى هذه الغاية، أي أن يتولى ذلك المبعوث البحث عن جاليات قومه وجنسه ودولته ليلقنها ما يجب أن تعرفه، وأن تتوفر عليه من معلومات دينها ودنياها ووطنها والعالم الانساني أجمع.

وبعد فتلك لمحات خاطفة عن الدعوة ومنهاجها في الاسلام والله يدعو الى الحق وهو يهدي السبيل..

الهوامش:

(١) تعقب الذهبي هذا الحديث ـ الذي رواه الحاكم عن جابر ـ بأن في سنده حفيدا أو حميد العطار ولا يدري من هو.

(٢) في الرواية الأخرى لهذا الحديث، ذيل آخره بهذه العبارة وليس وراء ذلك حبة خردل من الايمان.

(٣) المنار الجزء الرابع ص ٢٧.

(٤) المنار الجزء الرابع ص ٢٦.

(٥) دعوة الحق السنة الثالثة العدد الثالث ص ١١.

(٦) أنظر كتابنا (الاشتراكية الاسلامية والمذاهب الاقتصادية الحديثة) فصل: فلسفة الاسلام الاقتصادية.

مواكب الهجرة النبوية الش

جاء العام الهجري الجديد، نأمل أن يكون موقظا للشعور بثقل الأعباء التي تنوء بها كواهل الشعوب الإسلامية، وحافزا للهمم، وهاديا إلى شرف الغاية يستقبله كل مسلم ومسلمة، فتعاوده ذكرى هجرة رسول الله سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} من مكة المكرمة الى المدينة المنورة في سبيل نشر دين الله، تلك الهجرة التي استمدت روحها وخططها من وحي الله، ونسجها من خلق رسول الله {صلى الله عليه وسلم} واستقرت أحداثها ومقاصدها في قلوب ومسامع الأجيال مثلا مضروبا لقواد الإنسانية عامة وقادة المسلمين خاصة، يستلهمون منها الصبر على مكاره الرأي، والإستمساك في مزالق الفتن، والإستبسال في مواطن المحن والإستشهاد في سبيل المبدأ الحق والاعتقاد الصادق.

شهر المحرم نفحة الدهر ·· وغرة الزمن ·· مع اطلالة هلاله تتفتح الأزاهير مع الربيع·· ويفوح عبق الهجرة النبوية الشريفة·· ويسري نورها في الأكوان·· ويرن صداها في الآفاق مردداً أنشودة القداسة:

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع
جئت شرّفت المدينة
مرحباً يا خير داع

أهازيج قلب ·· ونداء ضمير وهتاف وجدان·· نطقت به نسوة بني النجار·· وأنا أقول جئت شرفت الحياة·· لأن محمدا {صلى الله عليه وسلم} لم يشرف المدينة وحدها بل شرف الدنيا بأسرها·· شرقها وغربها لأنه وسام الشرف على صدر الوجود·· لأنه وشاح الحق على كتف الزمان ·· لأنه لمسة الحنان في وجدان بني الانسان لأنه نبع الرحمة في كل مكان.

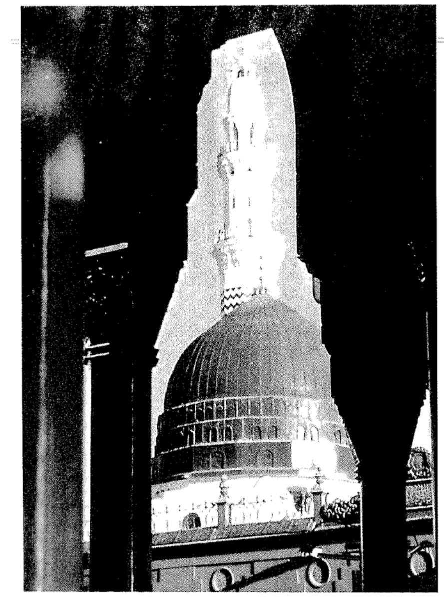
نظرة الى الهجرة:

إن الواقف أمام الهجرة كالواقف وسط روضة فيحاء عالية الأشجار غنية الثمار، وفيرة الأزهار، فواحة العبير، كلما شده منظر، نادته مناظر. وإذا ما سحره مظهر بهرته مظاهر·· فالهجرة اذا ما حاول الباحث أن يتناول منها جانبا، تألقت أمامه جوانب، وذلك لما تنطوي عليه من أحداث جسام. وهمم عالية·· ومبادئ سامية وغايات نبيلة·· ومقاصد كريمة·· وشيم كاملة·· ومُثل ماجدة، وأهداف بعيدة وآفاق فسيحة، فهي بداية خير، ومسيرة نور، وثورة حق، وانتفاضة اصلاح، وانبثاق هدي، وتألق ايمان،



فيصل صالح اسعد
- جدة -





وزرع عقيدة، وانطلاقة عز، واشراقة نصر، ونبض يقين، ونبع دين، ونشر فضيلة، وايقاظ وعي، وتشييد حضارة، واقامة دولة، ورفع راية، وتربية نفوس، وتنمية ضمائر، وبث مبادىء وغرس قيم.

الدافع الأساسي للهجرة:

مهما كانت الدوافع.. ومهما تعددت الأسباب فإنها تتركز وتدور حول العقيدة، لأن وطن المؤمن عقيدته وهي وطن لا يعرف القيود أو الحدود، ولا تحجبه الحواجز أو السدود، وإذا ما انعدمت العقيدة فلا قيمة لوطن أو سكن.. ولا لأهل أو جوار بل تنعدم الحياة كلها لأن عروة العقيدة هي الرباط بين المؤمنين، فهي أقوى وأسمى من رباط الدم أو اللون أو أي شيء آخر.

لقد كان من الميسور على النبي {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه أن يكونوا في منجاة من عذاب القوم واضطهادهم، بل من السهل أن يحصلوا من المشركين على المال الوفير والجاه العريض، لكنها العقيدة فلا شيء أغلى منها «والله يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».. كلمة خالدة خلود الحق، نطق بها قلب سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} قبل أن ينطق بها لسانه لتكون شعاراً للمؤمنين ورمزاً للمسلمين، عبر القرون والأجيال، ولتكون رداً على ادعاء المستشرقين بأن الهجرة النبوية كانت هروبا وفرارا، كما أنها كانت مجردة من كل غرض مادي، أو مأرب ذاتي، فما أراد سيدنا محمد عليه السلام أن يكون صاحب تاج أو سلطان، وإنما عاش فقيرا ومات فقيرا، وكأنه يثبت للدنيا أن الهجرة كانت انطلاقا للعقيدة وسموّا بالدعوة.. واختياراً للمناخ الصالح الخصيب.

لمحات من الهجرة:

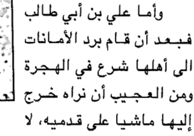
لم يكن هناك فائدة من البقاء بمكة بعد أن تمكن العداء من قلوب عبدة الأوثان الذين عميت عيونهم وطمست عقولهم.. وقست قلوبهم **{وسواء عليهم**

أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون} (سورة يس).

أمر الله رسوله {صلى الله عليه وسلم} بالهجرة من مكة الى المدينة حيث الأفق الصافي والأرض الطيبة والبيئة النقية التى استبشرت بالاسلام، ووقف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بأطراف مكة في الليل الداجي يلقي عليها نظرة الوداع وقلبه مشدود إليها، فهناك بيت الله الحرام أشرف بقعة على الأرض، وهناك غار حراء الذى التقت فيه الأرض بالسماء عند نزول الوحي، وهناك الأرض التى تربى فوقها، وهناك الدروب التى مشى فيها، وهناك الذكريات التى تملأ خاطره فقال: والله إنك لأحب البلاد إلى قلبي، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت، ثم كانت بداية الهجرة النبوية، بعد أن أبقى ابن عمه على بن أبي طالب بمكة لا ليخدع المشركين فحسب.. وإنما لهدف أسمى وأكرم، إذ كان من السهل أن يصحبه معه في رحلته لأن الرسول عليه السلام يؤمن بأن الذي ينجي محمداً قادر على أن ينجي علياً.. لقد أبقاه بمكة ليرد الودائع والأمانات التى كانت لديه لأصحابها، رغم أنهم من المشركين الذين حرصوا على قتله.. وكأن سيدنا محمداً {صلى الله عليه وسلم} يقصد من وراء ذلك أن يعلن للدنيا أن الإسلام دين الحق.. دين العدل.. دين النزاهة.

أما دور أبي بكر الصديق فهو دور الوفاء والإخاء .. دور التضحية والفداء.. دور اليقين والإيمان.. حيث جمع ما لديه من مال وحمله لينفقه في سبيل الله ولم يترك لأولاده شيئا، اللهم الا ثقته في ربه، أما في مسيرته مع الرسول فكان يمثل جيشا كاملا، فمرة يمشي أمامه ليرصد ومرة يسير خلفه ليحمي، وعندما قال له الرسول {صلى الله عليه وسلم}: يا أبا بكر أما تخشى على نفسك؟ فقال له أبو بكر الصديق: انني لا أخشى على نفسي لأني إن مت فأنا فرد، وإنما أخشى عليك لأن موتك موت أمة.. وحياتك حياة أمة.

وتتجلى التضحية وتصل الى غايتها عندما سبق النبيَّ {صلى الله عليه وسلم} ودخل الغار في الليل المظلم، والخطر المحدق، وقطع من ثوبه ليسد الثغرات، وعندما رآه النبي يفعل ذلك توجه الى السماء داعيا: اللهم اجعل درجة أبي بكر كدرجتي في الجنة فسمع مناديا يقول: قد أجيب لك يا محمد، وكما قال في شأنه: ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبي بكر إلا أن يكون نبيا.



وأما علي بن أبي طالب فبعد أن قام برد الأمانات الى أهلها شرع في الهجرة ومن العجيب أن نراه خرج إليها ماشيا على قدميه، لا زاد معه ولا ماء، ولا رفيق له ولا أنيس.. فلم ترهبه الصحراء القاحلة، ولم تخفه الجبال الشامخة، ولم تثنه عن عزمه الليالي الموحشة ولم تفزعه الوديان السحيقة أو الطرق الوعرة، فالإيمان دليله، والعقيدة رائده، والتقوى زاده، والذكر عدته **{وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب}** (البقرة/ ١٩٧).

ومع طول المسافة، وبعد السفر وخطر المسلك، استغرقت مسيرته أسبوعين، ثم كان اللقاء في قباء فالله أكبر يا على، لكأني بك تضرب المثل الأعلى لشباب الأمة ليتخذوا من الإيمان قوة لا تخمد، وعزيمة لا تنفد، وشحنة لا تنضب، وإرادة لا تعرف العجز أو الكلل، أما الصحابة الأبرار، فلكل منهم مع الهجرة قصة، ومع التاريخ حكاية، ومع المجد رواية، فكم لاقوا من مشقات، وصادفوا من عقبات، وتحملوا من صعوبات، فضربوا أروع الأمثال، في عمق اليقين



ورسـوخ الايمان، حـتى رضي الله عنهم ورضـوا عنه وذلك هو الفوز العظيم.

نفحات من الهجرة:

عندما نستعرض الهجرة النبوية الشريفة، وعندما نتابع أحداثها نجد في كل خطوة وفي كل حركة وفي كل نبـضــة بطولات نادرة ومـواقـف خـالدة، وقـدوة صالحة، وأسوة طيبة وصورة مشرقة، تتجلى فيها مظاهر الإيمان، وعظمة الإسلام، وإذا أردنا أن نذكر بعضـهـا، فـهناك السرية التامـة، والتكتم الشـديد، والحرص البـالغ، والأخـذ بالأسـبـاب، ثم اسـتكمـال عوامل النجاح، كاختيار الشخصيات الموثوق فيها، مـثل أسـمـاء وأخـيـهـا عـبد الله وهمـا ابنا أبي بكر الصـديق، وعلي بن أبي طالب وهو ابن عم الرسـول {صلى الله عليه وسلم}، وعامر بن فـهيرة ذلك الراعي البسـيط الذي قـدّم أجل الأدوار، حين كـان يبدد آثار أقدام النبي الشريفة وصاحبه بأغنامه كيلا يتفرسها الأعداء، وهناك أيضا الشجاعة المنبثقة من العقيدة الصافية، كما كان من عمر بن الخطاب، حيث رفض الهجرة سراً وخفية بل أصر عليها جهاراً، ولم يكتف بذلك بل تقلد سـيـفه وطاف بشـوارع مكة حـتى وصل الى مـجلس الكفـار، ثم نظر اليـهم قـائلا: شـاهت الوجوه.. من أراد منكم أن تثكله أمه أو يأتم ولده أو ترمل زوجـه فليـتبـعني وراء هذا الوادي.. فلم يتبـعه أحد.

ولا ننسى وصـول النبي {صلى الله عليـه وسلم} الى قباء حيث أقام بها مسجداً - وهو أول مسجد في الإسـلام - رغم أن النبي {صلى الله عليـه وسلم} لم يمكث بهـا سـوى بضـعـة أيام ليكون إشـاعـة نور، ومصـدر هداية، كذلك عندما وصل الى المدينة المنورة فـقبل أن يبنى لنفسـه بيتـا، بنى لله مـسـجداً، وكـأنه {صلى الله عليـه وسلم} يهـدف من وراء ذلك أن يبين

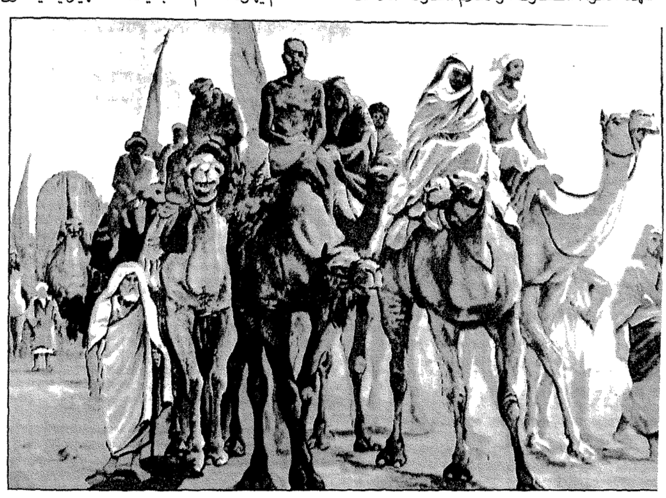
للمسلمين - في كل زمان ومكان - أن المسجد ضرورة من ضروريات هذه الأمة، ففيه يتعبدون ، فيه يتعلمون، فيه يتدارسون، فيه يتعارفون، فيه يتشاورون، فيه يخططون، ثم منه ينطلقون، فتكون البركة والعطاء.

كما أننا لو نظرنا الى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لوجدناها ثمرة من ثمار الهجرة النبوية الشريفة، فبالمؤاخاة قامت المحبة، وانتشرت المودة، وساد الترابط والتعاطف بين المسلمين، فما أحرانا، ونحن في رحاب هذه الذكرى الكريمة - أن نستوحي منها تلك الفضائل، ونستلهم ما فيها من المكارم، لننهج نهجهم ونسلك سلوكهم فنصل الى ما وصلوا اليه من مجد وفخار.

لقد انطوت صفحة عام هجري، ولم تسجل في أوطان المسلمين - لا سيما العرب - غير الأسى والألم فهذه الأهواء المتصارعة، والأقلام المتنازعة المتدافعة، في غير قضية وإنما في أطماع متعارضة وفردية طاغية، وأثرة تسف، وخصومة تكيد ولا تكف، وشعوب تكابد داء الغرور في زعمائها، وتكاد تستجير بعدوها من أوليائها، ننظر الى هذه الشعوب، فنرى في يدها العتاد، وفي طبعها الاستعداد، ومع هذا فما تزال وضيعة الشأن في الحياة لا يثقل بها الميزان، لأنها تفرقت سدى، واستثمر عدوها هذا التمزق فأشعل الفتيل ناراً وما أن تطفأ حتى تندلع هنا وهناك.

هذه فلسطين البائسة، من صبيب دماء أبنائها كان المداد، ومن نشيج بكائها كان هذا الكلم، بيعت في سوق السياسة منذ وقعت فريسة، تزايد في هذه السوق أهلها العرب بالحق والحق رأى واجتهاد! وبالقانون، وما القانون إلا ورق ومداد من صنع الإنسان الذى تتغلب عليه الأهواء والمطامع.

ثم يهود العالم كله بقيادة الصهيونية يدخلون





هذه السوق بالذهب، وما أدراك ما الذهب؟ به يكون الباطل حقا، وينزوي الحق حتى يجد من ينتصر له، وإلى أن يفيق الأنصار، يظل العرب في فلسطين مقضيا عليهم بالفشل والتشريد، حتى تهودت القدس أو كادت، فقد وقعت أسيرة منذ أكثر من عشرين عاما، يدافع أهلها بأجسادهم عن الأقصى وسائر مقدسات المسلمين والنصارى في هذه البقاع التى كرمها الله، فقد جردوا من كل سلاح إلا سلاح الإيمان بالله، وبأن النصر مع الصبر، وبأن مع العسر يسرا، ذلك أنهم استمعوا إلى قول الله - سبحانه وتعالى - في القرآن حثاً على حماية المساجد ودور العبادة في سورة الحج: {**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإنّ الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسمُ الله كثيرا ولينصرنّ الله من ينصره إنّ الله لقوي عزيز**}.

استمعوا إلى هذا فأيقنوا أنهم مكلفون بالدفاع عن مساجدهم ولو تكلفوا ذات نفوسهم وأولادهم، فأقاموا أجسادهم دون جدران المسجد الأقصى يتلقون بدلا منها الطعنات والطلقات الغادرة ومعاول الهدم وحفر الأنفاق، وإخوانهم في الأوطان الأخرى من حولهم ينظرون إليهم نظر العواد إلى المريض، يؤنسونه بالبكاء، والبكاء لا يدفع الموت.

لو انتفعنا بذكريات الهجرة حقا واستفدنا من دروسها وعبرها لما بددنا الجهود في التجارب وأفسدنا أمورنا بالتردد، ذلك أن لنا تاريخا إنسانيا حافلا، فيه لكل عظيمة موقف، ولكل ملمة تجربة وأن لنا دستوراً كاملا فيه لكل قضية دليل ومخرج، فإذا التمسنا دليلنا من وحي الله، واقتبسنا استدلالنا من روح السلف الصالح، واستقمنا كما استقام سلفنا على الطريقة التى سنّها الله وانتهجها الرسول {صلى الله عليه وسلم} لاتجهنا جميعا إلى الغاية، وانتهينا عندها إلى القوة والوحدة.

في ذكرى هجرة الرسول {صلى الله عليه وسلم} ينبغي أن نأخذ أنفسنا بالهجرة التى شرعها الله فنهجر المنكرات ونقبل على الطاعات، ونجاهد أنفسنا استقامة على طريق الله المستقيم بنيّة صادقة ثابتة، نبتغي بها إصلاح أنفسنا وأوطاننا، نجتمع بها ولا نتفرق نقول الحق ونعرض عن قول الزور وإشاعة البهتان والضلال، تحت مسميات وسمات لم تنبت في عرفنا ولا على أرضنا وإنما شاعت وذاعت بين عبدة الآلة التي تحترق مع وقودها دون أن يكون لديهم روح تمدها بالقوة والعزم، ودون أن تكون لهم صلة وثيقة بالله الذي خلق فسوى وقدّر فهدى.

في ذكرى الهجرة نذكر حديث الرسول {صلى الله عليه وسلم} المتفق عليه «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

ونذكر الحديث الشريف الذي رواه البخاري عن ابن عباس (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية)، وأن الجهاد متنوع الميادين فمنه جهاد الأعداء ومنه جهاد النفس ونهيها عن غيها وإلزامها طاعة الله، وطلب العلم جهاد، وطلب الرزق من طرق حلال جهاد، والانفاق على الزوجة والأولاد والأبوين جهاد، كما ثبت بالأحاديث الصحيحة الشريفة، وليبدأ كل منا بجهاد نفسه وأهله حتى نعود بالمجتمع إلى كمال الإسلام وتمام الإيمان وصدق اليقين، ولندع إلى الله على بصيرة بآداب هذه الدعوة كما شرعها الله في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله {صلى الله عليه وسلم} صاحب الذكرى الذي قال الله له في القرآن الكريم في سورة آل عمران: {**ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك**}.. وقال عنه في سورة (ن) {**وإنك لعلى خُلق عظيم**}.



أرض الفاتحين في ذك

إذا ما أغلق الكفّار بابا
فتحت أمامنا يا رب بابا
فنورك يا إله العرش باق
على الأيام يجتازُ السَّحابا
وإنَّ محمداً ما زال فينا
يُعلِّمنا الهداية والصوابا
فهجرتهُ لطيبة فجرُ حق
أضاء بطاح مكة والشِّعابا
فهلَّلت السماء له ابتهاجاً
وعانقت الجنادل والترابا
وسار النور في أُفْق الليالي
طوى الغبراء ، واجتاز العُبابا
وما من حاكم في الأرض إلا
أطاع محمداً وله استجابا
فتوحٌ صيَّرت وجه الدياجي
صباحاً مشرقاً ، وضُحى عِذابا

* * *

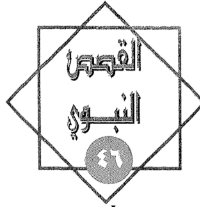
أبا الزهراء يا خير البرايا
وأكرمهُم مُقاماً وانتسابا
أأرضُ الفاتحين تصيرُ نهباً
وآساد الشَّرى تخشى الكلابا

ري الهجرة

شعر : د. أبو فراس النطافي
- الأردن -

وأولى القبلتين تسامُ خسفاً
وتغتصبُ الحقوق بها اغتصابا
حنانك يا رسول الله إني
أرى في عصرنا عجباً عُجابا
أرى أوطاننا صارت مُشاعاً
لمن جحدوا الرسالة والكتابا
أرى في كلِّ ناحية عدوّاً
يصبُّ على البلاد دماً وصابا
يجوسُ خلالها ويعيثُ فيها
وينزعُ عن محارمها الحجابا
كفاكم يا بني وطني سكوتٌ
على دمنا فقد بلغ الركابا
إلام عيونكمْ للغرّب ترنو
وتنتظرُ العقوبة والثوابا
أما بشريعة الإسلام هدْيٌ
ترونْ به الحقيقة والسرابا
فإنَّ محمداً بالبرِّ أولى
وأمتهُ أعزُّ به جنابا

أصناف الداخلين



سبق الحديث عن أوائل الداخلين الجنة، ونتحدث هنا عن بعض أصناف الداخلين الجنة، كما جاء في القصص النبوي، ومن هؤلاء صنف يدخل الجنة بغير حساب، ففي (باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب) عرض البخاري جملة من القصص النبوي[١] منها ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (عُرِضَتْ عليَّ الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب. قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يَسْتَرْقُون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون. فقام إليه عُكّاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: اللهم اجعله منهم، ثم قام إليه رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: سبقك بها عُكّاشة).

وفي قصة - رواها البخاري أيضا - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (يدخل الجنة من أمتي زمرة، هم سبعون ألفا، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر، وقال أبو هريرة: فقام عُكّاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه، فقال: يارسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: اللهم اجعله منهم، ثم قام رجل من الأنصار فقال: يارسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عُكّاشة).

وروى البخاري - أيضا - عن سهل بن سعد قال: قال النبي {صلى الله عليه وسلم} (ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا، أو سبعمائة ألف - شك في أحدهما - متماسكين، آخذ بعضهم ببعض، حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة، ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر).

وفي صحيح مسلم جاءت هذه القصص بلفظها ومعناها مع اختلاف قليل في بعض الروايات[٢]، قال الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني: إن من المكلفين من لا يحاسب أصلا، ومنهم من يحاسب حسابا يسيرا، ومنهم من يناقش الحساب.

ويظهر أن هذه الروايات وقعت في ليلة الإسراء، لما عند الترمذي والنسائي: (لما أُسْرِي بالنبي {صلى الله عليه وسلم} جعل يمر بالنبي ومعه الواحد) وفي حديث ابن مسعود[٣]: (حتى مر على موسى في كبكبة من بني اسرائيل فأعجبني فقلت من هؤلاء؟ فقيل: هذا أخوك موسى معه بنوا اسرائيل) الكبكبة - بفتح الكاف وضمها - هي الجماعة من الناس إذا انضم بعضهم إلى بعض، ومما يدل على كثر هذه الأمة روايات: (سواد عظيم) وزاد: (فقيل انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر مثله) وفي رواية ابن فضيل: (فإذا سواد قد ملأ الأفق، فقيل لي: انظر ههنا وههنا في آفاق السماء) وفي حديث ابن مسعود: (فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال) وفي لفظ لأحمد: (فرأيت أمتي قد ملؤا



أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
- مصر -



السهل والجبل، فأعجبني كثرتهم وهيئتهم، فقيل: أرضيت يا محمد؟ قلت: نعم ، أي رب)٠

واختلف في السبعين ألفا: أهم الذين صحبوا النبي {صلى الله عليه وسلم}؟ أم الذين ولدوا في الاسلام، ولم يشركوا؟ أم الذين تنطبق عليهم الصفات التى جاءت في الحديث؟ أم هم غير ذلك؟٠

جاء في قصة سعيد بن منصور وشريح عن هشيم: (ثم نهض ـ أي النبي ـ {صلى الله عليه وسلم} فدخل منزله فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئا، وذكروا أشياء، فخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخبروه، فقال: هم الذين) وفي حديث جابر: (وقال بعضنا: هم الشهداء) وفي رواية: (من رق قلبه للإسلام)٠

وقال العلماء إن الرُّقى لا تمنع من أن يكون المُسْتَرْقُون من السبعين ألفا، وقد رقى النبي {صلى الله عليه وسلم} ورقى وفعله السلف والخلف، فلو كان مانعا من اللحاق بالسبعين أو قادحا في التوكل لم يقع من هؤلاء وفيهم من هو أعلم وأفضل ممن عداهم[٤]٠ وجاء في شرح صحيح مسلم للأبي[٥]: وقد رقي {صلى الله عليه وسلم} ورقاه جبريل، ورقته عائشة ـ رضي الله عنها ـ وإنما يمتنع من الرقي ما كان بالأسماء الأعجمية، وأما ما كان منها بأسماء الملائكة والنبيين والصالحين والعرش، كما يفعله من يتعاطى ذلك فجائز، وتركه أولى، وأما الكي فالمأمون منه جائز، فقد كوى {صلى الله عليه وسلم} أنسا، وفي البخاري: الشفاء في ثلاث: شرطة محجم، أو شربة عسل، أو لذعة بنار٠

وذكر العلماء أيضا أن السبعين ليسوا بأرفع رتبة من غيرهم مطلقا، لما أخرجه أحمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث رفاعة الجهني، وفيه (وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب، وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوؤا أنتم ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن في الجنة) يدل على أن فيمن يحاسب في الجملة من يكون أفضل منهم، وفيمن يتأخر عن الدخول ممن تحققت نجاته، وعرف مقامه من الجنة يشفع في غيره من هو أفضل منهم٠

ويفهم من القصص النبوي أن العدد يزيد على السبعين ألفا٠ ففي حديث أبي هريرة[٦] ـ رضي الله عنه ـ عند أحمد والبيهقي في البعث عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (سألت ربي فوعدني أن يدخل الجنة من أمتي) وزاد (فاستزدت ربي فزادني مع كل ألف سبعين ألفا) وسنده جيد، وجاء في قصص أخرى أكثر من ذلك، فأخرج الترمذي وحسنه الطبراني وابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامة رفعه: (وعدني ربي أن يدخل من أمتي سبعين ألفا، مع كل ألف سبعين ألفا، لا حساب عليهم ولا عذاب، وثلاث حثيات من حثيات ربي) وفي صحيح ابن حبان أيضا والطبراني، بسند جيد، من حديث عتبة بن عبد نحوه بلفظ: (ثم يشفع كل ألف في سبعين ألفا، ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه) وفيه: (فكبر عمر فقال النبي {صلى الله عليه وسلم}: إن السبعين ألفا يشفعهم الله في آبائهم وأمهاتهم، وعشائرهم، وإني لأرجو أن يكون أدنى أمتى الحثيات)٠ وأخرجه الحافظ الضياء، وقال: لا أعلم له علة قلت: علته الاختلاف في سنده، فإن الطبراني أخرجه من رواية أبي سلام، حدثني عامر بن زيد أنه سمع عتبة، ثم أخرجه من طريق أبي سلام أيضا٠ فذكره وزاد: (قال قيس فقلت لأبي سعيد: سمعته من رسول الله {صلى الله عليه وسلم}؟ قال: نعم، قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وذلك يستوعب مهاجري أمتي، ويوفي الله بقيتهم من أعرابنا) وفي رواية لابن أبي عاصم قال أبو سعيد: (فحسبنا عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فبلغ أربعة آلاف

ألف وتسعمائة ألف) يعني من عدا الحثيات، وفي حادي الأرواح (فحسب ذلك عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فبلغ أربعمائة وألف ألف وتسعمائة الف..).

وجاء في القصص النبوي ما يزيد على العدد الذي حسبه أبو سعيد الانماري، فورد من وجه آخر عند أحمد وأبي يعلى من حديث أبي بكر الصديق نحوه بلفظ: (أعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا) وعند الكلاباذي - بسند واه - من حديث عائشة: (فقدت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ذات يوم، فاتبعته، فإذا هو في مشربة يصلي، فرأيت على رأسه ثلاثة أنوار، فلما قضى صلاته، قال: رأيت الأنوار؟ قلت: نعم، قال: إنَّ آتيا أتاني من ربي فبشرني: إن الله يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب ولا عذاب، ثم أتاني فبشرني أن الله يدخل من أمتي مكان كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا بغير حساب ولا عذاب، فقلت يارب لا يبلغ هذا أمتي، قال: أكملهم لك من الأعراب ممن لا يصوم ولا يصلي).

وجاء في قصة عند أحمد من رواية قتادة، عن النضر بن أنس أو غيره، عن أنس رفعه: (إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف، فقال أبو بكر: زدنا يارسول الله، فقال: هكذا وجمع كفيه، فقال: زدنا، فقال: وهكذا. فقال عمر: حسبك، إن الله - إن شاء أدخل خلقه الجنة بكف واحدة، فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} صدق عمر) وسنده جيد.

ومن قصة خرجها الترمذي الحكيم[٧] عن نافع أن أم قيس[٨] حدثته أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خرج آخذا بيدها في سكة من سكك المدينة، حتى انتهى بها إلى بقيع الغرقد فقال: (يبعث من هاهنا سبعون ألفا يوم القيامة، في صورة القمر ليلة البدر، يدخلون الجنة بغير حساب) فقام رجل فقال يارسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: (أنت منهم) فقام آخر، فقال: يارسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: (سبقك بها عُكَّاشة) قال أبو عبد الله فهذا العدد من مقبرة واحدة، فكيف بسائر مقابر أمته.

ونقل القرطبي قصة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب: رجل غسل ثوبه فلم يجد له خلفا، ورجل لم ينصب على مستوقده بقدرين قط، ورجل دعى بشراب فلم يقل له أيهما تريد) وقال ابن مسعود: من احتفر بئرا بفلاة من الأرض، إيمانا واحتسابا دخل الجنة بغير حساب.

وذكر أبو نعيم عن علي بن الحسين - رضي الله عنهما - قال: (إذا كان يوم القيامة، نادى مناد: أيكم أهل الفضل؟ فيقوم ناس من الناس، فيقال: انطلقوا إلى جنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة. قالوا: قبل الحساب؟ قالوا: نعم. قالوا: ومن أنتم؟ قالوا: أهل الفضل، قالوا: وما كان فضلكم؟ قالوا: إذا جهل علينا حلمنا، وإذا ظُلمنا صبرنا، وإذا أسيء علينا غفرنا. قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين. ثم ينادي مناد: ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس من الناس، وهم قليل، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقال لهم مثل ذلك. فيقولون: نحن أهل الصبر. قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معصية الله، قالوا: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين، قال: ثم ينادى مناد: ليقم جيران الله، فيقوم ناس من الناس، وهم قليل، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة. فيقال لهم مثل ذلك، قالوا: وبم جاورتم الله في داره؟ قالوا: كنا نتزاور في الله، ونتجالس في الله، ونتبادل في الله عز وجل، قالوا: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين).

وأسند القرطبي قصة إلى أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إذا جمع الله الأولين والآخرين، في صعيد واحد، ينادي مناد، من تحت بطنان العرش: أين أهل المعرفة بالله؟ أين المحسنون؟ قال: فيقوم عنق من الناس، حتى يقفوا بين يدي الله - تعالى - فيقول، وهو أعلم بذلك: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل المعرفة بك الذي عرفتنا

إياك، وجعلتنا أهلا لذلك، فيقول: صدقتم، ثم يقول: ما عليكم من سبيل، ادخلوا الجنة برحمتي) ثم تبسم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: لقد نجاهم الله من أهوال يوم القيامة) قال أبو نعيم: هذا طريق مرضي لولا الحارث بن منصور الوراق وكثرة وهمه.

وعن ابن المبارك عن ابن عباس قال: (إذا كان يوم القيامة، نادى مناد: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الحامدون لله - تعالى - على كل حال، فيقومون فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادي ثانية: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم: ليقم الذين كانت: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون} قال: فيقومون فيسرحون إلى الجنة، قال: ثم ينادي ثالثة: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم: ليقم الذين كانوا: {لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله} فيسرحون إلى الجنة).

قال القرطبي: وروى أنه كان يوم القيامة نادي مناد: أين عبادي الذين أطاعوني، وحفظوا عهدي بالغيب، فيقومون كأن وجوههم البدر أو الكوكب الدري، ركبانا على نجائب من نور، أزمتها من الياقوت الأحمر، تطير بهم على رءوس الخلائق، حتى يقوموا بين يدي العرش، فيقول الله لهم: {السلام على عبادي الذين أطاعوني، وحفظوا عهدي بالغيب، أنا اصطفيتكم، وأنا أحببتكم وأنا اخترتكم، اذهبوا فادخلوا الجنة بغير حساب، فلا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون} فيمرون على الصراط كالبرق الخاطف، فيفتح لهم أبوابها، ثم إن الخلائق في المحشر موقوفون، فيقول بعضهم لبعض: يا قوم أين فلان أين فلان؟ وذلك حين يسأل بعضهم بعضا، فينادي مناد (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون).

وجاء في التذكرة[٩] قصة عن الميانشي القرشي أبو جعفر عمر بن حفص عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (إذا كان يوم القيامة، جاء أصحاب الحديث بأيديهم المحابر، فيأمر الله - تعالى - جبريل أن يأتيهم فيسألهم من هم؟ فيأتيهم فيسألهم، فيقولون: نحن أصحاب الحديث، فيقول الله - تعالى - لهم: ادخلوا الجنة، طال ما كنتم تصلون على نبيي {صلى الله عليه وسلم}).

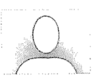
وخرج عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (إذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور، عليها قُبال من در، ثم ينادي مناد: أين الفقهاء؟ وأين الأئمة؟ وأين المؤذنون؟ اجلسوا على هذه فلا روع عليكم اليوم ولا حزن، حتى يفرغ الله فيما بينه وبين العباد من الحساب).

وروى يزيد بن هارون، عن أدود بن أبي هند، عن الشعبي، عن ابن أبي ليلى، عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (مسألة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة، وخير له من عتق رقبة من ولد اسماعيل، وإن طالب العلم، والمرأة المطيعة لزوجها، والولد البار بوالديه يدخلون الجنة بغير حساب) نقله القرطبي من الزيادات بعد الأربعين لاسماعيل بن عبد الغافر.

ونقل القرطبي عن القاضي عياض أنه قال: شفاعات نبينا محمد {صلى الله عليه وسلم} يوم القيامة خمس شفاعات منها ادخال قوم الجنة بغير حساب.

الهوامش:

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٠٥.
(٢) جـ ١ ص ٣٧٧ وما بعدها.
(٣) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٠٧.
(٤) فتح الباري جـ ١١ ص ٤٠٩.
(٥) جـ ١ ص ٣٧٩ والتذكرة ص ٤٣٣.
(٦) فتح الباري جـ ١١ ص ٤١٠ وحادي الأرواح ص ١٦٨ وتفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٨٥.
(٧) التذكرة ص ٤٣٣.
(٨) أم قيس هي بنت محصن أخت عكاشة.
(٩) ص ٤٣٦.



حدود النقد الأدبي

يقول (رنيه ويليك وأوستن وارين) : في كتابهما «نظرية الأدب» ص ٤٠ (ضمن الإطار المناسب لدراستنا، يغدو من أهم الأمور أن نميز بين نظرية الأدب، والنقد والتاريخ)[١]. ثم إن هناك تمييزاً أبعد بين الأدب ودراسة المبادىء، والمعايير الأدبية، وإن كانت هذه المعايير مستقله فهي مرتبطة بفنون أخرى، كالأدب، والفكر، والتاريخ، وعلم النفس، والجمال، وعلم الإجتما ع، والفنون الجميلة.

إن الأدب فن مستقل، ودراسة الأدب فن آخر، لكلّ واحد منهما خصائصه المميزة، وإن كان هناك تداخل في بعض النقاط؛ وإنّ ثقافة الناقد، والدارس للأدب يفترض أن تكون أعمق من ثقافة الأديب حتى يستطيع كشف بواطن النص الأدبي. على أنه يمكن لنا أن نشير إلى مجموعة من العلائق بين النقد، وغيره من الفنون والعلوم الأخرى.

النقد والأدب:

لا شك أن جدلية العلاقة قائمة بين النقد، والأدب؛ لأن كليهما مؤثر في الآخر، ومتأثر به فلولا الأدب لما كان النقد، ولولا النقد لما تطور الأدب، لقد نشأ النقد وتطور في رحاب الأدب، ولكنه استقل عنه، وأصبح فعالية متميزة بفضل تطوير العلوم، والآداب، ولذلك كان من الطبيعي كما يقول مندور في كتابه ـ في الأدب والنقد ـ ص/٥ (أن يكون خالق الأدب ناقداً، ومن المعلوم أن شعراء العرب في الجاهلية كانوا نقاداً، وقد ضُربت للنابغة خيمة للحكم فيها بين الشعراء، كما كان أول نقاد اليونان أرستيوفان شاعراً روائياً، وقد خصص رواية بأكملها لنقد شعراء التراجيديا الثلاثة (أشيل ـ سوفوكل ـ يوربيد) وهي رواية الضفادع)[٢].

ويضيف الدكتور حُسام الخطيب في كتابه الأدب الأوربي ص ٣٨٥: (وكل إنتاج أدبي حتى لو كان ارتجالياً، أو على السليقة لابدّ أن يستند إلى جملة من المبادىء النقدية ظاهرة كانت، أم ضامرة، وإن التطور الذي أصاب إنتاج الأدباء العظام قبل ظهور النقد الأدبي، إنما يرجع إلى الملكة النقدية التي يفترض المرء وجودها عند الأدباء، ولا سيما الأدباء المنقحين)[٣].

ومما لا شك فيه أن النقد العربي لم يعتمد في أسسه على خلفية فكرية، أو فلسفية في التقديم. بل بقي نظرات تنطلق من الحديث عن الأسس الجمالية للعمل الأدبي لم تخرج عن نظريتي ـ عمود الشعر ـ

بقلم : حسين علي الهنداوي
ـ تبوك ـ

ومنهج القصيدة العربية - ونستطيع الجزم أن بعض النقاد العرب قد وصلوا بعلوم البلاغة، والنقد إلى صيغ، وقوالب جامدة متأثرة بتقسيمات أرسطو الشكلية، وليس كتابا نقد الشعر ونقد النثر لقدامة بن جعفر إلا دليلا على ذلك بينما نجد أن النقد الأدبي تطور، ونما عند الأوربيين على يد الفلاسفة والأدباء (أرسطو، كانت، هربرت، سبنسر)، وما المدارس الأدبية إلا جملة من المقاييس النقدية في أحد وجوهها.

لقد كتب الأدباء العرب المحدثون كتباً في النقد وحاولوا إسناده إلى أسس فكرية حديثه، وساهم (نعيمة، والعقاد، والمازني، ومحمد مندور، ومارون عبود، ونازك الملائكة) في تطور فعالية النقد الأدبي، ووضع مناهج ومذاهب نقدية عكست صورة العصر وكان الدكتور محمد مندور أكثر هؤلاء فعالية وتأثيراً وإن بقي منهجه في النقد يعتمد على الذوق أكثر من غيره، بينما ساهم (أليوت، كولردج، ماثيوا آرنولد) في تطوير الاتجاهات النقدية الأوربية.

إن كون النقد الوليد الشرعي المميز للأدب لابد أن تكون مقاييسه نابعة من فهم هذا الأدب، ووضع الصيغ المناسبة للذوق الأدبي في كل عصر من العصور، وإذا كان للأدب من فضيلة، فانما هي كونه أفرز النقد كفن، وعلم، وجعله منهجاً مستقلاً.

النقد والتاريخ الأدبي:

يستلهم تاريخ الأدب خطوطه العامة من منهج التاريخ العام القائم على الموضوعية، ونبذ الذاتية بينما يتصل النقد الأدبي بذوق الناقد، وثقافته، وتجربته، وذاتيته، ويعتبر النقد الأدبي أسبق في الظهور من التاريخ الأدبي؛ لأن الأخير لا يكون إلا بعد أن يتكون لدى الأمة رصيد من التمييز الأدبي، والنقد؛ ولا يمكن للناقد الأدبي إلا أن يكون ملماً بتاريخ الأدب «والناقد الجاهل بالتاريخ الأدبي يعرّض نفسه لمنزلق خطير»[٤] كما يقول د. حسام الخطيب في تطور الأدب الأوربي ص ٣٨٨ والمؤرخ الأدبي يفترض فيه أن يكون ملماً بأحكام النقد حتى يستطيع أن يميز بين شاعر، وشاعر، وإلا كان سلبياً في اختياره.

النقد الأدبي أصبح فعالية متميزة قائمة بذاتها

لقد أثبت كل من أرّخ لحركة الشعر العربي أن لديه قدرة على النقد، وأن للنقد صلة وثيقة بالتاريخ الأدبي، وما كتب الأغاني للأصبهاني، والشعر والشعراء لابن قتيبه، والعقد الفريد لابن عبد ربه، والذخيرة في محاسن الجزيرة لابن بسام، إلا دلالة على الذوق الأدبي للنقد الذي يمتلكه أصحاب هذه المؤلفات، وليست كتب طبقات الشعراء لابن سلام، والموازنة بين الطائيين للآمدي، إلا دلالة على إلمام هؤلاء النقاد بتاريخ الأدب العربي، ناهيك عما تفرزه المطابع من كتب حديثة تتحدث عن هذين المجالين.

إن المحاولات الحديثة الداعية إلى عزل التاريخ الأدبي عن النقد محاولات ذات أثر سيء على التاريخ الأدبي والنقد إذ أن المزاوجه بينهما ضرورة حتمية ملحة لأن كلا منهما بحاجة للآخر.

صحيح أن كتباً مثل تاريخ الأدب العربي - لحنا الفاخوري وبروكلمان وبلاشير وشوقي ضيف وجرجي زيدان وغيرهم لم تعد تهتم بأسس نقدية

كاهتمامها بتاريخ حياة الشاعر، وبعض نُبَذ عن فنه وشخصيته، إلا أنه لا يمكن لنا أن نغفل أن لهؤلاء المؤلفين ملكة نقدية ما في اختيارهم لهؤلاء الشعراء لقد أثبت النقد أنه مهما استقل، فإنه يظل مرتبطاً بالتاريخ الأدبي، والعكس صحيح.

النقد عند الأوربيين قام علماً المزاوجة بين النقد، والتاريخ الأدبي ضرورية وملحة الادباء العرب في العصر العباسي لم يشكلوا نظرية نقدية قائمة على خلفية فكرية

النقد والفكر:

نشأ الفن أولاً، والأدب بشكل خاص، والشعر بشكل متميز عنه تعبيراً عن نوازع ومشاعر وعواطف الإنسان، ولم يكن الأدب، إلا انعكاساً لنفس، وروح الإنسان الداخلية، ولكن بتطور الإنسان عقلياً، وفكرياً على مرّ الزمن دخلت الأفكار إلى الأدب، وأصبح الفكر هماً كبيراً كبقية الهموم التي تنتاب الإنسان، وأصبح على الأديب في حديثه عن مشاعره، وعواطفه أن يتكيء على أفكاره، ويدعم شعوره بالحب، والكره تجاه قضية ما بحجج عقلية فكرية.

لقد اهتم نقاد العرب القدامى بالجانب الجمالي للأدب، ولم يناقشوا مسائل فكرية بشكل، أو بآخر، باستثناء بعض الفلتات التي ظهرت على يد المعري؛ وإن كان هناك من مناقشات لقضايا فكرية، أو كونية، فإنما نابع ذلك من الفطرة، والتجارب الشخصية لا من خلال الخلفية الفكرية النظرية.

وحتى المتنبي في أحسن الحالات كانت حكمه مزيجاً من التجارب، وبعض القراءات الفلسفية لأفكار اليونان، ولم تكن أفكاره لتشكل نظرية فلسفية تميز هذا الشاعر عن غيره، ولم يستطع العرب في العصر العباسي تشكيل نظرية نقدية قائمة على خلفية فكرية رغم اطلاعهم على الفكر النقدي اليوناني، وفي العصر الحديث حاول النقاد العرب الخروج بالنقد إلى آفاق الفكر، و إخضاع المعايير النقدية إلى أسس فكرية فكان (العقاد، ونعيمه، ومارون عبود، والمازني، ومحمد مندور)، وبرزت اتجاهات نقدية حديثة تلتقط أحكامها من خلال المدارس الأدبية الأوربية، وتأثيراتها على الأدب العربي.

أما عند الأوربيين فقد ارتبط النقد الأدبي بالفلسفة ارتباطاً كبيراً، وكان أرسطو أول من أرسى قواعد النقد الأدبي، وقد ازداد ارتباط النقد الأدبي بالفلسفة حديثاً بعد أن تطورت، وتعمقت نظرات الإنسان إلى الحياة والكون، وأصبح هذا النقد نشاطاً فكرياً في أحد جوانبه تُستمد قيمه وآراؤه من النظرية الفلسفية.

إن الحديث عن الوجودية، والسريالية كمذاهب أدبية لابد أن يسوقنا للحديث عن الأسس الفلسفية لهذه النظريات التي وجدت بسبب ظروف اجتماعية، وفكرية سيطرت على العالم بعد الحرب العالمية الثانية، ومعظم أدباء أوربا لهم نظراتهم الخاصة إلى الإنسان والمجتمع، وقد ظهر اتجاهان نقديان متناقضان حول علاقة الفكر بالنقد:

- اتجاه ينكر تطابق الأدب والفكر حيث يرى إليوت أنه لا شكسبير ولا دانتي قاما بتفكير منطقي.

- واتجاه آخر يرى ضرورة معالجة علاقة الإنسان بالكون، والحياة من خلال الأدب، بالإضافة إلى المناهج الفلسفية، ويعتبر الوجوديون أول من عرضوا فلسفتهم من خلال الأدب.

ويمكن القول إن الدراسات الحديثة تعتمد بشكل كبير على الرموز والمصطلحات الفنية والعلمية، والفلسفية، والتاريخية، والجمالية.

فقد شاعت مصطلحات نقدية مأخوذه من الفكر كالجنس الأدبي والمحاكاة، والجزء، والكل، والوحدة العضوية، والنمو الهارموني، والشكلية والخلقية.

إن مساهمات الأدباء في تطوير الاتجاهات النقدية يسوقنا إلى ملاحظة هامة تتعلق بالتفاوت العظيم بين الأدباء في مقدرتهم على استخدام الأفكار، ودمجها من خلال النسيج الأدبي، وتحويلها من مادة أولية إلى قضية أدبية.

إن الناقد المهيأ تهيئة معرفية بمختلف العلوم يستطيع أن يدخل إلى صميم الأدب، ويبرز القيمة الأدبية، والفلسفية، والجمالية. لقد حاول العقاد أن يكون شاعراً مفكراً ولكنه فشل في اخضاع شعره للفكر، بينما نجح أبو القاسم الشابي في إلباس شعره ثوباً فلسفياً فكرياً.

إن فجائية الموت والحياة في شعر السّياب - المومس العمياء - السندباد - حفار القبور.

يقودنا إلى فلسفة فكرية كونية تجريبية استقاها السياب من خلال ثقافته العربية ودراسته للأدب الأوربي الحديث، ومن خلال تجاربه الخاصة.

إن الأدب لا يمكن له الاستغناء عن الفكر؛ ولكنه في الوقت نفسه لا يستطيع أن يلبسه لبوساً تاماً، وكل أدب يخلو من الفكر أدب ساذج لا قيمة له في حياة الآخرين.

النقد وعلم النفس:

تعد العلاقة بين النقد وعلم النفس علاقة وثيقة الصلة، لأن علم النفس هو أقرب العلوم إلى الأدب، والأدب موضوعه الإنسان. فقد سبر الأدباء أعماق النفس الإنسانية قبل علماء النفس مع أن علم النفس يمكن له أن يقدم الكثير للناقد الأدبي من خلال مهمته النقدية.. توجيه الأدب والأدباء.

الدراسات النقدية الحديثة تعتمد على الرموز والمصطلحات الفنية والجمالية

علم النفس الأدبي أصبح يشكل هوساً لدى بعض نقاد الأدب

النص الأدبي مجموعة علاقات متشابكة بيئية وذاتية واجتماعية

إن علم النفس يدرس الظواهر العامة للنفس الإنسانية، ويهتم بدراسة القوانين العامة المتحكمه بأعماق الإنسان الداخلية.

وكما يقول د. حسام الخطيب في كتابه «تطور الأدب الأوربي» ص ٢٩٧: (وفي حالة الأدباء الذين سيطرت عليهم نزعات فكرية غريبة يساعدنا علم النفس كثيراً في وضع إنتاجهم في الموضع الذي يستحقه)[٥].

ويضيف الدكتور حُسام الخطيب في المصدر السابق، ص ٣٩٧ (وبالإضافة إلى ما يمكن أن تقدمه الدراسة النفسية للكاتب من مساندته على فهم طبيعة أدبه، تساعدنا الدراسة النفسية لعملية الإبداع ذاتها في تفسير كثير من النقاط الفنية الغامضة، وتعليل بعض الظواهر المحيرة في إنتاج الأدباء وربما تساعدنا في فهم التفاوت الفني بين عمل، وآخر لكاتب واحد)[٦].

إنّ شخصيات كأوديب وهاملت في مسرحيات شكسبير تشكل شرائح مهمه لدارس الأدب من الوجهة النفسية، وإن شخصية كشخصية دونكيسوت تبعث في النفس الحيرة، والإعجاب والسخرية. وإنّ لوثة كلوثة أبي حيّة النميريّ مؤشر على ما يعانيه الشاعر كإنسان فكريّاً واجتماعيا.

إنّ كون الأدب يكتبه إنسان للآخرين، لابدّ أن يشير الى مختلف الظواهر النفسية، والصحية، والمرضية عند المنتج، والمتلقي، وبالتالي لابدّ للناقد أن يُلمَّ بمعطيات ومصطلحات علم النفس، ليكون أكثر قدرة على فهم نفسية الشخصيات في النص المدروس، أو شخصية الكاتب نفسه.

إنّ تطير ابن الرّومي، وقلق كافكا، وحيرة المتنبي، وزهد أبي العتاهية، ومجون أبي نواس، ظواهر تستحق الدراسة، وإن علاقة الفلسفة، وعلم النفس بالأدب تشير إلى ظهور تيارين متناقضين.

الأول: يدعو إلى ضرورة معالجة وجود الإنسان، وعلاقته بالكون، وبالإله عن طريق الخلق الأدبي على اعتبار أن الأدب شكل من اشكال الفلسفة.

والثاني: يرفض أي تطابق بين الأدب والفلسفة، ويعتبر أن الأفكار في الشعر غالباً ما تكون زائفة.

لقد أصبح الإقبال على علم النفس نوعاً من الهوس لدى ناقدي الأدب حتى إنه يمكن القول إنّ الناقد الذي لا خبرة له في علم النفس ناقد قاصر في فهم الإبداع والمبدعين.

النقد والموسيقى:

لازالت الكثير من الدراسات النقدية، والأدبية تشير إلى أن الأدب أحد الفنون الجميلة، وأنه يستمد من هذه الفنون كثيراً من معطياته الفنية، والجمالية؛ وأنه لا يمكن له أن يستغني عنها مهما تطورت العلوم، والمعارف، والثقافات.

وفي تقديري أن الأدب باعتباره فن تذوقي، فلابد أن يبقى متأثراً بهذه الفنون.

والموسيقى واحدة من الفنون التى ارتبطت بالشعر ارتباطاً كبيراً على اعتبار أن الشعر غناء وحداء:

تغنّ بالشعر إما أنت قائله
إن الغناء لهذا الشعر مضمار[٧]

وقد نشأ منذ القديم عند العرب واليونان وغيرهم من الشعوب الأخرى الشعر الغنائي على اعتبار أن الشعر كان تعبيراً عن هموم الإنسان الذاتية، وقد قيل إن الشعر كان مختلطاً بالسحر، والموسيقى إلا أنه انفصل عنهما فيما بعد، واستقل بذاته، وأن الشعراء كونوا اتجاهات أخرى، ودفعوا بسفين الشعر نحوها.

لا نريد أن نتحدث عن العودة إلى توجيه الشعر باتجاه الموسيقى الخالصة على يد أصحاب المذهب الرمزي والتأكيد على نغمية الشعر لأن ذلك بحث آخر له استقلاليته، ولكننا نريد أن نشير إلى أن الموسيقى واحدة من عناصر الشعر العالمي حديثاً وقديماً، وأنها مازالت تشكل مع المجاز ركنين أساسيين يعتمد عليهما الشعر.

وعلى حد إشارة د. حسام الخطيب في كتابه

تطور الأدب الأوربي ص ٣٩٤ (يمكن أن نلاحظ بسهولة أن القصائد المبدعة ذات السبك المتين والبنية المتماسكة لا تكون عادة طوع التلحين، والموسيقى؛ في حين أن القصائد الأقل تماسكاً تسلس قيادها عادة للموسيقى، ذلك لأن الشعر الجيد يستطيع أن ينطق عن ذاته بفضل توازن عناصره لا بفعل اعتماده على فن آخر)[٨].

وقد أشار إلى هذه الحقيقة رينيه ويليك وأوستن وارين.. في كتابهما نظرية الأدب.

على كل حال يمكن القول: إن الكلام الموقع المنغم المعتمد على الموسيقى يثير في النفس أشياء لا يستطيع أن يثيرها الكلام العادي.

والإنسان بطبعه يميل إلى ذلك، لأن حركات قلبه موقعة، ومشيته موقعه، وهذا لا يعني أن الأدب. الشعر. يمكن له أن يتطابق مع الموسيقى وإنما يستفيد منها ليحقق درجة جمالية ما تسهم في رفع سوية النص عند المتلقي.

النقد وعلم الأحياء والوراثة:

يشير الدكتور محمد النويهي في كتابه «ثقافة الناقد الأدبي» إلى أن الإنسان لا يستطيع أن يفهم الشعر الجاهلي الفهم الحقيقي إلا إذا اطلّع على علوم الفلك، والنجوم على اعتبار أن الشعر الجاهلي، والإنسان الجاهلي قد مارسا حياة الصحراء بصلاتها المتشعبه التي تتعلق بالتنقل والرحيل ورصد حركات النجوم، وقد أكد القرآن الكريم على ذلك في بعض سوره عندما أقسم الله سبحانه بالنجم، وذكر الشعْرى، وغيرها من الأفلاك، والكواكب.

وإنه لا يمكن له أن يفهم تطير ابن الرومي، ولوثة أبي حية النميري إلا إذا ألّم بقوانين علم الوراثة على أن يفهم من ذلك أن القوانين الوراثية، والبيولوجية تفعل فعلها بالإنسان، وتؤثر في مفرزاته الثقافية، والأدبية؛ والناقد الحق من يحاول أن يفسر الظواهر الأدبية، ويشخص حقائقها، ومعطياتها لأن أحد أركان النقد التحليل، والتعليل؛ والمتصفح للأعمال الأدبية الحديثة، والمعاصرة يلمس ما للعلوم الأخرى من آثار على ثقافة الإنسان، والسبب في ذلك يعود إلى تطور المعارف والعلوم، والثقافات، وتجانسها، وتداخلها.

لقد ولد الأدب من معاناة الإنسان، وعبّر عن أفعاله، وأفكاره، وهواجسه، والأديب كإنسان يقع تحت تأثير عوامل عدة حين يكتب أثره الأدبي منها ما يكون آنياً، ومنها ما يتحكم بأدبه بشكل لا شعوري.

إن كون الأدب أحد مفرزات الإنسان يعني أنه يقع تحت تأثيره عوامل عدة أهمها: الوراثة ـ المجتمع ـ البيئة ـ المنبر والفكر. ذلك أن النص الأدبي مجموعة علاقات متشابكة تسهم في بلورة قضية ما لها أطرها وحدودها، وأسبابها وبواعثها، ومن ثم نتائجها.

الهوامش:

(١) رينيه ويليك واوستن وارين ـ نظرية الأدب: ص٤٠.
(٢) محمد مندور ـ الأدب والنقد ص ٥.
(٣) د. حسام الخطيب، تطور الأدب الأوربي: ص ٣٨٥.
(٤) المصدر/٣/ ص ٣٨٨.
(٥) المصدر/٣/ ص ٣٩٧.
(٦) المصدر/٣/ ص ٣٩٧.
(٧) البيت ـ لحسان بن ثابت الأنصاري ـ شاعر الرّسول ـ {صلى الله عليه وسلم}.
(٨) د. حسام الخطيب ـ تطور الأدب الأوربي: ص ٣٩٤.

من النقد المأزوم الى النقد المهزوم

لم يتأخر النقادة (علي حرب)، كعادته، في ملاحقة ما يستجد من مشاريع فكرية ومعرفية على الساحة العربية؛ بالنقد والتصويب، وهذا العمل في حد ذاته لا يملك المرء إلا الاشادة به، إلا أن نزعة النقد أو الهوس به قد تتصاعد وتحيد عن مقاصدها النبيلة، فينتقل النقد من غاية البناء إلى التدمير، ومن المناقشة الهادئة إلى المساجلة الصاخبة ومن التوجيه والتقويم إلى التجريح والتشهير.

فما طبيعة نقد علي حرب لطه عبد الرحمن (كما ورد في مجلة دراسات عربية عدد ٨١٧. السنة ٣٢ - مايو - يونيو ١٩٩٦م)؟!.

علي حرب مفكر ونقادة، تعرض لكثير من المشاريع الفكرية المتعلقة بقضايا المعرفة والتراث والمنهج، تعرض لها بالنقد؛ من مثل مشروع الجابري في عقله، وحسن حنفي في استغرابه، وحسين مروة في نزعاته.

وما فتيء بعلي في كتبه ودراساته من شأن عملية (نقد النقد)، أي النقد المستمر للعقلانيات النقدية نفسها، للكشف عن جنون العقل وحمقه،

بقلم : د. محمد همام
- المغـــرب -

وتحكمه واستبداده عن آلياته اللامعقولة وممارساته المعتمة. ولم يخف تشبعه بالإنجاز الحفري التفكيكي الذي يراه، قدّم مفاهيم فارقة للكشف عن المستبعد والمهمَّش والمسكوت عنه، وكل ما يمكن طيُّه أو التستر عليه في القول، أو في الممارسة والسيرة. وللناس فيما يعشقون مذاهب!.

وقف علي حرب هذه المرة، مع الكتاب الأول، من مشروع قيد الانجاز للدكتور طه عبد الرحمن (فقه الفلسفة(١))، الفلسفة والترجمة.

ووقف بالضبط عند القسم التطبيقي المتعلق بترجمته الكوجيطو الديكارتي، ونقله إلى اللغة العربية، وحقلها التداولي.

والوقوف عند نقطة معينة، وتعميق النظر فيها، وفحصها، عمل لا يخلو من وجاهة منهجية، وفاعلية فكرية. لكن عندما تكون هذه النقطة، أو أية قضية فرعية في الكتاب، بديلا عن المشروع بكامله، وممثلة له، وعليها المعتمد أولا وأخيراً، في صياغة الأحكام، والقطع في القضايا وتعميم الخلاصات، يصبح عندها العمل مدعاة إلى الاستغراب، ويفصح عن عقلية اختزالية مبتذلة، ورؤية معرفية «مؤدلجة» تشوه رأي الآخر، وتصُدّ عنه، انتصارا للذات، وتكريساً لوثوقية شخصية مفرطة!.

لقد حمل الدكتور طه عبد الرحمن على عاتقه، مهمة تشييد فقه للفلسفة، يفتح فرصاً جديدة أمام العقد العربي الاسلامي للابداع الفلسفي، والانطلاقة الجديدة في ضوء معتقداته وتصوراته، ومجاله التداولي. وعمد إلى الاجهاز على أحكام تناقلتها الأجيال، وغدت معتقدات راسخة في الاذهان، من نحو: ما هي الفلسفة؟، وأنَّ هذا السؤال مفتوح لا ينقطع بجواب (فقه الفلسفة ص١١) ثم ذهب يؤكد أن سؤال ما الفلسفة؟ هو سؤال علمي، وليس سؤالا فلسفياً (فقه الفلسفة ص ١٤).

لقد أثبت الدكتور طه عبد الرحمن من خلال فقه الفلسفة (أن العلم بالفلسفة لا يحصل بطريق الفلسفة من حيث هي مجال لكثرة السؤال وإنما يحصل بطريق العلم من حيث هو مجال لاحكام السؤال عن الفلسفة) (فقه الفلسفة ص ٤٢). ثم انطلق يحتج لرؤيته ومشروعه، بما يقتضيه النظر في الخطاب الفلسفي من ترجمات وأقوال ومضامين. وقد حشد طه عبد الرحمن لعمله هذا، ترسانة معرفية، ومنهجية، وتنظيمية مدهشة، قد يختلف معها الانسان في بعض تفاصيلها وجزئياتها، ولكن المنصف لا يملك إلا أن يعجب من قدرة الرَّجل على الحشد والتنظيم والتقسيم والتبويب، ودقّة المصطلحات، واستحضار معارف متنوعة. وهذه أمور سنحاول تقديمها للقارئ قريبا، في عرضنا وتعليقنا على هذا المشروع الضخم!.

والآن نرجع إلى صاحبنا علي حرب، وتناوله لمشروع طه عبد الرحمن.

فضل الناقد علي حرب أن يتجاوز مناقشة طه عبد الرحمن في مسلماته، ومرتكزاته النظرية والمنهجية، وذهب يساجله في أمثلته ونماذجه التطبيقية، فلم يكن حرب - في نظرنا - موفقا في اختيار الباب الرابع، المتعلق بترجمة كوجيطو

ديكارت، مجالا للنقد والمناقشة، قبل اختبار المهاد النظري المفصل الذي قدمه طه عبد الرحمن، والذي يستغرق حوالي ٣٩٨ صفحة (أي حوالي ثلاثة أرباع الكتاب).

فليس من الفقه النقدي والمنهجي، إذن، أن نختبر الكفاية الاجرائية، والعملية، لنظرية أو تصور، أو مشروع، من خلال نموذج أو نموذجين.

وهذا ما فعله علي حرب، فقد يخطيء طه عبد الرحمن في التمثيل بالكوجيطو ولكن تصوره لعلاقة الفلسفة بالترجمة، كما قدَّمه، يبقى سليماً وناجعاً، أو قد يكون في حاجة إلى تعديل طفيف!.

ولعل هذا الخطأ في الاختيار، هو الذي جعل علي حرب، يغرق في مناقشة قضايا خارج موضوع البحث، ولم يعنها طه عبد الرحمن من قريب ولا من بعيد، فحرب ذهب يشيد بديكارت، ويفصل في المضمون المعرفي والفلسفي والتصوري للكوجيطو، واهميته في تغيير كثير من مسلمات المعرفة البشرية، في حين طه عبد الرحمن، يقصد في مشروعه التمثيل بقضية محددة، وهي ترجمة الكوجيطو إلى اللغة العربية ومجالها التداولي. واثبت وجود مخالفة (ترجمة الكوجيطو) العربية للاصل الفرنسي (فقه الفلسفة ٤١٠)، ولا يعنيه مضمون الكوجيطو هنا، من حيث فائدته وفعاليته، منهجيا على الاقل! فلا معنى إذن، للمقارنة التي عقدها علي حرب بين ديكارت وطه عبد الرحمن، والتي اختفى وراءها الناقد ليكيل التهم لطه عبد الرحمن، بل والتهكم عليه، والاستخفاف بمشروعه، مما يعبر في الحقيقة عن نقد مأزوم، يعيش الضياع، ويقتله التيه!

اختلط النقد الموضوعي عند علي حرب بالنقد الايديولوجي، إذ ركَّز على شخص المؤلف، أكثر مما عمل على فحص أفكاره، ومقتضيات مشروعه.

فطه عبد الرحمن عند علي حرب «فقيه الفلسفة (بكل ما تحمله كلمة فقيه في عرف حرب من قدح وتنقيص وميل إلى الجمود والركود) الذي يقف مع صفاء الهوية الثقافية ضد كل ما يؤدي إلى اختلاط الانساب الرمزية أو تلقيحها بالجديد من العناصر والمكونات»، وطه عبد الرحمن ايضا عنده، يُغلِّب هواجس الخصوصيات على انتاج المفهومات، ويوظف الفلسفة للتمترس وراء الذات أو لحراسة الهوية، من خلال التعلق بلا حول وتقديس الأسماء والرموز. ثم إن ترجمة طه عبد الرحمن المقترحة للكوجيطو، يراها حرب تنحو منحى العبودية والمفعولية، عكس الكوجيطو في أصله الذي ينحو منحى الاستقلالية والفاعلية. وديكارت يراه حرب خلق رهانا للتفكير، وافتتح أفقا للتفلسف، وأعاد الاشتغال على مسألة الحقيقة، أما عبد الرحمن (هكذا يذكره حرب) فقد عاد بنا الى الوراء في ترجمة الكوجيطو، باستخدام لغة المواعظ والنصائح والوقوف طوعاً تحت سلطة التراث والأثر. فلم يستطع فتح حقل للقول يحرث فيه على نحو منتج مثمر.

ولم يقف علي حرب عند هذا الحد، بل ذهب

يتهم طه عبد الرحمن في شخصه وعلمه. فوصفه بأنه لم يستطع أن يخفي أناه خلف صيغة المخاطب والجمع، إذ تنتصب وراء هذه الصيغة، مرجعية معرفية متعالية تصل الى حد التأله! بل تجاوز طه هذا الحد إلى انتحال منجزات المنهج الحفري التفكيكي، ونسبها إلى نفسه! ذلك المنهج الذي يبحث في طيات الكلام، وتفكك أبنية المعرفة، ويعرّي آليات إنتاج المعنى، في أفق تحرير الفكر من جوانية النفس، وقصدية الذات، وجوهرية المعنى، وبدئية الاصل.. وتسلل حرب إلى دواخل طه عبد الرحمن، وأتانا بمستبطناته الايديولوجية، وخلفياته المبيّته، فالمنظور الاصولي الذي يصدر عنه طه عبد الرحمن، يرى الزمن دوما بشكل تراجعي وصيغته التي اقترحها للكوجيطو تنبع من رؤية دينية، تُقر بأن الانسان كائن مخلوق أوجده الله سبحانه..!.

وبعد استنطاق طويل، لشخص طه عبد الرحمن، عوض فكره، ومشروعه، طرح علي حرب بديله الفلسفي، المخلص من عقد الفقيه الاصولي السلفي.

لقد ارتكز علي حرب في بديله على مسلمات: الفلسفة ضد الايدلوجية، ومنطق الهوية ضد إرادة المعرفة، وخطاب التأصيل ضد الرغبة في الابداع. فتصير المعادلة عندنا على الشكل التالي: فلسفة بلا عقيدة، ومعرفة بلا هوية، وابداع غير مؤصل، وهذه المقولات، بالفعل، هي التي تنظم كتابات علي حرب، كتبا ودراسات، لسنا في معرض نقاشها هنا، ولا تدخل في اهتمامنا الآن.

والذي نخلص إليه من (نقد النقد) الذي مارسه على حرب على مشروع طه عبد الرحمن، أنه استفرغ وسعه في استنطاق الشخص، دون فحص الأفكار، وعرض الايديولوجية في ثوب النقد الموضوعي، بل ذهب الامر إلى حد إفراغ خزانات من الحقد على رأس طه عبد الرحمن تبقت مما نال الجابري، وحسن حنفي، وذنبهم، الوقوف على أرض العقيدة والهوية والابداع!.

وأخيرا نقول: إن من حق علي حرب، النقد، ونقد النقد، وحتى نقد نقد النقد.: ومن حقه تبني التفكيكية، أو ما بعدها، أو الرُّجوع إلي ما قبلها، والانتصار لكل ذلك. ولكن نقد المشاريع المعرفية، يقتضي حدا معينا من الاحترام والتقدير، والنظر إلى إبداع المخالف، بروح الجدية والاهتمام، والرغبة الحقيقية في المساهمة، في الوصول إلى الحقيقة، في تواضع، لا يحجب هيبة العلم، والصدع بالرأي. وهذا يفيدنا في إدارة نقاش علمي، معرفي هادف.. وهذا مالا نجد له صدى في كثير من انتقادات علي حرب، وتفكيكاته، وهي مقدرة على كلّ حال، ودليلنا ما فعله مع مشروع طه عبد الرحمن. فتاه مع النشوة الديكارتية، لكنه تعالى على طه عبد الرحمن، بقدر ما تصاغر أمام ديكارت. وهذا ثمن طرد العقيدة، واستبعاد الهوية، والتهوين من خطاب التأصيل لصالح الخطاب المهزوم!.

الهوامش:

(١) منشورات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الاولى ١٩٩٥.

صورة الآخر في المواجهة بين الشرق والغرب

في نهايات القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين هذا الذي هو على زوال الآن جثم المستعمر على صدر الامة الاسلامية والعربية، وصنع له أجراء من أبناء البلاد يرددون صداه. وفي المقابل ظهر من أبناء هذه الأمة من حمل قلمه وسيفه يدافع عن الدين ويذود عن الحياض، وظلت المعركة سجالا بينهما.. وكافح من كافح وجاهد من جاهد في سبيل نصرة الدين والحق.. وكان النديم واحداً من هؤلاء نصرة للدين والحق. و(المستعمر) يعيد الكرة ثانية على الشرق الاسلامي والعربي (في نهايات هذا القرن) ولكن هذه المرة تحت عباءة (النظام العالمي الجديد). وعلى هذه الأمة أن تعى وتدرك الفارق الكبير بين استعمار (بدايات القرن) - و(نهايات القرن).. وعليها - بمقتضى المتغيرات - استحداث اسلوب للعمل الجاد لحماية الأمة (ديناً وحضارة وهوية). و(المنهل) يتقدم بخالص الشكر والتقدير للاستاذ الدكتور محمد عمارة على تواصله الفكري والعلمي الدائم مع منهله وقرائها بهذه الدراسات القيمة الجليلة.. ونظل في انتظار جديده.

المنهل

في المشروع النهضوي لمدرسة الجامعة الاسلامية - كما عبر عنه واحد من أبرز اعلام هذه المدرسة: عبد الله النديم (١٢٦١ - ١٣١٣هـ/ ١٨٤٥ - ١٨٩٦م) نجد المواجهة بين المشروع الذي ينتمي إليه - عالم الاسلام .. والجامعة الشرقية - والذي اتخذ فيه موقعه، كواحد من تيار الإحياء والتجديد - وبين «المشروع الآخر» - الثقافي .. والسياسى .. والحضاري - الذى كانت حياة النديم ملحمة من ملاحم الصراع معه، والنقد له، والكشف عن أحابيله التى نصبها للشرق والشرقيين.. كان هناك الغرب الاستعماري.. وتبشيره الديني.. وغزوه القيمي والثقافي.. وكان هناك - أيضا - «الأجراء» و«العملاء» من أبناء جلدتنا - الذين اتخذوا موقع «التبعية» و«الأدوات للاستعمار الغربي في بلادنا!».

فالغرب، كمشروع استعماري، قد وظفت دوله الأوربية النظام الدولي والمعاهدات الدولية لحل تناقضاتها وتوحيد كلمتها في مواجهة الشرق، وفي سبيل استعماره «فبالمعاهدات الدولية.. اجتمعت كلمة ملوك



بقلم المفكر الإسلامي :
أ.د. محمد عمارة - مصر

أوربا على حفظ الوحدة الأوربية من مس الشرق لها مهما تقلبت المسائل الدولية بين ايديهم وعلى توجيه الهمم إلى الشرق فتحا واستعمارا»[١].

والاستعمار الغربي يحاول أن يستر مقاصده - في النهب الاقتصادي.. والاستبداد السياسي.. والاستعلاء العنصري.. والمسخ الثقافي والقيمي.. والتعصب الديني - بشعارات كاذبة عن «الإصلاح وبث المدنية» .. ذلك «أن دولة من دول أوربا لم تدخل بلدا شرقيا باسم الاستيلاء، وإنما تدخل باسم الإصلاح وبث المدنية.. وقطع عروق الجهالة والخشونة من العالم، وهي علل باطلة ودعاوى كاذبة يبعث على افترائها حب الاستبداد من أمم تدعي الحرية وهم لم يشتموا لها رائحة إلى الآن[٢].. فهم يربون إنسانهم على عداوة مثله، ويسقونه كأس البغضاء يوم فطامه من ثدي أمه، فيخرج منكرا على مثيله صورته، مدعيا أن غيره وحشي الطبع همجي السير، وأن الإنسانية محصورة في حشو جلده؟!.. منكرين وحدة الإنسانية، كرابطة كبرى بين جميع سكان الدنيا»[٣].

ولقد فضحتهم ممارساتهم الاستعمارية في بلادنا.. فبالنهب الاقتصادي، والاستبداد السياسي «أصبح الأجنبي الحقير في بلادنا أعز من اللورد والسير والبارون في بلاده[٤].. وبالقوانين الأجنبية والمحاكم الأجنبية، التى لا يدري الفلاح شيئا من أصولها[٥]» جردوا هذا الفلاح من ممتلكاته!.

والغرب - كدوائر حكم .. وجماهير غفيرة - قد استعان على تبرير اجتياحه لديارنا واحتقاره لثقافتنا بتشويه صورة ديننا الاسلامي في وعي أبنائه.. فهم يزعمون «أن جماعة من العرب دعتهم الفاقة إلى اتخاذ قطع الطرق وسيلة لثروتهم، فاتخذوا لهم رئيسا اسمه محمد بن عبد الله، وساروا تحت رأيه، وأخذوا في مهاجمة الأمم ونهب البلاد، فلما علت كلمتهم وسرى صوتهم في الأقطار.. دعى قائدهم أنه صاحب شريعة، وأخذ يضع لهم تعاليم دينية جمعهم عليها[٦]».

والغزوة الغربية لبلادنا الشرقية، لا تقف عند احتلال الأرض ونهب الثروة، وإنما هي - مع ذلك - غزو للقيم والأخلاق، تستهدف حل عروة الدين الاسلامي، التى هي أوثق العرى في جامعتنا الشرقية، وإحلال المدنية البهيمية محل المدنية الشرقية الملتزمة بمثل الدين ومعاييره.

يرى النديم ذلك، فيكتب تحت عنوان (العدوى الأوربية للبلاد الشرقية) فيقول: «إن من قابل بين بلاد الشرق قبل استيطان الأوربيين بها وقبل استيلاء بعض دول أوربا على بعضها وبين حالتها الراهنة، من حيث الآداب العامة، رأى فرقا كبيرا وتباينا عظيما. فإن الواقف على عادات الشرقيين وقواعد أديانهم يعلم أن المسلمين والمسيحيين والاسرائيلين يرون تحريم الزنا من الجهة الشرعية وقبحه من الجهة العقلية، ويرون صيانة الأعراض من الواجبات.. وكانت الحكومات الشرقية محافظة على الآداب الشرعية والحقوق الشخصية.. فكانت الأعراض مصونة والرجال آمنون على بيوتهم، غابوا أو حضروا.. وكان الرجال المسلمون أبعد خلق الله عن الخمر، والاسرائيليون لا يشربونها إلا في الأعياد، والمسيحيون لا يشربون إلا القليل في أوقات مخصوصة، أما نساء الأقسام الثلاثة فإنها ما كانت تذوقها، ولا كان الرجال يدخلونها عليهن، لعلمهم أن ما بعد سكر المرأة إلا الافتضاح والميل إلى البغاء. فلما تداخل الأوربيون في البلاد الشرقية، بالتجارة

والتغلب، أفسدوا أخلاق الرجال والنساء بما أدخلوه فيهم من مسمى مدنيتهم التي هي رجوع إلى البهيمية.. وكنا نتألم نحن معاشر المصريين من هذا العيب القبيح، ظنا منا أن ما أدخله الافرنج من المصائب لم يصب به غيرنا، ولكننا علمنا من أحوال تونس ما هو أقبح وأشنع، فعلمنا أن ذلك أمر مقصود لكل دولة أوربية حلت بلادا شرقية، لحل عروة الدين التي هي أوثق العرى في الجامعة العصبية والالتئام الوطني.. لقد اسود وجه المجد بما يسفه أحلام الشرقيين ويلحقهم بالقرود في التقليد الأعمى[٧]».

ومع تغيير القيم والعادات وحل عروة الدين، التى هى أوثق عرى الجامعة العصبية والالتئام الوطنى - استهدفت هذه الغزوة الغربية إحلال القانون الوضعي محل الشريعة الاسلامية وفقه معاملاتها، وإحلال النزعة الوضعية والفلسفة المادية محل التصورات الايمانية في تفسير الكون والحياة وإحلال اللغة الأجنبية محل العربية.. «إن دولة من دول أوربا لم تدخل بلدا شرقيا باسم الاستيلاء، وإنما تدخل باسم الإصلاح وبث المدنية، وتنادى أول دخولها بأنها لا تتعرض للدين ولا للعوائد، ثم تأخذ في تغيير الاثنين شيئا فشيئا.. كما تفعل فرنسا في الجزائر وتونس، حيث سنت لهم قانونا فيه بعض مواد تخالف الشرع الاسلامي، بل تنسخ مقابلها من أحكامه، ونشرته في البلاد، واتخذت لتنفيذه قضاة ترضاهم، ولما لم تجد معارضا أخذت تحوّل كثيرا من مواده إلى مواد ينكرها الاسلام، توسيعا لنطاق النسخ الديني. ولم نلبث أن جاريناها وأخذنا بقانون يشبهه.. ثم حجرت على المدارس تعليم بعض علوم شرعية، وألزمتهم بتعلم لغتها. والأخذ بالطبيعيات والرياضيات حتى لا يشم الأبناء رائحة الدين، لئلا يعلموا أنهم يغايرونهم دينا فيثورون عليهم.. ولإعدام اللغات الوطنية التى يموت بموتها الدين وحمية الجنس والغيرة الوطنية»[٨].

ولقد أفاض النديم في فضح مقاصد الغرب الاستعماري، كنقيض حضاري وثقافي وقيمي.. بل ولم تمنعه القيود التى فرضتها سلطات الاحتلال على اشتغاله بالسياسة - كتدبير يومى للدولة - من الدعوة إلى إجلاء جيوش الاحتلال، وإن يكن قد حبذ الطريق السلمي لتحقيق ذلك «فبالرفق يستخرج الإنسان الحية من وكرها»[٩]؟! ومع ذلك فإن النديم لم يغفل الوجه الآخر للحضارة الغربية.. «فكم للغرب من آثار كانت زينة للشرق، وزيادة في قوته العاملة والمدبرة»[١٠].. ومن علماء الغرب من أنصف الإسلام «وأثبت انفراده من بين الأديان بتعليم أساليب الحرية وأفانين الفضائل»[١١].

بل وكان النديم داعية إلى معرفة ما لدى الآخر - بدلا من الرفض لأنه آت من الآخر - ثم عرض هذا الوافد على أصولنا ومعايير اعتقادنا ومنطلقات انتمائنا الثقافي وخصوصيتنا الحضارية، وبعد هذه الرؤية المقارنة والموقف النقدي يكون الرفض أو القبول.. ذلك «أن الذى نراه مغايراً للدين، لم تظهر لنا مغايرته إلا بعدم الاشتغال به، ووصوله إلينا على يد من يخالفنا دينا، فلو اشتغلنا به لأمكننا أن نرده إلى أصولنا بالتأويل أو بالقياس، أو ندافع عن أصولنا ببيان الفاسد فيه. وأما رده دفعة، بلا نظر ولا استدلال، فإنه تعصب للجهل، لا للعلم والدين، فإننا لا يمكننا أن نقيم حجة على فساده ونحن لم نشتغل به»[١٢].

ذلك هو منهاج النديم في رؤية الآخر الحضاري

والثقافي: العلم بما لديه، وجعل أصول اعتقادنا ومعايير انتمائنا الثقافي هي القاضي فيما نأخذ وفيما ندع من بضاعة الآخرين.. وهو المنهاج القرآني.. منهاج {قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}[١٣]؟ {قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا}[١٤]؟.. {ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين}[١٥].. بينما كان منهاج الشرك الجاهلي هو التعمية والمصادرة {وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون}[١٦].

الأجراء .. المبشرون بالنموذج الغربي:

ولأن أوربا قد زحفت على بلادنا - في الغزوة الاستعمارية الحديثة - كما يقول النديم «وقد أحكمت التأليف بين القوتين: الدينية، والملكية، فجعلت الأولى سفير وداد والثانية فارس جلاد.. ومقبحة لما عليه الشرقيون من دين وسيرة ومعيشة وانتماء وصناعة وتجارة وزراعة، منادية بينهم بأن الغرب محل التشريع ومنبع العلم ومرجع الفضائل، ولا حياة للأمم إلا بما تأخذه عنه، ولا مجد لمن لم ينتم إليه، ولا فضل لمن لم يتعلم فيه، ولا شرف لمن لم يتكلم بلسانه ويتعبد بعبادته ويتقيد بعاداته»[١٧].

لأن هذه هي آفاق مقاصد الغزوة الأوربية الحديثة، فلقد جعلت في آلياتها للفكر والثقافة والتعليم والإعلام مؤسسات وكتائب سبقت وصاحبت غزوات الجيوش وسلطات الاحتلال.

فالقناصل الفرنسيون في الشام يتحدثون، في مراسلاتهم، عن مقاصد مدارس إرساليات التبشير، التي ركزت على الطائفة المارونية، فيقولون عن هذه المقاصد: «إنها تأمين هيمنة بلدنا على منطقة خصبة ومنتجة.. وجعل البربرية العربية تنحنى لا إراديا أمام الحضارة المسيحية لأوربا»[٧، ١٨].

ومن بين خريجي مدارس التبشير هذه، وفد إلى مصر عدد من المثقفين الكارهين للإسلام وحضارته - لثقافتهم الغربية.. ولمذهبهم الديني.. ولتناقضاتهم الطائفية مع الدولة العثمانية - فاحترفوا التبشير بالنموذج الحضاري الغربي، واقاموا المنابر الثقافية والإعلامية التى تدفقت من نوافذها ثقافة الغرب ونظرياته ومثله وقيمه ورؤاه السياسية، محاولين إقامتها في بلادنا بديلا للحضارة الاسلامية.. وكان من بين هؤلاء أصحاب مجلة «المقتطف» (١٢٩٣ - ١٣٧١هـ/ ١٨٧٦ - ١٩٥٢م) وجريدة «المقطم» (١٣٠٦ - ١٣٧١هـ/ ١٨٨٩ - ١٩٥٢م) وكتابهما، من مثل يعقوب صروف (١٢٦٨ - ١٣٤٥هـ/ ١٨٥٢ - ١٩٢٧م) وفارس نمر (١٢٧٢ - ١٣٧٠هـ/ ١٨٥٦ - ١٩٥١م) وشاهين مكاريوس (١٢٦٩ - ١٣٢٨هـ/ ١٨٥٣ - ١٩١٠م) وأمين شميل (١٢٤٣ - ١٣١٥هـ/ ١٨٢٨ - ١٨٩٧م) وشبلي شميل (١٢٧٦ - ١٣٣٥هـ/ ١٨٦٠ - ١٩١٧م) الخ ... الخ .. وأضرابهم من خريجي مدارس إرساليات التبشير، الذين احترفوا صناعة التبشير بالنموذج الحضاري الغربي، وكانوا - بعد احتلال الانجليز لمصر - أركان سلطان اللورد كرومر (١٨٤١ - ١٩١٧م) والسياسة الاستعمارية في مواجهة الحركة الوطنية المصرية في ذلك التاريخ.

ومع هذا التيار التغريبي كان صراع النديم!...

فهو يصفهم بـ «الأجراء .. أضداد مصر والمصريين.. والمؤسسين للفتن .. والمترددين على أبواب وكلاء الدول الأجنبية بالأكاذيب

والأراجيف[١٩]»، «فأصبحوا لا شرقيين ولا غربيين، واتخذتهم أوربا وسائل لتنفيذ آرائها ووصولها إلى مقاصدها من الشرق، وهي تحثهم على المثابرة على عملهم باسم المدنية، وما هي إلا التوحش والرجوع إلى الحيوانية المحضة»[٢٠]، «وهم الذين نبتت لحوم أجسامهم في خدمة الأجنبي، فانفعلت لها أرواحهم، فكلما حولتها عن وجهتها الغربية دارت إليها، فهي قبلة مصلاها التى وقفت في محرابها وقوف القانت الواعظ!.. فإذا قالت جريدة وطنية: ينبغي أن نحافظ على عوائدنا الجنسية والدينية، ونأخذ من محسنات أوربا مالا يضر بمعتقد ولا يذهب بمال ولا يهتك عرضا، قامت جريدتهم لتقول إن هذه دعوة إلى الهمجية وتقهقر المدنية.. وإذا قال كاتب وطني: إن صلاحنا في استقلالنا بممالكنا وأعمالنا، قالوا: إننا غير مؤهلين لذلك، وإن حاجتنا إلى الأجنبي كحاجة الجسم للروح.. وإذا قال خطيب: إن سعينا خلف تعلّم الصناعة مما يزيد قوتنا ويعظم ثروتنا، عارضوه قائلين: لا معادن عندنا، ولا معامل في بلادنا، ولا صناع فينا، ولا قدرة لنا، فأولى بنا أن نبقى تحت عوامل الزمن قانعين بمصنوع الغير..»!

والنديم يلتمس العذر للأجنبي المستعمر، ولا يرى عذرا لهؤلاء الأجراء العملاء.. «فلا يلام أجنبي نزح عن بلاده ليخدمها في الشرق.. ولكن العجب من شرقي يخدم غربيا يسلب حقوق إخوانه، وإضاعة شرف أوطانه، والحط على ملوكه وأمرائه.. فالأجنبي المحض خير للشرقيين من هذا المحتال.. وشر الرجال من ينفق حياته في إفساد أهل بلاده، وإغراء الغير بهم، طمعا في ذهب يموت ويتركه، فيفنى ويبقى ذكره القبيح خالدا في بطون أوراقه[٢١]».. «ولا يلام الغربي على تداخله في شئون الشرق وأهله، فإن ذلك من أطماع الملوك في كل زمان، وإنما نلوم الشرقيين على تعاميهم عن مصلحة بلادهم وانصرافهم عنها بالاشتغال بمصالح الغربيين[٢٢]» .. «وليس من التهذيب أن نذم أوربا ونقبح أعمال أهلها وعوائدهم، فإن لكل أمة خصائص ألفتها وعادات لزمنها، وإنما نذم الذين أرادوا تقليد أوربا»[٢٣] .. «إذ لا يلزم من استحسان الغير لشيء نفعه لآخر»[٢٤].

«لقد استمالت أوربا هؤلاء الأجراء، فانتموا إليها، فهم أجانب منا وإن تكلموا لغتنا وسكنوا وطننا، بل وإن دانوا بديننا»[٢٥].. ولقد «اعتمدت انجلترا على جرائد هؤلاء الأجراء.. تحرك بها نار النفرة بين المصريين»[٢٦].

والنديم لم يقف، في فضح تيار التغريب هذا، بما كتب من مقالات، ندر أن يخلو من إحداها عدد من أعداد (الأستاذ)، فنظم في فضحهم الشعر أيضا!.. وخاطب المصريين والشرقيين فقال:

وحاشوا أناسا أشربوا حب غيركم
وهم منكم لكن يسرّهمُ الشر
مثالهمُ بعض الألى أنشؤوا لكم
جرائد يزهو في صحائفها السطر
ومن بات مسرورا بخدمة غيركم
ومُثْرٍ له من فضل أعدائكم وفْرُ
ينادونكم للغير باسم صلاحكم
وسم الأفاعي في صناعتهم حبْرُ[٢٧]

والنديم لا يدع مجالا للشك في أن سهامه الوطنية والحضارية والدينية إنما هي موجهة إلى أجراء الأجنبي وعملاء الحضارة الغربية، من تيار «المقتطف» و«المقطم» على وجه التحديد..

فهو يصف كتاب «المقتطف»، الذين جعلوا مجلتهم نافذة للنظريات الوضعية والمادية الغربية، بأنهم «أعداء الله وأنبيائه» و«الأجراء الذين أنشأوا لهم جريدة جعلوها خزانة لترجمة كلام من لم يدينوا بدين، ممن ينسبون معجزات الأنبياء إلى الظواهر الطبيعية والتراكيب الكيماوية، ويرجعون بالمكونات إلى المادة والطبيعة، منكرين وجود الإله الحق. وقد ستروا هذه الأباطيل تحت اسم فصول علمية، وما هي إلا معاول يهدمون بها عموم الأديان»[٢٨].

وهم «أعداء أنفسهم، دفعتهم يد الطرد إلى النزوح عن وطنهم إلى مصر المحروسة، فالتجأوا إلى بعض أمرائها فأكرموهم ظنا أنهم من أرباب الأقلام أو ذوى الأفهام، بما يراه في جريدتهم التى ما فيها إلا تراجم عن جرائد أوربا العلمية.. فقربهم أمراء مصر اعتمادا على أنهم شرقيون عثمانيون، لا يخدمون إلا دولتهم، ولا يغشون إخوانهم، فما لبثوا أن كفروا بالنعمة، وأنكروا المعروف، وانحازوا إلى الغير.. واغتروا بعناوينهم، وظنوا أن العلم محصور في تعلم الإنسان لغة غير لغته، يترجم بها كتب قومها، ويغرب بها على من لم يعرفوها، موهما أن المسطر تصنيفه والمجموع تأليفه، وهذا هو الجهل المركب الذى صيّرهم أعداء لأنفسهم وهم لا يشعرون»[٢٩].

وعندما تجيب «المقتطف» عن سؤال قارئ مسيحي - اسكندر أفندي صعب - حول السد الذي بناه - الاسكندر - ذو القرنين - والذى وردت الاشارة إليه في القرآن الكريم.. وتقول في جوابها: «إن ذلك كله من الأقوال التي لا دليل على صحتها».. يتصدى النديم لهذا التشكيك في القصص القرآني .. ويقول: «إن قصة السد ويأجوج ومأجوج ذكرها القرآن العزيز، وهو شائع ذائع معلوم لمحرري المقتطف.. والقرآن لم يتعرض لتعيين جهته ومساحته واسم واضعه.. فلا يقال - ما قالت المقتطف - من أن السائحين وصلوا الجهة التى أخبر القرآن عن وجود السد بها ولم يجدوا شيئا.. وأدب الكتابة، وحفظ علائق المحبة يقضي بالبعد عن الطعن الديني في جريدة تنشر بين المسلمين وفي بلادهم.. فالمسلمون لا يرضون أن يروا الطعن في كتابهم بلسانهم منشورا بينهم»[٣٠].

أما أصحاب «المقطم».. فهم - برأي النديم - «الأجراء .. الخونة .. عملاء الأجانب .. الذين خانوا وطنهم وسلطانهم وأهلهم وخلانهم.. وذلك عندما داروا حول أبواب الانكليز، يوهمونهم أنهم عبيدهم الخاضعون، وخدمهم المخلصون، وجواسيسهم الناقلون، وتراجمتهم المتبرعون، فوسوسوا لهم وسوسة إفساد وإغراء، وخوفوهم من المصريين، وحذروهم من الركون إليهم والاعتماد عليهم، فأبعدوهم عن الخدمة، وحشدوا مكانهم الغرباء، حتى كأن ثمرة مصر ما حرّمت إلا على أبنائها. ثم نشروا تلك الجريدة الخرقاء، يوهمونهم أنها مقبولة عند المصريين، ولجهل الانكليز بالعربية صدقوا هؤلاء الأبالسة، وألزم أتباعهم كثيرا من الناس بالاشتراك فيها ليعمموا نشرها في البلاد.. وهي عدوة المصريين»! «فهي جريدة لشق عصا الاجتماع الشرقي»[٣١].

بل إن النديم يصنف «المقطم» ضمن «الجرائد الانكليزية التي تصدر في مصر»[٣٢]؟! .. وأصحابها - عنده - ممن «تعلم في مدارس الغير، على نفقة أهل الخير، فخرج مصطنعا، لا يعرف له وطنا ولا شرفا ولا قبيلة[٣٣].. يغمسون أقلامهم

في نعمة الشرقيين ليكتبوا بها معايب لمن أغنوهم، ويجلبوا بها مصائب لمن آووهم، فما يضرك إلا رجل يدعى أنه أخوك، يناديك بلهجتك ليخرجك من بيتك ويسلمك الى النخاسين الذين طافوا الأرض لاسترقاق الأحرار!.. لقد استخدمهم الغربيون بأجرة لا تزيد على ثمن نعل! وبرغيف يحصّله الزبال وحزقة يملكها الشحاذ!.. وهم يستدعون أوربا بدعوى المحافظة على الأمن والخوف من الحركات الدينية[٣٤].

ولقد احتدمت المعركة بين «المقطم» وبين «الأستاذ» والنديم يكتب: «لقد خصتنا جريدة المقطم بسب شخصي وقذف ذاتي، افتراء، فقابلناها بحلم الأدباء وصفح الكرماء وصمت الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس»[٣٥].

ولما أعيتهم الحيلة ، سعوا إلى سلطات الاحتلال طالبين نفي النديم من مصر، كي لا يصنع ما سبق وصنع إبان الثورة العرابية مرة أخرى!.. بل وكان «المقطم» أول من أشار إلى القرار الاستعمارى بنفي النديم.. «لقد بارت تجارة الأجراء، فلم يجدوا طريقا تنفق به سلعتهم إلا السعاية.. ولقد أرجفوا بأن محرر (الاستاذ) سيبعد عن مصر[٣٦].. وبعد شهر واحد من هذا الإرجاف بنفي النديم، كان الرجل يودع قراءه، بمقال جعل عنوانه «تحية وسلام» طوى به صفحة أول منبر وطني في الصحافة المصرية بعد هزيمة العرابيين.. وفي ختام صفحات أعداد (الاستاذ) قال: «وما خلقت الرجال إلا لمصابرة الأهوال ومصادمة النوائب، والعاقل يتلذذ بما يراه في فصول تاريخه من العظم والجلالة، وإن كان المبدأ صعوبة وكدرا في أعين الواقفين عند الظواهر. وعلى هذا فإني أعلن لأخواني قائلا:

أودعكم والله يعلم أنني
أحب لقاكم والخلود إليكم
وما عن قلى كان الرحيل وإنما
دواع تبدت، فالسلام عليكم[٣٧]»!

لكن (الأستاذ)، التى مثلت في ذلك التاريخ: ديوان الوطنية المصرية والجامعة الشرقية والحضارة الاسلامية، كانت الأستاذ الذي تعلم على يديه مصطفى كامل (١٢٩١ - ١٣٣٦هـ/ ١٨٧٤ - ١٩٠٨م) فكان «الحزب الوطني»، حزب الوطنية المصرية والجامعة الاسلامية.. ذلك الذى خرجت من عباءته القوى التي واصلت الجهاد الوطني، والرباط على ثغور الخصوصية الحضارية.. فتوالت، ولا تزال تتوالى صفحات التدافع الحضاري بين فكر عبد الله النديم - أبرز المعبرين عن أحشاء مصر، وهوية أبناء الشرق - وبين الذين «استمالتهم أوربا، فانتموا إليها، فهم أجانب منا وإن تكلموا لغتنا وسكنوا وطننا، بل وإن دانوا بديننا».. كما قال النديم.. عليه رحمة الله.

الهوامش:

(١) الأستاذ، العدد الخامس عشر، ص ٢٤٦.
(٢) المصدر السابق، العدد الثاني والعشرون، ص ٥١٤، والعدد الرابع والثلاثون ص ٧٩٤.
(٣) المصدر السابق، العدد الثامن عشر، ص ٤٢١.
(٤) المصدر السابق، العدد التاسع والثلاثون ص ٩٤٦.
(٥) المصدر السابق، العدد الثامن عشر ص ٤١٠.
(٦) المصدر السابق، العدد الثامن عشر ص ٤٢٢.

(٧) المصدر السابق، العدد الرابع والثلاثون ص ٧٧٩ ـ ٧٨٢ ، ٧٨٤٠

(٨) المصدر السابق، العدد الثاني والعشرون ص ٥١٤ ، ٥١٥٠

(٩) المصدر السابق، العدد الثاني والعشرون ص ٥٢٨٠

(١٠) المصدر السابق، العدد الثاني ص ٤٠٠

(١١) المصدر السابق، العدد الثامن عشر، ص ٤٢٣ ـ والاشارة للعالم الفرنساوي «سيديو» في كتابه (التمدن الاسلامي)٠

(١٢) المصدر السابق، العدد السادس والعشرون ص ٦٠٨، ٦٠٩٠

(١٣) البقرة/ ١١١٠

(١٤) آل عمران: ١٤٨٠

(١٥) الأحقاف: ٤٠

(١٦) فصلت: ٢٦٠

(١٧) الأستاذ العدد الثاني والعشرون ص ٧٠٥، ٧٠٦٠

(١٨) من محفوظات أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بباريس لسنوات ١٨٤٠ ـ ١٨٩٨م٠ انظر كتابنا (هل الاسلام هو الحل؟) ص ٢٢، طبعة القاهرة ١٩٩٥م٠

(١٩) الأستاذ، العدد الرابع والعشرون، ص ٥٦٤، ٥٦٧٠

(٢٠) المصدر السابق، العدد الثاني والعشرون، ص ٥١٠٠

(٢١) المصدر السابق، العدد السابع عشر ص ٣٨٨ ـ ٣٩٠٠

(٢٢) المصدر السابق، العدد الثامن عشر، ص ٤١١٠

(٢٣) المصدر السابق، العدد الثامن عشر ص ٤١٧، ٤١٨٠

(٢٤) المصدر السابق، العدد الأول ص ١٥٠

(٢٥) المصدر السابق، العدد الثامن عشر ص ٤٢٠٠

(٢٦) المصدر السابق، العدد الثامن والثلاثون ص ٩١٤٠

(٢٧) المصدر السابق، العدد الرابع والعشرون ص ٥٦٤٠

(٢٨) المصدر السابق، العدد التاسع والثلاثون ص ٩٢٣، ٩٢٤٠

(٢٩) المصدر السابق، العدد التاسع والثلاثون، ص ٩٣٧ ـ ٩٣٩٠

(٣٠) المصدر السابق، العدد الحادي والعشرون ص ٤٩٧ ـ ٥٠٠٠

(٣١) المصدر السابق، العدد التاسع والثلاثون، ص ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٤٥، ٩٤٧، ٩٣٢، وانظر كذلك صفحات ٩٢٤ ـ ٩٣٧٠

(٣٢) المصدر السابق، العدد الثاني والأربعون ص ١٠٢٩٠

(٣٣) المصدر السابق، العدد التاسع والثلاثون ص ٩٣٤٠

(٣٤) المصدر السابق، العدد الرابع والثلاثون ص ٧٩٨، ٧٩٩ والعدد الثاني والعشرون، ص ٥٣٢٠

(٣٥) المصدر السابق، العدد الأربعون ص ٩٧٥، ٩٧٦٠

(٣٦) المصدر السابق، العدد السابع والثلاثون ص ٨٨٩٠

(٣٧) المصدر السابق، العدد الثاني والأربعون ص ١٠٣٢٠

أنا القدسْ

القدس .. لن ينساها العرب والمسلمون مهما طال الزمن، ومهما أمعن المحتلُّ في تغيير معالمها وفي تشريد أهلها .. فأهلها، كلُّ العرب وكلُّ المسلمين.

القدس .. رمزٌ من أعظم الرموز العربية والإسلامية التي لا يجوز أن تمس. ولكي تستعاد القدس فهناك شروط.



شعر : د. بهاء بن حسين عزّي
- جدة -

عجبْتُ وما لعجبْي ما يزُيلُ
سوَى أمل يُقلِّلُ أو يُطيلُ
أحاوره الليالي في أمُور
وأسألُه فيُصْمِتُهُ الذُّهولُ
كلانا حار في فهْم الأحاجي
وما فهْمٌ علينْا يستحيلُ
يُناديني على شرقي نحيبٌ
ويهتفُ بي على غربي عويلُ
فتهتُ لأيِّ دربْ سوف أمضي
وحِمْلي منْ مغارمه ثقيلُ
فمنْ عجبي، أرى سُود المنايا
تُحملقُ والنُّيوبُ بها تطولُ[١]
تُمزِّقُني لتدفعني لقبْر
ومنْ زيف على قبري تُهيلُ[٢]
ويفجعُني منالُ الكذْب منِّي
يمدُّ لهُ ويدعمُهُ قبيلُ[٣]
فيمعنُ غاصباً أثراً وداراً
ويُخْفي ذاك أوْ هذا يُزيلُ

فإلى أين ؟

وقـــالوا: اللهُ قـــال لهم خُذوني
ومـــا قـــال الإلهُ ومـــا يقـــولُ[٤]
ولـــكـــنَّ الـــكـــذوب إذا تـــنـــاهـــى
لصنعـــة مـــدفع فـــإذاه غُولُ
يُمـــاري كـــاذباً وينالُ حـــقّاً
ومن أفـــواه مـــدْفـــعـــه القـــبـــولُ[٥]

* * * *

ومن عـــجـــبي، أرى همـــمـــاً أجـــدَّت
إلى النجـــدات واشـــتـــدَّ الصَّليلُ[٦]
فـــفي جـــوْف السّمـــاء يضجُّ نفْثٌ
وعـــرْضُ البـــحْر مملْوء وطُولُ[٧]
وتلك الرّاجـــمـــاتُ بكُلِّ أرْض
كـــأنَّ صفُـــوفـــهـــا الهـــوْلُ المهُولُ[٨]
أراهـــا مُرْعـــدات مُبْرقـــات
كـــبُرْكـــانٍ لهُ حـــمـــمٌ تســـيلُ
ولـــكـــنْ حـــين تـــنْدفـــعُ السَّرايـــا
إلى الأقـــصى فـــهـــيْهـــاتَ الوُصـــولُ
أرى ضَرباً ومـــا هـــدفـــاً أصـــابت
أرى فـــعـــلا ومـــا يُجْدي الهـــزيـــلُ
ومـــا في قـــعْقـــعـــات السُّمْر إلا
أهـــازيـــجُ تُرافـــقُـــهـــا طُبُولُ[٩]

فتلك بُناتُها منْ كُلِّ جنس
نراه لخندق الأعْدا يميلُ[١٠]
فإنْ يأتي السِّلاحُ وفيه حصْرٌ
وفي أفعاله قيْدٌ ثقيلُ[١١]
فلا يُجْدي لنيْلِ الحقِّ حرْباً
فعندَ الحرْبِ لا يُجْدي الفتيلُ[١٢]
فكمْ في خندقي هلكتْ فُحُولُ
بفعلتها وليس لها مثيلُ[١٣]
ترى في الوالدات شديد حُزْن
وثُكلا لا يُنسِّيه البديلُ
وحدِّث عن معاناة الأيامى
وكرْب في اليتامى كمْ يُذيلُ[١٤]
حُروبُ أرْبعُ عاثتْ بغصْبٍ
فطالعْ قدْرَ ما اغتصبَ الدَّخيلُ[١٥]
ولولاها البوادرُ جئن غوثاً
بشهْر الصَّوْم منْ عثْر تُقيلُ[١٦]
لقُلْتُ بأنَّ يعْرُبَ قدْ تولَّتْ
ولا هاد يُفيدُ ولا دليلُ
رعى اللهُ الأشاوس إذْ أتوْها
وإذا بالعزم مدَّ لهم كفيلُ[١٧]

* * * *

ومنْ عجبي، أرى وُدّاً وغلا
فكيف يودُّ منْ فيه غليلُ[١٨]
فكم هبَّتْ تُرسِّخُهُمْ شُعُوبُ
لغلِّ يستجيشُ ولا يحيلُ[١٩]
وكمْ عبثتْ بإيماني وأهْلي
وتاريخي وما تحْكي الطُّلُولُ

لعــــمْرُك مــــا انْتَــهتْ غـــاراتُ حـــقْدٍ
علــى الإســـــــلام مــنْ زمــن يـطُولُ

* * * *

ومن عـــجـــبي، أرى في الأهل قـــوْمـــاً
يُدغْدِ غُ فـــيـــهــمُ أملٌ قـــتـــيـلُ
يـروْنَ لُمعْتـــد حـــقّاً كــبـــيـــراً
وذاك الحقٌّ، لو وجـــدوا ضـــئـــيلُ
فـــقــد علمــوا بأنَّ العُرْبَ شـــادوا
حُصـــــونـــي أوّلا ولـــهـمْ أؤولُ
فـــمُنْذ البـــدْء مـــرَّتْ بـي سنينٌ
ألُوفٌ ســـبْعُ والعـــربُ النَّزيلُ[٢٠]
وجـــاء المُسلمـــونَ وهم أصـــولٌ
مـن الأهـل الأوائـل ٠٠ هـم أصـــولُ
ومـــا حكم الغـــريبُ ســوى قُرون
وأنـهـــتـــهـــا من الروم الفُلولُ[٢١]
ولــولا أنَّ فـي الـقُرآن ذكـــــراً
لمســـرى المُصطفى لســهتْ عُقـــولُ
ولولا السنَّةُ الغـــرّاء فـــيـــهـــا
لمعـــراج السَّمـــا علْمـــاً تُنيلُ[٢٢]
لأقـنعـــهـــا من الأقـــزام قصٌ
يُصـــدِّقُهُ جـــهـــولٌ أو ضلُولُ
فكيف تهـــونُ عـنْدئذ حُقـــوقٌ
يُثـــبِّتُهـــا من الشَّهـــد العُدولُ[٢٣]

* * * *

وربِّك، قـــد تدافـــعت الخُيـــولُ
وعـــسْكر حـــوْلي الجـيشُ الحـــفـــيلُ
ومنْ جنبـــات سلْع قـــد تـوالتْ
جُيـــوشُ الفـــتح ليس بهـــا كُلولُ[٢٤]

وفــي رهْط الـصَّحــــابة كُلُّ حــــبْر
أتـى الأقـــــصـى بدعْوتـه يجـــــولُ
وجــاء الفــــتحُ بالإســـلام نـهْجـــاً
يُرسِّخُ رُكـنـهُ ذاك الـرَّعـــــيـلُ
ورُدِّد بـــــي أذان مـــــنْ بـــلال
وكـــبَّر جـــحْفلٌ فـيـــه الفُحُولُ[٢٥]
وقـــد أمـــضى لي الفـاروقُ عــهـداً
ليـــرضى الراهبُ الحـــبْرُ الجليلُ[٢٦]
وقـــد حـــرس الكنيـــســـة من بسلْع
وظـلَّ بـهـــا الـصَّلـيبُ لـنْ يـؤولُ[٢٧]
فـــبــالإســـلام قـــدْ عُزَّ النَّصــاري
وَعَزَّ الــعُرْبُ يـــوْم هُمُ قــلـــيـلُ
لعـــمـــرك قــد ســمتْ راياتُ مــجــد
وشـــعْـــشع نورُهـا الـهـــادي الأصـيلُ
فـــــجــــــاؤُوا أمَّة وسـطـاً ونُوراً
فـــحـيِّ بـأمَّة لا تـســـتـطـيلُ

الهوامش

(١) النيوب: جمع النَّاب
(٢) إفتراءات اليهود على حقوق لهم في فلسطين وتزييفهم للحقائق.
(٣) القبيل: مجموعة من الناس، ويقصد بهم هنا الدول التي تمد بكل قوتها لاسرائيل.
(٤) إفتراء اليهود بالقول على الله بأن هذه هي أرض الميعاد.
(٥) الإغتصاب بالقوة للحق العربي والإسلامي في فلسطين.
(٦) الصليل: وقع الحديد بعضه على بعض.. صليلُ السيوف.
(٧) النفث: هو نفث الطائرات النفاثة.
(٨) الراجمات: المعدات القاذفة للقنابل والصواريخ.. الخ.
(٩) القعقعات: صوت إعداد السلاح. السُّمْر: الرِّماح. الأهازيج: أغاني الحرب.
(١٠) يُرمز به إلى الدول التي تدعم العدُوَّ وتمُدُّه بالسلاح والعتاد والتأييد.
(١١) الحصر: العجز.
(١٢) الفتيل: ما يستخدم للإشعال.
(١٣) إشارة إلى الأسلحة الفاسدة التي استعملتها بعض الجيوش العربية في الحرب الإسرائيلية العربية الأولى.
(١٤) يُذيل: يُذلُّ.
(١٥) الدخيل: يُقصدُ به إسرائيل
(١٦) المقصود بها حرب العاشر من رمضان.

ومَنْ يـأتـيـــــه شكٌّ حـــــوْلَ حـــقّي
فـــــبــــالإســــلام حـــقّي لا يزولُ

* * * *

ثـلاثٌ هُنَّ، لـو تـرْجـــــونَ نـصــــــراً
أقــــيــــمــــوها يجيءْ نـصـــرٌ أثيلُ
لـفـــــــــعْلُ الـعُرْب يـعْظُمُ لـوْ تـأتَّى
لـهُ الـتـــــدْبيــــرُ والسَّنَدُ المُعـــيـلُ
وفــــــــــعْلُ الـعُرْب يـعـظُمُ لـوْ تـأتَّى
لــهُ بـصـنـاعـــــــة بـاعٌ طـويـلُ
وفــــــــــعْلُ الـعُرْب يـعْظُمُ لـوْ تـأتـى
لـهُ فـي رفــــعــــة الـديـن الـسَّبــــيـلُ
ثـلاثٌ لوْ يـطولُ الـبـــاعُ فـــيـــهـــا
وربِّك ســــــوف يُمكِنُنـا الـوُصــــــولُ

(*) القصيدة من ديوان «ذو العصف والرَّيحان»

---

(١٧) الأشاوس: الشجعان، الكفيلُ: من تكفل بالمد بالدعم والمال من الدول العربية.. نذكر من ذلك قولة جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز للرئيس أنور السادات غفر الله لهما، وهما على الضفة الشرقية للقناة بعد تحريرها: «نحن معك إلى القدس»، وبدون شك فقد قالت مثل ذلك دول عربية خليجية وسواها.

(١٨) الغليل: الحقد، إشارة إلى الدول التي تبيع السلاح للدول العربية ومازالت بقايا الأحقاد الواضحة للحروب الصليبية تسيطر على قراراتها.

(١٩) يحيلُ: يتغيرُ.

(٢٠) النزيل: السكان.

(٢١) آخرها طرد الصليبيين (وهم روم أيضاً) على يد صلاح الدين.

(٢٢) قصة المعراج إلى السماء مثبتة في السنة النبوية الشريفة.

(٢٣) الشهد: الشهود.

(٢٤) سلع: جبل مشهور ملاصق للمدينة المنورة، كلول: التعب.

(٢٥) بلال: هو بلال بن رباح مؤذن رسول الله وكان توقف عن الأذان بعد وفاته عليه الصلاة والسلام إلى أن فتحت القدس.

(٢٦) الفاروق: هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. الراهب الحبر: هو راهب كنيسة القيامة الذي سلم مدينة القدس للخليفة عمر.

(٢٧) من بسلع: يحرس المسلمون كنيسة القيامة حتى اليوم.

معروف الرصافي

١٢٩١ - ١٣٦٥هـ/ ١٨٧٣ - ١٩٤٥م

في تموز/ يوليو سنة ١٩٢١ تقدمت لامتحان الدخول الى دار المعلمين في القدس، ونجحت. وعندها سألت أترابي من السابقين عن المعلمين في المعهد فذكروا بعض الموجودين، ولكنهم أبدوا أسفهم لانني لن أتتلمذ على معروف الرصافي. وقد حز ذلك في نفسي لأن أحد معلمينا الاذكياء في جنين (في شمال فلسطين) كان قد حفّظنا أبياتا من قصيدة الرصافي هي الاخلاق تنبت كالنبات.

ولكن ما الذي اوصل الرصافي، الشاعر العراقي الكبير ليعمل استاذا للعربية وآدابها في دار المعلمين في القدس؟ سأجيب عن هذا السؤال عندما أصل الى موضعه في حياة الرصافي، إذ من المنتظر أن نبدأ القصة من أولها.

وقصة الرصافي دوّنها، في أحاديث معه في سنة ١٩٤٤، السياسي العراقي المعروف كامل الجادرجي. وقد نشرها، للمرة الثانية، الدكتور يوسف عز الدين في كتابه شعراء العراق في القرن العشرين (اول).

وقد تكلم معروف الرصافي بمنتهى البساطة والصراحة، وحبّذا لو أن الاحاديث طالت اكثر.

من هذه الاحاديث تتضح امور كثيرة عن حياة واحد من اكبر شعراء العرب المحدثين، وقد وُلدَ في بغداد سنة ١٢٩١هـ سنة ١٨٧٣ للميلاد، في بيت جده لأمه. وكان ابوه عريفا في الدرك اي الجندرمة. وكان اتصال معروف بأبيه قليلا بسبب عمله المتواصل. يقول معروف «فوالدتي هي التي تعهدت نشأتي».

ومن هذا التعهد انها كانت حريصة على أن أذهب إلى المدرسة، على ما كانت عليه بيئتهم وهي بيئة فقراء واصحاب صنائع. وبسبب الحاح الام أرسل معروف إلى مدرسة تديرها سيدة، وكان في الثالثة من عمره. ثم انتقل الى مدرسة المُلا بايز. وهنا تعلم الحروف الهجائية، وبعدها إلى مدرسة منيف أفندي حيث ختم القرآن الكريم، حيث كان يقوم بالتدريس تلميذ متقدم لا المعلم، كانت يومها سن الرصافي دون العاشرة، ومن مدرسة ثلث تلك تخرج مع عشرين تلميذا وادخلوا الى المدرسة الراشدية العسكرية، وهنا تربى معروف بزي الافندية، ولكن نظام المدرسة كان شديدا والتصرف مع الطلاب كان يتصف بالقسوة.

وسقط معروف في الصف الثالث فأُخْرِج من المدرسة وهنا بدأت حياة جديدة اذ انتقل الى التعلم



د. نقولا زيادة
- لبنان -

في الجامع - في جامع الحيدر خانة. وكان المعلم هناك شكري الآلوسي، ولبس التلميذ العمامة والعباءة ليتسق ذلك مع طلب العلم في الجامع، وقد منح الآلوسي الطالب عناية كبرى، فدرس عليه، رأسا أو بالواسطة، الآجرومية، وقطر الندى، وألفية ابن مالك، ومغني اللبيب، وكان عبد الوهاب النائب يدرس الفقه في الجامع. الى هذه الدروس النظامية كان معروف يستعير كتبا من الآلوسي، فقرأ ديوان المتنبي ولزوميات المعري وخزانة الادب والعقد الفريد.

يقول الرصافي، في حديثه مع الجادرجي: «وهكذا استمريت على الدراسة حتى سن الخامسة والعشرين أدرُسُ العلوم العربية التي تقرأ في المدارس الدينية وبذلك اكون قد درستُ العلوم الآتية: الصرف والنحو والبلاغة والبيان والعروض وكتب العقائد والكلام واصول الفقه والحساب ايضا في المدارس الدينية، وبعد أن اكملت دروسي في المدارس الدينية وتجاوز عمري حسب ما اذكر الخمسة والعشرين عاما، عُيِّنتُ معلما لأول مرة في مدرسة الراشدية وهي قرية تبعد عشرة كيلومترات شمالي بغداد».

مع اعلان المشروطية، أي الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ تبدلت أحوال معروف، إذ أنه ذهب الى الاستانة، ولم تكن اموره هينة هناك اذ لم يتم له العمل الذي ذهب من اجله وهو اصدار جريدة يومية بالعربية تكون ترجمة للجريدة التركية «اقدام» ومن هنا، ولسنوات عديدة، ترتبط حياة الرصافي باستانبول. فقد عني به ندرة ونخله



الشاعر معروف الرصافي

مطران، ثم غيرهم، ومع أن الشاعر عاد الى بغداد، فقد يمم شطر استانبول ثانية حيث عمل في الصحافة والتعليم ثم انتخب نائبا عن المنتفك وكان انتخابه غيابيا. وظل في الاستانة الى سنة ١٩١٩، وفي طريق عودته الى بغداد اقام في دمشق. وهناك، على ما يروي هو نفسه: «ثم طلبت الى التدريس في دار المعلمين في مدينة القدس وذلك بواسطة محمد كرد علي. فذهبت الى القدس ووافقت على شروطهم وهي ان ادرس آداب اللغة العربية في تلك المدرسة براتب شهري قدره ٢٥ جنيها مصريا مع الأكل والمبيت». وقد كانت العملة المصرية هي المستعملة في فلسطين حينئذ، واستدعي الى بغداد رسميا في ربيع ١٩٢١، وبذلك حرمت انا من أن أتتلمذ عليه.

سنوات طويلة قضاها معروف الرصافي في بغداد، وتنوعت اعماله لكنه كان دوما يعيش في حالة من البؤس، وانتهت حياته سنة ١٩٤٥م.

معروف الرصافي ولد فقيراً وعاش فقيرا ومات فقيرا. فقد قال في احد احاديثه: «انه لما كان فقيراً فقد كان يشعر بضنك العيش فيصادف احيانا أن طعامهم لم يكن غير الخبز والخيار».

وهو كثيراً ما يشير الى أن مرتبه لم يكن يكفيه، وما اكثر ما كان تخلو جيوبه من المال فيعتمد على الاصدقاء. لكن معروف الرصافي كان غنيا في خلقه ـ كان يمقت الكذب والكذابين، وكان يحب الصراحة المطلقة. وما اكثر ما جلبت له هذه الصراحة المشكلات والمصائب. وبسبب فقره كان اقدر على وصف الفقر والشعور مع الفقراء من غيره. وقصيدة الارملة المرضعة دليل ساطع على ذلك:

لقيتها ليتني ما كنتُ ألقاها
تمشي، وقد أثقل الإملاقُ ممشاها
اثوابها رثة والرِّجلُ حافيةٌ
والدمع تذرفه في الخد عيناها
بكتْ من الفقر فاحمرَّت مدامعُها
واصفرَّ كالورس من جوع محياها
مات الذي كان يحميها ويسعدها
فالدهر من بعده بالفقر أشقاها
الموتُ أفجعها والفقر أوجعها
والهم انحلها والغم اضناها
فمنظر الحزن مشهود بمنظرها
والبؤسُ مرآهُ مقرون بمرآها
كرُّ الجديدين قد أبلى عباءتها
فانشق أسفلها وانشق أعلاها
ومزّق الدهر، ويلُ الدهر، مئزرها
حتى بدا من شقوق الثوب جنباها
تمشي وتحمل باليسرى وليدتها
حملا على الصدر مدعوما بيمناها
ما أنس لا أنس اني كنت اسمعها
تشكو الى ربها أوصاب دنياها
تقول: يارب لا تترك بلا لبن
هذي الرضيعة وارحمني وإياها
ما تصنعُ الأم في تربيت طفلتها
إن مسَّها الضرُّ حتى جفَّ ثدياها
يارب ما حيلتي فيها وقد ذبلت
كزهرة الروض فقدُ الغيث أظماها
ويح ابنتي أن ريب الدهر روّعها
بالفقر واليتم، آها منهما آها
كانت مصيبتها بالفقر واحدة
وموت والدها باليتم ثنّاها

الصورة التي يمكن أن ترسم عند قراءة هذه الابيات يمكن أن تكون لوحة فنية رائعة!

معروف الرصافي بغدادي الأصل والنشأة، وهو على كثرة خروجه من بغداد كان دوما يعود اليها. وقد تركت معالم بغداد في نفسه، ومن ثم في شعره، اثرا كبيراً، فهناك مقطوعة في نهر دجلة، تشعر وانت تقرأها أن الحب امتزج بالشعور بجمال النهر.

ربَّ يوم وردت دجلة فيه
مورداً خاليا عن الرواد

حـيث ينصب في سكوت عـميق
مـاؤها لاثمـا ضـفـاف الوادي
وهبـوب النسـيم يكتب في الما
ء سطوراً مـهـتـزة باطراد
يمحي بعـضُهـا ويظهـرُ بعضٌ
فـهي تنسـابُ بين خـاف وباد
وتئن الميـاه لي بخـرير
كـأنين السـقـيم للعـوّاد
قُمْتُ في وجـهـها اردّدُ طرفي
سـاكـتـا، والضـمـيـرُ مني ينادي
واقـفـاً تحت سـرحـة ناح فـيـها
طـائر فـوق غـصـنهـا الميّاد
جـاوبتـه أفنانهـا بـأنين
من حـفـيف الأوراق والأعـواد

في أول حديث عقده الجادرجي مع معروف الرصافي قال الأول للثاني: «وإذا كنت لا اتذكر شيئا عن الدروس التي تلقيناها منكم قبل خمس وثلاثين سنة، فاني لا أنسى ابداً اهتمامكم وعنايتكم الخاصة بصدق التلاميذ، والحقيقة مقتكم للكذب. فلا انسى ثورتكم في يوم من الايام على احدنا لكذبة بسيطة لا تخرج عن المألوف في عرف التلاميذ. فخرجتم عن طوركم فصفعتموه صفعة قوية كأن صداها لا يزال يرن في تلك القاعة».

وكأن الجادرجي شعر أنه بحاجة الى تأييد ما ذهب اليه فاضاف قائلا: «وقد مرت السنوات الطوال وأنا اتعقبكم، فتغير كل شيء فيكم. تغيرت بنيتكم المشيقة الى ضخمة، وتغير زيكم العلمي، أي العمامة والجلباب، إلى زي «أفندي» على آخر طراز، ثم إلى زي عربي كما هو الآن. تغيرت كل مظاهركم، الا شيئا واحدا هو تعصبكم الشديد ضد الكذب».

وهذه الصفة كان يعرفها الرصافي في نفسه، لذلك اسمعه يقول:

أحبُّ صـراحـتي قـولا وفـعـلا
وأكـره أن أمـيل إلى الرياء
ولست من الذين يرون خـيـرا
بابقـاء الحـقـيـقـة في الخـفـاء

وخيري الهنداوي كان واحداً من اولئك الشعراء الذين كان الحزن ينفذ الى اعماق نفوسهم وشغاف قلوبهم.

وكان معروف الرصافي صديقا له عزيزا عليه. فلما مات هذا رثاه الهنداوي بقصيدة رائعة جاءت فيها هذه الابيات التى تشير الى تمسك الرصافي بالصدق والصراحة، قال الهنداوي:

قـضى الرصـافي بعـد مـعـركـة
تمَّ له في خـتـامـهـا الغلبُ
قـد عـاش حـرًا بغـيـر منقـصـة
يُعلمُ الناس كـيـف تُجْتنبُ
ومـات صـفـر اليـدين لا ولد
يبكيـه من بعـده ولا نشبُ
حـقق في الحـالين أمـثلة
ما حـقـقـتـهـا الرمـاحُ والقـضبُ

** وختمها بالبيت التالي:

عليك مني سـلامُ مـبـتـئس
لم يسله الشـعـرُ عنك ولا الخطبُ

الشيخ العميد محمد الشاذلي النيفر

رحل في الأشهر القليلة الماضية سماحة الشيخ عميد الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين محمد الشاذلي النيفر بعد أن ناهز التسعين، وقد قضى حياته في طلب العلم وبثه بين المتعلمين، وبين قراءة الكتب والحرص على اقتنائها مخطوطة أو مطبوعة، وبين تحقيق ما يراه أولى بالتحقيق.

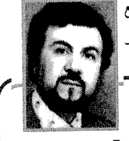
ومنذ أوائل التسعينيات فتح مكتبته لطالبي العلم وسماها «مكتبة آل النيفر».

وكأنه بذلك قد رد على من يظن أن الشيخ محمد الشاذلي النيفر يضن بكتبه وخاصة المخطوط منها، ويبخل بما عنده من كنوز ثمينة من نوادر المخطوطات، والحقيقة أنه كان رحمه الله يخشى عليها من التلف والاندثار، الى جانب كونه كان يؤمل أن يحقق معظمها بنفسه، ولكنه لم يحقق منها إلا القليل، لأن للشيخ رحمه الله، أشغالا كثيرة متنوعة منذ شبابه الأول فقد ترأس جمعية الشبان المسلمين بتونس سنة ١٩٣٦، ثم عمل كاتباً عاما لها سنة ١٩٤٧، وساهم في تأسيس جمعية الزيتونيين (نسبة الى جامعة الزيتونة) التى ظهرت سنة ١٩٣٦، وتولى خطة كاتبها العام، كما ساهم في تأسيس الشبيبة الزيتونية سنة ١٩٣٧، وانتخب عضوا في هيئة الجمعية التي أسست سنة ١٩٤٤ باسم (بيت الحكمة) وترأسها الأستاذ العالم المجمعي: حسن حسني عبد الوهاب للقيام بأعمال علمية فيها كثير من الطموح بالنسبة للفترة التي اسست فيها أيام الاستعمار الفرنسي.

وله إلى جانب ذلك نشاط في (رابطة الجمعيات القرآنية) التي تهتم بتحفيظ القرآن الكريم للأجيال الصاعدة أيام الاستعمار الذي كان ينوي تقليص شيوع العربية والحد من حفظ القرآن، ولكن فروع هذه الجمعية افشلت خطته وخطة أذياله من أعداء العربية والاسلام.. وظل القرآن ومازال يحفظ بفضل الله وفضل نشاط هذه الجمعية وأعضائها المتحمسين للغة الضاد والقرآن الكريم.

ولم يقف نشاط شيخنا على ما ذكرنا بل كانت له أيضا انشطة كثيرة مثل المحاضرات التى كان يلقيها في الميدانين الديني والأدبي منذ أوائل الثلاثينيات من هذا القرن الميلادي، كما أنه ساهم في الصحافة إذ شارك في تأسيس مجلة «الجامعة» في منتصف سنة ١٩٣٧، لتقريب الشقة بين ابناء الزيتونة والصادقية أي بين المحافظين والمتفتحين على الغرب، وقد اوقف الاستعمار صدورها للأسف إثر حوادث الزلاج الواقعة في ٩ أبريل سنة ١٩٣٨، فقد ضمت لجنة المجلة خيرة الشباب التقدميين وطلائع الأجيال التي شهد معظمهم معركة الاستقلال وحضروا أيامه المشرقة بعد عهود الاستعمار المظلم.

كما أن الشيخ محمد الشاذلي النيفر قد اشترك مع ثلة من الزيتونيين في إصدار



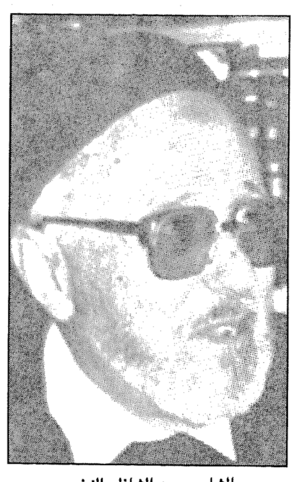
بقلم : د. نور الدين صمود
- تونس -

جريدة (الزيتونة) في أواخر عهد الاستعمار وأوائل الحركة النضالية ضده حيث صدرت جريدة الزيتونة في أواخر سنة ١٩٥٣، وكان يكتب افتتاحيات جميع اعدادها للدفاع عن (الزيتونة) ومطالبها المشروعة للنهوض بالتعليم العصري، وهذا ما عرض تلك الجريدة للإيقاف مرتين، وظلت تصدر الى ما بعد الاستقلال بقليل. وكانت كتابات الشيخ النيفر تظهر في عدة جرائد ومجلات أخرى قبل الاستقلال وبعده.

وقد عمل مدرسا بالزيتونة، وببعض المعاهد الثانوية وبكلية الشريعة وأصول الدين إلى نهاية السنة الدراسية ١٩٩٠. وقد شغل خطة عميد الكلية الآنفة الذكر وانتخب لهذه الخطة مرتين متتاليتين. وقد شغل قبل ذلك العديد من الخطط الإدارية والعلمية والقضائية وقد انتخب إثر استقلال تونس عضوا بالمجلس التأسيسي وشارك في وضع دستور الجمهورية التونسية الذي صدر اواسط سنة ١٩٥٩.

وعندما تغير اسم ذلك المجلس إلى (مجلس الأمة) انتخب عضوا فيه، وجدد انتخابه مرتين آخريين من سنة ١٩٨١ - إلى ١٩٨٩، وقد كان أكبر النواب سنا لذلك ترأس العديد من المرات وكانت له مواقف مشرفة في ذلك المجلس الذي أصبح اسمه (مجلس النواب).

ولو مضينا نعدد ميادين النشاط التي اشتغل فيها الشيخ محمد الشاذلي النيفر لطال الحديث، ولكن سنكتفي بذكر اهتمامه بالكتابة بالداخل والخارج، فقد كانت له صلة وثيقة بالشيخ الراحل والعالم الجليل عبد القدوس الانصاري وبمجلته المنهل التي يعتبرها أم المجلات السعودية، وكان يكتب فيها في تلك الأيام بصورة شبه منتظمة، وله ذكريات طيبة مع صاحب المنهل الراحل، ومن يراجع فهارس المنهل الأولى فإنه سيجد فيها ما يدل على مدى عمق تلك العلاقة والاهتمام بالمجلة وبصاحبها العالم الجليل.



الشاعر محمد الشاذلي النيفر

وقد قام بنشر كثير من الكتب التي ألفها أو حققها من مكتبته الحافلة بالمخطوطات مثل:

- تحقيق «الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية» تأليف ابن منفذ القسنطيني.
- وتحقيق برنامج خليل - تأليف عظوم.
- تحقيق قطعة من موطأ ابن زياد. وقد طبع خمس مرات إحداها في قطر
- تحقيق (تنبيه الغافلين)
- تحقيق: «المعلم بفوائد مسلم» للإمام المازري، وقد طبع مرتين الأولى ببيت الحكمة والثانية بدار الغرب الاسلامي وهو يقع في ثلاثة أجزاء.
- تحقيق: «مسامرات الظريف» تأليف محمد السنوسي ، طبع الجزء الأول منه سنة ١٩٨٣ ثم طبع في أربعة أجزاء بدار الغرب الإسلامي بعد عقد من صدور الجزء الأول.

- تحقيق عوالي الامام مالك» للحاكم الكبير.

- تحقيق شرح الشقراطية» لمحمد بن محمد قاضي القلعة وقد قام الشيخ النيفر بتقديم كل هذه الكتب تقديما وافيا وعرّف بمؤلفيها وبجميع ما يتعلق بالكتب التي حققها وبمؤلفيها وعلق جميع تعليقاتها تعليقات علمية ضافية.

وللشيخ الشاذلي النيفر رحمه الله كتب أخرى غير ما ذكرنا وضعا وتحقيقا منها:

- تفسير مدرسي «لجزء عم» طبع مرات عديدة.
- تفسير مدرسي لجزء تبارك.
- شرح همزية البوصيري.
- مناقب الشيخ محرز بن خلف.
- ذكرى مرور ثلاثة عشر قرنا على الزيتونة.
- مختصر تاريخ الزيتونة.
- حكم التجنيس.
- مناسك الحج طبع عدة مرات.
- البوصيري حياته وأدبه وهو من أوائل ما طبع من الكتب (١٩٣٥).

ولم يكن الشيخ الشاذلي رحمه الله متاجرا بكتبه الكثيرة بل كان يوزع بعضها مجانا في مناسبات دينية وكان يكتب بعضها الآخر بمناسبات لبعض الجمعيات العلمية فيكون ريعها لتلك الجمعية وكان أحيانا أخرى يأخذ حقوقا رمزية من بعض الناشرين تتمثل في بعض نسخ من كتابه يقدمها هدايا لأصدقائه أو لبعض الجهات العلمية وإلى المكتبات.

وللشيخ الشاذلي مقالات في العديد من المجلات والجرائد مشرقا ومغربا، ومحاضرات القاها في مختلف الندوات والمؤتمرات العلمية التي شارك فيها في البلاد الاسلامية وغير الاسلامية الناطقة بالعربية وغير العربية ولو مضينا نعدد ذلك لطال الحديث وضاق المجال.

وللشيخ الشاذلي ديوان شعر يمثل مرحلة طويلة من حياته وحياة تونس في العهود التي عاش فيها أيام الاستعمار، وعن صلته بمحمد الأمين باشا باي آخر ملوك تونس الذي كانت له صلة وثيقة بالشيخ وكذلك نجد في شعره صدى لتونس في عهد استقلالها، والملاحظ أن هذا الديوان لم يطبع إلى حد الآن وقد اهتم بجمعه وتبويبه والتعليق عليه ولكنه كان مترددا في نشره وكان دائما يقدم عليه في النشر ما يحققه من الكتب مؤجلا نشره إلى أجل غير مسمى.

وقد سبق القول أن الشيخ النيفر قد فتح مكتبته لطلاب العلم والمعرفة وقد كان ذلك في حفل افتتاح حضرة وزير الثقافة الاسبق ومفتي الجمهورية التونسية وثلة من العلماء والمثقفين حيث القيت الكلمات والقصائد الشعرية.

وقد القى الشاعر الهاشمي زين العابدين قصيدة عصماء مطولة مطلعها:

أبدا بمجدك تستزيد وتكثر
ويضوع من يدك النوال الأعطر
وتعم نعماك الديار بأسرها
والعلم يفنو فضلها ويشهّر
وتشيد هيكلها السموق على الوفا
ء المستدر لحكمة تتيسر
للباحثين المولعين بما حوت
كتب بمكتبة تعز وتندر
ولكم يشوق ورودها والكرع من
تلك الحياض وما به تتفجر
جمعت علوم الدين والدنيا بها
رسم المجلد متنه والدفتر
فاقرأ بها ما شئت من علم ومن
أدب وفن وارو ما تتأثر



أسـفـارها فـردا جـمـعت عـديدها
وعناك منهـا المسـتـجـاد النيـر
وأبيـت الا أن يكـون لخـــائض
لجج الطلاب شـرائهـا المتبـحـر
مـجلوة للراغـبين قـريبــة
طوع البنان مـتـونهـا والمصـدر
للهـدي مكـتـبـة حـوت آلافـهـا
من بعـد عـقـد الألف سـفـر يسطر
بل ألف عنوان يتـوج عـاشـرا
وعـزيز مـخطوطاتهـا مـتكثـر
وأبى مـؤسـسـهـا بموجب حـفظهـا
إلا ادّراء للـذي قـــد يخطـر
فـأقـامـهـا بعـرينه مـرعـيـة
ترنو لهـا مُقلٌ عليـهـا تسـهـر

إلى آخر تلك القصيدة الطويلة التى كتبت بهذه المناسبة وهي فتح مكتبة آل النيفر للشيخ محمد لشاذلي النيفر لطالبي العلم ومريديه.

والقصيدة طويلة ناهزت المائة بيت على البحر لكامل.. وقد حياه بهذه المناسبة الداعي لكم بالخير ور الدين صمود بقصيدة قال في أولها:

يبـــارك فــعلك إذ ينكـــر
وفــضل نوي الفــضل لا ينكر
أيا شـيخ جـيل من القـاصـدين
شـبـابك في العلم لا يكبـر
وعـــزمك في كل علم، قــوي
يظل مـدى العـمـر لا يفـتـر
فـقـد كنت غـصنا لزيتـونة
بهـا يفـخـر الدهر إذ تنكـر

لمشكاتهـا ضـوء صـبح منيـر
ووجـه الزمـان بهـا أزهـر
تفـتح للسـائلين دروبا
ينورها فكرك النيـر
وتؤثر في العلم، من جـاء يسـعى
ولم تك بالعلم تسـتـأثر
لقـد ظل أسـتـاذنا بيننا
كـمكتـبـة علمـهـا يزخـر
ويفـتح مكتـبـة للعلوم
بشـتى تآليـفـهـا تفـخـر
تُهَوِّن فـيـهـا كنوز النضـار
ويبـذل في مـثلهـا الجـوهر

وأنشد في ذلك الحفل الشاعر محمد بن صابر قصيدة قال فيها:

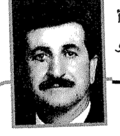
(اقـرأ) لتـغنم في كـتـاب بيـان
مـا قـد حـوته صحـائف العـرفـان
وانفض غـبـار تواكل وانهض إلى
روض أباح قـلائد العـقـيـان
يا عــز (بيت) للمكارم والندى
من (آل نيـفـر) كُمَّل الرجـحـان
البـاذلين نفـوسـهم والواهبين
نفـوسـهم للعلم دون توان

هذه كلمة عجلى صغيرة كتبت بسرعة عن رجل متأن كبير اهتم بالعلم لفترة طويلة من الزمن نشر كثيرا وترك كثيرا مما يحتاج إلى الاهتمام والجمع والتبويب والتعليق والنشر.

رحم الله الشيخ محمد الشاذلي النيفر الذي بذل حياته للعلم والمعرفة والعربية والاسلام .

الفن التصويري في قصائد خليل مطران

بقلم : د. بهيج القنطار
- سوريا -



الواقع أن الطبيعة الجديدة لتجديد خليل مطران تتركز في انه في مواجهته لبعض موضوعاته واجهها بروح جديدة تختلف عن الروح التي تعوَّد الشاعر العربي أن يواجه بها موضوعه. فلئن كان الشاعر العربي عندما يحاول تصوير احساسه بحادثة لا يقدم هذا التصوير لذاته، وانما يتخذه وسيلة لاهداف أخرى كدلالته على عظمة ممدوحه أو حقارة عدوه، أو يتخذه اداة للتوجيه الى الاخلاق والفضيلة، ولذلك لم يكن يعمد الى تصوير تفاصيل احساسه بالحادثة، ولكنه كان يقدم لنا في أبيات معدودة النتيجة التي استخلصها منها، أو يهدف الى المبالغة في تصويرها لتكون دلالتها على العظمة أو الحقارة أشد وأوقع.

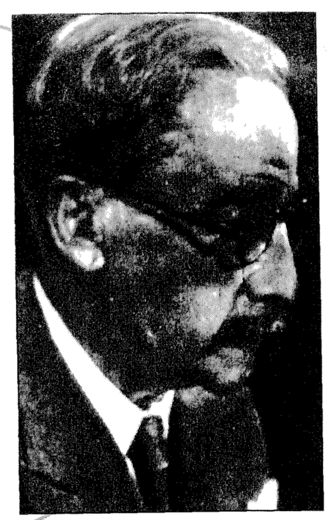
فإن الأمر في ذلك عند مطران مختلف، فقد حملته طبيعته المتأملة وحياديته على أن يقدم لنا الحادثة بتفاصيلها، فهو لا يجردها ولا يختصرها ولا يسخرها لهدف من الاهداف يدفعه الى المبالغة في تصويرها أو الخروج بها عن حدود واقعها، بحيث يمكننا أن نقول أن خلاصة التجديد عند مطران تتمثل في تحويله الشعر العربي من التجريد والخضوع المباشر للهدف، الى نوع من الحيادية في تقديم الصورة جعلت طبيعة شعره تختلف عن طبيعة الشعر العربي القديم وعن طبيعة شعر زملائه المعاصرين له، وقد تنبه مطران نفسه في حديثه عن شعره الى هذه الطبيعة التي يختص بها، وإن كان حديثه عنها غامضاً، فهو يتحدث عن محاولته التجديدية في الشعر فيقول[١]:

«على أنني اضطررت مراعاة للاحوال ألا أفاجيء الناس بكل ما كان يجيش في خاطري وخصوصاً بالصورة التي كنت أوثرها للتعبير لو كنت طليقاً فجاريت العتيق في الصورة بقدر ما وسعه جهدي وتطلعي في الاصول واطلاعي على مخلفات الفصحاء وتحررت منه وانا في الظاهر أتابعه بنوع خاص من الوصف والتصوير ومتابعة الغرض، وبهذه الطريقة مهدت للجديد قبولا في دوائر كانت ضيقة ثم اخذت تتسع الى وراء ظني وتسرف في الاتساع».

وهكذا نرى أن مطران يحدد محاولته لتجديد القديم في ذلك النوع الخاص من الوصف والتصوير الذي اتجه اليه.. ويصف الدكتور مندور ملكة مطران الشعرية بأنها ملكة تصوير قصصي[٢].

وتظهر هذه النزعة التصويرية واضحة في شعر مطران منذ بداية تكوينه الفني، فهو يقدم لنا في أول ديوانه قصيدة بعنوان (سنة ١٨٠٦ - ١٨٧٠) يصور فيها استيلاء نابليون على المانيا في سنة ١٨٠٦، ثم رد الالمان على هذا الغزو في سنة ١٨٧٠، وهو يحدثنا بأن هذه القصيدة كانت من اوائل القصائد التي انشدها في صباه وانه لذلك تردد في اثباتها في الديوان، ومع ذلك فهي تمثل نزعته التصويرية هذه اصدق تمثيل، فهو لا يبدأ القصيدة بالوعظ أو الارشاد أو

مطران حوّل الشعر إلى نوع من الحيادية تعامل مع الواقع ولم يقدم قصة شعرية أو ملحمة



خليل مطران

استخلاص النتيجة، ولكنه يواجهنا أول ما يواجهنا بصورة ارض المعركة واستعداد الجيشين للقتال بحيث تبدأ القصيدة هذه البداية:

مشت الجبال بهم وسال الوادي
ومضوا مهاداً سرن فوق مهاد
يحدي بهم متطوعين كأنهم
عيسٌ ولكن الفناء الحادي
لله يوم قد تقادم عهده
فيها وظل يروع كل فؤاد
يوم تجف لذكره انهارها
خوفاً ويجري قلب كل جماد
وإذا قرأنا وصفه فكأنه
بدم ذكي خُطَّ لا بمداد
وكأن نابليون في اشراقه
علم على علم الزعامة باد

ويستمر مطران في تقديم صور المعركتين الأولى والثانية بحيادية تامة، وكأنه لا يقصد بتصويره هذا ابراز أي إحساس أو انفعال ازاء المعركتين إلا تقديم الصورة نفسها.

ونزعة مطران التصويرية هذه هي التي جعلت الباحثين يبالغون في الحديث عن تجديد مطران، فأكثروا في الحديث عن كون مطران أول من ادخل القصص في الشعر العربي، بل أن الدكتور مندور في كتابه عن مطران عقد فصلا لشعر الملاحم والدراما عنده.

والواقع أن التقدير الحقيقي لشعره في هذه الناحية يمكن توضيحه اذا قلنا أن مطران اقتصر على أن يقدم لنا صوراً من الحياة فيها بذور القصة، وفيها صورتها الظاهرية، ولكنها لا يمكن أن تعتبر في الغالب قصة مستكملة لشروط القصة، كما انها من ناحية

اخرى لا يمكن ادخالها في باب الملحمة.

فما هي مصادر قصائد مطران التصويرية؟

مصادر قصائد مطران التصويرية:

اعتمد مطران في تقديم صوره على مصادر عديدة متنوعة بحيث نستطيع أن نقرر أن مطران لم يترك مصدراً من المصادر التي اتيحت له والتي كان في امكانه أن يستغلها إلا استغلها.. ويمكن تقسيم هذه المصادر الى عدة اقسام رئيسة:

١ ـ المصدر التاريخي:

وقد ساعد مطران على استغلال هذا الجانب ثقافته التاريخية التي نظن انها كانت واسعة متعددة الجوانب، ومما يؤيد هذا الظن أن مطران ألَّف كتابا سماه «الموجز في التاريخ العام». وهذا يدل على اتساع ثقافته التاريخية، وتكشف قصائده عن انه استغل التاريخ سواء القديم منه والحديث.

فهو يقدم لنا قصائد يستمدها من التاريخ الروماني مثل قصيدته «نيرون» كما يقدم لنا قصيدة يستمدها من التاريخ الفارسي القديم وهي مقتل «بزر جمهر» وكما استوحى مطران التاريخ القديم، كذلك استوحى التاريخ الحديث، ونجد شواهد لذلك في قصيدته عن «فرنسا والمانيا» التي سبق أن تحدثنا عنها، وكذلك قصيدته عن «نابليون الأول وجندي يموت» كما استمد بعض القصائد من الاحداث المعاصرة مثل «فتاة الجبل الاسود» و«الطفلة البويرية».

غير أننا نلاحظ هنا ملاحظة جديرة بالتسجيل قد تساعد على الكشف عن طبيعة مطران المسالمة، والتي تبتعد بقدر الامكان عن المزالق الخطرة، وذلك أن مطران اغفل في قصائده التصويرية التاريخ المصري سواء القديم منه والحديث إغفالا تاما، وما من شك في أن تاريخ مصر القديم حافل بالموضوعات التي تعتبر مصدراً غنياً لمطران أو لغيره، كما أن مطران عاصر كثيراً من الاحداث المجيدة والمحزنة في تاريخ مصر الحديث مثل ثورة ١٩١٩، ومأساة دنشواي، ولكنه لم يستغل شيئاً من هذا في اي قصيدة من قصائده التصويرية، مما يدل على أن مطران لم يكن يرغب في أن يفهم احد من قصائده اكثر مما يلزم، ويكشف ايضاً عن ضغط ظروف الحياة على الشاعر، فهي إن لم تجبر مطران على أن يقول مالا يريد فقد منعته من القول على الاطلاق حيطة وفراراً من التحسس لشيء.

٢ ـ الحياة الواقعية:

وكذلك استقى مطران قصائده من الحياة الواقعية من حوله، ولكن قصائده هذه لم ترتبط بالاحداث السياسية بقدر ما ارتبطت باحداث الحب والغرام، وتتضمن هذه القصائد احداثاً عاصرها الشاعر في شبابه في لبنان أو سمع عنها مثل قصيدة «فاجعة في هزل» أو «حكاية عاشقين» التي يقول الدكتور مندور «إنها قصة غرام الشاعر نفسه»، والكثير منها مؤلف من احداث عاصرها الشاعر في مصر مثل قصيدته «وفاء» التي يعترف الشاعر بانها قصة فتاة عوادة جرت في مصر، وحضر الناظم ختامها، ومثل قصة «الجنين الشهيد» التي يقدمها مطران بهذه المقدمة «هي قصة جرت في مصر وحضر الناظم وقائعها كما شهد حكاية العاشقين ووصفها بحقيقتها لتكون «تذكرة وعبرة» ومثل قصة «الطفل الطاهر والحق الظاهر» التي تقدم في الديوان مسبوقة بهذه المقدمة: «تزوج فتى اديب عاقل في مصر زواجاً شرعياً على مذهب مسيحي غير المذهب الذي ولد عليه لاسباب لا محل لتفصيلها هنا، فشق ذلك على رئيس المذهب الذي انتقل منه ذلك الشاب وبحث عن وسيلة للانتقام، فوجد نقصاً



في الصيغة التي تمَّ عليها ذلك الزواج وشـرع يقلق الحكومـة ويسـتـثـير الجمهور لنقض ذلك العقد، فاستشفع الناظم لدى ذلك الرئيس بمراحم الدين الحقيقي الذي علمه المسيح، وبكل ما يلين الجماد من المؤثرات الانسانية واستسمحه على الخصوص لجنين بريء يلحق به العار الخالد لو أبطل زواج والديه، فابى العاتي واصر على عناده، ثم نصر الله العدل وثبتت صحة العقد ورزق الفتى على اثر تلك المحنة غلاماً ذكراً آية في الجمال، فقال الناظم يهنيه ويشير الى قصته[٤].. وواضح من المقدمة أن الشاعر لم يعاصر الحادثة فحسب ولكنه شارك في احداثها مشاركة عملية.

والى جانب هذين المصدرين نجد خليل مطران يستقي من مصدر ثالث كان بعيداً عن استغلال الشعراء له، وذلك المصدر هو القصص الشعبي والاسطورة بحيث يمكن أن نقول أن مطران فتح بعمله هذا باباً واسعاً للشعراء من بعده، كان من الممكن أن يستغلوه احسن استغلال، والطابع الغالب على قصصه الشعبي هو طابع القصص التي كان يسمعها مطران وهو في شبابه بلبنان وتتمثل هذه النزعة في قصيدته[٥] التي يقص فيها حكاية شاعر نزل البادية واخذ يقص على ربابته الاحاديث الساحرة لفتيات الحي، وخاصة قصة الأمير «مهند» الذي خطب فتاة من بني حمد فرفض ابوها زواجها منه، فغزا قومها وتحدى الابطال للنزال واخذ يفتك بهم حتى برز له فتى منهم اخذ يحاربه حتى اوشك أن يقتله، وطلب منه الأمير العفو فعفا الفارس عنه ثم كشف عن وجهه فاذا به فتاته نفسها، فتعاهدا على الوفاء وتصافى القومان.

استهواه التاريخ فجاءت بعض قصائده راوية له الاسطورة الشعبية كانت واحدة من مصادر شعره

وكذلك في قصيدته[٦] التي يتحدث فيها عن بلدة هاجمها ذئب فتصدى له احد شبابها وقتله، ولكن الذئب عضه اثناء المعركة وفي ليلة عرسه اصابه الصرع فقيدوه بالسلاسل واتت حبيبته اليه فعضها وخنقها وهي مستسلمة ثم ماتا معاً.

اما الاسطورة الشعبية فكان ابرز ما استخدمه مطران منها الاسطورة الدينية، وهي تظهر بوضوح في تصويره لخلق حوَّاء من ضلع آدم، ولموقف العالم الذي حوّل اللبن في مأدبة الأمير الظالم الى دم.

هذه هي المصادر الرئيسية للصور في شعر مطران، ويظهر منها أن الخليل وضع بذور القصة التاريخية والقصة الواقعية والاسطورة الشعبية، مما يؤكد مكانته الممتازة كرائد في حقل التجديد في الشعر العربي، علماً أن العناصر الفنية لم تستكمل في هذا النوع من القصائد.

وبذلك ظلت محاولاته هذه اشبه بالقصائد منها بالقصص أو الملاحم.

الهوامش:

(١) **خليل مطران ـ مقدمة ديوانه ص ٨.**
(٢) **محمد مندور ـ الملكة الشعرية عند خليل مطران.**
(٣) **محمد مندور ـ محاضرات عن خليل مطران.**
(٤) **خليل مطران ـ مقدمة ديوانه.**
(٥) **خليل مطران ـ الديوان ـ الجزء الاول ص ٥٥ وما بعدها.**
(٦) **خليل مطران ـ الديوان ـ الجزء الأول ص ٨٨ .**

الثقافة السيكولوجية وانعكاسها على العمل الابداعي والديني

حقيقة إن الثقافة السيكولوجية بيئتها وبيتها بل تربتها عقل الانسان ووجدانه.. أيّا كان وفي أي مكان. وهي سلاح فتاك إذا ما أحسن استخدامه وتوظيفه.. لا تقل عن الحرب النفسية في خطورتها.. لأن طرفيها المرسل والمتلقي.. فالمرسل يصوغ رسالته وفق أسلوب فني ذكي ومكثف.. مرصع بالصورة والتعبير المختزل.. يعزف على أوتار ملأى بالانفعالات والتفاعلات.. والمتلقي كذلك يستقبل ويتلقى الرسالة بثقافة سيكولوجية يوظفها لفهم وتحليل ما يحيط به من ألوان الأدب وفنونه، وبين المرسل والمتلقي يكون التفاعل بحسب الرسالة ومضمونها.. فتارة يكون المد.. وتارة يكون الجزر.. وكلما كان الانسجام كان النجاح.. بل أزهرت الثقافة وأثمرت للفرد والجماعة..

(المنهل) التقت بنخبة من أهل الفكر والمعرفة.. ممن عُرِفُوا بالابداع.. فكان هذا الحوار الخصب:

الثقافة السيكولوجية والأدب القديم:

يقول الدكتور سليمان الازرعي:

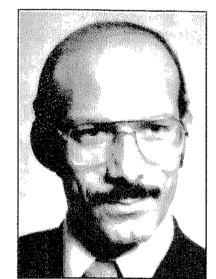
** باديء ذي بدء أعتقد بأن الأدب القديم لم يهمل الحقائق السيكولوجية، بدليل أن الكثير من الأعمال الابداعية بنيت على أساس فهم معمق للطبيعة البشرية، ويمكن أن نجد هذا الأمر يبرز بقراءة «الالياذة والأوديسا»، والكثير من الأعمال الأدبية العالمية والعربية أيضا بدليل: أن عددا من الأعمال الإبداعية في القرون الوسطى اكتسبت قيمتها الفنية من خلال عمقها السيكولوجي، ونظرتها في أعماق النفس البشرية، فلا زال العالم الى اليوم يناقش «هملت لشكسبير»، كما ناقش عقدة أوديب، تماما كما يناقش «يوليسيز لجيمس جوايس» ذلك الروائي الشهير، وبقية الكتابات الابداعية بأثر الثورة الضرورية في علم النفس، والتي ترتب عليها ظهور تيارات أدبية تقوم في الأساس على علم النفس التحليلي، وقد انتقلت عدوى هذه الثقافة وهذا التفكير السيكولوجي إلى أدبنا العربي المعاصر في مطلع الستينيات.

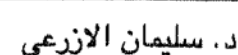
الثقافة السيكولوجية سلاح المبدع:

*** ترى ما دور علم النفس .. وما هي أدواته وخدماته للثقافة السيكولوجية؟**

يقول الدكتور الازرعي: لقد أغنى علم النفس التحليلي التجارب الابداعية، وخاصة في مجال الكتابات الدرامية، إذ مكن القاص والروائي والمسرحي وصانع الفلم السينمائي والمسلسل التلفزيوني من توظيف معارفه السيكولوجية لاستكشاف أبعاد نماذجه وشخوصه، مما أهله لمراقبتها ومتابعتها كنماذج بشكل دقيق، وأسند اليها أدوارها اللازمة في ضوء فهمه لأبعادها السيكولوجية، ولقدراتها على أداء تلك المهمات في مواعيدها.

حوار : محمد محمود السويركى
- الاردن -

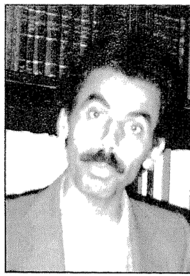




د. سليمان الازرعي



الشيخ عبدالرحيم عكور



د. محمود شلبي

المشاركون في الحوار

**** الدكتور سليمان الازرعي:**
- عضو رابطة الكتاب الاردنيين.
- عضو اتحاد الكتاب العرب.
- قاص وناقد أدبي.
**** الدكتور عبد الخالق ختاتنة:**
- استاذ مساعد علم الاجتماع/ جامعة اليرموك - الأردن.
**** الشيخ عبد الرحيم عكور:**
- من علماء الدين العاملين المهتمين بخطبة الجمعة.
**** الدكتور محمود الشلبي:**
- عميد كلية مجتمع بنات اربد ، شاعر وناقد.

فهي تنتحر اذا لم يعد بمقدورها مواصلة الحياة كنماذج، وتواصل حياتها منطلقة من أبعادها الشخصية، فتقتحم المخاطر بقانون سيكولوجي وتشعر بالجبن هنا وبالفروسية هناك، وتنهار وتتقدم بحسب مؤهلاتها النفسية التي أدركها المبدع فيها كنماذج.

إذن المبدع المسلح بثقافة نفسية في مجال القصة القصيرة يستطيع أن يحرك نماذجه وشخوصه في ضوء فهمه العميق بحركاته وأحداثه ايضا، كما يقف هو بالتحديد خلف نسيج العلاقات والتعارضات الناشبة في العمل الإبداعي.. ولهذا تلتقي نماذجه وشخوصه عند هذا الموقع وتفترق عند ذاك.. وإذا شئنا أن نتعمق في متابعة أبعاد هذه المسألة فسنرى بأن القاص المسلح بثقافة سيكولوجية معمقة تمكنه من فهم الطبيعة البشرية للإنسان ليقترب من الواقع.. وهو يرسم شخصياته عبر الحدث «والمنلوج» أو الحوار الداخلي والتعبير القصصي مقتربا من الواقعية بنسب طردية تتفق وفهمه السيكولوجي.. ولهذا نلمح الإسفاف والتبسيط والتسطيح في رسم الشخصيات وتصميم حركات القصة لدى الكُتّاب الذين يفتقرون إلى الثقافة السيكولوجية.

الثقافة السيكولوجية تربتها الأعمال الدرامية:

*** ربما يخطر في بال الكثيرين من عشاق الكلمـ**

ومحبي القلم، وما يفرز من ألوان في مجال العمل الابداعي.. أين يتواجد قلم الثقافة السيكولوجية.. ما هي بيئته وتربته.. أين راحته واستقراره؟.

**** الدكتور الأزرعي** يوافقنا بقوله على أن الاعمال الدرامية عموما ميدان خصب لتوظيف المعارف السيكولوجية واستثمارها في هذا المجال أكثر من غيره، ذلك أنها تنطلق في الاصل من الانسان منفردا كوحدة بشرية ومجتمعا في سياقه الاجتماعي، وهي بالتالي أقل توظيفا في الشعر من غيره من الأنواع الأدبية، رغم أن الشعر لا يخلو من النشاط السيكولوجي المعرفي وبخاصة القصائد التي ترصد تجارب فردية للمبدع، لأنها تنطلق في الاصل من الحس الداخلي الخفي للشاعر، أما القصائد المتعلقة بالقضايا العامة، كقضايا الأرض والوطن والمجتمع والبشرية، فيغلب عليها الجانب الخطابي، أي أنها تحمل وظيفة إقناعية.. فهي تعبر عن عناية الشاعر بمجتمعه ومحيطه العام، وليست تعبيراً عن حسه الداخلي بأزمته الخاصة بوصفه بشرا منفردا مطلقا ومستقلا في الزمان والمكان، ويبدو لي أن المسرح من أغنى الأنواع الأدبية في استيعاب المعارف السيكولوجية، لأنه يقوم في الأصل على الصراع وتعارضات النماذج البشرية في البنيان الاجتماعي.

*** هل العمل الابداعي بمقدوره تشويش النموذج البشري سيكولوجياً؟**

** إذا سلمنا بأن الإبداع هو سبيل المبدعين بصدد بحثه عن قنوات تفريغ شحنته الانفعالية من أجل استعادة التوازن، بمعنى إذا سلمنا أن الابداع إشقاء المبدع في قلقه فلكل مبدع لون من ألوان القلق، وقد يكون هذا القلق اجتماعياً بمعنى قد يكون هماً قومياً أو وطنياً أو عقائدياً أو اجتماعياً، وبالتالي إذا تحول المبدع إلى عبد لهمه، فلربما يتحول العمل الابداعي تحت ضغوطات وإلحاح منطق وظائفية الأدب إلى مطية للهم الذي يؤرق المبدع ويقلقه، وهكذا يتنازل المبدع عن فهمه السيكولوجي وثقافته النفسية في تصميم شخصياته لصالح وظائفية الفن، ويتم ذلك على حساب المنطق العلمي لتصميم الشخصيات، فإذا بنا نرى النموذج البشرى أو البطل يجترح المآثر العظيمة وهو غير مؤهل للقيام بها كنموذج بشري، أو يعلن توبته في القصة، بعد أن ارتكب المعاصي رغم أن بناء الشخصية في مجمل العمل وطبيعتها النفسية لا يجيز للمبدع إجراء مثل تلك الحركة، وهكذا يقتحم المنطق الوظائفي للأدب أو الابداع في العمل الابداعي ويحطم نظامه وتصميمه لصالح المنطق الاجتماعي.

علم الإجتماع والثقافة السيكولوجية:

*** علم الاجتماع هو علم دراسة المجتمع ودراسة المشكلات والظواهر الاجتماعية بأسلوب علمي.**

**** يقول الدكتور عبد الخالق الخناتنة:** إن ثقافة الأمة.. أية أمة تكون ناقصة ومجزأة بل مبعثرة، ما لم تكن أصيلة أو نابعة من الواقع الاجتماعي الذي ينتمي اليه الكاتب. فالمثقف، إن لم تكن ثقافته مرتبطة بواقع المجتمع.. فثقافته مزيفة هزيلة.. لذا فعلى المثقف والكاتب التفاعل مع وطنه ومجتمعه كي يكون مبدعاً.. وإلا.. فلا .. فالتواصل الروحي يجب تواجده بين الكاتب والمتلقي.. فالمسلسلات مثلا.. لها قيمة عالية، لأن موضوعها يحاكي ويعالج مسألة اجتماعية تعالج الواقع الاجتماعي، والقصة مثلا يجب أن تعالج واقع الفرد والمجتمع، ولذلك فعلى الكاتب

نجاح الكاتب في المنظور الاجتماعي.. يعني سعة الثقافة والربط وحسن التواصل والتسلسل



أن يكون متعدد المواهب وقادرا على الوصول للمتلقي أياً كان.

المبدع بمنظور علم الاجتماع:

يرى الدكتور ختاتنه: أن من صفات الكاتب الناجح والمبدع بمنظور علم الاجتماع، سعة الثقافة والقدرة على الربط والتوصيل المتقن بشكل متسلسل.. وكذلك فإن الانسان أو الكاتب المعاني اقدر على التوصيل.. فالمعاناة هي أم الابداع.

ايضا على الكاتب أن يرتبط بالقضايا الأساسية للوطن والأمة، مع المقدرة على البحث والايصال للأفكار.. المزينة بالحوار المقنع للآخرين.

المجالات التي يعالجها علم الاجتماع:

إن المجالات التي يعالجها علم الاجتماع واسعة ومتعددة وأبرزها ما يلي:

- دراسة الجماعة والمجتمع، حيث أن فهم المجتمع يفيد الدراسة العلمية والتعرف عليها، وكذلك التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية والسلوك الاجتماعي والظواهر الاجتماعية.

ميزات خطيب المسجد:

أما فيما يخص الجانب الديني من هذا الموضوع يقول فضيلة الشيخ عبد الرحيم عكور:

إن خطيب المسجد هو صاحب رسالة ويتبنى فكر هذه الرسالة، وعليه أن يضع نفسه موضع صاحب الرسالة الحريص على التبليغ للناس من خلال أي عنوان يختاره، لذا عليه أن يحاول سكب قناعاته الروحية وعاطفته على الناس الذين يخاطبهم.. كي يتأثر شخصيا قبل أن يُقنع غيره.

فالميزة الأولى: هي أن خطيب المسجد صاحب فكر ورسالة، يبلغها للناس بمقدار انفعاله وانسجامه يستطيع نقلها للناس.

أمّا القضية الثانية: فإن الخطيب ليس مجرد مبلغ وإلا كان صدى للصوت، فالحق تبارك وتعالى قال في كتابه من خلال الرسول عليه الصلاة والسلام {**يا أيها النبي إنّا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا**} (الاحزاب/٤٥) أنه هداية وليس مجرد مبلغ، فالهداية قضية ربانية وليست موقفا من المواقف تنتهي عند حدود، وإنما هي قضية متجددة متنامية كتطور الفكرة التي يحملها الخطيب.

أما القضية الثالثة: فهي موضوع القناعة.. القناعة في موضوع الخطيب، فإذا لم يكن متأثراً حقيقة وتأثيره مرتبط بقناعاته، فإنه لا يستطيع أن يتفاعل مع الفكرة التي يريد طرحها أو إيصالها.. وبالتالي فإنه يمكن أن يكون الخلل فيه وليس في السامع.. لأن السامع متلق، وبمقدار استطاعة الخطيب أن يضرب على الأوتار المؤثرة في نفس السامع أو المتلقي.. بمقدار نجاحه في رسالته.. فالأوتار المحركة للسامع هي المشاعر والعواطف والعقل.. فيربط السامع بتاريخه ورسالته وبواقعه، عندها يتأثر المتلقي وينفعل ويستجيب لتوجيهات الخطيب.

الداعية المسلم لا يستغني عن الثقافة السيكولوجية لأن النفس قضية أساسية في دين الله تعالى

ضرورة الثقافة السيكولوجية للداعية المسلم:

يؤكد الشيخ عبد الرحيم عكور بقوله: حقيقة أن الداعية لا يستغني عن الثقافة السيكولوجية وذلك لأن النفس قضية أساسية في دين الله تعالى، فالله سبحانه ربط التغيير بالنفس، وعمليات التغيير كثيرة

منها، التغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي والنفسي وغيرها.. فقال تعالى: {**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**}. فعندما نأخذ هذا النص القرآني فإنه لا يعني إلا البحث بأغوار النفس والتعرف على واقعها والتعرف على المؤثرات التي يمكن أن تؤثر بهذا الواقع النفسي للإنسان، فلابد أن يكون الداعية المسلم ملما بما يحرك النفس الأمارة والمطمئنة، والقرآن الكريم غني ثريّ بتوجيهات النفس الإنسانية قبل ظهورها على سلوك الإنسان وواقعه.

وعند الحديث عن النفس وحياة الانسان فلا نستطيع الفصل بين النفس والروح، فمعرفة النفس بأبعادها قضية أساسية في دين الله تعالى، لأن الانسان مجموعة انفعالات وهي مؤشرات على نفسيته، وسلوكه في الغالب هو أثر من طبيعة النفس الإنسانية.. لذلك اهتم الاسلام بالنفس ودراستها ومعرفتها تماما كما هو الحال عند الخطيب - خطيب المسجد - ليعرف كيف يؤثر بنفسية المخاطب.

والإسلام جعل التغيير للأفضل هو الأساس، والتغيير للأفضل لا يتم الا بتغيير النفس، فحتى تُحول النفس الأمارة إلى نفس لوامة فأنت ترتقي بها بدل الانحراف، فتروضها الى مرحلة النفس اللوامة.. فالنفس الأمارة في الأصل إذا لم يكن للانسان دين أو خلق رادع، فحياة الإنسان في خطر.. فيأتي الشرع الرباني لينقذ الانسان من نفسه، لذا يمر الانسان في عدة مراحل حتى يصل بنفسه الى مرحلة النفس اللوامة المنقذة والمهذبة دائماً ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام «لو لم تخطئوا فتتوبوا، لخلق الله أناسا يخطئون فيتوبون ليغفر لهم».

فحديث الرسول عليه الصلاة والسلام: «أعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.. الحديث» يشير الى الرقابة الذاتية مع الله وهو الوصول للعبودية المطلقة، وأن يعيش الانسان في كنف الله، فإنْ لم يستطع المسلم الوصول إلى ذلك، فالحد الأدنى عنده هو عبادة الله.. (كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فقال تعالى: {وهو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}.

ثم يأتي المسلم الى مرحلة المطمئنة فيصبح راضيا غير متبرم بالحياة.. يرضى بقليلها وكثيرها.. لانه على يقين أن كل ما يصيبه من الله، لذلك فهو مطمئن لأنه لم يكن ليخطئه، وإذا ما أخطأه لم يكن ليصيبه، فالأمر عنده سيّان في السرّاء والضراء.. فهو صاحب نفس مطمئنة وهي أعلى درجات يصلها الانسان المسلم.

الإيقاع الرباني في فطرة الإنسان:

وعن أثر الإيقاع الرباني في فطرة وتركيبة الإنسان **قال الشيخ عبد الرحيم عكور:** الإيقاع الرباني قضية تتعلق بالفطرة، فالله سبحانه خلق الإنسان على الفطرة.. وهي البراءة من أي عيب.. فنفس الإنسان في الأصل بيضاء نقية، حيث ورد في الحديث «يولد المولود على الفطرة» فتأتي المؤثرات الخارجية، كالأبوين.. فهما يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه، فالفطرة هي النفس الصافية، والبيئة الخارجية هي التي تحرفها أو تعمل على استقامتها.

فالآيات تقول: الانسان صنع الله، والآيات القرآنية كلام الله سبحانه وتعالى وكلام الله في أصله ينسجم مع خلقه.. إذاً فلا تنافر بين كلامه وخلقه.. وبالتالي فالآيات الكريمة حينما تتنزل على النفس فإنها تتنزل على الفطره.. ولذلك فالمجتمع المكي عند نزول القرآن الكريم، احتار في تأثيراته وإيقاعاته، رغم أن القرآن هو لغة العرب أهل الفصاحة والبلاغة والبيان.. لكنه أعجز الجميع وحيرهم بأثره النفسي، فلم يحاولوا مواجهته، والله سبحانه وتعالى يقول: {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله}.

الثقافة السيكولوجية وخطيب المسجد:

الشيخ عبد الرحيم عكور قال: ينبغي لخطيب المسجد ربط الناس بفكرتهم الاساسية عن الاسلام، وربط واقع الناس بالدين، مع القاء الاضاءات المستمرة عن رأي الدين في مختلف القضايا.. لذلك يبقى رأي الخطيب مفسرا للواقع من خلال عملية الربط.. **ويضيف الشيخ العكور بقوله:**

أولاً : يحتاج الخطيب إلى أن تكون صلته بالله تعالى صلة متميزة، بمعنى أنه يستشعر أنه ينقل عن الله تعالى لخلقه.

ثانياً: أن يكون الخطيب ممتلئاً بالقناعة بدور هذا الدين ورسالته في واقع الحياة.

ثالثاً: يجب عليه أن تكون ثقافته مستوعبة لكتاب الله عز وجل، وأن يكون ملما بعلوم القرآن من حيث الناسخ والمنسوخ، بل وكل دقائق اللغة، وأن يكون على دراية واضطلاع بسيرة الرسول عليه السلام وخطب الرسول بشكل خاص باعتباره القدوة والمثل الأعلى، فدراسته للسيرة تُعدّ عنصراً هاماً من عناصر القدرة على التأثير.

وهنالك قضايا مكتسبة وأخرى موهوبة.. والموهوبة مثل الصوت والقدرة على الاقناع فهي من الله سبحانه وتعالى.

أما المكتسبة، فهي الجوانب الثقافية السابقة وكذلك المعرفة بالواقع لأنه أهم ما يحتاجه الخطيب.

الثقافة السيكولوجية وأثرها على الشعر:

الدكتور محمود الشلبي يقول في هذا الموضوع:

لا تنفصل العملية الابداعية في مجال الشعر عن الأبعاد السيكولوجية ولا سيما الثقافة لدى الشاعر المبدع، ذلك أن الفن خبرة، وهذه الخبرة الممثلة في حالة الابداع الشعري منبثقة من ذات الشاعر، ومعبرة عن حالاته وتحولاته النفسية والاجتماعية على حد سواء..

إن انعكاسات الثقافة السيكولوجية في وجدان الشاعر، تؤدي إلي نتاج إبداعي نابع من الحالات الشعورية واللاشعورية، ومتولد من ظلال الحلم.. وتوترات الذات الانسانية التي تلون عملية الابداع بهذه الدوافع.. ويضيف الدكتور الشلبي بقوله: إن الظلال النفسية للمبدع شاعراً كان أم فنانا.. لا تنحسر إطلاقا عن مادة الابداع هذه.. بل إن كثيرا من هذه الدراسات الأدبية والنقدية تناولت شعر الشعراء من المنظور النفسي.. وهكذا فإن الثقافة السيكولوجية تنعكس بتفاصيلها واشيائها على مرآة الإبداع الشعري، ذلك أن النتاج الشعري هو حالة من حالات الانفعال، بل هو كما يقول النقاد «صدمة انفعالية» تتولد في ذات الشاعر، وتمتد الى الخارج تماما كمن يلقي حجرا في بركة ماء.. إذا لا يلبث هذا الحجر أن يترك دوائر تنداح وتتسع لتمتد الى الخارج.

مفهوم الثقافة السيكولوجية:

كيف يفسر الشاعر الدكتور الشلبي الثقافة السيكولوجية؟

حقيقة تمثل الثقافة السيكولوجية.. كل ما يتصل بالذات المبدعة من مؤثرات وروافد نفسية واجتماعية.. سواء أكان مصدرها الذات.. أم الآخر، سواء أكانت نابعة من النفس المبدعة.. أم متأتية من إشعاعات خارجية تصب في الذات وتؤثر فيها.

إن مجمل القضايا الإنسانية تدخل في مفهوم الثقافة السيكولوجية، فهي حصيلة تختزنها الذاكرة المحتشدة بالرؤى

الثقافة السيكولوجية هي كل ما يتصل بالذات المبدعة من مؤثرات نفسية واجتماعية سواء أكان مصدرها الذات أم الآخر

المبدع المسلح بثقافة نفسية في مجال القصة يقف خلف نسيج العلاقات والتعارضات الناشبة في العمل الابداعي

إذا أصبح المبدع عبداً لهمه.. تحول العمل الابداعي الى مطية للهم، يؤرق صاحبه ويشغله عن وظيفته

ثقافة الأمة ناقصة ومبعثرة.. إن لم تكن نابعة من الواقع الاجتماعي للكاتب الأعمال الابداعية تكتسب قيمتها الفنية من العمق السيكولوجي ونظرتها في أعماق النفس البشرية

النتاج الشعري «صدمة انفعالية» تتولد في ذات الشاعر ولذاته وللآخرين من حوله

والأحلام والانفعالات والتجارب والتوترات، إضافة الى سمات الشخصية، وسمات المزاج المنطلقة من الدوافع النفسية والوجدانية بشكل عام.

إن خلق جو من التوازن بين مدركات العقل والعاطفة.. ووجود حالة من الائتلاف والاختلاف بين مطالب الذات والآخر.. تولد طقسا نفسيا يشكل حالة جديدة هي الصورة الجوانية للشخصية المبدعة.

الشاعر والثقافة السيكولوجية:

ماذا عن ثقافة الشاعر السيكولوجية كي يصل الى القارىء أو المستمع؟

ومن رأي الدكتور شلبي: أن الشاعر حالة منفردة من الإبداع، وصورة مدهشة من صور التألق الإنفعالي، أساسها الصدق الفني والعاطفي، والوعي الاجتماعي معا.. وبدون هذا الصدق وهذا الوعي يبقى الشاعر في جهة والمتلقي في جهة أخرى.. إن قدرة الشاعر على امتلاك أدواته الفنية: من لغة وموسيقى وصور، ومشاعر، وأفكار.. كل هذه الأدوات هي وسيلة الشاعر التعبيرية للتواصل والتفاعل مع المتلقي شريطة أن تتمازج وتتناغم في حالة انفعالية متوهجة، أشبه ما تكون بحالة «التنوير» لدى الصوفيين.. لذا فإن ذوبان الشاعر في موضوعه وانسجامه معه يدفع العمل الفني إلى الانبجاس في سماء الفن والابداع.. كما الشلال المتصاعد الى أعلى.

وعندما يتمكن الشاعر من اصطياد المتلقي بشبكة التأثير والانسجام، فإن استجابة من نوع ما ستكون هي الأقوى على ربط كل من المبدع والمتلقي في حبل سري.. تسري فيه مادة الإبداع بلا انقطاع.

وكذلك فلابد للشاعر من ثقافة متنوعة .. ومتعددة .. ومتعمقة .. ومتجددة.. ليتمكن من التواصل مع مجتمعه، وجمهوره، وفنه.. فحالة الإبداع ليست إلهاما وحسب، بل هي ثقافة متراكبة ومتراكمة ومتنامية دائما.

لماذا يشترط بالشاعر الثقافة السيكولوجية؟:

يشير الدكتور محمود الشلبي بقوله:

بغير الثقافة السيكولوجية، سيطرح الشاعر خارج ذاته، ولا يكوّن نفسه.. بل يتحول الى ظل باهت لنفسه أو للآخر، إن سمات الشخصية الإبداعية، هي نتاج الثقافة السيكولوجية الفنية بمصادرها وعناصرها ومعطياتها.. التي تنفخ في القصيدة روحا حية، وتهبها حيوية متجددة مع الزمن.

والثقافة السيكولوجية عنصر أساسي من عناصر إثراء هذه الشخصية المبدعة.. ورافد من روافد الفن.. ذلك أن الفن هو خبرة، وهذه الخبرة نتاج ثقافة ذات جوانب نفسية واجتماعية وإنسانية.. إن الوعي النفسي والتوهج العاطفي.. والثقافة المتنوعة من العوامل التي تدخل الشعر الى نار التجربة الابداعية في عملية التطهير.. والصفاء والتألق.. وهكذا فإن مشاركة الآخرين للشاعر في مشاعره وأشعاره.. هو



اندماج بين طرفين أساسيين لعملية الإبداع والتذوق.

ما هي عناصر الثقافة السيكولوجية في المقطوعة الشعرية؟:

هل المقطوعة الشعرية عناصرها الثقافية خاصة بها أم تتفق مع غيرها من النصوص الأدبية؟ .

الشاعر الدكتور محمود الشلبي قال: الإبداع شعراً كان أم نثرا أم أيّ فن آخر.. هو استجابة غير عادية لدواعي النفس.. بل إن الابداع غالبا ما يصدر كما يؤكد «روجرز» عن ميل لدى الانسان لتحقيق الذات.

وهكذا فإن عناصر هذه الثقافة تبدو في قدرة الشاعر على المزاوجة بين المفردة اللغوية ودلالتها النفسية والمعنوية.. وبين الصورة الشعرية.. وظلالها الوجدانية والانفعالية.. وبين إيقاع القصيدة من جهة.. والأبعاد النفسية للشاعر من الجهة الاخرى.. ولعل كل هذه العناصر تصب في الذات الشاعرية المبدعة لتصوغ عملا فنيا متكاملا هو القصيدة.

*** يقال إن الايقاع النفسي في النثر أقوى منه في الشعر وفي المسرح أقوى منه في الخاطرة.. كيف ترد على ذلك؟.**

**** الشاعر الدكتور الشلبي قال:** لست على وفاق معك في هذا الطرح.. ذلك أن الايقاع النفسي في الشعر يصل الى ذروته وقوته.. بسبب توترات النفس .. وتوهجات المشاعر.. ذلك أن الايقاع في القصيدة هو نبضها الساخن، وكينونتها الملأى بالانفعالات المؤتلفة والمختلفة، التي تكون إيقاع الابداع الشعري، المشحون بموسيقى داخلية وخارجية، مبعثها توافق الكلمات واختلافها.. وما بينها من تضاد وتجانس.. إضافة الى نظام الفواصل في الجملة، وما تحققه من توازن وانسجام.. يعزز كل ذلك الوزن الموجود في الشعر والمتمثل في وحدة التفعيلة، كما هو الشأن في الشعر الحر.. أو وحدة البحر، كما هو الشأن في الشعر التقليدي أو العمودي، إضافة الى ما في القافية المستجيبة لدواعي النفس من تأثير في خلق جو إيقاعي غنيّ، لذا فإن الإيقاع في الشعر قوي وغني، ومكثف بسبب قدرة هذا الفن الشعري على الايجاز، والاختزال والتصوير، والتعبير، وكلها عوامل فاعلة في تعميق الايقاع وتصعيده إلى حالة خاصة في الشعر.

ماذا نعني بالعمل الابداعي وما هي مصادره؟:

يعلق الشاعر الدكتور محمود الشلبي بقوله: إن العمل الابداعي تعبير حيّ وخالد، يمثل التقاء حاجات المجتمع.. والانسانية بعامة، والعمل الإبداعي في جوهره، عملية مركبة ومعقدة وغامضة، تحتاج غموضها الشفاف من أعماق النفس.. ومن ثقافة واسعة لا تتوقف ولا تنتهي.. قد يكون مصدرها المادة المقروءة.. أو التجارب أو الخبرات.. أو الأسفار.. أو المعاناة أو الحلم.. أو الشعور الفردي والجمعي.. أو حالات اللاشعور ضمن دائرة الوعي واليقظة.. أو ربما كل هذه العناصر مجتمعة.. تمتزج معا لتمد الفنان بثقافة لا غنى عنها.

ويضيف الدكتور الشلبي بقوله: ويكمن نجاح العمل الابداعي في قدرة الفنان على توظيف هذه العناصر في مادة العمل الابداعي.. ليخرج ناضجا مكتملا.. يمتلك خاصية التأثير والدهشة والخلود.

وهكذا فإن اتحاد الشكل بالمضمون، في العمل الابداعي هو دليل ثقافة سيكولوجية.. تمكن الفنان من هضمها وتمثلها واحتوائها فنيا في عمله الابداعي.

وبعد .. فلابد من القول إذن: أن الثقافة السيكولوجية هي مطية.. بل فلسفة لابد منها لكل من يريد احتراف وامتهان العمل الابداعي.

وهي سلاح فتاك ميدانه العقل والوجدان.. فإذا ما أحسن توظيف القلم واللسان في التعامل مع المتلقي.. ارتقى العمل واعتلى ليصل المجد والذرى.. لثقافة سيكولوجية تنعكس على العمل الابداعي في مختلف ميادينه وفنونه.. وبالتالي تخدم الانسان.. فكراً وروحاً وحضارة.

التحليل الجغرافي واء

يعرف مفهوم العلاقة بين التدخل البشري والبيئة تحولات جذرية انطلقت منذ الستينيات، فحتى ذلك العهد سيطر الفكر العلمي المتفائل الذي يدعي بأن الانسان قادر على استصلاح الأرض واستزراعها بحيث كانت تعتبر التهيئة المجالية مسألة تجهيز رؤوس أموال كافية واستعمال تكنلوجيا متقدمة ومتكيفة فحسب.

لكن منذ الستينيات تحول هذا الفكر، منذ أن بدأت تظهر بوادر الازمة الاقتصادية والبطالة، ومنذ أن اتضح أن الثروات الطبيعية محدودة وأن بعضها غير قابل للتجدد، وأن التدهور وسوء التدبير كل هذا يجر إلى انقراض هذه الثروات، فظهر مفهوم أكثر تشاؤما، بل برزت ردود فعل ربما مبالغ في بعضها تنادي بالعيش على الفائض الذى تنتجه الارض وحده دون المساس بالثروات غير المتجددة أو القابلة للاندثار.

كذلك تحول مفهوم المجال الذي اتضح انه اطار لحياة البشر، وعبارة عن نظام، كل تدخل فيه يؤدي إلى انطلاق العديد من التفاعلات وردود الفعل بعضها قد يتخذ صبغة الخطورة، من هنا تأتي فكرة الاستصلاح المندمج للمجال المعتمد على دراسات سابقة مدققة.

هذه الآراء حول التفاعل الدائم بين مختلف المؤشرات ضمن الأنظمة البيئية المعقدة، أدت الى بروز فكرة العمل الموحد غير المجزأ فيما بين المتخصصين المختلفين وهكذا ظهر أن الجغرافية الطبيعية تحتل موقعا خاصا بين علوم الطبيعة والإنسان وتعتبر موافقة لهذا الغرض التركيبي لأنها علم يشمل كل الجوانب الطبيعية في علاقاتها مع النشاط البشري والإقتصادي ويسمح إذن بتقويم مختلف عناصر الوسط وتحديد إمكانات استعماله واستغلاله.

وهكذا اصبح الجغرافيون يشاركون مشاركة فعالة في بعض مشاريع التنمية والتهيئة الجهوية إما كطرف مسؤول عن قطاع خاص في المشروع أو كمنسقين مكلفين بربط العناصر فيما بينها، لكن تبقى هذه المشاركة رغم ذلك محدودة.

تقويم دور الجغرافيا في الدراسات الهادفة إلى التهيئة:

إذا حاولنا تقويم دور الجغرافيا في هذه المشاريع وفعاليتها في ميدان التهيئة، مع تحديد القسط الذي يمنح للتحليل الجغرافي ضمن الدراسات التي تقام عند تخطيط كل مشروع وتهيئته فإننا سنجد أن هذا القسط يختلف حسب تفهم المسؤولين عن المشروع لموضوع الجغرافيا واهتماماتها (العوينة ١٩٩٢).

في الغالب هذه المشاريع مهيأة من طرف اداريين وتقنيين يقدرون جيدا عطاءات علوم مثل الجيولوجيا والطبغرافية والتربة والسوسيولوجيا والاقتصاد، لكن ربما يجهلون الى حد المدلول المضبوط والميدان الخاص بالجغرافيا وخاصة مدلول

بقلم : د. عبدالله العوينة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ الرباط ـ

ـداد الاراضي

بعض تخصصاتها الدقيقة، مثل الجيومرفلوجيا، ولذا كثيرا ما يبقى دورها متقلصا في هذه المشاريع.

فهناك أولا المشاريع حيث البعد الجغرافي بل البعد البيئي كله غائب أو محدود جدا، كمثل التصاميم المديرية للتعمير الحضري التي تعتبر تصاميم تعطي الخطوط الكبرى لنمو التجمعات الحضرية ومجال تأثيرها المباشر، خلال مرحلة مستقبلية مقدارها حوالي عشرين سنة، وتتضمن اختيارات حول مواقع ومجالات امتداد المدينة كما تهدف الى حماية عدد من المواقع الطبيعية واخيرا اختيارات حول التجهيزات الكبرى، معناه أن حقل التحليل هو في نفس الوقت الوسط البشري والبيئة الطبيعية.

ومع ذلك فإن جل التصاميم التي تم اعدادها لا تضم ولو حتى الخرائط الجيوتقنية أي خرائط مؤهلات الأراضي التي تعتبر الحد الأدنى للدلالة على حضور واستغلال معطيات من العلوم الطبيعية في مرحلتي الدراسة والتهيئة، بل كثيرا ما نجد المجموعة العلمية المكلفة بتهيىء المشروع تضم فقط مهندسين ومختصين في بعض العلوم الانسانية

الى جانب هذه المشاريع حيث الاهتمامات البيئية تبقى محدودة هناك مشاريع حيث البعد الجغرافي واضح، وهي كل المشاريع المتعلقة بصيانة الاراضي مثلا أو بتجهيز بعض المناطق ذات البيئة الصعبة كالجبال أو الصحاري، وبعضها مشاريع جهوية واخرى عامة أكثر تهم المستوى الوطني باكمله (تريكار وكليليان ١٩٧٩).

ونأخذ كمثال مشروع تشجير يقصد الصيانة ويهدف الى ايقاف مسلسل التصحر في سهل

الكاتب في سطور

- مدير ابحاث الجغرافيا الطبيعية والبيئة.
- رئيس جمعية الجغرافيين الافارقة.
- منسق كرسي التنمية المستديمة والبيئة التابع لليونسكو بجامعة محمد الخامس.
- استاذ الجغرافيا/ كلية الآداب والعلوم الانسانية - الرباط - .

*** له من الابحاث:**

- التعرية والاستصلاح الادماجي للأحواض النهرية.
- الخرائط البيئية.
- التمثيل الكرطوغرافي للدينامية البيئية في السهول المتوسطية.

كرسيف، بالمغرب الشرقي، لقد اقيمت ضمن هذا المشروع دراسة جيومرفلوجية حقيقية سمحت بسرعة بتحديد المجالات حيث تتوفر حظوظ نمو الاشجار في بيئة قاحلة، وذلك اعتمادا على ثلاثة مؤشرات:

- **أولا:** سمك ونوعية التكلس الذي يظهر في التربة ويحدد بالتالي عمق المسكة الهشة القابلة للغرس وصلاحية هذه المسكة.
- **ثانيا:** توفر أو عدم توفر تغليفات فتائية دقيقة ومرنة فوق مسكات الحصى المتكلس والمتصلب.
- **ثالثا:** مدى تراكم الماء داخل التربة والتكونات السطحية باعتبار انه في حالة التراكم المطلق، تتوضع في التربة بعد التبخر املاح ضارة.

اعتمادا على هذه المؤشرات المختلفة يتم تقسيم المجال الى ثلاث بيئات، لكل واحدة منها خصائصها المحددة:

- حادورات قديمة حصوية ومتصلبة، يصعب

استغلالها من أجل التشجير بسبب رداءة أتربتها.

- سفوح اتصال بين الهضاب والمنخفضات، تربتها متوسطة السمك، قشرتها هشة وتغلفها دقة.

- منخفضات واسعة، تربتها دقية وعميقة، لكن يتم تركز الاملاح بها بسبب تراكم الماء داخل الدقة رديئة التصريف.

وإذا تناولنا مشاريع إعداد الغابات في جبال الاطلس مثل مشروع تهيئة غابات الأرز، فإننا نجد في القسم الأول من الدراسة، فقرة مطولة عن البيئة وبالضبط البيئة الترابية كما تتضمن معلومات عن الجيولوجيا، من بينها خريطة صخارية تشير الى درجة تفسخ صخر الدولومي وخريطة للتكونات السطحية تضبط سمكها، والواقع أن لهذه المعطيات درجة مرتفعة من الأهمية فيما يخص خطوط تجذر اشجار الأرز، رغم ذلك لا نجد اثرا لدراسة دينامية للسطح وحركية المواد الفتاتية والمحلولة بينما تمثل هذه إشارة واضحة لاستقرار السطح أو عدم استقراره.

التحليل الجغرافي للأراضي ودوره في إنجاح برامج التهيئة:

لقد تعددت التجارب الهادفة الى تهيئة الأراضي الجبلية منها: مشاريع الريف المختلفة الهادفة الى الحد من فيضان الماء وانجراف التربة وهجرة البشر، ومشاريع الأطلس المتوسط التي تهدف الى تهيئة المراعي وتحسينها مثل مشروع أزيلال الخاص بتنمية منطقة فلاحية فقيرة، هذا، بالاضافة الى المشاريع الاقليمية والمحلية.

هناك كذلك مشاريع قطاعية متعددة كالمشروع الغابوي، والتصميم الوطني للتشجير ومشروع حماية حقينة السدود والتي أسست من اجلها مراكز جهوية للاعداد، كل واحد منها يخص حوض تصريف نهر من الانهار الكبرى للمغرب.

ومع ذلك فإن نسبة نجاح هذه المشاريع تبقى متواضعة، والسبب الرئيسي يكمن ولا شك في تجاهل معطيات اجتماعية أساسية، كما تتدخل عوامل مؤسساتية كالثقل الاداري للمشاريع وعدم توافق الجانب المؤسساتي مع الغاية والهدف من هذه المشاريع.

لكن في بعض الحالات، قد يعزى هذا النجاح الضعيف لتجاهل بعض المعطيات البيئية الاساسية، أو لعدم فعالية المناهج المتبعة في التحليل السابق لتصميم التهيئة.

واعتمادا على هذه الملاحظة، سوف نحاول - في هذا المقال - اثبات الدور الذي يمكن أن يلعبه تحليل جغرافي في دراسة ترمي الى اعداد منطقة جبلية مع تحديد ايجابيات هذا التحليل.

البعد المجالي للتحليل الجغرافي:

في تحليلنا سوف نعتمد على المثال التالي:

سهول قدم الجبل والسهول الاطلنطية في المغرب، هي المجالات التي تعرف اسرع التطورات على مستويي المشهد الزراعي والتمدين، فقد بقيت مجالات استعمالها البشري دون مؤهلاتها حتى بداية القرن العشرين، ومنذ التعمير الاوربي عرفت تطورات سريعة تتمثل في استغلال الاراضي، وامدادها بالماء السقوي، ونمو مراكز تجارية ومدن فصارت مناطق آهلة بالسكان، اساسية من حيث انتاجها، وحياة التواصل التي تنمو بها، والتجهيزات التي تتلقاها (العوينة، ١٩٩٠).

هذه التطورات كان لها ولا شك آثار بليغة على بيئة هذه المناطق، خاصة على ثرواتها الترابية والمائية والنباتية، ولا شك أن التهيئة التي تسعى الى تقويم النزعات البيئية السالبة، والى إعادة تنشيط ما تدهور من الموارد، تنبني على تحليل دقيق للمعطيات المجالية.



فلتهيئة اقليم من الواجب معرفة مؤهلاته، أي معرفة مـوارده وتحديد امكانياته وتوزيع هذه الامكانيات مجاليا، والأداة المستعملة عادة لهذا الغرض هي كرطوغرافية الموارد والمؤهلات.

والطريقة المتبعة تنبني على تطابق خرائط مجالية متعددة لكل واحدة موضوعها الخاص ومنها تستخرج خريطة مركبة تدعى خريطة امكانيات الاراضي.

لكن الاشكالات الاساسية هي مدة الانجاز إذ أن كل واحدة من هذه الخرائط تتطلب رصيدا معلوماتيا هائلا، وفي حالة غياب معطيات دقيقة كهاته، تكون الخرائط التركيبية المنجزة في كثير من الحالات لا تعتمد على واقع ملموس وتبقى غالبا عبارة عن تكبير لخرائط أولية بدون فائدة.

لهذه الاسباب نعتبر أنه اذا كان من الواجب اختيار الأداة الاكثر فعالية وبأقل تكلفة وبأكبر سرعة إنجاز، فإن خريطة مرفوبنيوية تحمل التكونات السطحية، تمثل اقرب وسيلة للتعبير عن الواقع البيئي، فهي خريطة ميدانية تشير الى البنية دون الدخول في تفاصيل الجيولوجيا، وتشير الى التكونات السطحية باعتبارها تركات دالة على فترات استقرار سابقة سمحت بنشوئها، وهي أخيرا تشير الى تنوع الأراضي من أتربة تطورت فوق الصخور مباشرة واخرى تغلف التكونات السطحية (العوينة ١٩٨٤).

تحليل التكونات السطحية يساعد في اتجاهين:

- فهو يسمح بتوجيه التهيئة الوجهة الصحيحة.
- كما انه يساعد على تفادي الأخطاء التي لها عواقب وخيمة.

ينبني هذا التحليل على تعريف مؤشرات مرفوترابية قابلة للتمثيل المجالي:

أ - سمك التكونات السطحية وموقعها ضمن متتالية ترابية تراعي التنوع التضاريسي.

ب - تنوع القطاع الترابي الذي يمكن من تحديد مدى تطور هذا القطاع، اعتمادا على مؤشرات كيماوية وعدانية، من بينها التركيب المعدني للرمال، والتركيب العداني للطين، ونسب العناصر الكيماوية الاساسية، وتطور بعض المكونات الكيماوية النادرة.

جـ - المحتوى العضوي للمسكات السطحية ودرجة نشاط المادة العضوية.

د - القطاع المائي للتكون، باعتبار امكانيات التصريف الداخلي لكل مسكة، مع تحديد مستويات تراكم الماء، وما ينتج عنه من تراكم للاملاح أو تغير في الوضع الكيماوي للتربة.

مجموع هذه المعطيات ممثلة على خريطة مرفوترابية تمثل صورة دقيقة للبيئة وامكاناتها (العوينة ١٩٩٣).

لكن تبقى هذه الصورة جامدة اذا لم يلحق بها تحليل للمكنزمات المسؤولة عن تطور السطح، ولذا صار من الواجب أن تكون هذه الصورة حركية.

البعد الدينامي:

إن تهيئة السطح تستدعي معرفة الآليات التي تتحكم فيه وفي تطوراته الحالية، فمشاريع التهيئة للاحواض النهرية (احواض التصريف) قد عمدت الى اختيار منهج مضبوط يهدف الى تحديد التهديدات التحاتية، هذا المنهاج ينبني على وضع خرائط مجالية تحاول تطبيق نموذج فيشمايير الذي تتحكم فيه مجموعة من المؤشرات منها ثلاثة مؤشرات طبيعية هي اعتدائية المناخ وقابلية التربة للازالة، ثم درجة وطول الانحدار، ومؤشران يرتبطان باستعمال الاراضي.

وباستخلاص المؤشرات لكل وسط، البعض بالتكميم المباشر والباقي بالقياس، يتم استخراج

خرائط موضوعية ومنها خريطة التهديدات التي تضبط هشاشة الاوساط. لكن هذا المنهاج يعتريه إشكالان:

- الإشكال الاول أن هذه خرائط تهديدات ممكنة الحدوث، وليست بالإلزام خرائط الواقع الحالي.

- الثاني أن هذه الخرائط تعتبر سلفا أن القسط الاهم من الازالة يتم في السفوح، داخل الحقول والمراعي، ويتناسى العوامل الأخرى مثل التخديدات المركزة والحركات الكتلية ودور الانهار في الازالة الجانبية والتي قد تكون كتلية وذات خطورة قصوى (العوينة وآخرون ١٩٩٣).

وهذه الاشكال المركزة مجاليا والتي قد تمثل القسط الاوفر من الازالة ليست خاضعة لطاقة الامطار ولا لقابلية الاتربة، وليست بالالزام خاضعة للانحدار كما أن لا علاقة لها باستعمال السفوح، بل تخضع لاسباب اكثر تعقيدا، منها الجيولوجية والتكتونية ونوعية التكونات السطحية، وتاريخ استعمال الارض.. الخ.

يتضح إذن قصور هذا المنهاج التحليلي المحض، بينما المنهاج المرفوديناميي اكثر اقترابا من الواقع (دونكان وآخرون ١٩٩٥) هذا الأخير يعتمد على مراحل البحث التالية:

أ) كرطوغرافية حالية للاشكال وتحديد العمليات الدينامية النشيطة والعمليات الخامدة مجاليا وذلك بوضع خريطة مضبوطة تستند على الواقع المرئي في تاريخ محدد، وتفرق هذه الخريطة بين العمليات الدينامية الظاهرة، اي المنفردة في الميدان، المسؤولة عن اشكال سطحية واضحة، والعمليات الخفية التي تتضح فقط من خلال نتائجها على التربة، الأولى تبرز في الخرائط والصور الجوية، بينما الثانية لا تظهر الا بعد الفحص الميداني الدقيق. وحجم الاولى مقارنة مع الثانية لا يدل على ترتيب في درجة الخطورة بالإلزام، ذلك أن التعرية الكارثية التي تحدثها الخدات المركزة، أو النسف القاعدي للمجاري ليست بالإلزام أكثر سلبية من الانجراف البطيء لكن المتردد للسيل السطحي المتفرق، فالأولى تحدث خللا في التجهيزات، وتعمل على تطمية حقينات السدود، بينما الثانية تفقر التربة وتقتلع المسكات السطحية الغنية بالمادة العضوية، كما تفرق هذه الخريطة بين العمليات المرتبطة أساسا بأوضاع طبيعية، وتأثير الإنسان عليها بسيط، وأخرى أصلها - جوهريا - من جراء التدخل البشري. ذلك أن الاولى معقدة في طبيعتها، ويصعب التغلب عليها لانها ترتبط بواقع بنيوي، أو بنائي، أو ضحاري، والثانية معقدة في أصولها، لأن تدخل الإنسان يحدث مكنزمات غير منتظرة، يصعب تداركها من أجل الرجوع الى الوضع السابق، مثل انطلاق التذرية الريحية وما ينتج عنها من تصحر في المناطق السهلية نصف الجافة، ومثل تمليح الاراضي في المجالات المسقية ذات التصريف الرديء.

على كل هذه الكرطوغرافيا قاعدة للتدخل، لأنها تشير الى الديناميات القائمة وتوحي نسبيا بما يجب القيام به لتفادي السلبيات الناجمة عن العمليات الحالية.

ب) ملاحظة الاشكال وقت نشاطها لتحديد نهج تصرفها، وتحديد خطورتها الفعلية، فالخدات مثلا ليست كلها خطيرة، وليست كلها من أصل واحد بل هي نوعان:

- خدات تنشط بفعل تجمع مياه السيل السطحي وتركزها وتدل على أن القسط الأوفر من مياه التهاطل تسيل بينما حظ التسرب هزيل، وهنا التهيئة يجب أن تهدف الى تقوية نصيب التسرب والحد من السيل المتفرق السطحي.

- وخدات تنشط بفعل المياه المتسربة اي تنتج عن تصريف داخلي لمياه قرب سطحية ومياه الفرشات الباطنية بسبب النفادية المرتفعة للتكونات، ووجود

امكانيات تحليل باطني لبعض المكونات، أو نقل جانبي للأطيان، وفي هذه الحالة فإن أي تهيئة تسعى إلى تقوية نصيب التسرب تمثل خطرا اضافيا، بل الواجب تصريف المياه ومنع تراكمها، والتهيئة تقتضي الدفع بالمياه الى قنوات تصريف سطحية سبق اعدادها وسبقت تقويتها، لمنع تعمقها أو توسيع مجاريها.

إلا أن الملاحظة المؤقتة لهذه العمليات غير كافية لأن الحوادث جد متنوعة رغم تشابه مظاهرها، والتطورات جد متغايرة حسب ظروف نشأتها.

وهذا يعني وجوب التكميم الدقيق في الميدان، الذي يحصي مقادير السيل المائي من جهة ومقادير الازالة الفتاتية من جهة ثانية، وهنا يجب اقتراح مجموعة من وسائل التقدير البسيطة وغير المكلفة التي تسمح بالوصول الى تصور فعلي للنشاط البيئي (العوينة).

فالخرائط المرفودينامية توجه إذن الاعداد حيث تمكن من تحديد المجالات الخطيرة بينما التحليلات الميدانية والتكميم يوجهان التهيئة حيث يشيران الى نوعية الآليات الخطيرة وطرق مواجهتها.

البعد التاريخي:

التهيئة تقتضي كذلك معرفة المسلسل التاريخي لتدهور منطقة وذلك لتشييد تخطيط مستقبلي، يراعي في نفس الوقت الشكل الحالي ومسلسل تكوينه، فلا يكفي معرفة المؤهلات ومعرفة الآليات العاملة حاليا، بل من المفيد معرفة كيف وصلنا إلى الوضع الحالي، أي ادماج البعد الزمني.

فالمتخصصون في الاحياء النباتية لهم منهاج مضبوط لهذا الغرض، هو منهاج خرائط المراحل التراجعية للنباتات يعتمد على الانطلاق من بيئة نباتية ذروية وملاحظة المراحل التراجعية الموجودة في الميدان، وكذلك على تفسير هذه التطورات بالاسباب المناخية أو المرتبطة بالاستعمال البشري (اجتثاث - تفاقم استغلال موارد الغابة - إقامة زراعة).

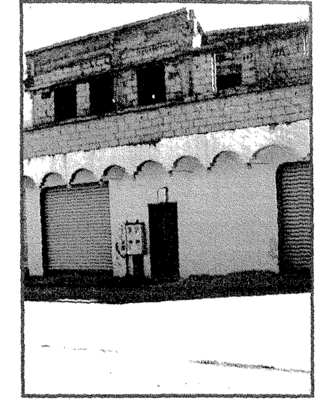
اما المنهاج الجغرافي فهو يهتم بالتربة واستقرار السفوح التي تحمل هذه التربة، فهناك قطاع ترابي ذروي عامة موروث، والقطاعات الحالية تدهورات تراجعية بالنسبة اليه، هذا المنهاج يدمج الانسان، حيث تحلل مظاهر تراجع الغطاء النباتي وظهور اشكال تحاتية ويتم تاريخ بروزها وقياس تطورها، تبعا لتاريخ ومسلسل استغلال واستعمار الاراضي.

خاتمة:

التحليل الجغرافي كفيل بالمساهمة في اعطاء الاجوبة عن عدة تساؤلات مطروحة أمام إعداد المجال والسبيل الوحيد هو العمل المشترك بين متخصصين مختلفين، وذاك يقتضي ضبطا دقيقا للمناهج وصرامة اكبر في النقد الذاتي واكتساب الأسس العلمية الضرورية.

فالمنظور الجديد لتهيئة الأراضي في المغرب، كما يقدمه المسؤولون انفسهم يدل على الاحساس بخطر التعرية المائية وبتفاقم هذا الخطر إثر الاستعمالات غير الرشيدة للمجال (تضاؤل في الخصوبة قد تصل الى العقم وتدهور الأراضي وما له من آثار سيئة بالنسبة للمباني والتجهيزات والتراكم في المنخفضات وبحيرات السدود).

إذن صار من الواجب التدخل لحماية الأراضي، وذلك بمحاولة إخضاع آليات النحت والسيطرة عليها، يبقى مشكل التقويم المالي لهذا التدخل والذي يجب أن يعتبر الفوائد المرتقبة من التهيئة كرفع الانتاج الزراعي للاراضي والحد من نقل الفتاتات من أجل حماية تجهيزات السافلة.



في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطيع وجوه الناس
السائح يستقرىء
الملامح ويرسم اللوحة

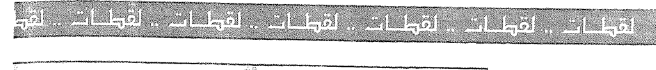
عين الكعيبة
في القطيف



مشاهدات من سورينام

السائح





بخارى .. علما ومعما

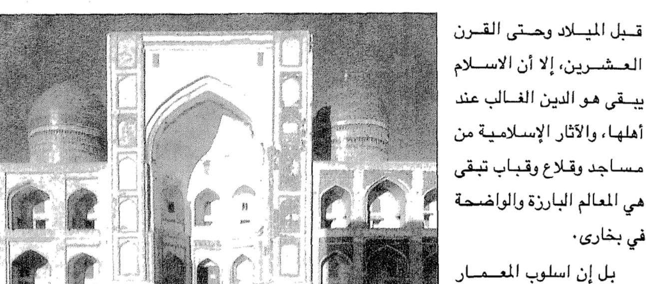
مجمع مدرسة ومدفن «إسماعيل الساماني» القرن العاشر

مدرسة نادر ديران بيك

«بخارى» تعاقب عليها الحكام من الاسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد ومروراً بالحكم الإسلامي، وجنكيز خان وتيمور لنك، وأمراء الأوزبك في القرن السادس عشر الميلادي وانتهاء بالحكم الروسي لها في ١٩٢٤.

رغم فترات الحكم المتعاقبة هذه من القرن الرابع





مدرسة «ميري عرب» من القرن ١٦

قبل الميلاد وحتى القرن العشرين، إلا أن الاسلام يبقى هو الدين الغالب عند أهلها، والآثار الإسلامية من مساجد وقلاع وقباب تبقى هي المعالم البارزة والواضحة في بخارى.

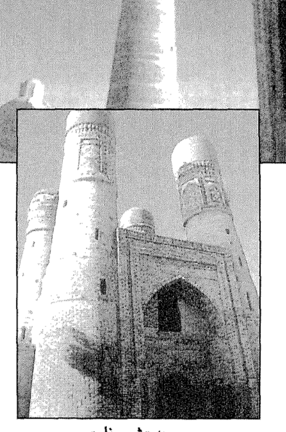
بل إن اسلوب المعمار الاسلامي فيها قد شد انتباه عشاق الآثار الخالدة الباقية.

هذا اضافة لما تمتاز به بخارى من أنماط حياتها الخاصة في معطياتها الاجتماعية من تقاليد وعادات واعراف.

هذه البلاد فتحها للمسلمين عبد الله بن زياد الذي اوفده معاوية بن أبي سفيان في ٦٧٣م .. ثم فتحها ثانية قتيبة بن مسلم الباهلي (٧١٢م).

ولد فيها ووفد اليها كثير من العلماء والمفكرين والأدباء، والإمام البخاري من اشهر قومها .. وممن زارها ووفد اليها (أبو بكر الرازي - ابن سينا - الفردوسي - البيروني - الخوارزمي - الخيام.. وشيخ الطريقة النقشبندية بهاء الدين النقشبندي).

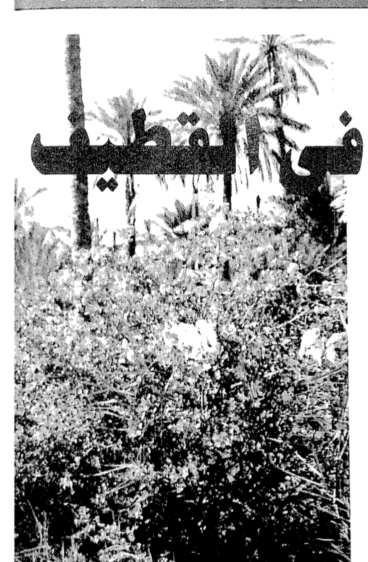
مئذنة كَاليان أشهر مئذنة في آسيا الوسطي



مسجد «شورمنار»

مواقع لها تاريخ

عين الكعيبة في القطيف



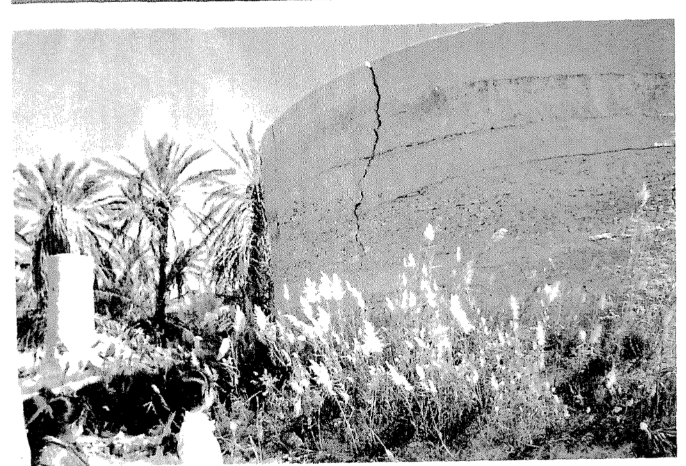
- نخل الجساسي، بتاروت.

عين الكعيبة بسيحة سيهات بالقرب من بلدة الجش من الجهة الجنوبية الغربية، وهذه العين اختارتها القرامطة أيام حكمهم - كما يقال بالتواتر - لري من يأت مقهوراً إلى حجهم الذي نقلوا له الحجر الأسود من بيت الله الحرام في أوائل القرن الرابع الهجري، حيث أبقوه سبع سنوات من قبل أن يجعلوه في مسجد الكوفة بالعراق أربعة عشر سنة أخرى. مما يدلنا على أن هذه العين كانت أوفر ماء من غيرها سابقاً وذلك لاستيعابها لمن يأتي كي تكون كافية لهم. أما الآن فحتى النخيل نبتت في جوانبها بل وداخلها، وقد ذبلت وماتت من الإهمال كما توضح صورتها ذلك جلياً، مما جعل من جفاف الأرض وعطشها أن تموت الزراعة والنخيل المزورعة فيما حولها من بعدما ولّى عهد القرامطة الذين أسموا تلك الأماكن بمسميات المشاعر المقدسة ولا يزال بعض النخيل القائم في محلها معروفاً باسمها - نخل المشعري - تصغيراً للمشعر حيث كان نخل المشعري المعتمد في ريه عليها من ضمن اتفاقية ملك جزيرة قيس مع الأمير فضل العيوني سنة ٦٠٦هـ كمقابل لمساعدته لاسترجاع حكم أبيه في القطيف وجزيرة أوال من غرير بن أبي الحسين، فهذا النخل قد كان ريعه من ضمن بنود الإتفاقية كما كان غيره، مثل دخل نخل الفايدية الكائن حتى الآن بسيحة بلدة البحاري بالقطيف جنوب عين الرواسية التي نضب ماؤها من قريب بعد ما كانت هي المفضلة من جل أهالي القطيف والمقيمين للاستحمام صيفاً فيها لوقوعها في وسط شارع الهدلة من الجهة الشمالية، فشارع الهدلة هو الطريق الوحيد للأوجام من القطيف وبالعكس في أقرب وقت ممكن للراكب والماشي معاً حيث لا يتجاوز في طوله ستة كيلومترات، وكما كان من ضمن بنود الإتفاقية دخل بستان الدارين الواقع بسيحة بلدة الخويلدية غربي مصرف البلدة حالياً مباشرة، لا كما ذكرته - مجلة دارة الملك عبد العزيز - في عددها الصادر في شهر جمادى الثانية عام ١٤٠١هـ بأن اسمه - الدار - بينما لا يوجد حديثاً ولا قديماً في القطيف بستان باسم الدار، لذلك وجب التنويه عنه خدمة لحقيقة تاريخية، كما ذكرت في نفس العدد بستان الحسيني بتاروت هو الآخر من ضمن شروط الملك غياث الدين على الأمير فضل بن

مهدي محمد السويدان
- القطيف -



- نخل الداريين بسيحة الخويلدية.



- عين الكعيبة.

محمد العيوني الذي أوفى له بما تعهد به طيلة مدة حكمه في البلاد وهي عشر سنوات متتالية حتى أخرجته قبيلة العماير من البلاد سنة ٦١٦هـ منفياً، فصحة أسم البستان ليس كما ذكرته الدارة بان اسمه الحسيني وإنما اسمه في الحقيقة بستان - الحسينية - إذ لا يزال معروفاً بهذا الاسم بالرغم من تحطيم نخيله وإزالت أشجاره وتخطيطه لأراض سكنية، واقيمت البيوت على أراضيه من سنة ١٣٨٩هـ حيث ان صكوك الأراضي تُثبت في قول سطورها بأن قطعة الأرض الكائنة بمخطط نخل الحسينية رقم كذا عائدة بالشراء إلى فلان، وللتوضيح بأن هذا النخل يقع إلى الجنوب الغربي من قلعة تاروت سابقاً، وحالياً يقع من الجهه الغربية لشارع دارين الجديد مما يجعل لهذه المواقع الأهمية التاريخية الخاصة، والقيمة الأثرية البالغة في المعنويات المميزة بالقدم، لذلك أوردتها كنموذج لقدم القطيف واهتمام التاريخ بوجودها حتى إنها لم تغب عن ذاكرته لما لها من دور فعال في معطياتها التي جعلت الأنظار تشرئب اليها بمنظار الإكبار في غابر الزمن، وإلا لما كان بعض نخيلها من ضمن شروط الملك غياث الدين للحصول عليها حتى أتيحت له الفرصة فانتهزها بدون تردد فكان له ما أمله لمدة عشر سنوات، ولولا قبيلة العماير التي خلعت الأمير فضل العيوني وأنفته عن البلاد وألغت هذه الإتفاقية لاستمرت ربما إلى الأعقاب.

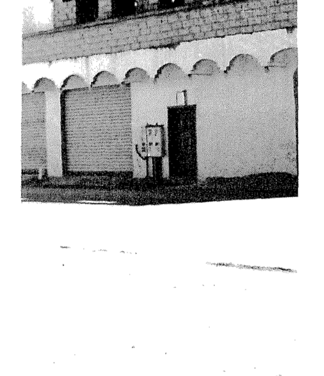
نخل الجساسي - القطيف -

نخل الجساسي الكائن بتاروت الذي أقيمت على جزئه الشرقي ثلاث كبرات للحوم والأسماك والخضار - كما توضح الصورة - ذلك إذ البقية تحولت من قبل البلدية إلى أرض خلاء بعد إزالتها لنخيله وأشجاره المتنوعة التي كان ثمرها من ضمن شروط الملك غياث الدين على الأمير فضل بن محمد العيوني عندما طلب النجدة منه على ابن عمه غرير ابن أبي الحسين العيوني كي يسترد منه حكم أبيه على القطيف وجزيرة أوال سنة ٦٠٦هـ مما أغضب عليه الشاعر بعدما تم تنفيذ شروط إتفاقية المعاهدة التي كانت من قبل



- نخل المشعري.

انتصاره سرية بينهما فأخذت الجماهير تنحاز ضد الفضل من بعد ما أشبع عواطفها الشاعر ابن عمه علي بن حسن المقرب تحريضاً بسبب هذه الاتفاقية التي كانت كالمنبر له يرقى بها منه لإعلان سخطه على معاهدة الفضل وما آل اليه أمر أحوال الرعية من تحقير واستهتار مع أنه لم يرض عن حكام أبناء عمومته عموماً لعدم تحقيق رغبته منهم في إشراكه لهم في الحكم أو فيما يشبع غريزته من تطلعات للأمارة على جزء من البلاد التي كانوا يحكمونها، وكم تظاهر بالعداء عليهم حتى إنه كان من منهجه أياهم في مسلك التناقضات عرضة لعقوبة الأمير محمد بن ماجد العيوني الذي صادر أملاكه وسجنه بعض الوقت مما دفعه للميول مؤيداً أبناء الفضل من قبل أن يكونوا على رأس السلطة حكاماً للبلاد بأمل أن يحصل منهم على ضالته المنشودة متى تقلدوا زمام الأمور، غير أنه لما رأى الإخفاق منهم أيضاً نهج منهجه السابق معهم حتى عقدت هذه الإتفاقية التي صارت له مبرراً في رفع شعار المظاهرة ضدهم.



- الحسينية بتاروت.

١ أمريكا الجنوبية

مشاهدات من سورينام

تقع سورينام في شمال القارة الأمريكية الجنوبية، وهي الدولة الوحيدة فيها التي تتكلم اللغة الهولندية، وهي لغة التعليم، ولغة الدوائر الحكومية الرسمية.

وكانت تسمى (غيانا الهولندية).

وقد حصلت على الاستقلال من هولندا عام ١٩٧٥م مع ارتباط محدود بالتاج الهولندي.

وتُحَدّ بالمحيط الأطلسي من جهة الشمال، وغيانا من جهة الغرب، والبرازيل من جهة الجنوب، كما تحدها شقيقتها (غيانا) الفرنسية من جهة الشرق.

وتبلغ مساحتها ١٦٣٢٦٥ كيلومتراً مربعاً، ويبلغ عدد سكانها زهاء نصف مليون نسمة، منهم حوالي ١٥٠ ألفاً يسكنون في العاصمة براماريبو وضواحيها، وهي بهذا تكون من الدول القليلة السكان؛ غنية بالمواد الطبيعية، وهي من الدول الرئيسية المنتجة للألنيوم، كما تصدر الماس، والبن، والأخشاب؛ إضافة إلى السكر، والأرز اللذين تنتج منهما مقادير كبيرة.

ومناخ سورينام حار رطب، كثير الأمطار، وهي واقعة ضمن المنطقة الاستوائية، وتنقسم أرضها إلى قسمين: أحدهما سهول منبسطة في المنطقة الشمالية والشرقية، والثانية جبال مرتفعة في المنطقة الجنوبية. ويمتد ساحلها على المحيط الأطلسي حوالي أربعمائة وتسعين كيلومترا.

السكان:

كان سكان البلاد قبل وصول الأوروبيين إليها جماعات من الأمريكيين الأصلاء الذين يسميهم الأوربيون بالهنود، وكان من أهم السكان فيها (الكاريب) الذين نسب إليهم البحر الكاريبي لكونهم كانوا يسكنون فيه عندما وصلهم الأوربيون، وكانت معهم عدة قبائل، وعناصر أخرى، كان منها في سورينام الأرواك والواراوا. كما سكن في المنطقة قبلهم قبيلة أمريكية أصيلة اسمها (سورينين) طردتها هذه القبائل، فحلت محلها.

والسورينون هم الذين سميت البلاد باسمهم (سورينام)، وسمي النهر الرئيسي في العاصمة (نهر سورينام). وهو اسم قديم اتخذته البلاد اسماً لها في عام ١٩٤٨م قبل حصولها على الاستقلال، وذلك من أجل إحياء هذا الاسم القديم، ولتمييزها عن (الغيانيتين) البريطانية، والفرنسية المجاورتين.

ويتألف السكان بصفة عامة من ثلاثة عناصر رئيسية:

أولها: المختلطون الذين يسمون في اللغتين الإنكليزية والفرنسية بالكريول، وذلك أن أنسابهم

بقلم : الشيخ محمد بن ناصر العبودي
الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي
ـ مكة المكرمة ـ



مسجد الجمعية الاسلامية الهندية في باراماريبو عاصمة سورينام

مختلطة ما بين السود والبيض والهنود الأمريكيين، وبنسبة أقل من الهنود الآسيويين.

ثانيها: الجاويون الذين استقدمهم الهولنديون للعمل في البلاد، وبخاصة في زراعة الأرز، وذلك عندما كانت هولندا تستعمر أندونيسيا، وتستعمر هذه البلاد.

ثالثها: الهنود الآسيويون، وهؤلاء انتقلوا إليها من المستعمرات الإنجليزية المجاورة، مثل غيانا، وترينداد، وقلة قدموا من الهند نفسها للتجارة والعمل في منطقة الكاريبي.

وهناك أقليات عرقية بعد الطوائف الثلاث، فمن أهمها الهنود الأمريكيون، وإن كانت أعدادهم قليلة، وتأتي بعدهم أقلية من الصينيين، والأوربيين المستوطنين الذين قل عددهم في السنين الأخيرة.

ويمكن توزيع السكان في سورينام حسب النسب التالية:

الهنود الآسيويون	٣٧٪
الكريول (المختلطون)	٣٢٪
الأندونيسيون	١٦٪
زنوج الغابات	١١٪
الهنود الأمريكيون	٣٪
الصينيون	١٪

اللغـــة:

اللغة الرسمية في البلاد هي الهولندية، وهناك لغة محلية تكاد تكون لغة العامة من الشعب، وتسمى (تاكي - تاكي)، وقد تسمى (سرانان)، وهي خليط من اللغات الإنكليزية، والفرنسية، والهولندية، والإسبانية. ولكل قبيلة من القبائل الهندية الأمريكية التي توجد منها بقايا ضئيلة العدد في البلاد لغة قائمة بذاتها.

وللإخوة الأندونيسيين لغتهم الجاوية التي لا يزالون يتكلمون بها رغم وجود أجيال منهم في هذه البلاد، كما يتكلم الهنود الآسيويون اللغة الأوردية، والإنكليزية، وهناك جماعات من السكان السود يسمون بزنوج الغابات، وأصلهم من الذين جلبوا من إفريقية، ولكنهم انعزلوا في الغابات، وصارت جماعات منهم تتكلم لغات مختلفة.

المسلمون في سورينام:

تبلغ نسبة المسلمين في سورينام ٣٠٪ من السكان، وبذلك يمثلون أعلى نسبة عددية مسلمة في دول النصف الغربي من الأرض، وينتمي المسلمون في سورينام إلى أصول بشرية متعددة، فمنهم الجاويون، ومنهم ذوو الأصول الهندية الآسيوية ولا يزال المسلمون يحافظون على هويتهم الإسلامية، وشخصيتهم المتميزة؛ إذ بنوا المساجد، وأنشأوا المدارس، ولا توجد منطقة، أو مدينة، بل قرية في سورينام ليس فيها مسجد، حتى ذكر لنا أن عدد المساجد فيها يبلغ ١٦٠ مسجداً. إلا أن المشكلة أن الطبيعة الإقليمية المختلفة للمسلمين جعلتهم ينقسمون الى جماعات فيها كثير من التعصب، والسبب في ذلك في الأساس هو اختلاف لغاتهم.

ولكن هذا لم يمنع من اجتماع المسلمين في قضايا عامة؛ مثل التعامل مع الجهات الأخرى من غير المسلمين، ومثل التعاون داخل المجلس الإسلامي.

إلا أن المشكلة كثيراً ما تبرز في اختلاف المسلمين حول بعض المواسم الإسلامية مثل بداية دخول شهر رمضان، والعيدين، ونحوهما. وقد أثر هذا على تمتع المسلمين بالعطلة الممنوحة لهم من الحكومة في العيدين؛ إذ يختلفون في تحديدها في بعض الأحيان، فقد يرى المسلمون الآسيويون أن العيد يحل في يوم لا يرى الأندونيسيون أنه هو يوم العيد مثلا. وبذلك يظهر هذا عند الحكومة التي لا تستطيع، ولا تحب أن تتدخل في هذا الأمر الخاص بالمسلمين، إلا أنهم لم يتفقوا عليه.

ولا شك في أن علاج ذلك يكمن في اعتماد جهة مسلمة واحدة تعترف بها الجمعيات الإسلامية، وتعتمدها الحكومة لإثبات مثل هذه الأيام وتحديدها.

وتبلغ نسبة الإخوة الجاويين، أي الذين هم من ذوي الأصول الأندونيسية ٧٢٪ من مجموع المسلمين في سورينام، وأغلب البقية من المسلمين الهنود الآسيويين.

وهنالك عدد من المسلمين السود الذين أسلموا على أيدي الدعاة في أمريكا الشمالية الذين فيهم نسبة من المسلمين السود في أمريكا، وبعضهم أسلموا على أيدي الدعاة المسلمين في سورينام، ولكن عددهم ليس كثيراً مع أن المتوقع أن يكون الأمر عكس ذلك؛ لأن أكثر أولئك السود لجأوا إلى الغابات التي تغطي أكثر أراضي سورينام، ولذلك لا ينتظر أن يكونوا متعصبين للديانة المسيحية التي عرفوها عن طريق الأوربيين الذين جاؤوا في ركاب المستعمرين.

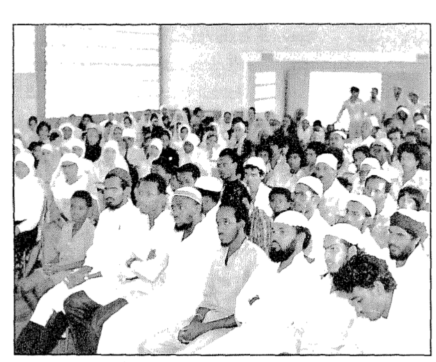
أما السكان الأصلاء الذين يسمون الآن بالهنود الأمريكيين، فإن عدد الداخلين منهم في الإسلام قليل، ولكنه قد بدأ بالفعل، إلا أن عدد أولئك السكان الأصلاء قليل لا يبلغ أكثر من ٣٪ من مجموع عدد السكان، وعدد الداخلين في الإسلام منهم قليل، حتى أخبرني مخبر من المسلمين أنهم لا يعرفون إلا خمس أسر من أولئك القوم دخلوا في الإسلام.

ويحرص الدعاة المبتعثون من المملكة العربية السعودية لإرشاد المسلمين في سورينام على إزالة الإقليمية، وتجميع المسلمين عند هدفهم المشترك للعمل معاً من أجل فهم الاسلام فهماً صحيحاً،



ومن أجل حفظ أولادهم عن الضياع، كما أنهم صاروا يذهبون معاً لزيارة المسلمين في المناطق البعيدة عن العاصمة، ويجمعونهم للوعظ والإرشاد، وقد علمت أنهم خرجوا لمحافظة نيكري، وتبعد عن العاصمة ٢٥٠كم، ولمدة ثلاثة أيام، أقيمت خلالها دروس في المساجد واجتمع من المسلمين في بعض المساجد ما يقارب من خمسين مصل، وقد أقام الدعاة دعوة لكل المسلمين في نيكري لمحاضرة عن الإسلام والخطط التنفيذية لتحقيق وحدة المسلمين، حضرها ما يزيد على خمسمائة مسلم ومسلمة من كل الجماعات والانتماءات الإقليمية، كما قاموا بزيارة محافظة مونجو التي تبعد مائة كيلو متر عن العاصمة، وفيها ثلاثة مساجد للمسلمين الأندونيسيين، وتم جمعهم في مسجد واحد أثناء صلاة الجمعة.

وأيضاً تمت زيارة منطقة ثالثة هي كمووين؛ حيث يوجد ما يزيد على خمسة وسبعين مسجداً، وألقوا المحاضرات في المساجد الكبيرة فيها.



قاعة المحاضرات في جورج تاون/ غويانا



دورة اسلامية عقدتها جمعية الوقف الاسلامي في جورج تاون.

ويسير العمل الإسلامي في سورينام سيراً معتدلا، إن لم يكن ثابتاً في مكانه، في الوقت الذي يسير فيه المنصرون بنشاط مركز مدعوم من الكنيسة بشتى الوسائل التي تتيحها لهم إمكاناتهم الكبيرة، التي منها الإغراءات بالمنح الدراسية، والمستقبل الوظيفي المضمون، وكذا بدأ اليهود بنشاط إعلامي من معبدهم الذي أعيد افتتاحه، وحضر لهذا الغرض رجال دين يهود من فلسطين المحتلة، وأمريكا، وهولندا، ونقل على التلفزيون السورينامي مباشرة، ثم أعيدت إذاعته مرئياً في مساء اليوم التالي.

إلى جانب ذلك فقد بدأت أنشطة الطائفة القاديانية بصورة ملحوظة في البلاد بزيارات للمناطق والمساجد، وكذلك بدأت أنشطة الطائفة البهائية في الآونة الأخيرة، وكان لهم زيارات ونشاطات بين المسلمين، وزيادة على هذه كلها جماعة شهود يهوه الذين يزورون البيوت، ويطرقون الأبواب على المسلمين، ولهم الدعاة من الرجال والنساء، ويوزعون النشرات والكتب بصورة مجانية.

إن كل هذه الطوائف تبث دعاياتها الباطلة بين المسلمين في سورينام، ومع ذلك فإن تأثيرها على المسلمين محدود، أو شبه معدوم. بل إنه مما يسر المسلم أن عدداً من الشبان والشابات من المسلمين الذين يقبلون على المساجد للصلاة، وتعلم تلاوة القرآن الكريم، وأحكام الدين الإسلامي الحنيف يزداد بصورة واضحة.

وقد أخبرنا الإخوة من أهل سورينام أنهم يعجبون من الشبان الذين يتركون المغريات التي يقدمها أرباب الدعوات والمذاهب الأخرى - من اجتماعات مختلطة بين الذكور والإناث، وحفلات الموسيقى، والرقص، وتقديم الطعام والمشروبات، مع بعض الهدايا، وغير ذلك من مغريات الشباب، وبخاصة في العالم الجديد - ويحضرون إلى المساجد مع ما فيها من جد وبعد عن اللهو.

ولكن (سورينام) تضم أكبر عدد من المسلمين بالنسبة إلى عدد سكانها من أية دولة أخرى في النصف الغربي من الأرض، فقد تقدمت حكومة سورينام بطلب الانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، ولكنها لم تستطع ذلك، فكتبت إلى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة تطلب منها التوسط في هذا الأمر، وتسهيل الدخول إلى المنظمة على اعتبار أن مقر المنظمة هو في المملكة.

ثم حضر إلى الرابطة وفد من سورينام إبان انعقاد أحد المؤتمرين، مع رئيس الوفد الأخ (أنور. س.أ. لال محمد) رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء في سورينام، وقدم الأخ أنور رسالة موقعة من رئيس جمهورية سورينام تتضمن تفويضه ببحث كيفية انضمام سورينام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، وحرصاً منها على الانضمام إلى المنظمة.

وقد أوصلت الرابطة ذلك الطلب إلى الجهات المسؤولة في المنظمة، ولم يتم شيء حتى الآن.

ويؤمل الإخوة المسلمون في سورينام أنه إذا وجدت دعوة إسلامية مدعومة بإمكانات جيدة، فإن عددهم قد يبلغ النصف أو يزيد، وذلك إذا حصل ستصبح سورينام أول دولة مسلمة في العالم

أحد الشوارع في ضاحية باراماريبو.



الجديد. ونسأل الله تعالى أن يحقق ذلك.

ومما يجب التنويه اليه أن الحرية الدينية متوفرة للجميع في سورينام، وبخاصة للمسلمين، ولا توجد قيود على نشاطهم الإسلامي، أما الأديان الأخرى في البلاد فإنها تكاد تنحصر في دينين اثنين:

أولهما: المسيحية، وتنتشر بين السود، وبين الهنود الأمريكيين الذين هم السكان الأصلاء قبل وصول الأوروبيين.

وثانيهما: الهندوكية التي تعتنقها أكثرية الهنود الآسيويين الموجودين في البلاد، ولكنها ليست ديناً دعوياً، إذ قلما يعتنقها أحد غير أهلها الأصلاء.

الجمعيات الإسلامية:

توجد عدة جمعيات إسلامية في سورينام، اجتمعت خمس منها على تأليف مجلس يجمعها، حتى يتكلم باسم المسلمين، فألف منها (مجلس المسلمين في سورينام) وهو مجلس أهم ما فيه أنه يتمتع بالانسجام، وعدم الاختلاف في معاملة الآخرين من غير المسلمين.

كما توجد جمعية اسمها (المنظمة الإسلامية الطلابية لسورينام)، وقد اتصل بها الاتحاد الإسلامي الدولي الذي مقره في الولايات المتحدة الأمريكية، وساعدهم في بعض أمورهم، كما توجد جمعيات خاصة بالمساجد، وجمعيات خاصة ببعض المناطق.

وفي ختام الكلام على الشؤون الإسلامية في سورينام، يجدر بنا أن نذكر ملخص تقرير بعث به اثنان من الدعاة الذين ابتعثتهم المملكة إلى سورينام للدعوة إلى الله هناك، وتبصير المسلمين بأمور دينهم، وهما الشيخان: محمد علي أحمد، ومحمد صالح ماردي.

ونثبت هنا أهم ما فيه من نقاط:

وضع البلد باعتباره منطقة خصبة وحرة أصبح الآن ميداناً فسيحاً للأديان، والنظريات الهدامة، فكل واحد يأخذ حظه بقدر ما قد أعد من المعدات والتسهيلات، وستجد في هذا التقرير نبذة من صور تلك الأنشطة في خمس نقاط موجزة.

١ ـ النصرانية:

كما لا يخفى على كل ملاحظ أن النصرانية مدعمة من كل جانب، لا سيما مجال التربية ووسائل الإعلام، هذان المجالان لهما دور فعال في زيادة حمل الأناجيل، ومما يزيد الأرض بلة أن أكثر هذه الفئة تشمل رجال الثقافة، وأصحاب الشركات الكبيرة، ورجال الأعمال، وعامة المواطنين.

٢ ـ القاديانية:

القاديانية لها هنا أنشطة ملحوظة لا سيما وأن أصحاب هذه الفئة رجال ذوو مناصب عالية.

٣ ـ كعاوين:

هذه المنظمة قديمة قدم الهندوك في أندونيسيا، ولها فروع ومذاهب كثيرة، فكل واحدة لها أسلوب وطريقة معينة، وهذه الفئة تخالف الشريعة الإسلامية، وهي ذات نظرية هدامة، إما أن تنتمي إلى الهندوك، أو إلى الإسلام، وانتماؤها إلى الإسلام عبارة عن وجود جميع العبادات الإسلامية بألفاظ جاوية، وصلواتهم عبارة عن تفكر فقط، والذي خدع كثيراً من الناس أن هذه النظرية ألغت الصلاة والصوم والحج والزكاة، وإن كان هناك بقايا مسلمة فهي مخلوطة بعادات وتقاليد هندوكية؛ زيادة إلى ذكر الألفاظ كلها، بكلمات وألفاظ جاوية، وهي بعيدة كل البعد من الإسلام رغم أن هذه الفئة لا تتقدم إلى الأمام بصورة كبيرة؛ لكنها لا تتأخر، وهذه الحركة الهدامة لها أنشطة ملحوظة تلفت نظر الملاحظين، هذه الحركة الهدامة كانت محصورة في عدة أسماء معينة، أصبحت الآن من الأديان المعتبرة لدى الحكومة، يحسبها أي مفكر وملاحظ في ميدان المعركة.

٤ ـ الحضارة الغربية:

لا يخفى على كل مفكر وملاحظ إسلامي أن أسلحة الحضارة الغربية موجهة إلى الإسلام والمسلمين بشتى وسائلها، وقل من يستطيع أن يترس نفسه بتعاليم هذا الدين الحنيف إلا من رحم ربك، وفي نفس الوقت إدخال مبادىء الشريعة في أذهان الشباب ليس بالأمر اليسير، وبخاصة أمام طرق الفجور والعصيان لأوامر الله.

٥ ـ البهائية:

البهائية التي لم تذكر اسمها من قبل أصبحت الآن لها أنشطة ملحوظة في سورينام، وتسربت هذه النظرية إلى شعب هذا البلد بصورة مكثفة، وقبلها بعض الناس في جانب من جوانب هذه الحياة بوسائلها الإعلامية التي تستخدم الإذاعة والتلفاز.

وأما وضع المسلمين بصورة عامة في هذا البلد، فإن هناك محاولة من المسؤولين (مجموعة من الجمعيات الإسلامية) نحو وحدة المسلمين في صَفٍّ واحد من أجل مجابهة الأحمدية وغيرها من التيارات الهدامة، ولعل الله عز وجل يسدد خطاهم ويهيىء لهم من أمرهم رشداً.

وهناك بشارة طيبة بوجود مجموعة من الشباب على مستوى وعي إسلامي جيد رغم قلتهم، وخلال وجودنا في البلد أجرينا اتصالات فردية: لا سيما لدى المغربين، والحمد لله بفضله ومنته كسبنا عدة شخصيات بارزة، ولقد زار مقرنا الرئيس المسؤول في هذه الجمعية (المغربين)، ويعتبر الاتصال والتعامل مع هذه الفئة من النوادر القليلة الجارية في هذا البلد.

وهناك أمور مهمة جداً نرجو الاهتمام بها:

١ ـ مصاحف الجيب لإهداء أئمة المساجد لربطهم بالمصحف وتلاوته وبالأخوة الإسلامية، وليكونوا على اتصال دائم هنا.

٢ ـ لا يزال يوجد في سورينام عدد كبير من المسلمين يتجهون إلى الجهة الخطأ في الصلاة، أي بعكس ما هو صحيح.

هذه المجموعة تصلى إلى اتجاه الغرب باعتبار ما كانوا عليه في اندونيسيا وانهم كانوا هناك يصلون إلى الغرب، فظلوا يصلون على هذا الاتجاه.

وكما نعلم أن دليل الاتجاه (كمفاس) لم تذكر سورينام كبلد مستقل من غيره، في حين أن سورينام أكثر المسلمين عدداً في منطقة امريكا الجنوبية، ولعل الله ينزل هدايته وتوفيقه بذكر سورينام مع جميع بلدانها في دليل الاتجاه (كمفاس) مع ذكر أوقات الصلاة في السنة كاملة.

ونرى أنه ستكون هناك أهمية كبيرة في شراء هذه الآلة بكمية لا بأس بها لتوزيعها لدى هذه المجموعة.

من بيليم الى باراماريبو:

كان من المقرر أن تقوم الطائرة البرازيلية التي سنسافر عليها من مدينة (بيليم) البرازيلية الشمالية الشرقية إلى مدينة (باراماريبو) عاصمة (سورينام) في الحادية عشرة والثلث من ليل هذا اليوم، وهو موعد غير مريح، لأن الطائرة تنزل قبل ذلك في (قايين) عاصمة (غيانا) الفرنسية التي أصبحت أرضاً فرنسية فيما وراء البحار، بعد أن كانت مستعمرة فرنسية، ولكنها صوتت بالبقاء داخل الاتحاد الفرنسي، ولم تشأ الاستقلال، كما شاءت أكثر المستعمرات الفرنسية الأخرى، وتنزل الطائرة بعد ذلك في باراماريبو في الثالثة والنصف من قبل الفجر، غير أن الطائرة لم تقم إلا في الثانية عشرة وخمس دقائق بعد منتصف الليل.

وكنت أنا وزميلي في هذه الرحلة الشيخ محمد بن ابراهيم بن قعود قد وصلنا مدينة (بيليم) أمس قادمين إليها من مدينة (ريو دي جانيرو) الضخمة



التي كانت عاصمة الدولة البرازيلية، ولكنهم هجروها بعدما شيدوا عاصمة البلاد الجديدة هي (برازيليا) الحالية في موقع من وسط البلاد، ودون كثرة من السكان.

و(بيليم) التي سميت على اسم المدينة العربية الفلسطينية (بيت لحم) التي ولد فيها المسيح عليه السلام، حارة رطبة؛ لأنها استوائية الموقع، لا يستطيب سكناها من قدم مثلنا من البلاد البرازيلية المعتدلة مثل (سان باولو)، أو (كورتيبا) أو حتى (برازيليا) العاصمة الجديدة، وقد ذكرت ما رأيته أو سمعته فيها في كتاب «على ضفاف الأمازون».

قامت الطائرة البرازيلية التابعة لشركة الطيران البرازيلية (كروزيرو) التي معناها: الصليبي، لأن كروز: صليب بلغتهم، في الثانية عشرة وخمس دقائق، وهي من طراز بوينج ٧٣٧، ومليئة بالركاب الذين أكثرهم من ذوي اللون الأسود، أو من المتغيرين الذين غيرهم الجو، أو التزاوج بالسود، فأصبحوا لا يبعدون عن السود الأصلاء في اللون كثيرا.

مع أن طائفة من سكان غيانا الفرنسية أفارقة الأصل؛ جلُب آباؤهم من المستعمرات الفرنسية السابقة، كما فعل المستعمرون الإنكليز، الذين جلبوا الأفارقة من إفريقية إلى ترينداد، وبعض جزائر البحر الكاريبي المسماة - خطأ - بجزائر الهند الغربية وما هي من الهند وأهلها بقريب، وكذلك فعلوا في غيانا المستقلة الآن التي كانت تسمى قبل ذلك (غيانا البريطانية) حتى أصبح السكان السود يتقاسمون فيها العدد مع الهنود من الآسيويين الذين كانت بلادهم أيضاً تحت الحكم الاستعماري البريطاني، فكانوا يهاجرون إلى هذه البلاد، وكأنهم يهاجرون إلى جزء مألوف من أجزاء بلادهم.

إنني من أشد الناس كراهية للسفر في الليل؛ لأنه يحرمني من رؤية الأشياء من الطائرة، فلا أستطيع أن أميز منها ما أريد تمييزه؛ إضافة إلى أن الوصول إلى البلاد يكون في الليل أيضاً، فيفوتني رسم الصورة الأولى التي تنطبع في الذهن من إلقاء النظرة الأولى عليها.

بعد طيران دام ساعة وعشر دقائق، ما بين مدينة (بليم) البرازيلية، و(قايين) عاصمة غيانا الفرنسية كان يقطع صمته في الابتداء وقبيل الانتهاء صوت المكبر من الطائرة يعلن بإنكليزية مختصرة ليس معها غيرها من لغة البلاد التي غادرتها الطائرة، وهي البرتغالية؛ لغة البرازيل، ولا من لغة البلاد التي ستنتهي الطائرة رحلتها هذه إليها، وهي (سورينام) فهذه كانت مستعمرة هولندية، ولذلك فإن الهولندية هي لغتها الرسمية، وإنما الذي أعطى الإنكليزية هذه المنزلة بين اللغات، هي مكانتها العالمية التي أصبحت عليها بعد أن أحلتها فيها بريطانيا أيام عزها، ثم أخذت الراية منها الولايات المتحدة الأمريكية التي هي الآن لا تزال في عنفوان صولتها المالية والعسكرية.

كان هبوطها في غيانا الفرنسية في الساعة الثانية إلا ثلثاً من بعد منتصف ليل الأحد، وإن شئت قل ما هو أوضح من ذلك، وهو أن ذلك كان من قبل فجر الإثنين، وطلبوا من الركاب الذين سيواصلون سفرهم إلى سورينام مثلنا أن يبقوا في الطائرة، فبقينا على غير طائل لأن الظلام الدامس هو السائد، والجو الرطب هو المسيطر، فنزل أكثر الركاب، ثم قامت الطائرة إلى (باراماريبو) عاصمة (سورينام) بعد توقف استمر (٧٥) دقيقة، وذلك في الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين بعد منتصف الليل، ولم يكن في طيرانها ما يذكر، بسبب الظلام، فقد كان عدد الذين نزلوا في (غيانا) الفرنسية أكثر من الذين ركبوا منها إلى سورينام بكثير.

- للرحلة صلة -

مع النحو القديم

مازال طائفة من الدارسين حراصاً على «النحو القديم» وهم من أجل ذلك يرفدوننا بين حين وآخر بكتاب في النحو اضطلع بتصنيفه أحد المتأخرين. وما أظن أن في الدارسين حاجة ليعرفوا كتاب «التسهيل» لابن مالك ، وكتاباً آخر طبع له بآخرة، وإذا كان من حاجة فإنا لنتشوَّف الى نشر شيء من شروح كتاب سيبويه كشرح أبي سعيد السيرافي وشرح الرمّاني. وإنا لمفتقرون الى معرفة آراء الخليل النحوية غير تلك التي أشار اليها سيبويه في «الكتاب» وإنا لمفتقرون كذلك الى أن نعرف كتاب «الحدود» للفرّاء.

وإذا كان هذا هو الأمر فهل يكون من فائدة في نشر العلم المختصر المكرر الذي جاء به المتأخرون غير الفائدة التاريخية التي تقوم على الوقوف على سائر ما جدَّ في علم من العلوم على سبيل الفهرسة والاحاطة.

أقول هذا لأني وقفت على كتاب لابن كمال باشا من المؤلفين الاتراك العثمانيين الذين اختصوا بالعربية نحوها وصرفها وما يتصل بها من علوم أخرى نتبينها في «رسائله» الكثيرة الموجزة كل الإيجاز، وليس من وكدي أن أنال من هذا المؤلف المكثر، ولكنني استدل على درجته في العلم مما نشر له وهو قليل وكله موجز لا يصلح كثيراً لغير الشداة، فأما غير المنشور من رسائله فهو شيء من هذا النمط التعليمي كما يستفاد ممن أشار إليها من أصحاب المطولات المعنية بذكر التصانيف ومنهم حاجي خليفة في «الكشف».

وهذا أحد الدارسين وهو الدكتور أحمد حسن حامد رئيس قسم اللغة في جامعة النجاح الوطنية في نابلس قد اضطلع بنشر كتاب وليس رسالة موجزة لابن كمال باشا وُسِمَ بـ «أسرار النحو».

ويتساءل المرء: هل وصل المؤلف الى شيء من أسرار النحو؟ والجواب عن هذا: أن الكتاب خال مما يمكن أن يوصف بـ «أسرار النحو» إنه مادة في النحو تبدأ كما تبدأ به جمهرة من كتب النحو بالكلمة. وقد أشار المحقق الى أن المؤلف قد احتذى الزمخشري في سرد المواد النحوية في كتابه «المفصل» وقد سطر فى ذلك جدولا يشير الى التشابه بين ما ورد هنا وهناك.

وأود أن أنوه بما لمحه المحقق من أن الكتاب هو مواد نحوية وجدت في عامة المصادر وليس من شيء يسوّغ لمؤلفه أن يدعو «الكتاب» «أسرار النحو» لخلوه من دقائق الإشارات التي تفيد في الكلام على الفكر النحوي مثلا. وكأن المؤلف أعجب بالنحو العربي كدأب سائر الأعاجم الذين اشتهوا النحو فأولعوا به فصار كل ما فيه من «الأسرار» أو «اللطائف» الدقيقة.

لقد قدَّم المحقق للكتاب بمقدمة بدأها بالكلام على «سيرته» فكان فيها عنوانات



بقلم: د. ابراهيم السامرائي
عضو مجمع اللغة العربية ـ الأردن ـ

هي: اسمه ونشأته ثم أعقب هذا الكلام على «أخلاقه»، وليس من حاجة الى أن يُفرد كلام ولو بضعة أسطر على «أخلاق» المؤلف.

ثم تكلم على «مكانته العلمية» وأتى بأقوال لطائفة من المتأخرين أشادوا فيها بفضل المؤلف وعلمه وسبقه، ومن هؤلاء طاش كبرى زاده في «الشقائق النعمانية» والتميمي في «الطبقات السنية» وغيرهما. وعند هؤلاء أن ابن كمال باشا.. فاق الاقران وصار انسان عين الزمان، وأنه إمام في كل فن بارع في كل علم.

وبلغ من اعظام التميمي للمؤلف أنه فضّله على جلال الدين السيوطي في دقة النظر وسرعة التأليف وحسن الفهم وكثرة التصرف[١].

أقول: والذي بين أيدينا من رسائل ابن كمال باشا لا يعين على تصديق ما ذهب إليه التميمي، وأين هذه الورقات اليسيرة التي تؤلف نمط رسائل المؤلف من أعمال السيوطي الوافية المتضمنة لمواد وافية من العلم. على أني لا أدعي أن السيوطي مبدع فيما كتب فالكثير من كتبه قد سبق إليه، وربما عمد الى الكتب الكبيرة فوعاها أو اوجزها وأدخلها في كتبه، وربما اودع كتابه جملة رسائل لعلماء متقدمين. وقد يعمد الى شرح الرسالة الموجزة فيحيلها كتاباً. غير أن الحق يفرض علينا أن نقول أن ما كتب السيوطي في الحديث الشريف وعلومه يعد شيئاً يتسم بلون من الاضافة المفيدة والمشاركة الأصيلة[٢].

وهذا كله يدعونا الى ان نحفظ للسيوطي مكانته التي لا يمكن أن تقابل بما وصل الينا من رسائل ابن كمال باشا. وعلى ذلك لا يمكن أن نتقبل ما ذهب إليه الكفوي حين قال واصفاً المؤلف: استاذ القُصّاد المشاهير، استاذ العلماء النحارير، إمام الفروع والأصول علامة المعقول والمنقول كشّاف مشكلات الكلام القديم، حلاّل معضلات الكتاب الكريم، فارس ميدان البلاغة والأدب[٣].

ثم خلص المحقق الى القول: أن ابن كمال باشا يعدّ بحق نظيراً للسيوطي في شتى فروع المعرفة الدينية اللغوية[٤].

ولنعرض لشيء من آثار مما عرض له المحقق:

١ - رسالة في الكلمات المعرَّبة نشرها سليم البخاري في بضع صفحات في المجلد السابع من مجلة المقتبس. أقول: وماذا تكون قيمة هذا الموجز في مادة تستوعب حيزاً لا يمكن أن يكون بضع صفحات واذا عرفنا أن الجواليقي وهو من رجال القرن السادس الهجري قد صنف «المعرَّب» فكان كتاباً برأسه فكيف يكون المعرَّب بعد ستة قرون من وفاة صاحب «المعرَّب» بضع ورقات!!

ومثل هذا رسالته في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية، ورسالته «في تصحيح لفظ الزنديق» التى نشرها حسين على محفوظ في مجلة كلية الآداب ببغداد وأخرجها مستلة.

ومثل هذه رسالته في «بيان مزية اللغة الفارسية على سائر اللغات ما خلا العربية، نشرها حسين على محفوظ في طهران ١٩٥٣م.

واستطيع أن أقول أن سائر رسائله اللغوية ورقات، يشير إليها موضوعها نحو رسالته «في معنى حروف المعجم»، ورسالته في «الضمائر» وأخرى في «من» التبعيضية، ورسالة في الاستثناء، ومثلها في جموع التكسير وغيرها وغيرها.

وكذلك رسائله في البلاغة والأدب، ورسائله في علوم الدين وفي الفلسفة والحكمة.

ثم نأتي الى كلام المحقق في «مذهبه النحوي» يخلص المحقق فيه الى القول: انه بصري المذهب، معتمداً على «مصطلحاته» و«تعليلاته» و«عدم

اعـتـداده بـبـعـض آراء الكوفـيـين لضـعـفـهـا» و«تصريحاته» (كذا).

وأقـول: اذا كـان لنا أن نميـز بين بصـريين وكوفيين فإن ذلك مقيد بحقبة متقدمة هي حقبة نشوء ما يسمى بالنحو الكوفي وهي حقبة المبرد والفراء وثعلب وما ولي هذه الحقبة لعلها لا تتجاوز القرن.

وحجتي في هذا أن ما قال به الكوفيون لم يبق له كثير من الأنصار وممن يقول به، فانك لا تجد من مصنفات الكوفيين طوال العصور إلا الشيء القليل، فإذا تجاوزت «معاني القرآن» للفرّاء فانك لن تجد كتاباً كبيراً يشتمل على المواد النحوية كاملة على نحو ما تجد في «الكتاب» لسيبويه و«المقتضب» للمبرد و«الأصول» لابن السراج. على أن «معاني القرآن» على سعته لم يكن خالصاً للنحو، ولم يشتمل على مواد نحوية تندرج في منهج خلص الى هذا العلم. واذا كنا نعد أبا العباس ثعلب من أوائل النحاة الكوفيين، فإننا لا نجد في تراث ثعلب كتاباً خلص الى النحو الكوفي ألا ترى أن جملة من يُحْمَل على الكوفيين من النحاةَ هم لغويون، وليس عندهم شيء كثير، انك لا تجد نحواً فيما صنف ابو يعقوب ابن السكيت ولا فيما وصل الينا من كتب ابي بكر ابن الانباري، وأين النحو في تصانيف الكسائي الذي انقطع الى الدرس القرآني!!

وإذا عدنا الى ما أثر عن الكوفيين من نحو وجدناه شيئاً يتصل بالفروع وليس الأصول، ويعرض للتعليل على نحو يخالف التعليل لدى البصريين، ثم نلمسه في «مصطلحهم» الذي اختلفوا فيه عن البصريين غير أن هذا «المصطلح الكوفي» يفتقر الى الثبات فقد تجد المصطلح الواحد يدل على مواد عدّة[٥]، وهذا المصطلح الكوفي لم يستوف المصطلحات كافة التي ينبغي أن يشملها علم نحوي واف بالمواد كافة.

ثم إنك لا تجد بعد القرون المتقدمة من تاريخ النحو الى نهاية القرن السادس الهجري شيئاً من التصانيف في نحو الكوفيين، ولكنك تجد إشارات الى آرائهم كأن يقال في كتاب من كتب ابن هشام، وفي شرح من شروح الفيه ابن مالك قول المؤلف: وذهب الكوفيون الى جواز اشتقاق «أفعل التفضيل» من السواد والبياض، وهذه الاشارات تعرض للدارسين في كتب المتأخرين كثيراً.

ثم تكلم المحقق على الكتاب فوقف على شيء مما ورد فيه وقول المؤلف في بعض تلك المسائل، كما تكلم عن «شواهده» من الشعر والقرآن والحديث ثم تكلم على «مصطلحاته».

قلت: لقد انتهى المحقق في درسه الى أن ابن كمال باشا بصري المذهب، وهذا يؤدي الى أن تكون مصطلحاته بصرية ووقف على المشهور الشائع من مصطلح الكوفيين كالنعت الذي استعمله وهو شيء غير بصري.

أقول: وفي قول المحقق «مصطلحاته» «كذا» تزيد، وذلك لأن هذه المصطلحات ليست له فهي مصطلحات عامة النحويين في عصره وعصور سبقت وليس من شيء غيرها قد بقي من «المصطلح الكوفي»، وعلى هذا ليس من الضروري أن يشار الى متأخر جداً فيقال فيه: بصري ومصطلحه بصري.

ثم جاء «تقييم الكتاب» فقال المحقق فيه:

... ومن هنا فمن المكن أن نضع ابن كمال باشا في صف اولئك الأفراد القلائل الذين حاولوا أن يعيدوا للنحو العربي رونقه عن طريق تنقيته من الشروح والاختلافات والحواشي، وإعادة تصنيفه على صورة تقرّبه من الأذهان، وعلى ذلك فإن كتابه

«اسرار النحو» يقف جنباً الى جنب مع كتب النحو المتون كالمقرِّب والمفصّل[٦].

أقـول وفي هذا الذي قـاله المحـقق جـور على العلم وظلم آخر على الكتابين اللذين ذكرهما.

لم يُعد ابن كمال باشا للنحو القديم رونقه عن طريق تنقيته.. بل هـو موجز أظلمت فيه العبارة وطغت عليـهـا عـجـمـة فـأسـاء ذلك الى مـادته «المدرسية» وقد ظلم العلم النحوي فلم يجتهد في ضرب الشواهد السليمة بل اكتفى بالمصنوع منه من «زيد» و«عمر» و«هند» و«ضرب» و«قال» ونحو ذلك.

وكـيف يتـأتى للمـحـقق وهو يعيش في هذا العصر أن يقبل أسلوباً مادته مصنوعة ملفقة من هذه الأمثلة التي طال بَرَمنا بها!!

ولو قرأنا قول المؤلف وما ذكره في عدل «أخر» في الصفحة ٨٥ لخرجنا في أن هذا المؤلف قد شبه عليه العلم فأساء إليه.

ثم آتي على «التقييم» فأقول:

الكلمة سليمة مهما قيل فيها ومهما ذهب الى انكارها نفر من أهل اللغة، وذلك لأنها مأخوذة من الاسم وهو «قيمة» على «فعلة» ولشيوع «القيمة» في عصرنا مصطلحاً عاماً ومصطلحاً اقتصادياً فوهموا أصالة الياء فاشتقوا منها مولداً جديداً هو «قـيَّم» لبـيـان، غيـر أني أتوقف في أن يكون هذا الجـديد في كـتـاب في النحـو والقـرآن والحـديث، ولكني أقبله وأمر به غير متوقف وأنا اقرأه في كتاب في الاقتصاد أو التاريخ أو الاجتماع أو في المجلة أو الصحيفة اليومية أو في كتاب للنقد العربي الحديث.

وأنا افضل وأوثر أن أرجع للكلمة القديمة التي وجدناها في مصادرنا القديمة وهي «تقويم» والتقويم هو بيان «القيمة» وليس بمعنى جعل الشيء قائماً مستقيماً فذاك استعمال آخر. اننا نقرأ في كتاب الوزراء والكتاب للجشهياري: وقُوِّمت أملاك الوزير ابن العباس فكانت «كذا» ألف ألف ... والمعنى قُدِّرتْ وبُيِّنت قيمتها.

هذا وكتاب «أسرار النحو» كتاب من كتب التدريس التي يُخَصُّ بها المبتدئون، وليس فيه شيء تنبىء عنه كلمة «أسرار» ما خلا المادة النحوية التي نجدها في عامة كتب المتأخرين.

وإذا كان لنا أن نطري كتاباً سهل المأخذ جليل الفائدة عظيم العائدة فذاك هو كتاب «الجمل» لابي القاسم الزجّاجيّ فهو كتاب جزل العبارة واضحها يصل الى القاعدة من غير تعسف في التعليل أو التأويل، ولا أدري لِمَ عَزَفَ عنه الدارسون وصاروا الى المختصرات الموجزة كالآجرومية لابن آجروم وشروح ألفية ابن مالك!؟

ومن الطريف أن نذكر أن الغربيين أدركوا قيمة هذا الكتاب من الناحية العلمية والناحية التربوية فسارعوا الى نشره فكانت نشرة محمد بن شنب الجزائري الذي عهد إليه بتدريسها في مدرسة اللغات الشرقية في باريس، ثم أعيد نشرها في سنة من عشر الستين من التاريخ المسيحي.

الهوامش:

(١) التميمي، الطبقات السنية ١/٤١١ ـ ٤١٢

(٢) وإلى هذا أشار اللكنوي في «الفوائد البهية» ص٢٢.

(٣) الكفوي، أعلام الأخيار ورقة ٥٢٥ نقلا عن مقدمة محقق الكتاب.

(٤) احمد حسن حامد، اسرار النحو ص ٠٩

(٥) انظر ما كتبت في مجلة مجمع اللغة العربية الاردني وهو «هل من مدارس نحوية».

(٦) اسرار النحو ص ٥٢

لغتنا الفصيحة .. هل ه

إن امتلاك أكبر رصيد ممكن من مفردات اللغة العربية وعباراتها مع تفهم تراكيبها وخصائصها الفنية لهو من أقل الواجبات على كل فرد منا تجاه لغته (لغة القرآن الكريم) التي هي وعاء الإسلام ومستودع ثقافته وفكره وتراثه وتاريخه فكلما تفهمنا هذه اللغة تفهمنا ديننا الإسلامي العظيم وفكره وثقافته وتاريخه وحضارته وكلما ابتعدنا عنها ابتعدنا عن جذورنا الثقافية وأصبحنا تابعين لا متبوعين فهي رأس مالنا الديني والقومي فإذا افتقدناها فقدنا الأسس الدينية والقومية وانقطعت الصلة بيننا وبين ماضينا وتراثنا الإسلامي بل بيننا وبين القرآن الكريم المصدر الأول للإشعاع والهدى والتشريع فإن أية أمة تحرص على أن يكون لها كيانها الخاص وشخصيتها المستقلة لابد أن ترتكز على تراث تنطلق من مركزه وتبلور مستقبلها على قواعده ومن هذا تتشكل عناصر قوتها التي هي دعامة تفوقها وتقدمها واللغة هي محور هذا التراث الذي يحدد ملامحها ويثبت هويتها.

فقد شاعت في هذا العصر أساليب عجيبة في التعبير العربي اكتسحت أو تكاد تكتسح البيان العربي فأصبحنا نشكو من غربة البيان العربي أمام جحافل الصيغ والتعابير والمصطلحات الأجنبية التي يتوفر البديل عنها في لغتنا لو نكون جادين في اشتقاقها منها ولو فعلنا ذلك لما انزوت الأساليب الفصيحة والتوت الألسنة حينما نالت منها العجمة الشيء الكثير وذلك عندما سيطر علينا الاعتقاد الخاطىء بأن لغتنا لا تملك من الثروة اللفظية ولا من طواعية التعبير ما يسد حاجة المثقف الحديث رغم أن المتصفين ممن أبهرتنا حضارتهم يشهدون لها بعكس ذلك ويكفينا فخراً شهادة غير أهلها وما أجمل ما قاله (روفائيل بتي) من شهادة صادرة من خبير باللغات حيث قال: «إنني أشهد من خبرتي الذاتية أنه ليس ثمة من اللغات التي أعرفها وهي تسع لغات لغة تكاد تقرب من العربية سواء في طاقتها البيانية أو في قدرتها على أن تخترق مستويات الفهم والإدراك وأن تنفذ وبشكل مباشر إلى المشاعر والأحاسيس تاركة أعمق الأثر فيها وفي هذا الصدد فليس للعربية أن تقارن إلا بالموسيقى».

وهذه الأسطر العجلى إنما أعبر بها عما أشهده في حياتي المعاصرة على الساحة الثقافية من ظواهر أدرك حقيقة دائها ولكنني لا أملك وصف دوائها لأنني لست متخصصاً في ذلك فليس

بقلم: عبداللطيف الوحيمد
- الأحساء -



لديّ سوى إبداء الأسف والجزع وما بوسعي أن أفعله في حدود إمكاناتي المحدودة هو هذا الجهد الأقل والذي يمثل دعوة للعودة إلى لغتنا العربية ذات الدور الحضاري الرائد، اللغة الواضحة والميسرة والسهلة لنعززها ونحافظ عليها ونقوي دعائمها ونحارب العجمة الجديدة فيها والتي تجلت في كتاباتنا المختلفة ووسائل إعلامنا.

وما دعاني لكتابة هذا المقال أيضاً ما لاحظته من فقر لغوي حاد لدى الكثير من الناس الأمر الذي لا يمكن البعض من التعبير عن أبسط الأشياء بأسلوب صحيح مما يحملهم على وضع الكلمات في غير موضعها وتكرار اللفظ الواحد بمعناه ودلالته أكثر من مرة في مواضع مختلفة من الكلام وتركيب العبارات والجمل بشكل أشبه ما يكون بكلام ذوي الجنسيات الآسيوية من العاملين ببلادنا العربية الذين يكسرون عبارات اللغة العربية مما يجعل أسلوبهم ضعيفاً وركيكاً وخالياً من البلاغة والإيجاز وإصابة المعنى المراد التعبير عنه.

وأؤكد هنا بأن القراءة في كتب الأدب والثقافة العامة لا تكفي لوحدها في تكوين الحصيلة اللغوية السليمة إذ من الخطأ أن نبني مسلماتنا على اجتهاداتنا التفسيرية لمعاني الكلمات التي نقرأها في هذه الكتب فلابد من الرجوع إلى قواميس اللغة العربية للوقوف على معناها الصحيح والدقيق ذلك لأن اللغة العربية دقيقة المعاني والتعابير والدلالات فالقاموس هو أسلم المصادر لاكتساب الثروة اللغوية وفق الأسس الصحيحة فهو المرتع الخصب لكل من يريد تحقيق الشبع اللغوي الغني بالعناصر الغذائية الكاملة بما يضمن الصحة اللغوية السليمة.

عليه أستميح القارىء العزيز عذراً على كتابة هذا الموضوع الذي يُعدُّ من الأوليات المعرفية لكثير منا فقد اضطرني لذلك ما تقدم ذكره في ثنايا هذا المقال وقد ضمنت موضوعي هذا ثلاث ركائز الأولى إيراد بعض الكلمات الشائعة بهدف تحديد معناها لمن تلتبس عليه بعض الكلمات من حيث المعنى والثانية تتضمن ذكر بعض الجموع والصيغ النادرة استعمالا وهي ما يصطلح عليه بالنوادر أو الشواذ والثالثة تتضمن سرد بعض الألفاظ التي تختصر عبارة كاملة وهذا من لوازم البلاغة.

المعاني الصحيحة:

شجاني: أطربني وهيجني أما أشجاني فمعناها: أحزنني - الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح والغسق: ظلمة أول الليل - الروضة الغنّاء: أي الأرض ذات الخضرة ولا تكون روضة إلا بماء إلى جانبها والغناء: التي تمر فيها الريح غير صافية لكثافة أشجارها - النّعت: الوصف ولا يُقال إلا في الحسن أما الوصف: فيقال في كليهما مثل الخصلة - أنجبت المرأة وأنجب الرجل بمعنى رزقا الولد والولد يشمل

الذكر والأنثى ـ المقت: أشد الإبغاض والأفك: أشد الكذب والتأنيب: أشد التوبيخ والخنوع: أشد الخضوع والكمد: أشد والنَّهم: أشد الأكل والدعج: أشد سواد العين والدعس: أشد الوطء والرَّهص: أشد العصر والكبل: أشد القيود والدُّجى: أشد سواد الليل، الجن: خلاف الإنس، أما الجان فهم الشياطين ـ الظَّرف: هو الغلاف للرسالة ، أما المظروف فهو: الرسالة نفسها أي المغلف بالظرف ـ القفش والقفاشة: ضرب من الأكل في شدة ـ انحاز عنه بعكس انحاز له أي مال إليه ـ الحيوانات الداجنة: ليست الدجاج وما شاكلها فقط بل كل الحيوانات الأليفة للبيت ـ الدُّرة: اللؤلؤة الكبيرة والمرجانة: اللؤلؤة الصغيرة ـ الدميم: في خلقته والذميم: في خُلقه ـ الديمة: المطرة التي ليس فيها رعد ولا برق ـ الراجفة: النفخة الأولى التي تموت لها الخلائق والرادفة: النفخة الثانية التي يحيون لها ـ الرُّغاء: صوت ذوات الخف ـ الرنو: إدامة النظر مع سكون الطرف ـ والإسفاف: حدَّة النظر وتصويبه ـ والشخوص بالبصر: رفعه إلى أعلى دون إطراف ـ والتحديق: شدة النظر وتركيزه ـ الرهط: عدد من ثلاثة إلى أربعين ولا تكون فيهم امرأة ـ الماء الزلال: البارد العذب الصافي ـ والقراحي: الصافي ـ والسلسبيلي: العذب ـ والفراتي: الأشد عذوبة ـ الضريح: القبر والضَّرح: الشق الذي فيه ـ شرقت الشمس: طلعت وأشرقت: أضاءت ـ السَّرية: فوج من الجيش من خمسة إلى ثلاثمائة جندي ـ لفحته النار: أصابته ونفحه البرد: أصابه فاللفح للحار والنفح للبارد ـ أتأمت المرأة: وضعت اثنين وليس توءمين اللذين هما الأربعة ـ المقلة: شحمة العين التي تجمع السواد والبياض والحدقة: السواد المستدير حول العين ـ والحملاق: البياض الذي في العين والناظر: السواد الأصفر الذي يبصر فيه الرائي شخصه والمسمى بالبؤبؤ الحجاج: العظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب ـ أجهش: استعد للبكاء أو استعبر والجهش أن تفزع لغيرك وأنت مع ذلك كأنك تريد البكاء..

اللفظ الموجز للعبارة:

المماحكة: التمادي في اللجاجة والمنازعة في الكلام بلا طائل ـ الأيامى: الذين لا أزواج لهم من النساء والرجال كالثيب والمطلق والأرمل والأرملة والعزب والعزبة ـ الصّماخ: ثقب الأذن المفضي إلى المسمع ـ تساتلوا: جاء بعضهم في إثر بعض الواحد تلو الآخر ـ الرثية: انحلال الركب والمفاصل والذي يعبر عنه علمياً بالروماتيزيوم ـ الخضيرة: المرأة التي لا تكاد تتم حملا حتى تسقطه ـ الرُّأدة: الشابة الحسنة سريعة الشباب مع حسن غذاء ـ المرجفون: الذين يُولدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب الناس ـ الأريحي: الرجل الواسع الخلق الذي يرتاح لفعل المعروف وطلب الناس له بفعله ـ يختتله: يداوره ويتخفى عليه ليستغفله ثم يجهز عليه ـ تعامس عن الشيء: أظهر أنه لا يعرفه وهو عارف به ـ العجرفة والعجرفية: الجفوة في الكلام والخرق في العمل مع عدم الإيهاب ـ المتوقز: الذي لا ينام لتقلبه على الفراش ـ مكوكب العين: أي في سواد عينه بياض ـ المفازة: البرية التي لا نبت فيها ولا ماء ـ المكارمة: أن تهدى إنساناً شيئاً ليكافئك عليه ـ الإشتفاف: شرب كل ما في الإناء

حتى آخر قطره - البوشي: الفقير الكثير العيال - المذكار: التي لا تلد إلا ذكوراً والمئناث: التي لا تلد إلا إناثاً - سفعته الشمس: غيرت لونه نحو السواد - تهرَّط وجهه: ارتخى من مرض أوهم أو نحو ذلك - مكفهر الوجه: منقبض كالح لا يرى فيه أثر بشر واكفهر الجو: تغير لونه ضارباً نحو السواد أو الغبرة - الأكمه: المولود أعمى، التدليس: كتمان عيب السلعة على المشتري - الحذلقة: أن تدعي إظهار أكثر مما عندك - الأشفار: منابت شعر الأهداب - مات قعصاً: أي إذا أصابته رمية أو ضربه فمات مكانه - القتام: الغبار وهو لون فيه حمرة وغبرة - سفسف الهواء: هب هبوباً ليناً والريح السفسافة: التي تجري فوق الأرض - النزق: العجلة في الأمر في جهل وحمق وخفة.

الجموع والصيغ النادرة:

الضيف: تجمع على ضيوف وضيفان والتراب: أتربة وتربان - والذبابة أو الذبانة: ذباب وذبان - والصديق: أصدقاء وصدقان - والشبح: شبوح وأشباح والجسم: أجسام وجسوم والحزن: أحزان وحزون - واللحن: ألحان ولحون - والسحابة: سحب وسحاب وسحائب - والعين: عيون وأعين وأعيان والنفس: نفوس وأنفس - والكبد: كبود وأكباد - والسوار: أساور وأسورة والمرأة تجمع نساء ونسواناً ونسوة - والعيب: عيوب ومعايب - والقصيدة قصائد وقصيد - والكريم: كرام وكرماء - والنعلة: نعال ونعل - والساباط: سوابيط وساباطات - والعجوز: عجز وعجائز - والقريب من النسب: أقارب وأقرباء - والشريف: أشراف وشرفاء والرجل: رجال ورجالات - والقميص قمصان وأقمصة والقيد: قيود وأقياد - والمخ: مخخة ومخاخ - والديك: ديوك وديكة - والبحر: بحار وبحور وأبحر.

كما يجوز القول: أنا آسف وأسفان وتائه وتيهان ومعنى الكلام ومعناته والأرجوحة والمرجوحة - والرفاهية والرفاهة والسخاء والسخاوة ومصداقية الأمر ومصداقه - والشكوى والشكاية - والسراط والصراط - والمسيطر والمصيطر - ورجل جسور وجسر والملوسة والملاسة والملس وناعس ونعسان والنواح والنياح - وفجأة وفجاءة - والفسق والفسوق وسلا الشيء وسلا عنه وسليه ونسيه: نسياً ونسياناً ونساوة وفاتنا الشيء: فوتاً وفواتاً وصال علينا: صولا وصيالا وصولاناً وانفلت الشيء وتفلت وأفلت ومحا الشيء: يمحوه ويمحاه ودلَّه على الطريق: دلالة ودلولة ولمع: يلمع لمعاناً ولمعاً ولموعاً - وسكن المنزل: سكنى وسكنا وسكوناً - والفضل وهو ما تبقى من الشيء يجيء: فضله وفضالة - ورجل شهير ومشهور - ونوّر البيت واستنار - وفار الماء: فورا وفورانا وفواراً - والمزية والميزة والهجير والهاجرة وهذا ثوب واسع ووسيع ونكف واستنكف واستأدب وتأدب والرابية والربوة ويتململ ويتملل - الخ.

وكل ما نرجوه من القارئ المتخصص أن يشاركنا هذا المقال البسيط بإضافة أو تعديل أو تصويب من أجل أن نسهم في الإفادة ملتمسين العذر على الخطأ أو التقصير أو النسيان.

عامر بن مالك ت: ٥ هـ

هو عامر بن مالك بن جعفر من بني صعصعة، ويكنى أبو البراء، وأمه أم البنين لأنها كانت أنجب امرأة في العرب، وقد أطلق عليه «ملاعب الأسنة» وهو من فرسان العرب المشهورين، وكبارهم، وإنما لقب ملاعب الأسنة، لقول أوس بن حجر فيه:

يلاعب أطراف الأسنة عامر
فراح له حظ الكتائب أجمع

وفي رواية:

ولاعب اطراف الأسنة عامر
فراح له خط الكتائب أجمع

وقيل لقول آخر، وقد فرّ عنه أخوه في حرب:

فررت وأسلمت ابن أمك عامراً
يلاعب أطراف الوشيج المزعزع[١]

كما كان له دور في يوم الأثلب حين صرعه فارس اسمه قرط، فعيرته هوازن، وسجل هذا شعرا.

وقيل لقول حسان بن نمير - وقد رآه بين فرسان أحاطوا به يقاتلهم - ما هذا إلا ملاعب الأسنة!

وقد وفد عامر على رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، ويزعم بنو جعفر أنه مات مسلما، كما حدث خالد بن عبد الله قال: قدم عامر بن مالك أبو براء ملاعب الأسنة على رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، وأهدى له فرسين، وراحلتين، فقال الرسول: لو قبلتُ هدية مشرك لقبلت هديتك، وعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد، وقال: يا محمد، إني أرى أمرك هذا حسنا شريفا، وقومي خلفي، فلو أنك بعثت نفرا من أصحابك لرجوت أن يجيبوا دعوتك، ويتّبَعُوا أمرك، فإن هم اتبعوك فما أعز أمرك، فقال الرسول: إني أخاف عليهم أهل نجد، فقال عامر: لا تخف إني جار لهم، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك[٢].

فبعث الرسول معه أربعين رجلا من الأنصار - وقيل سبعين - وأمَّر عليهم المنذر بن عمرو، فلما نزلوا بماء من مياه بني سليم يقال له «بئر معونة»[٣] عسكروا في هذا المكان، وأراحوا دوابهم، ثم أرسلوا الحارث بن الصمة، وعمرو بن أمية، وحرام بن ملحان بكتاب الرسول إلى عامر بن الطفيل، فلما وصل الوفد بقيادة حرام بن ملحان، لم يقرأ بنو عامر الكتاب، ووثب عامر بن الطفيل على حرام بن ملحان فقتله، واستصرخ عليهم بني عامر، وقد كان عامر بن مالك قد سبق الوفد الرسولي، وقال في قومه: لن نخفر جوار أبي براء، ولكن عامر بن الطفيل، قد استصرخ قومه فتبعوه، ووصلوا إلى «بئر معونة» وتمكنوا من قتل كل الوفد.

وفي يوم مر الحارث بن الصمه، وعمرو بن أمية بالسرح، وقد ارتابا بعكوف الطير قريبا من منزلهم، فجعلا يقولان: قتل والله أصحابنا، ثم أوفيا على مكان مرتفع، فإذا أصحابهما مقتولون

بقلم: أ. د. عبده بدوي
- الكويت -

والخيلُ واقفة، فقال الحارث لعمرو ما ترى؟ قال: أرى أن ألحق برسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأخبره الخبر، فقال الحارث: لابد من قتال القوم، وشهر سيفه وذهب لقتالهم، فقتل منهم اثنين، وأسر كما أسر رفيقه عمرو بن أمية، وسرعان ما قتل الحارث، ثم إن عامر بن الطفيل قال لعمرو بن أمية حين لم يقاتل مثل الحارث: إنه كانت على أمي نسمة، فأنت حر عنها، وجزّ ناصيته.

فلما جاء خبر «بئر معونة» الرسول، جعل يقول «هذا عمل إبي براء، وقد كنت لهذا كارها»، ودعا على من قتلهم بعد الصبح في الركعة الثانية، من صبح تلك الليلة التي جاءه فيها الخبر، وقال «اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم عليك ببني ذكوان وعُصَيّة فإنهم عصوا الله ورسوله» قال ذلك خمس عشرة ليلة، حتى نزلت الآية «ليس لك من الأمر شيء»[٤] وحين أخبر عامر بن مالك أبو البراء بما فعل عامر بن الطفيل شق ذلك عليه، وقال: أخفرني ابن أخي - مرتين - وسار حتى وصل إلى ابن الطفيل فطعنه بالرمح فأخطأ مقتله، فتصايح الناس، وقال ابن الطفيل: إنها لم تضرني، وقد وهبتها لعمي، وانصرف عنه.

وقد دعا «عامر بن مالك» قومه إلى الإرتحال إلى رسول الله، وطلب في الوقت نفسه ثأر القتلى، فتثاقلوا عليه، ويقال إنه حزن لهذا، وظل يشرب الخمر صرفا حتى مات وهو يقول: لا خير في العيش وقد عصتني بنو عامر.

ويقال إنه قديما تنافر ابن أخيه «عامر بن الطفيل» مع علقمة بن علاثة، فما كان من عامر بن مالك إلا أن أعطاه نعليه، وقال: استعن بهما في مفاخرتك، فإني ربعت فيهما أربعين مربعا.

وقال:

أآمــر أن أسُبَ بني شــريح
ولا وله أفـعلُ مـا حـيـيـتُ

وهنا أخبار أخرى عن منافرة بين عامر وعلقمة من أجل رئاسة القبيلة، ويقال إنه كانت أشهر ما جرى من منافرات[٥] ومن أحسن ما سمع من شعره:

لحا الله أنانا عن الضيف بالقرى
وألأمنا عن عـرض والده ذبا
وأدخلنا للبيت من قبل استه
إذا القور أبدى من جوانبه ركبا[٥]

وهو عمّ الشاعر لبيد بن ربيعة، وقيل توفي عام ١٠هـ.

وقد جاء في رسالة ابن زيدون «وعامر بن مالك إنما لاعب الأسنة بيديك»

الهوامش:

(١) الأنوار في محاسن الأشعار للشمشاطي ص ٨٨، الردة للواقدي ص ٨٤.

(٢) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة المصري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٣١، ١٣٢.

(٣) ذكر ابن هشام في السيرة أنها بين أرض بني عامر وحرة بني سليم.

(٤) سورة آل عمران/ ١٢٨.

(٥) الهجاء والهجاءون في الجاهلية، د. محمد محمد حسين ص ١٠٧، ١٠٨، ط٣.

(٦) سرح العيون ١٣٤، ١٣٥، القور: الأكم والجبال الصغار، يعني أن البخيل إذا كان جالسا بفنائه، فرأى راكبا قد لاح من القور، زحف بظهره داخلا إلى بيته فرارا من الضيف، كيلا يراه فيطرقه.

أمتي .. هيّا انـ

ضعنا وتاه الحق منا
عبر نكبات الزمان
وتبدلت أحوالنا
جدباً بأرجاء المكان
وامتد صوت الظلم
فينا معربداً
لمْ يبق شيء للأمان
كيف انقضت أيامنا
تلك الخوالي
كيف فرقنا
التشرذم والضغان؟

* * *

يا أمة شادت
صروح المجد للدنيا
على مرّ الزمان
كنا حماة
يستجير بنا
الضعيف المستهان
كنا نساعده
ونأخذ ثأره
من غير خوف أو هوان

* * *

كنا رماحاً
لا يكسرها الطعان
ولا يفرقها الجبان
كنا إذا نادى المؤذن
نطمئن ونستجيب
الى الأذان
الطهر ديننا
ونهج طريقنا
في كل أمر .. كل آن

* * *

واليوم أمتنا الأبية
تحصد الآلام
تبحث عن بنيها
في الزحام
شطت ديارهمو القريبة

هضي..!



شعر : عبد الإله محمد جدع
- جدة -

هيا انهضي يا أمتي
وتخلصي من آسريك
ضلالة .. ودجي ظلام
يكفي العروبة
أن كُلّ ديارها الزهراء
تنخرها شرور الانقسام
لأننا لما ضعفنا
لم تعبرنا الشعوب
فقد فقدنا الاحترام
ولأننا لما خضعنا
مات كل الحس فينا
فقد ألفنا الانهزام
ولأننا لما اختلفنا قد
تكسرت النصال على النصال
حتى نسينا الانتقام
ضعنا وضاع الحق منا
يوم بدلنا المعارك
بالشقاق وبالكلام

وادلهم الليل
وانفلت الزمام

* *

ما بالها جرفتها
تلك الموبقات
الى الرذيلة والحرام
الجار يؤذي الجار
حتى الأرض
فارقها السلام
قالوا: العدو هو
البلاء المستطير
يحيل وحدتنا خصام
تالله تلك فرية
فالعيب فينا يوم
ضاجعنا السكينة والمنام
نلهو وتأسرنا
التوافه في الأمور
وحولنا مكر اللئام

* * *

البنوك الإسلامية وجه جديد نحو

كثيرة هي السهام والافتراءات التي ذهبت الى القول أن أحكام الشريعة الاسلامية عاجزة عن أن تساير ركب الحضارة ومتطلبات العصر. وكأن من زعموا هذا القول يريدون الوصول الى نتيجة أن النظام الاسلامي جاء ليحكم أمة معينة، ويطبق في زمن معين، ويدخل بعد هذا مجال التاريخ.

غير أن الله سبحانه وتعالى بفضله ورحمته حفظ هذا الدين.

ولقد أنعم الله على علماء الأمة الاسلامية أن بصّرهم بأسرار القرآن الكريم وأحكام السنة المطهرة، فأمضوا أعمارهم في تفسيرها وتنويرها للناس، وهداهم للإجتهاد فيما لم يرد بشأنه نص.

فراحوا يدلون بدلوهم، وبرز علمهم في الأسرة والمعاملات المدنية والتجارية والجنايات وغيرها مما يمس شؤون الناس.

وقد ازداد حجم الإدعاءات وتنامى، خاصة في هذا العصر حيث ظهرت نشاطات جديدة بنظام وآليات حديثة لم يألفها الفرد فيما مضى، وبرزت للوجود مؤسسات وتنظيمات وتعالت الأصوات والأبواق من هنا وهناك لتضع استفسارات واستفهامات جاءت في مقدمتها: إن الفائدة اليوم تعتبر أساس التعامل التجاري فيما بين الأفراد والشركات، بل وحتى بين الدول، وأداة لجلب العملاء، فكيف يمكن للمصارف أو البنوك الاسلامية أن تعوض نظام الفوائد هذا وهو عماد المعاملات البنكية؟

واعتقد المعتقدون أن لا حل ولا بديل إلا البنوك الربوية والتعامل بالفوائد، لتشجيع الادخار، وتنمية الاستثمار، وجلب العملاء وارساء الثقة بين طائفة المدخرين.



صاحب السمو الملكي الأمير محمد الفيصل
من اوائل الداعين لتطوير نظام الاقتصاد الاسلامي

وشاء الله وحده، وفي زمن اشتد فيه الصراع أن يُسخر من أبناء هذه الأمة من أبطلوا هذا الزعم وأجهضوا هذا الافتراء فسنّوا نظاما بديلا متكاملا يُساير روح الشريعة أطلق عليه «المصارف أو البنوك الاسلامية» حتى تتميز عن البنوك الربوية ولتكون بمثابة خطوة جبارة نحو أسلمة الفكر الاقتصادي.

ولقد رأينا التعريف بهذا النظام والانجاز الضخم من خلال النقاط التالية:

- تعريف البنوك الإسلامية وخصائصها.
- نشأة البنوك الإسلامية وتطورها.
- أهداف البنوك الاسلامية.

بقلم : د. عمار بوضياف
- الجزائر -

ـو اسـلمة الفكـر الإقتصـادي



- البنوك الاسلامية في ميزان الباحثين والعلماء.

تعريف البنوك الإسلامية وخصائصها:

يقصد بالمصارف أو البنوك الإسلامية كل مؤسسة تباشر الأعمال المصرفية مع التزامها باجتناب التعامل بالفوائد الربوية بوصفه تعاملا محرما شرعا[١].

فالبنوك الإسلامية على هذا النحو، تظل تتمتع بطابعها التجاري، فليست هي بالمؤسسة الخيرية، ولا بصندوق لحفظ الودائع وتجميد وتعطيل الأموال، بل كل ما في الأمر أن هناك نمطاً جديداً للادخار والاستثمار يدخل في سياق أسلمة الفكر الاقتصادي.

والى جانب الرسالة الاقتصادية تؤدى البنوك الإسلامية دورا طلائعيا في المجال الاجتماعي بغلاف

الدكتور احمد النجار رائد تجربة البنوك الإسلامية

مالي مخصص لذلك مما يزيد في درجة تميزها عن سائر البنوك الربوية.

يقول الدكتور أحمد النجار: البنك الإسلامي أو المؤسسة المالية هو بنك أو مشروع للتنمية بالدرجة الأولى، ولا يقصد به أن تؤخذ أموال المودعين (مدخرين

ومستثمرين) لتنفق على الآخرين، بل يقصد بها أن يمر استعمال المال عبر القنوات التنموية والإنتاجية ليصب في صالح المجتمع من ناحية، ويعود ربحه على المستثمر والمودع من ناحية أخرى[٢].

وتتصف البنوك الإسلامية بخصائص تميّزها عن غيرها نورد أهمها فيما يأتي:

أ- استبعاد الفائدة أو المعاملات الربوية:

تتميز المصارف الإسلامية بخاصية استبعاد الفائدة أو التعامل بالربا، وهي الخاصية التي تضفي عليها الطابع الإسلامي، فالربا محرّم بنصوص القرآن الكريم لأنه مصدر لكسب غير مشروع، وفيه ظلم واعتداء على أموال الغير خاصة وأن العلماء أجمعوا على أنّ الفائدة التي يتقاضاها المدخر هي صورة من صور الربا. قال تعالى في سورة البقرة الآية ٢٧٨: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تُبْتُم فَلَكُم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون}.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية وذروا ما بقي من الربا أي اتركوا مالكم على الناس من الزيادة على رؤوس الأموال بعد هذا الإنذار إن كنتم مؤمنين أي بما شرع لكم من تحليل البيع وتحريم الربا. وهذا تهديد شديد ووعيد اكيد لمن استمر على تعاطي الربا بعد هذا الإنذار[٣].

وقال صاحب الظلال في تفسيره لقوله تعالى: {وأحلَّ الله البيع وحرّم الربا} (البقرة/ ٢٧٥)، إنّ الربا استرداد للدين ومعه زيادة حرام مقتطعة من جهد المدين أو لحمه فهو الوجه الآخر المقابل للصدقة الخيرة، الوجه الكالح الطالح، لهذا عرضه السياق مباشرة بعد عرض الوجه الطيب السمح الطاهر الجميل الودود، عرضه عرضا منفرا يكشف عمّا في عملية الربا من قبح وشناعة ومن جفاف في القلب وشر في المجتمع وفساد في الأرض وهلاك للعباد[٤]، أو كما قال الدكتور يوسف القرضاوي فيه اعتصار الضعيف لمصلحة القوي ونتيجته أن يزداد الغني غنى والفقير فقرا مما يقضي الى تضخم طبقة من المجتمع على حساب طبقة اخرى ويخلق في النهاية الضغائن والاحقاد[٥].

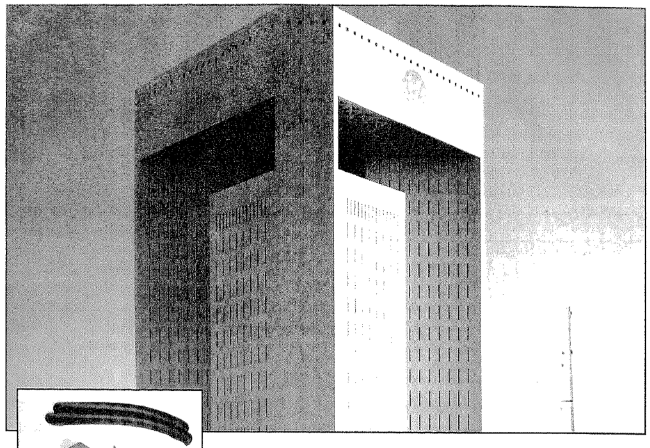
وإذا أردنا الرجوع للشرائع السابقة على شريعة الاسلام من حيث الظهور لوجدنا أن الربا كان عند اليهود محرما فيما بينهم تحريما قاطعا ومن تعامل به خرج عن اللّه. جاء في التوراة: «إن أقرضت لشعبي فقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي»[٦].

ولقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة قال تعالى في سورة النساء الآية ١٦٠ - ١٦١ {فبظُلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلّت لهم وبصدِّهم عن سبيل الله كثيرا وأخذِهمُ الرِّبا وقد نُهُوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل}.

وجاء في انجيل لوقا الاصحاح السادس: «واقرضوا وانتم لا ترجون شيئا فيكون أجركم عظيما». كما انعقد اجماع الكنائس على أن هذه التعليمات من السيد المسيح تعتبر تحريما قاطعا للربا[٧].

ومنه يتضح أن الاديان السماوية الثلاثة أجمعت على تحريم الربا ولم يقتصر التحريم على شريعة الاسلام، يقول الدكتور احمد النجار في هذا المجال: «ولست أجد دهشة أو غرابة في أن يكون موقف الاديان الثلاثة بغير استثناء من مسألة الربا هو موقف التحريم. فالاديان الثلاثة اديان سماوية، الشرائع فيها من عند الله، والله واحد، وما يصدر عن المصدر الواحد لابد وأن يكون واحدا غير متعدد ولا متناقض»[٨].

ولكن الاهواء النفسية أو قل الاطماع أثرت على تعاليم اليهودية والمسيحية فسارع الناس وتدافعوا نحو تحقيق الربح ولم يعبأوا بضوابط شريعتهم. يقول



البنك الاسلامي للتنمية / جدة

الشيخ محمد الغزالي: «واليهود والنصارى يعلمون أن الربا مستقبح ولكن اليهود استبقوا قباحته فيما يدور بينهم من معاملات، واطلقوا العنان لانفسهم في أكل اموال الناس بالباطل وقد انساق النصارى في هذا الانحراف»[٩].

وها هم دعاة المسيحية ورجالها وعلى رأسهم الزعيم «لوثر» ينادي بتحريم الفائدة وشن حربا شعواء على المرابين والمتلاعبين في معاملاتهم[١٠]، وهذا الالماني الدكتور «شاخت» ينتقد نظام الربا حتى من الوجهة الاقتصادية كونه يؤدي الى الثراء من جانب واحد[١١].

إن شمس الإسلام حين اشرقت على الجزيرة العربية بما تحويه من مبادىء العدالة، حرّمت الظلم والاعتداء أيّا كان شكله، وحرَّمت الكسب غير المشروع، ومنه الربا، لأنه يهدم الأخلاق وينمي المال بشكل غير سوي ويؤدي الى اسقاط الفرد في مستنقع من الفوائد والشهوات أيا كان الثمن ومهما تعددت الضحايا، ويشهد التاريخ أن الربا بلغ من اطماع الناس مبلغا قست به القلوب، ألم يخرج ابو لهب العاص بن هشام الى معركة بدر بدلا عنه لأنه كان مدينا له وعجز عن الوفاء بالدين في الوقت المحدد[١٢].

د. احمد محمد علي
مدير البنك الاسلامي للتنمية

وحين كثرت المبررات لتحليل المعاملات الربوية واشتد الصراع في هذا الزمن بخصوص فوائد البنوك، تحرك الفقه الإسلامي ليقول كلمته، في شكل فتاوى فردية، أو توصيات لمؤتمرات وندوات، فهذا الشيخ

محمود شلتوت يحذر من مثل هذه المعاملات قائلا: «إن كل محاولة يراد بها اباحة الحرام، أو تبرير ارتكابه بأي نوع من أنواع التبرير بدافع المجاراة للأوضاع الحديثة أو الغربية والانخلاع عن الشخصية الاسلامية انما هي جرأة على الله وقول بغير علم وضعف في الدين وتزلزل في اليقين»[١٣].

وقرّر المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في دورته الثانية في شهر مايو ويونيو ١٩٨٥ أن الفائدة على انواع القروض كلها ربا محرم لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي أو ما يسمى بالقرض الانتاجي، لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين[١٤].

وهكذا وبموجب هذه النظرة الجديدة والفكر المتميز والتطور السوي والسليم، تخطت البنوك الاسلامية حاجز الحرام مما بعث طمأنينة في نفوس المتعاملين وشجعهم على الاقبال المتزايد يوما بعد يوم. وهو ما أثبتته التجربة في مصر ودول الخليج العربي ومناطق أخرى كثيرة.

وبهذا النمط الإسلامي الجديد استطاعت البنوك الإسلامية أن تجمع بين الجانب الروحي والمادي، فراعت الجوانب الشرعية في سلوكها ومعاملاتها، ولم تخرج عنها، وأعطت الجانب المادي قدره ليكون لها سندا في وجودها وحافزاً لتشجيع المتعاملين معها.

وإذا اتجهنا صوب الفكر الاقتصادي الحديث لمعرفة أساس الفائدة التي يتقاضاها المدخر في البنوك لوجدنا أن كبير الاقتصاديين الانجليزي «سينور» يرى أن أساس ما يدفع للمدخر من عائد هو نتيجة حرمانه من استهلاك حاضر، فالفائدة تعد بمثابة تعويض عن هذا الحرمان أو التعفف عن الإستهلاك. أو كما ذهب «مارشال» هي مقابل الانتظار أو تفويت فرصة الربح على المدّخر[١٥]، وكأن بهذا الفكر يريد أن يدفع الانسان للتقاعس فيدّخر امواله وينتظر ما ينتج عنها من عائد وربح.

إن المال كما قال سيد قطب وديعة في يد صاحبه وهو موظف فيه لخير الجماعة جميعا فليس له أن يقلب الوظيفة اضرارا بالناس وابتزازا بتحيّن ساعة احتياجهم ويشغل ضعف موقفهم فيأخذ منهم الكثير مما أعطاهم[١٦].

وتأسيسا على ما تقدم فإن الاصل في الربا هو التحريم وتكمن اعتبارات تحريمه خاصة في وقاية الناس من احتكار اقواتهم وحمايتهم من التلاعب في اسعار العملة التي يستخدمونها ورفع الغبن والاستغلال عنهم[١٧].

ويظهر استبعاد الفائدة في البنوك الإسلامية من خلال النصوص الرسمية المتضمنة انشاء هذه البنوك؛. فهذه المادة الأولى من اتفاقية البنك الإسلامي للتنمية قد نصت على أن البنك الإسلامي للتنمية يعمل وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية[١٨]، وهو ما تأكد في عقد التأسيس المتضمن انشاء بنك دبي الإسلامي من أن هذا الأخير يباشر أعماله على غير أساس الربا[١٩]. كما نصت المادة الثالثة من القانون رقم ٦٦ لسنة ١٩٧١ المتضمن انشاء بنك ناصر الإجتماعي على أنه لا يجوز للهيئة (أي البنك) أن تتعامل مع الغير بنظام الفائدة أخذا أو عطاءا[٢٠]، وهو ما نجده في مختلف القوانين والنصوص المتضمنة انشاء البنوك الإسلامية.

ب - توجيه الجهد نحو التنمية عن طريق الإستثمارات:

سبقت الإشارة أن كثيرا من الادعاءات ذهبت الى القول أن شريعة الإسلام غير قادرة على مواكبة مقتضيات العصر خاصة وأن الغاء نظام الفوائد من شأنه أن يغرس روح التقاعس في نفوس المتعاملين مع المصارف، وينفرهم من ادخار أموالهم بهذه المؤسسات، ويدفعهم للتفكير في سبل أخرى لتشغيلها (الأموال).



إن المنهج والنمط البديل والشرعي، المقترح من خلال نظرية البنوك الإسلامية راعى مثل هذا الجانب وأوفاه حقه على نحو ينصف المتعامل مع المصرف ويعود بالنفع على المؤسسة وعلى الصالح العام، حيث يتم توظيف الأموال بإحدى الطريقتين:

١ ـ الاستثمار المباشر:

وبمقتضاه يتولى البنك بنفسه توظيف الأموال في مشروعات تدر عليه عائدا ·

٢ ـ الاستثمار بالمشاركة:

وبموجبه يتولى البنك المساهمة في رأس مال المشروع الانتاجي مما يترتب عليه أن يصبح (البنك) شريكا في ملكية المشروع وشريكا في ادارته وتسييره ويتحمل ما ينتج عنه من ربح أو خسارة بالنسب التي يتفق عليها الشركاء[٢١]·

جـ ـ ربط التنمية الإقتصادية بالتنمية الإجتماعية:

يقول الدكتور أحمد النجار لعل مناط التفريق بين النظام الذي تطرحه هذه البنوك وبين غيرها أنها تقوم بربط الحياة الاقتصادية بالحياة الخلقية، والحياة الإجتماعية بالحياة الدينية[٢٢]·

وليس ذلك بغريب في شريعة الإسلام التي كثيرا ما قرنت بين الصلاة كصلة بين الفرد وربه، والزكاة كصورة من صور التكافل الإجتماعي التي فرضها الله عز وجلّ على كل مسلم، واعتبرها عمادا اساسيا لا يستقيم الدين إلا بها·

ولم يعتبر النظام الإسلامي عمارة الأرض عملا اختياريا إنما هي تكليف شرعي للأمة الإسلامية لقوله تعالى: {هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها} (سورة هود/ ٦١)، وكلمة استعمار تفيد التنمية فهي تعني طلب العمارة وهي تكليف يلقي على عاتق الدولة الإسلامية مسؤولية تمكين الناس من الأرض وتنظيم انتفاعهم وتوجيه هذا التمكين لاهداف العمارة والتنمية[٢٣]·

نشأة البنوك الإسلامية وتطورها:

أمام ما حققته البنوك الربوية من فوائد بطرق استغلالية غير شرعية، انكب كثير من المخلصين لهذا الدين على دراسة الاطار النظري نحو انشاء مصرف اسلامي، تراعى في معاملاته واهدافه الضوابط الشرعية، وكان رائد هذه التجربة الدكتور احمد النجار الذي نظر واشرف على تطبيق تجربة نموذجية لمصرف إسلامي على أرض مصر باقليم الدقهلية بدلتا النيل تحت اسم بنوك الإدخار المحلية، وقد استمرت هذه التجربة من منتصف عام ١٩٣٦ حتى منتصف عام ١٩٦٧[٢٤]·

وتتلخص العملية في جمع الأموال من المزارعين المصريين واستثمارها في بناء السدود واستصلاح الأراضي واقتسام ما ينتج عنها من ربح، ولقد بلغ عدد فروع البنك ٥٣ فرعا شملت ٨٥٠٠٠ ألف مسلم قدمت كلها خدمات استثمارية وصحية وتعليمية وعرفت نجاحا كبيرا أبهر الكثير، لكنها ضُمّت فيما بعد في البنوك الربوية[٢٥]·

ويشهد التاريخ أن صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ كان من الأوائل الذين نادوا بضرورة تطوير نظام اقتصادي ومالي اسلامي يحترم ضوابط الشرع، ونتيجة لمبادرات هذا الأخير تم إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي التي كان من اهدافها العمل على تشجيع المؤسسات المالية غير الربوية· وفي شهر ديسمبر ١٩٧٠ وأثناء اجتماع وزراء الخارجية للدول الاعضاء في المنظمة بـ (كراتشي) (الباكستان) تقدمت مصر والباكستان باقتراح يتضمن انشاء بنك اسلامي دولي للتجارة والاستثمار وكذا فدرالية للبنوك الاسلامية[٢٦]·

وبعد أن تمخضت الفكرة اكثر في مؤتمر بنغازي

١٩٧٣م وفي شهر يوليو من نفس السنة قام خبراء مجتمعون بجدة بإعداد مشروع انشاء بنك إسلامي، وقدم في شهر مايو ١٩٧٤م اثناء اجتماع وزراء المالية للدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، حيث تمت الموافقة عليه وبدأ نشاطه بمدينة جدة عام ١٩٧٥م[٢٧].

ووافق وزراء الخارجية في المؤتمر الإسلامي على إنشاء الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية الذي تأسس في شهر اغسطس سنة ١٩٧٧م برئاسة الأمير محمد الفيصل آل سعود الذي قدم الكثير من أجل انشاء وتطوير البنوك الإسلامية في مختلف انحاء العالم[٢٨]، وكان يد تأييد ودعم من أجل إقامة هذا الصرح وتجسيد رغبة المسلمين في رفع شبح الرهبة والخوف من اكتساح عالم الاقتصاد.

ولا شك أن مثل هذه الجهود المبذولة كان الهدف منها بناء نظام اقتصادي إسلامي يكون بمثابة رد مفحم لكل من ادعوا أن النظام الإسلامي غير قادر على مسايرة مقتضيات العصر.

واستمرت البنوك الإسلامية في فرض وجودها، وتزايد عدد فروعها في مناطق كثيرة، وكذا عدد المتعاملين معها، مما منحها دفعا جديدا يعبّر بصدق عن انتشار المدّ الإسلامي وفصله في قضايا اعتقد البعض أنها شائكة في هذا العصر.

وإزاء ما حققته البنوك الإسلامية من نجاحات ارتفع عدد فروعها رغم العقبات والإدعاءات فمن بنك واحد سنة ١٩٧١ وصل العدد الى ٢٥ بنكا سنة ١٩٨٠م ليرتفع سنة ١٩٨٣ الى ٣٩ بنكا ويصل سنة ١٩٨٦ الى ٥٤ بنكا[٢٩].

أهداف البنوك الإسلامية:

يقول الدكتور أحمد النجار أن الهدف الأساسي وراء النموذج الذي نعرضه هو تعبئة الجماهير الإسلامية لتشارك مشاركة إيجابية فعالة في عملية تكوين رأس المال[٣٠].

ومن خلال هذا القول يتبين لنا أن الغرض من اقامة هذا الصرح الاقتصادي والمالي هو تطبيق شريعة الإسلام في مجال المعاملات المالية والتجارية وارساء نظرة جديدة لمسايرة مقتضيات العصر بكيفية تم فيها مراعاة ضوابط الشرع. كما تهدف البنوك الى المساهمة في دفع عجلة التنمية الإقتصادية والاجتماعية.. نوضح ذلك فيما يأتي:

١- تطبيق الشريعة الإسلامية:

بعد أن تعالت الأصوات وأجمعت على عدم مسايرة احكام شريعة الإسلام لروح العصر ومتطلباته، جاءت فكرة البنوك الإسلامية لتدحض قول كل مدع، وتسقط كل قناع أريد من خلاله محاربة الإسلام وأهله.

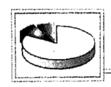
وإذا كان المسلمون في مختلف البلاد الإسلامية الواسعة، وفي غيرها، يرفضون التعامل بالربا ومع المؤسسات المالية الربوية، ويحجمون عن أخذ الفوائد والعائدات المترتبة عن ادخاراتهم، فإنه وبعد أسلمة البنوك لم يعد اليوم هناك من حرج أن يتعامل المسلم مع مصرف اسلامي وهو مطمئن على ماله بأن لا يطله الحرام وأن لا يستعمل في الحرام أو يُنَمَّى بطرق غير شرعية.

ولقد اثبتت الاحصاءات في مصر أن ٤٪ فقط من المصريين الذين لهم قدرة الادخار كانوا يتعاملون مع البنوك الربوية، وهو ما يعني أن ٩٦٪ يرفضون التعامل بالربا[٣١]، وأن إنشاء بنك اسلامي من شأنه إعادة تشغيل هذه القدرات الإدخارية والاستثمارية.

٢- المساهمة في انعاش الحياة الاجتماعية والاقتصادية:

رجوعا للنصوص المتضمنة إنشاء البنوك الإسلامية نجد أنه من بين الأهداف المنوطة بها أداء رسالة اقتصادية واجتماعية.

وتتمثل الرسالة الاقتصادية في دراسة المشاريع الاقتصادية وتنفيذها، فيقوم البنك مثلا بتقديم المال لمختلف المقاولين ورجال الأعمال على اساس المشاركة



في الربح والخسارة، كما يقوم البنك بالاستثمار في المجال الزراعي واستخراج المعادن والزيوت والمحاجر وغيرها من موارد الثروة الطبيعية، وهذا ما يتضح من عقد تأسيس بنك دبي الاسلامي على سبيل المثال.

ومن هنا لا يضمن البنك الاسلامي أي عائد ثابت متواصل على النحو الذي تسير بموجبه المؤسسات الربوية، بل يجعل اصحاب الودائع امام مسؤولية تحمل الخسائر والحصول على الارباح، اي أن تتوافر لديهم عند ايداع أموالهم نية المضاربة أو المشاركة.

وعلى المستوى الاجتماعي يقوم البنك بجمع الزكاة والصدقات وتوزيعها على الجمعيات الخيرية والافراد المستحقين وتقديم قروض بلا فوائد وتشجيع بعض الانشطة ذات النفع العام[٣٢]، وفي هذا المجال أوصت الندوة الدولية عن البنوك الإسلامية والتأمين ببنجلاديش في شهر اكتوبر ١٩٨٩م بالتركيز على الجانب الاجتماعي بقولها: «يتعين على البنوك الإسلامية الاهتمام بعمليات تمويل المشروعات الحرفية والصغيرة والاستثمارات العقارية بما فيها تمويل المساكن منخفضة التكاليف»[٣٣].

وجاء في المذكرة الإيضاحية لبنك ناصر الاجتماعي ما يلي:

«ولا ينبغي أن يكون مفهوما أن الوظيفة الإجتماعية للبنك تقتصر على تقديم البنك للمعونات والمساعدات التي لا تسترد، ذلك أمر يخرج عن الفهم الحقيقي والصحيح لمهمة البنك، إن مجتمع الكفاية والعدل الذي ينشد البنك الاسهام في تحقيقه يؤمن بأن العمل هو الدعامة الاساسية لهذا المجتمع، وأن العمل لا يحول دونه إلا كسل وخمول أو فقدان لوسائل العمل وللبنك إزاء كل منها اسلوبه في العلاج»[٣٤].

ولا شك أن التعامل بالربا من شأنه أن يفقد البنوك دورها الاجتماعي فتنقلب الى مؤسسات تجارية ومالية لا يهمها سوى تحقيق الربح، ولا يعنيها دعم بعض الانشطة الاجتماعية أو الطوائف المحرومة، وهو ما تداركته البنوك الإسلامية ووضعته أحد أهم أهدافها.

البنوك الإسلامية في ميزان الباحثين والعلماء:

شهدت الساحة الاقتصادية في مصر ودول الخليج العربي ومناطق كثيرة في العالم انتشارا واسعا للبنوك الإسلامية بعد أن حققت نتائج أبهرت الجميع رغم كثرة العراقيل، مما يثبت أن المستقبل سيكون دون شك لهذا النوع من البنوك.

يقول الدكتور حسين شحاته الاستاذ بجامعة الازهر والمشرف على تحويل بنك الاهرام إلى بنك إسلامي «إن المعاملات الإسلامية ببنك مصر تؤكد أن البنك بدأ بفروع كانت خاسرة وبعد تحويلها لفروع إسلامية أصبحت تحقق ارباحاً مما شجع ادارة بنك مصر على تحويل المزيد من فروعها الى بنوك اسلامية مما يبشر أن المستقبل سيكون للإقتصاد الإسلامي»[٣٥].

ويقول الاستاذ منير خليل العضو المنتدب، أن هذا التحول الذى شهده بنك الاهرام بدأ عندما اختار هذا البنك الحل الإسلامي بعد أن تعرض لخسائر كبيرة كادت أن تؤدي الى انهياره[٣٦].

وذهب الاستاذ حسين محمد عمر المفتي مدير عام بنك التنمية التعاوني الإسلامي وهو يقيّم تجربة المصارف الإسلامية في السودان الى القول أن البنوك الإسلامية قد وجدت القبول والرواج لأنها تجاوبت مع رغبات وأحاسيس وتطلعات الجمهور المسلم. وساهمت في انعاش الاقتصاد الإسلامي وكانت بمثابة اسلوب عملي للدعوة للفكرة الإسلامية المتكاملة[٣٧].

وهذا تقرير صادر عن صندوق النقد الدولي أثبت أن الاقتصاد الامثل الذي يطبق المشاركة الإسلامية ربحا وخسارة - الغرم بالغنم - يساعد على حماية البنوك من خطر الافلاس[٣٨].

وعند زيارته لبنك دبي الإسلامي اعجب الداعية المرحوم الشيخ محمد الغزالي بتجربة هذا البنك واكد على الدور الذي تقوم به المصارف الإسلامية في ايجاد البديل الحلال لانقاذ المسلمين من الوقوع في الحرام، واستنكر لسيل الاشاعات التي تريد النيل من المؤسسات التي تعمل في الاطار الشرعي[٣٩].

غير أنه وكما قال سمو الأمير محمد الفيصل آل سعود رئيس مجلس ادارة بنك فيصل الاسلامي المصري: «كلما زاد الهجوم علينا ازددنا طمأنينة أن أوضاعنا جيدة وأن مسيرتنا ناجحة»[٤٠].

واليوم وقد نجحت البنوك الإسلامية وتم تزكيتها من قبل علماء الشريعة ورجال الاقتصاد، حُق للمسلمين أن يقولوا بلسان الحال والمقال هذه اموالنا لا نتعامل بها إلا في الاطار الشرعي ومع المصارف الاسلامية.

إن كثيرا من الناس لا يرون الحق مجردا من خلال التعاليم، ولكن انواره تبهرهم وتأسر نفوسهم إذا ما تمثل في الواقع المشهود، وإقامة هذه المؤسسات - أي المصارف الإسلامية - ونجاحها شهادة عملية وبرهان يخاطب المسلمين كما يخاطب غيرهم.

ويحق لنا بعد سماع اقوال أهل الحل والعقد من العلماء والباحثين ورجال الميدان، وبعد تقييم تجربة البنوك الإسلامية في زمن قصير أن نؤكد بأن المستقبل سيكون بإذن الله للاقتصاد الإسلامي، ويجد هذا التفاؤل اساسه في تقديرات اتحاد البنوك الإسلامية والتي ثبت فيها أن عدد المودعين سيبلغ عام ٢٠٠٠ المئة مليون، ولا يقل حجم ايداعاتهم عن ٣٣ مليار دولار[٤١].

ورغم أن البنوك الإسلامية لازالت حديثة العهد إلا أن صرحها، ومن خلال الوقائع والشهادات يزداد شموخا في عالم المصارف والمؤسسات المالية بحكم تضافر عدّة عوامل أبرزها انتشار المد الإسلامي أو الصحوة الإسلامية، فالتقارير الصادرة عن الهيئات المشرفة والمسيرة للبنوك الإسلامية تجمع على أنها تسير في الطريق السليم بخطوات ثابتة. فلو أخذنا على سبيل المثال لا الحصر وبلغة الأرقام النتائج التي حققها بنك فيصل الإسلامي المصري لوجدنا أن هذا الأخير قد ازدادت ايراداته في العام الهجري ١٤٠٩ الى ٣ر١١٧ مليون دولار بدل أن كانت ٤ر١١١ مليون دولار في عام ١٤٠٨هـ، وبنك دبي الإسلامي حقق ارتفاعا في ايراداته بنسبة ٥ر٤٣٪ عام ٨٩م[٤٢]، وسجل بنك فيصل الإسلامي في البحرين زيادة في مجاميع الميزانية العمومية عام ١٩٩٠م بلغت ١ر٨٪ والأمر نفسه نجده في بقية البنوك[٤٣].

وهكذا وبعد أن عرفنا خصائص البنوك الإسلامية واهدافها تبين لنا تميزها عن البنوك الربوية وأن كلا منهما يشكل نظاما لوحده يختلف عن الآخر في التصور وفي النظرة للمال ولوظيفته وللأهداف التي أنشىء من أجلها البنك أو المصرف.

وليست البنوك الإسلامية صورة لتعطيل دوران المال، بل فيها تشغيل له (للمال) بطريق سوي تؤيده ضوابط الشرع، ويعود بالنفع على البنك وعلى المدخر.

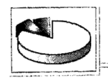
ومن هنا وبعد أن هبت ريح الفائدة الربوية على العالم الإسلامي بحكم عوامل كثيرة يأتي الغزو الثقافي والمؤثرات الاستعمارية في مقدمتها، جاءت تجربة البنوك الإسلامية لتكون صورة بديلة وخطوة ناجحة ونمطا جديدا من انماط تسيير المؤسسات المالية بشكل تم فيه مراعاة الضوابط الشرعية.

ووجد المسلمون في البنوك الإسلامية ما ينشدونه ويلبي رغباتهم ويتفق مع تعاليم دينهم، واستطاعت في زمن قصير أن تقيم جسرا من الثقة بينها وبين المتعاملين.

الهوامش:

(١) سعود عبد المجيد، البنوك الإسلامية وأوجه الاختلاف بينها وبين البنوك التجارية، رسالة ماجستير جامعة الجزائر ١٩٩١، ص ٤٣.

(٢) الدكتور أحمد النجار، دور البنوك الإسلامية في إقامة نظام اقتصادي إسلامي، مجلة البنوك الاسلامية،



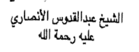
العدد السبعون، جمادى الأولى ١٩٩٠، ص ٣٣.
(٣) ابن كثير في تفسيره، الجزء الأول، ص ٥٨٨.
(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الأول ص ٧٠.
(٥) الدكتور يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، الجزائر، دار البعث ١٩٧٧، ص ١١٧.
(٦) الدكتور علاء الدين خروفه، عقد القرض في الشريعة الإسلامية، بيروت، مؤسسة نوفل ١٩٨٣، ص ١٩٥.
(٧) الدكتور علاء الدين خروفه، المرجع نفسه، ص ١٩٨.
(٨) الدكتور احمد النجار، البحث المشار اليه ، ص ٢٦.
(٩) محمد الغزالي، هموم داعية، الجزائر، شركة الشهاب، ١٩٩٠، ص ٦٤.
(١٠) الدكتور علاء الدين خروفه، المرجع السابق، ص ٢٠٢.
(١١) سيد قطب، المرجع السابق، ص ٧٥.
(١٢) الدكتور عمر سليمان الاشقر، الربا وأثره على المجتمع الإسلامي، الجزائر، دار الشهاب، ١٩٨٨، ص ١٠٩.
(١٣) جهاد عبد الله حسين ابو عويمر، الخلافات الحديثة حول الربا، مجلة البنوك الإسلامية، العدد الثامن والستون، ١٩٨٩، ص ٥١.
(١٤) جهاد عبد الله حسين ابو عويمر، المقال نفسه، ص ٥٤.
(١٥) سعود عبد المجيد، الرسالة المشار اليها، ص ١٣.
(١٦) سيد قطب، العدالة الإجتماعية في الإسلام، بيروت، دار الشرق، ١٩٨٣، ص ١٠٢.
(١٧) الدكتور عبد الرزاق السنهوري، مصادر الحق في الفقه الإسلامي، ج٣، بيروت دار احياء التراث العربي، دون تاريخ، ص ٢٤١.
(١٨) الدكتور شوقي اسماعيل شحاته، البنوك الإسلامية، جده، دار الشروق، ص ١٤٦.
(١٩) الدكتور شوقي اسماعيل شحاته، المرجع السابق، ص ١٨٢.
(٢٠) الدكتور شوقي اسماعيل شحاته، المرجع نفسه ص ٢٢٠.
(٢١) سعود عبد المجيد ، المرجع السابق ، ص ٥٢.
(٢٢) الدكتور أحمد النجار، المدخل الى النظرية الاقتصادية في المنهج الإسلامي، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٤، ص ٢٣٨.
(٢٣) الدكتور محمد فتحي صقر، تدخل الدولة في النشاط الإقتصادي في اطار الاقتصاد الاسلامي، منشورات مركز الاقتصاد الإسلامي، ص ٥٠.
(٢٤) الدكتور أحمد النجار، المرجع السابق، ص ١٩٧.
(٢٥) محمد بوجلال، البنوك الاسلامية ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٩٠، ص ٤٦.
(٢٦) محمد بوجلال، المرجع نفسه ، ص ٤٨.
(٢٧) محمد بوجلال، المرجع نفسه ، ص ٤٩.
(٢٨) محمد بوجلال، المرجع نفسه، ص ٥٠.
(٢٩) سعود عبد المجيد، المرجع السابق، ص ٤٩.
(٣٠) الدكتور أحمد النجار، المرجع السابق، ص ٢٤٣.
(٣١) محمد بوجلال، المرجع نفسه ، ص ٤٥.
(٣٢) سعود عبد المجيد، المرجع نفسه ، ص ٥٦.
(٣٣) سعود عبد المجيد، المرجع نفسه، ص ١٩.
(٣٤) مجلة البنوك الإسلامية، العدد السبعون، ١٩٩٠، ص ١٩.
(٣٥) مجلة الإقتصاد الإسلامي، العدد ١٠٥، ١٩٩٠، ص ٣٩٤.
(٣٦) مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد المذكور، ص ٣٩٤.
(٣٧) مجلة المصارف العربية العدد ١٣٢، ١٩٩١، ص ٢٦.
(٣٨) مجلة المصارف العربية، العدد المذكور، ص ١٨.
(٣٩) مجلة الاقتصاد الإسلامي ، العدد المذكور، ص ٣٧٦.
(٤٠) مجلة البنوك الاسلامية، العدد السبعون ، ص ٣.
(٤١) مجلة المصارف العربية، العدد المذكور، ص ٢٠.
(٤٢) مجلة الاقتصاد الاسلامي، العدد المذكور، ص ٣٨١.
(٤٣) مجلة المصارف العربية، العدد المذكور، ص ١٥.

آثار المدينة المنورة

تأليف الأستاذ : عبدالقدوس الأنصاري

حين حج الرشيد في بعض سنواته، سأل وزيره يحيى بن خالد البرمكي أن يأتيه بعالم مؤرخ يعرف آثار المدينة المنورة، ويدله على مشاهدها التاريخية، فيعرف منه؛ في أي مكان كان ينزل جبريل على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وما موضع قبور الشهداء وما الأمكنة التي كان يرتادها الرسول كثيرا مع صحابته وما مواضع مجالس المنافقين، وآطام اليهود، ليعرف من المكان مالا يعرفه من الصحف والأوراق، وقد بحث يحي مجدا حتى اهتدى إلى محمد بن عمر الواقدى صاحب الطبقات التاريخية الشهيرة، فكان يساير الرشيد خطوة خطوة، ويطلعه على كل أثر من الآثار النبوية الكريمة.

أقول: لو تقدم الزمن بأستاذنا عبد القدوس الأنصارى إلى أيام الرشيد، لأمكن أن يصطفيه يحي بن خالد البرمكي ليذكر للرشيد ما يريد أن يلمّ به من أماكن المدينة المنورة، وتاريخها النبوي الكريم، لأن كتابه عن آثار المدينة المنورة يشهد له بالدراية التامة، والخبرة البالغة بهذه الأماكن، وما جَدَّ من التغيير بها على مرور الأزمنة المتعاقبة مع الفارق الكبير بين محمد بن عمر الواقدي، وعبد القدوس الأنصاري، فالواقدي عرف هذه الأماكن بعد مرور قرن وربع على عصر النبوة الزاهر وهو أمد قريب لا يفسح مجال التغيير والتبديل، أما الأستاذ الأنصاري فقد جاء بعد أربعة عشر قرنا! أربعة عشر قرنا ذات الأحداث والأهوال والفجاءات الطبيعية، والانهيارات السياسية التي لا تكاد تُبقي ولا تذر، ومع ذلك كله، فقد اصطحب العزم على أن يكون أول أثري معاصر تعرفه المملكة العربية السعودية، فلم يقم أحد من قبله بهذه الدراسة الأثرية الممتازة، فجعل يفحر بأصابعه في الصخر الأصم، حتى انتهى إلى ما تنتهي إليه البعوث الأوربية الأثرية، ذات المراصد الكاشفة والآلات المستحدثة، والخرائط الموضحة، والأموال المرصودة للإنفاق ، والأشخاص المتعددي المعارف.



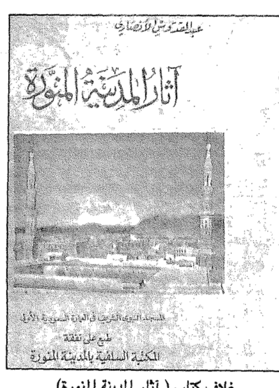
الشيخ عبدالقدوس الأنصاري عليه رحمة الله

هذه البعوث الاستكشافية أغنى عنها بالنسبة إلى المدينة المنورة عالم فرد ! لم يكن في نشأته الأولى طالب آثار متخصص! ولكنه كان طالب علم، وقد دفعه حُبُّه لرسول الله {صلى الله عليه وسلم}، ولمدينته المنورة التى تنفي عنها كل خبث، أن يقوم بهذا الاكتشاف العلمي الهائل! وأقول الاكتشاف وأنا أعرف ما أعنيه، فبعض الكتب التي تتحدث عن المدن الكبرى يكتفي مؤلفوها بقراءة ما كتب عنها من الأسفار، فإذا استوت لهم المادة المطلوبة، ضموا العناصر إلى العناصر، وقاموا بصياغة مريحة لم تنقلهم من مكان إلى مكان، وخرج الكتاب ليتحدث عن دمشق أو بغداد أو القاهرة حافلا بالصور المعروفة، والخرائد المشتهرة، والمعلومات المقررة! وعُدَّ ذلك كتابُ آثار، أما

د. محمد رجب البيومي
عضو مجمع البحوث الإسلامية ـ المنصورة

الأستاذ الأنصاري فقد سار على قدمه في كل مكان من أمكنة المدينة تسلق الصخور إلى قمم الجبال، ونزل إلى الوهاد السحيقة فيما جفّ من الآبار، وارتطم بحجارة الآطام المتآكلة حتى كادت إحداها أن تهوى به لولا عناية الله! ولم يكن يملك من أدوات الرصد والمساحة غير ما يملكه أديب عالم دفعه الشوق الى اكتناه المجهول، وقارىء الكتاب يحسُّ بما لاقاه من جهد كارب في هذا الميدان، يحسُّ به حين يقرأ قوله الصادق «بدأت في هذه الدراسات منذ ثمانية أعوام، فطوراً تراني جائلا في شوارع المدينة وأزقتها متأملا، وطورا تجدني سائرا في ضواحيها مستكشفا، أعلو الآكام، وأستبطن الوهاد، وأصعد إلى قمم الجبال، وأهوي إلى قرارات الأودية وكانت لوافح السموم لا تكبح من جماح همتي، ولواذع القرّ لا تفلّ من حد عزمتي، لما أشعر به من متعة روحية في مهمتي، وطالما اشتقت إلى أن أوفق إلى إيداع معلوماتي، ومشاهداتي، ونتائج دراساتي في سفر يكون جامعا لأشتاتها وبخاصة أن للبحوث الأثرية أهمية خاصة في عالم التاريخ، حتى أراد الله ذلك الآن!»... المقدمة.

أذكر بهذه المناسبة قصة سمعتها من الأستاذ الأنصارى أثناء زيارته الأخيرة لمصر، وكان يزور أخاه العزيز المرحوم الأستاذ محمد سعيد العامودي في مستأجره بشارع أبى الفداء بالزمالك، حيث تعرّض الحديث إلى كتاب (آثار المدينة المنورة) فقال الأستاذ الأنصاري: لقد أدركنى التعب مرة في أشد ساعات الهجير شواظا، فجلست على صخرة في أطم من آطام المدينة العالية، كي أريح قدمي فحسب، فسمعت فحيحا من حولي، فحيحا مرتفعا يُؤذن بوجود ثعبان ذي خطر، فنهضت عجلا، ونظرت ورائي فإذا فوهة غائرة تندفع منها حية بيضاء بلون الطباشير، ولم أكن رأيت حية بيضاء من قبل، وقد برزت برأسها، وكأنها تهم بالوثوب، فتراجعت، ثم قلت: كيف أتركها هكذا، وقد تنقض على عابر دون أن يعرف، ثم حملت حجراً ثقيلا،



غلاف كتاب (آثار المدينة المنورة)

وجئت أدبُّ دبيبا كيلا ألفتها إليّ ورميت بالحجر الثقيل، فكتم رأسها، وإذ ذاك بحثت عن حجر آخر، وضربت به فوق جسمها الممتد، فلم تستطع الحراك وأخذت أضغط على رأسها تحت الحجر بقدمي حتى تأكدت أن أنفاسها قد تلاشت! ومضيت حامدا الله أن نجاني منها أولا، وأن أمكنني أن أنجي الناس من شرها، ولا أدري لماذا لم يُسجِّل الأستاذ هذا الحادث في كتابه، وزملاؤه يتحدثون عمّا يلاقون من غرائب في اكتشافاتهم الأثرية، إنه آثر أن يكون موضوعيا لا ذاتيا! ومع ذلك فقد اضطر إلى أن يتحدث عن بعض المشقات المرهقة التى قابلته في رحلاته المضنية، ومن بينها ما ذكره عن الغابة الموحشة المجاورة لبركة الزبير حيث قال:[١]

«ودخلنا إلى أرض رملية ألقتنا إلى أرض مسبخة، ساخت فيها عجلات سيارتنا الكبيرة واشتد زفيرها كأنما تستغيث من هول هذه الأرض المغراق، فنزلنا عنها ودفعناها، فاندفعت وامتطيناها ثانية فما هي الا بضع دقائق حتى عادت إلى سيرتها الأولى، فتركناها مكانها، وقلنا لأقدامنا، تقدمي أنت إلى الأمام، ومضينا حتى بلغنا حدود الغابة، فهالنا منظرها الموحش الكئيب الذي شاهدناه، من خلال جذوع أشجارها وفروعها،

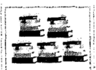
ودخلناها في تأمل وعلى مهل في شبه اشمئزاز وتحرُّز يسوقنا حبُّ الاستطلاع، ويحدونا حب التنزه».

أما الاستطلاع فأمر معقول، وأما التنزه فلا تنزه بهذه الأجمة المخيفة ذات الشقوق الغائرة في باطن الأرض التى احتفرتها السيول بقوة تيارها، وقد لاحظنا أن بأطراف هذه الشقوق تقوم شجيرات متكاثفة من الأثل والطريفاء القصيرة الشبيهة في شكلها الباهت الصامت بالعجائز العابسة الكالحة الوجوه، وسرنا في الغابة متماسكين ومتقاربين خوفاً من الضياع، وبعد أن تعمقنا فيها قليلا، شاهدنا آثار وطأة حيوان كبير، قال بعضنا: إنه أثر سبع، وقال الآخر إنه أثر نمر، وعلى كل فهو داهية دهياء، وما كدنا نقارب الجبل حتى استوقفنا الدليل الأعرابي، وحذرنا من تجاوز هذا المكان، قائلا «في هذا المكان غدير لا يخلو من ماء كدر، تحوم حوله أنواع الحيوان، وقد يقع فيه السائر دون قصد، فيعسر خروجه لشدة وحله» فعدنا أدراجنا ننفض غبار التقزز والاشمئزاز حتى وصلنا إلى السيارة، وفي نفوسنا أثر من كآبة منظر الغابة ووحشتها وأثر من خيبة آمالنا في استكشافها».

هذه خواطر رحالة جوّال، ويقيني أن المؤلف قد استشعر كثيرا من أمثالها، ولكنه لم يسجل ما استشعره لأنه أراد أن يكون باحثا موضوعيا! وأنا أرى أن هذه الانطباعات الذاتية مما تزيد البحث تألقا، وتستميل القارىء المتعجل إلى التريث! بل انى تركت القراءة حين وصلت إلى هذا المشهد لأسبح بخاطرى في تصور الغابة بخيالي على نحو ما وصفها به الكاتب المؤرخ! فأحسست أني كنت مع الرفاق بل أحسست أني كدْتُ أسقط في الغدير.

لقد ألفت في القديم كتب خاصة بآثار المدينة المنورة للمطري والسمهودي وغيرهما، وقد رجع الأستاذ الأنصاري لهما رجوع الناقد البحاثة، فوافق وخالف، وحبذ وعارض، شأن العالم البصير بما يكتب، ولا يجهل القارىء أن المؤلفين السابقين رحمهما الله، عانيا ما عانى، وكابدا ما كابد، ولكن الطريقة القديمة في التأليف كثيراً ما تضل ولا تهدي، فقد يذكر الفاضل من هؤلاء الكرام حديثاً في غير موضعه، يذكره استطرادا، وقد يتلقى النبأ عن الأثر من أميّ ساذج يُسأل فيجيب بما يُعْتَبر أسطورة لا حقيقة، فينقل المؤلف ما سمع دون تمحيص مكتفياً بالاحالة إلى مصدره وكأنه خلصه من العهدة، ولكن الأستاذ الأنصاري يعيش في عصر التثبت، بل في عصر الشك في الثابت حتى تقوم البراهين على إثباته، لذلك جعل يعقب على كل ما يسمع بالنفي أو الإثبات، مستنداً إلى الدليل.

وقد قسَّم الكتاب أقساماً واضحة محددة إذ بدأ بالحديث عن دور المدينة ثم عن قصورها فعن حصونها فعن مساجدها فعن بلاطاتها، فعن أمكنتها وقد خصَّها بهذا الفصل لأنها ذات شجون تاريخية كالخندق وثنية الوداع أو أدبية كالنقا وحاجر والمتحنى أو دينية كالبقيع وقباء، وكل ما ذكره جيد مفيد، ثم عن الجبال والحرار ثم عن الأودية ثم عن الآبار ثم عن العيون، أما الخرائط التى رسمها بيده على وجه تقريبي فقد أثنى عليها كل من تلاه، بل اعتمدها الجغرافيون من بعده في كتبهم، وهذه موهبة أخرى للباحث المتعدد الفنون ولأستدل على قوة تحقيق الباحث الصبور أشير بزائد الإعجاب إلى ما ذكره عن (حصن كعب بن الأشرف) حيث ذهب كثير من الدارسين إلى أنه ليس القائم على هضبة الحرة الجنوبية من المدينة وفيهم من لم يتعرض لموضعه أصلا كابن هشام وابن الأثير، أما السمهوديّ في وفاء الوفا فقد قال إنه يقع بحرة زهرة من منازل بني النضير، .. ولم يرتح المؤلف لما قرأ دون أن يمحص القول باستطلاع (استبيان كما يقال اليوم) عمليّ، فجعل يسأل أهل الدربة من المعاصرين ممن تناقلوا التاريخ (ابناً عن والد عن جد) عن هذا الحصن القائم على الحرة، فكانوا جميعا يقولون هو حصن



النصراني؟ فزادوا الأمر إلتباساً، لأنه في ظن الباحث حصن يهودي لا حصن نصراني، وما كان للنصارى حصون بالمدينة.

يقول الكاتب[٢]:

«والبدو هنا لا يميزون بين اليهود والنصارى، إذ كلّ ما سوى المسلمين لديهم هم النصارى فالنصارى يهود، واليهود نصارى» ثم أخذ يوالي زياراته ليستخبر الناس ما بين مدرك وغافل، حتى قابل رجلا خبيراً يسمى عليّا من أهل الثراء، وله بستان جميل، فقال عليّ: أنت مقصدك الحصن فقلت نعم: فقال هو ملكنا من قديم، وقد كان يسمى (حصن كعب بن الأشرف).. ولكن الأنصاري دار بنفسه شك حين تفحص الحصن من جديد؟ إذ أنه يخلو من الآبار، ولابد أن يكون حصن كعب ذا بئر ينفح الريّ لمن يمكث به محاصراً عدة أسابيع؟ وقد حوصر اليهود به قرابة خمسة وعشرين يوما فمن أين كانوا يشربون؟.

لم ييأس المؤلف من معاودة البحث مرات أخرى، فرجع بعد أمد إلى عليّ فوجده يستقبله فرحاً، ويقول عرفت موضع البئر، مكانه هنا، وأشار إلى مكان ذي سلّم حجري ينزل المستقون منه درجات ليشربوا ويحملوا.. وقد طمّ وجهه حتى كشفه عليّ، وأصبح سلّمه واضحا، فذهب الشك واحتل اليقين! لقد واصل المؤلف الذهاب إلى الحصن مرات متعددة، دون أن ييأس من جهد يحتمل الضياع، حتى رأى ما يجزم بالصواب، ففرح فرح العالم بتحقيق أمنيته! وسجل ذلك بعد اقتناع!.

وأضيف الى ذلك أن الأنصاري عثر على نص شعري بأثر من الآثار لم يُسْبق تدوينه، وقرأه بعد جهد لضياع بعض حروفه، ولأن الخط كوفي غير مشتهر وليست المسألة مسألة العثور على بيتين، فما أكثر ما يروى من أبيات الآثار ولكن البيتين دلا على اسم المكان، وهذا كسب أثري، وقد وقفت عند قول الأنصاري عن هذا البيت:

هضاب بهذا السدّ بالصلد كلها
على كل واد بها جنان من الأرض

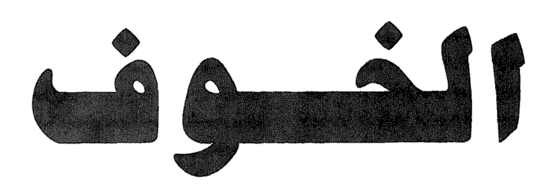
حيث قال (ألاحظ اضطرابا لفظيا ومعنويا في كلمة «كلها» فلعل قراءتها هكذا غير صحيحة، وأنا لا ألحظ اضطراباً لأن كلها توكيد للهضاب، لا للصلد، ولا للسد! وهو تخريج معقول).

وبعد فهل أذكر أن المجلات الأدبية قد رحبت بصدور هذا الكتاب في طبعته الأولى، وقد أفرد له العلامة الكبير الأستاذ محمد فريد وجدي ثلاث صفحات من مجلة الأزهر وكانت تسمى (نور الإسلام) حينئذ كما جعله الكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل صاحب حياة محمد أحد مراجعه الموثوقة، وقد كان الأستاذ الأنصاري صديقاً عزيزا لديه، وقد رافقه في رحلة الحج التى دونها في كتابه (في منزل الوحي) ورجع إليه في تحديد بعض الأماكن التاريخية لا في المدينة وحدها بل في مكة والطائف وما حولهما مما يدل على اهتمام الأنصاري بالجزيرة العربية على نحو ممتد، إذ أشار إلى آرائه في ثلاثة عشر موضعاً من مواضع الكتاب، وطبيعي أن يمتد الحديث بين الرفيقين إلى أكثر من هذه المواضع، إذ أن هيكل باشا لم يذكر غير ما كان موضعاً للجدال، أما ما جرى به القول من مواضع الوفاق فليس في ذكره من داع.

لقد تعددت طبعات هذا الكتاب، وهذا غنم للقارئ، وأذكر أنى طالعته اليوم في طبعته الأخيرة بعد أن قرأت الطبعة الأولى من أكثر من ثلاثين عاما فشعرت أني أقرأ كتاباً جديدا لا عهد لي به من قبل، لأن جلال موضوعه من ناحية، وحبي لمؤلفه من ناحية ثانية قد بعثا في نفسي شوقا جديدا لهذه الصفحات الصادقات.

الهوامش:

(١) آثار المدينة ص ١٨٠ ط ٠٣.
(٢) آثار المدينة ص ٦٧ وما بعدها.



الخوف

المنظر الأول

ينفرج الستار عن صوت جلبة ولغط يرتفع تارة ويخبو تارة أخرى ليتحول إلى ما يشبه الهمس وليس بهمس فهو أقرب إلى الحوار البيني ٠٠ (نور خافت)٠

تتوزع على خشبة المسرح مجموعة من الطاولات والكراسي (منظر غرفة مدرسين) تشكل نصف حلقه دائرية٠٠ يمزق الهمس الدائر صوت الأستاذ (نور الدين) المتبحر في علوم اللغة والدين بعدما أغلق كتاب الله الكريم، ويشعل سيجارة كعادة يحب ممارستها حينما يجذبه حديث يدور وينبس:

الأستاذ نور الدين: هذه أكاذيب وأراجيف شيطان٠٠ تفتح مجموعة من الأفواه (لتستعرض ثقافتها) بينما تجفل نفوس كاتمة خوفها، موارية هلعها بين الأضلاع، ويسيطر صوت الأستاذ صلاح الجهور على بقية الأصوات المتلعثمه القلقه المتمرده، فيبسمل ويقرأ {وما خلقْتُ الجنّ والإنسَ إلا ليعبدون}٠

الأستاذ نور الدين: أي نعم ٠٠ هذا صحيح ٠٠ ولكن ظهور الجن وتمثله في صورة حيوان أو إنسان خرافة ما أنزل الله بها من سلطان٠

يدخل الأستاذ توفيق الذي لتقط سمعه أواخر حديث الأستاذ نور الدين، واضعا يده اليسرى على كرشه المتدلي أمامه واليمنى يتحسس بها موضع طاولة الأستاذ نور الدين وبؤبؤا عينيه يسافران من أقصى يمين العينين إلى أقصى يسارهما ككرة من البيلسان تتحرك في زنبرك، تميزه تلك العينان اللتان تنمان عن جمال دابر - قائلا: لا يا أستاذ نور الدين٠٠ لقد قرأت عن ذلك الموضوع كثيرا وظهور الجن حقيقه لا تقبل الجدل ولا يختلف عليها اثنان٠

الأستاذ توفيق: أنا قارىء متجول أطوف بين شتى حقول العلم ٠٠ وأقطف من المعارف ما يقيني من الجوع الفكري ويسد تعطشي لكل جديد تلفظه المطابع٠

الأستاذ نور الدين: أموالك تبددها بسبب خيالاتك المريضه، إقرأ في كتاب الله وتدبر وتأمل في معانيه فلربما يشفع لك يوم القيامة هذا الصنيع٠

الأستاذ توفيق: سامحك الله ٠٠ وقاتل شيطانك يا أستاذ نور الدين، إنني حافظ للقرآن منذ صغري، أردده على سجادة صلاتي وفي مهجع نومي كي لا

ناصر سالم الجاسم
- الاحساء -



الشخصيات حسب الظهور على خشبة المسرح:

١ ـ الأستاذ: نور الدين.
٢ ـ الأستاذ: صلاح.
٣ ـ الأستاذ: توفيق.
٤ ـ الأستاذ: عبد الرحمن.
٥ ـ الأستاذ: فؤاد.
٦ ـ الأستاذ: محمود.
٧ ـ الأستاذ: خالد.
٨ ـ الأستاذ: عبد العزيز.
٩ ـ الأستاذ: عادل.
١٠ ـ الأستاذ: مدير المدرسه.
١١ ـ الكاتب.
١٢ ـ الأستاذ: صالح.
١٣ ـ الأستاذ: يوسف .
١٤ ـ ولي أمر الطالب.

أنساه، فهو النور الذي أرى به بعد أن انطفأ نور عيني.

الأستاذ صلاح يضرب بقبضة يده على طاولته كأسلوب ناجع يتبعه إذا رغب في جذب الأسماع إلى حديثه أن انتابته رغبة جنونية في طرح أسئله جديدة.

(صلاح يوجه سؤاله للمجموعة): هل صحيح أن المخنثين والمخنثات أولاد الشياطين؟

الأستاذ توفيق (يجيب): يقال أن الجن يتزوج من الإنس ويقاطعه الأستاذ صلاح مازحا: ما شروط هذه الزيجه؟

الأستاذ توفيق: أولا: الكتمان، ثانيا: عدم الإنجاب، ثالثا: عدم إحضار ضره من الأنس.

الأستاذ صلاح: لم تجب بعد عن سؤالي.

الأستاذ توفيق: قرأت عما سألت ولكنني لا أذهب إلى تصديق ما قرأت.

الأستاذ صلاح: إنني أميل أيضا إلى رأيك، فلو قبلنا بتلك المقولة لشاعت الفاحشه في الأرض، ولقالت كل أنثى عاهره: إنني حبلت من الجن، ولكثر أولاد السفاح.

الأستاذ نور الدين: هذا معقول .. يا أستاذ صلاح.

الأستاذ صلاح: ولكن دعوني أنقل لكم هذه المعلومة..

(الأستاذ صلاح ينقل المعلومة بنبرة مخيفه):

يوجد في مدينتنا شخص يقال أنه متزوج من جنِّيه ويسهر الليل وينام النهار ويدعي..

يقاطعه الأستاذ عبد الرحمن: نعلم .. هذا

صحيح وثابت عن الرجل المذكور، ويضيف ساخرا: هناك رجل آخر تزوج من جِنِّيه أيضا وأفصح عن زواجه منها وشنع بها في مجالسه فعاقبته.. (يضحك).

الأستاذ صلاح (يسأل): وما العقاب الذي أنزلته بعشيقها هذه الجنيه المجنونة؟

عبد الرحمن (يجيب): في يوم من أيام السنة ينتفخ جلده وتظهر عليه بقع زرقاء متورمه.. ثم يعود في اليوم التالي إلى سابق صحته.. وهذا اليوم الذي ينتفخ فيه جلده هو اليوم الذي شنع بها فيه.

صلاح (يصرح معلومة جديدة تتعارض مع سؤاله السابق):

قرأت أن المخنثين والمخنثات يأتون نتيجة جما ع الرجل لزوجته في فترة الطمث.

الأستاذ توفيق: أنا سمعت عن ذلك أيضا.

المرشد الطلابي (فؤاد): وأنا قرأت عن ذلك أيضا.

الأستاذ محمود: أعوذ بالله.. هذا فعل قذر وقبيح يجلب الهم والمرض.

«ستار»

«المنظر الثاني»:

يدخل الأستاذ (خالد) تحمل يده اليمنى كتابا عنوانه (غرائب وعجائب الجن) ويلبس نظارة سميكه تشبه نظارة الأطباء. حجمها يكاد يخفي نصف وجهه، يشبه الصعلوك في نحافته، ويشبه النعامة في جبنه، مريض بداء العظمة، يلقي الكتاب على طاولته وهو يضحك سخرية وازدراء، ويلتقط أنفاسه ليتحدث.

الأستاذ خالد: مديرنا يهاب الجن، خوفوه بالجن وسيسمح لكم بالغياب والتأخير (ثم يروي طرفة عن المدير مقلداً خوف المدير على خشبة المسرح):

في إحدى فترات الدوام الليلي أيام الإمتحانات، لم يكن بالمدرسة سوى المدير وقد سمع أصواتاً وخشخشة تصدر من داخل أحد دواليب الحفظ.. فغادر المدرسة مذعوراً.. دون أن يغلق باب غرفته أو باب المدرسة.. وفي صباح اليوم التالي جاء إلى المدرسة وعيناه محمرتان والكرى يعبث بهما.. وكاد أن يقبل رجلي كي لا أرسل إليه جنياً مرة ثانية.. وها أنا اليوم تأخرت دون أن يعاقبني (ها ها ها)..

فؤاد (يصيح في وجهه بحنق) : أين الكتاب الذي وعدتني به يا أستاذ خالد؟

الأستاذ خالد: تقصد كتاب (الجن والشياطين) لمؤلفه عمر الأشقر؟

الأستاذ فؤاد: هو بعينه.

الأستاذ خالد (يتحدى): وهل أنت قادر على قراءته؟

الأستاذ فؤاد : نعم.. وسترى.

الأستاذ خالد (خرج من درج مكتبه الكتاب ويلقي به على مكتب الأستاذ فؤاد المقابل في حركة تخويف) فينتفض الأستاذ فؤاد ويقوم فزعاً من كرسيه ويعود ليحمل الكتاب بأطراف أصابعه، ويقف مواجهاً الجمهور ويستعير قداحة الأستاذ نور الدين، ويشعل النار في الكتاب فيصفق له الأستاذ خالد مُقهْقهاً ويدخل الأستاذ عبد العزيز بزيه الرياضي وهو يترنم بأغنية لعبد الحليم حافظ (حبيبي.. مهما قلت حبيبي) وتتسابق الأفواه لتردد خلفه مكونه جوقه موسيقية يقوم بالتطبيل لها الأستاذ (عبد الرحمن) على طاولته بكلتا يديه اللتين توحيان بأن

هذا الإنسان الفارع الطول قد جاء من العصور الأولى.

يقطع الأغنيه الأستاذ عبد العزيز نفسه موجهاً سؤالا للأستاذ توفيق.

الأستاذ عبد العزيز: ما هي آخر صولاتك وجولاتك مع الجن؟

ويتولى الأستاذ عبد الرحمن الرد بدلا من الأستاذ عادل المنهمك في تصحيح الأوراق (بعد هروب الأستاذ توفيق كيلا يجيب).

الأستاذ عبد الرحمن: لكي ينجو الأستاذ عادل من عذابات الأستاذ توفيق والأستاذ خالد عليه أن يهادن أحدهما دون الآخر ويوقع العداوة والبغضاء بينهما.

«ستار»

«المنظر الثالث»:

تظهر على خشبة المسرح غرفة نوم الأستاذ (عادل) وهو ممدد على سريره يداعب النوم أجفانه المثقلة من جراء تقليبه صفحات قاموس إنجليزي.

السرير يعلو ويهبط من تحته .. ينهض مذعوراً، متصبباً عرقه، ويقرأ المعوذتين بصوت عال ثم ينظر في ساعته ويعود يتغطى ويحكم اللحاف على جسمه، مغمضاً عينيه بقوه، مشبكاً يديه على صدره.. متصنعاً النوم .. فينام بعد لأي نوماً مضطرباً، يسمع صدى صوت عنزه صغيره يتبعه مواء قط عجوز.. ويتناوبا إصدار الصوت.

يضع الأستاذ عادل يديه على أذنيه ويلف الوسادة عليهما ثم يبالغ في الإحتياط فيحضر قطناً يضعه فيهما يختفي الصوت فجأة، فيجلس الأستاذ (عادل) القرفصاء على سريره مندهشاً.. ثم يصيح بأعلى صوته: سأنتقم منك يا توفيق.. سأفضحك.. سأشكوك للسماء.. لن تعجم عودي بمستقذر أفعالك.. ويظل عادل طوال الليل ساهراً عاصماً نفسه بقراءة القرآن وهو ينهنه..

«ستار»

«المنظر الرابع»:

تظهر على خشبة المسرح الإدارة المدرسية ويجلس المدير على مكتبه منشغلا ببعض الأوراق، وعن يمينه الكاتب يتكتك على آلة الكتابة.. يدخل الأستاذ عادل دون أن يلقي التحية ويطلب بلهجه حادة غاضبة من المدير تحرير محضر في الأستاذ توفيق يتهمه بإرسال الجن وتشويه سمعته عند الطلبه بروي حكايات عن هلعه وخوفه من الجن، ويطلب الحماية لشخصيته التي أوشكت أن تضعف إلى الحد الذي استدعى السخرية والاستهزاء منه وإطلاق النكات والطرف المستهجنة عليه.

يحاول المدير تلطيف الجو والإمساك بزمام الأمور وامتصاص ثورة الأستاذ (عادل) قبل أن تصل القضية الى إدارة الشرطه أو إدارة التعليم، وينجح في عقد مصالحة بين الطرفين بتوسط من الأستاذ عبد الرحمن والأستاذ فؤاد، وهي مصالحة أشبه بالهدنه في العرف العسكري.

«ستار»

«المنظر الخامس»

يظهر على خشبة المسرح الأستاذ عادل متوسطاً غرفته يجلس عن يمينه الأستاذ توفيق وعن يساره الأستاذ خالد.. تقف قبالتهم مبخرة يتصاعد منها

بخور كمبودي .. ويلقن الأستاذ (توفيق) الأستاذ (عادل) بعضاً من الرقى والتعاويذ الواقيه من الجن والشياطين.. ويكمل الدور الأستاذ خالد ثم يسلمان عليه وينصرفان متمنين له الشفاء.

الأستاذ عادل يقف على خشبة المسرح منفرداً يوجه حديثه للجمهور ويتقافز فرحاً محتضناً المبخرة قابضاً عليها بكلتي يديه، يقبلها تاره، ويضمها بقوة إلى صدره تارة أخرى.

ثم يطلق زفرة عميقه وهو ينظر إلى أعلى في لحظة مناجاة.. (مؤثرات صوتيه) ويقول:

المبخرة الآن في حوزتي .. أنساك الله إياها أيها الشيطان المثقف توفيق .. لقد انتصرت إرادة الله وإنهزم الشيطان.. سأنام الليلة ملء جفوني سأكتب إلى زوجتي في ارتياح تام .. إسبوعان لم أمسك القلم للكتابه .. لم أقرأ بتركيز .. لم أصحح كراسة بمزاج رائق..

ثم ينزل المبخرة ويواصل الحديث إلى الجمهور وكأنه معلم يشرح:

إظهار الخوف للآخرين ينميه في داخلنا وكتمانه يمنحنا القوه.. إياكم أن تظهروا خوفكم لأحد فاظهاره يؤكد جبنكم وقدرة الشيطان فلابد من دحره .. لابد من دحره .. لابد من دحره.

«ستار»

«المنظر السادس»:

يظهر على خشبة المسرح منظر غرفة المدرسين والحوار قائم بين ثلاثة منهم..

الأستاذ صلاح: الساحر دائماً يموت موته بشعه، يموت فقيراً معدماً، يداه عجفاوان، لم أسمع أو أقرأ عن ساحر مات مرفهاً في عيشه.

الأستاذ نور الدين (يقرأ) (قل أعوذ برب الفلق .. من شر ما خلق .. ومن شر غاسق إذا وقب.. ومن شر النفاثات في العقد .. ومن شر حاسد إذا حسد)

يرفع الأستاذ صالح عينيه عن كراسة يصححها ويقرأ حديث الرسول (من أتى كاهناً أو عرافاً فلن تقبل منه صلاة أربعين يوماً).

الأستاذ صلاح: من العصمة يجب عليك إذا مررت بخرابة مهجورة أن تقرأ هذا الدعاء (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) ويسأل: (شر ما خلق) هل هم السحرة أم الجن فقط؟

الأستاذ صالح (يجيب): كلاهما صنوان في إيقاع الضرر والحاقه.

الأستاذ صلاح: ولكن الساحر أفضل من الجني..

الأستاذ صالح: كيف ذلك؟

الأستاذ نور الدين (وهو يضحك): لم أسمع البته عن ساحر طيب..

الأستاذ صلاح: يوجد سحرة طيبون وجن خدوعون.

الأستاذ نور الدين: هلا شرحت ذلك؟

الأستاذ صلاح: يقال أن بعض أجهزة المخابرات في الصين والهند مثلا تستعين بالسحرة والجن في القبض على المجرمين والمهربين. ولكن يظل الساحر أقوى من الجني.

الأستاذ صالح: فسّر .. لا تعط جملا مبهمه..

الأستاذ صلاح: الساحر يقدر أن يمسخ نفسه إلى حيوان ويهرب من أعتى السجون.

الأستاذ نور الدين: هل من حادثه تؤكد هذا؟

الأستاذ صلاح: يروى أن مجرماً ما مسخ نفسه

إلى فأر وتم اكتشافه وقبض عليه.. وساحراً آخر أحذق منه مسخ نفسه إلى ذبابه وهرب من نافذه في إحدى الزنزانات.. فقتل الأول ونجا الثاني.. وحين إستعانت المخابرات بأقوى ساحر في ذلك القطر قال باحترام: هو أقوى مني ولا أستطيع إحضاره.. وكل الذى أستطيعه البوح بأنه سافر إلى عمان.

الأستاذ صالح: أسمع منذ الطفولة أن عمان مرتع خصب للسحره.

الأستاذ نور الدين: الشر والخير موزعان على الكرة الأرضية.

الأستاذ صلاح: لو حصلت على منحة تعليمية للتدريس في عمان لقبلت دون تردد .. فعالم السحر عالم مثير والإختلاف إلى السحرة مدعاة للتأمل وإشباع الفضول.

الأستاذ نور الدين: اذهب ولكني أخشى عليك أن تعود إلينا بقرة أو ثوراً وحينذاك لا تلمنا إن إستفدنا من عضلاتك المفتولة في حرث المزارع وجر السواقي (ها ها ها).

الأستاذ صالح: سأشتريك ولو إضطرني الأمر إلى بيع سيارتي؟

الأستاذ صلاح: ما هذا الحقد الأعمى؟

الأستاذ صالح: سأسجلك على شريط فيديو لكي اؤرخ هذه الفترة العمريه التي ستفارقنا فيها.

يدخل الأستاذ يوسف مدرس العلوم ويلفت دخوله نظر الأستاذ (نور الدين) فيعلق: ها أنت ذا ستحصل على وسيلة تعليميه بالمجان.

الأستاذ يوسف: عن ماذا تتحدثون؟ لا أفهم شيئاً

الأستاذ صالح (يجيب ساخراً): الأستاذ صلاح ينوي الذهاب إلى عمان سيمسخونه بقرة أو ثوراً وحين يعود إلينا يمكنك استغلاله كوسيلة تعليمية تشرح عليها درس الحيوانات الأليفه للطلاب.

الأستاذ يوسف: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. ما هذا الهراء؟ ما هذا السخف؟ الأستاذ صلاح فوق كل مظنة وكل شبهه أو اذلال.. استغفروا الله واقرأوا كفارة المجلس .. الشيطان قد حضر بينكم.. إطردوه بقراءة سورة يس.

الأستاذ صلاح: أنتم لا تحسنون الحوار العلمي .. مطبوعون على السخرية والاستهزاء .. ويصوت: أين الأستاذ توفيق؟ أين المعلم الثاني؟ مات سقراط وعوضنا الله (بتوفيق).

(توفيق جالس على مكتبه يتمتم وكأنه يقرأ ورداً)

الأستاذ صالح: توفيق منهمك في حديث مع الشيطان .. لا تزعجوه ..

الأستاذ نور الدين: ربما يحاور إبليساً بليغاً استعصى عليه إقناعه بمهمة ما..

(الأستاذ توفيق يصحو من غيبوبته ويقول باسماً): سمعت اسمي يتردد على ألسنتكم.. خيراً ماذا تريدون؟

الأستاذ صلاح: حدثنا عن تحضير الأرواح..

الأستاذ توفيق: لست بذي علم وافر ولكن الثابت أنكم تضعوني في أكبر من مكاني..

الأستاذ صلاح: أنت قاريء جيد الفهم .. سريع الاستيعاب .. تفك الطلاسم .. لا مناص من استنزاف فكرك .. إستطرد واطرح عنك هذا التواضع.

الأستاذ توفيق: تحضير الأرواح يتم بمعونة من القرين..

الأستاذ صلاح: القرين هو الصاحب هكذا في

اللغه وقال شاعر حكيم:

لا تسل عن المرء وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدي

الأستاذ توفيق: قريننا مختلف.

الأستاذ صلاح: كيف ذلك؟

الأستاذ توفيق (يجيب): قرينك هو من لا تراه بعينك المجرده وقد تموت ويظل حياً.. وقد يكون رجلا أو إمرأه.. ويروى أن قريناً مات صاحبه منذ العصر الجاهلي وحتى الآن لم يزل حيا لم يمت.

الأستاذ صلاح: هل تريد أن تفهمنا أن القرين أطول عمراً من الشخص نفسه.

الأستاذ توفيق: نعم.. نعم.. هذا صحيح..

الأستاذ صلاح: وما مهمة هذا القرين؟

الأستاذ توفيق: هذا سؤال جيد.. القرين يزود الساحر بمعلومات عن صاحبه وينقلها دون زياده أو نقصان.. فيسهل على الساحر تزويد المسحور بالدلائل والمعلومات وبهذه الطريقه يثق المسحور في قدرة الساحر وهكذا يصف له الدواء وربما أخبره عن عمل مدفون في الصحراء أو المقبرة أو تحت الباب أو في رأس خروف ميت.. وهذا أخطر شيء ولك أن تتصور ماذا سيحدث للمسحور لو انفجر رأس الخروف فسينفجر رأسه.

الأستاذ صالح: ألهذا السبب يكفر من يصدق أن الساحر يعلم الغيب؟

الأستاذ صلاح: سمعت أن الساحر الشرير لابد أن يكفر بالقرآن حتى يقبل السحرة الأشرار مساعدته وتعليمه السحر.

الأستاذ يوسف (ينصرف ناصحاً): أستغفر الله.. كلمة واحدة تدخلكم الجنه وأخرى تخرجكم منها.

الأستاذ توفيق (بحماس): هذا إفك يا أستاذ صلاح..

الأستاذ نور الدين: أنت تدافع عن نفسك فلطالما آذيت الأستاذ عادل وأخشى أن يستخف عقله وتذهب بصيرته ويسكن مستشفى الأمراض العصبيه.

الأستاذ توفيق: الأستاذ عادل متوتر الأعصاب فالغربة قد عبثت بوجدانه والوحده شوشت تفكيره فهو أقرب إلى الصرع منه إلى الجن والشياطين.

الأستاذ صلاح: واحسرتاه عليك يا أستاذ عادل.. لقد كنت تدخل البهجة والفرحة إلى نفوسنا بنكاتك الظريفة.. لقد كنت خفيفاً يرفه عن نفسه ويعالج مشاكله ويتخلص من دافعه المأزوم بالنكت والطرائف.

«ستار»

«المنظر السابع»:

يظهر على خشبة المسرح منظر صف دراسي.. وتظهر سبورة مخطوط عليها: المادة: تعبير.. ويقف الأستاذ توفيق عن يمين المسرح وتقابله مجموعة من الطلاب تجلس على الكراسي في وضع نفسي يعتوره الخوف والرغبة في استكناه المجهول.. أعين الطلاب تحدق في أستاذهم بنهم وإستغراب والآذان مصغية في شوق.

(الأستاذ توفيق ينثر قصة عن الجن تأثيرها كوخز الإبر في أجساد الطلاب ويحدثهم عن فتى في مثل سنهم ضرب قطه سوداء فأخذته الجن وعذبوه وأعادوه مجنوناً).

«ستار»



«المنظر الثامن»:

يظهر على خشبة المسرح منظر غرفة المرشد الطلابي مع ولي أمر أحد الطلاب يزعق ويتهدد: إبني لم ينم ليلة البارحة.. هذه ليست مدرسه.. هذه خرابة جن.. هذه مكان الزار والعفاريت.. مرتع للسحرة والمشعوذين.. أين المدير؟ أين الوكيل؟ أين توفيق؟ أريد أن أخنقه.. أريد أن أستأصل شأفة العدوان في نفسه المريضه.

الأستاذ فؤاد يحاول أن يهدىء من روع ولي أمر الطالب..

سيحضر الأستاذ توفيق وسيكتب تعهداً خطياً بعدم تكرار فعله المشين وأظن أنه سوف يعاقب بالنقل إلى هجرة نائية أنت الآن الشاكي رقم (٣) فاطمئن..

تذهب محاولات الأستاذ فؤاد هباء منثوراً فيواصل ولي أمر الطالب الصراخ .. أين مدير المدرسة .. هذا النائم على كرسي الإدارة .. هذه الصورة المعلقة على الحائط.. (إذا دخل الخوف من الباب على الإداري خرج النجاح من النافذة)

(يدخل المدير بجسمه الضخم ونظارته الشمسية وبشته السادر تحت إبطه .. ويسلم على ولي الأمر الغاضب ويقبل أنفه مستدراً عطفه.. ثم يطلعه على التقرير السري الذي كتبه في حق الأستاذ توفيق .. فتبتسم أسارير ولي الأمر ويتهلل وجهه ويشرق بابتسامة رضا فيهدأ وينصرف.

«ستار»

«المنظر التاسع»:

يظهر على خشبة المسرح منظر فصل دراسي مكتوب على السبورة المادة: إنشاء ..

الأستاذ صلاح يقف عن يمين المسرح وتقابله مجموعة من الطلاب تطلب منه بإلحاح مستفيض أن يقص قصة عن الجن كتلك التي حكاها الأستاذ توفيق لطلاب الصف الثاني.. لكنه يرفض بشدة ويحكي قصة عن كفاح طالب تعرض لحادث سيارة تسبب في إعاقته فلم ييأس وواصل تعليمه حتى أكمل دراسته ونال أعلى المراكز..

«المنظر الأخير»:

يظهر على خشبة المسرح منظر غرفة المدرسين وهي خالية إلا من الأستاذ صلاح.

يدخل عليه الأستاذ صالح ويشتم الأستاذ توفيق علانية وبصوت مسموع: هذا المعلم يستغل عقول الطلاب الصغيره ويخط على صفحاتها ما يشاء ويزرع الخوف في قلوبهم حتى يستطيع تحقيق أهدافه.. لابد من حل سريع وحاسم فسمعة المدرسة أصبحت في الحضيض.. سأحادث مدير التعليم هاتفياً.. سأقابل شيخ المدينة.. لابد من وضع حل لهذه المهزلة..

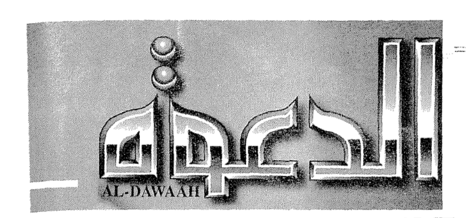
الأستاذ صلاح: أتتني الأنباء من الأستاذ فؤاد بأن توفيق سيعاقب بالنقل إلى مدرسة نائية والمدير طلب من الأستاذ فؤاد ألا يخبر أحداً بذلك خشية انتقام الأستاذ توفيق منه بأرسال جني إليه.

(الأستاذ عادل يدخل هاشاً باشاً، يحمل بين يديه خطاب النقل إلى مدرسة أخرى..)

«صوت خفي يهتف»

إذا لم تستطع تغيير المنكر بيدك فبلسانك وإن لم تستطع فبقلبك وإن لم تطق الصبر أو الاحتمال فالهجرة هي السبيل الأمثل.

«ستار»



تذكرة صحفية

هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبداً.

ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.

ونظرا للدور البناء والمؤثر الذي تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر - فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.

وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.

في مثل هذا الشهر المحرم من عام ١٣٨٥هـ صدر العدد الأول من «الدعوة» في صباح يوم الإثنين ١٠ محرم ١٣٨٥هـ الموافق ١٠ مايو ١٩٦٥م جريدة أسبوعية - بصفة مؤقتة - واستمرت في الصدور كجريدة حتى العدد ٥٢٩ وبدءا من العدد ٥٣٠ الصادر في ٤ محرم ١٣٩٦هـ الموافق ٥ يناير ١٩٧٦م تحولت إلى مجلة أسبوعية اتخذت طابع المجلة شكلا ومضموماً، ومازالت توالى صدورها بشكل منتظم.

ولقد ولدت فكرة تأسيس مؤسسة صحفية إسلامية، في ذهن سماحة الشيخ العلامة/ محمد بن ابراهيم آل الشيخ (مفتى الديار السعودية - آنذاك) - يرحمه الله - بهدف نشر الدعوة الإسلامية، والدفاع عن القضايا الاسلامية، وخدمة العقيدة الاسلامية، والذود عن حياضها، والتصدى لأعداء الاسلام، بالحجة والبرهان ودحض شبههم ورد أباطيلهم.

ولوضع الفكرة موضع التنفيذ تقدم سماحته بطلب الى جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز - يرحمه الله - فصادفت الفكرة الموافقة والمساندة والدعم السخي من جلالته - يرحمه الله - ومن ثم بدأ الإعداد لإصدار الدعوة واتخذت خطوات عديدة لذلك منها:

* تعيين مجلس إدارة يرأسه معالي الشيخ/ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ وعضوية اثني عشر عضوا من أصحاب الفضيلة المشايخ بالمملكة، للإشراف على المؤسسة ماديا وأدبيا.

- تعيين المدير العام للمؤسسة.
- تعيين رئيس التحرير.
- تشكيل لجنة رباعية من أجل وضع تنظيم داخلي، والنظام المالي والاداري، والأهداف الأساسية للمؤسسة.

٣٣ عاماً







وقد استغرق الإعداد لإصدار «الدعوة» عاما كاملا، ولتحقيق الهدف المأمول لخدمة الاسلام والمسلمين، ونشر الدعوة الاسلامية، ذللت العقبات وهانت الصعوبات وصدرت «الدعوة» تكليلا لجهود كل من ساهم في إصدارها.

ومنذ اليوم الأول لصدورها استخدمت «الدعوة» جميع الأشكال والقوالب التحريرية الصحفية من أخبار وتقارير وتحقيقات ومقالات وتعليقات، وقد اعتمدت في الأساس على كتابات العلماء والدعاة والمفكرين في المملكة العربية السعودية والعالم الاسلامي.

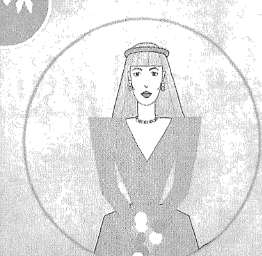
وفي مجال التطوير شهدت «الدعوة» قفزة تحريرية واخراجية كبيرة، فقد تم إدخال اللون الإضافي للمجلة، واعتماد مراسلين في مناطق مختلفة من العالم لامدادها بالتقارير والتحليلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية من المنظور الإسلامي.. كذلك استحدثت أبواب جديدة مع الاهتمام بالصياغة التحريرية، واستقطاب الكفاءات والمهارات للعمل بالمجلة، واستحداث مركز للمعلومات.

أيضا أقامت «الدعوة» جسور تواصل مع كل من مركز الدراسات للبحوث الاستراتيجية في القاهرة، ومركز الدراسات السياسية (بالإمارات) بدولة الإمارات العربية والكثير من المراكز في العالم العربي والاسلامي لامدادها بالبحوث والتقارير التي تصدر عنها.

وعلى طريق التطور أيضا استحدثت «الدعوة» قسما للملاحق الصحفية تصدر في المناسبات الاسلامية التي من ابرزها موسم الحج حيث يشمل الملحق كل ما يهم من يريد أداء فريضة الحج. كما يتم إصدار ملفات شهرية خاصة عن القضايا التى تهم العالم الاسلامي كملف «القدس المسلمة» و«التطبيع الثقافي» و«تركيا المسلمة» وغيرها.

ومجلة المنهل - وهى تهنيء الحصيفة «الدعوة» بمرور ثلاثة وثلاثين عاما على إصدارها الأول - لترجو لها وللقائمين عليها دوام التقدم.

١٠٨



رسالة من يحيى الغزال .. إلى السيدة الجميلة

الإسلام ودوره فى التفاعل الثقافى بين الشعوب

لماذا لا يدخل أبى الجامعة؟

دعونا نعود !!



المنهل

مجلة شهرية ذات أداء متخصص تخاطب عقل المرأة ووجدانها

ALMANHAL
١٤٣ AL MUHARRAM, 1419 H -- MAY, 1998

الإسلام ودوره في التفاعل الثق

نبدأ هذه السطور بسؤال افتتاحي نرى أنه على جانب كبير من الأهمية ألا وهو:

* ما هو دور الإسلام الحنيف في التفاعل الثقافي بين شعوب الدنيا كلها؟

نقول: إن التفاعل الثقافي على مر العصور بين الأمم يعمق فهم الحضارة الإنسانية، وما الحضارة الإسلامية إلا دليل قاطع واضح على دور التفاعل الثقافي البناء بين أبناء البشر، فقد استوعبت الحضارة الاسلامية في بوتقتها الصاهرة حضارات كثيرة، لكنها لم تتخل عن هويتها أو ذاتيتها، عن تميزها وخصوصيتها الإسلامية، فالإسلام جاء بأقوى قيم عرفتها البشرية على مر العصور، وخاصة أنه منهج حياة كامل متكامل، فالإسلام هو الرسالة الخالدة العالمية، رضي الغرب بذلك أم أبى!!

قال تعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} (الحجر/٩).

ولا يستطيع المنصفون في الغرب إنكار حضارة الاسلام وسمو تعاليمه الإنسانية الراقية، مهما اتخذ البعض موقف العداء منه، ومهما كان خلط الأوراق بين حقيقة هذا الدين، وسلوك بعض المسلمين الذين يتخذون من الاسلام ستاراً وشعاراً لبعض المآرب الخاصة.

ومن هنا فإن أهم محور يجب أن نهتم به في هذه المرحلة هو: «كيفية التصدي لأعداء الإسلام»؟

وهذا التصدي ليس منوطاً بعلماء الدين فقط، بل هو دور كل المفكرين والمثقفين المسلمين دون أدنى استثناء.

وقد يأتي محور آخر ألا وهو: الصراع العقائدي والحضاري والثقافي والدعائي بين الاسلام والغرب، واحتمالات صراع ساخن بينهما.

وبالطبع هذا يجرنا إلى ما يتردد في الغرب من ادعاء خطر الإسلام على الغرب، والفهم المشوش للإسلام، فالدراسات الغربية للإسلام كانت مفهوماً استشراقياً للعرب وللمسلمين في فترة السبعينيات بسبب ما عرف بالصحوة الإسلامية.

ثم أسس الغرب في أوائل الثمانينيات مراكز ومجموعات بحثية، وألفت مئات الكتب، وأعدت الكثير من البحوث عن الصحوة الإسلامية وأهدافها الفكرية والسياسية والدينية والثقافية.

ومن هنا انطلق العقل الغربي من خلفية استشراقية الى السيطرة على الشرق العربي والإسلامي، وإعادة تشكيل العقل المسلم، واحتوائه خدمة لمصالحه، وفي التسعينيات وفي ظل ما يسمى بالنظام العالمي الجديد ركزت هذه الدراسات على الهجوم المباشر على الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة، ورسم صورة قاتمة ومشوهة وبغيضة للإسلام في العالم، الذي يعتبرونه - في زعمهم - مصدر خطر للأمن الغربي، وللقيم الغربية المكونة لقوة تحتل رقعة من العالم تمتد من يوغسلافيا إلى أواسط آسيا، أو ما يسميه الغرب بهلال أو قوس الأزمة، كما يسمى الغرب الإسلام بالخطر الأخضر، بعد نهاية الخطر الأحمر الشيوعي.

إنهم يكيلون بمكيالين - كيف ذلك؟

إن العالم الغربي يزن بمكيالين، ويتكلم بلسانين مختلفين، ومثال على ذلك عندما يتكلم عن اسلحة الدمار الشامل، فإذا كانت الاسلحة في حوزة دولة غربية فهي إذن من وجهة نظرهم في يد أمينة جداً، وتوظف لأغراض سلمية، أما إذا كانت بحوزة دولة إسلامية فهي أسلحة دمار شامل ستحرق الدنيا ومن عليها، وسوف تدمره باسم الإسلام، فلم نسمع عن أحد في الغرب أن قال: «القنبلة الذرية اليهودية» أو «المسيحية» الغربية، بينما يقولون القنبلة الذرية الإسلامية، وذلك لإقناع العالم بأن الاسلام والمسلمين يشكلون خطراً داهماً على البشرية جمعاء.

في مسألة المواجهة وكيفيتها؟

نقول: على المسلمين أفراداً وجماعات وهيئات وحكومات وعلماء بذل أقصى الجهد لإيقاف الحملات المحمومة على الإسلام من جانب الغرب، أو على الأقل الحد من تأثيرها السلبي في العالم، ولذلك فلابد من تغيير الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام، والتدقيق في شرح التاريخ الإسلامي، والعمل بشكل علمي منهجي على تخليصه مما لحق به من التشويهات.

وكذلك ضرورة الاحتجاج بشكل علمي على الصحف والإعلام التي تبث ما يسيء للإسلام من قريب أو بعيد، وتنقية الكتب المدرسية والجامعية والثقافية والموسوعية من الاشارات والتلميحات الحاقدة على الإسلام.

أسماء أبو بكر محمد
- القاهرة -

ـافي والحضـاري بين الشعـوب

كذلك مطلوب منا العمل على تخريج معلمين دارسين للثقافة والحضارة الإسلامية، وفي نفس الوقت يجيدون اللغات الأجنبية مثل الانجليزية والفرنسية من أجل أن يتمكنوا من شرح الدين الإسلامي للغرب.

والمطلوب منا تدريب علماء ليكونوا متخصصين في الشئون الغربية كما يفعلون هم، ليؤكدوا أن الاسلام ليس ضد التقدم، أو ضد الحضارات، ولكنه ضد الغزو الثقافي المغرض، وضد الثقافة الاستهلاكية التخريبية الهدامة، وضد أي محاولات تطمس هويتنا أو ذاتيتنا، أو تعمل على انمياعنا في الآخر، فطلب العلم والمعرفة فريضة واجبة على كل مسلم ومسلمة.

كيف ينظر الغرب الى العنف والتطرف؟

إن المتطرفين في نظر الغرب هم المسلمون جميعاً بغض النظر عن بلدانهم أو الجماعات التي ينتمون إليها، أو لغاتهم أو قضاياهم، ويرون دائماً أن الجمع بين الدين الإسلامي أو القضايا الوطنية والسياسية مثل قضية فلسطين أو قضية الشيشان أو أفغانستان، أو جنوب لبنان، أو البوسنة سيؤدي إلى ازدياد قوة المسلمين في العالم، أما الإرهاب الديني والعنصري والعرقي والقبلي فمن الدول المهتمة برعايته في قائمة الغرب المزعومة عدد من الدول العربية والإسلامية، لإلصاق تهمة الإرهاب العالمي بالإسلام، من أجل تحريض الرأى العام العالمي ضد الشرق الأوسط كبؤرة للارهاب، كبؤرة للأخطار وتهديد أمن العالم، وبالطبع هم لا يذكرون أن أهم الجماعات الإرهابية هي:

«بادر ماينهوف» الألمانية، و«إيثا الباسك» الأسبانية، و«الألوية الحمراء» الإيطالية، و«العمل المباشر» الفرنسية، و«الجيش الجمهوري» الأيرلندية، و«الجيش الأحمر» اليابانية، و«ثوار نمور التاميل» السيرلانكية، و«السيخ» الهندية، وكلها جماعات ديارها في الغرب، ولا ينسب اعضاؤها لأديان، فهم لا يقولون «الإرهاب البروتستاني» أو «الإرهاب النصراني الإيطالي أو الاسباني أو الإيرلندي»، لكنهم في الغرب يربطون دائماً بين أي عمل تقوم به أية جماعة علمانية أو سياسية في العالم بالإسلام والمسلمين، كي يثبتوا أن الإرهاب له جذور ضاربة في التاريخ الإسلامي الدموي، كما يقولون ويكتبون كذباً وافتراء.

الاسلام، وثورة المعلومات، وكيف يكون التفاعل؟:

تمتاز هذه الحقبة المهمة من الزمن الذي نحياه بالثورة المعلوماتية التي تزيد التفاعل مع الحياة العصرية.

ولكن بالبحث والإستقراء يتأكد لنا أن القرآن الكريم هو المورد الثقافي المتكامل، وأداة التفاعل الحقيقية بما يبينه لنا من دور المعلومات في مجمل الكون.

إن الخالق سبحانه وتعالى هو العالم العليم بكل شيء، والبشر الذين خلقهم الله لا يستوي فيهم الذين يعلمون منهم، مع الذين لا يعلمون، والذين يعرفون الله حق المعرفة هم أهل العلم، فالمؤمن القوي بعلمه خير وأحب إلى الله من المؤمن الذى لا يعرف ولا يعلم.

وبالتالي فإن المعلومات، وحسن إنتاجها واستخدامها جزء لا يتجزأ من عقيدة المسلم وعبادته، وعلينا كمسلمين عصريين ضرورة التسلح بالمعلومات العصرية في كل المجالات، وتوظيفها لخيرية الحياة، ولتعميق التفاعل (الفاعل) الثقافي ذي الاتجاهين: بيننا كمسلمين، وبين شعوب العالم الأخرى. فهناك العديد من الآيات القرآنية التي تؤكد لنا أن الله تعالى الواحد الأحد هو الذى خلق لنا ما في الأرض جميعا، ثم استوى إلى السماء، فسواهن سبع سموات، وهو بكل شيء عليم.

أين نحن من عالم المتناقضات؟:

إننا نحيا الآن في عالم ثورة الإتصال الجماهيري، ثورة المعلومات، ثورة العلم بكل ألوانه وأنماطه، وفي نفس الوقت نعيش عالماً من العنف والطموح والرغائب، وقد باتت الثورة الإليكترونيّة قادرة على ربط أجزاء كوكبنا الأرضي من أقصاه إلى أقصاه، وأصبحت اسئلة الهوية، والتفاعل، والانفتاح والانغلاق، متداولة بين علماء النفس، والاجتماع، والدين، والسياسة، والأخلاق في ظل الحديث عن الغزو الثقافي، والعداء للإسلام، ومحاولة الهيمنة الثقافية على المسلمين، خصوصاً عند مراقبة دور الإعلام الغربي، وهيمنته على تدفق الاتصال في العالم، وما نتج عنه من إخلال في تدفق المعلومات.

نستطيع القول في نهاية هذه السطور بأن المسلمين اليوم عليهم جميعاً مواجهة نظرة الغرب للإسلام الذي يسعى بها إلى تشويه ديننا وحضارتنا، ويكون ذلك بالأسلوب العلمي المنهج، الاسلوب العلمي المخطط والقادر على الرد والمواجهة بالحجة والمنطق العصري الهادىء السليم.

دعـــونا نعـــود !!

يبدأ نهار جديد، سعيد مملوء بالرجاء في الله تعالى أن يكون يوماً سعيداً مثمراً مشرقاً بسعادة النفوس بإرضائها الله تعالى وبأدائنا لواجباتنا وأماناتنا تجاه الآخرين.

الموظف والعامل والمدرسة وعامل النظافة في الشارع، والأم في المنزل .. كل منا له ما يؤديه وما يطلب منه وما هو واجب عليه .. وما يحاسبه الله عز وجل عنه لا يشذ عن هذه القاعدة من يجلس على مقعد وثير خلف مكتب فخم وحاجب يقف عند بابه دالا على أهميته ومكانة من بالداخل.

فهو مؤتمن يؤدي واجبه نحو الآخرين وإن اختلفت المستويات وتنوع العطاء.. وكذلك المدرس إن يكن في مدرسة تضم ابناء النخبة في المجتمع أو في مدرسة نائية تزدحم بطلاب متواضعين في مستواهم الاجتماعي.

فالعطاء المخلص مطلوب والإحساس بالأمانة ينغرس بداهة في نفس كل من هيأه الله تعالى للاحتكاك بالمجتمع وأداء دوره مهما يكن بسيطاً نحوهم.

ثم يعود كل من هؤلاء، يعود هذا السرب الكبير الى دوحته وموطن سكناه آملا الراحة بعد التعب والسكينة بعد الإرهاق والبذل.. الذي استغرق أغلب ساعات النهار.. ساعات طويلة من العمل.. هذا العمل الذي يبعدنا عن منازلنا الدافئة المرفهة بالمشاعر الطيبة الحانية بشتى انواع الاستقرار النفسي.. أو هذا ما نأمل أن تكون عليه منازلنا أياً كانت عند عودتنا لها.

هذه الساعات طويلة ومرهقة تحدد وقتها عدة عوامل ودراسات واحتياجات وطبيعة عمل ولكنني أجد حديثاً يجري في نفسي وتساؤلا ورغبة في أن نتطلع الى الإعتدال في وضع بداية الدوام الرسمي ونهايته بحيث يتحقق التوازن في الوقت.

لقد غدت حياتنا اليومية متأثرة بدوام يشبه عودة الغربيين الى منازلهم عند انتهاء دوام العمل يعود بعض الموظفين تقريباً في المساء أو قرب حلول الظلام الى منازلهم.

وتتأثر بالتالي عدة امور في المنزل بل وتتجمد حتى عودة رب الأسرة لقضاء مهمات يتطلبها البيت فإما أن يترك الموظف عمله ويعود إليه بعد إنجاز بعض المسؤوليات المنزلية وإما أن يوفر للأسرة سائقاً ينوب عنه في انجاز تلك المهمات الضرورية أو يتدبر طريقة أو أخرى لتقوم بدوره اثناء وجوده في عمله.. مستغرقاً في دوامه الطويل..

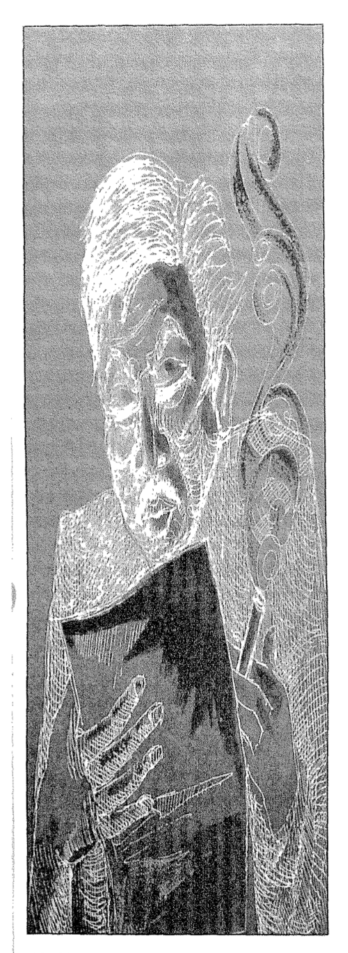
ما افكر به وبصوت مسموع:

لماذا لا نعدل من خطة سائدة تهيمن على الدوام.؟

لماذا لا يعود الموظف الى منزله بعد صلاة الظهر ليتناول غذاءه مع ابنائه وأسرته في مائدة واحدة تضم الجميع بدلا من تناول كل فرد من الأسرة وجبة الغداء بمفرده؟ فالطلاب يعودون قبل حضور الوالد الى المنزل وربما الوالدة كل له دوامه وخطة سيره.

اقول: لم لا يعود الموظف الى بيته والطالب

هند أحمد هرساني
- جدة -



والمدرسة الخ .. يوحدهم دوام معقول بحيث تجتمع الأسرة عند فترة الظهر والغداء ثم تأخذ قسطا من الراحة والعودة الى العمل مرة أخرى.. وقد ارتاحت النفوس وسكنت الأبدان ولو لفترة .. ملائمة.. قد يعترض الكثيرون .. ويبدى كل معترض أسبابه ويحتج بقناعته.

ولكني اعتقد أن اجتماع الأسرة أمر جيد ومهم، وتلاقيهم يوجد بينهم عدم الاغتراب إن صح التعبير فهناك من الآباء من لا يرى ابناءه بعد عودته لأنهم قد اخلدوا للنوم قبل حضوره المتأخر عن لقائهم.

لمَ لا نعيد سيرة أجدادنا وامهاتنا؟.. نعم اختلفت الظروف وتغيرت عوامل كثيرة في المجتمع نتيجة تطوره في شتى المجالات.

ولكننا نحنُ فعلا الى لقاء قريب لا يطول بين الآباء والأبناء بين الأزواج والزوجات يجدد العطاء ويدفع النفوس لتكرار العمل الوظيفي في الفترة اللاحقة.. وأيضاً يعطي للأم راعية المنزل هذا النظام الموحد وتوفير الجهد في رعاية منزلها وأفراد عائلتها وعدم توزيع جهدها ونشاطها تجاه كل عائد إلى المنزل بشكل متقطع ومرهق نتيجة اختلاف عودة أفراد العائلة إلي المنزل.

أهي رغبة رومانسية يرفضها الواقع وتقاليد راسخة للدوام لا يأمل أحد منا في كسر جمودها؟ أم هو تفكير بعيد يراه الآخرون تفكير غير عملي؟.

أرغب بشدة في أن نوطد علاقاتنا الأسرية بعضنا ببعض من حيث اللقاء القريب وتقارب المشاعر .. ولا نجد انفسنا مجتمعين إلا في ساعات معدودة قد يطولها دوام آخر أو التزام طارىء .. فتضيع هي الأخرى، ونشعر اننا غرباء في منازلنا بسبب تباعد فترات لقائنا بالأبناء وانشغالنا بعد ذلك بطلب مُلح للخلود للنوم والعودة من جديد للدوام.

لماذا لا يدخل أبي الجامعة؟

«السيد مدير الجامعة المحترم..

تسلمت فجيعتي بشأن إلغائكم فرصة وجودي بجامعتكم الموقرة فصلا آخر، حيث هبط معدلي التراكمي هبوطاً اضطراريا، لا مفتعلا، لا مقصوداً يعلم الله..

إنني لا أدري كيف قادتني خطواتي لهذا الإنحدار المؤسف.. و.... وأطمع.. أتوسل.. أهيب.. أ..أ..»

تشك.. تشك.. كفرقعة سوط جاءه الصوت، تناثرت قصاصات الورقة من حوله، جو الغرفة ملبد بالدخان وأنفاس الرفاق المنهمكين في اللعب، سحب من سيجارته نفساً آخر وأثقل رئتي الغرفة بسحب الدخان.

توزيع الورق يؤكد للمرة الثالثة أنه خارج اللعبة. وهو لم يكتب خطاب الكارثة بعد. ولا يعرف ماذا يكتب فيه.

لماذا لا يرجيء أمر كتابة الخطابات الثلاث إلى الغد. المدير وأبوه وخطيبته. لماذا لا ينتظرون إلى الغد؟ لماذا لا يشارك رفاقه اللعب ويترك مشقة صياغته لها لأحد ما ينقذه من الورطة؟

«ورطة! إنها كارثة. نكبة تقصم الظهر المشدود إلى جذوع الأشجار المهترئة، فجيعة ألقت بالحلم إلى جوف حوت ماله قرار.

ثم إن الكارثة ليست هنا.

الكارثة في طيات المظروف الذي بعثته إدارة الجامعة إلى أبي لتبلغه بقرار إلغاء فرصتي في الدراسة للمرة الأخيرة بعد الإنذارات السخيفة.

سيتلون وجهه بالغضب. هذا الوجه الذي لا أتذكر ملامحه جيداً، ربما نسيته... هه.. كيف أنساه ولم أتفرسه يوماً لأنساه؟

مجرد التحديق في قساوة العينين الصارمتين.. مجرد التطلع في التجعدات المتناثرة حول الشفتين القويتين ينبت الخوف في صدري والرعدة في جسدي.

تعرفت على ملامحه من صورة معلقة بديوان البيت كانت تنظفها أمي كلما اعتلاها الغبار. وكنت أرقبها بخوف وحذر وأنا أدلف إلى الديوان لأفاتحه في أمر ما، كأنما أستقرؤها دخيلته. حتى مسبحته، كنت أخشى ملامستها حينما تكون بعيداً عنه لكأنما توشك أن تستحيل أنشوطه تستمطر مني الآهات والدم...»

جو الغرفة رطب وخانق.

كم مرة كاشف أباه بأنه لا يطيق منظر المذكرات والكتب. كم مرة بكى بين يدي أمه لتستل بدعواتها ودموعها موافقة أبيه ولم يفلح.. كثيراً ما رأى نفسه قاطرة تسير على قضبان شريط طويل، طويل. لم يألفه، ولم يحدده ولا يعرف أين نهايته.

كثيراً ما حدثته نفسه بأن يخرج القاطرة عن قضبانها لتسرح في الحقول وتستحم بضوء الشمس. ولتحدث الكارثة.

لكن الكارثة حدثت بالفعل.

قضبان الشريط الحديدي تتلوى كأفعى لتعيده للطريق الطويل الطويل الذي يجهل نهايته. لماذا الجامعة وليس سواها؟ لماذا ينبغي أن يسلك من الجامعة طريقا إلى الوجاهة وليس من موقع آخر؟.

«ألا أكون وجيهاً محترماً دون مقاعدها التي تلهب الظهر، ودون ملامح أساتذتي التي تنخر نهاري بالمحاضرات الجوفاء.. لماذا لا يدخل أبي الجامعة؟ لماذا لا يواصل هو دراسته الجامعية ويريحني؟ فلأعاود كتابة خطاب السيد المدير ولكن بحميمية هذه المرة».

«السيد مدير الجامعة..

اعترف بأنني ولد فاشل. تخلفت عن معظم محاضرات العام الدراسي، فرطت في كتابة أبحاثي المضنية والسخيفة، أضعت ثقتكم فيَّ.. و.. و.. لكن

وفاء الطيب
- المدينة المنورة -

ذلك لم يكن مقصوداً!

لم يكن سهلا أن أواصل سهر الليل برفقة أقراني مع الجلوس على مقاعدكم المزعجة بقاعة المحاضرات أدون الكلمات الباردة، ليس ذنبي أن وصلتني باردة، تذكرني بدفء الأجواء هناك، حيث تحتويني كل ليلة.

في الليل يا سيدي خلف أسوار الغربة، هناك حيث أطلق سحب العراك والكلام، أجدني أتكلم بتلقائية وبحرية بغيضة ومريحة. تصور!! لا أحد يلقم فمي حجراً. كل رفاقي سمجون ومتفيقهون وأنانيون وطحلبيون. إنهم يستغلون جيبي ببشاعة لكنني أتغاضى عنهم. إنهم يرتدون ثياباً عصرية مزركشة قلقة وصارخة، لكنهم مريحون.. مريحون.. يسمحون لي بابداء رأيي ويمنحونني تأشيرة اقتحام أي شيء وكل شيء.

وحدي أملك حق تقرير مصير ليلتي يا سيدي.

أعرف أن وقت الاستعطاف والندم قد سبقني. ولكن ماذا لو علم أبي؟!

خذ جمرة السؤال المتقد وهات إجابة مريحة لأواصل اللعب فالليل مشتعل بصيحات الرفاق والورق المتناثر يبتغي رابعاً».

تشك.. تشك.. مزق الخطاب.. كنوح الحمام جاءه الصوت سحب نفساً من الشيشة، انعقد حبلها الطويل كعقدة المشنقة، لو كان أبي هنا لالتف حبلها الطويل حول عنقي وكنت معلقاً بسقف الغرفة كأضحية العيد.

«أنت ولد خامل لا تنفع في شيء، أريدك شيئاً أفخر به، أشد به ظهري وأنت تريد لي الخزي أمام الناس» كحفيف الأشجار المهترئة جاءه الصوت ووجهه مبتل.

«انكسر يا أبي. أما وصلك خطاب الكارثة؟ حتماً سيصلك في غضون أيام. وسترى أي جذوع الأشجاع تشد ظهرك، هذه الفواجع يحملها البريد بأمانة، هذه النكبات يعرف كيف يوصلها البريد في أقصر وقت. وسترى»..

صاح أحدهم: البلوت من غيرك يفقد طعمه وحدته، أين هدير صوتك كطائرة حربية وأنت تحرز نصرك الأكيد كل ليلة؟

«الرفاق السمجون، أرجوحة السهر تطل من عيونهم الوقحة، قهقهاتهم تفرقع في الهواء كبالونات العيد، ألا من يكتب لي صيغة الخطاب ويريحني لأبدأ الآخر؟! رأسي محمل بخطابات الأسى».

«أبي الحبيب.. تحية وبعد..

ابنك فاشل. ساق نخلة يقطنها الدود. خلية نحل عافتها اليعسوب.. بئر تتجشأ فوهتها بالحجارة، إبك لأجلي، وصلني بدعواتك، خذ فشلي على راحتيك لأهدأ وأنام».

تشك.. تشك.. لا تصلح أنت لكتابة شيء.. ابتل وجهه أكثر.

«حبيبتي الغبية.

نقية أنت كفجر، بريئة كطفل، معطرة كابتسامة، كل ذلك أنت.

أي قدر هذا الذي يزف إليك فشلي بعد أربعة أعوام وعدتك في نهايتها أن أزف للآخرين نبأ عرسنا.

ها أنذا أسكب محيطات فشلي على قارات الليل والغربة والحلم لتغرق وتفنى، ستبكين لأجلي وتتألمين.

وحدك دونهم ستصير النجمة في عينيك حريقاً، والوردة خنجراً لو تقرأين تفاصيل النبأ، فاشل أنا.. أرأيت؟

ألم أقل بأنك في نقاوة الفجر وبراءة الطفل وعبير الابتسام.

ها الفشل يرقد على حنجرتي فلا أسمع صوتي! هل تسمعينه؟ خذيه وغطيه برموشك كيلا يراه الآخرون. خذيه وأعلني موافقتك على العريس الجديد، تزوجيه واردمي به محيطات فشلي.

تشك.. تشك.. حتى هذه الغبية لا أعرف كيف أهمس إليها! ووجهي حار ومبتل! يا للخجل.

وهذا المغفل. لم يجد أسهل من أن يوقع وثيقة فشلي ويبعث بها إلى البريد ألا يعرف من هو أبي؟

«يا سيادة الـ....

أستعطف.. إعادة النظر.. قرار خذلاني من ساحة.. لا تكسر سيفي سيدي.... لا.... تدق عنق أبي.... لا/ النار... حصاني جريح.... يرمح.... تترقب صهيله.... ووقع حوافره.... حبيبتي.... يبارقي.... غبية.... ك.... كار.... كارثة..... فـ.....فـ.... فـ.... فرصة أخرى يا سيدي».

رسالة من يحيى الغزال إلى السيدة

* هو الشاعر الأندلسي الحكيم يحيى بن حكم البكر.
* لُقب بالغزال لجمال طلعته وحسن هيئته.
* ينتسب إلى بكر بن وائل، وقبيلته أحد فروع قبيلة ربيعة التي كان لها شأن في الجاهلية والإسلام.
* ولد بمدينة جيان سنة ١٥١هـ وتوفي سنة ٢٥٠هـ.
* يقول عنه المؤرخ الأندلسي ابن حيان: «كان الغزال حكيم الأندلس وشاعرها وعرّافها. وقد عمر تسعا وتسعين سنة ولحق أعصار خمسة من الخلفاء المروانيين بالأندلس أولهم عبد الرحمن معاوية (الداخل) وآخرهم الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم. وقال في ذلك:

أدركت بالمصر ملوكا أربعة
وخامسا هذا الذى نحن معه»

* كان شاعراً غزلا رقيقا في معانيه بديعاً في تصويره.
* نزع إلى التشاؤم في أخريات أيامه.

سيدتي .. مليكتي الجميلة «تود»؛ ملكة الدانمارك:

في آخر لقاء لي معك طلبت منى ما لم أكن أتوقعه، هو أن أكتب إليك رسالة عن حياتي لتحتفظ بها المملكة في سجلها التاريخي لكبار زوارها وإنني إذ ألبي رغبتك الأثيرة لدي فإنني أقول:

في مستهل حياتي العملية عملت أول ما عملت في خدمة الأمير العظيم عبد الرحمن الداخل، فكنت مكلفا من قبله بإدارة بعض الشئون التجارية للدولة وحققت في عملي نجاحا مشكورا غير أن الواشين والحاسدين نقلوا إلى سيدى الأمير أنني أستثمر أموال الدولة لصالحي، فاستدعاني وسألني عن صحة ما ذكر له ..

فقلت له: يا مولاي الأمير:

إن تُرد المال فإنني امرؤ
لم أجمع المال ولم أكسب
إذا أخذت الحق مني فلا
تلتمس الريح ولا ترغب
قد أحسن الله إلينا معا
إن كان رأس المال لم يذهب

فضحك لما صنعت، ثم عفا عني .. بعد هذا حدث أمر طريف بيني وبين أميرنا عبد الرحمن كشف له عن شخصيتي وذكائي: دخلت عليه يوما وهو بين وزرائه. فما كادت عينُه تقع عليّ حتى بدهني بقوله: «جاء الغزال بحسنه وجماله.. وهنا انبرى أحد الوزراء قائلا لي: أجز ما بدأ به الأمير، فقلت من فوري لأفحمه:

قال الأمير مداعبا بمقاله
جاء الغزال بحسنه وجماله
أين الجمال من امرئ أربى على
متعدد السبعين من أحواله
أين الجمال له، الجمال من امرئ
ألقاه ريب الدهر في أغلاله
وأعاده من بعد جدته بلى
وأحال رونق حاله عن وجهه

فسر الأمير سروراً عظيما وبلغ من ابتهاجه أن جعلني سفيره الأول يبعثني في المهام العظام.

محمد عبدالواحد حجازي
- مصر -

سيدة الجميلة



سيدتي .. مليكتي الجميلة:

اجتازت مملكتنا أحداثا جساما كان لي فيها التدبير المحكم والرأى الصائب: فقد حدث أن جيشا بحريا من قراصنة النورمانديين ـ أهل مملكتكم ـ غزوا شواطئنا ونزلوا بأشبونه ثم أغاروا على «تفنت» و«قرطبة». ومع ذلك فقد استطعنا دحرهم وهزيمتهم وإرغامهم على الانسحاب. وبعد أن زالت الغمة أشرت على مولاي الأمير بضرورة إنشاء أسطول لحماية شواطئنا من الغزاة والقراصنة، فرحب باقتراحي وعلى الفور أنشأ داراً لصناعة السفن بأشبيلية.. وفي هذه الفترة من حياتي يا مليكتي الجميلة أرسل ملك القسطنطينية بتوفليس هدية إلى أميرنا عبد الرحمن وأرفقها برسالة يطلب فيها عقد معاهدة صداقة بين القسطنطينية وقرطبة وضمَّن رسالته شكواه من عدوان الخليفة المأمون وأخيه المعتصم على أملاكه وذكره بما كان من أواصر المودة بين قياصرة القسطنطينية وأوائل بني أمية. وقد رأى مولاي الأمير أن يرد على السلام بالسلام فأرسلني في سفارة إلى بتوفليس فوفقت فيها غاية التوفيق فازدادت ثقة الأمير في شخصي.

سيدتي .. مليكتي الجميلة:

يظهر أن قراصنتكم قد عشقوا الإغارة على سواحلنا والاعتداء على الآمنين من أهلنا والا فلماذا يعيدون الكرة علينا كأن بينهم وبين سواحلنا ثأر قديم.. في هذه المرة أوقعنا بالمغيرين هزيمة شنعاء فتت في عضد زوجك الملك نورجابوس. ولما أدرك أنه لن يفلت من عقاب سيدنا الأمير أرسل سفيره برسالة يعرض فيها الصلح الدائم. وجاء سفيركم على مركب ملكي ترافقه ثُلة من معاونيه. فاستقبله أميرنا أحسن استقبال ووقره أجمل توقير. ولما عرض عليه رسالة الصلح كلفني الأمير بالذهاب إلى الدانمرك لمفاوضة زوجك جلالة الملك «نورجابوس» في شروط الصلح. وانطلقت يصاحبني صديقي يحيى بن حبيب في مركبنا وسفيركم في مركبه.. كانت الريح في أول الرحلة رخاء، وأمواج البحر تداعب المركب مداعبة طريفة.. ولكن عندما اقتربنا من الطرف الأعظم داخل البحر الذي هو حد الأندلس في آخر الغرب انطلقت الأمواج في اصطخاب عات هائج فتقاذفتنا من فوقنا ومن أسفل منا، وعن أيماننا وعن شمائلنا حتى أيقنت بالهلاك وتشبث بي صديقي يحيى بن حبيب حتى زاغت عيناه وهو لا يكف عن الرجاء والدعاء.

آه يا سيدتي المليكة الجميلة.. يا لها من لحظات رعيبة رهيبة كنا نعالج فيها سكرات الموت البشيع.. ويالها من سكرات!!

قـــال لي يحــــيـــــا وصــــر
نا بـين مـــوج كـــالجـــبـــــال
وتـــــولــــتـــــنـــــا ريــــاح
مـن دبـور وشـــــــمـــــــال
شـــــقت القلعين وانبـــــتــــ
ـت عـــرا تلك الجـــبــــال
وتمـــطـــى مـــلـــك المـــو
ت إلـينا عـن حـــــيـــــال
فـــــــرأينــا المـوت رأي الـــ
ـعين حــــالا بعـــد حـــــال
لم يكن للقـــــوم فـــــينا
يارفـــــيـــــقي رأس مـــــال

وهدأ الموج بعد سويعات خلناها الدهر كله.. حتى إذا ما وصلنا إلى المقر الملكى واستقبلنا زوجك الملك المفضال «نورجابوس»، قدمت إليه الرسالة فقرأها ثم قدمت إليه الهدية فأعجب بها وشكرها.. ودارت المحادثات التي توجت بالاتفاق.. ثم أفاض علينا من بره وخيره وصمم على أن نقضى في قصر الضيافة شهراً نعود بعدها إلى وطننا قرطبة.

سيدتي .. مليكتي الجميلة «تود»:

الأمر الذى أدهشنى واستعاد فيَّ حب المغامرة، أنك بعثت إليَّ أحد رسلك يدعوني إلى مقابلتك لأمر هام جدا.. فنهضت من فوري إليك ولما شخصت أمامك صرت أتأملك وأنظر إليك نظرة الدَّهش المتعجب.. وقد أثارت نظرتى إليك الشك في صدرك فقلت لمترجمك: سله عن إدمان نظره لماذا هو؟ ألفرط استحسان أم ضد ذلك؟ فأجبت المترجم قائلا: إنى لم أتوهم أن في العالم منظراً مثل هذا. وقد رأيت عند أميرنا نساء انتخبن له من جميع الأمم فلم أر فيهن حسنا يشبه هذا.. آنئذ افتر ثغرك الملكي عن بسمة الرضى.. عن بسمة الحب.. عن بسمة الهوى..

فشغفت بي حبا، وازددت بي وجدا.. ولم أكن أقل منك تهياماً ولا غراما..

وتواصلت بيننا المودة واتصلت أحاديثنا يوما بعد يوم وفي كل يوم يكتشف كل منا في صاحبه لمحة من جمال وميسماً من سحر.

أجل يا مليكتي.. أجل يا جميلتي.. أجل يا تود:

كُلفت يا قلبي هوى مـــتـــعـــبـــا
غـــالبت منه الضـــيـــغم الأغلبـــا
إنى تعلقت مـــجـــوســـيـــة
تأبى لشـــمس الحـــسن أن تغـــرُبا
أقـــصى بلاد الله في حـــيث لا
يُلفي إليــــه ذاهب مـــــذهبــــا
يا تـود يارود الـشـــبـــــاب التى
تطلع من أزرارها الكوكـــــبـــــا
إن قلت يومـــــاً إن عــــينى رأت
مُشـــبـــهـــه لم أعـــد أن أكـــذبا
يا بأبي الشـــــخص الذي لا أرى
أحلى على قلبى ولا أعـــــــذبا

ومن الطريف الذى استحسنته منك ودل على سرعة خاطرك وحضور بديهتك أنك نصحتني أن أصبغ شعرى ليتكامل مع جمال هيئتى وهندامى.. فلبيت رغبتك مما زادنى في عينك حسنا على حسن، وازداد لك قلبى حباً على حب:

بكرت تحسن لى سواد خضابي
فكأن ذاك أعـــادنى لشـــبـــابي
ما الشيب عندى والخضاب لواصف
إلا كـــشـــمـــس جُللت بضـــبـــاب
تخفي قليلا ثم يقشعُها الصبا
فـيـصـيـر مـا سُتـرت به لذهاب
لا تنكرى وضح المشـــيب فـــإنما
هو زهرة الأفـــهـــام والألبـــاب



سيدتي .. مليكتي الجميلة، «تود»:

لا أنكر أن حبي لك كان صادقاً وأمينا، وأن حبك لي وشغفك بالحديث إليَّ لم يكن أقل منه صدقاً ولا أمانة.. ولكن الحق أقول لك: إنني كنت في حيرة من أمرك معي؛ ذلك لأنك كنت تصرين على أن أتزوج.. وأتزوج ممن؟ من نورماندية!! فكنت أعتذر مرة، وأطيل لك حبل الأمل مرات ومرات.. واليوم أصارحك بالحقيقة:

أنا شاعر أهوى التخلي دون ما
زوج لكيما تخلص الأفكار
لو كنت ذا زوج لكنت منغصا
في كل حين رزقها أمتار
كم قائل: قد ضاع شرخ شبابه
ما ضيعته بطالة وعُقار
إذ لم أزل في العلم أجهدُ دائما
حتى تألقت هذه الأفكار
مهما أرُم من دون زوج لم أكن
كلا ورزقي دائما مدرار
وإذا خرجت لنزهة مُنِّيتها
لا ضيعة ضاعت ولا تنكار

سيدتي .. مليكتي الجميلة «تود»:

ها أنا قد بلغت التاسعة والتسعين خرجت منها بعبر وحكم .. فطول العمر ليس نعمة، إنه بلاء وعذاب.. وهذا ما أقاسيه اليوم:

ألست ترى أن الزمان طواني
وبدل خلقي كله وبراني
تحيفني عضوا فعضوا فلم يدع
سوى إسمي صحيحا وحده ولساني
لو كانت الأسماء يدخلها البلى
لقد بلى اسمي لامتداد زماني
ومالي لا أبلى لتسعين حجة
وسبع أتت من بعدها سنتان

إذا عن لي شخص تخيل دونه
شبيه ضباب أو شبيه دخان
فيا راغب العيش إن كنت عاقلا
فلا وعظ إلا دون لحظ عيان

سيدتي .. مليكتى الجميلة «تود»:

نصيحتى إليك ألا تحسنى الظن بالناس فلا تغرنك مظاهرهم.. ولا تركنى إلى معسولهم:

إذا أخبرت عن رجل بريء
من الآفات ظاهره صحيح
فسلهم عنه هل هو آدمي
فإن قالو نعم فالقول ريح
ولكن بعضنا أهل استتار
وعند الله أجمعنا جريح
ومن إنعام خالقنا علينا
بأن ذنوبنا ليست تفوح
فلو فاحت لأصبحنا هروبا
فرادى بالفلا ما نستريح

لا تثقى يا سيدتى الجميلة بالناس فإنني:

ما أرى ههنا من الناس إلا
ثعلبا يطلب الدجاج وذيبا
أو شبيها بالقط ألقى بعينيه
إلى فارة يريد الوثوبا

وختاما تقبلي أعطر تحياتي وأجمل أمنياتي:

يا تود يا رود الشباب التى
تطلع من أزرارها الكوكبا

القارىء الكريم

نسبة لوجود الدكتورة «أم عمرو» خارج المملكة .. تحتجب «أوراق زوجية» لهذا الشهر

٣٥٠ (كبرى أديبات العرب)

من أغرب الأنباء في عالم التأليف أن يحاول كاتب استهواء قرائه فيؤلف كتابا عن حياة الآنسة ميّ كبرى أديبات العرب فيختار لعنوان الكتاب اسم (المجنونه) كأنَّ تجارة السوق، أصبحت العامل الأول في إهانة ذكريات النوابغ، وميٌّ لم تكن مجنونة ولكن ادعى الوصوليون من أقاربها جنونها، ليقوموا بالوصاية على ما تمتلك من عقار! لم يكن ذا قيمة غالية تبيح لهم هذا الانتهاز!! وقد ألقت من المحاضرات، وكتبت من المقالات ما يقصف بهذه التهمة، فجاء مؤلف الكتاب ليجعلها أبرز صفة للأديبة النابغة تكون الواجهة الأولى للكتاب، على أن المؤلف لم يأت بشيء جديد عن الأديبة النابغة، فقد صدرت عنها كتب ممتازة أنزلتها المنزل اللائق بها في تاريخ الأدب الحديث.

وكان أول من أفرد مؤلفا خاصا بالكاتبة النابغة هو الشاعر الباحث الأستاذ محمد عبد الغنى حسن، إذ شاعت مجلة المقتطف غبّ وفاتها أن تصدر كتابا تذكاريا يخلد هذه الراحلة الفذة، واختارت الأستاذ محمد عبد الغني حسن لهذه المهمة، فأبدع فيما ألف، كما أنه تحادث مع نخبة من كبار رجال الفكر في مصر عن ميّ ممن لهم صلة قوية بها، وسجل أحاديثهم في كتابه، وسأختار من آرائهم في هذه الشذرات ما ينفح بعبير هذه الأديبة الممتازة، ذات السبق الفريد.

٣٥١ (طه حسين)

تحدث الدكتور طه حسين عن الآنسة ميّ مرات عدة، ومن أصدق ما قاله عنها ما جاء بالجزء الثالث من كتاب الأيام، حين سمع الآنسة ميّ في حفلة تكريم الشاعر خليل مطران لأول مرّة فاستولت على مشاعره استيلاء مدهشا، بدا أثره في قوله:

«لم يرض الفتى عن شيء مما سمع إلا صوتاً واحدا سمعه فاضطرب له اضطرابا شديدا، وأرق له ليلته تلك، كان الصوت نحيلا ضئيلا، وكان عذبا رائقاً، وكان لا يبلغ السمع حتى ينفذ منه في خفة إلى القلب، فيفعل به الأفاعيل، ولم يفهم الفتى من حديث ذلك الصوت العذب شيئا، ولم يحاول أن يفهم من حديثه شيئا، شغله الصوت عما كان يحمل من الحديث. وكان صوت الآنسة ميّ التى كانت تتحدث إلى جمهور الناس للمرة الأولى، ولم يستطع الفتى حين أصبح من ليلته تلك أن يمتنع عن السعي إلي مدير الجريدة (أحمد لطفي السيد) وقد جلس إليه فقال، وسمع منه، ثم مازال يدور بحديثه حتى انتهى الى حفل مطران، والى ذكر تلك الفتاة التي تحدثت فيه، والتي لم يسمع الفتى عنها قبل يومه ذاك، وقد سأله مدير الجريدة عما قالت الفتاة فلم يحسن ردا وإنما لجلج في القول، وأثنى الأستاذ على ميّ، وأنبأ الفتى بأنه سيقدمه إليها

في يوم قريب، وابتهج الفتى بهذا الوعد المضروب وإن لم يعرب عن ابتهاجه وظل يرقب البرَّ به، ولكن الأستاذ نسيه، واستحيا الفتى أن يُذَكِّره، فحمل نفسه على المكروه، وأعرض عن ذكر ميّ، ومضت أيام وأشهر، وظفر الفتى من الجامعة بدرجة الدكتوراه، وأعطى مدير الجريدة رسالته عن أبي العلاء، فقرأها، ورضي عنها، ولكنه لم يردها إلى الفتى. وإنما قال له: إنما سترد إليك رسالتك بعد أيام، لأن الآنسة ميّ قد طلبت أن تقرأها، وسمع صاحبنا ذكر ميّ فبدا عليه شيء من الوجوم، وكأن الأستاذ لاحظ ذلك، فذكر وعده القديم.

ثم وصف الدكتور زيارة ميّ مع أستاذه، وكتب عن دهشته البالغة سطوراً صادقة، أحيل القارىء عليها في الجزء الثالث من الأيام.

٣٥٢ (منصور فهمي)

ننقل ما ذكره الدكتور منصور فهمي عن ميّ الكاتبة، حيث قال:

إنني أعدّ الطريقة التي جرت عليها ميّ في كتاباتها مما يصحّ أن يكون مثلا للكتابة الراقية، لأنها كانت تمكن لما تكتبه، بشتى الأفكار العالية، والمعاني الشريفة التى خلصت لها من ثقافة عريضة ودراسة طويلة جادّة، ولم تكتف ميّ بالفكرة المتمكنة، والمعنى الدقيق، والرأي المنخول، بل كانت فوق ذلك تُعنى باختيار الألفاظ الملائمة، والعبارات الموائمة، لتتساوى هذه الألفاظ المتآلفة المتجانسة في سلّم موسيقى تتردد في أذن السامع أو القارىء رنينا موقعا ولحنا مؤتلفا، فلا يحس نبوا في لفظ، أو خشونة في تعبير.

ولقد أعجبت بالآنسة ميّ محاضرة كما أعجبت بها كاتبة، فقد كانت في هذا المضمار مجلية ولا أعدو الحق إذا قلت إنها كانت محاضرة من أرقى طراز، وأعلى غرار، ولعل أسبابا كثيرة اصطلحت على تفوقها في هذا الميدان، فقد كان لها من عذوبة صوتها، وحسن أدائها، وحلاوة إلقائها، ووسامتها، وحسن سمتها معين على ذلك، وكانت يميزها حين تقف للخطابة في حفل، أو المحاضرة في جمع ثقة بنفسها، واعتداد بشخصيتها، فما عرفت أنها تهيبت منبرا، أو خشيت موقفا، أو غشيتها سحابة من جبن، أو جللتها غمامة من خوف بل كانت دائما واثقة شجاعة.

وللدكتور منصور فهمي كتاب مستقل عن الآنسة ميّ، ألقاه محاضرات بمعهد الدراسات العربية فجاء نمطا من التحليل الأدبي الصادق، حافلا بالمواقف والمشاهدات.

٣٥٣ (مصطفى عبد الرازق)

أما الإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق فقد قال عنها:

أظن أحدا ممن عرف الآنسة ميّ لا يشك في أنها كانت متنوعة الثقافة، وأنها كانت مشغوفة بالتحصيل والاستفادة، وكانت دراستها فيما أعتقد دراسات أدبية، أعني أنها تذهب إلى ناحية التفكير الأدبي والاجتماعي والأخلاقي، من غير أن تنزع إلى نزعة التخصص التي تدعو إلى الدخول في مفصلات المسائل العالية أو في استعمال الأساليب الفنية في التعبير وليس هذا الذى ذكرت غضاً من قيمة ميّ العلمية، لأنه إذا كان أثر العلماء

المتخصصين أثراً كبيراً في ترقية الفكر الإنساني، فإن أثر العلماء المتأدبين في ترقية هذا الفكر، ليس أقل شأناً ولعل الأفكار والأبحاث العلمية التي لها صبغتها الفنية لا تصل إلى دور العمل ودور النفوذ إلى عقول الشعوب وقلوبها إلا بوساطة الأدب.

أما حديث ميّ الغالب فكان باللغة العربية الفصحى، ومع تأنق ميّ في شأنها كله، وفي حديثها على الخصوص، فإنها كانت تصل إلى جعل اللغة العربية لغة حديث في مجمع راق، ليس كل شاهديه من أنصار اللغة الفصحى من غير أن يشعر أحد من سامعيها، بأن حديثها أقل سلاسة أو أظهر تكلفا من حديث المتكلمين باللغة العربية العادية.

وأظن ميّاً خدمت بهذه الناحية من نواحيها اللغة العربية خدمة كبيرة، لأنه إذا كانت الجرائد والمجلات أعانت على التوفيق بين منازع الراغبين في استعمال اللغة العربية بأساليبها الموروثة، وبين منازع الراغبين في استعمال اللغة العامية، أو ما يشبه اللغة العامية، فإن ميّا أسدت هذه الخدمة نفسها إلى اللغة العربية في ناحية لا تصل إليها الجرائد، وهي ناحية التخاطب والتحاور.

٣٥٤ (أحمد حسن الزيات)

ولدت ميّ وعاشت كما يولد النهر من قطر السماء، فتُربّيه الطبيعة في الينابيع الهادئة الفسيحة ثم تبعثه برسالة الحياة إلى حوضه، فيشقّ بالجهد والصبر طريقه الموحش، في صخور الجبل، وقفار الأرض، وأصول الغاب، ثم يلقي على شاطىء الوادي ما حُمّل من خير الله، فيحيا الموات، وتتجمع الخيرات وتنشأ الحضارات، ويتكلم التاريخ، ثم يأخذ النهر مجراه بين الحقول الناضرة، والمدن العامرة، شاديا بالمال والجمال والحب حتى يذهب في عباب البحر كما تذهب الروح الطيبة في فضاء اللانهاية.

كانت ميّ في حياة القاهرة ظاهرة من الظواهر العجيبة، والعجيب فيها أنها كانت كممدوح المتنبي، واحدة من ناس دنياها وليست منهم، كانت جنساً من الخلق الجميل تميّز بخصائص الجنسين، فكان فيه أفضل ما في الرجل، وخير ما في المرأة، فمن كان يسمعها خطيبة في محفل، أو يشهدها محدثة في منزل، كان يحسبها وقد استدارت على رأسها الأنيق هالة من السحر والفتنة «قليوب» احدى بنات الإله جوبيتير التسع، وإلاهات الفنون التسعة، قد سرقت من أخواتها فنونهن، ثم هبطت من فوق (البرناس) إلى ضفاف النيل.

ومن يستطيع أن يفهم (ميّ) غير هذا؟ وهي فتاة قد نشأت في عهد كانت المرأة فيه شيئا من المتاع، ترى ولا تعلم، وتسمع ولا تفهم، ثم تحذق هي الكتابة والخطابة والشعر والموسيقى والفلسفة والتصوير وتتقن العربية والفرنسية والانجليزية والإيطالية والألمانية والأسبانية، وهي لم تولد في قصر ولم تخرج في جامعة.

لقد كان لميّ وصالون مي في أدب العصر سمات وآثار، ألهمت صبري، وأوهمت الرافعي، وألهبت جبران، ثم أخرجت من سواد المداد صورا مختلفة الألوان، متنوعة الأفنان أضافت إلى ذخائر الفكر الإنساني ثروة.

٢٥٥ (عباس محمود العقاد)

ما تتحدث به ميّ ممتع كالذى تكتبه بعد روية وتحضير، فقد وهبت ملكة الحديث في طلاوة ورشاقة وجلاء، ووهبت ما هو أدلّ على القدرة من ملكة الحديث، ونعني به ملكة التوجيه وإدارة الأحاديث بين الجلساء المختلفين في الرأي والمزاج والمقام، فيكون في مجلسها عشرة منهم الوزير، والموظف الصغير، ومنهم المحافظ والمغالي في التجديد، ومنهم المرح الثرثار، والوقور المتزمت، فإذا دار الحديث بينهم أخذ كل منهم حصته على سنة المساواة والكرامة، وانفسح مجال القول لرأيه، وللرأي الذي ينقضه ويشتد في نقضه، وانتظم كل ذلك في رفق ومودة ولباقة، ولم يشعر أحد بتوجيهها وهي تنقل الأحاديث من متكلم إلى متكلم، ومن موضوع إلى موضوع. كأنها تتوجه بغير موجه، وتنتقل بغير ناقل، وتلك غاية البراعة في هذا المقام.

وكانت لها فطنة في الضحك تحي المساجلة. وتزيد الحوار، ولكن فطنتها للمواقف الضاحكة، كانت أدق من فطنتها للنكته واشتراكها فيها، وكانت كبيرة الإعجاب بفكاهة المصريين التي تسميها «النغاشة»، أو القافية التى لا تغدر ولا ترحم.

وكنّا نتبادل الرأي كثيرا، ونختلف كثيرا، ولا نستغرب هذا الخلاف، ولا نكف عن تبادل الآراء، لأن الخلاف بين كل أنثى وفيه لطبعها، وكل رجل وفيّ لطبعه، أمر من البداهة بمكان فهي تنظر بعيني حواء إلى حقائق الدنيا، وهو ينظر بعين ادم، وكلاهما مخلص في خلافه ومستفيد واسمها (ميّ) اختصار لاسم ماري باختيار أول حروفه الميم، وآخر حروفه الياء، ولكنها أحبت الاسم لعربيته لا لاختصاره، فاسم مارى ليس بالاسم الطويل ولا الكثير الحروف.

٢٥٦ (هدى شعراوي)

رأيت في ميّ إنساناً غير عادي، لقد حباها الله، وهو واسع الفضل بعقل كبير، ولكن قلبها كان أكبر من عقلها، فقد كان ذلك القلب يتسع لمعان شتى من الرحمة والعطف والحنان، وكانت مي عالية النفس، فما عرفتُها تدنّت إلى دنيّة، أو تنزلت إلى أسفل، وكانت واسعة آفاق التفكير فما عرفتها وقفت عند حدّ محدود، وكانت بعيدة الإدراك، فما رأيت منها قصورا فيه، ومع تلك الصفات المحبوبة، كانت بعيدة عن الغرور، منزّهة عن الانخداع، فما عرفتها زهيت بعلم أو تاهت بذكاء، أو دلت بتفكير، ولكنها كانت تعرف قدر نفسها في تواضع جميل، وبساطة محبوبة ولم تكن ميّ على وسامتها ووضاحة وجهها جميلة بالمعنى الصحيح للجمال، ولكن نفسها كانت أجمل من وجهها وروحها أجمل من صورتها، فكانت من الجميلات لا تقل عنهن فتنه، ولا أضأل نصيبا من الجاذبية، فسرُّ جمال ميّ كان في روحها، وجمال الروح يسمو على كل جمال.

وحديث السيدة هدى عن جمال ميّ حديث سيدة عن آنسة، وذلك يكفي في التعليق.

وأختم هذه المختارات بقول العقاد:

أين في المحفل ميٌّ يا صحاب

عودتنا ها هنا فصل الخطاب

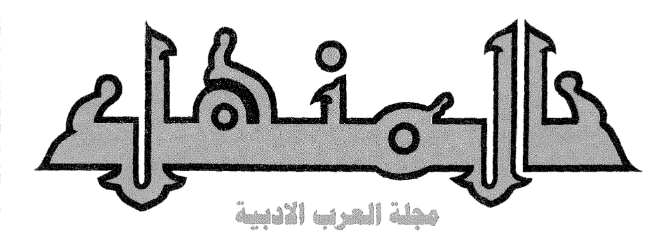
في ميدان اللغة العربية

بقلم: عبدالله بن حمد الحقيل
ـ الرياض ـ

تعتبر اللغة العربية إحدى الركائز الأساسية لحياة الأمة، وهي الوعاء الذي يحوي حضارة الأمة وفكرها وعلومها، وينبغي أن تكون أداة التعبير والبيان في جميع ميادين المعرفة، إذ هي مفتاح العلوم، ولغتنا العربية هي مصدر فخرنا وموضع اعتزازنا نزل بها كتاب سماوي خالد، ووسعته لفظاً وغاية، ولقد قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ «لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، والعلم باللغة عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه».

وتذخر المكتبة العربية بفيض هائل، وآثار متنوعة وتراث لغوي غزير يحق لنا أن نفاخر الأمم به، فقد وهب أسلافنا ـ رحمهم الله ـ أنفسهم للغتهم وآدابها، فهي تحمل من تراث الإنسانية أعظمه وأجله، وهي عبر تاريخها الممتد الطويل تحمل التفوق والقدرة، ولذا ينبغي أن نحافظ علي مكانتها ونرعاها حق الرعاية، ونخدمها خدمة الأبناء الأبرار، وألا ندعها للتقويض والانهيار، والغزو اللغوي الشرس الذي يتسرب اليوم بشتى الأساليب، ونرى ونقرأ في بعض الأحيان من يقول: إن اللغة العربية قاصرة ولا تستوعب مسميات ألفاظ الحضارة الحديثة، ومستحدثات التقنية الجديدة، وما إلى ذلك، وما درى أولئك أنها تحوي من النصوص والقواعد والأحكام والاشتقاق والتضاد والترادف والنعت والكنايات والمجاز والقياس، وغير ذلك من الأبواب مما يجعلها قادرة على استيعاب كل جديد. ومن يستعرض كتاب القاموس المحيط ولسان العرب وتاج العروس والمخصص لابن سيدة وغيرها من أمهات الكتب يجدها تحتوي وتشتمل على مسائل اللغة العربية وفروعها وقواعدها وخصائصها، ويدرك مدى مرونتها، وتفاعلها مع التطور والتجديد والترجمة والتعريب.

إنها لغة عظيمة حافلة بالماضي المتألق المفعم بالمفاخر والمآثر، وبلادنا هي منطلق اللغة، وبها نبتت وترعرعت وازدهرت، ومسؤوليتها كبيرة في الحفاظ على اللغة العربية، فهي لغة القرآن الكريم، والسنة النبوية والتراث الإسلامي الخالد، فنحن حماتها، وأولى بإحيائها والدفاع عنها، والغيرة عليها من الارزاء .. هذا وبالله التوفيق.



مجلة العرب الادبية



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣

المملكة في عيون أطفالها

احتفاءً بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية يسر أرامكو السعودية أن تعلن عن مسابقتها السنوية العشرين لرسوم الأطفال هذا العام وتخصيصها لهذه المناسبة الغالية وموضوعها المملكة في عيون أطفالها .

دعوة إلى جميع الأطفال بالمملكة

يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية العشرين لرسوم الأطفال ، والتي سيكون موضوعها « المملكة في عيون أطفالها » إسهاماً من الشركة بمناسبة مرور مائة عام على فتح الملك عبدالعزيز مدينة الرياض ، وإقامة هذا الصرح الحضاري العملاق اليوم ، المملكة العربية السعودية . وأرامكو السعودية إذا يسرها أن تعلن عن هذه المسابقة لتفخر وتعتز بهذا الحدث العظيم التي هي جزء منه ، وهي بهذا تسعى لتجسيد هذا الحدث من خلال إبراز المواهب والإبداعات الفنية لأطفال المملكة ، وتحفيز مواهبهم وتشجيعهم وكشف سواهبهم وإبداعاتهم وإثراء أعمالهم الفنية والتربوية معاً في ظل العهد الزاهر اليوم في مملكتنا الحبيبة .

ملاحظة مهمة يرجى من جميع الأطفال الراغبين في الاشتراك في المسابقة ومن أولياء أمورهم ومدرسيهم أن يقرأوا نظام وشروط المسابقة بعناية ، وأن يتبعوها بدقة ، فالرسوم المخالفة لشروط المسابقة سوف تستبعد .

شروط المسابقة

(١) يحق لكل طفل لا يقل عمره عن خمس سنوات ولا يزيد على خمس عشرة سنة ويقيم في المملكة أن يشارك في المسابقة .

(٢) يجب على الطفل الالتزام بموضوع المسابقة وهو « المملكة في عيون أطفالها » .

(٣) يتقدم كل طفل للمسابقة برسم واحد فقط على أن يكون الرسم من عمله هو دون أي تدخل أو مساعدة من الوالدين أو المدرسين أو غيرهم .

(٤) يجب أن يكون الرسم عملاً أصلياً غير منسوخ أو مشارك به في مسابقة أخرى .

(٥) يجب أن يكون العمل المقدم رسماً أو ما يشبه الرسم كأن ينفذ من أوراق القص أو اللصق الملونة ، أو قطع القماش ، أو ما شابه ذلك . وستستبعد الأعمال المجسمة من مواد بارزة كقطع الخشب أو قطع البلاستيك ، أو الفخار ، أو ما شابهها . ويمكن للطفل أن يستخدم أي نوع من الألوان أو الأحبار أو ما يراه مناسباً لرسمه .

(٦) يجب أن يكون الرسم نفسه خالياً تماماً من أية دلالة على اسم الطفل أو مدرسته .

(٧) يجب أن يكون مقاس الرسم ٣٥ سم × ٥٠ سم ، وللطفل الخيار في الاستفادة من هذه المساحة أفقياً أو عمودياً .

(٨) يجب تنفيذ الرسم على الورق المقوى أو تثبيته على لوح من الورق العادي أو القماش .

(٩) يجب أن يكون الرسم مرتباً ونظيفاً .

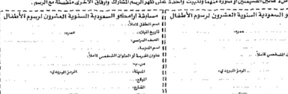
(١٠) يجب تثبيت القسيمة المرفقة بهذا الإعلان أو صورة منها على ظهر الرسم ، كما يجب ملء جميع البيانات المطلوبة فيها بدقة ووضوح .

(١١) يجب عند إرسال الرسوم في البريد وضعها في ظروف أو مغلفات متينة تحميها من التلف .

(١٢) تصبح جميع الرسوم المشاركة في المسابقة ملكاً لأرامكو السعودية سواء فازت أم لم تفز ، وتبقى هذه الرسوم في حيازة الشركة ، التي تحتفظ بحق استخدام أي منها حسبما تراه مناسباً .

(١٣) آخر موعد لتسلم الرسوم هو ٧ ربيع الأول ١٤١٨هـ الموافق الأول من يوليه ١٩٩٨م .

يجب ملء هاتين القسيمتين أو صورة منهما وتثبيت واحدة على ظهر الرسم المشارك وإرفاق الأخرى منفصلة مع الرسم .


مسابقة أرامكو السعودية السنوية العشرون لرسوم الأطفال

اسم الطفل كاملاً:

تاريخ الميلاد: عمره:

الصف الدراسي:

اسم المدرسة:

عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً:

ص. ب:

المدينة: الرمز البريدي:

الموقع:

الشارع:

الهاتف: الفاكس:

نوع الخامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ:

موضوع أو عنوان الرسم المشارك:

التاريخ:

الجوائز

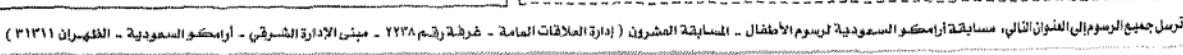
خصص للفائزين في هذه المسابقة مائتا جائزة قسمت إلى الفئات التالية ،

- خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٥ و ٨ سنوات .
- خمس وستون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٩ و ١١ سنة .
- خمس وثمانون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٥ سنة .

يمكن توجيه الاستفسارات عن المسابقة إلى إدارة العلاقات العامة على الهاتف رقم ٨٧٣٤٢٠٣ و ٨٧٢٩٣٠٢ مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق .



ترسل جميع الرسوم إلى العنوان التالي: مسابقة أرامكو السعودية لرسوم الأطفال - المسابقة العشرون (إدارة العلاقات العامة - غرفة رقم ٢٢٣٨ - مبنى الإدارة الشرقي - أرامكو السعودية - الظهران ٣١٣١١)



م يارة ال يةل يعد مقتصرعلى روعة التصميم.



«بيجو ٤٠٦» الجديدة تعطيكم من مقوّمات روعة التصميم مايفوق توقعاتكم ، فمنها مصابيح أمامية أحادية القالب تمتد إلى الجناحين الجانبيين ، ومنها طول إجمالي يبلغ ٤.٥٥ متر من الخطوط الإنسيابية الأنيقة (مما يجعلها أطول سيارة في فئتها) . هذه الأمور لوحدها كفيلة بأن تجعلها ، من حيث جمال التصميم ، تفوق جميع منافساتها . كيف إذاً لو جرّبتم قيادتها ! حينها ستدركون أن تفوق

«بيجو ٤٠٦» لا يقتصر على روعة التصميم فحسب . فمع جيل «بوش ٥» الجديد من المكابح المضادة للإنقفال ووسادتين اماميتين للسلامة وقفل المحرك المشفّر المضاد للسرقة ، والسرعة القصوى البالغة ٢٠٣ كلم/ الساعة، إرتقت «بيجو ٤٠٦» بمفاهيم الراحة والسلامة والأمن والأداء إلى أبعاد تجعل المنافسين يحسّون بالتقصير ، ويشعرون بالحسرة !

الجمجوم في خدمتكم
منذ أكثر من ٣٠ سنة

406
PEUGEOT
صممت لتتمتع بقيادتها

المتوكل للسيارات والآليات

جدة طريق مكة ـ هاتف : ٦٨٧٥٦٨٧ ـ ٦٨٧٢٦٢٢ ـ ٦٨٧٥٤٩٧ ـ ٦٨٧٢٤٦٦ ـ ٦٨٧٢١٦٨

جمجوم

جدة طريق المدينة ـ هاتف : ٦٨٢٦٦٩١
مكة المكرمة ـ هاتف : ٥٤٣٣٠٣٤

المدينة المنورة ـ هاتف : ٨٣٦٦٢٥٥
خميس مشيط ـ هاتف : ٢٢٢٣٠٤١



PEUGEOT



العدد ([illegible] المجلد (٦٠) العام [٦٤] صفر [illegible] هـ - يونيه ١٩٩٨م

الحمامة عندي ... ق

شياطين الشعر

الحقول الدلالية والمعجم العربي

**

لامية العرب لمن ؟!

التحديق في السماء

فان جوخ .. عبقرية ام جنون ؟!



مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

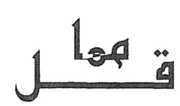
سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال





تنظيم الداخل

تنظيم الداخل في جهازه ومرافقه وسائر اعماله واحواله، مصدر قوة دفاقة، ومبعث طاقة هائلة من النهوض والسمو.

وما اشبه (جسم الدولة) من هذه الناحية، بجسم الانسان.. وما اشبه (داخلية الدولة) بداخل (جسم الانسان) واجهزته ومعامله الكامنة وراء بشرته الظاهرة من شرايين، وعروق، وأعصاب، وقلب، ورئة، وكبد، ولحم، ودم.

فإذا كان الجهاز الداخلي لجسم انسان ما.. سليما صحيحاً سوياً، يؤدي كل جزء، من أجزاء معامله، مهامه بانتظام، قوي (الانسان) ونشط عندها على اداء كل المهام التى تدخل تحت نطاق قدرته الفكرية والجسمية، كإنسان مثالي..

وقد قيل في المثل السائر: (العقل السليم في الجسم السليم).

وإذا ضعف الجهاز الداخلي، أو شلّت بعض أدواته، فإن ذلك ليؤثر حتما في طاقة الانسان الفكرية والجسمية، على قدر ما حصل في جهازه من خلل أو تعطيل.

وكذلك شأن الدولة تماماً في ناحيتى القوة والضعف، والسلامة والاختلال.

فقد بان إذن، أن تنظيم الداخل، وتركيز المسؤوليات الجسام، وتوزيع المهام والاختصاصات فيه ضمان لصلاح الأمن، واستقامته.. فباستطاعة كل وزارة أن ترسم لنفسها الخطط القوية المفضية الى تحقيق الآمال الضخام، وأن تتجنب عقبات الفوضى والارتباك والارتجال، في الشؤون التي تقتضي بحثاً وتأملا، ودراسة وفحصاً، قبل الاقدام على تنفيذها، والمضي في مزاولتها.

وهكذا تضخم النتائج، على قدر ضخامة الجهود الموفقة المنظمة لدى كل وزارة فاذا ضم محصولها هذا، المشبع درساً وبحثا، وتدقيقاً وتحليلا، الى محصول زميلاتها الأخر المماثلة في الكم والكيف، ووضع كل النتاج على بساط البحث، في هيئة عليا يساهم فيها الوزراء أنفسهم، ونالت هذه النتائج من الدراسة ما تستلزمه أهميتها لمستقبل البلاد وحاضرها فان «القرارات» التى ستتخذ، ستكون، بحول الله ناجحة منجحة، لتنظيم الداخل، تنظيما من شأنه أن يجعل من الامة والدولة - اذا نفذت القرارات المتخذة على الوجه المنشود - طاقة خارقة من طاقات التقدم في المجالات الثقافية والاقتصادية والدينية والعمرانية والاجتماعية، والحربية، والسياسية. وبذلك تصبح المملكة مهيبة في الخارج، لانها مدعمة الكيان الداخلي، بكل ما تستند اليه الممالك الحديثة من تدعيم وتنظيم.

«عبدالقدوس الأنصاري»

رجب وشعبان ١٣٧٣هـ/ مارس وابريل ١٩٥٤م

صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

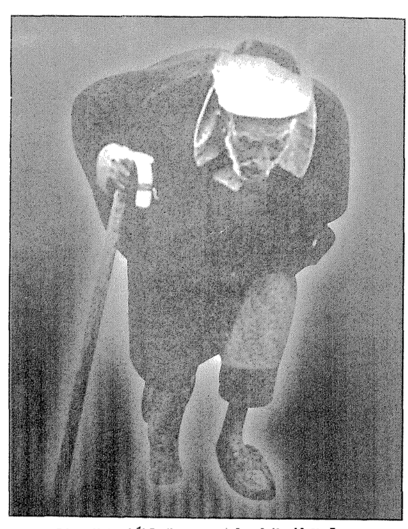
عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

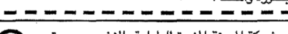


غلاف العدد

لقطة الشهر



شيخ فلسطيني قضى خمسين عاما من الضياع
في المخيمات، تساقطت أيام الشقاء على ظهره فأثقلته بالهموم.



● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

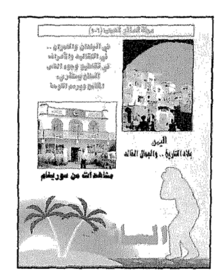


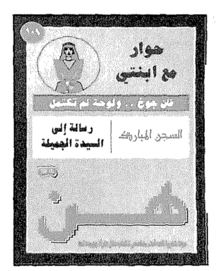
طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون : ٦٦٧٠٦٠٦ - فاكس : ٦٦٠٤٦٧٦

المنهل
Almanhal
مجلة شهرية للادب والعلوم والثقافة

العدد: (٥٥٠)
المجلد: (٦٠)
العام: (٦٤)

الفهرس





وكـــلاء
التـوزيـع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ –
الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ –
شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة



أقلام

د. شذى الدركزلي
د. محمد عمارة
د. محمد رجب البيومي
د. يوسف عز الدين
د. عصام وهدان
د. حسن باجودة
د. يحى بن محمد العطيف
ابراهيم الناصر

منهليات

اليهود .. تحتفل

اليهود يحتفلون بعيدهم الذهبي لتأسيس الكيان الصهيوني.

مهرجانات .. وإعلام .. وضجيج ملأ الدنيا..

أمريكا وأوروبا، شرقها وغربها، ضاقوا جميعاً بغدر اليهود فقذفوا بهم إلى أرض فلسطين المنكوبة الجريحة.

جاء اليهود الى فلسطين ليقذفوا بأربعة ملايين من أهل فلسطين في المخيمات خارج وطنهم وأرضهم وزروعهم.

جاء اليهود ليحرقوا ويدمروا كل من يرفع سلاح المقاومة في وجههم.

واليوم يحتفل اليهود بمرور خمسين عاماً على ما اسموه (دولة اسرائيل).

وفي الاتجاه المقابل - العرب - يتجرعون مرارة خمسين عاماً من المهانة والمذلة.. مكتفين برصيد هائل من (الاستنكار والشجب والتنديد).

رئيس التحرير

٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات:
يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

في رحلة الخير الى عسير



- سمو ولي العهد
يضع حجر الأساس لجريدة الوطن.

وسط فرحة غامرة، وحفاوة بالغة من أبناء منطقة عسير، تفضل صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني بوضع حجر الأساس لعدد من المشروعات التنموية والانجازات الكبيرة، وذلك خلال زيارة سموه للمنطقة. فقد قام سموه بوضع حجر الأساس للجامعة الجديدة التى قرر سموه اطلاق اسم «جامعة الملك خالد بن عبد العزيز» عليها بعد الموافقة السامية على دمج فرعي جامعتي الامام محمد بن سعود والملك سعود في أبها ليكونا معا الجامعة الثامنة في المملكة.

وقال سموه «لخالد بن عبد العزيز آل سعود في نفوسنا جميعا مكانة مميزة لذلك اعلن تسمية هذه الجامعة باسمه بدلا من اسمي».

ويقع مشروع المدينة الجامعية الجديدة في أبها على أرض مساحتها أكثر من سبعة ملايين متر مربع وروعى في



- سمو ولي العهد يطلع على مجسم المدينة الجامعية الجديدة.

تصميمه احتواؤه على منظومتين من المباني الأكاديمية خصصت احداهما للبنين والأخرى للبنات يفصل بينهما حاجز طبيعي من الجبال وتم تخصيص المنطقة المتوسطة للمرافق الطبية التى تشمل المستشفى الجامعي وكليتي الطب للبنين والبنات اضافة الى سكن للممرضات.

وخطط المشروع ليستوعب ستة آلاف طالب وطالبة في الكليات الحالية، التربية والطب حيث أن الموقع ومساحة المشروع تسمح باستيعاب اكثر من ستة عشر ألف طالب وطالبة إذا تم انشاء الكليات المقترحة في المستقبل وهي الاقتصاد والادارة والهندسة والعلوم والزراعة والطب البيطري والآداب.

كما تفضل سمو ولي العهد بوضع حجر الأساس للمقر الرئيسي لمؤسسة عسير للصحافة والنشر وصحيفة «الوطن» المزمع اصدارها في منطقة عسير بأبها.

وتعتبر مؤسسة عسير للصحافة والنشر أول مؤسسة صحفية في منطقة عسير حيث سيصدر عنها صحيفة الوطن اليومية، وقد وضعت مؤسسة عسير للصحافة والنشر البرامج اللازمة لذلك على أن يكون لصحيفة الوطن ملامح اخراج فنى لاصدار صحفي متميز وجديد مع الأخذ في الاعتبار التقدم التقني الراهن مع تطور علاقات الجمهور ووسائل الاتصال العصرية المختلفة بحيث يواكب احدث الانظمة والنظريات في الادارة الصحفية الحديثة وفي نفس الوقت متمشيا مع روح نظام المؤسسات الصحفية حيث تواكب شقيقاتها من الصحف السعودية والتي تصدر في المملكة بالاضافة الى انشاء نظام معلوماتى وخدماتى صحفي متطور وشامل بانظمة ارشيفية وآلية للحصول على المعلومات والصور واستقصاء مجالات الربط التقني بمراكز المعلومات الخارجية ومجالات الربط داخل ادارة الصحيفة مع مكاتبها ومراسليها في الداخل والخارج ووكالات الانباء العامة والمتخصصة وسوف يكون هناك ثلاثة مراكز كبيرة لجريدة الوطن في كل من الرياض وجدة والدمام الى جانب عدد من المكاتب في المدن السعودية المختلفة.

الاسلام .. الأبعاد الحضارية والع

جاء الاسلام لينتظم العالم بأسره في منظومته التشريعية لأنه من عند الله سبحانه خالق كل البشر.

على مرّ السنين تداعت على الاسلام ومنهجه تراكمات من صنع البشر. بعضها من بني الاسلام أنفسهم، سواء أكانت اخطاء في السلوك، أو قصوراً في الفهم، أو تقصيراً في التطبيق العملي لضوابط المنهج الاسلامي.

وبعض هذه التراكمات جاء بقصد مُبَيّت من غير المسلمين، لتشويه صورة الاسلام والمسلمين.

والحالة الأخيرة هذه تتطلب الكثير من الجهد القوي والمركز من قبل المختصين والدارسين من المسلمين في تتبع تراكمات هذه الحالة، واستبانة ما وصلت إليه في مجتمعات الاقليات المسلمة، وذلك بغرض دحض تلك الاباطيل والأكاذيب التى ألصقت بالاسلام والمسلمين وهم منها براء.

لأجل هذه الغاية عقدت مجموعة من الندوات واللقاءات والمؤتمرات، في العديد من الدول الاوروبية

الحوار بين علماء الإسلام والغرب

قضية الاسلام في الغرب، تظل قضية كبرى، ينبغي تكاتف وتكثيف الجهود من اجل حل معضلاتها.. لذلك عقدت مجموعة من الندوات واللقاءات.. ونسبة لاهتمام المملكة العربية السعودية برعاية قضايا الإسلام والمسلمين، ولها في هذا المجال جهد كبير مشهود يقدر للمملكة.. ويشهد للمملكة في هذا المجال مجموعة المراكز الثقافية الاسلامية التى انشأتها، والتى ساعدت في انشائها في العديد من عواصم العالم خدمة للاسلام والمسلمين. وندوة (الحوار بين علماء الاسلام والغرب) اقيمت في المركز الثقافي الاسلامي في ايطاليا وكان من المشاركين فيها الدكتور ابراهيم الجوير استاذ علم الاجتماع بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، ممثل المملكة في المجلس التنفيذي للمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم، والدكتور ابراهيم القعيد الأمين العام المساعد للندوة العالمية للشباب الإسلامي.. وأدار الندوة الدكتور عثمان الرواق أستاذ العلوم السياسية بجامعة الملك سعود.

وكانت هذه الندوة تحت رعاية الأمير محمد بن نواف بن عبد العزيز سفير المملكة في ايطاليا، وبالتعاون بين وزارة التعليم العالى ومعهد الشرق في روما.

ـلاقـات الإنسـانيـة

في شرقها وغربها، ودول القارة الأمريكية٠٠ وآخر هذه الندوات تلك التى عقدت مؤخراً في مدينة ساوباولو في البرازيل بتنظيم واشراف منظمة المؤتمر الاسلامي في شهر مايو ١٩٩٨٠ هذه الندوة العالمية كانت بعنوان (الاسلام في امريكا اللاتينية ـ الأبعاد الحضارية والعلاقات الانسانية)، وحضر أعمال وفعاليات هذه الندوة العالمية جمع من الدارسين والمختصين في الشئون والقضايا الاسلامية، ودراسات مجتمعات الغرب٠٠ كما حضرها عدد من الوزراء والمسئولين٠

مؤتمر التعريب

في جامعة القاضي عياض بمراكش، وبالتعاون بين المملكة المغربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، عقد مؤتمر التعريب التاسع في شهر مايو الماضي٠٠ وجاء هذا المؤتمر مواصلة لجهد سابق في قضية التعريب التى تمثل هاجساً كبيراً في المؤسسات المختصة بذلك في العالم العربي، وكان مدار الابحاث حول (التعريب والترجمة والمصطلح) وقد قدمها مختصون في مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة٠

وقدم المكتب للمؤتمرين تسعة مشاريع في موضوعات التقنيات التربوية ـ الاعلام ـ الهندسة الميكانيكية ـ الفنون التشكيلية ـ العلوم الحربية ـ الارصاد الجوية ـ المياه ـ المعلومات ـ والاستشعار عن بعد٠

وذلك بغرض اخراج معاجم موحدة فى ذلك تخدم العالم العربي٠

الإسلام .. وحقوق الإنسان

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وزير الشئون الاسلامية والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، افتتح في الشهر الماضي (مقر اتحاد المنظمات الاسلامية) في فرنسا٠

وبهذه المناسبة عقدت اعمال الندوة العالمية حول (الاسلام وحقوق الانسان) بتنظيم واشراف المجلس الاسلامي العالمي واتحاد المنظمات الاسلامية في فرنسا٠

وتأتي هذه الندوة لتوضح للعالم منهجية حقوق الانسان التى جاء بها التشريع الاسلامي، وهي حقوق تحفظ للانسان كرامته وعقله وبدنه وعرضه ودينه وماله٠

(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)٠

{إن دماءكم واموالكم وأعراضكم، حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا}٠

ولقد جاءت الكثير من الآيات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة، لتؤكد وترسخ وتثبت حقوق الانسان التى من شأنها أن تجعل من البشر كله أنموذجاً للخير والمحبة والسلام٠

جائزة مؤسسة يماني الثقاف



- الشاعر محمد حسن فقي

الشاعر الرائد محمد حسن فقي، من شعراء المملكة العربية السعودية المبرزين، ومن شعراء العربية المعدودين.. إذ لشعره ميزته وتخصصه مضمونا وكلمة.

وقد كرّم بجائزة الريادة في مهرجان الجنادرية (المهرجان الوطني للتراث والثقافة) للعام ١٤١٨هـ..

المؤسسة الثقافية الخيرية للشيخ احمد زكي يماني خصصت جائزة أدبية باسم (جائزة الفقي) تمنح سنويا للعطاء الشعرى المتميز.. وهذه الجائزة نشأت اساسا لتكريم الشاعر المكى الكبير (محمد حسن فقي).

هذه الجائزة فاز بها لهذا العام الشاعران المصريان (محمد ابراهيم أبو سنة) و(كمال نشأت).. كما فاز بها الناقدان (ابراهيم عبد الرحمن) من مصر و(علوي هاشم الهاشمي) من البحرين..

وقد اقيم بقاعة صلاح الدين بفندق شيراتون القاهرة احتفال بتسليم جوائز الدورة الرابعة في فرعي الابداع في الشعر والابداع في نقد الشعر في

جائزة مكتبة الشيخ على بن عبدالله آل ثاني للعلوم الشـ

إسهاماً في تشجيع البحث العلمي، تنظم مكتبة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني - رحمه الله - الوقفية، مسابقة بحثية في مجال العلوم الشرعية والفكر الإسلامي، جائزتها خمسة وسبعون ألف ريال قطري.

موضوع الجائزة لهذا العام: «قضايا البيئة من منظور إسلامي».

شروط الجائزة:

١ - يشترط في البحوث المقدمة، أن تكون قد أعدت خصيصاً للجائزة، وألا تكون جزءا من عمل منشور، أو إنتاج علمي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية، وأن تتوفر في هذه البحوث خصائص البحث العلمي، من حيث المنهج والإحاطة والتوثيق، وسلامة الأسلوب والجدة والابتكار.

٢ - يقدم البحث من ثلاث نسخ، مكتوباً على الآلة الكاتبة، ويفضل أن يكون مكتوباً على الحاسوب، على ألا يقل عدد صفحاته عن مائتين وخمسين صفحة، ولا يزيد على ثلاثمائة صفحة «فلوسكاب».

٣ - يحق للجهة المشرفة سحب قيمة الجائزة، إذا اكتشفت أن البحث الفائز قد نشر سابقا، أو قدم إلى جهة اخرى، أو لغرض آخر، أو مستلا من رسالة علمية.

ـية الخيرية

إطار جائزة الشاعر الكبير الأستاذ محمد حسن فقي.

معالى الشيخ أحمد زكي يماني راعى الجائزة كان في مقدمة المستقبلين لضيوف الحفل من الأدباء والاعلاميين والمثقفين الذين أبدوا تقديرهم لهده الجائزة ودورها الايجابي في تشجيع الابداع.

أحمد زكيّ يمانيْ

ـرعية والفكر الإسلامي

٤ - يرفق مع البحث ترجمة ذاتية لصاحبه وثبتاً بإنتاجه العلمي المطبوع وغير المطبوع، بالإضافة إلى صورة جواز السفر وصورة شخصية حديثة.

٥ - آخر موعد لاستلام البحوث نهاية شهر سبتمبر (أيلول) من عام ١٩٩٨م.

٦ - تعرض البحوث على لجنة من المحكمين، يتم اختيارهم في ضوء موضوع الجائزة.

- ترسل البحوث بالبريد المسجل على العنوان التالي: ص. ب: ٨٩٣ - الدوحة - قطر.

وداعا .. شاعر الياسمين



نزار قباني

«هكذا يعود الطائر إلى بيته والطفل إلى صدر أمه» بهذه الكلمات المؤثرة اختتم الشاعر العربي الكبير نزار قباني وصيته التي كتبها بخط يده وهو على فراش المرض الأخير.

رحل نزار قباني بعد عمر ناهز ٧٥ عاما قضاها منذ نعومة أظفاره وهو مازال طالبا على مقاعد الدراسة وحتى وفاته في عطاء مستمر، وقد ابتعد منذ بداياته الشعرية عن الأسلوب الشعري التقليدي مما جعله واحدا من أبرز شعراء جيله، وصدر لنزار أكثر من ثلاثين ديوانا شعريا وكتابا نثريا، وتناول في دواوينه وكتبه قضايا اجتماعية ونضالية وقومية وانسانية، وترجمت معظم أشعاره وكتبه الى العديد من اللغات الحية، واعدت أطروحات جامعية عديدة عن شعره وتحدثت الموسوعات الأدبية عنه.

نشأ نزار قباني في عائلة دمشقية مشهورة وبيته العربي الطراز مازال بيت العائلة في حي مأذنة الشحم القريب من المسجد الأموي، وقد تسلم مناصب دبلوماسية عديدة في دول عربية واجنبية قبل أن يتفرغ للنشر والشعر والكتابة.

رثاه الأدباء والشعراء والكتاب بقلوب حزينة على فراقه ومما قيل في رثائه «ولد نزار في الربيع ورحل في ربيع آخر وترك لنا عبق الياسمين الذي ينفرط الآن ألما وحزنا ولقد جرح برحيله قلوب العشاق والصبايا والنايات الحزينة وستبقى المدن حزينة إلى الابد وهو الذي تألق في سماء الشعر لأكثر من نصف قرن فهل من خسارة اكبر من خسارة نزار قباني».

هكذا حزن عليه الكثيرون وانه بلا شك سيترك مكانا شاغرا من الصعب أن يملأه أحد .. رحم الله الفقيد وغفر له وأسكنه فسيح جناته وإنا لله وإنا إليه راجعون.

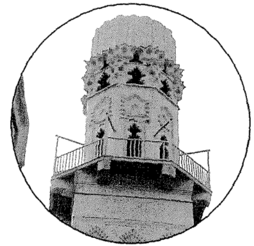
المبخرة .. من روائع

تعد المبخرة من اهم مميزات الفن المعماري الاسلامي في مصر نظرا لتكوينها المعماري الرائع والفريد في تاريخ العمارة الاسلامية من جهة واحتوائها على عناصر معمارية وزخرفية بديعة تدل دلالة واضحة على مدى ما وصل اليه المعمار والفنان المسلم من رقي في التصميم ودقة في الصنعة وروعة في الزخرفة من جهة أخرى.



ـ مئذنة مشهد ابى الغضنفر أسد الفائزي. (لوحة١)

☐ وتعد المبخرة في مشهد ابي الغضنفر اسد الفائزي ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م أقدم مبخرة في العمارة الاسلامية المصرية (لوحة١)، حيث إن المبخرة في مئذنتي جامع الحاكم بأمر الله يرجع تاريخها الى عهد الامير بيبرس الجاشنكير في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون، حيث سقط القسم العلوي في المئذنتين في زلزال عام ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م فأعيد بناؤه في عام ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م، وقد جاء تكوين المبخرة في ابي الغضنفر من قمة مخوصة من الآجر ترتكز على رقبة مثمنة (لوحة١) وهذه القبة في تضليعها تماثل كتلة القبة الكبيرة بالمشهد، وهو الأمر الذى أوجد توازنا رائعا وتناسقا بديعا بين عمارة القبة وعمارة المئذنة وهو الأمر الذى نلحظه لأول مرة في العمارة المصرية الاسلامية، حيث اهتم المعمار في الفترة السابقة على هذا المشهد اهتماما عظيما بعمارة وزخرفة المئذنة من منطلق انها اهم الوحدات المعمارية فى العمارة الدينية.



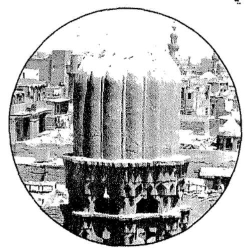
ـ مئذنة المدارس الصالحية. (لوحة٢)

☐ ولقد رأى المعمار الأيوبي في طراز مئذنة ابى الغضنفر روعة وجمالا، كما رأى فيه الاسلوب الامثل لتنفيذ مآذن العصر الايوبي فجاءت مئذنة المدارس الصالحية التى انشأها الملك الصالح نجم الدين ايوب في عام ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م متطابقة تماما

بقلم: د. عبد الله كامل موسى
كلية الاداب بقنا ـ جامعة جنوب الوادي
ـ مصر ـ

ـــع العمـــارة الاســلامية

من حـيث التكوين العـام ومـئذنة مـشـهـد ابى الغـضنفـر (لوحـة٢) وقـد جـاءت مـبـخـرة مـئذنة المدارس الصـالحـية من قـمـة مـخـوصـة من الآجـر ترتكز على مستويين مثمنين على هيئة حطتين من المقرنصات، وقد اوجد المعمار في المستوى الأول فـتـحـة في كل ضلع يتـوجـهـا عـقـد مـقـوس، امـا المستوى الثانى من اعلى فقد اوجد المعمار به فتحة ثلاثيـة في كل ضلع على مـحـور فـتـحـات المسـتـوى الأول مما أوجـد تناسـقـا رائعـا وتوازنا بـديعـا في المسـتـويين، وهو الأمـر الذى يـتـضـح في ضـوئه أن هذه المبـخـرة تمثل مرحلة اكثر تطورا عن تلك التى في أبي الغضنفر.



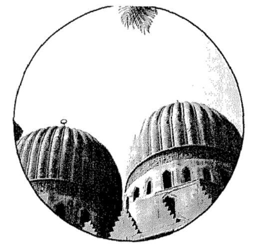
ـ مئذنة زاوية الهنود. (لوحة٣)

☐ وفي مـئـذنة زاوية الـهنود (لـوحـة٣) جـاءت المبخرة متطابقة ومبخرة المدارس الصـالحـيـة مما يدل على أن المعـمـار الايوبي آثر اسـتـخـدام القـمـة المضلعة ليتوج بها مآذنه، وتمثل مبخرة مئذنة زاوية الهنود مرحلة متطورة للغاية.



ـ مئذنة جامع احمد بن طولون. (لوحة٤)

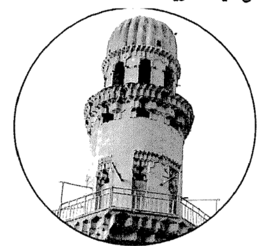
☐ وفي العـصـر المملوكي البـحـري وجـدت المبـخـرة تتـوج مـئـذنة السلطان لاجـين ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م بجـامـع احـمـد بن طولون، وهي عـبـارة عن قمة مخوصة من الحجر (لوحة٤).



ـ مئذنة المدرسة والخانقاه الجاولية بالكبش. (لوحة٥)

☐ وقد استخدم طراز القمة المخوصة (المبخرة) في مئذنة المدرسة والخانقاه الجاولية بقلعة الكبش ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م (لوحـة٥)، والواقـع أن هذه المئـذنة

تعد أول مئذنة قائمة على حالها في عمارة المآذن المصرية تتعاقب طوابقها مربعة فمثمنة فدائرية وهذا التكوين المعماري نتاج تطور محلي مرت به المئذنة المصرية منذ الفتح العربي وحتى تاريخ هذه المئذنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م، وقد بنيت المبخرة من الآجر عبارة عن طاقية مضلعة حملت على اربعة صفوف من المقرنصات، ينتهي الصف الاخير من هذه المقرنصات من أعلى بعقود مدببة تتصل ببعضها على هيئة خط زجزاجي مزدوج كأنه ترس بارز على هيئة دائرية.



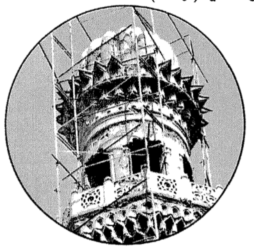
- مئذنة خانقاه بيبرس. (لوحة٦)

□ وفي مئذنة خانقاه بيبرس الجاشنكير ٧٠٦ - ٧٠٩هـ/ ١٣٠٦ - ١٣١٠م (لوحة٦) بنيت المبخرة من الآجر شأنها في ذلك شأن بقية عناصر المئذنة، وهى عبارة عن قمة مضلعة حملت على طابق دائري المسقط يزدان بثمان فتحات مستطيلة تنتهى في اعلاها بفتحات ثلاثية مقرنصة بديعة، كما حليت المساحات بين الفتحات بعقود ثلاثية مصمتة مقرنصة مضاهية للفتحات الثلاثية النافذة ويفصل بين هذا الطابق القصير والقمة المخوصة زخرفة بديعة على هيئة ترس، وتمثل هذه الزخرفة اسلوبا اكثر تطورا عن تلك التى وجدت في مئذنة الخانقاه الجاولية بالكبش، وتتميز مبخرة خانقاه بيبرس الجاشنكير بسمة فريدة هي الأولى من نوعها في عمارة المئذنة المصرية وهي تغطية الطاقية المضلعة بالقاشانى الفيروزى اللون الذى غطى في وقت لاحق بالملاط والجص (لوحة٦).



- مبخرة مئذنة سنقر السعدي. (لوحة٧)

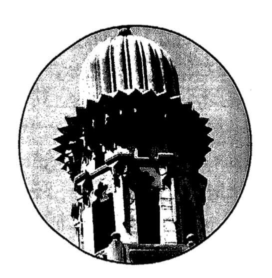
□ وفي مئذنة مدرسة سنقر السعدى ٧١٥هـ/ ١٣١٥م تتوج المئذنة مبخرة من قمة مضلعة ترتكز على مستويين من المقرنصات المستوى الأول جاء من خمسة صفوف من المقرنصات ذات مسقط مثمن في تكوين زخرفى بديع اما المستوى الثانى اسفل الطاقية المضلعة فقد جاء من اربعة صفوف من المقرنصات، والمبخرة في جملتها تمثل مرحلة متطورة للغاية (لوحة٧).



- مبخرة مئذنة قوصعون بجبانة السيوطي. (لوحة٨)



□ وفي مئذنة الأمير قوصون بالقرافة الصغرى ٧٣٧هـ/ ١٣٢٧م نجد عودة مرة اخرى من قبل المعمار الى طراز المبخرة، حيث تتوج المئذنة مبخرة تمثل مرحلة متطورة عن تلك التى في مئذنة الأمير سنقر السعدي بشارع السيوفية (لوحة ٨).



ـ مبخرة مئذنة منجك اليوسفي بالحطابة. (لوحة٩)

□ وتمثل قمة مئذنة جامع وخانقاه منجك اليوسفى بالحطابة عام ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م عودة مرة اخرى الى طراز المبخرة أو القمة المخوصة، وهذه المبخرة محددة من قبل لجنة حفظ الآثار العربية، حيث سقطت قمة المئذنة عندما قام الفرنسيون بضرب المنطقة بمدافعهم، وعندما بدأت لجنة حفظ الآثار العربية في ترميم المئذنة عثروا على قمتها فقامت باصلاحها وترميمها في عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م كما هو مثبت على القاعدة (لوحة٩).

وتعد مئذنة خانقاه تنكزبغا ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م آخر مثال لطراز المبخرة في عمارة المآذن المصرية.

الإسلام والغرب

يعتبر موضوع «الاسلام والغرب» موضوع الساعة، وقضية هامة للإسلام والمسلمين وللغرب نفسه، بسبب التجافى الذى بلورته سياقات تاريخية، أفرزت تصورات خاطئة، وأحكاما مسبقة في حق الإسلام والمسلمين، ينبغي العمل على تجاوزها، والتغلب على مخلفاتها، خدمة لطموح الإنسانية في التعاون القائم، المبنى على ضرورة احترام التنوع والإختلاف بين الحضارات، وذلك بسبب ما يتعرض له الإسلام من تحريف وتشويه من طرف بعض الجاحدين، والحاقدين، والجاهلين به، وازدياد التحامل على المسلمين، سواء في مستوى الصراع الواقعى، أو في مستوى ما تعمل مراكز البحث هنا وهناك على صياغته، كأفق محتمل لمكنات تطور الصراع القائم، للعمل على تجاوزه، وبناء ما يدعم آليات التواصل والتقارب الحضاري، القادر على رفع التحديات المتبادلة، ومحاولة استبدالها بمنطق جديد، وأسلوب جديد من التعاون والتعامل، يؤدي إلى تعميق النظر والبحث، في كثير من الجوانب التى ظلت تخضع لآليات الفهم والتحليل، بعيدة كل البعد عن طبيعة العلاقة، وطبيعة الطرفين المحددين لها: الإسلام والغرب.

وإذا كان الوجود الإسلامي في الغرب يرتبط بجذوره إلى قرون طويلة امتدت واستمرت، خاصة وهو يشهد اليوم تزايدا ملحوظا، وإقبالا كبيرا، فإن رغبة المسلمين الصادقة لتأسيس صلتهم بالغرب، قائمة على السلام والأمن والتعايش والاعتدال والحوار والتعاون، وتبادل المنافع والمصالح، بينما يرمي الجانب الآخر - جانب الغرب - في الغالب إلى تغذية روح التعصب والعداء، من جراء عقدة الكراهية والحقد، بل الرغبة في القضاء على الوجود الإسلامي، نتيجة لكتابات المتحاملين والمستشرقين، وتوجهاتهم وتصوراتهم الخاطئة.

من هنا تبرز مسؤولية المسلمين في تجلية الصورة المثلى للإسلام في الغرب، بإبراز حقائقه، والتعريف بتعاليمه ومبادئه السامية، القائمة على التعاون والمحبة، والتسامح بين الناس، ومساعدة الغربيين على فهم أكثر لأوضاع المسلمين، وخلفيات سلوكهم، لرفع الالتباسات وتبديد الشكوك والمخاوف، مساهمة في بناء خطاب جديد، يعمل على فتح صفحة جديدة في العلاقة بين الإسلام والغرب.

لقد أفرزت الحرب الباردة مجموعة من التحولات العميقة، أعيد من جرائها تشكيل الخريطة السياسية للعالم، تبعا للتغير الذى لحق ميزان القوى، وبانتهاء هذه الحرب عاد الغرب إلى طرح المسألة الإسلامية على محك المناقشة والنقد والتقويم وكان من نتائج ذلك



بقلم: د. يوسف الكتاني
جامعة القرويين - المغرب -

تبدل سياسة العالم الجديد تجاه العالم الإسلامي، بل تجاه الإسلام نفسه، الذى أصبح العدو الرئيسي للغرب ـ حسب زعمهم ـ خاصة بعد انهيار الشيوعية، وانحسار الإشتراكية، كما صرح بذلك الرئيس نيكسون في مذكراته التي نشرها قبل وفاته بقليل.

لقد تحول المسلمون إثر انهيار الإتحاد السوفياتي ـ بعد أن كانوا حلفاء الغرب ـ إلى عدو يسعى النظام العالمي الجديد، إلى القضاء على وحدتهم واستقرارهم وحصارهم، لكونهم أصحاب عقيدة صحيحة راسخة، تحثهم على الجهاد ونشر الدعوة الإسلامية، كبديل صالح للمادية المتردية التى أثبتت فشلها الذريع، وباعتبارهم أصحاب دستور إلهى خالد، يوجههم إلى الوحدة والتضامن والتآزر، ويحذرهم من مغبة السقوط في الهيمنة والتبعية مصداقا للهدي القرآني الكريم {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتّبع ملّتهم} (البقرة/١٢٠).

ولقد أصل هذا العداء للاسلام وغذاه ووجهه، تاريخ الإستعمار للعالم الإسلامي، وما بثه المستشرقون المتعصبون من آراء وأفكار خاطئة في العقل الأوربي، شوهت صورة الإسلام، وحرفت حقائقه وتاريخه، وعملت على تكريس العداوة بين الإسلام والغرب حتى تتصادم الحضارتان، وتتنافر الأفكار والثقافات، وتتعمق الهوة بين العقليات، بل ولم يسلم من ذلك حتى أبناء المسلمين، من خلال الغزو الفكرى الذى حاول تشكيكهم في هويتهم وحضارتهم.

ويكفي الإشارة هنا إلى توصية صدرت عن مؤسسة التراث المحافظة في واشنطن سنة ١٩٩٤ تتعلق بما أسمته «موضوع التهديد الإسلامي لشمال إفريقيا» تصور الفهم الخاطىء للإسلام والمسلمين، والخوف الظاهر من الصحوة الإسلامية، وهي توصيات موجهة لسياسات الولايات المتحدة، لمواجهة ما سمته التوصية «بالخطر الأحمر الجديد» ويقصد به الإسلام والمسلمين[١] وهو نفس التصور الذى أعرب عنه «ويلى كلاس» الذى صرًح: «بأن الأصولية الإسلامية تشكل الآن تهديدا للغرب كما فعلت الشيوعية من قبل»[٢] وهي أفكار وتصورات تعمل على ازدياد التباعد بين الإسلام والغرب، وتدفع إلى التصادم والتنافر بين الحضارتين مما ينم على الجهل بالإسلام.

وهو عكس ما يتجه إليه المسلمون ويعملون له، من التعاون والتقارب بينهم وبين الغرب، الذى ما انفك بعض ساسته ومفكريه يتعمدون إشعال روح الكراهية بيننا، كما نقرأ فيما كتبه «ليزلى جيلب» في «النيويورك تايمز»: «بأن الإسلام لا يعترف بالتعايش كمبدأ، إذ التعايش يتعارض مع فهم الإسلام للنظام العالمي[٣]» وهي مجموعة من الدراسات والبحوث التي أنجزت بخصوص العلاقات بين المسلمين والغرب، والتى أريد لها أن تأسس على أطروحة الغالب والمغلوب، والسيطرة على مقدرات العالم الإسلامي، والقيام في وجه تطوره ووحدته وهويته، الأمر الذى يضاعف مسؤولياتنا لبذل الجهود لتبديد ظاهرة الخوف من الإسلام، وما يمكن أن يفعله في تاريخ الإنسانية ومسارها الحضارى، وهو القاسم المشترك الذى يشكل ويوجه التيارات الفكرية والسياسية الغربية، وهو ما يدعونا إلى مضاعفة الحوار، وفتح قنواته بين الإسلام والغرب، على مختلف الأصعدة والمؤسسات الفكرية والسياسية والإجتماعية،

لتحويل فكرة التصادم والتنافس إلى رحاب التعاون والالتقاء والتسامح، من أجل الغاية السامية والأساسية، وهي الوصول إلى تصحيح صورة الإسلام، بتبديد شكوك الغرب وتخوفه من الإسلام، وتقويم الأفهام الخاطئة، والتصورات المغرضة[٤].

منهج الحوار الإسلامي المطلوب:

ولذلك يكون الحوار المسؤول الوسيلة الهامة والأساسية لتصحيح صورة الإسلام في الغرب، إذ بالحوار ينفتح العقل والفكر على مجالات الوعي والفهم المتبادل لكل من الجانبين، لاختلاف التوجهات، والعقائد، والحضارات، وبالحوار المؤمن بشرعية الإختلاف نتجاوز مرحلة الصراع، وعقدة العالم الجديد في الهيمنة والسيطرة، ولا يتم ذلك إلا بالفهم العميق لبيئته وعقليته، وجميع مشاكل العصر وايديولوجياته، عن طريق مؤسسات علمية أكاديمية، ووفق مناهج مدروسة محكمة.

ولقد أصل الإسلام مبدأ الحوار والتواصل بينه وبين الشعوب والحضارات ونص عليه القرآن ووجه إليه في آياته وسوره، كما قال تعالى: {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون} (آل عمران/ ٦٤).

كما نظم الإسلام آليات الحوار ووسائله وهي:

- الحكمة، والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن كما جاء في القرآن الكريم: **{أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن}** (النحل/ ١٢٥).

- والاقناع بالبرهان كما قال تعالى: **{وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}** (البقرة/ ١١١).

- والاعتدال وإقامة الحجة على الناس: **{لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا}** (البقرة/ ١٤٣).

- والدفع بالتي هي أحسن: **{ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم}** (فصلت/ ٣٤).

وبهذه الآيات، وهذا المنهج والأسلوب، حاور الرسول {صلى الله عليه وسلم} أعداءه وخصومه، على مختلف مستوياتهم وعقائدهم وطبقاتهم، حتى أولئك الذين قاطعوه وحاصروه، وعذبوه وهجروه، سواء في المرحلة المكية أو المدنية، وهو ما يقتضى منا التثبت بالمنهج الإسلامي في الحوار، وخاصة في هذه الظروف، وذلك بالعمل على فهم الآليات المتحكمة في العلاقات بين الأمم والشعوب، وتجنب التعامل مع أطروحات «صراع الحضارات» و«صدام الثقافات» حتى تفوت الفرصة على أصحاب تلك النظريات والأفكار التي تجاوزها الزمن، وإن ظل بعضهم يحييها ويتمسك بها، لتكون عرقلة في وجه التعامل والتحاور بيننا وبين الغرب.

ومن هنا لم يعد الحوار بيننا مطلبا عاديا فحسب، بل أصبح عملا فاعلا، وضرورة حتمية، لابد من تنميته والإقدام عليه، وتوسيع وسائله وأبوابه، لتجلية المواقف، وكشف الأغاليط، والتصورات الخاطئة، وتوضيح صورة الإسلام الجلية الطاهرة الناصعة، ووجهه الحقيقى، خاصة وأنه توجد قواسم مشتركة بين الديانات

والحضارات من شأنها إيجاد تقارب حول العديد من قضايا ومشكلات العصر، ولدحض محاولات التشويه التى يقوم بها المتحاملون على الإسلام، لابد من وجود حوار يحقق التلاقى في مجالات الاختلاف، وتلافي جوانب الخلاف، لمصلحة الجميع، ويحقق التعايش بين المجتمعات في إبراز إيجابياته، ولذلك ينبغى أن نغير مسار الحوار الذى جرى في الماضى في اتجاه الصدام والصراع، إلى المنحى الإسلامى، ليصبح حوارا تكامليا تعاونيا يحقق التقارب، ويتجاوز الصدام المخطط له، متغلبين على التحدى الايديولوجى الذى يحاصرنا من كل جانب، بواسطة حوار كفء متعادل بعيد عن حساسيات الماضى، وعقده وأفكاره المفتعلة المدسوسة، التى تقف في وجه كل تقارب وتعاون، مكتفيا هنا بمثل واحد على ذلك بقول برى بوزان:

«إن من شأن حرب باردة اجتماعية مع الإسلام أن تعزز الهوية الأوربية من جميع نواحيها، في هذا الوقت الحاسم في عملية الوحدة الأوربية، ربما يوجد رأى واسع الإنتشار في الغرب، ليس على استعداد لتأييد حرب باردة اجتماعيا على الإسلام فقط، بل وللأخذ بسياسة تشجع على ذلك»[٥].

ومن هنا يتحتم مراجعة الخطاب الإسلامى مع الغرب وعنه، حتى لا نستدرج لأطروحات المواجهة الدينية المسيحية، وذلك بالتقليل من أهمية التاريخ الماضي الذي أصبح أحداثا قابلة للنسيان، عاملين على مد جسور جديدة من الثقة أساسها الحوار والتفاهم المشترك، في إطار احترام كل منا للآخر، يصل بنا إلى الغاية المتوخاة وهي تصحيح صورة الإسلام وإبراز وجهه الحقيقى، متوخين المنهجية والعقلانية ونحن نقتحم مجالات الحوار، معتمدين على سنن الله في الكون والتاريخ والمجتمع، معتمدين على المؤهلين الأكفاء لهذه المهمة الحضارية، مدركين حقيقة ما يدور حولنا من مشكلات العصر وقضاياه، مبشرين ومقنعين غيرنا بعالمية الإسلام، وصلاحيته لكل زمان ومكان، وقدرته الاستيعابية لأحداث الحياة، ومشاكل الناس، وانفتاح المسلمين على كل الحضارات والمباديء البناءة، وقابليتهم ومرونتهم للتعلم المتبادل، ولعل القرن المقبل يكون قرن الحوار، المستمر البناء، بين الإسلام والغرب، خاصة وأن الإسلام يجد موقعه في كل بيئة وحضارة، ويستجيب لمطامح وحقوق الإنسان في كل زمان ومكان.

تصحيح صورة الإسلام في الغرب ضرورة حضارية:

إن كل من يدرس الإسلام ورسالته الخالدة بصدق وإخلاص، يجده متفقا مع الفطرة البشرية السليمة، مستجيبا لتطلعات الناس، قائما على منهج ربانى صحيح، يشمل كل جوانب الحياة في بساطة ويسر، ومن هنا كانت نظرة المسلمين الى الكون قائمة على التعاون والتكافل، وليس على الصراع والنزاع، أو البقاء للأقوى كما هي عند الآخرين.

إن الصورة التى صنعها الغرب للاسلام والمسلمين انطلاقا من هزيمته في الحروب الصليبية، تقوم على أن الإسلام دين البطش والقوة والسيف، وأنه دين الرجال دون النساء، وأنه يحارب العلم والمدنية والتقدم .. وجاء الإستشراق والإستعمار ليعمق الهوة بين الحضارتين وليزيد الصورة تشويها واضطرابا في أعين الغرب.

وهنا تكمن حقيقة دور المسلمين اليوم في تغيير

هذه الصورة المشوهة بتصحيح تلك المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، التى دفعت الغرب إلى الصراع مع العالم الإسلامى، وإعلان الحرب عليه، باعتباره عدوا لدودا، مما دفع المفكر الأسباني غويتيسلو للقول: «بأننا خاضعون لغسل دماغ كامل ضد العرب والمسلمين»[٦].

إن وسيلتنا لتصحيح صورة الإسلام في الغرب، لابد أن تستهدف تبيين الحقائق، وتوضيح المفاهيم الخاطئة، وكشف حجب الحقد والضغينة التي شجعتها الكنيسة والاستعمار والاستشراق، لتكون العلاقة بيننا وبينهم علاقة صراع وتدافع وعداء، كما ذهب إلى ذلك «صامويل هنتينغتون».

دور الإعلام في تبصير الناس بحقيقة الإسلام:

لا ينكر أحد اليوم الدور البارز للإعلام في العالم كله، ومدى تأثيره على توجيه الأحداث، بسبب التسارع التكنولوجي، والتقدم العلمى الذى جعل العالم كله قرية صغيرة، تقاربت أنحاؤها، وفتحت أبوابها.

ومعلوم أن الفهم الخاطيء للإسلام وقيمه في الغرب، تعكسه بصورة متحاملة مختلف وسائل الإعلام، التى كان لها الدور البارز في تشويه هذه الصورة، والايحاء بأنه «طاعون العصر» و«عدو الغرب».

ولذلك يكون من آكد الواجبات على المسلمين، استغلال وسائل الإعلام كلها، وبشتى الوسائل والمخططات، لتصحيح صورتنا، وتبديد الشكوك والأوهام الخاطئة.

ويعتبر توجيه النشاط الإسلامى بطريقة صحيحة، بالاستفادة من وسائل الإعلام الحديثة في نشر الدعوة ورد الشبهات، وتوضيح المفاهيم واجبا إسلاميا مقدسا، ينبغى أن تتضافر الجهود للقيام به، بتسخير سائر وسائل الإعلام لذلك، لما فيها من أهمية في عالم اليوم، ومد الجسور بيننا وبين المؤسسات الإعلامية في الغرب من أجل الوصول إلى هذا الهدف الكبير، وهو تصحيح صورة الإسلام، وإننى لأكتفى بمثل قريب وقع أخيرا في أمريكا، إذ قام الإعلام الأمريكي بأفضل تغطية ممتازة لموسم الحج في هذه السنة، عبر برنامج Nightlive محطة Abcn وكان البرنامج دعوة كريمة للاسلام، وإظهارا لمنسك من أعظم مناسكه، حقق آثارا طيبة في الشعب الأمريكي كما اعترفت بذلك وسائل الإعلام الأمريكية نفسها[٨].

سماحة الاسلام اعترافات وشهادات:

الأمير تشارلز عبر عن إعجابه بالإسلام، وتعاطفه معه، في محاضرة ألقاها في جامعة أكسفورد سنة ١٩٩٣م لقيت أصداء كبيرة في جميع أنحاء العالم، وخاصة في إنجلترا ثم عاد أخيرا لتجديد تقديره للإسلام - عن قناعة ثابتة - وفتح نوافذ الحوار بين الغرب والإسلام.

وقد جاءت دعوة الأمير في اجتماع خاص عقده في قاعة المؤتمرات بوزارة الخارجية البريطانية في «ويلتون بارك» وسط حشد من الأكاديميين والزعماء الدينيين، ورجال الأعمال، والعاملين في المؤسسات البريطانية، وأحب أن أورد هنا بعض الأفكار الرئيسية التى جاءت في محاضرة الأمير تدعو إلى التقارب مع المسلمين، والإقبال على مباديء الإسلام، وقيمه السامية، وإلى بناء صرح التفاهم والتقدير المتبادل بين الإسلام والغرب ومما جاء فيها:

* اختلال التوازن في الحضارة الغربية، وضرورة

الاستفادة من التراث الإسلامي لتصحيح النظرة الكلية للكون والإنسان.

«إن المادية المعاصرة أحدثت خللا مروعا في حياة الفرد والمجتمع، لأنها مادية فقدت عنصر التوازن الضروري لحياة سوية متناسقة متكاملة، ولقد بدأنا نحن أبناء العالم الغربي، نشعر بأننا قد فقدنا الإحساس الكلي بالكون والبيئة، وبمسؤوليتنا الشاملة إزاء الخلق. ويمكن لنا نحن أبناء الغرب من أجل إعادة اكتشاف الفهم الأصيل لوجودنا ومهمتنا، أن نلتمس العون على ذلك من التراث الإسلامي المشبع بالنظرة الكلية الأصيلة، إلى الكون والإنسان، كما يمكن لنا الإستفادة من هذا التراث في تحسين نظرتنا نحو الأفضل في الخلافة العلمية للإنسان».

* كما عبر فيها عن خطر انفصال العلم عن الدين وأثره السيء على الحياة الغربية.

لقد شهدت القرون الثلاثة الأخيرة - في الغرب - انقساما خطيرا في طريقة رؤيتنا للعالم المحيط بنا، فقد حاول العلم بسط احتكاره، وسطوته المستبدة، على طريقة تفكيرنا وفهمنا للعالم، وانفصل العلم عن الدين، إن العلم أدى خدمة جليلة بتبيانه لنا، أن العالم أكثر تعقيدا مما نظن. بيد أن العالم في شكله المادي الآحادي الحديث، قد عجز عن تفسير كل شيء، ولا شك أن انفصال العلم والتكنولوجيا عن القيم والموازين الأخلاقية قد بلغ حدا مروعا مفزعا».

* ويقول عن حاجة الحضارة الغربية أن تتعلم من الإسلام.

«إن الثقافة الإسلامية، جاهدت للحفاظ على الرؤية الصحيحة المتكاملة للعالم وعلى نحو افتقدناه نحن خلال الأجيال السابقة في الغرب، وهناك الكثير مما يمكن لنا أن نتعلمه من رؤية العالم الإسلامى في هذا المضمار، وهناك طرق شتى لبناء صرح الفهم والتقدير المتبادل، ولعلنا نستطيع على سبيل المثال، أن نبدأ بزيادة عدد المعلمين المسلمين في المدارس البريطانية. إننا نحتاج إلى أن يعلمنا معلمون مسلمون: كيف نتعلم بقلوبنا كما نتعلم بعقولنا. وإن اقتراب بداية الألفية الثالثة، قد يكون الحافز المثالي الذى يحفزنا إلى استكشاف هذه الصلات وتنشيطها.

وآمل ألا تفوت الفرصة السانحة التي تتيح لنا اكتشاف الجانب الروحي في رؤيتنا لوجودنا كله». «إن رسالة الإسلام مهمة للغرب فهي أكثر تكاملا وتوحيدا للعالم»[٩].

شهادة المستشرقة الألمانية (آن ماري شيميل)

لعل من أبرز المستشرقين المعاصرين الذين عناهم البحث الجاد، ومحاولة الوصول الى حقيقة الإسلام، ودراسة حضارته وعلومه المستشرقة الالمانية أن ماري شيميل التي تشغل كرسى الأستاذية في العلوم العربية الإسلامية بجامعة بون، والتى تعرضت لهجوم عنيف، شنته عليها الأوساط الثقافية الألمانية بسبب موقفها المؤيد للإسلام وقولها كلمة الحق فيه، وتصديها للرد على ما أثاره سلمان رشدي من تحامل وافتراء على الإسلام ونبيه الكريم، وهذه بعض آرائها عن الإسلام، ومبادئه، ورسوله، ونظامه.

* فهي تقول عن الإسلام ورسوله الكريم:

«الإسلام دين ودولة، وهذا يعني أن الدين والدولة وجهان لعملة واحدة، وإذا تخلى الدين عن دوره في توجيه الدولة وإرشادها، فإننا سنحصل بذلك على حضارة منهارة روحيا وأخلاقيا، وهذا هو النموذج السائد في الغرب.

والنبي محمد [صلى الله عليه وسلم] كان سياسيا ورجل دولة من الطراز الأول، وعندما جاء الإسلام لم يكن للعرب شأن يذكر، وإنما كانوا مجموعة من البدو يعيشون في الصحراء المترامية، فإذا به يوحد قوتهم، ويجمع شتاتهم في أعوام قلائل، ليكونوا بعد ذلك أعظم إمبراطورية (أمة) عرفها العالم، ولابد من الاعتراف بأن الإسلام ينتشر الآن في العالم بصورة كبيرة، ولا سبيل لوقف ذلك أو منعه مهما حاول الغربيون[١٠].

* وتقول عن دور المرأة ومكانتها في الإسلام.

«أما الإدعاء بأن الاسلام ظلم المرأة فهو لا يمكن أن يصدر عن إنسان عاقل، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي منح المرأة حقوقها كاملة، وأكرم منزلتها وقد رأينا المرأة المسلمة تشارك في الجهاد، وتخوض المعارك، وتضمد الجرحى، وتمارس شتى الأعمال الحياتية، في حرية لا تتنافى مع الحفاظ علي كرامتها وطاقتها كأنثى، وذلك قبل أن تعرف المرأة الغربية حقوقها، وتخرج لممارسة العمل بزمن طويل جدا».

* وتقول عن الموقف العدائى للمستشرقين المتعصبين وأثرهم في تشويه صورة الإسلام.

«إن الخطر الإسلامي الذي يتناقله الغرب كمسلّمات يقينية غير قابلة للمناقشة، هو بناء عدائى ضد الإسلام، ترسب في النفوس بفعل وسائل الإعلام، وكتابات بعض المستشرقين المتعصبين.

ومنذ قرن ونصف والأدب الألمانى مستمر في إنتاج كميات ضخمة لا حصر لها، عن الأغاني التركية والعربية، وعادات المسلمين هناك، كوسيلة لتشويه الإسلام، لدرجة أنها استقرت في الوعي الأوربي الذى مازال يتشدق ويتشبث بها حتى الآن».

شهادة الدبلوماسي الألماني المسلم مراد هوفمان.

اخترت هذه الشهادة بالذات لهذا الرجل المسلم، باعتبار الصداقة التى تربطنى به، ومعرفتى له لفترة طويلة وهو سفير لبلاده بالمغرب، ولنشاطه الإسلامي المتميز الذي قام به في تلك الفترة، ولعطائه الكبير الذى قدمه لصالح الإسلام والمسلمين.

* وأنقل هنا رأيه في المستشرقين، وعن الإسلام في الغرب اليوم، ومستقبل الدعوة الإسلامية يقول:

«منذ الثلاثينيات وضعت حركات إحياء الإسلام ـ من القاعدة ـ في معظم البلاد الإسلامية، الإسلام في الأجندة السياسية للبلد، حتى أصبح الإسلام يحتل الآن القمة في ما يشغل الإعلام العالمى ومنذ ربع قرن مضى، ولا يتوقع اليوم أحد أن يختفى الإسلام كما كان متوقعا ذلك في القرن الماضي، ولكن أن يمتد، بل وينتشر، وتلوح لأول مرة منذ ١٤٠٠ سنة فرصة حقيقية، لأن تتطابق التعاليم المسيحية مع اليهود،

والصورة القرآنية للمسيح.. فإذا تحقق هذا يكون الإسلام أكمل مهمته في هذا الميدان، ويبزغ في حوار مسيحي يهودي إسلامي ولأول مرة في مجال العقيدة بعد أن كان محصورا في الأعمال الإجتماعية».

* ويؤكد عن مستقبل الدعوة الإسلامية.

«وإذا لم يرد العالم الإسلامى أن يعيش في مثل تلك الثقافة الواحدة التى يسعى الغرب لفرضها على العالم، وجب عليه أن يبذل جهدا هائلا ليحقق دار إسلام القرن الـ ٢١، حيث تصبح كلمة الله قانونا، وتزدهر ثانيا الحضارة الإسلامية، عالم لا يستبد فيه الإقتصاد، وكفاءة التشغيل، والإنتاجية، والتكنولوجيا العالية، ومعدل التنمية، والحصول على أقصى ربح، وإنما تتحكم فيه متطلبات البشرية المادية والعاطفية والروحية، فإذا أردنا نحن المسلمين أن نترك وشأننا فعلينا أن نجاهد جهادا جبارا، لنحمي حقنا في الإختلاف الثقافي، في عالم يسعى لفرض الأنموذج الغربي عالميا. ويتطلب ذلك أن يعود المسلمون بالميلاد، مسلمين بالإيمان والفعل، وليس هناك بديل عن ذلك[١١]».

الخطاب الإسلامي الواجب اليوم

كما رأينا ينبغي التعامل مع الغرب من منظور شمولى لا يقتصر على الموجود خارج الدائرة الإسلامية، بل بالدخول إلى مدارات الحوار الحضاري، الذي يقوم على النقد البناء من أجل الوصول إلى الغاية المتوخاة، وبذلك يتعدى الخطاب الإسلامي اليوم من تصحيح الصورة إلى نشر الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية، على المستوى العالمي، بتقديم الإسلام كما هو، وكما نزل، وكما ينبغى أن يمارس، ويجسد علي أرض الواقع، لا كما هو ممارس في كثير من المجتمعات والدول وهو ما يمكننا من محو الصورة المغلوطة التى رسمها العلمانيون والحاقدون سواء في الغرب أو لأبناء أمتنا أنفسهم، إن ذلك سيساهم لا محالة في تقليص درجات الالتباس المتراكمة في علاقات الإسلام بالغرب.

الهوامش:

(١) Heritoge Founda 12/8/1994.

(٢) The Scots Man FED 27/1995.

(٣) انظر عدد: نيويورك تايمز الصادر بتاريخ ٢٢/ ١٩٩٢م.

(٤) للتوسع في الموضوع انظر كتاب «الاسلام بين الشرق والغرب» للرئيس على عزت بيجوفيتش - مؤسسة بافريا - يناير ١٩٩٤.

(٥) انظر جريدة الشرق الأوسط - العدد ٥٩٦٣ - ص ١٧ بتاريخ ١٩٩٥/٣/١٧م.

(٦) أنظر مجلة الرائد «المانيا» العدد ١٣٢ ص ٣٦ يناير ١٩٩١م.

(٧) تغطية الإسلام إدوارد سعيد، سميرة نعيم - بيروت ١٩٨٣ - ص ١٠.

(٨) جريدة عكاظ السعودية - العدد ١١٢١٦ السنة ٣٩ - ١٩٩٧/٥/٢ ص ٨.

(٩) انظر نص المحاضرة في جريدة «الشرق الأوسط» العدد ٦٥٩٨ - ص ٩ بتاريخ ١٩٩٦/١٢/٢١.

(١٠) راجع الحوار الممتاز الذى أجرته معها جريدة «العالم الإسلامي» الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي ص ٥ بتاريخ ١٨ - ٢٤ نوفمبر ١٩٩٦م.

(١١) راجع ذلك بتفصيل في كتاب الدكتور مراد هوفمان «الاسلام عام ٢٠٠٠».

الاسلام والقوانين الوضعية

يعيش المسلمون اليوم في عالم القوانين الوضعية التي أعقبت فترة الاستعمار والهيمنة ومناطق النفوذ والاستحواذ التي ساد فيها بتأثير الدعاية الاستعمارية للعمل بالأنظمة والتقنينات المكتوبة وإصدار اللوائح التنفيذية والمذكرات الايضاحية والقرارات الإدارية.. واعتبر العمل بتلك القوانين رمز التحضّر والتمدّن. واستمر التأثر بهذه الظاهرة في عصر الاستقلال، لكن الحركات الوطنية، في الخمسينيات وما بعدها من قرننا (الميلادي) الراهن، شهدت صحوة فكرية تطالب بضرورة العودة إلى الشريعة الاسلامية، والتخلص من آثار التبعية الفكرية والقانونية للغرب، لأن شريعتنا السماوية السمحاء غنية بكل متطلبات العصر.

ويقولون إن القوانين الوضعية والقواعد القانونية مرنة متحركة قابلة للتطور والتغير، إذ لا حرج في ذلك، بسبب عدم قدسيتها، فهي تعالج أحوالا وأوضاعاً معينة بحسب الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في مجتمع أو بلد ما، فإذا أدت الظروف والتطورات الطارئة إلى تغيير قانون أو تعديله بادرت اللجان المنبثقة عن السلطات التشريعية إلى وضع قوانين جديدة تواكب تطورات العصر.

وتبع هذا القول أن أشاع الواهمون والمتشككون عدم قدرة التشريع الاسلامي لمسايرة ومواكبة تطور الحياة..

وقد أدّت هذه الأنشطة والتحركات في نطاق القوانين الوضعية إلى توجيه الأسئلة الملحة عن موقف الشريعة الإسلامية من قاعدة التغيّر والتطور القانوني: هل الاسلام متطور؟.. هل الشريعة قابلة للتغيير؟ .. هل الأحكام الفقهية أو الشرعية مرنة أم جامدة؟.. هل يستطيع الاسلام مواكبة تطورات العصر الحديث؟.. هل الاسلام صالح للتطبيق في كل زمان ومكان؟.. أسئلة تتردد في كل مكان، في الكتب والمجلات والصحف اليومية والاذاعات المسموعة والمرئية والمنتديات والمحافل.. وهي أسئلة في واقعها يراد بها وضع العراقيل والعثرات أمام إمكان تطبيق الشريعة الاسلامية، والتشكيك في صلاحيتها للتطبيق الفعلي، لتظل قوانين الاستعمار والهيمنة سارية المفعول، ولتبقى أباطيل المستشرقين وتشكيكاتهم بعدم صلاحية الشريعة للتطبيق هي المهيمنة والمؤثرة في عالم الفكر والقانون، لأنه بعامل الحقد والخوف يخشون ظهور واتساع قوة الاسلام من جديد على مسرح الحياة الحديثة.

وقبل دحض مثل هذه الافتراءات والمزاعم، أوضح مبدأين جوهريين معروفين عن شرع الاسلام وهما: كون الشريعة من عند الله تعالى، وكون

بقلم: د. عصام وهدان
- سوريا -

الرسالة الاسلامية خاتمة الشرائع الإلهية. وإثبات المبدأين أمر يسير عقلا ونصاً.

أما كون الشريعة من عند الله تعالى: فأمر يقره المنطق والحسّ وتصرّح به النصوص القرآنية، فالمنطق يقضي بضرورة الاعتراف الذي لا شك فيه بأن القرآن العظيم وحي من عند الله بسبب إعجازه.. أيّ تحقق ثبوت العجز البشري عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه، بعد أن تحدى الله الجن والانس والأولين والآخرين على أن يأتوا بمثله أو بمثل سورة منه. وليس هنا مجال بحث وجوه الاعجاز، وانما يدرك القارىء تلقائيا، لأن القرآن وتنوع موضوعاته وإخباره عن غيبيات الماضي والمستقبل وتصحيح الخطأ أحياناً للنبي {صلى الله عليه وسلم} نفسه فيما أوحي إليه لتعديل بعض الاجتهادات التي صدرت عنه قبل نزول الوحي وعتابه عليها برفق، ثم أكد الحسّ والمشاهدة وتعاقب الأجيال وكرّ العصور أن القرآن الكريم كلام الله وشرعه ووحيه بكل ما جاء فيه، دون تعارض ولا تناقض، لأنه تنزيل من حكيم حميد، قال تعالى: {أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله، لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا} (النساء/٨٢).

الشريعة الإسلامية غايتها نفع البشرية ارتباط التشريع الاسلامي بالآخرة اكسبها قدسية لا تتوفر بتشريعات البشر العقل الإسلامي حرّ في تنظيم حياته في اطار ثوابت التشريع

والنصوص القرآنية كثيرة في إثبات مصدرية القرآن، أشير إلى بعضها مثل قوله تعالى: {يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين} (يونس/ ٥٧)، وقوله تعالى: {الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجا، قيما} (الكهف/ ١)، وقوله عزّ وجلّ: {وإنه لتنزيل ربّ العالمين* نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين} (الشعراء/ ١٩٢ ـ ١٩٥).

وأما ختم الرسالات والنبوات برسالة النبي {صلى الله عليه وسلم} ونبوته: فيؤكده توالي القرون الأربعة عشر الغابرة، حيث لم تأت نبوة جديدة، وكان القرآن الكريم من قبل قد قطع بهذا، إذ أعلن: {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله، وخاتم النبيين، وكان الله بكل شيء عليما} (الأحزاب/ ٤٠).

فرسول الله {صلى الله عليه وسلم} خاتم النبيين لا نبي بعده، به ختمت الرسالات، وإليه انتهى الوحي من السماء وانقطعت الأوامر الإلهية، اكتفاء بالأمر الدائم، والدستور المحكم الذي أنزل من لدن حكيم خبير على النبي محمد {صلى الله عليه وسلم}، والذي قال فيه عن نفسه ومهمته ونوع رسالته، فيما يرويه الامام أحمد والترمذي: «مثلي في النبيين كمثل رجل بنى داراً ، فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان، ويعجبون منه، ويقولون: «لو تم وضع هذه اللبنة؟ فأنا من النبيين موضع تلك اللبنة». وقال عليه السلام فيما يرويه أحمد أيضا: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدي ولا نبي».

ونجم عن كون الشريعة من عند الله، في كل ما اشتملت عليه من عبادات ومعاملات، وأحوال شخصية، وعقوبات، نتيجتان مهمتان جداً:

ـ النتيجة الأولى: ثبات القواعد الشرعية واستمرارها، ولو تغيّر الحكام وتوالت الازمان.

ـ النتيجة الثانية: تقديس القواعد الشرعية واحترامها التام، مما يحمل الأفراد على طاعتها، والحذر من العبث بها، أو التشكيك في جدارتها وصلاحيتها للتطبيق في كل زمان ومكان.

وأما القوانين الوضعية: فتتغير بتغير الأنظمة والحكام، لتحمي الأوضاع الجديدة، وهي عرضة للتغير والتبدل بين حين وآخر، وهذا يؤدي إلى عدم احترام القانون، وإلى ذهاب سطوته من النفوس، بل إلى عدم الاكتراث به، والتحايل على أحكامه، والتنصل بمختلف الوسائل من تنفيذه.

ومظاهر الثبات لأحكام الشريعة تتناول ما يأتي:

(١) المبادىء والأصول الاسلامية الكبرى: سواء فيما يسمى الآن بالنظام الدستوري كالشورى والعدل والمساواة في التكاليف الشرعية، وحرية التعبير والحرية السياسية في ضوء مقاصد الشريعة ونظامها العام أو ما يتعلق بأصول التعامل من أهلية، وتراض، واختيار، وعدم الاستغلال والغش، ومنع الجهالة والغبن ونحو ذلك مما يحقق الطمأنينة والثقة والاستقرار في تعامل الناس.

(٢) الأحكام الأساسية الآمرة أو الناهية: كالمسؤولية الفردية، وحماية الحقوق العامة والخاصة، وسدّ الذرائع إلى الممنوع، وضمان الأضرار والتعديات ومنع العدوان وقمع الاجرام، والقصاص من القاتل، وإقامة الحدود على جرائم العرض والمال وتناول المسكرات، وسريان الإقرار على المقر دون غيره، والوفاء بالعهد أو العقد أو الالتزام، وتحريم المحارم، وايفاء المرأة حقوقها الشرعية، والحفاظ على مقاصد التشريع بحماية الدين والنفس والعقل والنسب والمال ومراعاة يسر الاسلام وسماحته، ودفع المشقة.

(٣) كلّ ما ورد به نص قطعي الثبوت والدلالة: مثل نظام العبادة في الصلوات المفروضة، والصوم والزكاة والحج، ونظام العقيدة كالإقرار بوحدانية الله سبحانه وربوبيته عزّ وجلّ، والاعتراف بالرسالات السماوية السابقة في أصولها الصحيحة، والتصديق بكل ما جاء به النبي {صلى الله عليه وسلم}، والاعتقاد بحدوث العالم الآخر وجواز رؤية الله عز وجل في الآخرة، وقدم كلام الله تعالى وخلق الله الأفعال الصادرة من الانسان، وخروج جميع المؤمنين الموحدين من النار، واحكام المواريث والزواج والطلاق والنفقات والحدود الشرعية (العقوبات الشرعية).

الاجتهاد غايته ملاحقة مستجدات الحياة لتنظيمها وتأطيرها في منظومة التشريع العقل البشري تعصف به الأهواء والاغراض في تقنيناته إن لم يقيده تشريع سماوي

(٤) كلّ ما جاء به نصّ ظني الثبوت: أي الغالب على الظن ثبوته مثل الأحاديث النبوية المروية بأخبار الآحاد، واحد أو اثنين، ما لم تعارض بدليل آخر أقوى منها، فقد أجمعت الأمة على أن السنة النبوية هي المصدر الثاني في التشريع.

أما الأحكام الظنية الدلالة المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فلا يجوز العدول عن جملة الاحتمالات المعقولة المتبادرة من النص، وإن حدث فيها اختلاف في الاجتهاد المقبول أو الاستنباط السليم.. أي أن النص المحتمل لمعنيين مثلا لا يصح تجاوزهما أو العدول عنهما إلى حكم آخر مغاير لكلا المعنيين، ويصح الأخذ بأحدهما دون تعيين، لاجماع الفقهاء على وجوب العمل بما غلب على ظن المجتهد، ولا يجوز لمجتهد تقليد مجتهد آخر، وللإجماع على

أنه إذا اختلف العلماء في مسألة على قولين، كتأويل اللفظ المشترك بين معنيين، فلا يجوز لمن يأتي بعدهم إحداث قول ثالث، وهذا هو الإجماع المركب أو الضمني، كما هو المقرر في علم أصول الفقه.

أما ما يقبل التطور أو التغير والتبدّل بتبدل الزمان، عملا بقاعدة: «تتغير الأحكام بتغيّر الازمان» فهو الاحكام الاجتهادية القياسية أو المصلحية.. أي التي قررها الاجتهاد بناء على القياس أو على مقتضيات المصلحة المتبدلة، فبعض الأحكام الفقهية تتغير باختلاف الزمان لتغير الأعراف والعادات أو لحدوث ضرورات طارئة أو لفساد أهل الزمان، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولا، للزم منه الوقوع في المشقة والضرر بالناس، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضرر والفساد، لابقاء العالم على أتم نظام واحسن حال، وذلك يشمل ما يأتي:

- ما بني الاجتهاد فيه من الأصل على القياس الشرعي أو على تحقيق المصلحة ودرء المفسدة، فإذا تراءى للمجتهد قياس أقوى من الأول، وهذا ما يسمى بالاستحسان، أو تبدل وجه المصلحة في زمن عن زمن، تغير الحكم الشرعي، لأن الأحكام مبنية على مراعاة المصالح، ووجوب العمل بالدليل الأقوى، مثل الأخذ بأسلوب قضاء الجماعة بدل أسلوب القاضي الفرد، وتعدد درجات المحاكم بحسب المصلحة الزمنية ونحوها من أساليب أو وسائل حماية الحقوق.

- الأحكام التي شرعت في أساسها على العرف والعادة: فإذا تغيرت الاعراف والعادات تغيّر الحكم، مثل تضمين الأجير المشترك ما يتلف بيده، حفاظاً على أموال الناس. ومثل تزكية الشهود، وأخذ زكاة الأراضي من المستأجر لا المؤجر لأنه أنفع للفقراء.

- التنظيمات والتقسيمات الادارية والترتيبات السياسية في القضاء والادارة والسياسة والوظائف العامة كتدوين الدواوين، وانشاء المحاكم الدستورية والادارية العليا، والرقابة الدستورية على القوانين والتشريعات والأنظمة وتخيّر أفضل الوسائل لزيادة الانتاج والتنمية الصناعية والزراعية ونحو ذلك مما يعود على الأمة بالخير والسعادة والرخاء.

- تدابير السياسة الشرعية المفوضة للحاكم المؤمن العالم العادل بحسب ما يرى من المصلحة، كإمضاء الطلاق الثلاث، والتعزير بالقتل سياسة على جرائم أمن الدولة، زجراً للناس عن كثرة استعمال الطلاق، والمساس بالمصلحة العامة العليا للدولة أو الأمة، والاستخفاف بأحكام الشريعة والشعائر العامة.

- العقوبات التعزيرية: وهي المفوضة للمحاكم لاختيار نوع العقوبة الملائمة للجريمة وظروف المجرم، والمقتضية مراعاة الظروف المخففة أو المشددة بحسب مقتضيات الأحوال، مثل الحكم مع وقف التنفيذ، وتقرير نوعين للعقوبة: أقصى وأدنى ، فهذه تتبدل بحسب الظروف.

- تطور الأوضاع: مثل وقف الأراضي المفتوحة عنوة، وفرض ضريبة الخراج عليها، لتوفير مورد عام دائم للخزينة، وحفاظاً على ثروة الأمة العامة وعدم تخصيصها بفئة أو جيل معين، ومثل أخذ الدولة لغنائم الحرب وتخصيصها للصالح العام، بعد أن كانت حقاً للمقاتلة في حدود الاربعة الأخماس، وذلك بسبب تغير الأوضاع من تطوّع الجنود إلى رفدهم برواتب شهرية دائمة.

والخلاصة: أن التطوّر أو التغيّر مقيد طبعاً بعدم مصادمة النصوص الشرعية والأصول الاسلامية، فإعطاء المرأة حق في الطلاق أو جعل الطلاق مثلا بيد القاضي بحجة ظروف العصر، مصادم للنص الشرعي، وكذا اعطاء المرأة مثل الرجل في الميراث مصادم للنص القرآني، والتدخل أيضاً في حجاب المرأة معارض للنص الشرعي القاطع، ونحو ذلك مما هو معروف.



أكثر أهـ

للأمة الإسلامية خصائص تميزها عن غيرها، كما لرسولها {صلى الله عليه وسلم} خصائص تميزه عن بقية الأنبياء والمرسلين وتتجلى هذه الخصائص في قوله تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس} وقد أشرنا إلى بعضها فيما تقدم عن (أصناف الداخلين الجنة).

وجاء أيضا في مسند الإمام أحمد وجامع الترمذي، وسنن ابن ماجة ومستدرك الحاكم[١] من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها، وأنتم أكرم على الله عز وجل) وفي حديث تفرد به أحمد واسناده حسن عن محمد بن علي - وهو ابن الحنفية - «أنه سمع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقول: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أُعْطيتُ ما لم يُعْط أحد من الأنبياء، فقلنا يارسول الله ما هو؟ قال: نصرت بالرعب، وأُعْطيتُ مفاتيح الأرض، وسُمّيت أحمد، وجعل التراب لي طهورا، وجعلت أمتي خير الأمم).

وحدث الإمام أحمد عن ليث عن معاوية عن أبي حلبس يزيد بن ميسرة، قال سمعت أم الدرداء - رضي الله عنها - تقول: سمعت أبا الدرداء - رضي الله عنه - يقول: سمعت أباالقاسم {صلى الله عليه وسلم} وما سمعته يكنيه قبلها ولا بعدها - يقول: (إن الله - تعالى - يقول: {يا عيسى إني باعث بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم، قال: يارب كيف هذا لهم ولا حلم ولا علم؟ قال: أعطيهم من حلمي وعلمي).

وروى الإمامان البخارى ومسلم[٢] عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة - رضي الله عنهما - قال: قال النبي {صلى الله عليه وسلم}: (بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان). وجاء فيه وهو محل الشاهد: (.. فأتينا على السماء السادسة، قيل من هذا؟ قيل جبريل، قيل من معك؟ قيل محمد {صلى الله عليه وسلم} قيل: وقد أرسل إليه؟ مرحبا به، نعم المجيء جاء. فأتيت على موسى فسلمت عليه، فقال: مرحبا بك من أخ ونبي، فلما جاوزت بكى، فقيل ما أبكاك؟ قال: يارب هذا الغلام الذى بُعث بعدى يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي) الحديث.

وفي القصص النبوي ما يدل على كثرة أمة محمد {صلى الله عليه وسلم} في الجنة، فهم أكثرية عن الأمم والأكثر من هذه الأمة من النساء والفقراء والمساكين.

حدث البخاري[٣] عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال: كنا مع النبي {صلى الله عليه وسلم} فى قبة فقال: أترضون أن تكونوا رُبع أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنّة؟ قلنا: نعم، قال أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنّة؟ قلنا نعم، قال: والذى نفس محمد بيده، إنى لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة. وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر).

وروى البخارى أيضا عن أبى سعيد قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول الله يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك. قال يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكرى وما



أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
- مصر -



هم بسكرى ولكنّ عذاب الله شديد، فاشتد ذلك عليهم فقالوا: أينا ذلك الرجل؟ قال: أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل. ثم قال: والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة. قال: فحمدنا الله وكبرنا. ثم قال: والذى نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة. إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرقمة في ذراع الحمار).

ونقل القرطبي[٤] قصة عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (يكون الخلائق يوم القيامة مائة وعشرين صفا، طول كل صف مسيرة أربعين ألف سنة، وعرض كل صف عشرون ألف سنة. قيل له: يارسول الله، كم المؤمنون؟ قال: ثلاثة صفوف. قيل له: والمشركون؟ قال: مائة وسبعة عشر صفا. قيل له: فما صفة المؤمنين من الكافرين؟ قال: المؤمنون كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود) قال القرطبي وهو غريب جدا.

وقال القرطبي: ذكر أبو بكر بن أبى شيبة قال: حدثنا ابن نمير قال: حدثني موسى الجهني، عن الشعبي قال: سمعته يقول قال نبي الله {صلى الله عليه وسلم}: (أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فيسركم أن تكونوا نصف أهل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن أمتي يوم القيامة ثلث أهل الجنة، إن الناس يوم القيامة عشرون ومائة صف، وإن أمتي من ذلك ثمانون صفا) ورواه مرفوعا عن عبد الله بن مسعود، وفيه فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفا) في اسناده الحرث بن حضيرة ضعيف ضعفه مسلم في صدر كتابه.

وخرج ابن ماجة والترمذى عن بريدة بن حصيب قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم) قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

وأورد ابن قيم الجوزية[٥] من حديث القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (كيف أنتم وربع الجنة لكم، ولسائر الناس ثلاثة أرباعها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: كيف أنتم وثلثها، قالوا: ذاك أكثر، قال: كيف أنتم والشطر لكم، قالوا: ذاك أكثر، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: أهل الجنة عشرون ومائة صف، لكم منها ثمانون صفا).

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا موسى بن غيلان بن هاشم بن مخلد، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن أبى عمرو عن أبيه عن أبى هريرة قال: (لما نزلت (ثُلّة من الأولين وثُلّة من الآخرين) قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: أنتم ربع أهل الجنة، أنتم ثلث أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة، أنتم ثلثا أهل الجنة) قال الطبراني تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري.

قال ابن القيم: وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وصح سند بعضها ولا تنافى بينها وبين حديث الشطر، لأنه {صلى الله عليه وسلم} رجا أولا أن يكونوا شطر أهل الجنة، فأعطاه الله ـ سبحانه ـ رجاءه وزاد عليه سدسا آخر. وقد روى أحمد في مسنده من حديث أبى الزبير أنه سمع جابرا يقول: سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: (أرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل الجنة، قال فكبرنا، ثم قال: فأرجو أن تكونوا الشطر) واسناده على شرط مسلم.

وجاء في القصص النبوي أن أكثر أهل الجنة الفقراء والمساكين، فقد روى البخارى[٦] عن أسامة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجد محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها من النساء) وفي البخاري أيضا عن عمران عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء).

وذكر ابن كثير[٧] قصة جاء في المسند، وجامع الترمذى، وسنن ابن ماجة: من حديث محمد بن عمرو،

عن أبى سلمة، عن أبى هريرة، مرفوعا: (يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام). وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفا).

وقد أورد الغزالي قصصا يمتدح الفقراء والمساكين في الآخرة[٨] من ذلك قول النبي {صلى الله عليه وسلم} (أحيني مسكينا وأمتني مسكينا) وقال {صلى الله عليه وسلم} لبلال: (الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا) وقال: (إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال) وقال: (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء) وفي لفظ آخر (فقلت أين الأغنياء؟ حبسهم الجد) وفي حديث آخر (فرأيت أكثر أهل النار النساء فقلت ما شأنهن؟ فقيل: شغلهن الأحمران الذهب والزعفران) وقال {صلى الله عليه وسلم}: (ألا أخبركم بملوك أهل الجنة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره).

وفي النساء وردت قصص بأكثريتهن في الجنة وأخرى بأكثريتهن في النار وهي قصص صحيحة وموثقة في الكتب الصحاح، وتداولها علماء الأمة بالشرح والتعليق، وسنعرض هذه الروايات ونتبع ذلك بآراء وتعليقات بعض السلف:

روى الإمام مسلم في صحيحه[٩] قال: حدثني عمرو الناقد ويعقوب بن ابراهيم الدورقى جميعا، عن ابن علية، واللفظ ليعقوب، حدثنا إسماعيل بن علية أخبرنا أيوب عن محمد قال: إما تفاخروا واما تذكروا: الرجال في الجنة أكثر أم النساء؟ فقال أبو هريرة: أو لم يقل أبو القاسم {صلى الله عليه وسلم} إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتى تليها على أضوأ كوكب درى في السماء، لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب).

وروى أيضا حدثنا ابن أبى عمر، حدثنا سفيان عن أيوب، عن ابن سيرين قال: اختصم الرجال والنساء أيهم في الجنة أكثر؟ فسألوا أبا هريرة، فقال: قال أبو القاسم {صلى الله عليه وسلم} بمثل حديث ابن علية.

وقال ابن قيم الجوزية: ثبت في الصحيحين من حديث أيوب عن محمد بن سيرين قال: (اما تفاخروا واما تذاكروا: الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة: ألم يقل أبو القاسم {صلى الله عليه وسلم}: إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتى تليها على أضوأ كوكب دري في السماء لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة عزب) فإن كن من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال، وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن في الدنيا أكثر.

وقد سبق في الكلام عن (صفة أزواج أهل الجنة من النساء والحور العين) وجاء فيها روايات في الترغيب والترهيب: (إن الرجل ليتزوج خمسمائة حوراء) و(إن أدنى أهل الجنة منزلة إن له لسبع درجات.. ومن الحور العين لاثنين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا).

ومما جاء من القصص النبوي عن فضائل المرأة في منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال[١٠] ما روى عن عبد الرحمن بن عوف: (المرأة إذا حملت كان لها مثل أجر الصائم القائم المخبت المجاهد في سبيل الله، وإذا ضربها الطلق فلا تدري الخلائق مالها من الأجر، وإذا وضعت كان لها بكل مصة أو رضعة أجر نفس تحييها، فإذا فطمت ضرب الملك على منكبها وقال: استأنفي العمل) وفي رواية عن أبى أمامة (يا معشر النسوان، أما أن خياركن الجنة قبل خيار الرجال فليغسلن ويطيبن ويدفعن إلى ازواجهن على براذن الحمر والصفر، معهن الولدان كأنهن اللؤلؤ المنثور).

ومن القصص الذى يدل على كثرة النساء في النار ما رواه مسلم[١١] عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن جزلة[١٢] وما لنا يارسول الله أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن، قالت: يارسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالى ما تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين).

وروى البخاري [١٣] عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: (خسفت الشمس على عهد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فصلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والناس معه، فقام قياما طويلا نحوا من سورة البقرة، ثم ركع ركوعا طويلا، ثم رفع فقام قياما طويلا، وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعا طويلا، وهو دون الركوع الأول، ثم رفع ثم سجد، ثم قام، فقام قياما طويلا، وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعا طويلا، وهو دون الركوع الأول، ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعا طويلا، وهو دون الركوع الأول، ثم رفع ثم سجد ثم انصرف، وقد تجلت الشمس، فقال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله. قالوا: يارسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك هذا، ثم رأيناك تكعكعت[١٤]، فقال: إني رأيت الجنة أو أريت الجنة، فتناولت منها عنقودا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: لِمَ يارسول الله؟ قال: بكفرهن، قيل يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط).

وزاد القرطبي على ذلك قصة عن عمران بن حصين أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن أقل ساكني الجنة النساء) ثم قال: قال علماؤنا: إنما كان النساء أقل ساكني الجنة، لما يغلب عليهن من الهوى، والميل إلى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن أن تنفذ بصائرها إلى الأخرى فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها، ولميلهن إلى الدنيا والتزين بها ولها، ثم مع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التى تصرف الرجال عن الأخرى، لما لهم فيهن من الهوى والميل لهن، فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن، صارفات عنها لغيرهن سريعات الانخداع لداعيهن من المعرضين عن الدين، عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الأخرى وأعمالها من المتقين.

وقال القرطبي: قال علماؤنا: لم يختلفوا في جنس النساء، وإنما اختلفوا في نوع من الجنس وهو نساء الدنيا ورجالها أيهما أكثر في الجنة؟ فإن كانوا اختلفوا في المعنى الأول وهو جنس النساء مطلقا، فحديث أبى هريرة حجة، وإن كانوا اختلفوا في نوع من الجنس وهم أهل الدنيا، فالنساء في الجنة أقل.

قلت: يحتمل أن يكون هذا فى وقت كون النساء في النار، وأما بعد خروجهن في الشفاعة،، ورحمة الله تعالى حتى لا يبقى فيها أحد ممن قال لا إله إلا الله، فالنساء في الجنة أكثر، وحينئذ يكون لكل واحد منهم زوجتان من نساء الدنيا، وأما الحور العين فقد تكون لكل واحد منهم الكثير منهن. كما في قصة عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة) ذكره الترمذي وقال فيه حديث غريب.

وقدمنا في أول من يقرع أبواب الجنة قصة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (أنا أول من يفتح باب الجنة، إلا أن امرأة تبادرني، فأقول لها: مالك ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على يتامى).

« **للحديث صلة** »

الهوامش:

(١) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٥١٠.

(٢) فتح البارى جـ ٦ ص ٣٠٢ ومسلم جـ ١ ص ٣١٨.

(٣) فتح البارى جـ ١١ ص ٣٧٨ - ٣٨٨ وشرح مسلم للأبى جـ ١ ص ٣٨٢.

(٤) التذكرة ص ٤٣٨.

(٥) حادي الأرواح ص ١٥٩.

(٦) فتح الباري جـ ٩ ص ٢٩٨ وجـ ١١ ص ٤١٥.

(٧) النهاية في الفتن والملاحم جـ ٢ ص ٣٩٨.

(٨) انظر: إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ١٩٣.

(٩) شرح الأبي والسنوسي جـ ٧ ص ٢١٢.

(١٠) جـ ٦ ص ٤٢٨.

(١١) صحيح مسلم الأبى جـ ١ ص ١٨٥.

(١٢) أي ذات عقل.

(١٣) فتح الباري جـ ٩ ص ٢٩٨ وفي مسلم جـ٣ ص ٥٢ وما بعدها.

(١٤) أى تأخرت: يقال تكعكع وكع عن الأمر إذا أحجم عنه.

لمحة اقتصادية من زاوية قرآنية [*]

١ ـ ٢

الإسلام دين ودنيا، آخرة وأولى، فقد عني بكل من الدين والدنيا، الآخرة والأولى، بدرجة كبيرة من التوازن. وإنما عُني الإسلام بالآخرة باعتبارها هدفا وغاية، وبالأولى باعتبارها وسيلة وطريقا ولما كانت الحياة الأولى حياة العمل والحرث والزرع، وكانت الحياة الآخرة حياة الجزاء والحصاد وقطف الثمار، فقد كانت نظرة الإسلام إلى الحياة الأولى من زاوية تسخيرها للحياة الآخرة.

وقد قال تعالى[١] **{وللآخرة خير لك من الأولى}** وقال تعالى[٢] **{ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون}**، وقال تعالى[٣] **{وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحْسَن كما أحْسَنَ اللهُ إليك ولا تبغ الفساد في الأرض. إن الله لا يحب المفسدين}**.

ولهذا امتزجت في الإسلام الأولى بالآخرة ولهذا كان مفهوم العبادة في الإسلام واسعا إلى أبعد درجات الاتساع، فكل عمل طيب يقوم به الإنسان وهو يريد به وجه ربه الأعلى، بما في ذلك لقمة الطعام التى يضعها الزوج في في زوجته، يعتبر داخلا في مفهوم العبادة التى تتجلى أهم معالمها في أركان الإسلام الخمسة، شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج بيت الله تعالى الحرام لمن استطاع سبيلا. وقد قال تعالى[٤] {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}.

وإنه بالنظر إلى أركان الإسلام بعد الشهادتين يتبين أن عناية الإسلام كبيرة بالمال فإن إيتاء الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، وإذا كانت الصلاة تعني اتجاه العبد مباشرة إلى بارئه فإن الزكاة تعني اتجاه العبد إلى بارئه جل وعلا مروراً بأخيه الإنسان، ففي الحديث الذى رواه الجماعة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي [صلى الله عليه وسلم] لما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن والياً أو قاضيا سنة عشر من الهجرة قال: إنك تأتى قوما أهل كتاب فادعهم إلى شهادة ألا إله إلا الله وأنّي رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة. فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم[٥] أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب[٦].

ومن أقوى الأدلة على أهمية الزكاة أنها قرنت بالصلاة في القرآن الكريم فيما يزيد على الثمانين موضعاً.

وليست عناية الإسلام بجانب المال أو الاقتصاد مقصورة على الزكاة، بل إن عناية الإسلام بهذا الجانب عناية فائقة. ونحن في هذه الدراسة الموجزة التى ترغب



بقلم: أ.د. حسن محمد باجوده
عميد كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ

في تقديم لمحة مالية أو اقتصادية من زاوية قرآنية، نود أن يكون حديثنا في بعض أجزاء هذا الجانب من زاوية دورة الإنسان في هذه الحياة ابتداء من المرحلة التى هو فيها جنين ومولود، وانتهاء بلقاء وجه ربه الأعلى جل وعلا.

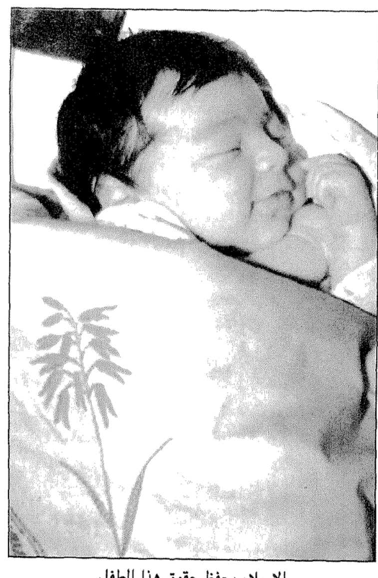
وبإذن الله تعالى ستسير الدراسة وفق الخطوات التالية:

- الجنين والمولود.
- اليتيم .
- بعد التكليف.
- الحثّ على العمل والكسب الطيب.
- النهي عن الإسراف وعن الاعتداء في التحريم والتحليل.
- النهي عن أكل أموال الناس بالباطل.
- الحثّ على الإنفاق مما رزق الله تعالى.
- الإيمان والأمانة والعلم من سمات القيادة الناجحة.

ومع أن الحديث في هذه الموضوعات شامل للجنسين، الذكر والأنثى معاً، فإنه لما كان لجنس النساء حظ موفور من حديث القرآن الكريم عن شئونهن الخاصة، وبخاصة المالية منها، فقد خصصنا النساء ببعض الحديث.

الجنين والمولود:

خلقنا الله سبحانه وتعالى من أبوينا آدم وحوّاء عليهما السلام ونشرنا جل وعلا في أرضه الطويلة العريضة. قال تعالى[٧]: {**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيراً ونساء. واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام. إن الله كان عليكم رقيبا**}. وقد عني الإسلام بالجنين قبل أن يولد.



الاسلام يحفظ حقوق هذا الطفل

ومن الأدلة على ذلك أن عدّة الحامل تنقضي بمجرد وضع الحمل. ويصح أن تكون العدّة لحظات كأن يتوفى الزوج ثم تضع الزوجة أو أن يطلق زوج زوجه الحامل وتضع بعد لحظات من الطلاق، أو تطول بها العدة في حال إن وقع الطلاق في أول شهر الحمل..

إن الإسلام يُعنى بالمعتدة الحامل كما يعنى بمولودها، فمن حق الحامل أن يُنفق عليها زوجها أو أن ينفق عليها من ماله طوال مدة الحمل، فإن أرضعت أخذت أجرة الرضاعة من زوجها - السابق - أو من ماله في حالة وفاته مثلا. وإلى

هذه المعاني أشارت الآية الكريمة السادسة من سورة الطلاق. قال تعالى: **{وإن كنّ أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن. فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتَمروا بينكم بمعروف . وإن تعاسرتم فستُرْضِعُ له أخرى}** (الطلاق/٦).

وإنّ على الوالدة أن ترضع مولودها حولين كاملين لمن أراد أن يُتمّ الرضاعة. وعلى الزوج رزق الزوجة وكسوتها بالمعروف. فما العمل حينما يُتوفَّى الزوج ومن الذى يرزق الزوجة ويكسوها؟ يرزُق الزوجة ويكسوها مدة الرضاع الذى يرث الزوج فيما لو ترك الزوج ميراثا . فبما أن للورثة الغُنْم في حال كون الزوج المتوفى له ميراث، كذلك عليهم الغُرْم حينما لا يكون له شيء يورث. وإلى هذه المعاني أشارت الآية الكريمة من سورة البقرة[٨] قال تعالى: **{والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف. لا تكلف نفس إلا وسعها، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك. فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما . وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلّمتم ما آتيتم بالمعروف. واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير}**.

ومن العلماء من ذهب إلى أن المقصود بالقول: «وعلى الوارث مثل ذلك» وعلى وارث المولود فى حال الوفاة رزق الوالدة المرضع وكسوتها في حال وفاة الزوج. فبما أنه في حال وفاة المولود يرثه فإن عليه أن ينفق على والدة هذا المولود وقت الرضاعة. ونحن نميل إلى الرأي الأول لأن حديث الآية الكريمة قبل ذلك يدور حول المولود له أعني الزوج، ولأن في الذهاب إلى أن المراد بالوارث في القول: «وعلى الوارث مثل ذلك» ورثة المولود تجاوزاً لورثة المولود له أعني الزوج فالنقلة بعيدة حقا[٩]، والله تعالى أعلم. ومهما كان المعنى الذى نرتضيه للقول: «وعلى الوارث مثل ذلك» فإن نفقة الوالدة المرضع وكسوتها لازمتان في حال وفاة الزوج طوال فترة الرضاعة.

وبسبب الحنان الفطري من قبل الوالدين تجاه الأبناء لا نجد في القرآن الكريم سوى وصية واحدة للوالدين تجاه الأبناء وهي المتعلقة بالميراث وذلك في الآية الكريمة الحادية عشرة من سورة النساء. قال تعالى: **{يوصيكم الله في أولادكم}**.

وقد كانت عناية الإسلام باليتيم كبيرة فإلى اليتيم.

اليُتم: انقطاع الصبي عن أبيه قبل بلوغه، وفي سائر الحيوانات من قبل أمه[١٠] وإن عناية الإسلام كبيرة باليتيم وبماله. ومن سور القرآن الكريم التى عُنيت باليتيم عناية كبيرة سورة البقرة وسورة النساء. ومن مظاهر عناية القرآن الكريم بمال اليتيم ما روي عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت: **{ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هي أحسن}** و **{إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا}**، انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل الشيء من طعامه فيُحبَس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} فأنزل الله عز وجل: **{ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير، وإن تخالطوهم فإخوانكم}**. . فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم[١١].

وإن الذى يخص اليتيم من الآية الكريمة العشرين بعد المائتين من سورة البقرة قوله تعالى: {ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير. وإن تخالطوهم فإخوانكم. والله يعلم المفسد من المصلح. ولو شاء الله لأعنتكم. إن الله عزيز حكيم} والمعنى: ويسألونك يا محمد عن اليتامى.

قل يا محمد إصلاح لهم خير. وقد جاء المبتدأ «إصلاح» منكراً ليدل على تناول كل إصلاح[١٢] وهذا الإصلاح فى سائر الجوانب، ابتداء بجانب الدين، ويدخل في ذلك المال. فواجب الوليّ أن يحافظ على مال اليتيم وأن يجتهد في تنميته على نحو ما سنتبين من آيات سورة النساء. وإن تخالطوهم في مجال المال والعشرة والنكاح فهم إخوانكم في الدين. والله سبحانه وتعالى يعلم المفسد من الأولياء الذى يريد أكل مال اليتيم، من المصلح الحريص على منفعته ومصلحته. ولو شاء الله تعالى إعناتكم[١٣] وإيقاع المشقة والحرج عليكم لأعنتكم ولمنعكم من مخالطة أموالهم أموالكم ولكنه جل وعلا لم يشأ. إنه سبحانه وتعالى هو العزيز في ملكه الحكيم في صنعه.

وكانت عناية سورة النساء باليتامى كبيرة من ناحية المال على جهة الخصوص. ومن هذه الآيات الكريمات قوله تعالى[١٤]: **{وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنّه كان حوباً كبيرا}** والمعنى وأعطوا أيها الأولياء والأوصياء اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب، أي لا تتبدلوا القليل الرديء من أموالكم بالكثير الجيد الحلال من أموال اليتامى، والشاة السمينة من مال اليتيم بالهزيلة من مالكم، والدرهم الطيب بالزائف من مالكم[١٥] ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ولا تضموها إلى أموالكم[١٦] إن ذلك التبديل والأكل كان حوباً كبيرا وإثماً عظيما[١٧].

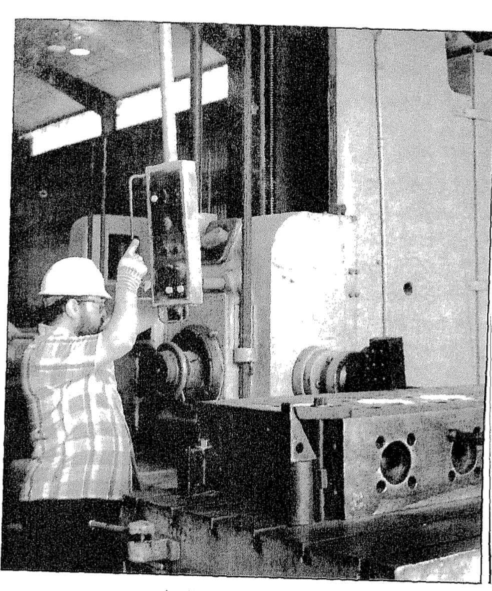
ومن هذه الآيات الكريمات قوله تعالى في الآية الكريمة الثالثة من سورة النساء: **{وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثُلاث ورباع}** وخير ما يبين المعنى هنا سبب النزول روى الأئمة واللفظ لمسلم عن عروة بن الزّبير عن عائشة في قوله تعالى: **{وإن خفتم. ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع}**. قالت: يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليّها تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليّها أن يتزوجها من غير أن يُقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يُقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن[١٨] اثنتين اثنتين، أو ثلاثاً ثلاثاً، أو أربعاً أربعاً[١٩].

ومن ذلك قوله تعالى [٢٠]: **{ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا}** والمعنى: ولا تعطوا أيها الأولياء السفهاء الذين لا يعرفون كيف يعالجون أموالهم وفي مقدمة هؤلاء صغار اليتامى، لا تعطوهم أموالكم. ويلاحظ أن الآية الكريمة تجعل المال مالا للأولياء فهم مسئولون أمام الله تعالى عنه، ولا تجعله مالا للسفهاء وإن كان مالهم في الحقيقة. وتبين الآية الكريمة الحكمة من جعل الأموال لرعاتها من الأولياء وليس لأصحابها من السفهاء بأن الله سبحانه وتعالى جعل لنا هذه الأموال واسطة لقيام مصالحنا المعيشية بها وشئوننا الدينية والدنيوية[٢١] ويلاحظ كذلك أن الآية تقول: «وارزقوهم فيها» وليس وارزقوهم منها. فرزق هؤلاء السفهاء لا يكون من هذه الأموال ولكن فى هذه الأموال التى نماها الأوصياء فليست النفقة من رأس مال السفهاء ولكن من ربح ذلك المال الذى نماه الأولياء. وكما يكون رزق هؤلاء السفهاء في هذه الأموال تكون كسوتهم. وعلى الأولياء حينما يطلب هؤلاء السفهاء أموالهم أن يقولوا لهم قولا معروفا تطيب به نفوسهم كأن يقال لهم إن مالكم مصون وسوف تحصلون عليه في الوقت المناسب أو ما شاكل هذا القول بالمعروف.

ولا يتسع المقام للوقوف عند كل آية ملياً ونكتفي بسرد بعض الآيات مع تبيين ما يحتاج منها إلى تفسير. قال تعالى[٢٢]: **{وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يَكْبَروا. ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف. فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا}**. ومعنى ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا: ولا تأكلوا أموالهم إسرافاً بغير ما أباح الله لكم أكله، ولا مبادرة منكم بلوغهم وإيناس الرّشد منهم حذراً أن يبلغوا فيلزمكم تسليمهُ إليهم[٢٣] وقال تعالى[٢٤]: **{وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا. إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون من بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا}**، وقال تعالى[٢٥]: **{فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر. وأما بنعمة ربك فحدث}**.

بعد التكليف:

حينما يكون الإنسان مكلفاً بعد البلوغ وفي حدود الخامسة عشرة هو إما أن يكون قد أغناه الله تعالى من واسع فضله وإما أن يكون جل وعلا قد قدر عليه رزقه، فكان أحد الفئات الثمان التى أوجب الإسلام لها حقا لدى الأغنياء في هيئة الزكاة التى تؤخذ من الأغنياء فتردُّ إلى الفقراء.



الاسلام يدعو للعمل والانتاج

ونحن نود أن نسير مع توجيهات القرآن الكريم لهذا الذى أغناه الله تعالى من فضله فإن الحديث عن هذا الغني يشمل بالضرورة الحديث عن الفقير.

الحث على العمل والكسب الطيب:

اليد العليا في الإسلام خير من اليد السفلى،

واليد المعطية أفضل من اليد الآخذه، والإسلام دين العمل في كافة المجالات، وقد عرفنا أن مفهوم العبادة في الإسلام واسع إلى أبعد درجات الاتساع، فكل عمل يتعلق بالدين أو بالدنيا عبادة في الإسلام ما دام العبد يريد به وجه ربه الأعلى. وهذه الآية الكريمة من سورة التوبة[٢٦] التى تأمر بالعمل، قال تعالى: **{وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون}**، تشمل كل أنواع الأعمال.

وقال تعالى في سورة التوبة[٢٧] كذلك: **{وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون}.**

والقرآن الكريم يحث المسلم على أن يكسب المال حلالا ومن طرقه المشروعة. قال تعالى[٢٨]: **{قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تُفلحون}** وقال تعالى[٢٩]: **{يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم}.**

(**للحديث بقية**)

الهوامش:

[*] هذه الدراسة عملت من أجل الندوة الاسلامية العالمية التى عقدتها رابطة العالم الاسلامي خلال الفترة ١ ـ ١٤١٠/١٢/٤هـ بعنوان «التخطيط لتنمية المجتمعات الاسلامية اقتصاديا».

(١) سورة الضحى/ ٤.

(٢) سورة يوسف/ ٥٧.

(٣) سورة القصص/ ٧٧.

(٤) سورة الذاريات/ ٥٦.

(٥) كرائم: نفائس.

(٦) انظر فقه السنة ٢٧٦/١.

(٧) سورة النساء/ ١.

(٨) الآية/ ٢٣٣.

(٩) انظر مثلا البحر المحيط ٢١٦/٢، ٢١٧ والكشاف ٢٨١/١ وتفسير القرطبي ٩٧٦، ٩٧٧ وتفسير الطبري ٣٠٨/٢ وتفسير ابن كثير ٢٨٤/١.

(١٠) مفردات الراغب الأصفهاني «يتم» ٥٥٠ وتفسير ابن عطية ٤٨٥/٣.

(١١) تفسير الطبري ٢١٧/٢ وانظر تفسير القرطبي ٨٧٠ والبحر المحيط ١٦٠/٢.

(١٢) البحر المحيط ١٦٢/٢.

(١٣) البحر المحيط ١٦٣/٢.

(١٤) سورة النساء/ ٢.

(١٥) انظر مثلا تفسير ابن عطية ٤٨٦/٣ وتفسير الطبري ١٥٣/٤.

(١٦) أنظر هنا تفسير القرطبي ١٥٨٠ والبحر المحيط ١٦٠/٣.

(١٧) تفسير الطبري ١٥٤/٤ وتفسير ابن كثير ٤٤٩/١.

(١٨) تفسير القرطبي ١٥٨٠ وانظر أسباب النزول للواحدي ١٧٥.

(١٩) انظر مثلا تفسير ابن كثير ٤٥٠/١ وتفسير ابن عطية ٤٩١/٣.

(٢٠) سورة النساء/٥.

(٢١) انظر مثلا تفسير ابن كثير ٤٥٢/١.

(٢٢) سورة النساء/٦.

(٢٣) تفسير الطبري ١٧٠/٤.

(٢٤) سورة النساء/ ٩، ١٠.

(٢٥) سورة الضحى/ ٩ ـ ١١.

(٢٦) الآية/ ١٠٥.

(٢٧) الآية/ ٩٤.

(٢٨) سورة المائدة/ ١٠٠.

(٢٩) سورة البقرة ٢٦٧.

تسليم وضراعة

يا إلهي وكلّ نورك وجه
يا الهي وكل وجهك نور
وشعاع من نورك الفذّ كاف
ليبيد القتامُ والديجور
يا الهي فجُدْ عليَّ بومض
من شعاع، فالقلب قلب طهور
بيد أني وللحياة شؤون
وشجون ووسوساتُ غرور
وبنفسي، وانت سوّيت نفسي
في صميم التقوى يلوح فجور
لك أسلمت كلَّ نفسي وعقلي
واختياري وأنت برٌّ غفور
فتخيَّرْ لعبدك الحر دربا
فهو في ملتقى الدروب يدور
يبتغي الخير، والدُّنى ببنيها
ـ وهو منهم ـ تعُجُّ فيها شرور
كم تمنيتُ لو تصاولتُ عنها
وتخطيتها وهمت أصور
في السماوات في عوالم فيض
القدس، حيث السنا .. وحيث الحبور
واه من هيكلي ومحبس روحي
أنا فيه مكبَّل محجور
قاصرٌ عاثرٌ إذا كنتُ وحدي
لابد راكد أكاد أغور
فإذا كنت لي أكون سليمان



شعر المرحوم : عمر بهاء الدين الأميري
ـ جدة ـ

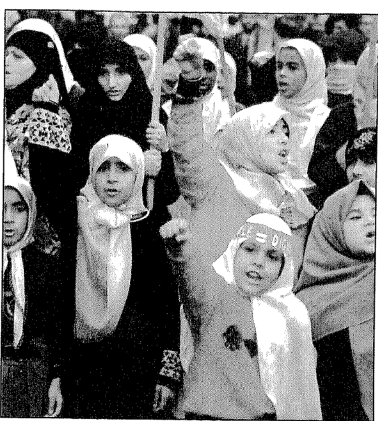
ضراعة [*]

تصــــاغ الجــــفــــان لي والقــــدور
وتصــــيـــر العــــروش قــــبل ارتداد
الطرف، في حــوزتي وتبنى القــصــور
وتكون الدهور ســــفــــرا لتــــاريخي
فـــــتــــــشــــــدو بما أقــــول الدهور
يـا الـهـي، والـكـون ضـج نـفــــــورا
من فـســاد الورى ٠٠ ومـــاذا النفــور
والطواغــيتُ تســتــبــد وتســـعى
في خـــراب ٠٠ ســعيُ الطواغـيت بور
قــد أضــرّتْ بالناس عــصــبــةُ ســوء
لا تني تســــتـــــذلهم وتجــــور
وأنا في صــفـــاد غــربة عــمــري
أحكمت حـــولى الرتاج صـــخـــور
مُعْزلٌ قــــابعٌ على البــــحــــر، ناء
وينفي من الـهـــمــــوم بحـــور
نابض «رابض» كـــفــــوهة بركــــان
وقــلـبـي يـغـلـى أسـى ويفــــــور
هـذه أمـــــــتـي٠٠ وهـــذا بـلائى
يا الـهـى ٠٠ اليك تُزجى الأمــــور
فــاصطنعنى وانفخ بعــزمى صــورا
قــبل أن يُعــجل القــيــامــة صــور
فــالنشــور المنشــود في هـذه الدنيــا
جـــهـــادٌ به يكون النـشـــــور
يا إلهي فــــجــــد وأشــــرق وأطلق
قـــــدرتي ينطق بي المقـــــدور

---

[*] هذه القــصــيــدة من روائع المرحــوم/ عمر بهــاء الدين الأمــيري الموجــودة في المنهل.

البوسنة .. وجحيم الصرب



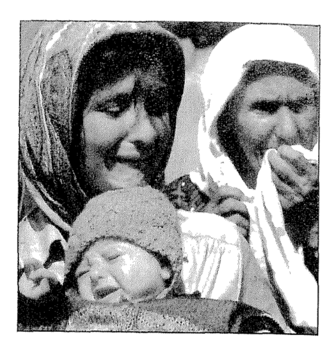
بالرغم من انتهاء العدوان على أراضى البوسنة وبالرغم من التوصل إلى اتفاق دايتون الهش الذى لازال قيد التنفيذ في مواجهة العديد من صنوف الصعوبات، وبالرغم من الجهود العالمية المبذولة لمداواة جراح البوسنيين البشانقة (وهو الاسم الذى أطلقه العرب والأتراك العثمانيين على سكان البوسنة) إلا أن ملف البوسنة مازال مفتوحا بل ويجب أن يظل مفتوحا حتى لا ننسى ما حدث وحتى يعود الحق إلى أصحابه بالشكل الذى يرضيهم ويخفف عنهم ما كابدوه وعانوه خلال الحرب التى جرت خلالها مذابح بشعة بهدف الابادة والتطهير العرقى وتدمير عشوائى للمدن والمناطق السكنية بهدف المحو الكامل، وهي أسوأ وأقذر حرب عرفها التاريخ.

وكان من العسير خلال العدوان الدنيء غير المتكافيء على أراضى البوسنة أن تجد منطقة سكنية، كبيرة أو صغيرة، لم تسلم من قذائف المدفعية طويلة اليد للصرب والكروات على حد سواء.

وفيما يتعلق بالصرب فمن المعلوم للكافة أنهم منذ بداية الأزمة اليوغسلافية أحكموا السيطرة على الجيش اليوغسلافى السابق بكل أفراده وعتاده وعدته. وليس من نافلة القول التنويه هنا إلى أن جيش يوغسلافيا السابقة كان ترتيبه من حيث كمية وقوة مختلف أنواع أسلحة المدفعية الثقيلة والمتوسطة الثالث على مستوى العالم، ولم يكن يسبقه في هذا المضمار إلا جيش كل من الصين والاتحاد السوفيتى سابقا. بينما في مجال قوة وسرعة السلاح البحرى والطيران فكان يتخلف عن عدد كبير من



بقلم: د. جمال الدين سيد محمد
- مصر -



الدول الأوروبية والعالمية.

لقد كانت أسلحة المدفعية الثقيلة بمصاحبة الأسلحة الخفيفة ونظم الاتصالات السلكية واللاسلكية المتشعبة مناسبة وضرورية بالنسبة لحرب العصابات التى قادها تيتو في الأراضى الجبلية من تلك المناطق بهدف تحريرها. كما أنه ليس من قبيل المصادفة أن رجال المدفعية كانوا على الدوام يتولون زمام القيادة لدى جميع الأطراف المشتركين في الحرب بعد تفتت يوغسلافيا السابقة.

ومن ناحية أخرى كانت هذه الكميات الضخمة من المدفعية الثقيلة ذات المدى الطويل ملائمة تمام الملائمة للمخططات الجهنمية التى خططت لها القيادة العسكرية في صربيا بالاشتراك مع بعض قيادات الكنيسة في بلغراد ومع بعض المثقفين في أكاديمية العلوم والفنون الصربية وفي المؤسسات الأخرى، وذلك لتنفيذها داخل يوغسلافيا الاتحادية سابقا بشكل مضاد لرغبة أغلبية الشعوب التى باسمها وجهدها وأموالها كان يتم تدعيم الجيش اليوغسلافي وتسليحه.

ولم يكن الأمر في حاجة إلى عمق في إعمال الذهن لكي يتضح أمام العامة والخاصة أن الجيش اليوغسلافى قد تحول إلى أداة في يد العصبة الصربية المصممة على تحقيق خططها الجهنمية.

واستخدم الجيش اليوغسلافي أسلحته الثقيلة التى كان يتم الاعتناء بها وصيانتها لفترة طويلة في أعمال اجرامية ضد تلك المدن التى تجرأ سكانها وعارضوا تنفيذ تلك الخطة البربرية الشريرة، وضد الأفراد العزل الذين لم يملكوا بالفعل أي شيء لمجابهة هذا الشر وهذا الظلم.

وبفضل هذه الأسلحة المدفعية الثقيلة نجح

الكاتب في سطور

- حصل على درجة الماجستير (عام ١٩٧٦) والدكتوراة عام ١٩٧٩ من كلية اللغات بجامعة بلغراد.
- له ترجمات من آداب شعوب الجمهوريات اليوغسلافية السابقة إلى اللغة العربية.
- له ترجمات من الأدب العربي إلى لغات الشعوب اليوغسلافية سابقا.
- من أشهر مؤلفاته: الأدب اليوغسلافي المعاصر، مقدونية بين الماضى والحاضر، البوسنة والهرسك.
- عمل مستشارا اعلاميا لمصر في بكين.
- عضو اتحاد كتاب جمهورية مصر العربية.

المعتدى في محاصرة العديد من مدن البوسنة لعدة شهور وسنوات بل ونجح في محاصرة البوسنة كلها بشكل أو بآخر. وفي هذا المضمار كان يستخدم نظاما مطورا للقضاء على المدن البوسنية وينفذه بأسلوبين. الأسلوب الأول يتمثل في غزو المدينة والسيطرة عليها ثم تخريبها وتدنيسها والثاني يتمثل في تدمير المدينة من على مسافة بعيدة أو قريبة باطلاق القذائف الحارقة عليها وتدمير أسقفها وخرق جدرانها وحرقها وتسويتها بالأرض. ويتم فيما بعد في كلا الأسلوبين طرد أغلبية السكان أو كلهم وقتلهم.

وإذا عدنا مع التاريخ إلى الوراء فسنعرف أن المدن بمعناها الحديث تواجدت في البوسنة والهرسك منذ قدوم الأتراك العثمانيين إليها في النصف الأول من القرن الخامس عشر، وقبل ذلك كانت تتواجد بالبوسنة حصون وقصور وقلاع ولكنها لم تكن تتناسب مع الوظيفة الكاملة للمدينة بمعناها الحديث. فقد قام العثمانيون بتعمير تلك المنطقة وأقيمت ونمت مدن كثيرة ذات طابع شرقى اسلامى يناسب متطلبات الدولة الاسلامية. وتميزت مثل هذه المدن بكثرة السكان، وهم في أغلبيتهم آنذاك من المسلمين مع وجود عدد من المسيحيين واليهود. واتسمت المدن بعمائرها الاسلامية الرائعة وأسواقها الشعبية الكبيرة التى تكتظ وتزدهر فيها ألوان التجارة ومختلف الحرف، وبوجه عام حدثت تغيرات هائلة في جميع جوانب الحياة.

وحينما يجري الحديث عن آثار الفن الاسلامي الموجودة على أرض البوسنة والهرسك فانها تفرض نفسها بشكل تلقائي الآثار المعمارية الضخمة التى بلغت في هذا المجال من نشاط البشر أقصى حد للجمال والروعة. وتشهد على





هذا النشاط الهائل مجموعة كبيرة من المساجد والمدارس الاسلامية والمكتبات والتكيات والخانات والحمامات العمومية والفسقيات وأبراج الساعات وغيرها من الآثار الاسلامية التى جرى تشييدها خلال تلك الحقبة من الحكم العثمانى لهذه المنطقة الممتدة لما يقرب من الخمسة قرون.

وفي العدوان الأخير على أراضى البوسنة والهرسك كان المعتدون يتباهون ويفتخرون باعمالهم الاجرامية البربرية ضد المدن وبتصرفاتهم الدنيئة تجاه شعبها الأعزل، وبالاضافة إلى الكراهية الدفينة التى يحملونها تجاه البشانقة والبوسنة والهرسك والاسلام والمسلمين فقد كانوا يكنون أيضا كراهية بربرية ضد المدنية باعتبارها مؤسسة حضارية معاصرة ورمزا للمدنية الحديثة التى يبغضونها ويبغضون كل ما تحمله في طياتها من خير للبشرية.

ولقد أصيب أغلب الناس في العالم بالأسى والحزن الشديد وهم يشاهدون مَا جرى لعاصمة البوسنة سرايفو «سراى البوسنة» التى قيل عنها أنها عاصمة الاسلام وحصنه في قلب أوروبا وتتضوع معظم ضواحيها وأحيائها بعبير الشرق والاسلام. ولم تعد الآن مدينة سرايفو كما كانت من قبل. وتم بمنتهى البربرية الاعتداء على عذريتها وفقدت بريقها وضياءها وتحولت إلى مدينة أشباح وإلى حطام كئيب وإلى بقايا وأشلاء مبعثرة نتيجة لما تعرضت له من قصف مدفعى مكثف متواصل ومن موجات لا تنتهى من الصواريخ. وتم بقدر كبير من الغدر والخيانة تدنيس أروع مساجدها وتحطيم أجمل مناطقها الأثرية.. ذلك التراث الاسلامى الذى استطاع من قبل أن يصمد في وجه النازية والفاشية والشيوعية. وخيم الدمار على المدينة الجميلة ولطخ صورة «سراي البوسنة» وواجه





ومن العجب العجاب أن اكثر ما كان يكرهه المعتدون في مدن البوسنة والهرسك هو آثارها الاسلامية المتنوعة علاوة على كل ما يمت للثقافة والحضارة الحديثة والتقدم بصلة، وكل خيوط روح المجتمع البشري التى تتناقض مع أسلوب حكم الغاب وأفكار رعاة الماشية وأصحاب الاساطير الغريبة التى عفا عليها الزمن.

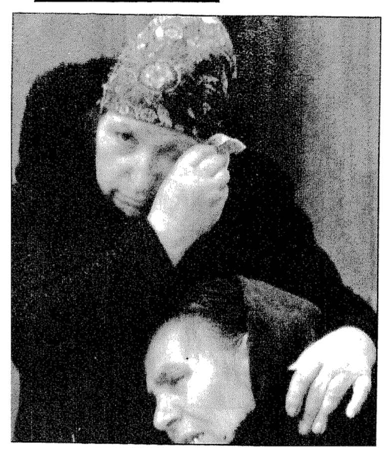


ومن عجائب القدر أيضا أن أراضى البشانقة تعرضت لفترة طويلة للاستيلاء من جانب الغير. إذ أنه تحت مبرر إقامة توازن في ملكية الأرض بين مختلف قطاعات السكان انتهجت السلطات النمساوية الهنغارية وخاصة السلطات اليوغسلافية الملكية والشيوعية منذ نهاية القرن الماضى وطوال القرن الحالى سياسة منظمة لسلب أراضى البشانقة وممتلكاتهم تحت مختلف أنواع المسميات: الاصلاح الزراعى، المصادرة، التأميم، نزع الملكية. وهو أمر يستحق دراسة خاصة.

وكان هناك اتجاه واضح طوال تلك الحقب الماضية بانه لابد من حرمان أولئك البشانقة الذين لم تفلح السلطات في طردهم إلى تركيا أو إلى غيرها من البلدان أو في إبادتهم - من أرضهم وسد أبواب الرزق والعمل في وجوههم. وتحوى كتب التاريخ ووقائعه كما هائلا من المعلومات

سكانها العزل أعنف صور الهمجية والوحشية وجابهوا أعتى حرب إبادة عرفها التاريخ وعرضت وسائل الاعلام المرئية مشاهدها الفظيعة القاسية.

ولم يكن هناك من هدف من وراء حصار سرايفو، بل والبوسنة كلها، وتجويع أهلها وتدمير آثارها الاسلامية سوى التخلص نهائيا من الوجود الاسلامى ومن المسلمين في وسط أوروبا، هؤلاء المسلمون الذين لا ذنب لهم سوى أن القدر كتب عليهم أن يعيشوا في هذه البقعة من أوروبا وأن يجعلوا من البوسنة كلها بوتقة للسلام والتسامح بين القوميات والديانات السماوية الثلاث، ونهرا يتدفق من التراحم والتكافل يشمل الأغلبية المسلمة مع شركائهم في الوطن من صرب أرثوذكس وكروات كاثوليك ويهود.



الخاصة بهذا الموضوع وبامثلة عليه.

وكأن التاريخ فى الوقت الحالى يعيد نفسه - ويا ليته ما أعاد نفسه - لكي يذكرنا بأن هؤلاء المسلمين يعيشون في جحيم شبه متواصل منذ ما يقرب من قرن ونصف القرن، ولم يذوقوا خلال الحقب الماضية سوى المذلة والمهانة ولم يهنأوا بأي طعم للحياة رغم أنهم يعيشون في قلب أوروبا المتحضرة.

وبنظرة عاجلة إلى خريطة البوسنة والهرسك وفقا لاتفاق دايتون الذى أغفل المخاطر الكامنة التى تهدد البشانقة في ديارهم سنجد أن المعتدين قد أفلحوا في الاحتفاظ باجزاء كبيرة من المناطق والمدن التى استولوا عليها بالعدوان الغاشم وبالاساليب الغادرة. بل سنجد أيضا أن عددا كبيرا من المدن المتحررة يحد مدن المعتدين، أي أنه معرض باستمرار لوابل جديد من قذائف المدفعية المعتدية ومضطر إلى الحذر المستمر تحسبا للعدوان بكل أشكاله.

والحذر المستمر ضرورى وحتمى لأن العدوان الغاشم الذى تعرضت له البوسنة من جانب البرابرة والنازيين الجدد ليس له سوى هدف واحد وهو إبادة البشانقة واستعباد أكبر عدد منهم وعلى امتداد أكبر مساحة من الأراضى. وعلاوة على التدمير العمرانى الذى تعرضت له البوسنة والهرسك فقد وقع أيضا تدمير موسع للبيئة وللثقافة. وكان هناك تركيز على تدمير العمران والثقافة باعتبارهما جزء لا يتجزأ من سياسة إبادة البشانقة وطمس كل ما يتصل بهويتهم الاسلامية وذلك عن طريق تدمير المساجد والمكتبات والآثار الاسلامية الغزيرة المتنوعة.

إن عدم اغلاق ملف البوسنة وشعبها والاصرار على استمرار فتحه وبحثه والحديث عن ظاهره وباطنه راجع إلى رغبة حقيقية في التعرف على وقائع وتفاصيل أبشع جريمة عرفها التاريخ المعاصر، وراجع إلى السعي الجاد في انقاذ الملف من الضياع في خضم الأحداث السياسية العالمية المتلاحقة والمسكنات الموضعية والحلول المؤقتة غير الناجعه.

وليس لنا من رجاء في الختام إلا أن تنجلي الغمة عن البوسنة والهرسك وعن أهلها وتتبدد تلك السحب السوداء التى لطخت سماءها، وأن تعود كما كانت وكما نتمنى لها ان تكون منطقة للإخاء والوئام ورمزاً للحب والسلام.

شياطين الشعراء

لا يذكر الشعر والشعراء، إلا ويتبادر الى ذهن المرء ما يعرف بشياطين الشعراء، الذين يلهمونهم قول الشعر، فهل لهذا الزعم أو القول أصل، أم انه من الخيالات والمبالغات التى يلجأ اليها الناس[١].

«ويقال إن الشاعر سُمي شاعرا، لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره من الناس». كانت العرب تقول عن الشعر إنه: رُقَى الشيطان، كقول جرير:

رأيت رُقَى الشيطان لا تستفزه
وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وقال آخر:

ماذا يظن بسلمى إذ يلم بها
مرجل الرأس نو بردين وضاح
فزعماً منه حلو فكاهته
فى كفه من رقى الشيطان مفتاح

كما كانوا - أي العرب - يسمون الشعر، نفث الشيطان، فكان للاعشى مثلا شيطان اسمه مسحل، ولبشار بن برد شيطان يسمى: سنقناق، جاء رجل من بنى تميم الى الشاعر: الفرزدق وانشد بيتا من الشعر:

ومنهم عمر المحمود نائله
كأنما رأسه طين الخواتيم

فضحك الفرزدق وقال له: يا اخي، إن للشعر شيطانين احدهما يقال له الهوبر، والآخر يقال له: الهوجل، فمن انفرد به الأول جاد شعره، وصح كلامه، ومن انفرد به الثاني، ساء شعره، وفسد كلامه، فكأن الهوبر، كان معك، في اول البيت فاجدت، وخالطك الهوجل في آخره فافسدت[٢].

وقيل إن للشاعر الفرزدق شيطاناً، حسبما يستدل ذلك من هذا البيت:

لقد كان جنى الفرزدق قدوة
ولا كان فينا مثل فحل المخبل
ولا فى الشوافي مثل عمر وشيخه
ولا بعد عمر شاعر مثل مسحل

كما كان العرب تطلق على الشعراء اسم: كلاب الجن ويستشهدون بذلك على قول الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم في معلقته[٣]

وانزلنا البيوت بذي طلوح
الى الشامات ننفي الموعدينا
وقد هرت كلاب الجن منا
وشذ بنا قتادة من يلينا

بقلم: د. عبدالعزيز الخطابي
- المغرب -

وفي هذا السياق يقول حسان بن ثابت:

إذا مــــا ترعـــرع منا الغــــلام

فــــمــــا أن يقــــال من هو

إذا لم يســـد قـــبل شـــد الازار

فـــذلك فـــينا الذي لا هـو

ولي صـــاحب من بنى الشـــيطان

فـطـورا أقــــــــول وطـورا هــو

وقال الشاعر: الاعشى عن تابعه، أو شيطانه مسحل:

دعـوت خليلي مـسـحـلا ودعـوا له

جـــهنام جـــدعـــا للهــجين المذمم

وافتخر أحد الشعراء بأن شيطانه ذكر فقال:

إنى وإن كنت صـــغـــيـــر السن

وكـــــان فـي العـين نبـــــوغـى

فـــإن شـــيطاني امـــيـــر الجن

يذهـب بي في الشـــعـــر كل فن

وقال آخر:

إنى وكل شـــاعـــر من البـــشـــر

شـــيطانه أنثى وشـــيطاني ذكـــر

ويروى أن اعرابيا كان سائرا يطلب بعيرا له، فلقي شـيـخـا عـرف فـيـمـا بعـد انه من الجن - فتسـامرا، فقال الرجل: اتروي شيئا من اشعار العرب؟ فقال له نعم، أروي واقول قولا فائقا. فقال له: أنشدني من قولك ما أحببت، فأنشد يقول:

طاف الخـــيـــال علينا ليلة الوادي

من آل سلمى ولم يُلْمِمْ بميـــعـــاد

إني اهـتـــديت الى من طال ليلهم

في ســبـسب ذات دكـداك واعـقـاد

الى آخر القصيدة، فقال له: حبك هذا للشاعر عبيد بن الابرص - فقال: ومن عبيد لولا هبيد؟ فقال له: ومن هبيد؟ فأنشأ يقول:

أنا ابن الصـــلادم ادعى الهــبـــيـــد

حـــبـــوت القـــوافي قـــرمى اســـد

عـــبـــيـــدا حـــبـــوت بمأثره

وانطقت بشـــرا على غـــيـــر كـــد

ولافـــي بمـــدرك رهـــط الـــكـــمـــي

مـــلاذا عـــزيزا ومـــجـــدا وجـــد

فقال له: اما عن نفسك فقد اخبرتني، فاخبرني عن مـدرك، فـقـال: هو مـدرك بن واغـم، صـاحـب الكميت، حدث بعضهم فقال: بينما انا اسير في طريقى ببلتعة من الارض لا انبس بها إذ رفعت لي نار، فاندفعت اليها، وإذا بشيخ كبير بفنائها ومعه صبية صغار فلما سلمت، انخت راحلتى أنسا به تلك السـاعة فـقلت: هل من مـبيت؟ قـال: نعم على الرحب والسـعـة، ثم القى طنفسـة رحل فـجلست عليها ثم قال متسائلا: فمن الرجل:

فقلت: حميري شامي

قال: نعم اهل الشرف القديم.

ثم تحدثنا طويلا الى أن قلت: أتروي شيئا من اشعار العرب؟.

قال: نعم سل عن أيها شئت

قلت: فأنشدني للنابغة.

قال: أتحب أن انشدك من شعري أنا.

فقلت: نعم.

فـأنشـدني قـول امـريء القـيس في مـعلقـتـه الشهيرة:

قـفـا نبك من ذكـرى حـبـيب ومنزل
بسـقط اللوى بين الدخـول فـحـومل

فلما فرغ قلت له: حتى معلقة امريء القيس.

فقال: انا والله منحته ما اعجبك منه.

فقلت له: فما اسمك؟

قال: لافظ بن لاحظ

فقلت: اسمـان منكران، فعرفت بعدئذ انه من الجن

ثم سألته: من أشعر العرب؟

فأنشأ يقول:

ذهب ابن حـجـر بالقـريض وقـوله
ولقـد أجـاد، فـمـا يعـاب زياد
لله هـاذر إذ يجـود بقـولـه
ان ابن مـاهر بعـدها لجـواد

فقلت متعجبا: ومن هاذر؟

قال: صاحب زياد الذبياني، وهو أشعر الجن ثم اندفع ينشد للنابغة وعبيد ثم أنشد للاعشى.

فقلت له: حسبك، لقد سمعت بهذا الشعر منذ زمن طويل.

فقال للاعشى،

قلت: نعم

قال: انا صاحبه

فقلت: ما اسمك؟

فقلت: مسحل السكران بن جندل

فنمت ليلةً اللهُ بها عليم، ولما اسفر لي الصبح مضيت لشأني وتركته.

تذكر بعض الروايات أن الاعشى (ميمون بن قيس) كان قد خرج فى سفر له، قاصدا قيس بن معد يكرب، بحضرموت باليمن، فبينما هو في مسيره إذ ضل الطريق فالتجأ الى خباء، وقعت عليه عينه فوجد رجلا جالسا في ركن الخباء فما أن رآه حتى قال له: ما شأنك؟ فقلت له أنا الاعشى، اقصد قيس بن معديكرب. فقال: حياك الله اظنك مدحته بشعر. ثم اندفع ينشد:

رحلت سـمـيـة غـدوة احـمـالهـا
غـضـبـا عليكم فـمـا تقـول بدالهـا

فقلت: حسبك، أهذه لك؟

قال: نعم

فقلت: ومن سمية التى تنسب بها؟

فينادى الرجل: يا سمية اخرجي

وإذ بجارية خماسية قد خرجت فقالت: ماذا تريد يا ابتي؟!!

قال: انشدى عمك قصيدتي التي امتدحت بها قيس بن معد ونسبت بك في اولها فأنشدتها، وأتت على آخرها. ثم ألتفت إلى الأعشى، وقال له: هل

قلت شيئا غير ذاك؟

قال: نعم قصيدة، هجوت بها ابن عم لي، يقال له يزيد بن سهر:

ودع هريرة إن الركب مــــرتحل
وهل تطيق وداعــا أيهــا الرجل

فقال مشيرا بيده: حسبك، من هريرة هذه؟

قال الاعشى: لا اعرفها وانما هو اسم القي في روعي كسابقتها. فنادى الرجل يا هريرة؟!

فإذا بجارية قريبة السن من الاولى، قال لها: انشدي عمك قصيدتي التي هجوت بها ابا ثابت بن سهر، فأنشدتها، لم تنقص منها حرفا.

وهنا يحتار الأعشى وتغشاه رعدة، ويرى الشيخ ما نزل به فيقول له: ليفرج روعك، يا ابا بصير، انا هاجسك: مسحل الذى يلقى على لسانك الشعر فتسكن نفس الاعشى ثم يقوم فيدله على الطريق فيمضي في سبيله.

ويروى أن سواد بن قارب كان قد وفد على عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فسلم عليه

فرد عليه السلام فقال عمر: يا سواد

قــال: لبـيك يا أمــير المؤمنين

قــال: مــا بقى من كــهـانتك

فبان فى وجهه الغضب وشدة الغيظ ثم قال: يا امير المؤمنين ما اظنك قد استقبلت غيرى بمثل هذا الكلام، فلما رأى عمر الكراهية في وجهه قال: يا سواد، إن الذى كنا عليه من عبادة الاوثان لهو اعظم من الكهانة فحدثنى بحديث كنت اشتهى أن اسمعه منك.

قال: نعم يا امير المؤمنين.

بينما أنا أسرح بإبلي وكان لى نجى من الجن إذ أتانى في ليلة وأنا كالنائم فدفعنى برجله ثم قال: يا سواد، قد ظهر بتهامة نبي يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم ثم قال:

عــجــيب للجن وتبكارها
وشــدها العــيس بأكــوارها
تهــوى الى مكة تبــغى الهــوى
مــا مــؤمنو الجن ككفــارها
فــارحل الى الصــفــوة من هاشم
بين روابيــهــا وأحــجــارها

ولما كان في الليلة الثانية أتاني قائلا:

عــجــبت للجن وتطرابهــا
ورحلهــا العــيس بأقتابهــا
تهــوى الى مكة تبــغى الهــوى
مــا مــؤمنو الجن ككذابهــا
فــارحل الى الصــفــوة من هاشم
ليس قــدامــهــا كــأذنابهــا

ثم أتاني في الليلة الثالثة فقال:

عــجـبت للجن وأبحــاســهـا
وشــدها العــيس بأحــلامــهــا
تهــوى الى مكة تبــغى الهــوى
مــا مــؤمنو الجن كــأرجــاســهــا

فـأرحل الى الصـفـوة من هـاشـم
واسم بـعـيـنيك الى رأسـهـا

فلما كان الصباح، شددت على ناقتى، وأتيت إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فأسلمت بين يديه وبايعته ثم أنشدته:

أتـانى نجى بـعـد هـدء ورقـدة
ولم يك فـيـمـا عـهـدت بكاذب
ثلاث ليـال، قـوله كـان ليلة
أتـاك رسـول من لـؤى بن غـالب
فـأشـهـد أن الله لا رب غـيـره
وأنك مـأمـون على كل غـائب
وانك ادنى المرسلين وسـيـلة
الى الله يا ابن الاكـرمـين الاطايب
فـمـرنى بما احـبـبت يا خـيـر مـرسل
وإن كـان فـيـمـا قلت شـيب الذوائب
وكن لي شـفـيـعـا يوم لا ذو شـفـاعـة
سـواك بمغن عن سـواد بن قـارب[٤]

واظن فـيـمـا طرحناه، آنفـا حـول مـا يـعـرف: شياطين الشعراء سواء في العصر الجاهلى أو في العصر الاسلامي فيه الكفاية ومن اراد المزيد عن هذا الموضوع فليرجع الى كتب الادب والتراث العربى - والله اعلم - وما دمنا بصدد الحديث عن الشعر والشعراء فانه يتعين علينا استعراض موقف النبي {صلى الله عليه وسلم} من الشعر والشعراء قال النبي {صلى الله عليه وسلم} إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا.

أتى حـسـان بن ثابت الى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال له يارسول الله إن أبا سفيان بن الحارث قد هجاك، وساعده في ذلك نوفل بن الحارث، ونفر من كفار قريش، افتأذن لي بان اهجوهم يا رسول الله؟ فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} فكيف تصنع بي؟

قـال: أسلك منهم كـمـا تسل الشـعـرة من العجين.

فقال له: أهجمهم وروح القدس معك، واستعن بأبى بكر الصديق فإنه علامة قريش بأنساب العرب.

فقال حسان يهجو نوفل بن الحارث:

وإن ولادة المجـد من آل هـاشـم
بنو بنت مـخـزوم ووالدك العـبـد
ومـا ولدت ابـنـاء زهـرة مـنـهـم
ضـمـيـمـا ولم يلحق عـجـائزك المجد
فـانت لئـيـم نيط في آل هـاشـم
كـمـا نيط خلف الراكب القـدح الفـرد

ويذكر أن الشاعر: نابغة بني جعدة لما أنشد النبي: {صلى الله عليه وسلم} هذا البيت:[٦]

بلغنا السـمـا مـجـدا وجـودا وسـؤددا
وإنا لنرجـو فـوق ذلك مظهـرا

فـقـال النبي: صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى؟

فقال: إلى الجنة بك يارسول الله

قال: نعم إن شاء الله

فلما أنشده:

ولا خـيـــر في حلم إذا لم يكن له
بوادر تحــمـي صـفــوه أن يكدر
ولا خـيـر في جـهل إذا لم يكن له
حليم إذا مـا أورد الامــر اصـدر

فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} لا فض الله فاك!!

ولذلك فإن بن جعدة يزعمون انه كان اذا سقطت له سن نبتت مكانها اخرى وغيرهم يزعم أن هذا الشاعر قد عاش ثلاثمائة عام ولم تسقط له سن حتى مات.

وكان النبى {صلى الله عليه وسلم} يعجب بشعر الخنساء ويستنشدها وهو يومىء اليها بيده: هيه يا خناس[٧].

لما قدم عدي بن حاتم على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال له مفاخرا: يارسول الله إن فينا اشعر الناس واسخى الناس وافرس الناس.

فقال رسول الله: سَمِّهم

فقال عدي: أما أشعر الناس فهو امرؤ القيس وأما أسخى الناس فحاتم بن سعد يعني أباه وأما أفرس الناس فعمرو بن معد يكرب.

فقال الرسول {صلى الله عليه وسلم} ليس الامر كما قلت يا عدي أما أشعر الناس فالخنساء بنت عمرو، وأما اسخى الناس محمد يعني نفسه {صلى الله عليه وسلم} وأما أفرس الناس فعلي بن أبى طالب[٨].

ونختم هذا المقال بما قرره القرآن الكريم في شأن النبى {صلى الله عليه وسلم} حيث قال الحق تبارك وتعالى {**وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين**} (سورة ياسين/ ٦٩).

اما عن الشعراء فقد قال {**والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**} سورة الشعراء. ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

الهوامش:

(١) العمدة لابن رشيق دار الجيل، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٦١.

(٢) قول على قول: حسن الكرمي الجزء الثامن ص ٩ وما بعدها ـ دار لبنان، للطباعة والنشر الطبعة الثالثة ١٩٨٥.

(٣) ديوان عمرو بن كلثوم: دار الكتاب العربي، تحقيق الدكتور أمل بديع يعقوب ـ الطبعة الاولى سنة ١٩٩١.

(٤) جمهرة أشعار العرب: لابى زيد القريشى ـ دار بيروت للطباعة ١٩٧٨.

(٥) في طريق الميثولوجيا، عند العرب محمود سليم الحوت ص ٢٧٩ وما بعدها.

(٦) هو عبد الله بن قيس الجعدي.

(٧) الخنساء: هي تماضر بنت عمرو الشريد السلمى.

(٨) مجلة بنات حواء، لندن، السنة السادسة العدد ٧٠ لسنة ١٩٩٤.

(٩) رسالة الغفران: لابى العلاء المعري ـ دار صادر ١٩٦٣.

لامية العرب توثيق ودراسة

تتبوأ لامية العرب في تاريخ الشعر العربى منزلة تزاحم المعلقات، فهي من حيث الشهرة وعناية العلماء بها ترتفع إلى ما ارتفعت إليه قصيدة «بانت سعاد» غير أنها لم تعتد في شهرتها مركزا دينياً كقصيدة كعب، بل بلغت ما بلغته بفضل ما فيها من جودة الشاعرية وطرافة المشاهد المصورة، ووفرة المادة اللغوية التى أغرت العلماء بشرحها وإعرابها.

ولا تعرف قصيدة أخرى في الشعر العربى كله تنافس لامية العرب في موضوعها بالذات وفي مقدرتها على تصوير لون من الحياة العربية هي حياة الصعلكة، وعلى التعبير عن حياة طائفة من المجتمع هى طائفة الصعاليك التى كانت البيئة الصحراوية ميدانا لنشاطهم، ومركزا ومنطلقا لغاراتهم، بما تشتمل عليه هذه البيئة من خصائص في طبيعتها وفي حيواناتها وفي مناخها وقد صيغ ذلك كله في ثوب شعري واضح الجودة، بل واضح التميز والتفرد[١].

ومن أجل ذلك تناولها عدة من علماء العرب القدامى بالشرح كالمبرد أو ثعلب والزمخشرى والعكبرى والتبريزى، وفتن بها المستشرقون أيما فتنة، فترجمت إلى الإنكليزية والفرنسية والايطالية والألمانية[٢] والبولندية[٣] وتنم أقوالهم فيها عن إعجاب بالغ، فقال عنها ردهاوس:«إنها أتم دراما أستطيع تذكرها»[٤] وقال عنها كرنكو: «هى من أجمل آيات الشعر العربي»[٥].

وقد ظلت اللامية منذ الجاهلية حتى عصرنا الحاضر مشهورة بأنها للشنفرى، وقد تناولها عدة من أجلة العلماء بالشرح والاعراب، ولم يبدوا أي شك أو إشارة إلى أنها نسبت إلى أحد من الشعراء غير الشنفرى[٦]، عدا آراء ليست بذات أهمية كالزبيدي الذى نسبها خطأ إلى تأبط شرا[٧]، وأبي رياش القيسي الذى عدها من الشوارد

نثبت هنا بعض أبيات من لامية العرب:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم
فاني إلى قوم سواكم لأميل
فقد حمت الحاجات والليل مقمر
وشدت لطيات مطايا وارحلُ
وفي الارض منأى للكريم عن الاذى
وفيها لمن خافَ القلى متعزلُ
لعمرك ما بالارض ضيق على فتى
سرى راغب أو راهب وهو يعقلُ
ولي دونكم أهلون سيد عملس
وارقط زهلول وعرفاء جيألُ
هم الأهل لا مستودع السر ذائع
لديهم ولا الجاني بما جرّ يخذلُ
وكل أبي باسل غير انني
اذا عرضت اولى الطرائد ابسلُ
وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم اكن
باعجلهم اذ اجشع القوم اعجل
وما ذاك الا بسطة من تفضل
عليهم وكان الافضل المتفضل

بقلم : أحمد محمد على عبيد
- الامارات العربية المتحدة -

التى لا يعرف صاحبها[٨]، وتبعه في ذلك المستشرق جابريللى الذى ذهب إلى أن ناظمها شخص آخر غير الشنفري لم يصل الينا اسمه[٩].

غير أن هذه الآراء لم تلق رواجاً، وظل الباحثون على نسبة هذه اللامية للشنفرى حتى فجّر هذه القضية المستشرق «كرنكو»[١٠]، والدكتور يوسف خليف[١١] اللذان ذهبا إلى أن هذه القصيدة ليست للشنفرى، بل هى من الشعر المنحول عليه، واعتمدا في ذلك على أدلة تاريخية وفنية، وانطلق هذان الباحثان من نص رواه القالي في أماليه قال فيه «حدثنى أبو بكر بن دريد أن القصيدة المنسوبة الى الشنفرى التى أولها:

أقيموا بني صدور مطيكم
فإني إلى قوم سواكم لأميل

لخلف الأحمر، وهى من المقدمات في الحسن والفصاحة والطول[١٢] وهو نص له قيمته ـ كما يذكر كرنكو ـ لأن ابن دريد كان قريب عهد بخلف، فأكثر أخباره مروية عن تلاميذ الأصمعي عن خلف، ثم إنه كان على صلة بأعمال المدرسة البصرية التى ينتمى اليها خلف[١٣] وقد تمسك هذان الباحثان بأن هذه القصيدة نحلها خلف الأحمر على الشنفرى، لأنه لم يرد لها ذكر قبل ذلك، فرأى كرنكو أن العلماء الأولين لم يكن لهم علم بهذه القصيدة فابن قتيبة لم يذكرها في كتابه عن الشعر والشعراء، كما لا توجد أية إشارة إليها في الأخبار الطويلة الواردة عن هذا الشاعر في كتاب الأغاني[١٤].

ورأى د. يوسف خليف أن لسان العرب على كثرة ما نقل من شعر الصعاليك لم ير فيه أي ذكر لها، ولا أي بيت منها، ومن ثم فإن كفة الشك في نسبتها إلى الشنفرى ترجح[١٥].

هذه هي الأدلة التاريخية التى اعتمدها الباحثان، أما الأدلة الفنية فمنها أن هذه اللامية طويلة طولا ليس مألوفا في شعر الصعاليك.. فهى تبلغ ثمانية وستين بيتا في حين لا تزيد أطول قصيدة فى «ديوان

الشنفرى ت (٧٠ ق هـ = ٥٢٥م)

عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان، شاعر جاهلي، يماني، من فحول الطبقة الثانية. كان من فتاك العرب وعدّائيهم، وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم. قتله بنو سلامان. وقيست قفزاته ليلة مقتله، فكانت الواحدة منها قريباً من عشرين خطوة. وفي الأمثال: «أعدى من الشنفرى» وهو صاحب «لامية العرب» التي مطلعها:

«أقيموا بني أمي صدور مطيكم
فإني إلى قوم سواكم لأميل»

شرحها الزمخشري في «أعجب العجب» المطبوع مع شرح آخر منسوب إلى المبرِّد، ويظن أنه لأحد تلاميذ ثعلب.

الصعاليك» وهى تائية الشنفرى على خمسة وثلاثين بيتا في بعض المصادر، كما يقل الاضطراب في رواية ألفاظ القصيدة وفي ترتيب أبياتها، وهى ظاهرة ليست مألوفة في شعر الصعاليك[١٦].

كما لاحظ كرنكو الافتقار الشديد إلى أسماء المواضع وأسماء الأعلام في القصيدة، وهو أمر غير مألوف في القصيدة القديمة، ومن ثم فإنه يثير الشك، لأن القصيدة التى بين أيدينا ليست قطعة وإنما هى قصيدة كاملة متجانسة[١٧].

هذه هي الأدلة التى ساقها كرنكو والدكتور/ يوسف خليف حول نحل خلف الأحمر لامية العرب على الشنفرى، لكن هذه الأدلة يمكن مناقشتها والرد عليها، صحيح أن خلف الأحمر كان يقول الشعر فيجيد وربما قال الشعر فنحله الشعراء المتقدمين فلا يتميز من شعرهم لمشاكلة كلامه كلامهم[١٨] كأبى دؤاد والشنفرى وتأبط شراً ومن لا شهرة له من الشعراء[١٩] لكن القصائد التى وضعها خلف الأحمر

ـ كما يقول جورج يعقوب ـ تحتفظ دائما بعمود الشعر القديم وطابعه، أما في لامية الشنفرى فيواجهنا مذهب شعرى مستقل، فعلى حين يجعل الشاعر الجاهلى وصف الطبيعة من الجبال والفيافي وغيرها غرضا مقصودا لذاته، يتخذ شاعر اللامية هذا الوصف بمثابة منظر أساسي بهيج لتصوير الانسان نفسه وأعماله[٢٠].

وإن أول ما يدعو إلى الملاحظة أن هذه الرواية نفسها تصرح بأن ابن دريد والقالي كليهما يعرف أن هذه اللامية منسوبة إلى الشنفرى، وأن هذه النسبة هى الأصل، وأن الشيء الطاريء هو محاولة انتزاعها من الشنفرى ونسبتها إلى خلف[٢١].

فالقالى لم يعقب على قول ابن دريد هذا، وإنما ساق رأيا سمعه دون أن يعتقد به، صحيح أنه نص له قيمته ـ كما قال كرنكو ـ لأن ابن دريد قريب عهد بخلف، وأكثر أخباره مروية عن تلاميذ الأصمعى عن خلف، ثم إنه كان على صلة بالمدرسة البصرية التى ينتمى اليها خلف[٢٢] إلا أن هناك فجوة في السند بين ابن دريد وخلف، إذ لم يذكر ابن دريد أين استقى هذا القول، رغم اهتمام القالى بالسند، إذ أن قولا كهذا يتعلق بإحدى أشهر قصائد الشعر القديم، وهذه الفجوة في السند يجعلنا ننظر إلى الخبر بعين الشك، فالقالي في خبر سابق لهذا النص يتصل بخلف الأحمر يذكر السند متصلا إذ يقول «حدثنا أبو عبد الله أحمد البصرى المقدمى فقال: حدثنا الرياشى قال: حدثنا محمد بن عبد الوهاب الثقفى قال: دخلنا على خلف الأحمر نعوده في مرضه الذى مات فيه»[٢٣].

ومن ثم فإن ملابسات هذا الموقف تحملنا على أن نتصور أن القالي وقع في شيء من اللبس فيما بينه وبين نفسه عند نقله هذه الرواية، فأغلب الظن أن ابن دريد لم يقل هذا المعنى بهذه الصورة، وإنما قال كلاما مضمونه أنه سمع من يزعم أن لامية الشنفرى من صنع خلف الأحمر، فهو مجرد ناقل لزعم أو ادعاء، لكن القالى حين دونها التبس عليه الأمر أو طال عهد ذاكرته بالحديث فنسى، وظن أنه رأي لابن دريد، ونقله على أنه زعم وادعاء[٢٤]، كما أن القالى نفسه روى هذه القصيدة للشنفرى دون أن يذكر انتحالها[٢٥]، بالإضافة إلى أن لابن دريد نفسه شرحا على لامية العرب[٢٦]، ومن غير المعقول أن يشرح ابن دريد قصيدة يعتقد بانتحالها، وأنها ليست من شعر الجاهلية في شيء.

كما أن ابن طيفور ـ أحد علماء القرن الثالث الهجرى ـ والذى لا يفصل ولادته عن وفاة خلف إلا ربع قرن[٢٧]. قد اختار قصيدة لخلف الأحمر في كتابه «المنثور المنظوم»[٢٨]، واختار لامية العرب أيضا[٢٩] ونسبها للشنفرى مما يوحي بأنه على معرفة تامة بشعر خلف إذ اختار له قصيدة، ولو كان ابن طيفور على علم بانتحال خلف للامية لأشار إلى ذلك لقرب عهده بخلف أكثر من ابن دريد.

أما عن الأصفهانى فإنه سيطرت عليه في كتابه نزعتان، إحداهما جعلها عنوانا للكتاب، وتحدث عنها في مقدمته، وهي الحديث عن أصوات الغناء وما يتغنى به في الشعر، حيث جعل ذلك هدفا وما سواه فتبع واستطراد، والأخرى ولوعه بغريب الأحاديث وطريف الاخبار والأحداث، ولم تكن اللامية من هذا ولا ذاك، فلم يجد ما يدعوه إلى الحديث عنها، فضلا عن أنه لم يلتزم قط حين يتحدث عن شاعر أن يورد كل شعره، أو حتى يعدد قصائده، فلم يكن عليه بأس حين تحدث عن الشنفرى أن يذكر بعض شعره دون البعض الآخر، فليس في هذا دليل ولا ترجيح، والشبهة الوحيدة التى يمكن أن تثار حول إغفال الأصفهانى للامية أنها لم تكن موجودة حتى زمن الأصفهانى، وإنما اخترعت بعده ونسبت إلى خلف الأحمر لغرض من الاغراض، ولكن هذه الشبهة لا محل لها، لأن السابقين للأصفهانى تحدثوا عن اللامية، والمعاصرين له تحدثوا عنها[٣٠].

وفي ترجمة الأصفهاني للشنفرى لم يورد أبو الفرج قصائد للشنفرى أوردها في ترجمة تأبط شرا[٣١]، لأن مناسبتها ارتبطت بصعاليك آخرين غير الشنفرى كتأبط شرا وبعض صعاليكهم، أما بالنسبة لكتاب الشعر والشعراء فقد سقطت منه ترجمة الشنفرى ولعل في ذلك بعض الغرابة لأن ابن قتيبة حشد في كتابه الكثير من شعراء الجاهلية والاسلام والمحدثين من المشهورين، منهم طائفة من صعاليك الجاهلية.

أما من إغفال لسان العرب الاستشهاد باللامية فهل استقصى صاحب هذا القول لسان العرب كله؟ وعلى فرض أن اللسان خلا من الاستشهاد باللامية فليس في هذا دليل ولا ترجيح، لأن صاحب اللسان لم يقل انه قصر استشهاده على شعر الصعاليك حتى نحاسبه على خلو شواهده من أبيات اللامية[٣٢]، بل لو أمعن صاحب القول البحث في اللسان لوجده قد استشهد بأبيات من لامية العرب في أربعة مواضع[٣٣]، ومن ثم يبطل هذا الادعاء الذى لا دليل له.

كما أن ورود اللامية في العديد من مؤلفات القدماء واهتمامهم بها يزيد من توثيقها، فمنهم من شرحها، ومنهم من استشهد بأبيات منها، ومنهم من ضمنها اختياراته، فممن شرحها المبرد أو ثعلب والتبريزى والزمخشري والعكبري[٣٤]، وممن استشهد بأبيات منها أبو هلال العسكرى[٣٥]، والشريف المرتضى[٣٦]، وابن فارس[٣٧] وأبو على الفارسي وابن جني[٣٨]، وأبو عبيد البكري[٣٩]، وأبو العلاء المعري[٤٠].

وممن ضمنها اختياراته الخالديان[٤١]، وابن طيفور[٤٢]، وأبو الفرج البصرى[٤٣]، وابن الشجرى[٤٤] ومن غير المرجح أن يقع هؤلاء جميعا في شرك نصبه خلف الأحمر بوضعه اللامية، وانطلت حيلته على الناس، وما كان ليخطر ببال أحد هؤلاء العلماء أن يستشهد بشيء من اللامية أو بشرحها إذا كان مؤمنا بأنها منحولة على الشنفرى.

ورأى أحد الباحثين أنه من الغريب حقا إهمال القدماء في القرنين الثانى والثالث الإشارة للامية، سواء أكان ناظمها الشنفرى أم كان خلفا، لأن تاريخها على الاحتمالين يرجع إلى القرن الثانى، وذلك يتيح لمثل أبى الفرج وابن قتيبة أن يقف عليها ويتحدث عنها[٤٥]، غير أن اللامية كانت معروفة لعلماء من القرن الثالث كابن طيفور المتوفى في سنة مائتين وثمانين للهجرة، ورواها في كتابه المنظوم والمنثور[٤٦]، بل أن ابن طيفور نفسه استقى اللامية من رواية أبى المنهال، وهو عيينة بن عبد الرحمن المهلبى اللغوى، تلميذ الخليل بن أحمد[٤٧]، ولأبى المنهال هذا عناية بشعر الشنفرى[٤٨] وقد استقى أبو المنهال أخبار الشنفرى من مؤرج السدوسى[٤٩] المتوفى سنة خمس وتسعين ومائة للهجرة، مما يرجح أن أبا المنهال عاش شطرا كبيرا من حياته في النصف الثانى من القرن الثاني.

وتشير الأخبار إلى أن أحد كبار علماء العربية ـ وهو الأصمعى ـ كان على معرفة بها فقد روى هو نفسه أنه كان عند الرشيد في يوم شديد البرودة، فدخل عليه سعيد بن سلم، فاستنشده شعرا في البرد، فأنشده، فقال الرشيد: غير هذا، فأنشده الأصمعى شعرا آخر، فقال الرشيد: أريد أبلغ من هذا، فأنشد الأصمعى هذا البيت من اللامية:

وليلة قر يصطلى القوس ربها
وأقطعه اللاتى بها يتنبل

فقال الرشيد: يا أصمعى حسبك، ما بعد هذا شيء[٥٠]، بل تشير المصادر إلى أقدم من ذلك، فقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: «علموا أولادكم لامية العرب، فإنها تفتح الأشداق، وتعلم مكارم الأخلاق»[٥١] وهذا النص يدل على أن للشنفرى قصيدة متداولة تحوي آدابا وحكما أمر عمر بن الخطاب بتعلمها، وهذه القصيدة أو النص المتعارف

عليه هي أشهر شعر للشنفرى، ونزداد يقينا حين يذكر عمر بن الخطاب أنها «لامية العرب».

وعندما أسر الشنفرى طلب منه بنو سلامان أن ينشدهم، فرد عليهم بقوله «إنما النشيد على المسرة»[٥٢] بل ذكر صاحب كتاب العدائين أنه أنشدهم قصيدة طويلة[٥٣] ولا أظن أن بنى سلامان سيطلبون منه أن ينشدهم أحسن شعره إن لم تكن له قصيدة أو قصائد سارت بها الركبان، وهذه القصيدة هي اللامية أو التائية، ولا أرجح أن يكون أنشدهم التائية التى يذكر فيها ثأره من بنى سلامان، فهذه القصيدة يمكن أن تثير حفيظتهم عليه، بينما هو يحاول استعطافهم لإطلاق سراحه[٥٤]، كما أن نص أبى رياش الذى ذكر فيه أن اللامية من الشوارد التى لا يُعرف صاحبها[٥٥] يدلنا على جاهليتها رغم أنه لم ينسبها للشنفرى، والذى أراه أنها ما دامت قصيدة جاهلية صحيحة فإن نسبتها للشنفرى ـ لوجود الأدلة التى تثبت ذلك ـ أفضل من تركها هائمة لا صاحب لها.

أما عن قولهم أن طول اللامية ليس له مثيل في شعر الصعاليك، فإن الدليل نفسه يتضمن الرد عليه، ففيه اعتراف بأن الشنفرى صاحب أطول قصيدة في «ديوان الصعاليك»، ومعنى ذلك أنه أطولهم نفسا في الشعر وأقدرهم على إنتاج المطولات، فكيف نستبعد أن ينتج قصيدة تبلغ ثمانية وستين بيتاً مع اعترافنا بأنه أطولهم قصيداً؟ رغم أن هناك قصائد أطول من اللامية كالمعلقات مثلا[٥٦]، كما أن لبعض صعاليك الجاهلية قصائد طويلة كعينية مالك بن حريم الهمدانى في أربعين بيتاً[٥٧]، وعينية قيس بن الحدادية في ستة وأربعين بيتاً[٥٨] ومن ثم فلا تستعصى قصيدة من ثمانية وستين بيتا على صعلوك شاعر أقدر منهما.

أما قلة الاضطراب في ألفاظ اللامية وترتيب أبياتها مما يخالف شعر الصعاليك فإن الواقع غير ذلك، وحين نرجع إلى المقارنة بين روايات شارحيها وناقليها نجد بينهم اختلافا كبيرا، إن لم يزد في الاختلاف عن مستوى الاختلاف في الشعر الآخر للصعاليك فلن يقل عنه[٥٩].

وقد قابل محقق شرح الزمخشرى على اللامية نص اللامية على نصوصها في مصادر أخرى كالقصائد المفردات لابن طيفور وأمالى القالى والأشباه والنظائر للخالديين ومختارات ابن الشجرى وشرح اللامية للعكبرى[٦٠] فأكد هذا الاختلاف، ناهيك عن نص اللامية في شروحها الأخرى المخطوطة، ومخطوطات ديوان الشنفرى.

أما عن قلة أسماء المواضع والأشخاص فيما خالفت به المألوف من شعر الصعاليك فنقول عنها: إن في هذا القول بعداً عن النقد الموضوعى، فليست أسماء الأماكن والأشخاص ملحاً لابد أن يضاف إلى كل طعام، وأن تُحْشَى به كل قصيدة، وإنما ينبغى أن نسأل: هل كانت اللامية تقتضى ذكر الأماكن والأشخاص فخلت منها؟ بل هل كانت تقبل استعراض الأماكن والأشخاص؟ والواقع يجيب بلا، فسياق اللامية وموضوعها ينحصر في تصوير نفسية إنسان ساخط هجر حياة المجتمعات ليحيا حياة يرسمها هو نفسه كما يريد، إذ أنه لا حاجة إلى أسماء الأماكن والأشخاص لدى شخص سخط على الناس فهجرهم ـ متعمدا أن يعيش بين الوحوش كما فعل الشنفرى، فهو إن كان في حاجة فإلى أسماء الوحوش لا أسماء الناس الذين هجرهم إلى غير رجعة، وقد ذكر فعلا من أسماء الوحوش وحيوانات الصحراء ما يمكن أن يراه الانسان فيها.

الهوامش:

(١) الشنفرى الصعلوك ٧٧.

(٢) تاريخ التراث العربي ٢/٢/٥٠

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ٣٩٥/١٣

(٤) مجلة المقتطف ١٨٧/٦ .
(٥) دائرة المعارف الاسلامية ٣٩٥/١٣.
(٦) شعر الصعاليك خصائصه ومناهجه ١٦٢ .
(٧) تاج العروس (ام).
(٨) مختارات شعراء العرب ٧٣ حاشية.
(٩) بروكلمان ١٠٧/١ نقلا عن: ٦١ ـ ٨٥٣، ١٩٣٥. R.SO.
(١٠) دائرة المعارف الاسلامية ٣٩٤/١٣ ـ ٣٩٦.
(١١) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلى ١٧٩ ـ ١٨١.
(١٢) أمالى القالى ١٥٦/١.
(١٣) دائرة المعارف الاسلامية ١٣/ ٣٩٥.
(١٤) نفسه ١٣/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦.
(١٥) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلى ١٨٠ .
(١٦) نفسه ١٨٠.
(١٧) دائرة المعارف الاسلامية ٣٩٦/١٣
(١٨) تهذيب اللغة ٩/١.
(١٩) حلية المحاضرة ٣٦/٢.
(٢٠) بروكلمان ١٠٦/١
(٢١) الشنفرى الصعلوك ٨٧.
(٢٢) دائرة المعارف الاسلامية ٣٩٥/١٣، ٣٩٦.
(٢٣) أمالى القالي ١٥٥/١.
(٢٤) الشنفرى الصعلوك ٨٨.
(٢٥) النوادر ٢٠٢ ـ ٢٠٦.
(٢٦) بروكلمان ١٠٧/١.
(٢٧) توفي خلف سنة ١٨٠هـ، وولد ابن طيفور سنة ٢٠٤هـ.
(٢٨) القصائد والمفردات ١٠٩ ـ ١١٣
(٢٩) نفسه ٦٩ ـ ٧٩.
(٣٠) شعر الصعاليك ١٦٧.
(٣١) الأغاني ٢١/ ١٣٣، ١٤٢، ١٦٢.
(٣٢) شعر الصعاليك ١٦٧.
(٣٣) لسان العرب (حبض ـ عرف، كها ، ها).
(٣٤) تاريخ التراث العربي ٥٣/٢/٢.
(٣٥) الصناعتين ٥٦، ٦٢.
(٣٦) الامالى «درور القلائد وغرر الفوائد» ١/ ٥٨٧
(٣٧) مقاييس اللغة ١٥١/٥.
(٣٨) سر صناعة الاعراب ٤١٦/١، تفسير أرجوزة أبى نواس ٤٩٤.
(٣٩) معجم ما استعجم ١١٦.
(٤٠) رسالة الغفران ٢٧٩.
(٤١) الأشباه والنظائر ١٩/١، ٢/ ١٥ ـ ٧٩.
(٤٢) القصائد المفردات ٦٩ ـ ٧٩.
(٤٣) الحماسة البصرية ٢٥٣/٢.
(٤٤) مختارات شعراء العرب ٧٣.
(٤٥) شرح لامية العرب للعكبرى، مقدمة المحقق ٨.
(٤٦) القصائد المفردات ٦٩ ـ ٧٩.
(٤٧) معجم الأدباء ١٦/ ١٦٥.
(٤٨) شعره (دار الكتب) ٤ ب.
(٤٩) شعره (دبلن) ١.
(٥٠) نور القبس ١٣٤.
(٥١) مختارات شعراء العرب ٧٣ حاشية، الغيث المسجم ٢٧/١.
(٥٢) شرح المفضليات ١٩٧ .
(٥٣) تمثال الأمثال ٣٤٠.
(٥٤) رفع الحجب المستورة ٣١٥.
(٥٥) مختارات شعراء العرب ٧٣ هامش.
(٥٦) شعر الصعاليك ١٦٨.
(٥٧) الأصمعيات ٦٢ ـ ٦٧.
(٥٨) شعره ٢٢ ـ ٢٩.
(٥٩) شعر الصعاليك ١٧٠.
(٦٠) أعجب العجب ١٤١ ـ ١٤٩.

من قضاة المدينة المنورة في العهد السعودي

اختار الله عز وجل المدينة المنورة لتكون قاعدة للاسلام وأكرمها وأعزها بهجرة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وازدهرت الحضارة الإسلامية فيها بظهور الإسلام وانتشاره إلى جميع البقاع فعم الإسلام والسلام الجميع.

ولقد جعل الله عز وجل القضاء لفض الخلاف بين المسلمين وإنهاء منازعاتهم التى قد تنشأ فيما بينهم وغيرهم.

والقضاء لغة جاءت له تعاريف كثيرة ولكن اشملها هو إتمام الشيء قولا وفعلا. وشرعا اختلف في تعريفه حسب المذاهب الاربعة.

فالحنابلة عرفوه بأنه تبينة الحكم الشرعي والإلزام به وفصل الخصومات.

والحنفية عرفوه بأنه الفصل في الخصومات وقطع المنازعات على وجه مخصوص.

والمالكية عرفوه بأنه الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام.

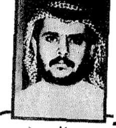
والشافعية عرفوه بأنه رفع الخصومة بين خصمين فأكثر بحكم الله تعالى.

ويقوم نظام القضاء الإسلامي على القواعد والمباديء التي تنظم القضاء شكلا وتنظم مباديء القضاء والمبادىء التى يعين القاضي على اساسها.

ولقد حث الشرع الإسلامي على تولى القضاء لما فيه من الأجر والثواب، وتهرب منه معظم العلماء لعظم مسؤوليته وللوالى الإلزام لمن يراه أهلا لذلك.

وكان أول قاض في الإسلام المصطفى {صلى الله عليه وسلم} فلقد كان مع التكليف بالتبليغ يفصل في الخصومات بين الناس؛ ولما انتشر الإسلام أسند القضاء إلى بعض الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم معاذ بن جبل ولاه الرسول {صلى الله عليه وسلم} اليمن وكذلك علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وأول قاض في المدينة المنورة بعد الرسول {صلى الله عليه وسلم} عبد الله بن نوفل؛ كذلك كان خلفاء رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يباشرون القضاء بأنفسهم فالصديق رضي الله عنه كان يجلس للإفتاء في المدينة وعاونه الفاروق - رضي الله عنه - على القضاء فيها.



ولما تولى الفاروق - رضي الله عنه - أولى القضاء عناية فائقة فقام بفصل القضاء عن

بقلم : حسن بن حمزة آل حسين الشريف
- المدينة المنورة -

السلطة التنفيذية وأوفد قضاته إلى الاقاليم وضمن لهم استقلالا كاملا عن الولاه وشدد على الولاة في عدم التعرض للقضاة وجعل لهم راتباً شهرياً ولم يكن للقضاه كتبة أو سجل لتوثيق الأحكام لأنها تنفذ في حينها ويقوم القاضي بتنفيذها بنفسه وكان القاضي يجلس للحكم في المسجد للفصل في القضايا.

وكذلك اهتمت به جميع الحكومات الإسلامية التى تولت زمام الامور إلى أن جاءت الدولة السعودية واهتمت بالقضاء وأعطته جل اهتمامها في جميع مناطقها واختارتهم من أفاضل العلماء الذين حمدت سيرتهم وسريرتهم.

ولما جاءت الدول السعودية اهتم الملك عبد العزيز رحمه الله بالقضاء الذى أقامه وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية في كافة الأمور والاحوال الشخصية والمدنية والجنائية وانشأ المحاكم على إختلاف انواعها ودرجاتها وصدرت الاوامر المنظمة للقضاء وتحديد إختصاصات القضاء وسلطاته وسير العمل.

وكان القضاء في المدينة ينقسم الى نظام القضاء المعروف القائم في المدن والذى يعين القاضي من الدوله العثمانية ويشرف عليه كبار القضاه الموجودين بمكة آنذاك.

النظام العشائرى وهو نظام القضاء القبلى القائم على العرف والسوابق والعادات المتوارثة والمتعارف عليها من قبل كان لكل قبيله قاض خاص بها يرجع اليه للتنازع والتخاصم بالإضافة إلى إمكانية قبول الدعاوى من خارج القبيلة إن اشتهر وتوافق الخصوم على قضائه.

وكان القضاء في المدينة على المذهب الحنفى بالاضافة الى وجود المذاهب الأخرى ولما جاء العهد السعودى أهتم موحد الجزيرة العربية جزاه الله خيرا بالقضاء وخاصة في الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة فأوكل النظر وترتيب النظام القضائى فيها الى المجلس الأهلى (مجلس الشورى) الذى أنشىء بمكه عام ١٣٤٤هـ الذى أصْدر له بيان من الملك عبد العزيز بأن من اختصاصات المجلس النظر في نظام المحاكم وترتيبها بصورة تضمن توزيع العدل وتطبيق الاحكام الشرعية تطبيقا لا يجعل مجالا للهوى.

بالإضافة الى عدم التقيد بمذهب من المذاهب الأربعة بل الإعتماد على الدليل القوي في اى مذهب والرجوع اليه في حال تعذره الرجوع الى مذهب الامام أحمد.

وكانت هناك محكمتان الاولى محكمة الأمور المستعجلة التى تتكون من قاض واحد ونائب له وينظران في جميع الدعاوى المستعجلة مثل الجنح والتعزيرات والحدود الشرعية التى لا قطع فيها ولا قتل والدعاوى الماليه التى لا تزيد عن ثلاثين جنيها والتى قدرت بحوالى ثلاثمائة ريال آنذاك.

والثانية المحكمة الشرعية الكبرى والتى بدأت بقاض واحد ونائب له وينظران في جميع الدعاوى الخارجة عن اختصاص المحكمة المستعجلة ما عدا قضايا القتل والرجم والقطع فلابد من عرض القضية وحكمها على رئيس القضاه وهيئة التميز لإقرارها.

بالاضافة الى وجود كُتَّاب العدل ومهمتهم تحرير الوثائق التجارية والسندات المالية وتحرير الوكالات والوصايا والعقود العقارية والتصديق عليها وتحرير الإنذارات بحلول الديون وغيرها من الامور الاخرى التى حددت.

وبيت المال ويقوم بادارته موظف يسمى مأمور بيت المال واختصاصه قيد الوفيات وتركاتهم ان لم يكن له وارث وتحديد القُصَّر والغائبين ومن لا وكيل له ويقوم مأمور بيت المال ببيع المخلفات وتصفية التركه وحصرها وقسمتها بالوجه الشرعي وتسليمها لأصحابها والوفاء بالالتزامات والديون المترتبة على المورث وحفظ أموال الغائبين والقصر وغيرها من الاعمال المعروفة المخصصة لهم.

هذه صورة مبسطة عن القضاء في المدينة المنورة ويسرني أن أترجم لبعض قضاة المدينة في العهد السعودي.

● فضيلة الشيخ أحمد حسن بن رشيد بن عفالق العفالقي القحطاني ١١٥٥ - ١٢٥٧هـ (شيخ عالم فقيه قاض حنبلي المذهب مدرس).

ولد بالأحساء وتربى يتيما - ورباه الشيخ محمد بن فيروز تربية دينية ولازمه وقرأ عليه العلوم النقلية والعقلية، وأخذ عن عبد الوهاب بن الشيخ محمد بن فيروز والشيخ محمد بن سلوم والشيخ عبد الرحمن الزواوي المالكي ثم سكن المدينة قبل عام ١٢١٧هـ وتجول في البلاد الإسلامية وجالس العلماء وباحثهم من الاحسائيين والبغداديين والشاميين والمدنيين والمجاورين والمكيين والمغربيين وغيرهم ولما هاجر إلى المدينة اكرمه أهلها ودرسوا عليه وتزوج ابنة العلامة الشيخ مصطفى الرحمتي الأنصاري الحنفي ولما ملك الإمام سعود بن عبد العزيز رحمه الله على المدينة اكرمه وعينه قاضيا فيها بالإضافة إلى تدريسه في المسجد النبوي الشريف في التوحيد والعقيدة وعندما هاجمت الجيوش العثمانية المدينة هرب إلى الدّرعية وأسر هناك وعذب ثم طلبه محمد علي باشا والي مصر فوصل إليه وأكرمه ورتب له رواتب وجمع بينه وبين علماء مصر وتناظروا وجعله الباشا محمد علي شيخا للمذهب الحنبلي بمصر وأمره أن يدرس أولاده وبعض مماليكه في قلعة محمد علي ومن أشهر تلاميذه العلامة عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله والشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين والشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف والشيخ محمد بن حمد الهديب وغيرهم.

توفي رحمه الله في القاهرة عام ١٢٥٧هـ.

● فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح بن ناصر الصالح ١٣٢٩هـ عالم فقيه قاض إمام وخطيب بالمسجد النبوي.

ولد في المجمعة وتربى يتيما وكفله أخوه عثمان ودرس على الشيخ أحمد الصانع وحفظ القرآن الكريم ومبادىء التوحيد والفقه وفقد بصره إلا قليلا أثناء ذلك. ثم أخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري قاضي المجمعة وسدير وعن الشيخ محمد بن عبد المحسن الخيال وأخذ عن الشيخ العنقري في التوحيد والفقه والتفسير والفرائض واللغة والسيرة النبوية والتاريخ لسنوات ثم عين عضوا في هيئة الأمر بالمعروف وأخذ عن الشيخ عبد الله بن حميد قاضي المجمعة وسدير بعد الشيخ العنقري ثم عينه شيخه الشيخ عبد الله بن حمد قاضيا للمجمعة وقرى سدير لانتقال الشيخ عبد الله إلى الرياض وظل بها فترة ثم نقل إلى الرياض وظل بها قاضيا تسعة أشهر في عام ١٣٦٣هـ.

تم تعيينه قاضيا في المدينة المنورة بأمر من الملك عبد العزيز رحمه الله بدلا عن قاضيها سليمان بن

حمدان وهو من أهل المجمعة أيضاً ودخلها في ١٥ محرم سن ١٣٦٤هـ وعين مساعداً للإمامة بالمسجد النبوي الشريف سنة ١٣٦٨هـ وفي عام ١٣٧٢هـ انفرد بالإمامة والخطابة لوفاة الشيخ صالح الزغيي رحمه الله وفي عام ١٣٧٤هـ عين رئيساً لمحاكم المدينة ودوائرها الشرعية وظل بها إلى أن توفي رحمه الله وظل في إمامة المسجد النبوي وخطابته أربعة وأربعين عاما وأتم في القضاء في المدينة نحو خمسين عاما منها أربعين سنة رئيسا لمحاكم المدينة.

توفي رحمه الله في الساعة الخامسة من صباح الأحد الموافق ١٤١٥/٢/٢٧هـ ودفن بالبقيع رحمه الله بجوار قبر الإمام مالك بن أنس وفقدت المدينة بوفاته أحد أبرز قضاتها.

● فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن عبد الوهاب بن زاحم بن حسن بن سلطان بن زاحم.

من المرازيق من آل محمد بن القوم ١٣٠٠هـ.

ولد في القصب وبها نشأ وأخذ القراءة والكتابة عن سليمان بن قاسم واقبل على حفظ القرآن الكريم وتجويده وعرف بالصلاح والعلم وكان إمام جامع القصب ثم رحل الى بلدة الاشيقر فقرأ على عالمها المؤرخ الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسي الفقه والنحو ثم توجه الى الرياض فأخذ عن عالمها الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ في التوحيد والعقائد والتفسير والحديث وأخذ الفقه عن الشيخ العلامة محمد بن محمود والحديث والتوحيد عن الشيخ سعد بن عتيق والنحو عن العلامة محمد بن فارس ثم رافق الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري عام ١٣٢٦هـ ولازمه وكان كاتبه ومحضراً لدروسه ومعاوناً له في بعض عمله ومن أخص تلاميذه ثم أذن له بالتدريس في بلدان سدير ثم في عام ١٣٣٦هـ عينه الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى قاضيا ومرشداً وإماماً في هجرة الداهنة وفي عام ١٣٥٨هـ عينه الملك عبد العزيز قاضياً في مدينة الرياض ثم نقل الى رئاسة محكمة المدينة المنورة سنة ١٣٦٣هـ وظل بها الى أن توفي رحمه الله في ١٣٧٤/٨/٨هـ ودفن بالبقيع.

ومن أشهر طلبته أخيه فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم رئيس محاكم المدينة والشيخ محمد بن ابراهيم بن فنتوخ إمام جامع القصب والشيخ سيف بن سعيد اليماني رئيس هيئة الأمر بالمعروف بالمدينة والشيخ محمد بن ابراهيم القاضي رئيس هيئة الأمر بالمعروف سابقا وغيرهم.

● الشيخ عبد الله بن صالح الخليفي ت ١٣٨١/٨/٢٠هـ.

عالم فقيه قاض فرضي فلكي عروضي.

قاض ولد في البكيرية وأخذ مباديء القراءة والكتابة على خاله الشيخ محمد الخليفي واستفاد منه ثم نزح الى حائل وقرأ على علمائها منهم الشيخ عبد الله بن مسلم التميمي والشيخ عبد العزيز بن صالح المرشدي وغيرهم ودرس بحائل ثم عينه الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله قاضياً بالمدينة المنورة وظل بها مدة نقل الى قضاء الجوف وظل بها الى عام ١٣٥٧هـ ثم نقل الى قضاء الطائف ودرس بمسجد الهاوى مدة وفي عام ١٣٦٥هـ عين مدرساً في دار التوحيد في الطائف ثم مدرساً في المعاهد الدينية وفي عام ١٣٧٨هـ عين قاضياً في مدينة حائل وبقي فيها الى أن توفي، ومن طلبته رحمه الله:

الشيخ سليمان بن عطية المزيني والشيخ عبد

الكريم الخياط والشيخ عبد العزيز بن محمد العريفي من قضاة عسير والشيخ عبد الرحمن، والشيخ عبد الله بن جبير والشيخ عبد الله بن خزيم والشيخ محمد الصالح المرشد وغيرهم كثير.

له نبذة في الفرائض سماها تمرين الرائفي لمعرفة الفرائض وطبعت وله مؤلف في الفلك مخطوط.

مات بالشرقية ودفن هناك.

● فضيلة الشيخ عبد المحسن أبي ذراع الحازمي الحربي، عالم قاض.

ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٣٢هـ ونشأ في كنف والده ثم أدخل إحدى الكتاب بالمدينة المنورة ليتعلم مبادىء القراءة والكتابة وبعض مبادىء القرآن الكريم والحساب وغيره ثم التحق بمدرسة العلوم الشرعية ودرس فيها حتى نال شهادتها العالمية ثم عين قاضيا بخيبر وظل فيها لسنوات ثم نقل إلى قضاء المدينة المنورة وظل بها مدة ثم صدر أمر كريم بنقله إلى رئاسة محكمة جدة وظل بها فتره.

● فضيلة الشيخ سليمان بن عبد الله بن حمدان الحمدان ولد في ١٣١٥هـ وتوفي في يوم الخميس ١٣٩٧/٨/١٢هـ.

فقيه عالم أصولي ومحدث وقاض وشاعر ومدرس، ولد في المجمعة وتلقى علومه على الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري قاضي المجمعة آنذاك.

ثم رحل إلى الرياض وقرأ على ثلة من العلماء منهم الشيخ إسحاق والشيخ سلمان بن سحمان، عين في قضاء مكة والطائف في المحكمة المستعجلة بهما وظل فيها فترة من الزمن ثم عين عضوا في هيئة التمييز مع سماحة الشيخ عبد الله بن حسن رئيس قضاة المنطقة الغربية ثم اختير قاضيا في المدينة المنورة وظل فيها فترة ثم نقل إلى المجمعة وظل بها مدة ثم استوطن مكة المكرمة للعبادة ودرس بالحرم المكي الشريف.

أجاد رحمه الله نظم المتون فقد نظم في الفرائض في قصيدة على غرار الوجيه حيث نحا نحوها وله رسالة مطبوعة في الجهاد وله شرح التوحيد.

توفي بمكة رحمه الله عقيما.

من قصائده رحمه الله:

رياض الصالحين إليك أهدي
لآداب الشريعة خير حاوي
أحاديث صحاح ليس فيها
غريب المتن أو مجروح راوي
أجاد الاختيار إمام
عظيم القدر يعرف بالنواوي

● فضيلة الشيخ محمد بن عبد المحسن بن عبد العزيز بن محمد بن علي بن زيد بن وطبان بن مرخان عرف بمحمد بن عبد المحسن الخيال.

عالم فقيه قاض مدرس ١٣١٨هـ - ١٤١٣هـ.

ولد بالمجمعة وبها نشأ في كنف والده الذي كان من رجال الحسبة - الذي علمه القراءة ومبادىء الكتابة ثم أخذ على عمه الشيخ عبد الله الخيال ثم التحق بكتاب الشيخ ابن مطر في المجمعة فدرس مبادىء التوحيد والفقه واللغة ولازم الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري قاضي المجمعة وسدير والزلفي وحظي بتقديره وملازمته له وأخذ عنه في الفقه والتوحيد والفرائض وعلوم القرآن والسنة واللغة وغيرها واعتمد

عليه الشيخ العنقري رحمه الله بعد فقد بصره في القراءة والبحوث والردود والفتاوي وتسجيل الحكام ورصد القضايا وما شابهها بالإضافة الى إمامته في مسجد الإمام فيصل بن تركي في المجمعة بعد إجازة الشيخ العنقري له.

عينه الملك عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٤٧هـ قاضيا في هجرة (مبايض والأرطاوية).. بعد ترشيح الشيخ عبد الله العنقري له في ١٣٦٠هـ عينه الملك عبد العزيز قاضياً على الرياض وظل فيها إلى آخر عام ١٣٦٣هـ حيث صدر أمر من الملك عبد العزيز رحمه الله بتعيينه هو وفضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح قضاة في المدينة وباشروا العمل جميعا في وقت واحد وظل في المدينة رئيسا للمحكمة المستعجلة حتى عام ١٣٧٤هـ حيث أمر الملك سعود بنقله إلى رئاسة محاكم منطقة الأحساء وظل بها إلى أن أحيل إلى التقاعد بناء على طلبه في ١٣٨١/٨/١هـ لكن رحمه الله أثناء وجوده في المجمعة كان يعقد جلسات تعليمية في مسجد المرقب بالإضافة إلى التدريس في بيته بعد صلاة الظهر ويدرس الفرائض والفقه والحديث والنحو والصرف وغيرها ومن أهم طلبته الشيخ/ عبد العزيز بن صالح رحمه الله والشيخ/ حمود بن عبد الله التويجري وأخيه الشيخ عبد الرحمن التويجري والشيخ عبد الرحمن بن عثمان الدهش والشيخ حمد بن إبراهيم الحقيل والشيخ عبد المحسن بن عبد الله الخيال والشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الخيال وغيرهم - درس حين إقامته بالحرم النبوي الشريف وفي مدرسة دار العلوم الشرعية وساهم في وضع أسئلة الامتحانات وتصحيحها لطلاب الشهادات لكافة مواد العلوم الدينية بمدارس المدينة. بالإضافة إلى عمله مميزا لاحكام قضاة قطر بطلب من أميرها الشيخ علي بن ثاني من الملك سعود رحمه الله.

● فضيلة الشيخ محمد الحافظ بن موسى بن حميد ١٣٣٥هـ - ١٤١٨هـ.

ولد برابغ ونشأ بها وكان على صلة ببعض علماء المدينة كالشيخ الطيب الأنصاري والشيخ الخضر الشنقيطي.

دفع به والده إلى المدينة للدراسة وأدخله الشيخ حسن تاج مدرسة العلوم الشرعية فحفظ القرآن الكريم وجوده فيها واستمر في دراسته حتى نال شهادتها الابتدائية؛ ثم انتقل إلى المرحلة العالية فيها لمدة أربع سنوات وحصل على شهادتها عام ١٣٥٤هـ بتفوق ثم اختير للتدريس في المدرسة فعين مدرساً فيها في شوال عام ١٣٥٤هـ حتى عام ١٣٧٤هـ ثم درس في المسجد النبوي الشريف اللغة العربية والفرائض والحديث ثم عين قاضياً في عام ١٣٧٤هـ بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة واستمر فيه حتى عام ١٤٠٢هـ ووصل الى قاضي تمييز.

من اشهر مشائخه الشيخ أحمد الفيض أبادي مؤسس مدرسة العلوم الشرعية والشيخ محمد بن عبد الله التمبوكتي والشيخ الطيب الأنصاري والشيخ أمين الطرابلسي والشيخ رشيد أحمد، وأجازه علماء أجلاء منهم الشيخ أحمد المدني والشيخ طاهر بن عاشور والشيخ المحجوب وغيرهم.

كان له الفضل في تأسيس نادي المدينة الأدبي وريادة الحركة الأدبية بالمدينة المنورة كذلك أسهم في نادي المحاضرات الذي كان يقصد في المدرسة الأميرية به سابقاً (الناصرية) حالياً.

وأسهم في عضوية أسرة الوادي المبارك التي تحولت بعد ذلك إلى نادي المدينة الأدبي الحالي.

الحرب في الاسلام .. مهمة انس

من المهام الاسلامية في بناء الفرد الصالح التسامى بكل ما هو مركوز فيه من غرائز ونوازع وشهوات حتى تتحول الى وسائل معينة له على القيام بالمهمة التي أرادها له الله، وهي الخلافة في الارض، واقامة الحق والعدل في ظلال العبودية الخالصة لرب هذا الوجود، المدبر لامره، والقائم على كل نفس بما كسبت.

والصراع من اجل البقاء غريزة فطر عليها كل كائن حى، وهي واضحة وبارزة بين غرائز الانسان، ونوازعه، وكان لابد للاسلام، وهو الدين الحق الذي اصطفاه الله منهاجا للحياة والاحياء أن يتخذ موقفا من هذه الغريزة الغلابة لتكون اداة بناء لا معول هدم وتدمير.

ومن هنا وظفت اسلاميا لخدمة الحق، والانتصار لقضية العدل، والتصدى للظالمين والطغاة الذين سلبوا من الانسان حريته وكرامته انتصارا لاهواء ضالة، وارضاء لنفوس مريضة، وسعيا الى شهوات غالبة.

وإذا تدبرنا هذه الآية من سورة الحديد يتجلى لنا المنهج الآلهي في التسامى بهذه الغريزة وتوظيف القوة المتاحة لخدمة القيم والفضائل التي جاء بها الدين الحق، يقول سبحانه: **{لقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناسُ بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصرُه ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز}** (سورة الحديد/٢٥).

ولما كانت الحروب هي المظهر الغالب للصراع البشرى على اختلاف مراحل التاريخ وجدنا أن الاسلام وضع لها تصورا قويما ورسم لها اطارا كريما، فذكر الباعث الانساني للحرب وحدد اخلاقياتها واهدافها.

ومن ناحية الباعث نرى القرآن الكريم يسبق كل ما قاله الفلاسفة وعلماء الاجتماع في عصور التاريخ المختلفة من أن الحرب في المنظور الاسلامي تأتي من منطلق الدفاع عن القيم، وحراسة الفضائل، وحماية العقيدة، وإقرار الأمن.

وجاء هذا الأمر في موضعين من كتاب الله عز وجل:

أولهما: في سورة البقرة، يقول تعالى: **{ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين}** (سورة البقرة/٢٥١).

فمن فضل الله على العالمين أن يقوم هذا الصراع بين الناس، إذ بدونه يستشرى الطغاة في طغيانهم والبغاة في بغيهم، ويستسلم أهل الحق والعدل، وأصحاب القيم والفضائل، وينتشر الفساد في الأرض

والموضع الآخر: في سورة الحج، يقول تعالى: **{ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع، وصلوات، ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز}** (سورة الحج/ ٤٠).

ففي هذه الآية تأكيد للمهمة الإنسانية للحرب، وأنها تستهدف حماية القيم الدينية ممثلة في صيانة



بقلم: أ.د. السيد رزق الطويل
عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر - مصر



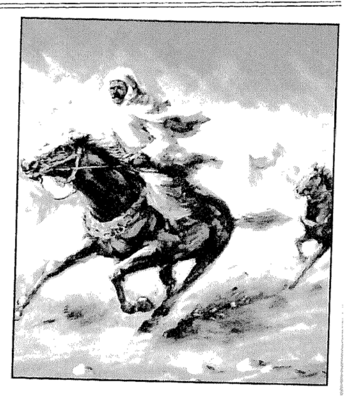
السلام أساس والحرب استثناء

الصوامع والبيع والمساجد، وانها تسمو اذا كانت الغاية منها الانتصار لدين الله وشريعته **{ولينصرن الله من ينصرُه إن الله لقوى عزيز}** (سورة الحج/ ٤٠).

ومن هذا المنطلق جاء الإذن للمسلمين بالقتال بعد أن استقر بهم المقام في المدينة بعد الهجرة لأهداف محددة تتمثل في تأمين طريق الدعوة، والدفاع عنها، وردع البغاة والمعتدين الذين يطمعهم السير المطلق على منهج السماحة والعفو.

وبمزيد من التأمل في هذه الآية الأخيرة التي تكشف عن دور الحرب في صيانة القيم نجدها جاءت بعد الإذن بالقتال للمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم لا لشيء إلا أنهم قالوا ربنا الله يقول سبحانه **{إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوّان كفور * أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله}** (سورة الحج/ ٣٨، ٣٩، ٤٠).

والآية الأولى التي تناولت بإيجاز مهمة الحرب في صيانة حياة البشر من الفساد جاءت بعد الحديث عن معركة من أشرف معارك التاريخ قامت انتصارا للفضائل، وكسرا لشوكة البغي، كانت بين طالوت الذى اصطفاه الله لقيادة جيش الحق في مواجهة جالوت الطاغية، وكان داود جنديا مخلصا في جيش طالوت، ووصفت الآيات نتيجة المعركة، إذ يقول تعالى **{قال الذين يظنُّون أنهم ملاقوا الله: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين * ولمّا برزوا لجالوت وجنُوده قالوا ربّنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرْنا على القوم الكافرين * فهزموهم بإذن الله، وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه**



الحرب ..
صيانة للحق والعدل
القتال في الاسلام جاء محاطاً بمجموعة من القيم

مما يشاء} (سورة البقرة/ ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١).

والإذن بالقتال في الإسلام جاء محاطا بعدد من الضوابط والقيم حتى لا تخرج الحرب في ظل الاسلام عن منهجها الإنساني.

لا قتال في الأشهر الحرم، ولا في رحاب المسجد الحرام، وهذه قيود زمانية ومكانية من شأنها ألا تجعل من الحرب سلوكا مستمرا في حياة البشر، ولا يصح التعدي على حرمة الزمان أو المكان إلا إذا بدأ القوم بالتعدي عليهما.

يقول سبحانه: **{ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه}** (سورة البقرة/ ١٩١).. كما قال: **{الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم}** (سورة البقرة/ ١٩٤).

القتال في الإسلام لابد أن يرتبط بغاية شريفة بأن يكون في سبيل الله، وأن يقاتل المسلم من يقاتله، وألا يكون في قتاله متجاوزا، أو معتديا بمعنى أن تسير الحرب في إطار إنساني كريم.

يقول تعالى: **{وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا انه لا يحب المعتدين}** (سورة البقرة/ ١٩٠)، معنى هذا أن الحرب في الاسلام مهمة سامية، وغاية نبيلة، وهدف بناء، يحمى القيم ويكسر شوكة البغي، ويضع حدا لانحرافات السلوك وضلالات العقيدة، يقول تعالى: **{وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله}** (سورة الأنفال/ ٣٩).

إن الحرب في الاسلام لمن نكث العهد وغدر، واعتدى على حرمات الدين الحق، كما يقول سبحانه **{وإن نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر، إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون}** (سورة التوبة/ ١٢). ثم تواصل الآيات ذكر المسوغات لقتال قريش في أسلوب فيه حث للمسلمين على ذلك وأنم في هذا ليسوا معتدين ولا باغين وإنما هم جنود حق وحماة عدل، ومدافعون شرفاء **{ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول، وهم بدوكم أول مرة، أتخشونهم، فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين}** (سورة التوبة/ ١٣).

ثم تؤكد الآيات للمقاتلين المسلمين انهم ما داموا مع الله، يقاتلون في سبيله فإن الله معهم بنصره وتأييده فيقول سبحانه **{قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم، ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم}** (سورة التوبة/ ١٤، ١٥).

ونلحظ في هذه الآية الأخيرة إشارة سريعة إلى الأثر النفسى للحروب يتمثل في شفاء صدور أهل الحق وذهاب الغيظ من قلوبهم عند ما تنهزم الضلالات أمام جنود الحق، وحملة مشاعل الهداية.

ومن أخلاقيات الحرب في الإسلام أن المسلم لا يحمل سيفه إلا بعد بينة يستبين له معها خطورة العدو وغدره، فإذا رفع شعار السلام حرم قتاله، وليس لنا أن



نبحث عن دخيلة نفسه مع أخذ الحذر، والالتزام بالحيطة وهذا هو نصح رب العالمين **{يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا، ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السَّلام لستَ مؤمنا، تبتغون عرض الحياة الدنيا، فعند الله مغانم كثيرة}** (سورة النساء/ ٩٤).

وفي دعوة مجتمع المؤمنين إلى المحافظة على العهد يبين لهم أنه لا عهد لخائن لأن الله لا يحب الخائنين، فمن رد على خائن عهدا فليس بناكث ولا غادر **{وإما تخافَنَّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين}** (سورة الأنفال/ ٥٨).

وفي الدعوة إلى الاخذ بأسباب القوة يشير إلى أنها ليست *القوة الباغية* ولا المتسلطة، وإنما هي قوة توقع الرهبة في قلوب اعداء الله واعداء المؤمنين، إذ يقول سبحانه: **{وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم، الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون}** (سورة الأنفال/ ٦٠).

فالدعوة الى القوة في هذه الآية تستهدف اقرار السلام، لأن السلام لا يتحقق الا بكبح جماح العدو الباغي، ومما يؤكد ذلك أن الآية التالية جاءت لتبين أن السلام هو القاعدة، وإذا جنح العدو إليه فلا ينبغي أن نعدل عنه الى الحرب، يقول سبحانه **{وإن جَنَحُوا للسَّلْم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم}** (سورة الأنفال/ ٦١). ولسلامة الغاية، وسمو الهدف في الحرب الاسلامية نرى أن مسيرة الحرب ذات سلوك متميز، وتحيط بها اخلاقيات عالية، فالاسلام أول من رفض ضرب الاهداف المدنية، أو التعرض لغير المقاتلين من الشيوخ والنساء والاطفال.

ولم يقدم النبي عليه الصلاة والسلام على التعرض لهدف مدني الا عندما تحصَّن اليهود من بني النضير بعد الغدر بنخيلهم، فأخذ المسلمون يقطعونها، وعند ذاك يقول اليهود على طريقتهم في الاثارة يا محمد أنت تنهى عن الفساد، وتعيب على من يفعله، فما بال قطع النخيل وتحريقها، ويتوقف النبي عليه الصلاة



كبح جماح العدو الباغي غاية نبيلة واستقرار للعدل

الأمة المسلمة عليها التسلح بقوة الإيمان وقوة السلاح

والسلام لحظة، وتتنزل عليه الآية الكريمة **{ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله، وليخزي الفاسقين}** (سورة الحشر/٥).

وتتكشف هذه السلوكيات الفاضلة في الحرب من نصيحة وجهها النبي عليه الصلاة والسلام للصحابة الثلاثة الذين عهد اليهم بقيادة سرية مؤتة، قال لهم: (اغزوا باسم الله، قاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام، ستجدون قوما بالصوامع معتزلين فلا تمسوهم بسوء، ولا تقتلوا شيخا ولا امرأة، ولا صبيا ولا تخلعوا شجرا، ولا تهدموا بناء).

هذه هي الحرب في منظور الاسلام فلسفتها أنها من ضرورات المجتمع البشرى حفاظا على القيم.. اهدافها انسانية نبيلة، وسائلها كريمة وشريفة، وثمارها المرجوة، ألا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

الفخر والحماسة في العصر الإسلامي

كان ظهور الاسلام إيذاناً باشراق عهد جديد، يختلف في معالمه وملامحه عن صورة الحياة التى عرفها العرب في العصر الجاهلي، فقد وحَّد العرب بعد فرقه، وجمع شتات القبائل في أمة متماسكة، دينها الاسلام، ودستورها القرآن ، ولغتها السائده هي لهجة قريش، والحكم فيها لكلمة الله يقوم عليها رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ثم من يلي الأمر من الخلفاء بعده.

وقد جاء الدين الاسلامي بمعتقدات ومفاهيم جديدة للحياة، فدعا إلى عبادة الله وحده، وقضى على الوثنية ووضع صورة جديدة للخلق الاسلامي، قوامها الايمان بالله والانقياد له، والجهاد في سبيله، وإسداء الخير، وكف الشر ومجانبة التكاثر والتفاخر بالأحساب والأنساب.

فالخمر والميسر والرّبا وأكل أموال الناس بالباطل لم يقرها الدين الجديد بل حرمها، والكرم المسرف، والأخذ بالثأر، والغارات والحروب العدوانية أصبحت لا مكان لها في ظل الاسلام، والعصبيات توارت، لأن المؤمنين إخوه والسيادة للدين قبل كل شيء، والتفاضل بالتقوى والعمل الصالح لا بالحسب والنسب.

وهكذا تغير وجه الحياة، وانقضى عصر الوحدات القبلية، واندفع العرب إلى الفتوح الاسلامية لنشر كلمة الله، وإقامة العدالة الاجتماعية في بقاع الأرض، وحققوا من الانتصارات الحربية والروحية ما يعتبر معجزة لا نظير لها في تاريخ الفتوح.

وكان طبيعياً أن نرى لوناً من الفخر والحماسة، يختلف قليلا أو كثيراً عما رأينا في العصر الجاهلي.. على أننا ما نكاد نمضي قدماً في ذلك العصر حتى نرى عودة إلى العصبيات التى أطلت برؤوسها، وإلى ما كان الاسلام قد نهى عنه من الفخر بمآثر الأباء والأجداد، ويمكن أن نميز من الفخر في صدر الاسلام، وبني أمية أنواعاً ثلاثة:

- الفخر بانتصار الاسلام والفتوحات الاسلامية.
- الفخر بالأحزاب والفرق الاسلامية.
- الفخر بالأحساب والأنساب والعصبية القبلية.

أولا: الفخر بانتصار الإسلام وفتوحاته:

تصدت قريش للنبي {صلى الله عليه وسلم} وناصبته العداء، محاولة أن تطفيء نور الله، وأن تقضي على الدعوة الاسلامية في مهدها، فلم يكن بد من أن ينازل جند الله أعداء الله، وكانت معارك خاضها المسلمون في بطولة فذّة، حتى كتب الله النصر لدينه، وقضى على الكفر وأهله، وكان صوت الشعر في هذه المعارك يثير الحماسة في القلوب ويدوي بأناشيد النصر.

ثم كانت الفتوح الاسلامية، وتجاوز المسلمون الجزيرة العربية إلى غيرها من بقاع الارض، وناضلوا وانتصروا، وسجل لهم التاريخ صوراً رائعة من التضحية والفداء، وسار الشعر إلى جانب السيف في هذه المعارك يمجد البطولة ويشدو بنعمة الله في إعزاز كلمته، ونصر جنده. وإليك من هذا النوع النص الآتي لكعب بن مالك [١] بعد الانتصار في بدر إذ يقول:

بقلم : د . ماجد أحمد المومني
- الأردن -

عــجــبت لأمــر الله، والله قــادر
على مــا أراد ليس لله قــاهـر[٢]
قــضى يوم بدر أن نلاقي مـعـشـراً
بَغَوْا وسبيل البغي بالناس جائر[٣]
وقـد حشدوا واستنفروا من يليهم
من الناس حتى جمعهم متكاثر[٤]
وســارت إلينا لا تحــاول غـيــرنا
بأجمعها كعب جميعا وعامر[٥]
وفــينا رســول الله والأوس حــوله
له مــعــقل منهم عــزيز وناصــر
وجــمع بني النجــار تحت لوائه
يميسون في الماذي والنقع ثائر[٦]
فلمــا لقــيناهم وكلّ مــجــاهد
لأصحابه مستبسل النفس صابر[٧]
شــهــدنا بـأن الله لا ربّ غــيــره
وأن رســـول الله بالحق ظاهر[٨]
وقــد عُرِّيت بيض خـفــاف كـأنّهـا
مقابيس يزهيها لعينيك شاهر[٩]
بهن أبدنا جــمــعــهــم فــتــبددوا
وكان يلاقي الْحَيْنَ من هو فاجر[١٠]

بدأ الشـاعـر أبياته بدهشة مبهورة لقدرة الله القاهرة، وقدره بأن ينصر المسلمين يوم بدر وهم قلة على الوثنية الباغية مع كثرتها وحشودها. لقد جمعوا جموعهم، واستظهروا بمن استطاعوا حتى أصبحوا في جمع كبير من قبائل كعب وعامر، يبغي القضاء على الدين الجديد وأهله ولقيهم الرسول [صلى الله عليه وسلم] وله في الأولى مـعـقل منيع، وبنو النجـار من الخزرج تحت لوائه في دروعهم البراقة بين الغبار الثائر.

وكان اللقاء كبيراً واجه فيه أعداء الدين قوة الايمان، وصدق الجهاد والتسابق إلى الموت، وحسن التوكل على الله، والثقة فيه. وفي انتصار الحق على يد رسوله.

وانبرت السيوف من أغمادها كأنها أضواء المصابيح المتحركة بين النقع وبهذه السيوف انتصرت الفئة المؤمنة وأبادت جموع الكفار، ومزّقتهم هنا وهناك وعلى هذه السيوف لقي كل فاجر منهم منيته.

هنا ترى لوناً من الفخر - ليس الحديث فيه عن عصبيه - أو عداوات بين القبائل. وإنما الحديث فيه عن معركة الايمان والشرك. والفخر فيه بدفع البغي والفجور والانتصار لدين الله، والجهاد في سبيله، والاستبسال في الذود عن دعوته، والثقة به وباعزازه لرسوله.

وترى روح الشاعر واثقة مطمئنة، يغمرها نور اليقين، وليس فيها الثورة المحتدمه بالشر، التي كانت تسيطر على الفارس الجاهلي، بل تحس في قول كعب أنه كان يتمنى أن لو اهتدى الكفار بغير حرب أو إراقة دماء.

وتطالعك ألفاظ وتراكيب جديدة ظهرت مع الدعوة الاسلامية، لم تكن تتردد من قبل: «أمر الله - الله قادر على ما أراد - ليس لله قاهر - سبيل البغي - رسول الله - أن الله لا رب غيره - الحق».

وترى في هذا الشعر ليناً، وأنه ليس في صلابة الشعر الجاهلي وقوته ولعل للروح الدينية الجديدة السمحة التى غيرت النفوس، وكبحت من جماحها أثراً في ذلك.

وتقرأ الأبيات فتحس أنها أقرب إلى تسجيل الأحداث، وأن الألفاظ فيها مألوفه والمعاني واضحه، والصور قليلة، وأنها خلت من المبالغة والخروج على الواقع.

حسان بن ثابت هو شاعر الرسول:

حـســان بن ثابت الأنصـاري من الشــعــراء

المخضرمين، الذين أدركوا الجاهلية والاسلام وقد اشتهر في الجاهلية بشعره في مديح الغساسنه بالشام، فلما جاء الاسلام صار شاعر الرسول ووقف شعره لتأييده والدفاع عنه. وتوفي أيام معاويه سنة ٥٤هـ.

ومن شعره في تأييد الدعوة الإسلامية والدفاع عنها قال:

عدمنا خيلنا إن لم تروها
تثير النقع موعدها كداء[١١]
يبارين الأسنة مصعدات
على أكتافها الأسلُ الظّماء[١٢]
وجبريل أمين الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء[١٣]
هجوت محمداً فأجبتُ عنه
وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء
فشركما لخيركما الفداء[١٤]
هجوت مباركاً برا حنيفا
أمين الله شيمته الوفاء[١٥]
فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء
فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء[١٦]
لساني صارم لا عيب فيه
وبحري لا تكدّره الدلاء[١٧]

يبدأ الشاعر أبياته بتهديد الكفار فيقول: لا عاشت لنا خيل إن لم تنطلق بنا إلى كداء - وهو مكان بمكه - للقائكم في اندفاعة سريعة تثير النقع، وقد اعتلى صهواتها منا فرسان أبطال، ألقوا على ظهورها الرماح المتعطشه للدماء، ورأت الخيل أسنتها، فاندفعت تسابقها ظنا منها أنها تباريها في الجري. وفينا جبريل أمين الله على الوحي ينصرنا ويظاهرنا، وليس لجبريل من يناظره في ذلك. ثم يلتفت إلى أبي سفيان بن الحارث، شاعر قريش الذي جردته لهجاء الرسول {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه قائلا: هجوت محمداً حقداً وحذراً أن تنتصر دعوته، وهانذا أتولى الاجابة عنه مجاهداً بكلمتي والله يتولى جزائي. وكيف سولت لك نفسك أن تهجوه وأنت لا تسمو إلى مكانه؟ فليجعل الله شركما فداء لخيركما. ولا شك أنك الشر وأنه الخير. إنك حين تهجوه تهجو مباركا حمل اليُمن والرحمة إلى الأرض. خيراً جاء بكل خير ودعا إليه، بعيداً عن كل باطل مقبلا على الحق وحده، وفيا لرسالته ولخير قومه والناس جميعا. وسواء عليه أهجوته أم مدحته، فهجاؤكم لا ينقص منه ومدحكم لا يزيده، لأن الله معه والله أقوى وأعز، وقد جعلت من نفسي وأهلي وعرضي وقاء لعرض الرسول، وسأقف دونه أذود عنه ولا طاقة لكم بي، فلساني سيف قاطع، وشعري فياض لا تكدره مذمتكم ولا تغض منه.

وفي الأبيات ترى حسان بن ثابت الذي عاش في الجاهلية حقبة طويلة - بين تياراتها وأهوائها ونزعاتها - يحدثنا بروح المؤمن وقلبه، مظاهراً الدعوه، مناضلا عنها، مباهيا بفرسان المسلمين وتأييد السماء، مشيداً بصفات الرسول، من البر والاقبال على الحق والوفاء للدعوة، محقراً شأن أعدائه.

ويظهر لك في كلمات النص وعباراته أنه متأثر بالثقافة الاسلامية الجديدة: «جبريل أمين الله - روح القدس - براً حنيفا»، وأن قوله «فشركما لخيركما الفداء» متأثر بقول الله تعالى: **{وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين}**.

كما تحس أن هذا الشعر في الفخر والحماسه - مع ما ناله من تغير - كان له وقعه في قلوب المسلمين والمشركين جميعا، وكان في معركة الدعوة شبيهاً بوسائل الاعلام في عصرنا الحديث، وبالحرب النفسية

التي تشنّ لتخذيل العدو وتحطيم روحه.

الشعر الإسلامي
يخلد فتوحات المسلمين في المشرق

وهذا شاعر من همدان - إحدى قبائل اليمن - جاهد بسيفه ولسانه في حروب الشرق، التي انطلقت بها جحافل المسلمين إلى فارس وخراسان حتى الهند وأبلى فيها بلاء حسنا. هذا الشاعر اسمه «أعشى همدان» قال وهو يفتخر بانتصارات المسلمين في المشرق:

هو السيف جُرّد من غمده
فليس عن السيف مستأخر
وقد قيل إنكم عابرو
ن بحراً طمى لم يكن يُعبرُ
إلى السند والهند في أرضهم
هم الجنّ لكنهم انكرُ[١٨]
وما رام غزواً لها قبلنا
أكابرُ عاد ولا حميرُ[١٩]
ولا رام سابورُ غزواً لها
ولا الشيخُ كسرى ولا قيصرُ[٢٠]
ومن دونها معبر واسع
وأجر عظيم لمن يؤجرُ

في هذه الأبيات يقول أعشى همدان، بعد أن غزا الجيش الاسلامي «مكران»: لقد عقدنا العزم على الحرب، ودعا داعي الجهاد فجردنا لها السيوف من أغمادها، وليس لمسلم أن يتأخر عنها.

ولقد خوفونا فقالوا: إنكم مقبلون في الطريق إلى السند والهند على خطر عظيم فأمامكم بحر لم يعبره أحد من قبل، وناس أقوياء مرهوبون كأنهم الجن بل هم أدهى وأشد وتحاولون أن تفتحوا بلاداً لم تفكر فيها قديماً قبائل عاد ولا تطلعت اليها دولة حمير. ولا رامها ملوك الفرس أو ملوك الروم، وعليكم للوصول إليها أن تجتازوا بحراً واسعاً، فاجبتهم: هذا صحيح، ولكن الله أعدّ للمجاهدين أجراً عظيما، تسهلُ في سبيله كل عقبه وتهون كل تضحية.

والأبيات - كما ترى - تردد نغمة جديدة في الحماسة يثيرها الطموح وتحفزها الآمال الواسعة، التى فتح الاسلام طريقها الى القلوب والعقول. فالفارس يرمي بنفسه إلى أطراف الأرض، لا يرده بر، ولا يصده بحر، ولا تعوقه مخاطر، ولا يرهبه إنس ولا جن.. ثم لا يضيره أنه يحاول ما لم يحاول غيره، لأن ذلك كله ليس شيئاً إلى جانب ما أعد للمجاهدين من أجر عظيم.

والمقطوعة في فكرة أساسية واحدة معبرة عن شعور صاحبها وعميق إيمانه.

وفي شعر الفتوحات لا ترى تكلف الألفاظ والتراكيب الاسلامية التي كنت تراها في أوائل ظهور الاسلام، وتحس شغف الشاعر بأن يسوقها.

وتعتمد الأبيات على التصوير الواقعي والاشارات التاريخية، وفيها جمال الفطره، وتدفق العباره، والسهوله والوضوح.

ثانيا: الفخر الحزبي:

توحدت الجزيرة العربية في ظل الرسول {صلى الله عليه وسلم}، والتَفَّت القبائل في دولة كبيره جمعت شتاتها، وألفت بينها بعد فرقه، وانقضت فترة توارت فيها العصبية، ولم تسمع لها صوتاً، لأن الاسلام حاربها في غير هواده، وسما بفكرة الجماعة على نزعة الفردية، وبروح الخير على نزعات الشر، ثم شغل القلوب والعقول بالجهاد والانتصارات المتوالية التي كانت تفتح كل يوم باباً من الأمل والعزه والقوة.

ولكن العصبية لم تمت، بل توارت لتظهر متى واتتها الفرصة، عندما تولى بنو أمية أمر الدولة،

واجهتهم الثورات والاضطرابات، بدافع من الحزبية أو العصبية، أو التطلع للسلطان، وكان من أبرز هذه الأحزاب حزب بني أمية ومن شعرائه ومؤيديه أبي العباس الاعمى، وكعب الاشقري، والأخطل، وحزب الشيعة، ومن شعرائه الكميت الأسدي وكثير عزّه، والخوارج ومن شعرائهم قطري بن الفجاءه، وعمران بن حطان، والطرّماح بن حكيم، وحزب عبد الله بن الزبير، ومن شعرائه عُبيد الله بن قيس الرقيات.

وكان صراع بالسيف واللسان، وجد فيه الشعر مجالا رحيبا، واصل فن الفخر والحماسة مكان الصدارة بين فنون القول، يسجل فيه الشاعر مفاخر حزبه، ويضفي عليه كل مكرمة، ويغض من أقدار منافسيه، ويصور معاركه وبطولاته وانتصاراته، في ظل دوافع شتى من إخلاص، أو عصبية، أو رغبة في الظهور أو حرص على المال الذي كان يبذل في سخاء وبغير حساب.

ومن شعر الفخر والحماسه الذي اقترن بالصراع الحزبي قول كعب الأشقري[٢١] يصور بلاء الجيش الأموي في ملحمة دارت رحاها بكرمان إحدى بلاد فارس، ويفخر بقومه الأزد الذين يحاربون في ظل الراية الأموية:

شتدت الحرب والبلوى وحلّ بنا
أمر تشمر في أمثاله الأزر[٢٢]
قتلى هنالك لا عقل ولا قَوَدُ
منا ومنهم دماء سفكها هدرُ[٢٣]
صفان بالقاع كالطودين بينهما
كالبرق يلمع حتى يشخص البصرُ[٢٤]
في معرك تحسبُ القتلى بساحته
أعجاز نخل زفته الريح ينقعرُ[٢٥]
في كل يوم تلاقى الأزد مقطعة
يشيبُ في ساعة من هولها الشعر
حيّ بأسيافهم يبغون مجدهم
إن المكارم في المكروه تبتدر[٢٦]

ساروا بألوية للمجد قد رفعت
وتحتهن ليوثٌ في الوغى وقر
لاقوا كتائب لا يخلون ثغرهم
فيهم على من يقاسي حربهم صقر[٢٧]
إنا اعتصمنا بحبل الله إذ جحدوا
بالمحكمات ولم نكفر كما كفروا

وفي هذه الأبيات يصور كعب المعركة فيقول

نشبت الحربُ واشتد بلاؤها بالمحاربين، ولا مجال في مثل هذا الموقف إلا للجد والعمل، وكان منهم ومنا صرعى تذهب دماؤهم هدراً، لا كلمة فيه لدية ولا مجال لقصاص.

كنا في ساحة المعركة صفّين: كلّ كالجبل الشامخ الراسخ والقتال بين الصفين رهيب تشخص له الأبصار ولا تتحرك والقتلى تتهاوى تحت ضربات السيوف كأنهم أعجاز نخل خاوية. عصفت بها الرياح فاجتثتها من جذورها ورمت بها.

وهكذا الأزد.. تواجه في كل يوم حرباً تشيب لها الرؤوس، ولكنها لا تحيد عنها، لأنهم طلاب مجد، وفي حق المجد أن يسارع إليه طلابه، محتملين المكروه في سبيله، ولقد ساروا إلى القتال، يرفعون رايات المجد، فانهارت صفوف أعدائهم ممن انحرفوا عن دينه وكفروا بآياته.

ومن الفخر بالعلويين قول الكميت بن زيد[٢٨]:

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ
ولا لعباً مني وذو الشيب يلعبُ
ولم يُلهني دار ولا رسمُ منزل
ولم يتطربني بنانٌ مخضّبُ
ولكن إلى أهل الفضائل والنهى
وخير بني حواء والخيرُ يطلبُ
إلى النفر البيض الذين بحبهم
إلى الله فيما نالني أتقرّبُ

بني هاشم رهط النبي فإنني
بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خفضتُ لهم من جناحي مودة
إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء
مجناً على أني أذم وأقصبُ
فقل للذي في ظل عمياء جونة
ترى الجور عدلا: أين - لا أين - تذهبُ؟
بأي كتاب أم بأية سنة
ترى حبهم عاراً عليَّ وتحسبُ؟

في الأبيات السابقة يتحدث الكميت عن حبه لبني هاشم فيقول:

أخذتني هزّة طرب وشوق، ولكنها لم تنشأ عن حنين إلى البيض الحسان ولا عن ذكريات اللهو والعبث، مع أن مثل هذه الهزة قد تعاود الشيب حين يذكرون الشباب، كما أنها لم تنشأ عن ذكريات لدار حبيب أو لأطلالها الدارسة، ولا عن نظرة إلى امرأة تأسر القلوب بجمالها. وانما نشأت عن شوقي إلى أهل الفضائل الكريمة والعقول الراجحة، وخير الناس جميعا! أهل الشرف الأصيل، والحسب الكريم، الذين أتقرب إلى الله بحبهم: إلى بني هاشم رهط النبي {صلى الله عليه وسلم}، فإن حبّهم ملك علي قلبي وعقلي ولساني، حتى أصبحت لا أرضى إلا بما فيه رضاهم، ولا أغضبُ إلا لما يغضبهم.

وفي البيت الأخير، استفهام يحملُ معنى النفي والتحدي، لأن أحداً ما سوف لا يجدُ دليلا على أن حبّ آل البيت مما يُعَيَّر به الانسان.

ومن حماسة الخوارج تسمعُ الطرماح بن حكيم[٢٩] في قوله:

وإني لمقتاد جوادي وقاذفٌ
به وبنفسي العام إحدى المقاذف
وأمسي شهيداً ثاويا في عصابة
يصابون في فج من الأرض خائف
عصائب من شتى يؤلف بينهم
تقى الله نزّالون عند التراجف
إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى
وصاروا إلى موعود ما في المصاحف

ثار الخوارج على كل من علي بن أبي طالب ومعاوية بعد الحرب التي دارت بينهما، فحاربوا عليا حتى إذا قُتل.. ظلّوا يحاربون معاوية ومن أتى بعده من خلفاء بني أمية.

فقد استقر في أذهانهم أنهما خرجا على الدين، وأن جهادهما واجب، وسجلت لهم كتب التاريخ صوراً نادرة من الاستبسال والبطولة في حروبهم.

وفي هذه الأبيات يقول الطرماح:

إني لماض بجوادي إلى الجهاد لأرمي به وبنفسي في مهلكة من المهالك التي يقبل عليها أصحابي، حتى أظفر بالموت وأنا بينهم، وكم يسعد نفسي أن ألقى منيتي بين هذه العصائب التي ألف بين قلوبهم تقوى الله والاستهانة بالموت.

ثالثا: الفخر بالعصبيات والأحساب:

النوع الثالث من الفخر في الشعر الاسلامي: هو ذلك الشعر الذى يفتخر بالعصبيات والأحساب بعد أن طمسها الاسلام، فعادت تظهر واضحة في عصر بني أمية، ولم تجد مقاومة جدية منهم، بل لعلهم شجعوها، ليشغلوا بها الناس عن الخلافة والحكم.

ومن ذلك قول الفرزدق[٣٠] يفخر على جرير:

إن الذي سمك السماء بنى لنا
بيتاً دعائمه أعز وأطول[٣١]
بيتاً بناه لنا المليك وما بنى
حكمُ السماء فإنه لا ينقلُ

بيتاً زرارة محتب بفنائه
ومجاشع وأبو الفوارس نهشل[٣٢]
لا يحتبي بفناء بيتك مثلهم
أبدا إذا عُدّ الفعالُ الأفضل[٣٣]
ضربت عليك العنكبوت بنسجها
وقضى عليك به الكتاب المنزلُ[٣٤]
وإذا بنخت ورايتي يمشي بها
سفيانُ أو عُدس الفعال وجندل[٣٥]
الأكثرون إذا يُعدُّ حصاهم
والأكرمون إذا يعدُّ الأوّل[٣٦]
إن الزحام لغيركم فترقبوا
ورد العشي إليه يخلو المنهلُ[٣٧]
حلل الملوك لباسُنا في أهلنا
والسابغات إلى الوغى نتسربلُ[٣٨]
أحلامنا تزنُ الجبال رزانة
وتخالنا جنًا إذا ما نجهلُ

يفخر الفرزدق بأن الله أعطى قومه من العزّة والمجد ما ليس لغيرهم، وهو مجد قديم أنعم به عليهم ورعاه، فلا يستطيع إنسان أن ينال منه، وفي ظل هذا المجد ظهر آباء عظماء كزراره ومجاشع ونهشل.. وليس في آباء جرير من يداني أحداً من هؤلاء في كريم فعالهم، وكيف يسمو إليهم آباؤه وهو في بيت مغمور لا وزن ولا شأن..؟.

ويعود الفرزدق إلى الحديث عن نفسه وقومه، فيذكر أنه إذا تعالى وتباهى فإنما يباهي بمآثر مشهوره: بفرسان شجعان يحملون الراية إلى الحرب، وبالعدد الكثير والفعال الكريمه، وبأنهم يردون الماء في زحمة الوراد فيخلو طريقه لهم، وليسوا ضعافاً كآباء جرير، ينتظرون المساء، ليستقوا من كدر الماء وبعد أن ينفض الناس عنه.

كما يفخر بأن قومه سراة أبطال، ثيابهم في السلم مما يلبس الملوك، وفي الحرب الدروع السابغة الواسعة، وأن لهم عقولا راجحة متزنة كالجبال في رسوخها ما لم يستثرهم أحد، فإذا ما استثيروا كانوا كالجن لا قبل لأحد بهم

وإذا رجعت إلى الأبيات وجدت الشاعر يفتخر بمجد قومه ومآثر آبائه وأجداده، وبالكثرة في العدد، والسبق إلى كرم الفعال، والمكانة العزيزة في السلم والحرب، والحلم الوقور عند الرضا، والثورة الجامحة عند الغضب.

وفي مثل هذا الفخر عودة إلى ما كان عليه الفخر في العصر الجاهلي.. ومثل هذا الفخر لا يعرف القصد ولا الاعتدال، فإذا تحدث الشاعر عن قومه أضفى عليهم كل جميل، وإذا تحدث عن غيرهم سلبهم كل محمدة.

اكتفي بهذا القدر تاركا للقاريء مواصلة البحث.. والله الموفق.

الهوامش:

(١) كعب بن مالك من شعراء المدينة، وممن أنشدوا الشعر في الدفاع عن الرسول وتأييد الدعوة الاسلامية.

(٢) قاهر: غالب

(٣) بغوا: جاوزوا الحد في الظلم، جائر: حائد عن الحق.

(٤) استنفروا من يليهم: ازعجوهم واستثاروهم للقتال.

(٥) كعب وعامر: من عشائر قريش.

(٦) بنو النجار: من عشائر الخزرج وهم أخوال الرسول {صلى الله عليه وسلم}، الماذي: الدروع.

(٧) مستبسل: مستميت في القتال.

(٨) ظاهر: منتصر على أعوانه.

(٩) مقابيس: مصابيح جمع مقباس. يزهيها: يعليها ويحركها.
(١٠) تبددوا: تفرقوا، الحيْن: الموت.
(١١) عدمنا خيلنا: دعاء بفقد الخيل وهلاكها. كداء: مكان في مكة.
(١٢) الأسنه: نصال الرماح، جمع سنان، مصعدات: صاعدات في أرض مرتفعة، الأسل: الرماح. الظماء: العطاش، أي متعطشة لدماء الأعداء.
(١٣) روح القدس: جبريل، ليس له كفاء: ليس له نظير.
(١٤) لست له بكفء: لست له مساويا.
(١٥) برا: كثير البر وهو الخير.. حنيفاً: يميل عن الباطل.
(١٦) لعرض محمد وقاء : تقي عرضه وتصونه.
(١٧) صارم : سيف قاطع. الدلاء: جمع دلو وهو وعاء يستقى به.
(١٨) أنكر: أغرب وأشد.
(١٩) عاد: من قبائل العرب البائده، أرسل الله إليهم رسوله هوداً، فطغوا في البلاد وأهلكهم الله بطغيانهم، حمير: آخر دول اليمن قبل الاسلام.
(٢٠) سابور وكسرى: من ملوك فارسي. قيصر: لقب يطلق على كل ملك من ملوك الروم.
(٢١) كعب الأشقري شاعر فارس، اشترك في الفتوح، وكان جنديا في جيش المهلب الذى جرده الحجاج للقضاء على الخوارج. وقد دافع عن الأمويين، فاكرموه وعدوه من شعرائهم.
(٢٢) الأزر: جمع إزار وهو ثوب يلتحف به.
(٢٣) العقل: دفع دية للقتيل. القود: القصاص.
(٢٤) الطودين: مثنى طود والطود الجبل العظيم. يشخص البصر: ينفتح ولا يطرف.
(٢٥) أعجاز نخل: أعجاز النخل: أصولها - زفته: طردته - ينقعر: ينقلع.
(٢٦) تبتدر: يسارع إليها.
(٢٧) الثغر: موضع المخافة.
(٢٨) الكميت شاعر اسلامي، نشأ بالكوفة وأخذ من علمائها حتى صار خطيبا شاعراً تشيع لبني هاشم، وقال فيهم قصائده المعروفه بالهاشميات وهي من خير شعره قتل غيلة سنة ١٢٦هـ في خلافة مروان بن محمد.
(٢٩) هو الطرماح بن حكيم الطائي. شاعر من شعراء الخوارج، كان جنديا في جيش بني أمية ثم اتصل بالخوارج وأخذ بمبدئهم وكافح في سبيله حتى مات سنة ١٠٦هـ.
(٣٠) الفرزدق: هو أبو فراس همام بن غالب التميمي، أحد الشعراء البارزين في العصر الأموي. نشأ بالبصرة والبادية، وظهر في الشعر، واتصل بولاة العراق، ورحل إلى دمشق يمدح الخلفاء.
(٣١) سمك السماء: رفعها. الدعائم: أعمدة البيت، أعز: أقوى.
(٣٢) زرارة ومجاشع ونهشل، من أجداد الفرزدق - محتب: أن يجلس الرجل وقد شد ظهره بثوب يجمع بينه وبين ساقيه.
(٣٣) الفعال: الفعل الحسن.
(٣٤) ضربت عليك العنكبوت: المراد أن بيته ضعيف كبيت العنكبوت.
(٣٥) بذخت: علوت وفخرت - سفيان وعدس وجندل: من قوم الفرزدق.
(٣٦) إذا يعد حصاهم: إذا عدوا كانوا كالحصى لكثرتهم.
(٣٧) الزحام: التزاحم على ورد الماء - المنهل: مورد الماء.
(٣٨) السابغات: الدروع - نتسربل: نلبس.

الأبوة الجائرة

من أقسى لحظات الحياة تلك التي يتجرد فيها الأب من أبوته تحت وطأة هاجس التأديب والتهذيب .. وما أصعبها من لحظات .. وما أقساه من ندم:

شعر : محمد بن ابراهيم آل ملحم
- الدمـــام -

عُذر اليـدين لدى العـيـون مـحطَّمُ   عـذلُ الدمـوع بلا خـضـوع يُندمُ
أبُنيَّ إني قـد عــهــدتُك هادئاً   مـا بالُ صـوتك كـالرُّعـود يُدمـدم
حـتى فـقـدتُ أبُوَّتي في لحظة   فـإذا يديَّ بكل صـدْغ تلطُمُ
ونسـيتُ أنَّك وردة فـيـهـا المُنى   وظننتُ أنَّك عـبـقـريٌّ مُلهمُ
سَلَبَت يديَّ بجـورها فـجـر العطا   وأتت على الحب الذي تتـعـلمُ
طمـستْ عُيـوناً للبـراءة ثملة   بـالـدَّل تـنـهـلُ مـنـهُ حـين تـكـلَّم
غـمست ببحـر القهر صيحة فطرة   وأتتْ عليـهـا بالنذير تهـمـهـمُ
سـامتْ ، برغم عُلُومها ، فيضَ النَّقا   نحـو العـداوة للحـقـود تُقـدمُ
سلبـتك مـعنى للطفـولة ناعـمـاً   وأتتك عـصـفـاً بالقـساوة ترجُمُ

* * *

مـا ذنبُ عـينك؟ أنهـا ذرفتْ ندى   من طيب دمـعك رائع لا يُكتمُ؟

مــا ذنبُ صــوتك؟ أنهُ دوَّى صــدى هـو للطفــولـة رمـــزهـا والمعلمُ!
مــا ذنبُ رجلك؟ أنهــا قــفــزت هنا! هي «شـفـرة» صـغـرى وليست تكلمُ
مــا ذنبُ رجلك؟ أنهــا قــفــزت على أرض البـسـيطة، هل تُراها تـهـدمُ!
مــا ذنبُ أيديك الصــغــار تلوّحتْ! تستجلبُ التـفـهيم حتى تفـهـموا
مــــا ذنبُ عـــقلك؟ أنَّه مـــتـــردد أم أنه لا يســتــجـيبُ فـيــفــهمُ
مــا ذنب وجـهك إذ يراقُ بصـفـعـة وأصـــابعُ البطش الرهيب تُرسمُ
مـــــا ذنبُ رجلك إذ يمزق جلدها ســـوط غـــشـــوم طائش لا يرحمُ
مــا ذنبـهــا ألأنـهــا هربتْ؟ وإنَّ هُرُ وبـهـــا من ســـوطـهـــا لا يـخـــدمُ
تلك الجـــــراحُ بُنيَّ منـي إنَّنـي ابنُ الجــراح وأنت فــيـــهـا نائمُ
وأنــا أبــوك إذ ارتمـيـت إلـى الـدُّنـا وأبو جــراحك فـــالأسـيـف النادمُ
وأخـــيُّك المسكينُ أرسل دمــــعـــهُ يـتلُو خُطـاك فـــــأنت منـهُ مُعلمُ
فــأجــاءه البطشُ الشـديدُ مُشـاطراً وأصـــابهُ مما أصـــابك أســـهمُ
تدعــوك أمُّك أنْ تُطاول جـبــهــتـي فــتــقـبل الرأس الجـهـول وتلثمُ
حــتى أمُنَّ عليك بعــدُ مــسـامــحـاً فَـتـزول أسبابُ الخـصـام وتُحسمُ
لا تعـتـذر منـي إذا «مــامــا» دعتْ إنـي قـــمـين بـالـتـــعــــذُّر مُلزمُ
برهـوم[١]٠٠ أقـبل، فـالضلوعُ كليلة من حـــر قلب لا هب يتـــضـــرَّمُ
أقـــبلْ إلـيَّ ببـــســـمـــة هـي والدُّنا عندي ســـواء، لو أتتني تـخـــدُمُ
دعني أبوحُ بدمــعــتـي عُذر البـغـا واحللْ بصـــدر قـــضَّهُ مـــا يـهـــدمُ
دعني أقـبلُ جـبـهـة تُحـيي الـهنا فلســاني المغـــرُورُ قـــد يتلعـــثمُ
دعني أشـاطرك الحـيـاة مُعـانقـا فـــعناقُ صـــدرك راحـــة بل بَلْسَمُ

الهوامش:

(١) برهوم: صيغة تمليح وتدليل لاسم ابني ابراهيم الذي قارب إكمال الرابعة من سني عمره نستعملها دوماً لمناداته.

تعددية وتفاء

الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة صاحب قلم ثرّ يهتم بقضايا الساعة ويناقش ويطرح ويدافع في جرأة علمية واثقة.
وسبق أن قام بتفنيد مغالطات الدكتور/ نصر أبو زيد في حلقات ثمانية على صفحات مجلة المنهل، كما قام مؤخرا بنشر سلسلة تحت عنوان في الانتماء الثقافي في خمس حلقات ..
وابتداء من هذا العدد يطالع محبو الدكتور عمارة سلسلة حلقاته الجديدة عن (الانسان والحضارة) وهي في ستّ حلقات.
والمنهل إذ يتقدم بموفور الشكر للدكتور عمارة على تواصله الفكري مع قرائه ليأمل من الله العلي القدير أن يكثر من أمثاله ممن يدافعون ويصدون بأقلامهم كل من يريد النيل من الاسلام والمسلمين إنه على كل شيء قدير.
المنهل



بقلم المفكر الإسلامي :
أ.د. محمد عمارة - مصر

لن نبحث - كما يصنع الكثيرون - في قواميس المفاهيم الغربية عن تعريف الحضارة، ففي ذلك خيانة للقضية التي أفردنا لها هذا البحث .. قضية التعددية، ومنها تعددية مفاهيم المصطلح الواحد، بتعدد الأنساق الفكرية، وتمايز الحضارات.

فالحضارة، في اصطلاح العربية، هي المقابل للبداوة، ففي الحضارة حضور وقرار واستقرار، ينتج للحضور - أي الحاضرين في الحضر - إحداث تراكم في التمدن، الذي يتهذب به الواقع المادي، وبتراكم التمدن، ونمو الثقافة، التي تتهذب بها النفس الإنسانية، تقوم الحضارة والعمران.

أما البداوة، فإن أهلها - الرُّحل - وإن امتلكوا «ثقافة» تتهذب بها نفوسهم، إلا أن الترحال الدائم لا يتيح لهم تنمية «التمدن» وتراكم المدنية، التى يتهذب بها الواقع المادي، ومن ثم لا يقيمون حضارة، لانعدام الحضور والاستقرار، فلا تجتمع لهم مقومات الحضارة والعمران.

فالحضارة هي العمران، بجناحيه: «التمدن» الذي يتهذب به الواقع المادي. و«الثقافة» التي تتهذب بها النفس الإنسانية وهي - الحضارة - ثمرة للحضور والاستقرار في الحواضر، والقرار في المدن والقرى والديار.

وفي القرآن الكريم: **{واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرَّعاً ويوم لا يَسْبِتُون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون}** (الأعراف/ ١٦٣).. وفي الحديث النبوي الشريف، وكذلك في الشعر العربي، ترد المقابلة بين «الحاضر» و«البادي» وبين «الحضارة» و«البداوة».. ففي الحديث: «لا يبيع

ـل .. أم واحـدية وصـراع

حاضر لباد»، أي لا يكن ساكن الحاضرة سمساراً للبائع الآتي من البادية، فيغالي في ثمن السلعة المباعة، لإقامته في الحاضرة بها، بينما البادي يريد البيع، سريعاً، كي يقفل راجعاً!٠٠ وفي شعر القطامي، عمير بن شييم (١٠هـ ٦٣١م):

فمن تكن الحضارة أعجبته
فأي رجال بادية ترانا[١]

وللمتنبي (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ ٩١٥ ـ ٩٦٥م):

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وإن لم يقصدوا فعلوا

وله، أيضاً، في المقابلة بين «صناعة» الحسن لدى نساء الحضارة في الحواضر، وبين ما «طبعت» عليه البدويات في البادية:

ما أوجه الحضر المستحسنات به
كأوجه البدويات الرعابيب
حُسْن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي البداوة حُسْن غير مجلوب

ولأن الله قد استخلف الإنسان لاستعمار الأرض وعمرانها {هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها} (هود/٦١)، **{أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}** (الروم/٩).

لهذا كان مصطلح «العمران»، في تراثنا القديم أخص بالدلالة على «الحضارة»، التي اشتهر مصطلحها وشاع في تراثنا الحديث٠٠ حتى ليميز ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ/ ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م) نوعاً من التمييز بين مضامين المصطلحين ـ الحضارة ٠٠ والعمران ـ وذلك عندما يرى الفارق بين العمران ـ الذي هو التقدم والرقي ـ وبين الحضارة ـ التي هي مرحلة بداية توقف وتراجع العمران! ـ ٠٠

فالحضارة، عنده هي: الرفه، والترف، والاستهلاك الزائد على الإنتاج، والعزوف عن العمل المنتج، والاعتماد على القوة، وزيادة الوظائف الإدارية والإشرافية غير المنتجة عن الضروري، الأمر الذي يزيد المصروفات (الخرج) عن الإيرادات (الدَّخْل)، فتزيد الجباية لونما زيادة في الثروة، بالعمل الذي ينميه العدل!٠٠ وتكون «الدولة»، في ذلك، هي وبطانتها مصدر الانفاق لأموال الرعايا!٠

هكذا عرّف ابن خلدون «الحضارة» بأنها: «أحوال عادية، زائدة على الضروري من أحوال العمران٠٠ هي سن الوقوف لعمر العالم في العمران والدولة٠٠ وذلك إنما يجيء من قبل الدولة، لأنها تجمع أموال الرعية وتنفقها في بطانتها ورجالها٠٠ فيكون دخل تلك الأموال من الرعايا وخَرْجُها في أهل الدولة، ثم فيمن تعلق بهم[٢]»٠

فما اشتهر باسم «العمران» في تراثنا القديم، اشتهر باسم «الحضارة» في تراثنا الحديث٠٠ إنها جماع التمدن والثقافة، والتراكم العمراني الذي يتزين به الواقع المادي والنفس الإنسانية، وبه يرتقي الإنسان بواقعه، ويسهم الواقع المتمدن في ارتقاء الإنسان المديني المتمدن، في الميادين العديدة: الدينية، والخلقية، والجمالية، والعلمية، والاقتصادية، والسياسية٠٠ إلى آخر ميادين الارتقاء في العمران٠

وإذا كان هذا هو مفهوم الحضارة٠٠ فإن استقراء سير تطور الجماعات البشرية جميعها، من كل الأجناس والألوان، والفلسفات والديانات، عبر

الزمان والمكان، يشهد بنزوع الإنسان، دائماً وأبداً إلى الاستقرار والتحضر والارتقاء على درجات سلم العمران.. فبالتحضر يستبدل الإنسان اليسر بالعسر، والراحة بالنصب والتعب، والأمن بالخطر والخوف، واللين بالخشونة، والسعادة بالشقاء.. فينزع - بالفطرة والمصلحة جميعاً - إلى الأخذ بأسباب الحضارة والعمران.

وإذا كان هذا النزوع الإنساني إلى التحضر مشتركاً إنسانياً عاماً بين كل بني البشر.. فهل يعني ذلك:

- وحدة الحضارة لدى البشرية جمعاء؟.

- أم أننا - في إطار وحدة النزوع الإنساني للتحضر - بإزاء تعددية حضارية، تتمايز فيها وبها الأمم والشعوب؟؟

قد لا يختلف الكثيرون في الإجابة على هذا السؤال، إن هم انطلقوا إلى الإجابة عنه من «الواقع» المتجسد في معالم التمايز الحضاري، تلك التى ترسم «حدوداً» لـ «الأوطان الحضارية» هي الأكثر رسوخاً والأطول أعماراً، في حياة الأمم والشعوب، من تلك التي تمثل «الحدود السياسية» للدول والامبراطوريات.

فتميز اليابان، كحضارة ذات هوية خاصة تميز أمتها، عبر تاريخها الطويل، هو حقيقة لا يختلف عليها السائحون، فضلا عن أهل الذكر والاختصاص!..

وتميز الهند، كحضارة مالكة لهوية حضارية خاصة، أمر لا مجال فيه للاختلاف.

وكذلك الحال بالنسبة للصين، كحضارة متميزة، إن في تراثها وتاريخها القديم، أو في نهضتها المعاصرة، التى طوعت «الماركسية - الغربية» لتراثها الحضاري الخاص!..

أما تميز الغرب، كحضارة.. فهو حقيقة يجمع عليها الدارسون، تستوي في ذلك التميز حقب جاهليتها اليونانية القديمة، ونهضتها الأوربية الحديثة، والواقع المعاصر الذي تعيش فيه.

لكن جدلا كثيراً، وخلافاً كبيراً تشهدهما ساحات الفكر - ببلادنا وخارجها - في الإجابة على هذا السؤال: وحدة الحضارة عالمياً؟ أم تعدديتها؟.

إذا كان الحديث عن علاقة حضارتنا الإسلامية بالحضارة الغربية على وجه التحديد.. فليس هناك من ينكر على حضارتنا تميزها عن حضارات اليابان والهند والصين.

لكن، عندما يكون الحديث عن العلاقة الحضارية بين المسلمين والغرب، تبرز دعاوي «واحدية الحضارة»، ونعتها بـ «العالمية» و«الإنسانية».. الأمر الذي يعني إنكار تميز الحضارة الإسلامية عن الحضارة الغربية بالسمات والقسمات التي تضمن لها هوية وخصوصية ترسم لأمتها وعالمها حدوداً حضارية يجب الحفاظ عليها وحمايتها من الغزو والمسخ والنسخ والتشويه والاقتلاع!..

وعندما لا يدور الجدل عن تميز الحضارة الغربية عن حضارات الشرق الأقصى الآسيوية - اليابانية.. والهندية.. والصينية - ويكون الجدل والإنكار، فقط، للتمايز الحضاري بين حضارتنا الإسلامية والحضارة الغربية، فإن الأمر يشي بدور المنافسة والصراع التاريخي بين الحضارتين - الإسلامية والغربية - في «تزييف الوعي» لدى منكري التمايز الحضاري في هذه الحالة وحدها.. وينبىء، كذلك، عن مقاصد الهيمنة التي تقف وراء دعوى هذه «الواحدية الحضارية» في هذا المقام بالذات.

ذلك أن حضارات الشرق الأقصى هي حضارات «محلية» لم تمتلك أي منها، عبر تاريخها، إمكانات العطاء والتأثير والقبول على النطاق العالمي، ومن ثم لم تكن «منافساً حضارياً» في الساحة العالمية عبر التاريخ، ولذلك فهي لا تمثل، حتى في مراحل «تحديثها» ونهوض أممها، «خصماً حضارياً» للحضارة الغربية، التى تهيمن على مقدرات عالمنا منذ عدة قرون.

بينما الحال في علاقة الحضارتين الإسلامية والغربية ليس كذلك .. فلكليهما إمكانات التأثير والعطاء والقبول خارج حدود «أوطانهما الحضارية» وبينهما تدافع بلغ حد الصراع - والصراع المسلح - عبر حقب طويلة من التاريخ.. الأمر الذي وقف ويقف بالمنافسات بين الحضارة الغربية وبين حضارات الشرق الأقصى، غالبا عند «البعد الاقتصادي»، بينما المنافسة بين الغرب والإسلام حضارية وشاملة لسائر الميادين.

وإذا كان بعض المفكرين الغربيين لا ينكرون «التميز التاريخي» للحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات فإن الكثيرين في الغرب قد ذهبوا على درب الانكار لتميزنا الحضاري إلى الحد الذي أنكروا فيه تميز الإسلام كرسالة دينية وشريعة إلهية، فاعتبروه مجرد هرطقة نصرانية، وتلفيقات من العهدين القديم والجديد.. ولا يزال لهذا التراث الصليبي تأثيراته حتى في الثقافة والتصورات الغربية المعاصرة[٣].. لكن الخطير والغريب أن قطاعاً كبيراً ومؤثراً من مفكري الغرب، الذين يؤمنون بالتعددية الحضارية، عالمياً، وبتمايز الحضارات بتميز ثقافاتها، يعودون فيتحدثون عن حتمية الصراع بين الحضارات، ويدعون حضارتهم الغربية لتجييش آلات قوتها - الحربية والاقتصادية والثقافية والسياسية - لمصارعة الحضارات غير الغربية، وخاصة - وبدءاً - بحضارة الإسلام.

ولعل المفكر الأمريكي «صامويل.ب.هانتنجتون»[٤] أن يكون النموذج لهذا القطاع من الفكر الاستراتيجي الغربي، الذي يسلم بتعددية وتمايز الحضارات كأمر واقع، ثم يتصور مستقبل هذه التعددية الحضارية صراعاً، ***يدعو الغرب فيه إلى أن يزيل هذه التعددية من أرض الواقع الحضاري.***

يرى «هانتنجتون» تمايز الحضارات بتمايز الثقافات «فالحضارة هي كيان ثقافي.. وليس ثمة حضارة عالمية، بل عالم من الحضارات المختلفة.. وفي العالم سبع أو ثمان حضارات كبرى: الحضارة الغربية، والصينية الكونفوشيوسية، واليابانية، والإسلامية، والهندية، والارثوذكسية السلافية، والامريكية اللاتينية، وربما الأفريقية.. وهي حضارات تتمايز عن بعضها البعض باللغة والتاريخ والثقافة والعادات، وأهم من ذلك الدين وأبناء هذه الحضارات المختلفة لديهم آراء مختلفة عن العلاقة بين الله والإنسان، والفرد والجماعة، والمواطن والدولة، والآباء والأبناء، والزوج والزوجة، وكذلك آراء متباينة عن الأهمية النسبية للحقوق والمسئوليات، والحرية، والسلطة، والمساواة والتنظيم الهرمي. وهذه الاختلافات هي نتاج قرون، ولن تختفي في القريب العاجل، إذ أنها أكثر جوهرية من الاختلافات بين الأيديولوجيات السياسية والنظم السياسية».

لكن «صامويل.ب.هانتنجتون» بعد هذا التحديد الدقيق والعميق، للتعددية الحضارية عالمياً ولأسباب هذه التعددية - ولدور الدين والثقافة في التمايز الحضاري - ولتنوع الأمم في فلسفات رؤية الكون والماضي والمستقبل، وتصوراتها للمثل والمعايير الحاكمة والمنظمة للعلاقات بين الفرد والمجموع، وبين الأمة والدولة، وبين الحرية والمسئولية.. إلخ.. الخ.. بعد هذا التحليل الدقيق والعميق لهذه القضية، نجد «هانتنجتون» يركز الأنظار على «عامل الصراع» بين هذه الحضارات، لا في الماضي والتاريخ فقط، وإنما في المستقبل أيضاً.. حتى ليكاد يوحي بأن «الصراع» هو قدر العلاقة بين مختلف الحضارات.. وخاصة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، أولا، ومع الحضارة الصينية ثانيا.. إنه لا يقول بـ «الحتمية الفلسفية» لصراع الحضارات، لكنه يقول «بالحتمية الواقعية» لهذا الصراع.

فعنده، «أن الصراع على طول خط الخلل بين الحضارتين الغربية والإسلامية يدور منذ ١٣٠٠ عام

وعلى كلا الجانبين يُنْظَرُ إلى التفاعل بين الإسلام والغرب على أنه صدام حضارات».

والغرب المصارع للإسلام، عند «هانتنجتون»، هو الغرب الثقافي، الشامل للمعسكر الذي كان شيوعياً، تجمعه المسيحية بأرثوذكسيتها السلافية وكاثوليكيتها وبروتستنتيتها «فالدين يقوي إحياء الهويات العرقية، ويعيد تحريك مخاوف الروس فيما يتعلق بأمن حدودهم الجنوبية» مع المسلمين.

وعلى نفس منوال العلاقة تاريخياً ـ الصراع ـ يرى «هانتنجتون» المستقبل أيضاً.. «فالحتمية الواقعية»، عنده، هي للصراع بين الحضارة الغربية وبين الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية.. وبعبارته «فإن البؤرة المركزية للصراع في المستقبل القريب سوف تكون بين الغرب والدول الإسلامية والآسيوية العديدة».

ولأن هذا الصراع هو «قدر الواقع» و«الحتمية الواقعية» ـ في الرؤية الاستراتيجية لـ «هانتنجتون» ـ وجدناه يخطط لقومه خطة الانتصار علينا في هذا الصراع.. فيشير بتقسيم مراحل الصراع المستقبلي إلى مرحلتين:

الأولى: والقريبة: هي مرحلة «المدى القصير» وفيها ينصح «هانتنجتون» الغرب بتوحيد عالمه الحضاري، وتجييش كل أدوات الصراع ـ من الة الحرب، إلى الاقتصاد، إلى السياسة، إلى الثقافة، الى القيم، إلى المؤسسات الدولية ـ وتركيز الصراع ضد الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية.. فيقول:

إنه «على المدى القصير.. من مصلحة الغرب أن يعزز تعاوناً أكبر وتوحيداً في نطاق حضارته، وعلى وجه الخصوص بين مكونيها الأوربي والأمريكي الشمالي، وأن يدمج مجتمعات شرق أوربا وأمريكا اللاتينية في الغرب، وهي مجتمعات ذات ثقافة قريبة من ثقافة الغرب، وأن يعزز علاقات التعاون مع روسيا واليابان ويحافظ عليها، وأن يحول دون تصعيد الصراعات المحلية بين الحضارات إلى حروب كبرى بين الحضارات، وأن يحد من توسع القوة العسكرية للدول الآسيوية والإسلامية، وأن يخفف من تقليص القدرات العسكرية الغربية، ويحافظ على التفوق العسكري في شرق وجنوب غرب آسيا، وأن يستغل الخلافات والصراعات الغربية في الحضارات الأخرى، وأن يقوي المؤسسات الدولية التي تعكس وتسوّغ المصالح والقيم الغربية وتضفي عليها الشرعية، وأن يروج لاشتراك الدول غير الغربية في هذه المؤسسات».

فالمطلوب من الغرب، في «المدى القصير» من الصراع:

١ ـ توحيد كيانه الحضاري، وتعزيز التعاون بين دوائره، ودمج شرق أوربا بغربها، وكل أوربا مع أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية.. أي الغرب الثقافي والقريب من ثقافة الغرب. الغرب النصراني، بمذاهبه المختلفة.

٢ ـ والتعاون والتحييد وضبط الصراعات في كل الدوائر الحضارية، بل واستغلال حتى تناقضات الغرب في داخل الحضارات غير الغربية، لكي يكون التركيز في الصراع ضد الإسلام والصين.

٣ ـ تقليص القدرات العسكرية للمسلمين والصينيين، وزيادة القدرات العسكرية الغربية، والحفاظ على التفوق العسكري الغربي «في شرق وجنوب غرب آسيا»، أي في مواجهة الصين والمسلمين.

٤ ـ تقوية المؤسسات الدولية، التي تنهض «بتسويغ المصالح والقيم الغربية، وتضفي عليها الشرعية، وإشراك الدول غير الغربية في هذه المؤسسات».

تلك هي معالم خطة «هانتنجتون» للمدى القصير، والمرحلة الأولى من صراع الغرب الحضاري، الذي ينصح بتركيزه على الحضارتين الإسلامية والصينية.

أما المرحلة الثانية: من هذا الصراع الغربي ضد الحضارات غير الغربية مرحلة «المدى الطويل» فهي بتعبير «هانتنجتون» مرحلة الاحتواء الغربي للحضارات غير الغربية، التي نجحت في «تحديث» واقعها، مع احتفاظها بذاتيتها الحضارية غير الغربية.

فبعد المرحلة الأولى من هذا الصراع.. مرحلة كسر شوكة الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية.. تأتي مرحلة احتواء الحضارات الأخرى غير الغربية، والتي حيدها الغرب في المرحلة الأولى من الصراع.. وخاصة تلك التي نجحت في ميدان القوة والتحديث العسكري والاقتصادي.. وبعبارات «هانتنجتون»: «.. أما على المدى الأطول، فسيكون اتخاذ إجراءات أخرى أمراً مطلوباً. فالحضارة الغربية هي حضارة غربية وحديثة معاً. وقد حاولت الحضارات غير الغربية أن تكون حديثة دون أن تصبح غربية. وحتى يومنا هذا لم ينجح في هذا المسعى إلا اليابان. وسوف تواصل الحضارات غير الغربية محاولاتها للحصول على الثروة والتكنولوجيا والمهارات والمكنات والأسلحة، التي تمثل جزءاً من كون الحضارة حديثة. كذلك ستحاول تلك الحضارات أن توائم هذه الحداثة مع ثقافتها وقيمها التقليدية. أما قوتها الاقتصادية والعسكرية فسوف تزيد بالنسبة للغرب. ومن ثم يتوجب على الغرب، على نحو متزايد، أن يحتوي تلك الحضارات الحديثة غير الغربية، التي تقترب قوتها من قوة الغرب، لكن قيمها ومصالحها تختلف إلى حد كبير عن قيم ومصالح الغرب. وسوف يستلزم ذلك من الغرب أن يحتفظ بالقوة الاقتصادية والعسكرية اللازمة لحماية مصالحه فيما يتعلق بهذه الحضارات[٥]».

هكذا يتصور «هانتنجتون» مستقبل العالم، حضارياً.

يتصور الغرب، حضارة منفردة «بالعرش الحضاري» العالمي.. ويتصور «الصراع» بين الحضارات المتعددة، سبيلا لإلغاء هذه التعددية الحضارية.. فبعد استجماع الغرب وحدته، وتجييشه لكل إمكاناته، وتحييده للحضارات غير الغربية، ينجز مهمة المرحلة القصيرة والأولى من هذا الصراع: كسر شوكة الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية.. مع ضبط كل الحضارات داخل المؤسسات الدولية «التى تسوّغ المصالح والقيم الغربية، وتضفي عليها الشرعية».. أما في المدى الأطول - وبعد إنجاز هذه المهمة - فيكون الهدف الغربي هو احتواء بقية الحضارات غير الغربية، تلك التي نجحت في تحديث مجتمعاتها عسكرياً واقتصادياً.. لينفرد الغرب بالقوة والتحديث والهيمنة على العالم، دونما شريك، وخاصة إذا جمع هذا «الشريك .. الآخر» بين التميز الثقافي والحضاري وبين نهضة التحديث وقوة التجديد.

«البحث موصول»

الهوامش:

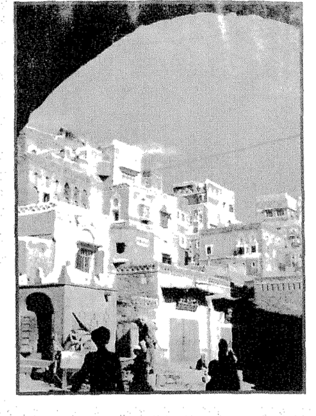
(١) ابن منظور (لسان العرب) طبعة دار المعارف، القاهرة.

(٢) (المقدمة) ص ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٥. طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢هـ.

(٣) أنا ماري شيمل: «أوهام الغرب عن الإسلام» صحيفة (الحياة) - لندن - في ١١و ١٢ مايو سنة ١٩٩٦م.

(٤) استاذ في السياسة والاستراتيجية، ومدير معهد «جون م. أولين» للدراسات الاستراتيجية، بجامعة هارفارد الأمريكية، وهو يهودي الديانة.

(٥) اعتمدنا في دراسة «هانتنجتون» على ترجمة عبد المنعم محفوظ، انظر مجلة (الحرس الوطني) الرياض - عدد ذو الحجة ١٤١٦هـ، مارس - ابريل ١٩٩٦م ص ٨٤ - ٩٠.



في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطيع وجوه الناس
السائح يستقريء
الملامح ويرسم اللوحة

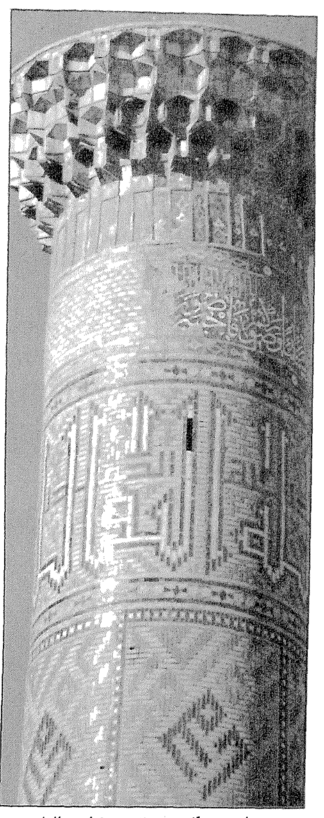


اليمن
بلاد التاريخ .. والجمال الخالد

مشاهدات من سورينام

السائح

سمرقند .. حاضرة السلام


- إحدى مآذن سمرقند تحتفظ بجمالها رغم تعاقب القرون

غزا القائد العربي المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي بلاد ما وراء النهر وحاصر مدينة سمرقند فاضطر حاكمها إخشيد غورك الى التسليم في عام ٩٣هـ - ٧١٢م وتولى حكم المدينة سليمان بن أبي السرى الذي أحسن معاملة الأهالي فعرفوا الشريعة الاسلامية وتسامحها وعلموا أن أحكام شريعة الحرب عند المسلمين قد انتهكت لعدم إنذار السكان بالغزو وعدم إعطائهم مهلة ثلاثة أيام لينظروا هل يقبلون الدخول في الاسلام فإذا رفضوا عليهم أن يدفعوا الجزية فإن أبوا يكون القتال بين الفريقين، وتأكدوا أن قتيبة فتح مدينتهم عنوة مخالفا القواعد المتبعة والمتعارف عليها اسلاميا، ولما تولى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز عام ٩٩هـ سمعوا عن عدله وتأكدوا أنهم سينصفون إذا رفعوا شكواهم إليه واستأذنوا الوالي ابن ابي السرى في ارسال وفد يمثلهم لمقابلة الخليفة في دمشق، وسمع رأيهم وكتب الى عامله بسمرقند قائلا: «إن أهل سمرقند قد شكوا إلي ظلما أصابهم وتحاملا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم فإذا أتاك كتابي هذا فاجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم فإن قضى لهم فأخرج المسلمين الى معسكرهم كما كانوا من قبل وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة».

وجلس القاضي جميع بن حاضر فقضى أن يخرج العرب من سمرقند الى معسكرهم وينابذونهم على سواء فيكون حاضرا جديدا أو ظفرا عنوة.

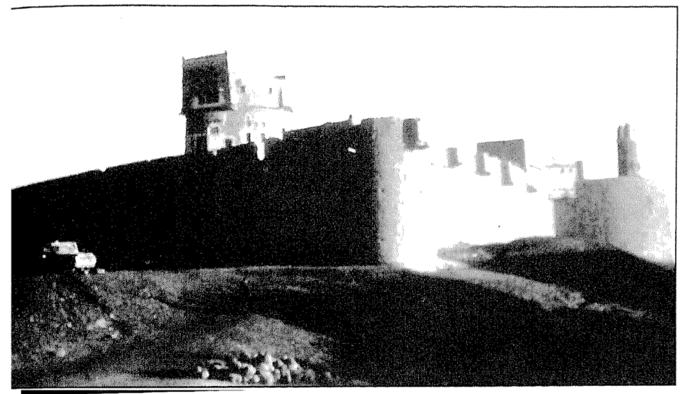
ـ هذه القبة تمثل روعة النقوش والزخارف في المعمار السمرقندي

ولما نفذ حكم القاضي دار نقاش بين أهل سمرقند وقال أهل الرأي عندهم «بل نرضى بما كان ولا نجدد حربا فقد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم وأمنونا وأمناهم فإن حكم لنا عدنا الى الحرب ولا ندري لمن يكون الظفر، وإن لم يكن لنا كنا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة» وفضلوا الصلح مع المسلمين العادلين. وأصبح أهل سمرقند درعا للإسلام حماة للدعوة حاملين لواءها الى قلب آسيا وغدت أهم مراكز الاشعاع الحضاري والثقافي عبر السنين.

ـ قطعة من البلاط الموزابيك المزركش باللون الازرق، وهو اللون المفضل في العمارة التيمورية



اليمن .. بلاد التاري



- قلعة صعدة

مما يدهش في اليمن السعيد.. عطر التاريخ، وشيخوخة الأحجار، الأيام الغابرة.. الآثار المتناثرة.. العرس اليمني .. الجنبية.

ندى ترابها.. جبال ملحها.. طواحين الهواء..

فمن صنعاء .. إلى عدن لابد أن نقف حتى نسجل أن بلاد اليمن سعيدة.

هنا التاريخ .. الآثار .. العادات والتقاليد..

بعيداً عن السياسة وعن الحروب.. وعن كل ما يعكر صفو الحياة في بلاد اليمن السعيد.

كل شيء يدعو إلى السؤال متى ستكون الزيارة.. ومتى العودة إلى صنعاء.. فلابد من صنعاء وإن طال السفر.

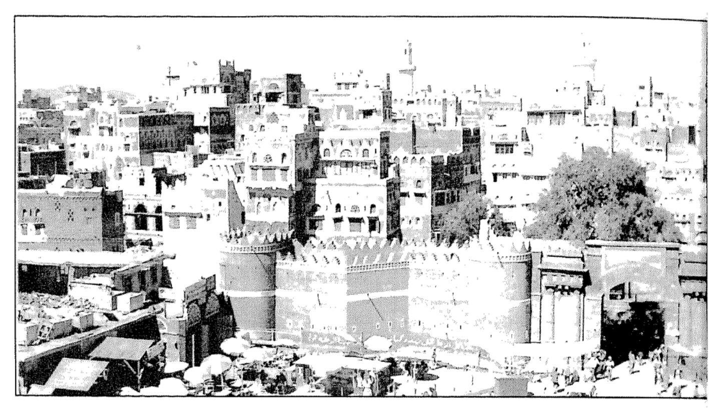
ممالك اليمن قديماً :

أهم الممالك التي تعاقبت على حكم اليمن هو المعينيون، السبئيون، القتبانيون، مملكة حضرموت، دولة حمير الأولى والثانية وأخيراً الأحباش.

المعينيون وهم من القبائل السامية، شيدوا القصور والمعابد وقد استمرت حضاراتهم حتى ١١٥ ق.م وكانت العاصمة قرناً أو القرن التي يسميها العرب السوداء.

إعداد : باسل يوسف
- اليمن -

ـخ .. والجمال الخالد



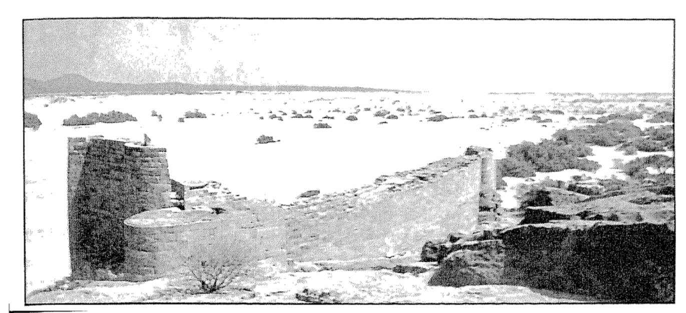
- المعمار اليمني القديم

السبئيون هم فنيقيو البحر الجنوبي كما وصفهم الدكتور فليب حتّي وسيطروا على تجارة البخور والعطور والأفاويه وأقاموا خطوطاً برية تنطلق من اليمن إلى البتراء ومنها إلى بلاد الشام وكانت القوافل تنطلق منها للاتصال ببقية طرق التجارة، كذلك اشتهرت بالعمران والزراعة وعرفوا بناء السدود وبرزت البراعة في سد مأرب الذي يعود تاريخه إلى ٦١٥ ق٠م٠

القتبانيون ويمتد العصر الذهبي لهذه المملكة من نهاية القرن الخامس ق٠م إلى الرابع الميلادي، وكانت العاصمة تمنع وتعد هذه المناطق من أخصب مناطق الزراعة وكان فيها مصانع معدنية وخزفية شبيهة بالمصنوعات الهللينية والرومانية٠

مملكة حضرموت نشأت في القرن السادس ق٠م حتى القرن الميلادي الأول ويطلق عليها اسم ملك شيعة وكان ملكها يعرف باسم ملك بلاد البخور والطيب٠

الدولة الحميرية الأولى وقد عرف الملك باسم ملك سبأ وذي زيدان، ورث الحميريون أمجاد الحضارة السبئية والمعينية، ومن أهم آثارهم قصر غمدان الذي بناه في صنعاء ملك حميري، وهو أشبه بقلعة ترتفع عشرين قدماً وكان الملك يضرب النقود الذهبية والفضية والنحاسية باسمه، وتحمل رسمه على أحد وجهيها وبومة على الوجه الآخر٠ واهتمت الدولة الحميرية بالتجارة وعززت طرقها التجارية البحرية

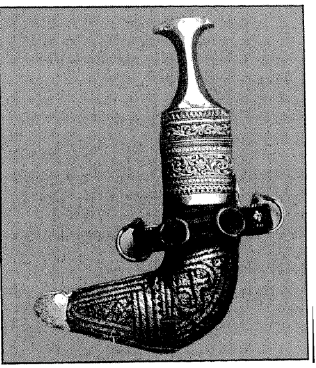


- سد مأرب

والبرية وبقي الخط البحري الجنوبي الذي ينتهي إلى الهند وإفريقيا ثم تنقلها القوافل برا عبر الحجاز إلى الشام فمصر ولعبت كل من تدمر والبتراء دوراً كبيراً، وقضي على دولة حمير بعد اكتشاف الرومان أسرار الخطوط التجارية مع الهند من خلال التعرف إلى استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية وهكذا أخذت السفن الرومانية تتجه إلى الهند مباشرة وتعود محملة.

الدولة الحميرية الثانية حكمها كرب يهمن ولقب الحاكم باسم ملوك سبأ وذي زيدان وحضرموت ويمنات وخلال هذه الفترة أسس حجر بن عمرو دولة كندة وتصدع سد مأرب وانتقلت العاصمة من مأرب إلى ظفار وآخر ملوك هذه الفترة ذو نواس.

الأحباش من أبرزهم القائد الحبشي أبرهة، واستمر حكم الأحباش إلى سنة ٥٧٥م عندما برز بطل عربي من حمير وهو سيف بن ذي يزن الذي طرد الأحباش بمساعدة الفرس الذين جعلوا اليمن ولاية من ولاياتهم حتى سنة ٦٢٨م حين اعتنق بازان الحاكم الفارس على اليمن الإسلام.



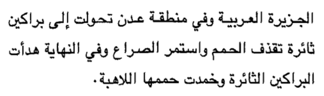
- الخناجر (أو الجنابية)

صهاريج عدن وقصر غمدان في صنعاء:

تاريخ عدن قديم قدم الدهر. فقبر هابيل فوق جبال شمسان، وبلقيس ملكة سبأ غادرت عدن مع جوارييها لتقابل سليمان الحكيم.

سلسلة جبال السَّراة تسير متصلة من الشام عبر





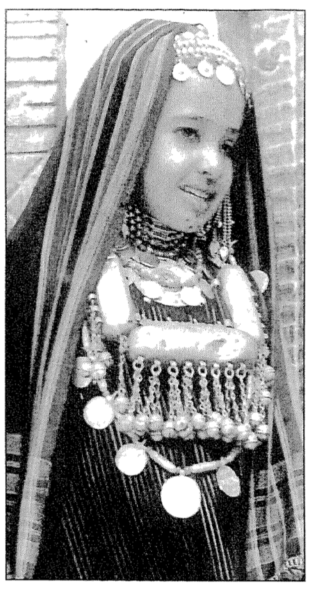
الجزيرة العربية وفي منطقة عدن تحولت إلى براكين ثائرة تقذف الحمم واستمر الصراع وفي النهاية هدأت البراكين الثائرة وخمدت حممها اللاهبة.

إنها عدن القديمة أوكريتر وهي الترجمة الانجليزية للفظ فوهة بركان. مساحة عدن لا تتعدى ٧٥ ميلا مربعاً وهي عبارة عن رأسين بركانيين يطبقان على خليج صغير عرضه سبعة أميال وعلى الرأس الشرقي تقع عدن القديمة ويقوم خور مكسر بربط هذا الرأس بالأرض حيث تقع مدينة الشيخ عثمان والاتحاد وقرية الحسوة وفي الرأس البركاني الثاني تقع عدن الصغرى حيث مصافي النفط.

يقول الهمذاني عن عدن كانت عدن محصورة بين الجبال ليس لها طريق إلى البر فقطع في الجبل باب لسلوك الدواب والجمال والحامل والجفان. فوق هذا الممر أنشيء جسر سمي بجسر العقبة. ثم هدم هذا الجسر في نيسان ١٩٦٣ ووسع الطريق الضيق وحوّل إلى مسار باتجاهين.

عدن غزاها البرتغاليون سنة ١٥١٣ و ١٥١٦ ولكن دون جدوى. وفي عهد السلطان سليم الأول أعطى الأمان لحاكمها عمر بن داود في ١٣ أغسطس ١٥٣٨ وصعد على سفينة عمر بن داود وقطع عنقه واستولى على البلاد، عندها ثار أهل عدن وطردوا الأتراك وسلموها طواعية إلى البرتغاليين وعاد الأتراك يطردون البرتغاليين وفي عام ١٦٣٠ طرد اليمنيون الأتراك وأعادوا عدن إلى اليمن.

وفي ١٧٢٨ تمرد شيخ العبادلة في لحج واستقل بعدن، وفي ١٩ يناير ١٨٣٩ قصفت عدن من قبل بريطانيا بحجة أن السفينة التجارية دريا دولت غرقت أمام السواحل العدنية وتحمل بضائع بقيمة ٢٠ ألفاً من الجنيهات وكانت عدن أول مستعمرة تم امتلاكها


- من ازياء النساء وحليها

في عهد الملكة فيكتوريا. حكمت عدن بواسطة شركة الهند الشرقية حتى عام ١٩٢٣ ثم تحولت إلى حكومة الهند وفي ١٩٣٧ أصبحت عدن مستعمرة من مستعمرات التاج البريطاني يحكمها حاكم عدن.

من أروع الأعمال الهندسية في عدن بعد سد مأرب تأتي صهاريج عدن القديمة مبنية على وادي الطويلة طوله ٧٥٠ متراً، كانت السيول تندفع فتصيب المدينة بأضرار وعندها بُنيتْ هذه الصهاريج الاثنى عشر التي تتسع لعشرة ملايين جالون من المياه.

وكانت هذه الصهاريج منسية إلى أن اكتشفها الكابتن بليفر عام ١٨٥٤ فأزيلت القاذورات ورممت ولم تستعمل كخزان بل كأثر يزوره السياح، أما باني هذه الصهاريج فلا أثر له، البعض يقول إنهم بنو حمير والبعض يقول قبل ١٥٠٠ سنة قبل الميلاد.

وصنعاء هل ندخلها من الحكاية المتوارثة بأن سيدة أمريكية طلبت من الإمام أحمد أن يبيع صنعاء بأربعين مليون دولار بعد إخلاء سكانها على أن يبني لهم مدينة أخرى.

أم الشعر العربي الذي قال:

يوماً تغنى في منافينا القدر
لابد من صنعاء وإن طال السفر

صنعا مدينة أبحرت في التاريخ فصارت حجارتها مدينة الجمال الخالد ذات الأبواب السبعة وقصر غمدان مدينة الأنماط الأربعة من المباني العربية - اليهودية - الإسلامية - العثمانية كلها لها سماتها في البناء واختلافها به انسجام ولكل منه طابعه الخاص.

أم ما ذكر في النثر العربي وما قاله أمين الريحاني: لا تخيب للزائر أملا وكلما دنوت منها ازداد رونقها وازداد إعجابك بها هي في مقامها الطبيعي قرية عجيبة فيها الهواء أعذب من الماء والماء أصفى من السماء والسماء أجمل من حلم الشعراء وفيها البرد وقد علت تسعة آلاف قدم عن البحر يستحيل لقربها من خط الاستواء دفئاً، وهي قائمة في قاع سنحان تزينها من جهة الروضة وفيها البساتين والكروم وفيها السواقي والطواحين.

ويقول الهمذاني: عن بناء صنعاء: أقبل طالعاً من الجنوب يرتاد أطيب البلاد حتى صار إلى الإقليم الأول فوجد اليمن أطيبه مسكناً فارتاد اليمن فوجد حقل صنعاء أطيبها بعد المسيرة الطويلة فوضع مقرانة (الخيط الذي يقدر البناء به) في ناحية فج (مضيق بين جبلين) بمضدان في غربي حقل صنعاء فبنى ما يعرف اليوم بصنعاء فلما ارتفع البناء بعث الله إليه طائراً فاختطف المقرانة وطار بها وتبعه سام لينظر أين وقع فأم بها إلى جيوب النعيم من سفح نقم فوقع بها فلما اقترب سام منه طار بها وطرحها على مرة (أرض مدرجة في المرتفعات)، غمدان فلما قرت المقرانة على حرة غمدان علم سام أنه قد أمر بالبناء هناك فأسس قصر غمدان واحتفر بئره هكذا بدأت مدينة صنعاء القديمة التي كان غمدان أولها وفي معجم البلدان قال صاحبه، وهدم غمدان في أيام الخليفة عثمان بن عفان قيل له إن كهان اليمن يزعمون أن الذي يهدمه يقتل فأمر بإعادته فقيل له لو أنفقت عليه قراب الأرض ما أعدته كما كان فتركه.

وأخيرا من أهم الآثار الجامع الكبير ويقال إن فردة بن سبك بناه عام ست للهجرة بأمر الرسول {صلى الله عليه وسلم} وبه مكتبة بها ثلاث آلاف مخطوطة في مختلف العلوم الإسلامية منها مخطوطة قرآنية بخط الإمام علي رضي الله عنه وأخرى بخط الصحابي زيد بن ثابت محفوظتان في خزانة من حديد وغير مسموح بتداولهما.

شراشف النساء:

أما عند الحديث عن ما ترتديه النساء في اليمن فهناك الشرشف أصله تركي وكان يعرف في السابق باسم الكاب وهي محرفة عن اللفظ الإنجليزي Cape ومعناها الرداء الفضفاض الذي يوضع على الكتفين ولا تكون له أكمام وتقوم تنورة سوداء بإكمال تغطية





ـ نقش الحناء وزينتها

ـ من بوابات المدينة القديمة

الجسد من جهته السفلى إلى مستوى القدمين ويغطي الوجه بقطعة قماش سوداء تعرف اللثمة.

كذلك هناك الستارة وهي أكبر عمراً وهي لباس المرأة، تحيط المرأة جسدها كله به وتعد الهند المكان الأول للإستيراد.

كذلك في بلاد اليمن ينقش على جسد المرأة المتزوجة وتحضره القريبات والصديقات، وتوجد ثلاث مدارس للنقش في اليمن واحدة في صعدا بالشمال، والثانية في صنعاء بالوسط والثالثة في حضرموت بالجنوب. وتستخدم صبغة سوداء من نبات أسود اللون يفضلونها عن الحناء، ويمتد النقش من كعب القدم ويرتفع بخطوط منمنمة إلى الساق.

جنبية الرجال:

وأهم ما يميز رجال اليمن الجنبية ولا يكتمل الزي الوطني إلا بها ويشعر الرجال بالعري إذا لم يأتزروا بها وقد ترمز لمكانة اجتماعية وهي من مظاهر الرجولة، والجنبية هي خنجر معقوف يلتصق جرابه الخشبي المكسو بجلد الماعز بحزام يلف بنسيج مزركش، ويوجد نوعان من الجنبية نوع معقوف مثل حرف اللام وهو الغالب ونوع أقل تقوساً يحمله فقط كبار رجال الدين، كذلك يرمز المقبض والغمد والحزام إلى المكانة الاجتماعية للشخص. والجنابي أنواع مختلفة ذات المقبض الخشبي التي يأتزر بها الفقراء وهناك من العاج أو سن وحيد القرن أو قرن المزراق أو الفضية المشغولة. ويشترك في صنعها أربعة من الحرفيين ذوي المهارة العالية. الحداد الذي يصنع النصل الصلب من أفضل خامات الحديد من شمال اليمن، ثم عامل الصقل الذي يصل بالنصل إلى شكله النهائي اللامع الحاد. ثم النحات الذي يصنع المقابض المناسبة، ثم يأخذه صانع الجراب والحزام الجلدي وهناك الجنبية التقليدية المعروفة باسم عصيب المزركش ثوما والطويلة



- ـ مدينة مأرب القديمة

صليبة لا يرتفع نصلها لامعاً في الهواء إلا في رقصات البرع.

السيف اليمني:

وصناعة السيوف سادت منذ آلاف السنين، واشتهر اليمنيون ببراعتهم في فن هذه الصناعة ومازالت هناك أماكن خاصة لصناعة السيوف وإذا صنع السيف اليمني في اليمن سمي يمان وقد قال فيه الشاعر:

بأسمر من رماح الخط لدن
وأبيض صارم ذكر يماني

وللسيف اليمني أسماء عديدة منها الصارم - الصمصام - الحسام - الصيقل - الرسوية والفولاذ.

ومن أشهر الأسياف كان سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي وهو من فرسان اليمن المشهورين بالبأس وعرف سيفه بالصمصام الذي كان يزن ستة أرطال وله حد واحد وكتب عليه بالذهب: ذكر على ذكر يصول بصارم، ذكر يمان في يمين يمان.

ويقدّر عرض نصله بثلاثة أصابع تامة وهو لا يثنى، وأهم مميزات السيف اليماني صناعته من الحديد الفولاذ وقد أطلق عليه الكندي العتيق.

كذلك اهتم اليمنيون بزخرفة السيوف، وبعض السيوف على حسب ما ذكر الكندي والبيروني كانت عليها صور لحيوانات وأشجار، والمقابض كانت تزخرف بالعاج والأبنوس، وكتب عليها طلاسم اعتبرت من عمل الجان فسيف سام بن نوح كان يعتقد أنه



- مدينة زبيد وحصنها القديم

يحمي حامله من القتل، وفي العصر الإسلامي نقشت على السيوف آيات من القرآن الكريم وكانت الزخرفة على العروق، أما عن شكل الشطف فكان بأشكال زاوية هندسية مربعة متساوية في وجه السيف وتسمى شهادست وجوهر السيف كان يتخذ شكلا هندسياً قوامه مستطيل وهو أبيض على أرض حمراء أو أخضر ورأس السيف على شكل مخروطي وكان سيلان السيف اليمني القديم يتخذ شكلا هندسياً مربعاً.

آثارها المسلوبة:

لا يمكن الحديث عن اليمن دون الحديث عن الآثار المسروقة فاليمن تعاقب عليه الكثير من الحضارات وجرت عليه الكثير من الحوادث والحروب فبعض هذه الآثار وجد طريقه إلى المتاحف العالمية فمنطقة بوند ستريت في وسط لندن مركز التجارة للآثار، وعملية البيع جاريه على قدم وساق ومن أسواقها ما هو مختص بالعملات القديمة وآخر بالآثار.

والمتاحف اليمنية قليلة العدد نسبة بالمناطق الأثرية اليمنية وقد أنْشيء في اليمن العديد من المتاحف فهناك المتحف الوطني في عدن والمتحف الحربي ومتحف الفنون الشعبية وهناك المتاحف الخاصة بالثورة اليمنية. أما مخلفات السلاطين والأمراء فقد تعرضت للإهمال دون الاكتراث بالقيمة الأثرية ويمكن ملاحظة بيع الآثار في المحافظات الشمالية والدكاكين ثم في المحافظات الجنوبية بعد الحرب بين الشمال والجنوب صيف ١٩٩٤.

٢

أمريكا الجنوبية

مشاهدات من سورينام

في مطار باراماديبو:

هبطت الطائرة في مطار (باراماديبو) عاصمة سورينام في الثالثة والربع من قبل الفجر، ولم نقف طويلا عند ضابط الجوازات لكوني أحمل سمة دخول دبلوماسية على جوازي من سفارتهم في برازيليا عاصمة البرازيل.

أما مفتش الجمارك فلم يكتف بترك الأمتعة تمر؛ بل انحنى بالتحية عندما رأى جوازي سياسياً

ولكن الوقوف كان في انتظار السيارة التي تقلنا في هذه الساعة المتأخرة من الليل؛ إذ لم نجد أثراً لسيارة أجرة، فسألنا موظفاً في المطار، فقال: إن الحافلة الصغيرة تنتظركم، وبالفعل حملنا أمتعتنا ووقفنا طويلا حتى اكتمل مجيء المسافرين كلهم الذين ليس لهم سيارات خاصة، فسارت الحافلة، وهي صغيرة، في الرابعة إلا ربعاً مع الفجر.

سارت الحافلة، وسارت ولم نكن نعرف كم بقي من الطريق؛ حتى استغرق سيرها ساعة كاملة، وكنا نقصد فندق السفير (إمباسادور)، أو فندقاً آخر.

كانت الحافلة تسير والوقت يمضي، ونحن بين رضا بذلك، وسخط له، فتأخرها قد يعفينا من أجرة اليوم الذي نحن في ليلته، وهو الذي دفعنا أجرته إلى فندق (نوفوتيل) الذي كنا فيه أمس في مدينة (بليم) بالبرازيل، وغادرناها في منتصف الليل. وتقدمها يعفينا من التعب والسهر الذي مازلنا فيه منذ يومين.

في مدينة باراماديبو:

وصلنا قلب المدينة الذي يقع فيه فندق (إمباسادور) في الخامسة إلا ربعاً فجراً، وقد بدت غرة الفجر وضاءة تطل على استحياء من خلال غلائل من غيم رقيق، ولكن هذا لم يعفنا من أجرة الليلة الماضية التي دفعناها أيضاً لفندق نوفوتيل في بيليم، فأصر الموظف في الفندق على أن الأجرة تحتسب يوم الأحد ١١/٤ على حين أن ختم الجوازات في مطار باراماريبو يحمل تاريخ وصولنا يوم ١١/٥، ولم تكن حالتنا تسمح بأكثر من مناقشته مناقشة لم يقتنع بها.

وهكذا دفعنا أجرة الليلة التي تتبع يوم الأحد لفندقين في بلدين مختلفين من دولتين مختلفتين.

بدا الفندق من غرفه أنه رغم ما اظهروه من

بقلم : الشيخ محمد بن ناصر العبودي
الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي
ـ مكة المكرمة ـ



ـ أحد المساجد في باراماديبو

كونه من فنادق الدرجة الأولى هو من فنادق الدرجة الثانية في البرازيل؛ من حيث الاستعداد في الغرف حتى في عدد المناشف.

كما ظهرت لنا الإعلانات التي تحمل تحذيرات النزيل من أن يترك في غرفته شيئاً ذا قيمة، وهذا أمر ليس شائعاً في فنادق البرازيل، والأرغواي، والأرجنتين، وقد كتبوا في الغرفة لافتة تقول: «من فضلك ساعدنا بتأمين ما لديكم مما له قيمة بسرعة»، وفي الغرفة ثلاثة مزاليج من الداخل في بابها، ولا شك في أن الأمر مختلف جداً ما بين هذه البلاد (السورينامية) وبين البلاد الأمريكية اللاتينية، وإن كانت تشترك كلها في تجاورها في القارة الأمريكية الجنوبية.

يا رعى الله البرازيل:

بعد نوم قليل رغم السهر الطويل، نزلنا لتناول الإفطار في مطعم الفندق في الثامنة، فذكرنا البرازيل، وصباحها الجميل الذي يصافحك فيه منظر الفاكهة أنواعاً منوعة على طعام الإفطار، ومعها الجبن وحده هو أيضاً أصناف مصنفة، أما الحليب، فإنهم لا يعرفون تقديم الاصطناعي المجفف منه، وإنما هو الطبيعي الطازج اللذيذ النافع، وقل ما شئت عن البسكوت، وأنواع الخبز في سخاء يجعل فطور الشخص الواحد يصلح لأن يقدم في أوروبا لثلاثة أشخاص؛ دون أن يصل الأمر إلى حد التقتير.

وكل ذلك بالمجان تتضمنه أجرة الغرفة التي

هي تكاد تكون أيضاً بالمجان، والأهم من ذلك في عين النزيل ما يفتح عليه نظره في صباحه، فهو يرى ابتسامة مضيئة، أو طلعة بريئة، أو حتى وردة ندية، ولكنه رأى في هذه البلاد السورينامية، وجوها كدرة وألوانا غير نيرة.

وجاء الإفطار نزراً قد قتروه تقتيراً. وأخروه كثيراً، وجاؤوا بحليبه في قاع فنجان من المسحوق ليس له منظر يروق، ولا طعم شهي لمن يذوق، ولم يحضروا معه شراب البرتقال، وأما الخبز فإنه قطع يابسة، لا يستسيغها حلق جوعان، وليس فيه من الفاكهة شيء، ومع ذلك طلبوا ثمنه نقداً قيلدرين ونصفاً، والقيلدر السورينامي يساوي من الناحية الرسمية القيلدر الهولندي، ولكنه ينقص النصف في السوق الحرة.

وكانت محاولة بعد الإفطار، وقد ارتفع النهار، للجولة في الشارع، لاستجلاء وجوه الناس، وإلقاء نظرة سريعة على الحوانيت، فكانت الصدمة أعظم، والفرق بينها وبين البرازيل أطم، فالوجوه هنا تدعو للانقباض، والجو يلجيء إلى الارفضاض.

جولة في مدينة باراماديبو:

لا نعتزم اللبث طويلا في سورينام، ولكن عناوين الدعاة المبتعثين من المملكة العربية السعودية فقدت من زميلي الشيخ محمد بن قعود، فهاتفنا الأخ المسلم الذي اعطتنا زوجته رقم هاتفه، وطلبنا منه أن يرسل إلينا الشيخ (محمد علي أحمد)، وهو أندونيسي، ويعمل مرشداً وواعظاً ومدرساً في هذه البلاد.

فما أسرع أن جاء الشيخ محمد علي بسيارة له خاصة صغيرة قديمة من طراز (فولكس فاجن) فانطلقنا مخترقين القلب التجاري للمدينة الذي يشتمل على حوانيت متلاصقة أشبه ما تكون بحوانيت الأحياء الغنية في المدن الهندية أو العربية، ثم خرجنا إلى ضفة النهر؛ نهر سورينام الذي أقيمت عليه مدينة (باراماديبو)، فسرنا على شاطئه قليلا، ورأينا فيه الميناء النهري في خور أي خليج صغير؛ لا تكاد تميزه عن الخور البحري الهائل المياه، لولا حمرة مياهه التي تجبرك على التذكر بأنها مياه عذبة، وليست بالمياه البحرية المالحة.

والناس؟

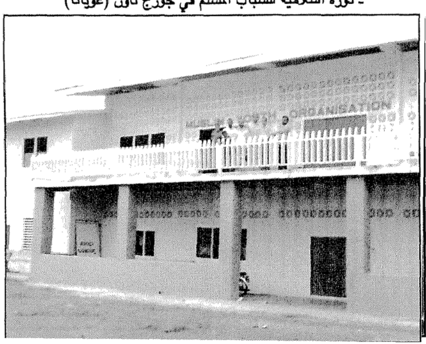
وأما الناس، فإنهم من النظرة الأولى التي غالباً ما تثبت النظرات التالية لها أنها لا تختلف، فإنهم السود الذين لا يختلفون في ألوانهم عن الأفارقة، قد اختلطوا بسمر الأصول، ولكن الجو الاستوائي في هذه البلاد قد زادهم سمرة إلى سمرة، وبخاصة منهم من كانوا من الهنود الآسيويين، ولابد هنا في هذه المنطقة، والتي هي سورينام، وغيانا، وجزر البحر الكاريبي مثل ترينداد، وجامايكا، وفنزويلا، لابد من نعت الهنود بنسبتهم إلى القارة التي كانوا يعيشون فيها، لأنه يوجد هنود آسيويون جاؤوا من القارة الهندية مهاجرين، كما يوجد هنود امريكيون، وهم سكان هذه البلاد الأمريكية الأصلاء الذين كانوا فيها قبل مجيء المكتشفين الأوربيين، ويسميهم الإنكليز (الأمروإنديان)، وهذا نحت من كلمتين هما: الهنود الأمريكيون.

ولم نر أحداً من الجنس الأبيض في الشوارع إلا فيما ندر:

وأما الأمريكيون اللاتينيون كما يسمون نسبة إلى لغاتهم التي أصلها من اللاتينية، وهم الموجودون في أمريكا الجنوبية والوسطى، ويشبهون العرب في كثير من الوجوه، وبخاصة في الألوان، فإنهم غير موجودين هنا أصلا، وعندما كنا في أمريكا الجنوبية مثل البرازيل لم نكن نحس بينهم بأننا غرباء بأية حال من الأحوال إلا فيما يتعلق بالمعتقدات والديانات، وهي أمر لا يسأل القوم عنها هناك إلا كما يسأل الإنسان عن أشياء يستظرفها، أو يتظرف بالحديث عن آثارها حين يستكشفها .

وهنا في هذه البلاد جنس موجود إن لم نقل كثير الوجود، وهو الجنس الأسود المختلط بالجنس الأسمر مثلما يختلط الإفريقي بالهندي الآسيوي، فتنشأ بينهما ناشئة هي وسط بين الجنسين من حيث اللون، أو من حيث التقاطيع، أو حالة الشعر من مجعد معقد إلى سبط ممدد .

ـ دورة اسلامية للشباب المسلم في جورج تاون (غويانا)



ـ مبنى منظمة الشباب المسلم في غويانا .

ومن الملاحظ الغريب أن الذين ينتمون إلى الجنس الأندونيسي، وهم نسبة لا بأس بها من السكان في هذه البلاد تراهم في الشوارع والمحلات، ولكنك لا تراهم اسودوا كثيراً كما فعل الهنود، ولا شك في أن مرجع ذلك إلى شيء في طبيعة الجنس الصيني، ومن ألحق به من الناس كالجنس الملايوي الذي يعيش في ماليزيا وأندونيسيا، والذين يقال إنهم جاؤوا من جنوب

الصين هم أبعد الناس عن الاسوداد في كل البلاد.

ويكفي من التدليل على ذلك أن بلادهم تقع تحت خط الاستواء، ولكن الأندونيسيين والملايويين ليسوا سوداً؛ على حين أن جميع الأجناس الأخرى التي تعيش تحت خط الاستواء مباشرة، أو حتى تحت الدائرة الاستوائية قد اسودوا، ومنهم العرب الذين تأفرقوا.

وقد رأيت الصينيين الذين هاجروا لجيلين أو ثلاثة في إفريقية لم يتغيروا في ألوانهم؛ بخلاف غيرهم من الهنود الآسيويين، والعرب، والأوروبيين.

وناهيك بالملايويين الموجودين في مدغشقر الذين مضى على هجرة أسلافهم إليها أكثر من ألف سنة، ولا يزال بعضهم محتفظاً بلونه الملايوي الأصيل؛ على حين كونه يعيش وسط جو أسود من أجناس أخرى متفرقة.

والمظاهر الموجودة هنا تدل على أن هذه البلاد كانت قد شهدت ازدهاراً اقتصادياً، ويتمثل ذلك في أشياء كثيرة؛ أظهرها السيارات الموجودة في أعداد وافرة في الشوارع. وقد اخبرونا أن الحكومة منعت استيراد السيارات في الوقت الحاضر طلباً للتوفير، ولكونها توجد منها أعداد كافية عندهم، وسير السيارات هنا جهة اليسار؛ بخلاف البرازيل التي تسير السيارات فيها جهة اليمين مثلنا.

إلى مسجد الإستقامة:

عدنا إلى قلب المدينة لزيارة (مسجد الاستقامة) فرأينا معبداً كبيراً ظاهر الشعار، قالوا: إنه معبد للقاديانيين؛ يسمونه مسجداً، ومظهره على البعد شبيه بمظهر المسجد، فله أربع منارات مرتفعة.

واجتزنا جسراً على نهر صغير، وهم يسمونه صغيراً لعدم مبالاتهم بالأنهار وكثرتها، وهو فرع من نهر سورينام الضخم.

ثم وصلنا ضاحية من المدينة بيوتها متفرقة، وبعضها متلاصقة، وإن كانت تفصل بينها مساحات من الخضرة يسمونها حدائق، وهي حدائق بالفعل، ولكنها قطعة من حديقة ضخمة هي بلاد (سورينام) كلها،

ـ مجموعة من الدعاة في باراماديبو.

ولا يكلفهم اتخاذ الحديقة شيئاً، وربما كانت مكافحة الزائد من النبات أكثر مشقة عليهم من الاستنبات، لأن الأعشاب والحشائش تنمو من تلقاء نفسها، لذلك لا يدل وجود الحديقة في منزل على أن صاحبه غني، وإنما تختلف الحدائق في بيوت الأغنياء عن الحدائق في بيوت الفقراء بالتنسيق والتزويق، وبخاصة التزهير، ونوع التسوير.

ولكن مظهر البيوت في هذه الضاحية ليس بهيجاً؛ بل يدل أكثره على العوز والحاجة، فكلها من الخشب، وبعضها من الأخشاب الرثة لأن تعهدها بالطلاء والصقل يحتاج إلى نفقة لا يقدر عليها الفقراء.

وكلها ذات سقوف مسنمة من الصفيح، وذلك لكي تنزلق عنها الأمطار في هذه البلاد المطيرة، أما الأشجار الكبيرة النامية فيما بينها فأكثرها ظهوراً، وإن لم تكن كثيرة العدد، هي أشجار النارجيل التي تدل على أن المنطقة استوائية رطبة، وهي أشجار نضرة؛ مما يدل على وفرة المياه، وكثافة الرطوبة، لأن هذا هو شأن الجو الذي تنمو فيه هذه الأشجار.

وصلنا (مسجد الاستقامة)، فلم نره يختلف في الظاهر عن غيره من البيوت، فهو بيت حولوه إلى (مصلى).

استقبلنا عدد من الإخوة المسلمين هنا، وأكثرهم من الشبان الفقراء، ومن بينهم أخ مسلم جديد قالوا إنه كان اسمه قبل إسلامه (بتسوانا)، فصار بعد ذلك (شهيد)، وهو يعمل في مجلس الوزراء، في وظيفة صغيرة، وعضو في جمعية المسجد.

وقالوا: إن الإسلام قد غيَّر سلوكه واسلوب حياته تغييراً كلياً.. فكان سكيراً تائهاً في الحياة، لا هدف له، ولا مُثل لديه. أما بعد أن أسلم فقد تغير وضعه، فهدأت نفسه، وظهر نور الإيمان على وجهه، وغمرت فؤاده الطمأنينة حتى أصبح همه أن يخبر إخوانه من الموظفين بفضل الإسلام، وما يفعله في النفوس المؤمنة.

قالوا: والمهم في أمره أنه من المواطنين الأصلاء، وإسلامه إذا صاحبه عمل واجتهاد ربما سيفتح الطريق لإسلام أمثاله من المواطنين، ولكن ذلك يحتاج إلى عناية ورعاية من القادرين من المسلمين، لأن المسلمين الجدد ليست لديهم معرفة بالدين، ولا ثقافة بحقيقة ما ينبغي أن يكون عليه الداعية، والمسلمون القدماء هم المطلوب منهم أن يساعدوهم ويرشدوهم، ويمدوهم ايضاً بالعون المادي، لأن ذلك مهم، حتى أن الرسول {صلى الله عليه وسلم} جعله في موضع من المواضع معادلا للجهاد بالنفس كما قال {صلى الله عليه وسلم} (من جهز غازياً فقد غزا)، أي فكأنه قد غزا بنفسه لما يناله من المثوبة عند الله تعالى.

ثم قدموا لنا شيخاً في حدود الستين من عمره، قالوا: إنه أول مسلم من أهل هذه البلاد الأصلاء فالتقطنا معه صورة تذكارية، ومعه بقية الإخوة.

ثم جلنا في المسجد، وهو صغير لا يتسع لجولة، ولكن وجوده في هذا الحي الذي يقل فيه المسلمون هو في حد ذاته ذو أهمية كبيرة، فمساحته لا تتجاوز ستة أمتار طولا في أربعة أمتار

عرضاً، وهو من الخشب مثل سائر المنازل في هذا الحي.

ومع ذلك وجدنا حيطانه عامرة باللوحات الإسلامية المنوعة، من ذلك لوحة بالعربية «الله أكبر» وفي أحد الحيطان «رب اغفر لي وارحمني واهدني واجبرني سلام عليكم ورحمة الله» ومناسبة السلام بعد هذا الدعاء ليست واضحة؛ اللهم إلا إذا كان المراد إظهار التحية الإسلامية التي هي من الشعارات القولية للمسلمين.

مسجد اتفاق الإسلام:

تركنا مسجد (الاستقامة)، ولن نترك الاستقامة بإذن الله، وقصدنا حياً آخر من أحياء مدينة (بارامـاديبـو) يسمى (ليف رنو) وهو حي تكسو الأعشاب الكثيفة أيضاً أرضه، وتظاهرها الأشجار التي تنمو من تلقاء نفسها كما تنمو فيه الأعشاب.

وهذه الأعشاب تضايق الطريق، وتزاحمه من الجانبين، فتنمو على جانبي الشارع، ورأينا الحكومة تكافح نموها، فتبعد الأعشاب والحشائش عن حاشيتي الطريق، وذلك بعمال معهم الآلات. وقالوا: إنها إذا تركت الأعشاب والحشائش تنمو كيفما اتفق، فإنها تكاد تصل بها الحال إلى أن تسد الطريق، وتجعل السير حتى في الأماكن المزفتة صعباً.

وهذا المسجد رأيناه عندما أقبلنا عليه مسجدا ثري البناء، بهي الرواء، شامخ المنار، عالي الشعار، فهو تابع لجمعية إسلامية قوية، هي الجمعية الإسلامية السورينامية، ويتألف أكثر أعضائها من مسلمين من الهنود الآسيويين، وهؤلاء أهل تجارة، وأعمال رائجة؛ بخلاف الإخوة الذين أقاموا المسجد الذي سبق ذكره قبله، وهو مسجد الاستقامة، فهم من الشباب من المسلمين ذوي الأحوال الرقيقة.

وكانت هذه الجمعية تضم بعض القاديانيين قبل أن تتضح حقيقة أمرهم لإخواننا المسلمين، فأبعدهم المسلمون عن الجمعية لأن أهل الهند الآسيويين كان يزورهم في بعض الأحيان علماء مسلمون من القارة الهندية، وبقي هذا المسجد الآن خالصاً لأهل السنة.

وقد بناه تاجر ثري من المسلمين وحده، وهو من أجمل المساجد في سورينام، له أربع منارات شاهقة، وقبة مغولية الطراز، ويحيط به فناء واسع تلتف أعشابه وتنتصب فيه أشجار خضر ندية.

ويتقدم مدخل المسجد درج متسع نظيف يصعد إلى المصلى منه، لأنهم رفعوه عن الأرض شأن الأماكن المحترمة، ولكن المصلى الحقيقي فيه ليس واسعاً سعة الأفناء، أو مثل ارتفاع البناء، وقد كبروا النوافذ في حيطانه في استطالة غير معتادة، وقالوا: إن ذلك من أجل أن ينفذ منها الهواء في هذا الجو الرطب.

مشكلة القبلة:

توجد في هذه البلاد السورينامية مشكلة مفتعلة، أو لنقل إنها سهلة الحل، ناتجة عن الجهل؛ غير أن الجهل إذا امتد حتى مازج التقاليد، ونشأ عليه المولود، فإنه يصعب إزالته كما تصعب إزالة التقاليد إلا إذا رزق من يحاول ذلك قوة في الإقناع، ورزق من ابتلي به قدرة على حسن الاستماع.

وملخصها أن المسلمين الأوائل الذين جاؤوا إلى

هذه البلاد كانوا من أندونيسيا، وذلك أنها كانت مستعمرة هولندية، وكانت هولندا تستعمر - أيضاً - سورينام، فقدم لها المسلمون بمثابة العمال والمزارعين، ولم يكن معهم من أهل العلم بالدين من يبصرهم بما يصح، وما لا يصح، وإنما اعتمدوا على ما كانوا قد ورثوه عن آبائهم.

وعندما أقاموا المساجد في هذه البلاد جعلوا قبلتها مطابقة للقبلة التي عليها المساجد في أندونيسيا، وهي الاتجاه إلى الغرب، ولم يدركوا أن موقع (سورينام) إلى الغرب من مكة المكرمة، مما يجعل القبلة فيها تختلف عن جهة القبلة في أندونيسيا!.

وقد بقوا على هذه الحالة عشرات السنين، ولكن عندما اتصل بهم الإخوة المسلمون، وخاصة بعد وصول المبتعثين من المملكة العربية السعودية للدعوة في هذه البلاد، وبعضهم، إن لم يكونوا كلهم، من الأندونيسيين الذين يعرفون اللغة الجاوية التي يتكلم بها عامة الأندونيسيين هنا، وهي تختلف اختلافاً واضحاً عن اللغة الأندونيسية؛ اللغة الرسمية في الدولة الأندونيسية الآن، فهموا أن القبلة التي يتجهون إليها غير صحيحة، بل هي عكس الاتجاه الصحيح نحو القبلة الذي يجب أن يكون إلى الشرق بدلا من كونه إلى الغرب، فاقتنع بعضهم، وهم الأقل، وامتنع بعضهم، وهم الأكثر، لأنهم عز عليهم الإقرار بأن آباءهم كانوا مخطئين، بل القول بأنهم أنفسهم مخطئون لعشرات السنين.

وكان الأمر غير ذلك بالنسبة للإخوة المسلمين الذين قدموا من الهند الآسيوية، فقد كانت قبلتهم صحيحة، غير أن عددهم كان قليلا بالنسبة إلى عدد المسلمين الأندونيسيين، وكان حاجز اللغة بينهم وبين الأندونيسيين غليظاً، كما كان اختلاف الثقافة والقومية أيضاً يقيم ستاراً من الفهم كثيفاً والآن لا تزال بعض المساجد على القبلة القديمة تتجه محاريبها إلى الغرب، ولكن الإخوة الدعاة أخبرونا أنهم يكسبون أنصاراً جدداً مع الوقت لتغيير القبلة، وبخاصة من المسلمين المثقفين.

ثم عدنا إلى الوسط التجاري في المدينة، فرأينا المحلات التجارية أكثرها يملكها الهنود الآسيويون والذين هم من أصل أوربي على قلتهم، وهناك اليهود، والصينيون، وبعض الفلسطينيين، كل أولئك معدودون من التجار، أما الإخوة الأندونيسيون، وهم كثرة بالنسبة إلى الأقليات الأخرى؛ لا بالنسبة لمجموع السكان، فأكثرهم يشتغلون ملاكاً للأراضي الزراعية، وفيهم الموظفون، وأقلهم من يعمل في التجارة.

أما السود فبعضهم من العمال وفيهم عدد من الموظفين.

ولاحظنا أن أكثر البيوت مبني من الخشب، وإن كانت البيوت تتألف من طبقتين إلا أنها تطلى بطلاء يجعلها تبدو بمظهر البيوت الإسمنتية، ما عدا الأبنية المتعددة الطوابق (العمارات) بالطبع، فإنها مبنية من الإسمنت المسلح.

وقد حلت القائلة الآن، وهي شديدة في هذه البلاد بسبب ارتفاع الرطوبة مع الحر، ولذلك صار العمل عندهم فترة واحدة من الثامنة صباحا حتى الثانية ظهراً.

- للرحلة صلة -

حوار مع ابراهيم الناصر الحميدان

التفوق موهبة تصقلها التجربة

سفينة الابداع لا مرفأ لها .. والكاتب مجبر على الإبحار

النقد (اللامنهجي) ركض وراء السراب

المنهل:

● الرواية لها دور فعال في ثقافة المجتمعات، ترى هل تقوم الرواية بدورها في هذه الأيام؟

** الرواية اليوم تحرص على أن تؤدي دوراً أكثر تغلغلا في نسيج المجتمعات لأنها تعكس طبيعة الحياة البشرية وما يعانيه الإنسان في مجتمع معين أو هي تدعو الى طريق جديد لاختراق معوقات التقدم نحو الأفضل لذا فإنها أصبحت اليوم مطلوبة في كافة المجتمعات **بل هي وسيلة لنقل المعرفة والثقافة بين الشعوب** لما تعكسه من تجارب عانى منها الإنسان في جزء من العالم حتى استطاع التغلب عليها .. فهي سفير ثقافي لا تعيقه الحدود من طرق كافة الأبواب حتى يحتضن هذه التجربة الإجتماعية في جزء من العالم، وتحولت الرواية اليوم الى أعمال ابداعية أخرى في السينما وغيرها وهذا يعني أهميتها في المجتمعات البشرية قاطبة من حيث كونها ثروة أو تجربة ثقافية واجتماعية.

المنهل:

● التكوين الذاتي المعرفي هو الركيزة الأساسية لبناء الشخصية الثقافية.

المنهل

فما هي أهم روافد المعرفة التي ارتكزتم عليها؟

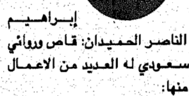
** من الطبيعي أن تكون المعرفة هي هاجس البحث عن الحقيقة واكتساب ثقافة جديدة، فالإنسان يلد مثل خميرة تتشكل بين أيدي المحيطين به وهو لهذا يستقبل كافة ما يطرح على مسامعه من أقوال أو ما يروى من أفعال وهو أمر طبيعي لأنه في هذه المرحلة يستجمع عدته ليواجه بها المستقبل، وفي مرحلة تالية بالنسبة لي وجدت في مكتبة جدي من أمي - رحمه الله - مجموعة من نفائس الكتب وكان - غفر الله له - من المولعين بالقراءة ومكتبته هذه تجمعت من رحلاته الى العديد من البلدان في صدر شبابه وقد وجدت فيها غذاء شافياً للهفتي للقراءة.

ثم وجدتني أحاول أن أجرب موهبتي في الكتابة فكتبت الكثير، وحين نضجت موهبتي أفسح لها المجال في صحافتنا وغيرها وشرعت في الكتابة منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم والحمد لله، ونصيحتي للشباب هي تنمية مواهبهم مهما كانت العقبات لأنها هي السبيل لصقلها وبلورتها.

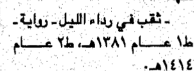
إعداد وحوار :

عقيل بن ناجي المسكين ـ سيهات

إضاءة



إبراهيم الناصر الحميدان: قاص وروائي سعودي له العديد من الاعمال منها:



- ثقب في رداء الليل - رواية - ط١ عام ١٣٨١هـ، ط٢ عام ١٤١٤هـ.
- أمهاتنا والنضال - قصص ١٣٨٠هـ.
- أرض بلا مطر - قصص ١٣٨٥هـ
- غدير البنات - رواية ١٣٩٧هـ.
- عذراء المنفى - رواية ١٣٩٨هـ.
- سفينة الموتى (الضياع) رواية ١٣٨٩هـ.
- غيوم الخريف - رواية ١٤٠٨هـ.
- عيون القطط - قصص ط١، ١٤١١هـ، ط٢، ١٤١٤هـ.
- رعشة الظل - رواية ١٤١٤هـ.
- نشر الكثير من قصصه القصيرة ورواياته ومقالاته في الصحف والمجلات المحلية والعربية.
- قدم الكثير من المسلسلات الإذاعية والتلفزيونية.
- حصل على شهادة تقديرية من الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون مع درعها لدوره الريادي في الثقافة والفنون عام ١٤١٤هـ.

المنهل:

● من وجهة نظركم ، تعاقب السنين أم الخبرة الجيدة هي أساس التقدم في الابداع الفكري لدى الروائي؟.

** عدد السنوات ليست دائماً هي المحك لصقل تجربة الإنسان في أي معترك، قد لا يوافقني الكثيرون على وجهة النظر هذه إنما لدي قناعة بأن الإستفادة من تجارب الآخرين قد يقتبسها الشباب قبل الكهل ، فإن الابن قد يقلد والده في تجارته أو في مصنعه ولهذا يستشير بعض الآباء أولئك الأبناء في أمور معقدة، ليس هذا بطبيعة الحال هو مدار السؤال إنما أردت فقط أن لا نحاسب الآخرين بعدد السنين التي مضت من أعمارهم وقد تركناهم في الوراء يقضون سحابة أيامهم، **فالتفوق موهبة لا تبرز الا بالتجربة وبالإحتكاك**، والسنوات الطويلة ما بين بدايتي في الكتابة وهذه المرحلة لا أستطيع القول بأنني أمضيها في ممارسة ألوان من الفن **لأن الكتابة عندي عشق وليس امتهاناً** لذا فإنني أتوقف عندما أجد أنني لا أعطيها حقها من الذات المبدعة، ولهذا السبب ترى أن فترات الإنتاج بين عمل وآخر تأخذ الكثير من الزمن مع حرصي بأن لا أنصرف عن التواني على الأقل بغية كسب المزيد من الإطلاع لمواكبة التحديث في الإبداع ومن تلك القراءة والحمد لله صغت تجربتي وتنوع عطائي آملا أن يكون نحو الأفضل لا سيما وأن مطالب الحياة تفرض علينا التعرض لأمور كثيرة.

المنهل:

● قضايا الأرض والإنسان أهم ما يميزكم في كتابة الرواية والقصة ويتضح ذلك في جمالية النص الروائي والقصصي مما يعطي هذا النتاج طابعه الإنساني وهو أقرب ما يكون إلى الواقعية المصاغة بقالب إبداعي جميل يستحق التقدير والوقوف عنده بكل احترام لصدق الإحساس والتعبير.

ترى ما الأسس التي تؤمن بها لعملية الإبداع المرتبطة بالواقع الإجتماعي حتى يخرج النص بالصورة المطلوبة؟.

** قضية الإنسان مبدأ أؤمن به كحق منحه الله لنا منذ صيرورتنا، لذا فإنني لا أرى أي تميز بين إنسان وآخر سوى بالموهبة، فالإنسان في دخيلته عوامل الخير والشر إنما الغلبة تكون دائماً للإتجاه السوي أما الآخر فلابد من دوافع أبرزته وجعلته يسيطر على السلوك القويم **وهذه القناعة هي التي**

الضعفاء والمهمشون هاجسي

الكتابة عندي عشق

في ثقافة المجتمعات الرواية وسيلة لنقل المعرفة والثقافة بين الشعوب

أبطال الرواية كثرة أو قلة تحددهم الأحداث

التراث واحد من روافد العطاء الانساني

النقد الواقعي هو الأمثل للرواية العربية اليوم

المونولوج الداخلي يعكس الحياة في كل أبعادها المتداخلة المترابطة

تجعلني انحاز الى جانب الضعفاء والمحصورين الذين يهمشهم المجتمع، فالحياة ينبغي أن تتاح للجميع والحياة تعني الحصول على العمل والحرية في الإختيار... الخ.

المنهل:

● **التجريب بين الوسيلة والغاية. قضية تثار كثيرا ما رأيكم..؟.**

** التجريب اتخذه البعض كنوع من العبث لا يقدرون على توظيفه بالصورة الصحيحة إنما اعتبروه وسيلة لنوع من الهذيان الطفولي يعطيهم الفرصة لأن يقولوا ما يريدون دون محاسبة لأنه مجرد تجريب، وهذا واقع مؤلم لأن الغاية من التجريب هي التوصل الى صيغ مستساغة في العملية الإبداعية وليس اللعب بالكلمات والعبث ومن يعتقد بأن التجريب حرية مطلقة في التلاعب بالكلمات واختيار الهذيان كمتنفس لتلك الحالات فهم واهمون ولن ينجح أحد منهم في ذلك النفق المظلم.

المنهل:

● **أصبحت الرواية العربية في العصر الحديث أكثر تقنيناً من الرواية في بداية ظهورها، ما هي - برأيك - معالم هذا التقنين والتجديد؟.**

** من البديهي أن يتغير تقنين الرواية العربية في العصر الحديث عن بداياتها في العصر الماضي، ذلك أن الرواية في الأساس هي بأساليبها الماضية والحالية نتاج غربي وليس مما ألف العرب فيما مضى حيث كانت الرواية تعتمد على النقل الشفهي ولهذا ليس بالغريب أن تتطور أساليبها وتأخذ مناحي جديدة انسجاماً مع التيارات الفنية الحديثة والمدارس الأدبية التي تسود في الغرب وتتحول من كلاسيكية الى رومانسية ثم سريالية فواقعية.. الخ .. حتى أصبحنا اليوم نقف على أطلال الحداثة لندخل كهف ما بعد الحداثة، وهذا يعني أن الفرع يرجع أو يعود دائماً الى أصله في أمه الشجرة والأمثلة كثيرة ولا تحصى في هذا الضخ الغربي الذي يسود المكتبات العربية في كل مكان وإن كان الاتجاه العربي له ركائزه في الأعمال الجديدة.

المنهل:

● **بعض النقاد يُحَمِّلون النص فوق ما يحتمل في العملية النقدية، ما هي أسلم المناهج في ذلك؟.**

** النقد مدارس ولذا فإن كل ناقد يتصدى للنقد منطلقاً من تصوراته للأسس التي يتوجه اليها، والمناهج كما نعرف كثيرة ومتعددة انما في تصوري أن النقد الواقعي - كمدرسة - هو أقرب المدارس للأعمال الروائية العربية وإن كانوا في الوقت الحاضر يتراكضون وراء النقد اللامنهجي كما

تفرضه تيارات الحداثة وما بعد الحداثة.

المنهل:

● الإسراف في المونولوج الداخلي قد يسبب نوعاً من البعد الزمني لدى القارىء في تسلسل الأحداث بينما التكثيف واللغة الإشارية تصنع موازنة معقولة بين الحدث الحركي وبين الحوار الداخلي للبطل، ما رأيكم؟.

** المونولوج الداخلي جزء من العملية الإبداعية ومرتبط بها حيث تتركز الذكريات وتنقل البطل من مرحلة الى أخرى فالحياة ملتحمة مترابطة مهما حاولنا فصلها، وماضي الإنسان جزء من حياته التي استقرت في وعيه وذاكرته العميقة.

المنهل:

● أبطال الرواية كثرة أو قلة، هل يحددهم الراوي أم أحداث الرواية..؟

**** البطل أو الأبطال تقتضيهم الأحداث وليس المبدع مخيراً في تعددهم أو تخفيضهم لأن لكل واحد منهم رمزه وفاعليته في الأحداث ولا أتصور أن المبدع يرتاح وهو يدفع بأعداد من الشخصيات لا ضرورة لها لمسؤليته في تحريكها في عمق العمل بل قد يؤدي زيادتها الى ضعف العمل الفني وترهله لكون هؤلاء سوف يصبحون عالة على الأحداث لهشاشة دورهم، وكل مبدع يحرص أن يكون لأبطاله ما يرمزون اليه من دور وهو ما نفعله جميعاً ولسنا مخيرين في ذلك.**

المنهل:

● سفينة الابداع لا مرفأ لها .. أو كما يقولون!؟

** سفينة الإبداع لا مرفأ لها في حياة الكاتب لأنه مجبر على الإبحار مع قلمه حتى آخر يوم من حياته، لذا فإن قدرنا أن نكتب حتى نكل عن الكتابة أو ينتهي دورنا في هذه الدنيا وكل شيء بأمر الله تعالى.

المنهل:

● التراث والعادات والتقاليد في الجزيرة العربية لها حضور كبير في قصصك ورواياتك، إلى أي مدى استفدت من هذه الروافد وكيف وظفتها؟.

** التراث واحد من عناصر رفد العمل الروائي وتأصيله من خلال جزئياته في اتساق الحوادث وتلاحمه بها، **والتراث كما نعرف هو من أساسات أي مشروع انساني تناسل منه واصطبغ بلونه وعكس تفاعلاته من خلال الإسهام في بناء الشخصيات التي تصطرع مع الأحداث من حولها وتعاني من تأثيراتها على مجرى حياتها وتوجهاتها المستقبلية.**

المنهل:

● الرواية ومالها من زخم اليوم .. تُرى هل ستلغي دور القصة؟.

** في اعتقادي أنه لا يوجد لون أدبي جاء من فراغ وإنما تمخض عن حاجة فرضت التعامل معه كضرورة فنية حياتيه، ولنأخذ مثالا على ذلك النحت.. فالتاريخ الفرعوني وغيره خلف لنا قلاعاً ضخمة من فن النحت الذي مازالت الأجيال تدرسه بعد مرور خمسة آلاف عام، فهل انتهى عصر النحت؟ لا أعتقد إذ أن التماثيل وقلاعها مازالت تدرس في المعاهد الفنية العليا ونرى نتاج ذلك في المعروضات التي تتصدر الفنون في أكثر انحاء العالم فكيف اذن نتصور بأن القصة سوف تختفي من حياة البشر وأيامهم ولياليهم بما فيها من أحداث في نسخ حياتهم البشرية كمحصلة للمعاناة فالقصص الشفاهية تتوارد يومياً في المجالس فهل يعني ذلك تجاهل ما نراه يحدث أمام أبصارنا في كل يوم.

الاستاذ صديق شيبوب

ظل الكاتب الكبير الأستاذ صديق شيبوب مدى أربعين عاما قائماً على تحرير الصحيفة الأدبية بجريدة البصير وله كل أسبوع مقال نقديّ، أو بحث أدبي، أو تحليل لموقف اجتماعي، هذا غير محاضراته في أندية الاسكندرية إذ كانت الحركة الأدبية بها لعهده جياشة فائرة، تكاد تنافس القاهرة، لولا ما للعاصمة من قدرات مادية وعلمية رجحت بها على الثغر، ولكن إذا ذكر التاريخ الأدبي للإسكندرية في الحقبة الماضية، فللأستاذ صديق شيبوب مكانه المشهود، ودوره المجيد.

وقد انتقلت سنة ١٩٤٩ من القاهرة إلى الإسكندرية طالباً بالمعهد العالي للتربية بها، ولم أكن أعرف أحدا من أدباء الثغر، فشعرت بوحشة كبيرة، لأني لا أستطيع العزلة بمنزلي دون اتصال برجال الفكر، وقد حدثت نفسي أن أذهب إلى جريدة البصير، فأقدم مقالا أو قصيدة يكونان بدء التعارف بالأستاذ صديق، وسأجد من زملائه وأصدقائه من أسعد بمعرفتهم فيؤنسون وحشتي الفكرية، ولكني تقاعست قليلا، ثم حدث ما حتم لقاء الأستاذ صديق، إذ كان علم النفس من أهم المقررات علينا بالمعهد، وكان يتناوب تدريسه دكتوران من أساتذة المعهد وفدا من الخارج، وأحدهما ممتاز لا يرقى الشك إلى مقدرته العلمية، وتحليله النفسي مع نصاعة الأسلوب، واطراد التفكير وهو الدكتور أحمد عزت راجح، أما الثاني فلا نكاد نفهم شيئا مما يقوله، لأن الأفكار تصل إلينا غير متسلسلة والاصطلاحات العلمية التي لا عهد لنا بها تتكرر في حديثه مزدحمة محتشدة دون أن يفصح عن مدلولها، وكان يخص العلامة النمسوي الشهير سيجموند فرويد باهتمامه إذ يعيد ويبدىء في الحديث عنه دون أن يوضح ما يعنيه، فتذكرت أني قرأت سلسلة من المقالات النفسية بمجلة الرسالة عن فرويد كتبها الأستاذ صديق شيبوب عقب رحيله، وللأستاذ بيانه الواضح، وتحليله المفيد، فهرعت إلى لقائه كي يعيرني هذه المقالات، واستقبلني الرجل ببشاشة عاطفة، وأذكر أنه تواضع فقال: إني أكتب عن هؤلاء هامشيات لا تتغلغل في قضايا العلم ودروبه المظلمة، قلت قد تكون هذه الهامشيات حلقة اتصال بين البحوث النفسية لدى الطالب الناشيء، ووعدني أن أزوره غدا حيث أحضر عدة مراجع نفسية مع مقالاته المطلوبة، وقرأت ما كتب الأستاذ، فإذا الوضوح التام والتسلسل المتصل، والمقدمات المفضية إلى النتائج في غير رهق، فأخذت أحصل ما أجده من المعلومات تحصيلا ميسورا لا عنت فيه، ووجدتني بعد ذلك أستمع إلى ما يقول أستاذنا بالمعهد العالي فلا أجده يأتي بالجديد.

(إذاعة الاسكندرية):

كانت إذاعة الاسكندرية تقدم ركناً أسبوعيا للشعر، وقد



بقلم: أ. د. محمد رجب البيومي
- المنصورة -

احتفل معهد التربية بمناسبة تربوية، فألقيت قصيدة بالحفل، وجاء مندوب الإذاعة ليسجل الكلمات كي تعاد في ركن الأدب، وفوجئت بأن قصيدتي قد بترت بتراً هوى بها، لأن الحذف لم يكن متصلا، بل وجدت البيت يذكر ثم يحذف ما بعده مع أنه متصل به، وعزّ عليّ أن يحدث ذلك، فذهبت إلى القائم على باب الأدب في الإذاعة، فقابلني باستعلاء، وأعلن أن البث الإذاعي يخضع لاعتبارات يعرفها هو، ولا أعلم عنها شيئا، فقلت له يجوز أن تحذف بعض المقال، وجانباً من البحث العلمي، ولكن القصيدة كالقصة عمل فنى متكامل لا سبيل الى اختصاره دون إجحاف بالفن الأدبي، فقال لي، أنا أحذف من قصائد الشاعر خليل شيبوب ما أريد، وكان رحمه الله لا يجد في هذا الحذف ما ينقص القصيدة، بل واصل الإذاعة الشعرية لدينا في رضى وارتياح! أفيأتي طالب بالمعهد العالي ليعترض!.

سمعت ما قال المذيع، فخرجت آسفا، ولم أصدق أن الشاعر الكبير الأستاذ خليل شيبوب، وجميع المجلات الأدبية ترحب بشعره المؤثر، يرتضي هذا الوضع، وكان قد انتقل إلى جوار الله منذ بضعة أشهر، فساقتني قدماي إلى مكتب شقيقه الأستاذ صديق شيبوب، ولم أكن موفقاً في بدء الحديث، لأني دخلت في الموضوع دون تمهيد، والأخ الحزين قريب العهد بفراق أخيه، فوجدت لون وجهه يشحب، وتحدث وكأنه يبكي، فأفزعني أن أنكأ جراحا تحاول الالتئام، وأخذت أعتذر لحماقتي، ولكنه ترك مكتبه، وانتقل إلى جواري، وقال فيما يشبه الهمس: ما قاله المذيع صحيح لا شك فيه، وطالما كان موضع الشكوى من خليل، ولكنه كان يبعث كل أسبوع برسالة شعرية إلى عزيزة لديه لا يملك أن يراسلها في منزلها، وهى تنتظر رسالته الشعرية في موعدها المحدد، فكان يتعمد السهولة المفرطة في أسلوبه من ناحية، ثم يميل إلى التسامح مع بعض من يفرضون أذواقهم من المذيعين عليه من ناحية، لأنه يحرص على أداء الرسالة في


الاستاذ صديق شيبوب

موعدها، ثم قال لى، لقد نشر الأستاذ خليل قصيدة بالرسالة من وحى هذه العزيزة الهاجرة تحت عنوان (العمر الضائع) في أكثر من ثلاثين بيتاً، مع أن الذى أذاع القصيدة حذف منها عشرة أبيات، وقد رجعت إلى القصيدة فوجدتها أنّة باكية وفيها يقول:

قد أرهقتني عزلتى فكأنني
من قبل دفنى قد دفنت تباعا
أصبحت مثل المومياء محدثا
عن غابر لي لم يكن ليذاعا
بُعْداً لحبك إنه البحر الذي
غال الغريق وما أراه القاعا
الصدر يطفح بالمرارة ثائرا
والنفس واجفة تطير شعاعا
وتُمضّني ذكرى هواك كأنني
في كل يوم أستجد وداعا

(صداقة نبيلة):

وقد خصنى الأستاذ من بعد بعطفه، وأذكر أنه عرض عليّ أن أصحبه لرؤية (فلم) خاص بقصة رائعة للفيلسوف الروسي تولستوى، وأخذ يشرح لى كل ما

غمض، لأن الحوار يدور بلغة لا أفهمها، وكان معنا الأستاذ الأديب نقولا يوسف، فقال لي: سأختار أنا الفيلم القادم، ولكن لا أستطيع أن أبلغ مبلغ صديق في الشرح والتوضيح، وهكذا سعدت بالأستاذين سعادة متصلة.

وفي أحد مواسم الصيف، قابلت زميلا عزيزا يعد رسالة علمية عن الفيلسوف الروحى (محي الدين بن عربي) فدار الحديث كما اتفق، ولكنى وجدته يعانى أسفاً لا يبوح بسره، فقلت له ماذا بك؟ فقال لقد حضرت إلى الإسكندرية لمقابلة الأستاذ الدكتور رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب، لأن له بحوثا رصينة عن ابن عربي، وبذلت جهدا كبيرا حتى ظفرت برؤيته، وحدثته عن رغبتى في أن يرشدنى إلى بعض المصادر التى تنفعنى في البحث تاريخيا وفكريا، ولكنه ابتسم، ثم قال: أليس لك مشرف؟ ارجع إليه فإذا لم يسعفك، فابحث عن موضوع آخر، وانقطع حديثه المقتضب، فخرجت يائسا، قلت له: إنى أعرف أن الأستاذ صديق شيبوب، كتب عدة فصول عن ابن عربي، فهو إذن يلمّ بكثير من المصادر، وسأزوره بمكتبه في المساء، فتعال معى، فقد يعوضك الله خيرا، وفي الموعد كنا بمكتب الأستاذ بالجريدة، فقدمت إليه صاحبى، محددا رغبته العلمية، فلا أنسى تحديق عينه في وجهى لمدة طويلة، ثم ابتسامته المشرقة التى صاح بعدها يقول: عجباً لك يا أخى، أأنا في منزلة من يرشد باحث الدكتوراه في موضوع فلسفى! إن ابن عربى قد هزنى في بعض اتجاهاته الإنسانية، فحاولت أن أقرأ عنه، وأن أفيد القارىء بتلخيصات يسيرة عما قرأت، فإذا كان صاحب هذه التلخيصات ثقة لديك ولدى الباحث، فإنى سأرجع إلى مكتبى اليوم لأحضر بعض المراجع التى اعتمدت عليها، وأقدمها إليكما في الصباح، ولعلها تنفع! قلت: ذلك ما كنا نبغى.

وذهب الزميل فرأى سبعة كتب تتحدث عن ابن عربى، فتسلمها شاكرا، ووعد بردها بعد قراءتها، وقد فعل، ثم حدثنى أنه وقف منها على صيد ثمين لم يتهيأ له من قبل، وأذكر أن صديق قال لى بعد هذا اللقاء، أكون سعيدا لو قمت بإفادة باحث يستفيد، ولكن الفلسفة معقدة! فلا تقذف بي في الطوفان.

(الكاتب المزيف):

قرأت في جريدة البصير عدة بحوث جزئية عن الحدود بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية كتبها محام شهير بالاسكندرية، ثم تعرفت به في مكتب الأستاذ صديق، فأثنيت على البحوث، وقلت له: إن نشرها في مجلة إسلامية أجدى لأن قراء البصير لا يهتمون بهذه المقارنات، كما أن المجلة تبعث مكافأة مادية، وقد سرّ المحامى، ووعدنى أن أقابله في الغد، ليكتب صورة متماسكة أرسلها أنا لمجلة (التضامن الاسلامي) بالسعودية، وتم ذلك، وأرسلت المقال فنشره الأستاذ محمد سعيد العامودى رئيس التحرير لفوره، ثم فوجئت بعد شهر بخطاب من الأستاذ يعلن أن المقال مسروق من أوله لآخره، ويحدد مكان السرقة بالصفحة ورقم الطبعة، فأسفت أسفا شديدا، وذهبت للأستاذ صديق أعلن له ورطتى مع الأستاذ العامودي، فقال: آخر ما كنت أظن أن محامياً قانونيا يسرق المقال، وينشره مرتين، مرة بالاسكندرية، وأخرى بالسعودية! قلت فماذا نصنع؟ قال سأخبره أنا إذا حضر الى الجريدة، ولم يشأ الأستاذ صديق أن يجابهه مباشرة فقال له: أرجو أن تدلنى على المرجع الذى اعتمدت عليه في مقال كذا بالبصير، قال: لقد غاب عنى اسمه، ولم أعد أتذكره، فانفعل الأستاذ: وقال في هدوء لن أنشر لك مقالا إلا بعد معرفة مرجعه! وقابلت الأستاذ فأخبرني بما كان، فقلت له، ولماذا لم تواجهه بخطاب الأستاذ العامودى، قال: لا أحب أن أثير عداوة لا لزوم لها، قلت سأواجهه أنا، لأنى أحرجت مع العامودى، قال لك ذلك، وسيعلم سلفا أني أدركت ما كان، فلا يلطخ الجريدة بهذه السوءات! ثم قال الأستاذ مبتسما، أتعرف كيف بدأت صلة هذا الكاتب بجريدة البصير، لقد كتب ذات يوم من أيام رمضان المبارك مقالا عن الصوم لا يخرج عن معلومات

تلميذ بالمدرسة الابتدائية، فلم أشأ أن أنشره رعاية لمكانته القانونية، ثم فوجئت به يذيع في كل مجلس أنني أحارب المقالات الإسلامية وأضيق بنشرها، وجاءتني الفرية فقلت يا قوم: أما لكم البصير، تجدونه يحتفل في كل موسم ديني بما يوجه إليه من قصائد إسلامية وبحوث دينية، فكيف تصدقون هذا؟ وحادثت الرجل تليفونيا لأبلغه أن المقال لم ينشر لأنه دون ما ينبغي أن يكتبه باحث ممتاز مثله، ومن يومها أخذ يمطرنا بالبحوث القانونية فأنشرها، دون أن أعلم أنها مسروقة!

(عبد السميع المرسي):

ورثت عن والدي صداقة رجل فاضل، لم يتعلم في مدرسة، ولم يجلس إلى أستاذ، ولكنه كان نادرة في حفظة يسمع القصيدة مرة واحدة، فيروي بعض أبياتها، نادرة في نظراته الاجتماعية حيث لا تجذعه الظواهر بل يحكم على كل إنسان بما يدل على غور بعيد ونباهة مفرطة، كما كان نادرة في بؤسه إذ ظل لا يجد قوت يومه إلا بعسر شديد ولا يترك ملبسه الا بعد أن تتناهبه الريح! ثم جاءني نعيه، وأنا اصطاف بالاسكندرية، فرأيت أن أرفه عن نفسي بكتابة مقال عنه يبرز مواهبه المستترة، ويكشف عن معدنها، وقلت في خاتمته إنّ الرجل قد عاش في قريته المتواضعة كما تنبت الزهرة الجميلة في أعلى الجبل، ترسل العطر ولا يشمه أحد، ثم تلوى بها الريح عند الذبول فتهوى وحيدة بائسة لا يحفل بها إنسان»، وتقدمت بالمقال للأستاذ صديق لينشر في البصير، فقال بعد الفراغ من قراءته: لم أسرَّ بنشر مقال كما سأسر بهذه الكلمة الرائعة، أنت تتحدث عن رجل مغمور لا يعرفه أحد، وقد ذهب إلى ربه دون احتفاء، فيجب أن يحتفي البصير بذكراه، ثم التفت إلى زميله الأستاذ عبد الحكيم الجهني المحرر بالجريدة، وقال: ابشر يا عبد الحكيم، لقد وجدنا من سيتحدث عنا بعد الرحيل، لأن الأستاذ رجب سينظر إلينا كما نظر إلى صاحبه عبد السميع، لنطمئن من الآن! ثم نشر المقال في موضع بارز، وجعل عنوانه (شخصيات منسية).

ومن طريف ما لحق بهذا الموضوع، أني تحدثت في المقال عن مطارحات شعرية وقعت بين عبد السميع والشيخ على عقل العارف بالله الشهير، وما كاد المقال يظهر حتى جاء الدكتور حسن ظاظا إلى جريدة البصير، يطلب أن يراني، فقد يكون لدى ورثة عبد السميع بعض قصائد الشيخ، وهو يهتم بجمعها، كذلك حدثني الأستاذ صديق وقال إن لصاحبك المنسيّ كرامات.

(النقد الرفيق):

اختص الأستاذ بتحليل ما يصدر من المؤلفات، ولكنه كان يميل إلى إظهار المحاسن بإفاضة، فإذا تعرض للمآخذ كتبها في إيجاز، وفسح للمنقود طريق الدفاع عنها، وقد تحدثنا في هذا الاتجاه فقال الأستاذ: إن كل فتاة بأبيها معجبة، وكل من كتب يتوقع الثناء المستطاب، فلابد أن نعرض ما نقدر على عرضه من المحاسن المشاهدة دون مبالغة! ثم نأتي للمآخذ بما يشير إليها، وحينئذ يلمس المنقود، دلائل الصدق، فلا يسيء الظن، وهذا أقوم السبل إلى التوجيه، وهذا السلوك المهذب قد أثار عليه ثائرة الأستاذ حبيب زحلاوي، فعقب يقول: إنه يخفي بعض الحقائق، وذلك لأن الأستاذ صديق عرض قصة رمزية للدكتور بشر فارس فخصها بكثير من الثناء، وجعل النقد متجها للأدب الرمزى بنوع عام لاينقضه الدكتور بشر، وكان الأستاذ حبيب قد نقد قصة بشر من قبل نقداً جارحا، فانتهز كلمة الأستاذ شيبوب ليعيد الكرة، وليرمي الناقد بتعمد الغفلة عن مساويء القصة، ولم يردّ الأستاذ صديق، حيث اكتفى بالقول بأنه قدم وجهة نظره، وليس من همه أن يفرضها على القراء، فليعارضها من يشاء!.

هذه شجون مختلفة، جاءت بها الذاكرة، فسردتها كما تواردت دون تنميق، وهى في غايتها الأدبية تلفت الدارسين إلى جهود ناقد أدبي بصير.

نقد عناصر المعجم العربي في ضوء نظرية الحقول الدلالية

يشهد درس اللسانيات في العصر الحديث زخما قوياً للحركة المعرفية المتعددة الأقطاب، وهو دفع ينبيء بوعي منهجي في الثقافة العربية المعاصرة، ويبدو أن المقاربات النقدية التي تناولت المعجم العربي قد أخذت منحى جديدا يتوسل شتى المناهج والنظريات قصد الوقوف على قصوره وضبط مساره في عناصره الأساس: جمع رصيد المفردات، وترتيب المواد، وتعريف المداخل؛ مما يؤهله لمواكبة مستجدات العصر وتسارع المعلومات والمعجمة الحاسوبية، وتتمحور هذه الدراسة حول مفهوم نظرية الحقول الدلالية وعلاقتها بالمعجم، واسهاماتها في بناء عناصره ونقدها، وتهدف الى ابراز أهمية هذه النظرية في الاجراءات التأسيسية والنقدية لعناصر المعجم العربي المعاصر.

مفهوم النظرية:

تعتبر نظرية الحقول الدلالية (Champs Se-mantiques) على الرغم من وجود تطبيقات قديمة لها[١] تحولا منهجيا في البحث المعجمي، والحقل الدلالي كما يعرفه جورج مونان، هو «مجموع الوحدات المفردة التي تشكل مجموعة من التصورات المنتمية الى مفاهيم دلالية تحدد الحقل»[٢]، ويرى أولمان بأن الحقل «قطاع متكامل من المادة اللغوية، يعبر عن مجال معين من الخبرة»[٣]، كما أشار دوسوسير الى أن أي كلمة إنما هي محددة بمحيطها، حتى كلمة (شمس) لا تحدد إلا إذا نظرنا إليها في محيطها الخاص[٤].

ويتضح من هذه التعريفات أن الحقل الدلالي عبارة عن مجموعة من المداخل المعجمية المنتمية الى حقل مفهومي واحد، مثل حقل الألفاظ الدالة على الأعداد أو الألوان أو وسائل النقل أو مقاعد الجلوس أو الأفعال الدالة على السير ونحو ذلك.

ويتم تشكيل الحقل بتجميع الكلمات نظرا الى دلالتها لا نظرا إلى ترتيبها الألفبائي أو روابطها الاشتقاقية، وتوضع - في الغالب - كلمات الحقل الواحد تحت لفظ عام يجمعها[٥].

وتستند هذه النظرية الى عدّة أسس بنيوية من أهمها:

- كل وحدة مفرداتية تنتمي الى حقل معين، ولا يمكن أن تكون عضوا في أكثر من حقل.

بقلم : أ. د. الجيلالي حلام
- الجزائر -

- إذا انتقلت المفردة من الحقل أحدثت فيه اضطرابا يوجب إعادة تشكيله.

- لا يفهم معنى الكلمة بدقة الا بحضور كلمات الحقل مجتمعة.

وتتشكل الحقول الدلالية بعدة طرائق، تبعا لنوع الحقل ومجاله، ويمكن حصر أهم الانواع في البنى الآتية:

أ - بنى انتمائية: وفيها يتشكل الحقل عن طريق انتماء مفرداته الى دلالة كلية تتفرع الى حقول مفهومية عامة، ثم يتواصل تفرعها الى مجموعات أكثر خصوصية، أو مباشرة عن اللفظ الكلي الذي يجمعها نحو:

- حقل المفردات الدالة على النظر: (نظر - رأى - أبصر - رنا - شاهد - برهم).

- حقل وسائل النقل الآلية: (سيارة، قطار، باخرة، طائرة، حافلة).

ب - بنى متدرجة: وفيها يتابع الفكر البشري (عملية التصنيف أو التعقيب من الأعلى الى الأدنى أو العكس)[٦]، وهذا التدرج قد يكون تتابعيا كما في الاعداد أو وحدات القياس، وقد يكون تباينيا كما في سلم تدرج الألوان، أو تفاوتيا كما في حقل تفاوت درجات البياض، كما يثبتها **الثعالبي (٤٢٩هـ)** (أبيض - يقق - لهق - واضح - ناصع - هجان - خالص)[٧].

جـ - بنى متناقضة: وفيها يتشكل الحقل في ثنائيات متناقضة أو متضادة بحيث يستدعي كل نقيض نقيضه[٨]، كالطول والقصر والظلام والنور، ونلاحظ أن هناك أنواعاً من التضاد المتفاوت، فقد يكون حادا مثل (حي وميّت)، وقد يكون متدرجا كما في (ساخن وبارد) إذ يمكن أن يدرج بينهما (الفاتر أو الدافيء).

د - بنى اشتقاقية: وفيها يتشكل الحقل عن طريق الاشتقاق من جذر أصلي، وهذه البنى أكثر وضوحا في المعاجم العربية ذات المداخل المفقرة، وقد حاول **ابن فارس ٣٩٥هـ** أن يرد كل مشتقات الجذر الى حقل دلالي واحد تتفرع منه فروع، وحاول أن يعمم هذه النظرية على اللسان العربي في معجمه **مقاييس اللغة.** قال في مادة: (جنّ): (الجيم والنون أصل واحد هو التستر)[٩]، وبذلك جعل مفتاح الحقل الاشتقاقي لمجموع الدلالات هو (التستر) ثم ذكر بعده كل الدلالات التي يمكن أن ترد إليه: (الجنة - الجنين - الجنان - المجن - الجنّ - الجنون)[١٠]، وحاول أن يعلل سبب انتماء كلّ المشتقات الى الحقل نفسه، قال: (الجنة: البستان وهو ذلك، لأن الشجر بورقه يستر.. والجن سمّوا بذلك لأنهم مستترون عن أعين الخلق.. والجنة والجنون، وذلك أنه يغطي العقل)[١١]، ويبدو أن كثيرا من هذه التعليلات التي ذهب اليها ابن فارس لا تتفق مع طبيعة اللسان المتغير، لأن التطور الدلالي للألفاظ يتم بطرائق وأشكال مختلفة.

وتقوم نظرية الحقول الدلالية في جوهرها على عملية تصنيفية، تنبع من نظرة الانسان الى الكون وتعامله مع موجودات الطبيعة من حوله، مما يسهل قضية التمييز بين المتشابهات والمتباينات والمتقاربات والمتداخلات، ولذا يعتبر مبحث العلاقات الدلالية - وهو

الكاتب في سطور

- دكتوراه في المعاجم واللسانيات.
- استاذ مساعد في اللسانيات/ الجزائر.
- شارك في عدد من المؤتمرات والندوات العلمية وقدم فيها مجموعة من الدراسات والبحوث.
- شارك في تنقيح المعجم العربي الأساسي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- نشر مجموعة من الدراسات اللغوية في عدد من المجلات العربية المحكمة وغيرها.
- نال عدة جوائز في الابداع الأدبي.
- صدر له (المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري) ١٩٩٧م.

مبحث أثاره المناطقة واللغويون العرب القدماء[١٢]، جوهر هذه النظرية، لأن الكلمة في انتمائها وعلاقتها بالدلالة لا تخلو من التطابق بين التصور والرمز اللغوي، أو التعدد في الرمز اللغوي أو التعدد في التصور أو الانتماء كنسبة الجزء الى الكل أو التضاد، وبذلك ميزوا بين خمس علاقات أو نسب للمعاني هي:[١٣].

١ ـ التباين (Monosemie) وهو الدال ذو المدلول الواحد.

٢ ـ الترادف (Synonymie) وهو تعدد الدوال والمدلول واحد.

٣ ـ التضمّن (Hyponymie) وهو الدال ذو المدلول العام المتضمن لمدلولات أخرى.

٤ ـ الاشتراك أو التقاطع (Homonymie) وفيه يكون للدال أكثر من مدلول.

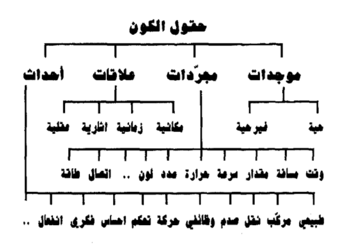
٥ ـ التضاد، وهو الدال الذي يحمل معنيين متضادين في الوقت نفسه.

وفكرة التصنيف ذاتها قديمة في التأليف العربي، فقد أشار **الجاحظ (٢٥٤هـ)** الى جانب منها في كتابه (الحيوان)، حين حاول تصنيف الموجودات الرئيسية في الكون فقال: (إن العالم بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء: متفق، ومختلف، ومتضاد، وكلها في جملة القول: جماد ونام .. فالنامي على قسمين: حيوان ونبات. والحيوان على أربعة أقسام: شيء يمشي، وشيء يطير، وشيء يسبح، وشيء ينساح. إلا أن كلّ طائر يمشي، وليس الذي يمشي يسمى طائرا. والنوع الذي يمشي على أربعة أقسام: أناس وبهائم وسباع وحشرات..)[١٤].

ويمكن توضيح تصنيف الجاحظ للموجودات في التشذير التالي:

الموجدات
- نام
  - نبات
  - حيوان
    - يمشي
      - إنسان
      - بهائم
      - سباع
      - حشرات
    - يطير
    - يسبح
    - ينساخ
- جامد

ومن بين أحدث التصنيفات للحقول الدلالية، تصنيف يقسم المفاهيم الى أربعة اقسام هي: الموجودات، والعلاقات، والمجردات، والأحداث، وقد اقترح هذا التقسيم لتأليف المعجم الانجليزي (Greek New Testament) كما أثبت مختار عمر جدولا لهذا التصنيف مفصلا[١٥]، نقتطف منه الرؤوس الأولية في التخطيط المرفق:



اسهاماتها في بناء عناصر المعجم:

ترتبط نظرية الحقول الدلالية في اللسان العربي بمعاجم المعاني ارتباطا وثيقا، لأن الفكرة الأساسية للحقل تتمثل في محاولة توزيع المداخل المعجمية الى موضوعات مفهومية ومعالجتها ضمن حقول معنوية متواردة، وقد ظهرت بوادر استخداماتها المعجمية في رسائل الموضوعات خلال القرن الثاني الهجري، كما

تجسدت بعد ذلك واكتملت في القرن الخامس الهجري في كتاب (**المخصص**) **لابن سيده الأندلسي (٤٥٨هـ)**.

غير أن المخصص على الرغم من استيفائه لأكثر الموضوعات أو الحقول، غلب عليه الطابع التعليمي والجمع، ولم يصل فيه الى منهج له أسسه العلمية في جمع الرصيد وترتيب المواد وتعريف المداخل، وضبط العلاقات بين كلمات الحقل الواحد.

ولا شك في أن ذلك راجع الى كونه جاء في وقت مبكر، لم تكن فيه مناهج البحث والتصنيف قد تطورت، بالاضافة الى أن تلك الأعمال ظلت فردية على ما امتازت به من تنوع في الموضوعات وتعدّد في المجالات.

ويلاحظ أن فكرة الحقول الدلالية لم تستثمر في المجال المعجمي من لدن علماء اللغة الغربيين الا في حدود العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن[١٦]، حيث قادتهم هذه النظرية الى التفكير في عمل معجم مفهومي يشتمل على كل الحقول الموجودة في لسان ما، وذلك على أساس تصنيف المفاهيم وفق نظام خاص.

وقد قدمت نظرية الحقول الدلالية خدمات جليلة في التطبيقات المعجمية، وأحدثت تحولا جريئا في منهجية البحث المعجمي بناء ونقدا، وبخاصة في عملية جمع الرصيد المفرداتي تفاديا للثغرات، وترتيب المواد تسهيلا لمسألة البحث، وفي تعريف المداخل التي كانت تستعصي على المعجميين من حيث دقة التعريف وتمييز المفردة عن بقية كلمات الحقل. ويمكننا الاشارة في هذا الصدد الى أهم هذه الخدمات في الجوانب الآتية:

أ ـ جمع الرصيد المفرداتي:

لعل أهم ما تميزت به مناهج جمع الرصيد المفرداتي، من ألفاظ حضارية ومصطلحات علمية في المعاجم الأجنبية المعاصرة مثل **معجم كبي للسان الفرنسي ومعجم لاروس الكبير والصغير**، وغيرها من المعاجم الفرنسية، ومثلها **معجم أكسفورد للسان الانجليزي**، هو اعتمادها على نظرية الحقول الدلالية، حيث يتم تجميع الحقول لجميع المجالات بالمقارنة مع مثيلاتها من معاجم الألسن الأخرى وكذا المعاجم المختصة مما يسهل الوقوف على أهم الثغرات والفجوات المفرداتية التي يمكن أن يكون المعجم قد أغفلها ليعيد ادماجها، أو توليدها صوريا أو دلاليا اثراء للمعجم.

وهذا يعني أن هذه النظرية ذات أهمية كبيرة في كشف الثغرات المعجمية في بعض الالفاظ والدلالات التي يفتقر اليها هذا المعجم أو ذاك في اللسان ذاته، أو بالمقارنة مع معاجم مفهومية في ألسن أخرى.

ويبدو أن المعجم العربي المعاصر لم يأخذ بهذه النظرية في جمع رصيده المفرداتي، كما يتضح من وجود ثغرات مفرداتية كبيرة تصل الى زهاء ٥٠٪ في بعض الحقول بالمعاجم العربية المعاصرة[١٧].

من ذلك، مثلا، أن المقارنة بين المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية[١٨] ومعجم لاروس الصغير من خلال حقل وحدات قياس الأطوال ـ حسب النظام المتري ـ توقفنا على أن هناك ثغرة مفرداتية في المعجم الوسيط تقدر بزهاء ٨٠٪ بالمقارنة مع ما أثبته معجم لاروس الصغير، إذ يكتفي المعجم الوسيط باثبات مدخلين هما: (المتر ـ والكيلو متر)، من أصل عشر وحدات يثبتها لاروس الصغير وهي: (أنغستروم ـ ميكرومتر ـ مليمتر ـ سنتيمتر ـ ديسيمتر ـ متر ـ متر مربع ـ ديكامتر ـ هيكتومتر ـ كيلومتر)[١٩].

ب ـ ترتيب المواد:

إن الهدف الأساسي من المعاجم ذات الترتيب المفهومي، أي بحسب الحقول الدلالية، هو تقديم الألفاظ لمن يمتلك معنى ويريد التعبير عنه ولا يجد له لفظا مناسبا، ولذا يعتبر الترتيب بحسب الحقل الدلالي في بعض المعاجم أمرا مطلوبا وبخاصة في المصطلحات

العلمية والكلمات الفنية والتقنية المحدودة التداول، ومن هذا المنطلق تتأكد أهمية المعاجم المفهومية، حيث يقوم المعجم بتسهيل مهمة تحديد حقل الكلمة ومجالها الاستعمالي، وضبط المعنى المقصود من ألفاظ التعدد الدلالي وبخاصة المشترك اللفظي، فإذا كانت المعاجم ذات الترتيب الهجائي (ألفبائي - أصواتي - أبجدي) تثبت المعاني المتعددة للمشترك اللفظي متسلسلة كما في نحو (العين: عضو الابصار ٠٠ وينبوع الماء ٠٠ والجاسوس)[٢٠]، فإن معاجم الحقل الدلالي توزع المشتركات اللفظية دلاليا على حقول مختلفة، فيصبح: (عضو الابصار) في حقل أعضاء الحواس الخمس مثلا: (الأذن - العين - الأنف)، و(ينبوع الماء في حقل موارد المياه: (البئر - العين - السدّ - الينبوع)، و(الجاسوس) في حقل وظائف المراقبة: (الحارس - الشرطي - المخبر)٠

جـ - تعريف المداخل:

يمثل عنصر التعريف أهم نشاط يقوم به المعاجمي بعد جمع الرصيد المفرداتي وترتيب المواد، ويعتبر تعريف المدخل في حضور كلمات الحقل الواحد أنجح منهجية توصل اليها الدرس المعاجمي المعاصر، فهي طريقة تسهل تعريف جميع المداخل حتى تلك الأكثر تملصا واستعصاء على الشرح والتوضيح٠

ولعل من أهم الخدمات التي تقدمها هذه النظرية للتعريف:

١ - **نفي الترادف أو تأكيده،** إذا كان محققا، ويتم ذلك نتيجة توزيع الألفاظ بحسب دلالاتها الأصلية، فإذا كان المعجم يعرف مدخل: (المحمي)، بأنه: (الأسد)[٢١] على أساس أن كلمتي: (الأسد والمحمي) مترادفتان، فإن الحقل الدلالي يضع (المحمي) ضمن حقل الصفات الدالة على المناعة كـ (المحروس - المنيع - المصون)، لأننا بالرجوع الى دلالة الكلمة نجدها مأخوذة من: (أحمى الشيء: جعله حمى لا يقرب)[٢٢]٠ بينما يندرج مدخل الأسد ضمن حقل الحيوانات المفترسة كـ (الضبع، الأسد، النمر، الببر)٠ وفي هذه الحالة يعرف المحمي بأنه (الشيء المصون) والأسد بأنه: (جنس حيوان من الفصيلة السنورية)[٢٣]٠

وبذلك تصبح كلمة (المحمي) لا ترادف كلمة (الأسد)، وإنّما هي صفة من الصفات الغالبة، يمكن أن ينعت بها كلّ من اتصف بالمناعة كالوطن والمعسكر والقائد وغيرها٠

٢ - **تحديد العلاقات** بين ألفاظ الحقل الواحد من جهة، وبينها وبين ألفاظ الحقول الأخرى من ناحية أخرى٠ وذلك لحصر ما يوجد بينها من اختلاف أو تشابه وهو صنيع من شأنه أن يقلص من ظاهرة التعدد الدلالي في تعاريف المداخل المعجمية٠

٣ - **تسهيل عملية تصنيف المداخل** حسب العام والخاص، المحسوس والمجرد والتمييز بين تعريفات مداخل الحقل الواحد، مما يمنع التداخل والدور المؤدي الى الترادف والتضاد الوهميين٠

وتوضيحا للمعطيات السابقة نورد في ما يلي حقلا مفرداتيا للعصافير المغردة من الجواثم (Oi-seaux Passeveax) كما ورد في المعاجم العربية المعاصرة مقارنا بما ورد في المعاجم الفرنسية المعاصرة٠ وأهم مفردات هذا الحقل هي: «ببغاء - خضيري - حسّون - دخلّة - درة - دوري - شحرور - كناري - نغر - هزار - بلبل)، ونكتفي باثبات خمسة منها، كما ورت معرفة في المعاجم العربية والفرنسية في الجدولين أ، ب)٠

ان تتبع كلمات الحقل (أ، ب) الخاص بالعصافير المغردة من خلال الجدولين يوقفنا على الملاحظات التالية:

المعجم / المدخل	المنجد (25)	الوسيط (26)	الحديث (27)	الجديد (28)	الأساس (29)
حسّون	طائر صغير حسن الصوت ذو ألوان جميلة، يسمى الشوكي لأنه يأكل حب الشوك	×	طائر صغير حسن الصوت ذو ألوان جميلة من فصيلة الشرشوريات	×	عصفور غريد جميل الألوان
خضيري	عصفور أصفر اللون ضارب إلى الخضرة ويسمى الأخيل	طائر من فصيلة الشرشوريات ورتبة الجواثم المخروطيات المناقير.	طائر من العصافير من فصيلة الشرشوريات ورتبة الجواثم المخروطية المناقير، رأسه والقسم الأعلى من جسمه الى الأخضر الزيتوني	عصفور أصفر اللون ضارب إلى الخضرة (خضاري)	طائر أخضر من الجواثم (خضاري)
دوري	عصفور	السنون، وهو نوع من العصافير تعشعش في البيوت في بعض أوقات السنة	جنس طير من الجواثم المخروطيات المناقير يعشعش في البيوت	×	×
شحرور	طائر أسود أكبر من العصفور حسن الصوت من الشحروريات منقاره أصغر طويل	طائر غريد من الشحروريات المشرومات المناقير ذكره أسود وأنثاه أعلاها أسمر وصدرها إلى الحمرة، يربي في أقفاص لحسن صوته.	طائر غريد من فصيلة الشحروريات يصاد ويربي لحسن صوته	طائر حسن الصوت طويل المنقار أصفره الذكر أسود وأنثاه أعلاها أسمر وصدرها يميل الى الحمرة	طائر أسود اللون أكبر من العصفور دائم التغريد
نغر	البلبل	البلبل	جنس عصافير غريدة من الشرشوريات صغيرة القدّ لونها إلى الصفرة	×	×

المعجم / المدخل	30 P.Larousse	31 P.Robert	32 Quillet
Chardonneret	عصفور غريد من الجواثم بريش، أحمر، أصفر، أبيض، يعيش على حبوب الأشواك من عائلة الشرشوريات طوله ١٢ سم.	عصفور غرّيد بريش ملون له أصناف: الطائش، الكردنالي.. الخ.	جاثم من الشرشوريات مغرد، بريش مزخرف بالأحمر يفضل حبوب الأشواك.
Verdier	عصفور جاثم يألف الخشب والحدائق بريش أخضر زيتوني آكل للحبوب، طوله ١٥ سم من عائلة الشرشوريات.	عصفور من الجواثم في قدّ الدوري بريش مخضر فوق الظهر وعلى البطن يعيش في كل أوروبا.	جاثم بمنقار غليظ في حجم الدوري ولكن بريش مخضر.
Moineau	عصفور من الجواثم يقيم في المدن والحقول والبيادر طوله ١٥ سم من القواطع المخروطية المناقير، الصوت: يزقزق.	عصفور من الجواثم بزغب أسمر مخطط بالسواد .. منه الجبلي والدوري.	عصفور بريش رمادي أصهب متبلّد في أوروبا يكثر في المدن والبوادي.
Merle	عصفور من الجواثم قرين السمّان يعيش في الحظائر والخشب والرياض، ريشه أسود عند الذكر، أسمر عند الأنثى، صوته: الصفير.	عصفور من الجواثم الشحروريات بريش أسود عند الذكر أسمر عند الأنثى.	عصفور من الجواثم، غريد جيّد، الصنف العام أسود.
Serin	عصفور صغير، لجزر الكناري بريش ذو طبيعة صفراء.	جاثم صغير من الشرشوريات بمنقار قصير وسميك بريش عموما أصفر.	عصفور جاثم بريش أصفر يقتنى في قفص تحت اسم الكناري.

أ ـ أن هناك ثغرة مفرداتية في عدد من الداخل العربية بالنسبة الى المعاجم الفرنسية، فمدخل (الحسون) لا يظهر في كلّ من (المعجم الوسيط) و(القاموس الجديد للطلاب. كما أن مدخلي (الدوري والنغر) لا يذكرهما كل من (القاموس الجديد) و(المعجم العربي الأساسي، وهي ملاحظات تؤكد أن صناعة المعاجم العربية من حيث جمع الرصيد المفرداتي لا تستثمر نظرية الحقول الدلالية، مما يجعلها عرضة لوجود كثير من الثغرات المفرداتية بما في ذلك الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية، وهي تقدر في هذا الحقل بزهاء ٢٨٪.

ب ـ باستقراء التعاريف المعتمدة نجد تفاوتا واضحا في المناهج المستثمرة، وبخاصة وأن هذه التعاريف قد تمّت في غياب الحقل الدلالي مكتملا، الشيء الذي أدى الى بروز كثير من الترادف الموهوم.

جـ ـ أن أكثر التعاريف الواردة انما هي تعاريف اسمية تكتفي بالمقابل اللفظي أو السمة الواحدة كما في تعريف الدوري بأنه: (عصفور)، و(النغر) بأنه: (البلبل)، أو بايراد سمتين فحسب كما في تعريف (الحسون) بأنه: (عصفور غريد جميل الألوان) و(الخضيري بأنه: (طائر أخضر من الجواثم)، حيث أن هذه التعاريف ليست اجرائية لأن كل تعريف ينطبق على الآخر أو على مجموع عصافير الحقل، لأن كل طيور هذه الحقل عصافير وبالتالي هي من الجواثم الغرّيدة، إذا ما حدّدنا العصفور بأنه: (كلّ طائر دون الحمام)[٢٤] وذلك باستثناء الببّغاء، كما أن (النغر) ليس بلبلا، لأن الأول من فصيلة الشرشوريات والثاني من فصيلة الدّخليات، وهو ما يعرف بالهزار أيضا. وجمال الألوان وحسن الصوت.

صفات تنطبق على عشرات العصافير، ولا شك في أن هذا القصور يؤكد لنا أن التعاريف الواردة في المعاجم العربية قد تمت في غياب الحقل الدلالي.

ويتبين لنا من هذا التتبع السريع لنظرية الحقول الدلالية واستخداماتها المعجمية، أنها ـ على الرغم من الخدمات المذكورة ـ لا تستطيع أن تحقق غرضها في المعجم بسهولة اذ (مهما كان الحقل الدلالي محددا بمدلول انتقائي، تظل بعض المشاكل قائمة مالم توجد معايير تبرر العلاقات الموجودة بين المفردات)[٣٣] وبخاصة في مسألة تعريف الداخل، أي أن توزيع المفردات في حقول دلالية غير كاف وبالذات في المعاجم التي تعتمد التفسيرات الاسمية ولا تستند الى مناهج علمية في تعريف الداخل، لأن التفسير المعجمي في هذه الحالة لا يتجاوز الحديث البيداغوجي البعيد عن المنهج العلمي في تحليل الدلالات.

ومن هنا فان نظرية الحقول الدلالية لا يمكنها أن تحقق جميع الاهداف المعجمية الا في ظل النظريتين: التحليلية التوزيعية والتحليل السيمي المكوّناتي.

تحليل كلمات الحقل:

من بين أحدث النظريات التي استثمرت في تحليل كلمات الحقل الدلالي، نظرية التحليل. السيمي التي يرجع تطبيقها الى العالمين **كاتز، وفودور في حدود ١٩٦٣[٣٤]**، وهي نظرية تعود جذورها الى القرن السادس الهجري مع الإشراقي **شهاب الدين السهروردي (٥٨٨هـ ـ ١١٩١م)** تحت اسم المفهوم والعناية[٣٥].

وتقوم نظرية التحليل السيمي (Analyse Semique) أو المقوماتي على ترصد عناصر المعنى من ملامح ومكونات كل كلمة من كلمات الحقل، والمقصود بالمقوم أو السيمة (Leseme)، (الوحدة الدنيا المميزة للمدلول)[٣٦].

وتقوم هذه النظرية على الأسس التالية:

ـ تشذير كلمات الحقل وفق التفرعات الممكنة.

ـ تحليل كلّ معنى من معاني الكلمة الى سلسلة من العناصر التكوينية.

ـ تحديد ملامح كل مفردة بالمقارنة مع مكوّنات مفردات الحقل عامة.

وقد أعطت هذه النظرية نتائج جيدة في تحليل المعنى كانت من أهمها الاجراءات التطبيقية التى قام بها بوتيي سنة ١٩٦٧م على أنواع مقاعد الجلوس.

ويمكن التمثيل التطبيقي لهذه النظرية بحقل مفردات (عربات النقل الآلية) بأنواعها وتشذيرها في رسمة أو جدول مع اثبات المكونات المميزة والملامح الخاصة بكل مفردة كما يتضح من الجدول التالي:

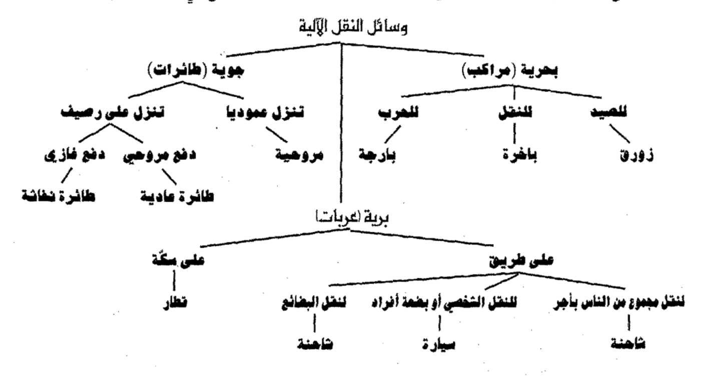
العربات البرية

الملامح المداخل	لنقل مجموع من الناس	للنقل الشخصي	لنقل البضائع	على الطريق العادي	على سكة حديدية
حافلة	+	−	−	+	−
شاحنة	−	−	+	+	−
قطـــار	+	−	+	−	+
ســيارة	−	+	−	+	−

ويتضح من الجدول أن كل مفردة تتميز بملمح موجود يعبر عنه بالرمز (+) وملمح منعدم يعبّر عنه بالرمز (−)، إذ على الرغم من اشتراك كلمات هذا الحقل في الملامح: (عربة + برية + آلية + للنقل) الا أن كلّ مفردة تختص بمكون يميزها عن غيرها: (مجموعة من الناس مقابل أجر) كما في (الحافلة) وللنقل الشخصي كما في (السيارة) و(لنقل البضائع) كما في (الشاحنة)، و(على سكة حديدية).

ونلاحظ من خلال تتبع الملامح المذكورة، أنه كلما زادت الملامح كلما تميزت المفردة عن غيرها. وقد استثمر هذا التحليل في كثير من المعاجم المعاصرة متجاوزة بذلك كثيرا من القصور في مناهج التعريف الاسمي، وقللت من ظاهرة الترادف الموهوم والتعريفات الدورية التي كانت سمة تعاريف المعاجم التقليدية.

ويمكن تقديم كلمات الحقل السابق في شكل شجري تتوزع من خلاله كلمات الحقل، وتتفرع من العام الى الخاص لتظهر في كل مرحلة من التشذير بعض الملامح التكوينية، الى أن تستنفد كل الملامح المكنة كما هو موضح في الرسمة الآتية:



وفي ضوء هذا التحليل يمكن تعريف الشاحنة مثلا، بأنها: (عربة آلية ضخمة لنقل البضائع الثقيلة برا) والسيارة بأنها: (عربة آلية صغيرة، للنقل الشخصي أو العائلي في طريق برّي).

الهوامش والمراجع:

(١) تمثل معاجم الموضوعات في التراث العربي أبرز تطبيق لنظرية الحقول الدلالية في مجالها المعجمي.

(٢) Mounin, G, Clefpour la linguistique, pavis, soghers. 1968, p56

(٣) انظر في هذا: أبو ناضر موريس: مدخل الى علم الدلالة الألسني، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ١٨/١٩ ـ ١٩٨٢، بيروت، ص ٣٣. وأحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب ١٩٨٨، القاهرة ص ٨٠. ومن التعريفات الأخرى للحقل الدلالي: (هو اطار من المعنى يجمع كلمات يصح دخولها في سياق واحد)، البعلبي، منير: معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت ص ٤٤٣، ومنها: أن معنى الكلمة عبارة عن: (محصلة علاقتها بالكلمات الأخرى في الحقل المفرداتي نفسه): جيرو بيير: علم الدلالة ت/ منذر عياشي، دار طلاس ١٩٨٨ دمشق ص٤٢.

(٤) دوسوسير: محاضرات في الألسنية العامة ت/ يوسف غازي ومجيد النصر، دار نعمان للثقافة بيروت ١٩٨٤، ص ١٤١.

(٥) طحان ريمون: الألسنية العربية ج١/ دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢، ص ص ٩٢، ٩٣، وانظر:
J.Chiss et autres: Linguistique Fran caise. Tome(1) Herissey, pavis. 1989. p 128.

(٦) طحان، ريمون: م. س ص ٩٧.

(٧) الثعالبي أبو منصور: كتاب فقه اللغة وأسرار العربية: دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت) ص٥٠.

(٨) طحان ، ريمون: م. س. ص٩٧.

(٩) ابن فارس أحمد: معجم مقاييس اللغة ت/ عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي، بمصر، ط٢/ ١٩٦٩، ص ٤٢١/١.

(١٠) م. س. ص ٤٢١/١.

(١١) م. س.ص: ٤٢٢.

(١٢) انظر: ابن سينا، الشفاء من العبارة، ت/ محمد الخضري، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ص ١٨٧.

(١٣) النشار، على سامي: مناهج البحث عند مفكري الاسلام، دار النهضة العربية، ١٩٨٤، بيروت، ص ٤٤، وانظر:
Ledent, R. Conprendre lasemantique, Verviers. 1974. Belgique. P 175

(١٤) الجاحظ، أبو عثمان: الحيوان، ت/ المحامي فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٦٩، بيروت، ص ١/ ٢٦، ٢٧.

(١٥) مختار عمر: م. س.ص٩٥.

(١٦) م. س. ن.

(١٧) انظر: الجيلالي حلام: المعاجم العربية الحديثة، دراسة في المعجم الوسيط، رسالة ماجستير مرقونة/ معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران ١٩٩٢، ص ١٤٨.

(١٨) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مطابع دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٢/ ١٩٧٢، انظر كلمات الحقل في أبوابها.

(١٩) انظر: الجيلالي حلام: م. س. ص ١٤٩. وانظر: المعجم العربي الأساسي قراءة أولية في الرصد والتعريف، اللسان العربي العدد ٣٨/ ١٩٩٤، الرباط، ص ١٨٩.

(٢٠) مجمع اللغة العربية: م . س . ص ٦٤١.

(٢١) م . س . ص ٢٠١.

(٢٢) م . س . ص ٢٠٠.

(٢٣) م . س . ص ١٧.

(٢٤) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم/ المعجم العربي الأساسي ، مطبعة لاروس باريس ١٩٨٩ ، ص ٨٤٥.

(٢٥) معلوف لويس، المنجد في اللغة والاعلام، دار المشرق ط ٢١/ ١٩٧٣، بيروت ص ص ٢٢٨، ٢٢٩، ٣٧٦، ٨١١.

(٢٦) مجمع اللغة العربية: م . س . ص ص: ٤٤٦، ٤٩٨، ٥٤٧، ٧٠١، ١٢١٤.

(٢٧) الجرّ خليل، المعجم العربي الحديث (لاروس) مكتبة لاروس ١٩٨٧، باريس ص ص ٤٤٦، ٤٩٨، ٥٤٧، ٧٠١، ١٢١٤.

(٢٨) ابن هادية، وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، تونس/ الجزائر، الشركة الوطنية للتوزيع، ١٩٧٩، ص ص ٣١٢، ٥١٢.

(٢٩) المنظمة العربية للتربية ث.ع: م.س: ص ص ٣٢٨، ٤٠٢، ٦٧٣.

(٣٠) P.Larousse, en Couleurs, Paris, la- rousse 1980. PP. 594 -968-73-968=594

(٣١) P. Robert. dela laugue Fran gaise. Parisle Robert 1991. PP. 1803 - 2186- 2214-2077-89.

(٣٢) Quillet - Aristide Quillet, Paris 1975. V. lesentrees

(٣٣) Mounin. G. op. cit P.57

(٣٤) مختار عمر: م . س . ص ١١٤.

(٣٥) النشار، علي سامي: م . س. ص ٣٠٦.

(٣٦) Petit Robert. Op. Cit. P 1794

التجديد في البحث البلاغي عند المعاصرين (دوافعه، مفهومه، اتجاهاته)

أ ـ دوافع التجديد:

البلاغة علم من العلوم العربية الإسلامية، تعنى بدراسة الجمال في القول، وهي من أوائل العلوم التي اهتم بها العلماء والأدباء منذ القدم لحاجتهم إلى معرفة إعجاز القرآن الكريم والوقوف على أسرار الجمال فيه، وتعلم اللغة العربية وتفهم أساليبها وإدراك خصائصها المعنوية والفنية؛ لتنمية الأذواق واكتساب القدرة على إنشاء الكلام الجيد وتذوقه ونقده.

وقد عمل البحث البلاغي منذ نشأته على تحقيق هذه الأهداف الدينية والأدبية والنقدية المقصودة من درس البلاغة.

وقد نشأ التأليف البلاغي عند القدماء ونما وتطور في بيئات متعددة وجهته وأثرت فيه تأثيراً كبيراً، منها بيئة المفسرين وكتاب الإعجاز القرآني وبيئة الشعراء والكتاب وبيئة المتكلمين، وقد عملت هذه العوامل والمؤثرات على إيجاد اتجاهين أو مدرستين في بحث البلاغة وتناول مسائلها وقضاياها هما: المدرسة الأدبية والمدرسة الكلامية[١].

وإذا كان الاتجاه العلمي قد أفرط في عنايته بالتقعيد والتحديد، فإن بعض أصحاب الاتجاه الأدبي قد فرّطوا في هذا الجانب، فنراهم يقفون عند ذكر المصطلح البلاغي النقدي ولا يذكرون له مفهوماً أو تعريفاً يوضح تصورهم له أو معناه عندهم[٢]، لذا فإن المنهج الأمثل في دراسة البلاغة ـ في نظرنا ـ هو أن نجمع بين محاسن الاتجاهين، أن نجمع بين القاعدة والذوق بين المنهجية والذاتية لنرضي العقل والعاطفة معاً، وبذلك يستقيم النقد، وترسو أصول البلاغة.

وهذا النهج الذي أشرنا إليه هو الذي سار عليه البحث البلاغي في عصر ازدهاره عند عبد القاهر فقد جعل من القاعدة والذوق أساسين لدراسة البلاغة، وبيان إعجاز القرآن الكريم.

ولم يحظ هذا الاتجاه في الغالب بعد عبد القاهر والزمخشري بالعناية فقد سيطر منهج المدرسة الكلامية السكاكية على البحث البلاغي في عصوره المتأخرة بعوامل كثيرة منها جمود الحركة الأدبية في هذه العصور، وسريان ذلك الجمود إلى البحوث البلاغية والنقدية، وخضوعها لسلطان الفلسفة والمنطق[٣] فتحولت البلاغة إلى قواعد جافة، وأغفلت جانب الذوق أو كادت، ولإعجاب المتأخرين به أخذوا يدورون في فلكه، ولا يكاد يخرج عن دائرة الشرح والتلخيص والاختصار لآثار السابقين كالمفتاح والتلخيص.

وظل البحث البلاغي يدور في تلك الدائرة حتى أطل فجر النهضة الأدبية الحديثة على أمتنا العربية الإسلامية بعوامل ووسائل متعددة منها إنشاء المدارس والجامعات والطباعة والاتصال بالحضارة الأوربية والآداب الغربية بأسباب متعددة منها البعثات العلمية التي كانت سبباً في إطلاع العرب على



د. يحي بن محمد العطيف
كلية اللغة العربية ـ أبها ـ

مناهج البحث وطرق التأليف عند الغربيين[٤].

فسعى بعض المهتمين بالبلاغة من العرب المعاصرين إلى تجديدها وإخراجها من حالة الجمود التي وصلت إليها في عصورها المتأخرة؛ لتؤدي وظيفتها، وتحقق أهدافها ورسالتها، وقد ساعد على ذلك عاملان:

الأول: إحياء كتب التراث البلاغي في عصورها الزاهرة، والعمل على تحقيقها ونشرها، وفي مقدمتها كتابا أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز مما مكن الدارسين من المقارنة بين منهج المتقدمين كعبد القاهر ومنهج المتأخرين من رجال المدرسة المنطقية السكاكية، ومن ملاحظة الفرق بين المنهجين مما دعا بعضهم إلى أن ينادى بالعودة بالبلاغة إلى منهج المتقدمين. ويعد الشيخ الإمام محمد عبده رائداً في هذا المجال[٥].

والثاني: اتصال بعض الباحثين المعاصرين بالثقافة والآداب الغربية، واطلاعهم على بعض دراسات الغربيين في البلاغة وعلم الأسلوب، حيث رأوها عندهم قد تخلصت من رواسب الماضي، واتجهت منذ الرومانتيكيين اتجاهاً جديداً «فأدمجت في علم الأسلوب الحديث وفيه اتسعت النظرة، وعني بالوجوه الجمالية التي ساعدت على صدق الكاتب وأصالته، وشملت ميادين فسيحة جديدة..»[٦] مما دفع بعض هؤلاء الباحثين إلى أن يوازنوا بين البلاغة عند العرب والبلاغة عند الغرب، وأن يحاولوا الإفادة من معطيات بعض العلوم التي نضجت في العصر الحديث كعلم النفس والنقد الأدبي.

وكان من آثار ذلك كله أن ظهرت محاولات التجديد في البلاغة عند المعاصرين وهي تمثل اتجاهاً تجديدياً حاول أصحابه التجديد في البحث البلاغي.

ب ـ مفهوم التجديد:

ولا ريب في أن «التجدد والتجديد طبيعة في الحياة والحي، وقد اقتضت سنة الله في كونه، أن لا تجد شيئاً يثبت على وضع، ولا إنساناً يدوم على حال، إنه التطور الحتمي الذي يخرج بالخليقة من طور إلى طور، ومن مرحلة إلى مرحلة، تبعاً لعوامل تؤثر في الفكر الاجتماعي من دين وعلم وحضارة وخلق»[٧].

وإذا كان ذلك كذلك، فما هو مفهوم التجديد ؟ وما علاقته بالقديم؟

لقد تباينت آراء المحدثين والمعاصرين من المفكرين والأدباء العرب في مفهوم التجديد وعلاقته بالقديم أو بالتراث؛ تبعاً لاختلاف تصوراتهم ومواقفهم وانتماءاتهم الدينية والقومية والوضعية والاجتماعية[٨].

فأصحاب الاتجاه أو الوعي الديني الإسلامي ينظرون إلى أن العلاقة بين القديم والجديد علاقة تكامل وتآخ لا علاقة خصام وعداء، ومن عداهم من أصحاب الاتجاهات الأخرى ينظرون إلى تلك العلاقة نظرة أخرى.

فالتجديد في نظر أصحاب الوعي الديني هو استنباط من بعض نواحي القديم، وإحياء له، وإضافة إليه، يوضح هذا المفهوم الأستاذ الرافعي في قوله مخاطباً المجددين المسرفين في تصورهم له «أتظنون أن التجديد لا يقوم إلا بالهدم، وهل يبلغ ما أنتم فيا من الحماقة وضعف البصر بعواقب الأمور وأسرار الأشياء أن تقولوا إن البناء الجديد لا يقوم إلا بعد هدم القديم وإزاحة أنقاضه، وإقرار الجديد في موضعه؟ أهو بناء من الطوب والحجارة والأخشاب ترفعون هذا وتضعون هذا، أم هو بناء بالكلام على أرض من الورق فكل ما جاء ليبني بنى، وكل ما جاء ليهدم هدم؟ أفلا تعلمون أن القديم لا يهدم البتة؛ لأنه هو الذي يبدع الجديد ويشقه، فإن هدم في أمة من الأمم زال الجديد بزواله، ولم يبق من الأمة إلا بقايا لا تستمسك على حادثة، ولا تقر على صدمة، وأن سنة الكون في الجديد أنه ترميم في بعض نواحي القديم، وتهذيب في بعضها،

الكاتب في سطور

- دكتوراه في البلاغة والنقد.
- يعمل أستاذاً مساعداً للبلاغة كلية اللغة العربية - أبها - فرع جامعة الإمام.
- له عدة بحوث ودراسات في البلاغة نشرت في بعض المجلات العربية.

وزخرف في بعضها الآخر، وإلا لوجب أن يتجدد التركيب الإنساني والتركيب العقلي، وهو ما لم يقع ولن يقع منه شيء»[٩].

والذي يعنينا هنا هو إبراز مفهوم التجديد في البلاغة عند الباحثين العرب المعاصرين، فباستقراء الدراسات البلاغية المعاصرة وخاصة التي حاولت التجديد منها وصلت إلى مفهوم للتجديد استنبطته من طبيعة هذه المحاولات، ودلّت عليه ما وقفنا عليه من نصوص تصور مفهوم المعاصرين للتجديد في البلاغة، ونظرتهم إلى القديم، وهم يكادون أن يتفقوا على أن التجديد في البلاغة تقويم للقديم وتوضيح له وعلاج له، وإضافة إليه.

ومن هؤلاء الأستاذ «أمين الخولي» الذي يُعد من أبرز دعاة التجديد في البلاغة من المعاصرين، وقد اتخذ شعاراً ما يفتأ يردده في دراساته البلاغية هو أن أول التجديد قتل القديم فهما، وأنه لا جديد لمن لا قديم له؛ لذلك فالتجديد في رأيه «ليس إلا متابعة الحياة من حيث عاقتها غفوة اجتماعية، ومواصلة النماء من حيث وقفته عوامل الجمود»، يقول: «ليس يستبين المجدد طريقه ولا يدري من أين يبدأ جهاده إلا إذا استجلى تاريخ ما يعاني تنميته، وعرف كيف ومن أين بدأت حياته؟ ومتى ولم وقف به الجمود؟ فإذا ما تبين المجدد طريق غده بتجارب أمسه عرف ما يدع وما يأخذ، وإذ ذاك ينفي ويثبت عن بصيرة، ويبتر مظاهر الجمود في هدى وثقة كالطبيب كشفت له الأشعة عن دبيب العلة»[١٠].

ومن هذا يتضح مفهومه للتجديد وموقفه من القديم، ولذلك يتخذ منهجاً في التجديد البلاغي يقوم على الموازنة بين القديم والحديث.

ومنهم الأستاذ **«أحمد الشايب»** الذي يعدُّ التجديد في البلاغة إضافة للقديم وامتداداً له يبدو ذلك في منهجه الجديد الذي رسمه للبلاغة في كتاب الأسلوب. يقول في مقدمته بعد أن أشار إلى وقوف البحث البلاغي القديم عند الجملة والصورة: «إن علم البلاغة العربية يجب أن يوضع وضعاً جديداً يلائم ما انتهت إليه الحركة الأدبية في ناحيتيها: العلمية والانشائية، ورأينا أن يدخل علم البلاغة في بابين أو كتابين:

الأول: باب الأسلوب أو كتابه:

ويتناول دراسة: الحروف والكلمات والجمل والصور والفقرات والعبارات على أن تدرس درساً مفصلا دقيقاً يعتمد على علوم الصوت والنفس .. وفي هذا الباب أو الكتاب تدخل موضوعات: المعاني والبيان والبديع لا على أنها علوم مستقلة بل على أنها فصول في باب الأسلوب، يتناول بحوثها كما يتناول غيرها»[١١]. فواضح من هذا اهتمامه بالقديم وأن الجديد هو إضافة إليه وامتداد له.

وعن التصور ذاته يصدر **الدكتور شوقي ضيف**، فالتجديد البلاغي عنده يعني تهذيب القديم والإضافة إليه[١٢].

والتجديد عند كثير من المعاصرين إنما هو تجلية للتراث وإضافة إليه وتيسيره بإعادة صياغته بأسلوب عصري، إذ ليس مفهوم التجديد هو تدمير الموروث كما يتوهم البعض[١٣]، وإنما التجديد يشمل التحرك بحكمة والتزام ملحوظين لتجلية التراث والتوجه لابتكار مستحدث ذي قيمة علمية يضاف إلى محصلة ذلك التراث[١٤].

كما يتمثل في نقد القديم وإعادة النظر في بعض الأصول البلاغية، وإضافة مواطن جديدة للجمال في البلاغة العربية[١٥].

وبعد: فتلك نظرة مجملة لبعض آراء الباحثين المعاصرين في التجديد وتصوراتهم له، وهي تجمع على أن التجديد في البلاغة هو تقويم للقديم وتهذيب وتنظيم وإصلاح له وإضافة إليه.

ويجب أن أشير هنا إلى أن هذا المفهوم للتجديد في البلاغة عند المعاصرين ينسجم في عمومه مع جهود القدماء المتتالية في بناء صرح البلاغة العربية، فقد كان الحافز لدى معظمهم على تأليف كتبهم البلاغية هو تصحيح المفاهيم السابقة، أو إكمال النقص الذي يشعرون به عند دراسة المؤلفات التي سبقتهم.

جـ ـ اتجاهات التجديد:

وباستقراء «محاولات التجديد في البلاغة عند

المعاصرين»[١٦] رأيتها تدور على محورين:

الأول: يدور في دائرة علوم البلاغة العربية: المعاني والبيان والبديع، ويتحرك في إطارها، مناقشاً لها ومعالجاً.

والثاني: يبدأ من حيث انتهى البحث البلاغي القديم في منهجه ومادته، منطلقاً منه مضيفاً إليه. ويتجه اتجاهين: أحدهما يحاول تجديد البلاغة في ضوء المفهوم الحديث للأسلوب، ويتمثل في كتاب «فن القول» لأمين الخولي، وكتاب «الأسلوب» للشايب، وكتاب «دفاع عن البلاغة» للزيات.

وثانيهما: يحاول تجديد البلاغة في ضوء الأسلوبية أو علم الأسلوب الحديث، ويتمثل في بعض الدراسات الأسلوبية المعاصرة مثل «مدخل إلى علم الأسلوب، واتجاهات البحث الأسلوبي، واللغة والابداع» للدكتور شكري عياد، وشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، للدكتور سعد مصلوح، والبلاغة والأسلوبية للدكتور محمد عبد المطلب وغيرها.

ونرجو لمثل هذه التجارب الجادة المخلصة لتراثنا مزيداً من النماء في سبيل تجديد البلاغة وإخصابها بمعطيات الأسلوبية، وفي سبيل إقامة بناء متكامل لنظرية عربية في دراسة الأسلوب، وفهم النص الأدبي وتحليله تجمع بين الأصالة والمعاصرة، تتخذ من منجزات القدماء كعبد القاهر الجرجاني أساساً ومنطلقاً، وتفيد مما ينسجم معها من معطيات حديثة.

المصادر والمراجع:

(١) انظر: مناهج تجديد، أمين الخولي، دار المعرفة بالقاهرة، ط ١ (١٩٦١م)، ص ١٢٥ ـ ١٣٧، وفن القول: ص ٧٩ ـ ١٠٤، والبلاغة عند السكاكي: د. أحمد مطلوب، دار التضامن ببغداد، ط١، ١٩٦٤م.

(٢) انظر البديع، ابن المعتز، تحقيق كراتشقوفسكي، لندن ١٩٣٥م ص ٢، ٣٦، ٥٣، ٦٠، ٦٤، ٦٨.

(٣) انظر البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٥، ص ٢٧٢.

(٤) انظر: تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار الثقافة، بيروت، ط٢٨، ١٩٧٨م ص ٤٧٨ وما بعدها؛ والرمزية في الأدب العربي، د. درويش الجندي، دار نهضة مصر القاهرة، ٣٦٦ وما بعدها؛ والقزويني وشروح التلخيص، د. أحمد مطلوب، ط ١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، ص ٦١٠.

(٥) انظر: مقدمة أسرار البلاغة للأستاذ محمد رشيد رضا؛ والقزويني وشروح التلخيص، ص ٦١١، ٦١٢؛ وأحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد الأدبي، د. محمد رجب البيومي، مطابع الفرزدق بالرياض، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص ٢٥.

(٦) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، مطبعة دار الثقافة، بيروت ١٩٧٣م، ص٢٤٩؛ وانظر القزويني وشروح التلخيص، ص ٦١٠.

(٧) مقدمة الصراع الأدبي بين القديم والجديد للعماري: مطبعة دار التأليف، القاهرة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م، ص٧.

(٨) انظر: الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، د. محمد الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م، جـ٢ ص ٥٨٩ ـ ٧٤٨.

(٩) تحت راية القرآن: مصطفى صادق الرافعي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٧، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، ص ٢١٠، ٢١١.

(١٠) مناهج تجديد: ص ١٤٣.

(١١) الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة نهضة مصر، ط٦، ١٩٦٦م، ص ٣.

(١٢) انظر: البلاغة تطور وتاريخ، ص ٣٨٧.

(١٣) انظر مجلة فصول، جـ٤ ع٣ سنة ١٩٨٤م، وتقويم نظرية الحداثة: د. عدنان النحوي، الرياض، ط١ (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م)، ص ١٠٦، ١٠٧.

(١٤) انظر: البلاغة ذوق ومنهج، د. عبد الحميد العبيسي، مطبعة حسان، القاهرة، ط١ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، ص ٢٢٢.

(١٥) انظر البلاغة العربية «تأصيل وتجديد»، د. مصطفى الجويني، نشر منشأة المعارف، الأسكندرية ١٩٨٥م، ص٦.

(١٦) موضوع رسالة جامعية نال بها كاتب هذا البحث درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٤١٧هـ.

المراصد الفلكية

أصبحت الأخبار العلمية تحظى باهتمام الرأي العام وتحتل بعضها مواقع الصدارة في الصحف اليومية، ويعود ذلك الى أن الرأي العام يهتم بما يرصد من تمويل لمشاريع البحوث الضخمة من الميزانيات العامة للدول، كما أن نتائج كثير من هذه البحوث تؤثر، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، على حياة الناس وتطورها بصورة عامة، ولا تختلف أخبار بحوث الفضاء والفلك عن غيرها من البحوث الأخرى بل يضاف إليها عامل تشوق الإنسان لمعرفة المزيد عن عالم الأفلاك خارج الأرض. فقد كان خبر نزول إنسان على سطح القمر من أهم أخبار القرن بكامله، كما أن تطوير تقانة الأجهزة العديدة لاستخدامها في الفضاء استغلت أيضاً في الأجهزة المستخدمة في الحياة العامة مثل أجهزة التصوير (الكاميرات) وأجهزة بث واستلام الصور وطرق تحسينها وغير ذلك.

لا يُعد علم الفلك علماً تجريبياً وانما علم ارصاد، فالعلم التجريبي يعتمد على تصميم تجربة معينة ودراسة نتائجها تحت ظروف مختبرية محددة مسبقاً ومُسيطر عليها. أما علم الفلك فيعتمد على تسجيل الارصاد بصورة «سلبية» ومن ثم تحليل النتائج وتفسيرها. ومن الطريف أن ما يُرصد الآن من احداث فلكية هو أمور حدثت في الماضي، فالضوء ينتقل بسرعة ثابتة مقدارها ٣٠٠ ألف كيلومتر بالثانية، أي أن الضوء القادم من القمر يستغرق حوالي ثانية واحدة (لأن القمر يبعد بحوالي ٣٨٥ ألف كيلو متر) ومن الشمس حوالي ثمان دقائق ليصل الأرض لأن الشمس تبعد بحوالي ١٥٠ مليون كيلومتر عن الأرض.

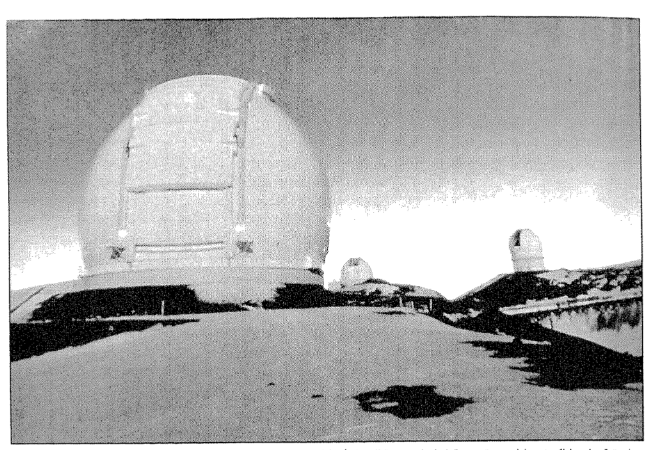
ويبعد الكوكب بلوتو[١] ٥ر٣ سنة ضوئية[٢]، وأقرب نجم يبعد أربع سنوات ضوئية عنا في حين تبعد الشعرى اليمانية، ألمع نجمة في السماء، ثمان سنوات ضوئية، ويقدر بُعد قرص مجرتنا درب اللبانة Milky Way من الحافة الى الحافة بحدود مائة ألف سنة ضوئية، وتجاوزت التلسكوبات الراديوية مديات التلسكوبات البصرية فأصبحت تستقبل الأشعة الراديوية من أبعاد تصل الى ٣٠٠٠٠ سنة ضوئية، أي أن معظم ما نرصده اليوم من أجسام فلكية هو ماض فلكي سحيق.

شيء من الماضي:

تشير مصادر التاريخ القديم الى أن أقدم الأرصاد الفلكية التي تركها أوائل المهتمين بعلم الفلك من أقوام الحضارات القديمة، كالبابليين والصينيين، كان هدفها التنبؤ بالمستقبل، أو ما يسمى بعلم النجوم أو التنجيم Astrology وليس علم الفلك Astronomy الذي نعرفه الآن، فقد ربط الأقدمون بين الأحداث على الأرض، مثل وفاة ملك أو زلزال مدمر، والظواهر الفلكية.

وتحظى الارصاد القديمة، مثل أرصاد الكسوف والخسوف، باهتمام الباحثين المعاصرين لما توفره من معلومات دقيقة تساعد في فهم تطور المنظومة الشمسية والافلاك الاخرى. ففي المتحف البريطاني (في لندن) توجد ألواح طينية عديدة عُثر عليها في موقع الآثار ببابل (في العراق) تتضمن ارصاداً فلكية

بقلم: أ.د. شذى الدركزلي
جامعة درم / بريطانيا / قسم الفيزياء

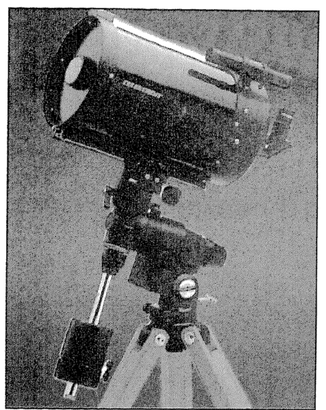


- على قمة جبل موناكي في هاواي تستقر تسعة تلسكوبات متنوعة اكبرها وأحدثها هو تلسكوب كيك البصري الذي لا ينافسه أي تلسكوب بصري آخر في العالم.

في إحداها، مثلا، رصد لخسوف الشمس في ١٥ نيسان (أبريل) عام ١٣٦ قبل الميلاد حصل بدقائق قليلة سبقت غروب الشمس. كما أحتوى لوح طيني آخر على رصد لمذنب اتضح من تاريخه أنه مذنب هالي، وتزامن اكتشاف هذا اللوح مع آخر زيارة للمذنب في عام ١٩٨٦.

وسجل الصينيون أرصادهم على عظام الحيوانات التي لا تزال تستقطب اهتمام الابحاث المعاصرة لتحليلها ومقارنتها مع الحسابات الحديثة لتلك الحقب. أما الاقوام الاخرى التي لا تزال آثارهم منتشرة في مختلف أنحاء العالم، مثل قدماء المصريين والازتيك في المكسيك والانكا في بيرو والمايا في وسط أمريكا الجنوبية وغيرهم من قدماء الاقوام من آسيا وأفريقيا وأمريكا، فإن عدم وجود آثار مكتوبة لأرصادهم يحجب امكانية تقدير تلك الجهود التي تركتها المواقع الاثارية للمراصد الفلكية القديمة، فقد أتلف الاسبان كافة الآثار التي عثروا عليها في أمريكا الجنوبية خلال غزوهم لتلك البلدان.

ومع مرور الحقب تطور علم البصريات والفلك في العصر الوسيط على ايدي العلماء المسلمين، امثال الكندي (٧٩٦ ـ ٨٦٤م) والصوفي (٩٠٣ ـ ٩٨٦م) وابن الهيثم (٩٦٥ ـ ١٠٣٩م) وغيرهم، انتقلت تلك العلوم الى الغرب وصُنع التلسكوب (المرقاب) لأول مرة في القرن السابع عشر فكان سبباً في مزيد من التقدم في علم الفلك، وفتحت بذلك صفحة جديدة من تطور علم الفلك لتميز الحقبة التي سبقتها باسم فترة ما قبل التلسكوب، وتميز الربع الأخير من القرن العشرين بتلسكوبات الفضاء، التي انهمرت منها كمية هائلة من الأرصاد التي يعكف الآن آلاف الباحثين في شتى أنحاء العالم لدراستها وتحليلها.



- تلسكوب للهواة بمرآة قطرها (١٥) سنتمترا.

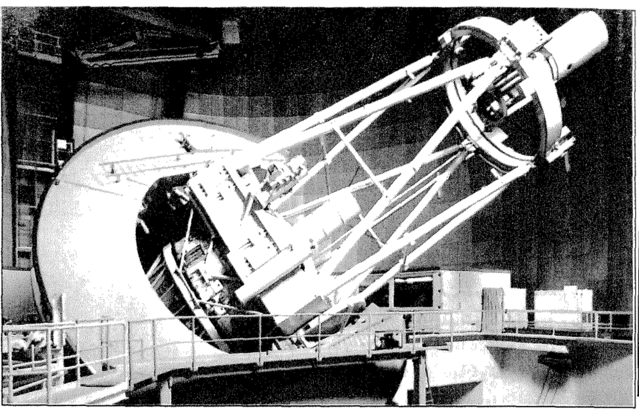
المرقاب أو التلسكوب:

لقد دأب الإنسان على مراقبة صفحة السماء الجميلة بعينيه المجردة ولآلاف السنين قبل اختراع التلسكوب، ويُعزى أول تلسكوب الى صانع العدسات الهولندي هانز ليبرشي الذي اكتشف عام ١٦٠٨ انه إذا نظر خلال عدستين واحدة أمام الاخرى يمكنه رؤية الاجسام البعيدة مكبّرة، وصنع أول تلسكوب كاسر refractor من عدسة شيئية (لقربها من الشيء المراد رؤيته) طويلة البعد البؤري[٣]، وعدسة عينية (لانها تقع قرب العين) قصيرة البعد البؤري. فالضوء القادم من الاجسام الفلكية العديدة يصل الى العين البشرية ضعيفاً، وباستخدام العدسة اللازمة يمكن تجميع الضوء للحصول على صورة أفضل، كما يحصل عند تجميع أشعة الشمس بالعدسة فتحرق الورقة التي توضع في بؤرة العدسة المجمعة.

في ١٦٦٩ كتب اسحق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧م) لصديق له يصف جهازاً جديداً صنعه بيده تمكن بواسطته من رؤية أقمار المشتري إضافة الى هلال الزهرة، صنع نيوتن أول تلسكوب عاكس reflector، بعد استخدام الفلكيين التلسكوب الكاسر لمراقبة السماء لمدة ستين عاماً قبل ذلك. ويعود استخدام نيوتن للتلسكوب العاكس الى مشكلة مصاحبة للرصد الفلكي بالتلسكوب الكاسر وهي ظاهرة الزيغ اللوني Chromatic Abberation بسبب استخدام العدسات، فاستبدلها نيوتين بالمرايا. ثم أسهم العالم الفرنسي كاسغرين في مزيد من التطوير للتلسكوب الكاسر الذي يُعرف عادة بقطر عدسته الشيئية) الى استخدام المرايا المقعرة (أي التلسكوب العاكس الذي يُعرّف بقطر مرآته الاولية).

استمرت التلسكوبات الكاسرة (التي تستخدم العدسات) في ميدان الرصد الفلكي حتى أواخر القرن التاسع عشر، حين بدأ العلماء بمحاولة تكبير التلسكوب للحصول على رؤية أفضل وأبعد. فمن المعروف أن قدرة تحليل التلسكوب تتحسن مع زيادة قطر عدسته أو مرآته، وإن كانت الصور الناتجة تتأثر باضطرابات الجو في التلسكوبات الكبيرة أكثر من الصغيرة.

في عام ١٨٩٧ وصل التلسكوب الكاسر أقصى مداه حين صنع لمرصد يركيز في جامعة شيكاغو الأمريكية عدسة شيئية قطرها ٤٠ انجاً (حوالي المتر). وتكمن مشكلة العدسات الكبيرة في ثلاثة عوامل: (صعوبة صنعها بدقة - كلفتها العالية - وزنها الكبير). كما أن زيادة قطر العدسة عن أربعين انجاً يتطلب سمكاً كبيراً يفقد الضوء المار من خلال العدسة نسبة عالية من شدته، وفي الوقت نفسه قطعت التلسكوبات العاكسة (التي تستخدم المرايا المقعرة) شوطاً كبيراً في التطور من خلال تصنيع المرايا الكبيرة، مما أسهم بسرعة اضمحلال استخدام التلسكوبات الكاسرة.



ـ تلسكوب استراليا في نيوساوث ويلز بمرآة قطرها ٩ر٣ متر.

الرصد الفلكي:

لقد اعتمد اوائل الفلكيين على ملاحظة السماء ومن ثم رسم المخططات اليدوية لها، واستمر ذلك بعد اختراع التلسكوب في القرن السابع عشر، وعند اختراع آلة التصوير الفوتوغرافي (الكاميرا) في عام ١٨٢٦ سهلت مهمة تسجيل الصور من التلسكوبات على الالواح الفوتوغرافية (الأفلام السيليلوزية). واستمر استخدام آلات التصوير في التلسكوبات حتى سبعينيات القرن العشرين، حين اخترعت الكواشف الالكترونية عالية الحساسية للضوء والمسماة charge-coupled devices (C C D) التي تجمع صوراً خلال نصف ساعة وبما يعادل ما تجمعه الالواح الفوتوغرافية خلال ليلة رصد كاملة. ويتطلب استخدام هذه الكواشف بكفاءة عالية وتبريدها الى ٢٠٠ درجة مئوية تحت الصفر بواسطة سائل النايتروجين. وبهذا التطور في الرصد الفلكي تمكن العلماء من تجميع كميات كبيرة من الأرصاد أسهمت بدورها بتطوير مهم في علم الفلك.

ويعتمد تحسين صور الاجسام الفلكية في التلسكوب على عاملين يؤثران على وضوح الصور وهما أجزاء التلسكوب، مثل العدسات أو المرايا، ومكونات جو الارض وما تسببه من تشويش للصور. ويزداد التشويش كلما كبر قطر عدسة أو مرآة التلسكوب. وما تلألؤ النجوم الذي نراه بالعين المجردة سوى نتيجة لتأثير مكونات الجو على أشعة الضوء المرئي القادم من النجوم. لذلك كان اختيار مواقع تشييد التلسكوبات الضخمة يتم على قمم عالية فوق الارض في مناطق جافة ذات سماء صافية وبعيداً عن المناطق الصحراوية لتقليل تأثيرات الجو، ولا يخلو اختيار القمم العالية من مشاكل صحية للعاملين من الفلكيين ومساعديهم في الارتفاعات العالية حيث تقل كثافة الهواء ويصعب التنفس مقارنة مع سهولة التنفس في المواقع الواطئة،

إلا أن الحاسبات المتطورة الضخمة أزالت ضرورة العمل المستمر في موقع التلسكوب، لذلك تُبنى مكاتب العاملين الدائمة في مواقع أوطأ من موقع التلسكوب الذي لا يحتاج للبقاء فيه إلا لمدة قصيرة، وبسبب التطور التقني للرصد فقد تجمعت كميات هائلة من الأرصاد يقوم عدد من الفلكيين بتحليل نتائجها في مراكز البحوث والجامعات بمساعدة أجهزة الحواسيب المتطورة، بينما تقوم نسبة ضئيلة منهم بمهمة الرصد الفعلي.

تصنيف الأجسام الفلكية:

لاحظ الإنسان منذ القدم العدد الكبير من النجوم المتلألئة فحاول تنظيم ما يراه بشكل أو بآخر معتمداً على خياله وما يملكه من تراث الأساطير، فكان بطليموس (في القرن الثاني للميلاد في الأسكندرية) هو أول من نعرفه كمنظم لجدول النجوم، وكان تنظيم بطليموس يعتمد على رسم وتسمية التجمعات النجمية constellation[٤] المرئية بالعين، فمجموعة النجوم المحيطة بالنجم القطبي مثلا تسمى بمجموعة الدب الصغير وهناك مجموعة الصياد[٥] وهكذا، وقد وصل جدوله الينا عن طريق العلماء المسلمين الذين ترجموا كتابه عن الفلك وأسموه بالمجسطي[٦]، وأضاف الفلكي المسلم أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الرازي المعروف بالصوفي (٩٠٣ - ٩٨٦) أسماء نجوم هذه التجمعات وخصص تسلسل الحروف العربية (حروف الجمل: أ ب ج د هـ و ز.. الخ) لنجوم كل مجموعة حسب تسلسل موقعها في التجمع، وبقي كتابه (صور الكواكب) مصدراً للفلكيين لقرون عديدة ولا تزال أسماء نجوم التجمعات مستخدمة حتى يومنا هذا. وفي عام ١٩٢٨ أقر الاتحاد العالمي الفلكي International Astronomical (IAU)، ثمانية وثمانين تجمعاً بينها ٤٧ تجمعاً من قائمة بطليموس عن طريق كتاب «صور الكواكب» للصوفي. وسُميت نجوم كل تجمع حسب قدرها الضوئي[٧] بحروف اللغة الاغريقية، فألمع نجمة في أي تجمع هي ألفا (a الحرف الأول من اللغة الإغريقية) لذلك التجمع، وتليها بيتا (B الحرف الثاني) وهكذا.

وتطور تصنيف آخر للنجوم في عصرنا الحالي بسبب محدودية عدد الحروف في اللغة وارتفاع عدد النجوم وأنواعها. فشمسنا نجمة واحدة من مائة بليون نجمة في مجرة درب اللبانة أو التبانة Milky Way التي بدورها واحدة من مئات البلايين من المجرات في هذا الكون الفسيح، ولتسهيل تنظيم رؤية هذا الكون الفسيح ورصده استخدمت جداول حديثة للدلالة على النجوم المكتشفة ورقم كل جسم فلكي في جدول خاص بنوعه. مثل الفهرس العام الجديد New General Catalogue (NGC) والفهرس الكشاف Index Catalogue (IC) وغيرها.

مراصد القرن العشرين:

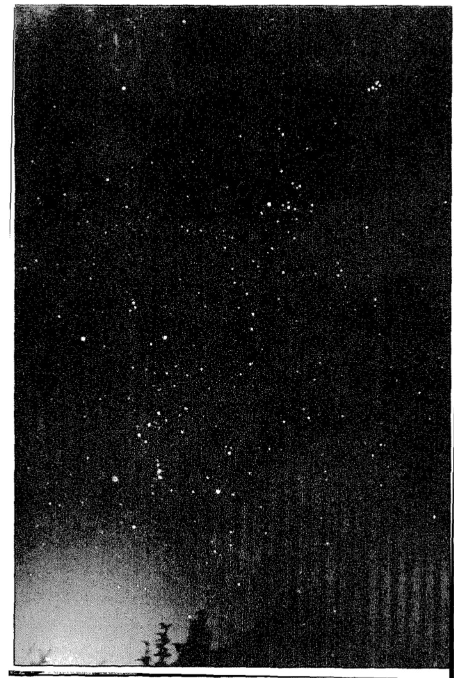
في العقدين الأولين من القرن العشرين كان أكبر مرصد في العالم هو مرصد جبل ولسن في جنوب كاليفورنيا في أمريكا، والذي احتوى على تلسكوبين عاكسين قطر مرآة الأول ٦٠ انجاً (٥ر١متر) بني عام ١٩٠٨. أما الثاني، المسمى بتلسكوب هوكر، فقد وجه لأول مرة نحو السماء في عام ١٩١٧ بمرآة قطرها ١٠٠ انج (٥ر٢متر)، ولعب هذا التلسكوب دوراً رئيساً في حياة ادوين هبل الذي سيطلق اسمه لاحقاً على أحدث وأغلى تلسكوب في العالم في أواخر القرن العشرين بسبب مساهماته في تطوير علم الفلك.

أخرّت الحرب العالمية الثانية انجاز تلسكوب هيل، في مرصد على جبل بالومار في كاليفورنيا، الى عام ١٩٤٨، احتوى المرصد على اكبر تلسكوب في العالم لأكثر من ربع قرن بمرآة قطرها ٢٠٠ انج (حوالي خمسة أمتار)، أي ضعف قطر مرآة تلسكوب هوكر، وتزن ١٤ طناً بينما لم يزد وزن «جده»، التلسكوب الذي

صنعه نيوتن، على كيلو غرام واحد، أما «حفيده» تلسكوب هبل الفضائي الذي اطلق في منتصف التسعينيات، فيزن ١٢ طناً ويتمكن من رصد الاجسام الفلكية التي تقل شدة اضاءتها ٤٠ مليون مرة عن شدة اضاءة ما تتمكن العين المجردة من رصده، وتراجع مرصد هيل الى المركز الثاني في عام ١٩٧٦ حين أنجز التلسكوب الروسي بقطر ستة امتار وسمي التلسكوب الرأسي الكبير في المرصد الخاص بفيزياء الفضاء في زيلينتشوكسكايا في القوقاس.

وبعد الحرب العالمية الثانية انتشرت المراصد في جميع انحاء العالم وبعد أن كانت هذه المراصد تُمول من بعض الافراد الاغنياء، اصبحت تُمّول من المنح الحكومية مما ساعد في زيادة احجامها وقدرتها على الرصد البعيد والافضل، ثم أصبحت تمول من عدة دول مجتمعة لتغطية النفقات الباهظة، وخلال عقود قليلة انتشرت المراصد في نصفي الكرة الارضية وبتلسكوبات ذات أبعاد تتراوح بين مترين الى ٤ أمتار على أقل تقدير ثم ارتفعت الى ما بين ٨ الى ١٠ أمتار في التسعينات.

أما الارصاد الفلكية فبعد أن كانت محددة بالمنطقة المرئية الكهرومغناطيسي (باستخدام التلسكوبات البصرية) أصبحت الارصاد تشمل كافة أنواع الاشعة في الطيف الكهرومغناطيسي، مثل



ـ صفحة السماء الجميلة في الليل، وقد انتشرت على صفحتها النجوم وتجمعاتها.
يبدو في أعلى الصورة من اليمين تجمع الثريا(١) وتحته تجمع برج الثور (٢) ثم تجمع الجبار أو الصياد (٣)

الاشعة تحت الحمراء والاشعة الراديوية، أما الاشعة فوق البنفسجية والاشعة السينية التي يمتد طولها الموجي بين ١٠-١٥ متر الى ١٠-٥، فلا يمكن رصدها من الارض بسبب امتصاص مكونات جو الارض لهذه الاشعة، لذلك اطلقت التلسكوبات الفضائية في الاقمار الصناعية خارج جو الارض لغرض الحصول على المزيد من التقدم في تحسين الصور والوصول الى

مديات ابعد في الارصاد الفلكية، فالنافذة الصغيرة من الاشعة المرئية الواصلة الى الارض، والتي تُرى بالعين المجردة، أصغر من أن تُشفي غليل الانسان للمعرفة، وأصبح الطيف الكهرومغناطيسي بكامله تقريباً بين أيدي العلماء لدراسته والاستفادة من نتائجه لوضع نظرياتهم وتفسيراتهم للظواهر الفلكية العديدة ولاكتشاف المزيد من اسرار الكون.

أكبر المراصد الفلكية في العالم:

تصنف المراصد حسب نوع التلسكوب المستخدم ومدى الطيف الكهرومغناطيسي الذي يرصده ذلك التلسكوب، ويعرّف التلسكوب بقطر عدسته (الكاسر) أو مرآته (العاكس) أو طبقه (الراديوي). ومن الطريف أن علماء الفلك في العصر الحاضر لا ينظرون الآن من خلال التلسكوب الى السماء كما كان يفعل الفلكيون الاوائل، وانما تُلتقط الصور بواسطة كاميرات دقيقة في التلسكوب وتُنقل المعلومات منها الى حواسيب (كومبيوترات) تُحلل الصور الى الشكل الذي يستلمه الفلكي وهو جالس في مكتبه ليعالج ويفسر النتائج من خلال حاسبته الشخصية، أي أن تتمة كافة المنظومات وتطويرها أصبح جزءاً أساسياً من تطور علم الفلك نفسه. وفيما يلي بعض من اشهر المراصد في العالم، بنوعيها الارضية والفضائية ومواصفاتها.

أ - المراصد الأرضية:

١ - مرصد هيل على جبل بالومار في جنوب كاليفورنيا، وهو اسم الفلكي الامريكي (جورج ايليري هيل) الذي صمم المرصد. أنجز المرصد عام ١٩٤٨ وقطر مرآة تلسكوبه ٥ر١ متر وعلى ارتفاع ١٧١٠ متر وترتفع قبة المرصد الى ما يقارب بناية من عشرة طوابق. كان أكبر تلسكوب في العالم من سنة ١٩٤٨م الى ١٩٧٦م.

٢ - مرصد لابالما الاوربي المشترك في جزر الكناري الذي استغرق بناؤه اربع سنوات وافتتح موقعه في ٢٩ حزيران ١٩٨٥ من قبل ملوك ورؤساء الدول الاوربية المشاركة فيه وهي اسبانيا وهولندة وألمانيا والسويد والدنمارك وايرلندا وبريطانيا. وفيه مجموعة تلسكوبات بصرية اكبرها تلسكوب وليم هرتشل على ارتفاع ٢٣٣٠ متراً عن سطح البحر وقطر مرآته ٢ر٤ متر، يليه تلسكوب اسحق نيوتن وقطر مرآته ٥ر٢متراً والثالث هو تلسكوب ياكوبوس كابتين (١٨٥١ - ١٩٢٢) عالم الفلك الهولندي. ومن الطريف أن تلسكوب اسحق نيوتن (٥ر٢متر) شيد أولا في مرصد في جنوب انكلترا، أي بمستوى سطح البحر، وبعد مرور ثلاثين عاماً اعترف الفلكيون البريطانيون بخطأ اختيارهم للموقع لانخفاض موقعه وسوء الاحوال الجوية بصورة شبه مستمرة خلال العام، ونقلوه الى موقع لابالما بعد تغيير مرآته وتحديث منظوماته.

٣ - مرصد موناكي (الجبل الابيض باللغة المحلية) في هاواي: يقع على قمة بركان خامد يرتفع ٤١٥٠ متراً (حوالي ثلاثة أميال) عن مستوى سطح البحر، حيث لا يبقى في هذا الإرتفاع سوى ١٠٪ من بخار الماء في الجو. يتكون المرصد من تسعة تلسكوبات، ثلاثة منها لرصد الموجات الراديوية القصيرة والستة الباقية للموجات المرئية وتحت الحمراء. اكبر هذه التلسكوبات واحدثها هو تلسكوب كيك وهو أكبر تلسكوب بصري في العالم، يزن ٢٩٧ طناً ويطفو على بحيرة من زيت السيليكون. كلّف بناؤه ٩٤ مليون دولار امريكي وأسهم في كلفته معهد كاليفورنيا التقني (كال تيك) وجامعة كاليفورنيا في بيركلي وجامعة هاواي. تتميز مرآته الرئيسية بتكونها من ٣٦ مرآة كل واحدة منها بشكل سداسي، مثل خلية النحل، طول ضلع المرآة ٨ر١متراً وسمكها ٥ر٧ سنتيمتراً، وبنصف قطر كلي يصل الى عشرة أمتار. كلفة المرآة كقطعة واحدة كانت ستصل بين نصف الى بليون دولار اضافة الى مشاكل وزنها العالي وتقانة تثبيتها. تم انجاز

التلسكوب في مارس ١٩٩٣ ونشرت أول البحوث من أرصاده في بداية عام ١٩٩٤م. وبني تلسكوب توأم على بعد ٨٥ متراً عنه أنجز في عام ١٩٩٦م وأصبح كبك الثاني، اضافة الى اربعة تلسكوبات اخرى اقطار مراياها تتراوح بين ٥ر١ متر الى مترين. ويُعتقد أن تلسكوبي كيك سيُهيمنا على ادبيات علم الفلك للخمسين سنة القادمة، وكما كان تلسكوب مرصد بالومار مهيمناً على ادبيات علم الفلك خلال النصف الأول من القرن العشرين، حيث يستخدم التلسكوب الآن حوالي ١٢٠٠ عالم فلك سنوياً. أما مشروع تلسكوب جميني (الجوزاء) فيقع على قمة ترتفع ٤١٠٠ متر وقطر مرآته يبلغ ٨ر١متر وستكون لكل نصف من الكرة الأرضية مرآة عندما ينجز توأمه في لاسيلا في تشيللي، وجميني هو مشروع مشترك بين الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وكندا وشيللي والارجنتين والبرازيل.

ب ـ المراصد الفضائية:

أما الاقمار الصناعية Satelliteالحاملة للتلسكوبات الفضائية، والتي أصبحت تصنف نتائجها ضمن بحوث ما يسمى بعلم الفلك الفضائي Space Astronomy فتتميز بمحدودية عمرها للعمل وخصوصا تلك التي صممت للكشف عن الاشعة تحت الحمراء. فمن المعروف أن كافة الاجسام الساخنة تبعث أشعة تحت حمراء، ولتفادي تداخل الاشعة المنبعثة من جسم القمر الصناعي مع تلك القادمة من الفضاء الخارجي، يتم تغليف القمر الصناعي وإحاطته بكامله بطبقة من سائل الهليوم لتبريده وتقليل انبعاث الاشعة تحت الحمراء ويؤدي ذلك الى تحديد عمر القمر الصناعي بكمية سائل التبريد لحين نضوبه. وأهم هذه المراصد هي:

١ ـ قمر الاشعة تحت الحمراء الصناعي ـ ايراس Infrared Astronomical Sattellite (IRAS) اطلق في مدار ارضي في ٢٥ كانون الثاني عام ١٩٨٣ وحتى كانون الأول من العام نفسه (أي عمل لمدة تسعة أشهر) لحين نضوب سائل الهليوم الذي يبرد الكواشف الى درجة ٢ كلفن (أي ٢٧١ درجة مئوية تحت الصفر) والتلسكوب الى ٥ كلفن (أي ٢٦٨ درجة مئوية تحت الصفر). قطر مجمع هذا التلسكوب هو ٦٠ سنتيمتراً، واشتركت في تمويله أمريكا وبريطانيا وهولندا، وقد مسح القبة الفلكية بكاملها ثلاث مرات لمدى الاشعة تحت الحمراء في حزم ١٢، ٢٥، ٦٠، ١٠٠ مايكرون بمنظومة كشف تحتوي ٦٢ كاشفاً. تم بواسطته الكشف عن ٢٠٠ ألف مصدر اشعة تحت الحمراء ساهمت في فهم ولادة النجوم في مجرة درب اللبانة. كما جهز الارصاد المدهشة التي تدعم نظرية تصادم المجرات، فقد كشف ايراس عن وجود فيض عال للاشعة تحت الحمراء المنبعثة من عدد من المجرات يفوق فيض انبعاث الاشعة المرئية منها بكثير وفُسّر ذلك بأن تصادم المجرات يؤدي الى تحفيز ولادة النجوم التي يصاحبها انبعاث شديد للاشعة تحت الحمراء.

٢ ـ مكتشف الاشعة الخلفية الكونية ـ كوب Cosmic Background Explorer (COBE) اطلقته وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٨٩ لرصد الاشعة تحت الحمراء والراديوية وقطر مجمعه ١٩ سنتمتراً. دعمت نتائجه الخاصة بالاشعة الخلفية الكونية توقعات نظرية الانفجار الكبير. أغلقت منظوماته في ٢٣ كانون الأول ١٩٩٣، بعد إصلاح الخلل في تلسكوب هبل الفضائي، مع أن المشروع كان مقرراً له أن يعمل لسنة واحدة. فالتلسكوب الذي كلف ١٦٠ مليون دولار جهز نتائج ممتازة جعلت مدة عمله تمدد الى ثلاث سنوات اضافية ساهمت في تغطية مدة فشل تلسكوب هبل الفضائي في تحقيق مهمته بعد اطلاقه مباشرة.

٣ ـ تلسكوب هبل الفضائي Hubble space

Telescope (Hst) وهو اغلى جهاز فضاء فلكي يقدر له أن يعمل لمدة خمسة عشر عاماً. قطر مرآته الاولية المقعرة ٤ر٢متر (٩٦ إنج) والمرآة الثانوية المحدبة ٥ر٣٠ سنتيمتر (١٢إنج) والمسافة بين المرآتين ٩ر٤متر (١٩٣ إنج). يقع على ارتفاع ٦٠٠ كليومتر فوق سطح الارض ويزن التلسكوب ١٢ طناً. وهو مخصص للاشعة المرئية وفوق البنفسجية وتحت الحمراء وقدرة تحليله أفضل بعشر مرات من تلسكوب هبل في بالومار. استغرقت محاولات اقناع البيت الابيض والكونغرس الامريكي السنوات ١٩٧٤ الى ١٩٧٩ للموافقة على توفير التخصيصات المالية والتي قاربت البليوني دولار أمريكي، كان الموعد المقرر لاطلاقه هو في عام ١٩٨٢ ثم أجّل إلى النصف الثاني من عام ١٩٨٦م إلا أن مأساة انفجار مكوك الفضاء تشالنجر، في كانون ثاني (يناير) ١٩٨٦م بعد اطلاقه بدقائق، أدت الى تأخير اطلاق تلسكوب الفضاء أكثر من أربعة أعوام حين نقله مكوك الفضاء دسكوفري الى موقعه الفضائي في ٢٤ نيسان ١٩٩٠.

صاحب بدء عمله مشاكل في تسجيل الصور بسبب خلل في المرآة الاولية (التي قطرها ٤ر٢متر) مقداره مايكرومترين! فدقة تحديد اتجاه التلسكوب يجب أن لا تتجاوز واحداً من الألف من الانج. ويسبب هذا الخلل زيغاً كروياً اي أن تبئير الصورة سيقع في موقع يبعد ٣٨ ملليمتر خلف الموقع المقرر له والذي توجد فيه الكاميرات وأجهزة الكشف. بالرغم من صغر هذا الخلل في المرآة الاولية الا انه كبير بالنسبة للطول الموجي للضوء المرئي وفوق البنفسجي (أي الذي يمتد بين مايكرومتر ونانومتر). أطلقت المركبة الفضائية انديفور التي قام روادها السبعة (بينهم امرأة واحدة) بالبدء باصلاح الخلل في موقع الكاميرات في الخامس من كانون الاول ١٩٩٣ وأنهوه في العاشر منه. فبدأ ببث الصور والارصادات الدقيقة وبذلك تم انهاء عمل تلسكوب كوب بعد اسبوعين من ذلك. ويستلم الفلكيون اليوم كميات هائلة من أرصاد تلسكوب هبل الفضائي التي تزلزل نتائج تحليلها بين الحين والآخر أركان النظريات الفلكية وتجعل الفلكيين يراجعون أوراقهم السابقة التي كتبوها بناء على تلك النظريات.

بعض من حصيلة أبحاث علم الفلك:

لقد جمع الانسان الارصاد الفلكية خلال القرون الماضية، بالرؤية بواسطة العين المجردة أو بواسطة التلسكوبات الاولية، حين كان مهتماً فقط بـ «أين» يجد الاجسام الفلكية. أما في العصر الحاضر، فقد أصبح مهتما بـ «ما هي» هذه الاجسام الفلكية، وقد ساعد ذلك في تطوير نظريات نشوء الكون ولا يزال سعيه المستمر نحو المزيد من الارصاد لمزيد من الاكتشافات. لقد شبه تفسير الارصاد الفلكية وكيفية استنتاج الانسان منها نظرياته في تطور نشوء الكون بما يلي: لو أن مخلوقاً من خارج الارض دخل أحد الاسواق المزدحمة في إحدى المدن الكبيرة ولاحظ أنواع الناس المتحركة في ذلك السوق لوجد أصنافاً عديدة تتميز بأحجام وصفات مختلفة، فبعضهم صغير الحجم يدفع بعربة والاخر أكبر حجماً يتحرك بنشاط وعشوائية تختلف عن الحركة المنتظمة التي يسير بها من هم أكبر منه حجماً، ويلي ذلك صنف يتميز بتجاعيد كثيرة وحركة أبطأ قد تصل بعض الاحيان الى الاستعانة بعصا للحركة وبعض من ذوي التجاعيد يُدفع أيضاً بواسطة كرسي متحرك. من هذه الصور المختلفة يمكن لهذا المخلوق الغريب أن يستنتج الاعمار المختلفة لمن شاهد من سكان الارض، أي الرضيع والطفل والشاب والكهل وهكذا، كما قد يستنتج من اختلاف الملابس وجود صنفين من البشر، نساء ورجال، ومثل ذلك استنتج علماء الفلك من الصفات المختلفة للاجسام الفلكية تطور نشوء الكون ودورة حياة النجم من بدء تكونه حتى «وفاته».

لقد استنتج العلماء، من رصد الاجسام الفلكية المختلفة، أن النجوم هي اجسام تشع الضوء ذاتياً كالشمس بسبب التفاعل النووي الاندماجي داخلها،

ويبقى مكانها ثابتاً بالنسبة الى نجوم اخرى في تجمع معين تطلق عليه اسماء مختلفة، قسم كبير من هذه الاسماء متوارث من الحضارات القديمة وبينها عدد كبير من الاسماء العربية التي تشير بوضوح الى مساهمة العلماء المسلمين في ميدان علم الفلك، وكما ذكر سابقاً، كما تتكون لبعض النجوم مجموعة كواكب تكون منها مجموعة شمسية مثل مجموعتنا الشمسية التي تتضمن الشمس في المنتصف وتدور حولها الكواكب التسع والمصنفة الى نوعين الارضيـة، اي الشبيهة بمواصفات الارض الصخرية الصلبة، وهي الكواكب القريبة من الشمس: عطارد والزهرة والارض والمريخ. أما الكواكب الخارجية الاخرى فهي الكواكب الضخمة ذات الطبيعة المختلفة والتي لم تتطور بالمقدار الذي تطورت به الكواكب الارضية منذ تكونها الاول، بسبب بُعدها عن الشمس، ولا تزال طبقاتها الخارجية في الحالة المائعة أي إما سائلة أو غازية، وهذه الكواكب هي المشتري وزحل واورانوس ونبتون وبلوتو. كما توجد اجسام اخرى صغيرة مرتبطة بالمجموعة الشمسية مثل الاقمار ومنها قمرنا الذي جذب الاهتمام منذ القدم لجماله وغرابة تغير طوره. ولقد ساهمت الرحلات الفضائية بالكشف عن الصفات الفيزيائية للكثير من الكواكب وكانت «قفزة» الانسان الى القمر احدى اهم علامات التقدم العلمي في القرن العشرين.

والنجوم انواع عديدة تختلف في مرحلتها العمرية ومواصفاتها. لذلك تصنف مراحل ولادة وحياة ومن ثم «موت» النجم من خلال المواصفات المختلفة، مثل شدة لمعان النجم، وهو ما يعرف بالقدر الضوئي، الذي يتراوح بين القدر الاول لألمع النجوم حتى القدر السادس وهو أضعف ما يمكن أن تراه العين البشرية المجردة. فقطر الشمس الضوئي هو -٧ر٢٦.

وتمر النجوم بمراحل مختلفة تبدأ من «ولادتها» من الغبار الكوني في السديم Nebula(من اليونانية والتي تعني الغيمة) بعد تجاذبه تثاقلياً لتكوين كتلة النجم حتى «وفاتها» بتحولها الى «ثقب أسود». فبسبب استمرار التجاذب، عند الولادة تتقارب البروتونات وتبدأ عملية الاندماج النووي وانبعاث الطاقة (الضوء)، ثم يبدأ وقود النجم بالاضمحلال مع زيادة كمية الهليوم الناتج من الاندماج ويعتقد أن عمر النجمة يعتمد على المدة التي يستمر فيها التوازن بين قوة التجاذب التثاقلية وضغط الاشعاع المنبعث الناتج من الاندماج النووي في قلب النجم، ما دام النجم يحتوي على كمية وقود.

وعند نفاد الوقود الداخلي للاندماج تهيمن قوة التجاذب التثاقلية ويبدأ النجم بالتقلص نتيجة لهذه القوة. ويتكون القزم الابيض White dwarf الذي تحدث فيه بين الحين والآخر انفجارات نووية ضخمة بسبب تجمع الضغط في داخله وهذه الانفجارات تسمى نوفا (المستعرة) وعند زيادة تراكم الضغط الداخلي لا يبقى للقزم الابيض الا الانفجار كلياً، وعند حصول هذا الانفجار فانه يبدو ساطعاً في السماء كسطوع بليون شمس ولا يخلف أي أثر ويسمى بالسوبر نوفا (المستعرة العظمى) من النوع الأول. وينتج نوع ثان من السوبر نوفا من انهيار نجم عملاق، وهو نجم تتراوح كتلته بين ثمان الى ثلاثين مرة أكبر من كتلة الشمس، وبسبب الاندماج النووي يتحول قلب النجم الى عنصر الحديد الذي يساهم باستهلاك المزيد من الوقود الداخلي بدلا من اشعاع الطاقة لذلك ينهار النجم العملاق مخلفاً نجماً نوترونياً بعد استهلاك كمية الوقود الداخلي. ففي عام ١٩٦٧ اكتشف الفلكيون في مركز أشهر المستعرات العظمى، وهي تلك التي رصدها الصينيون في ٤ تموز (يوليو) ١٠٥٤م وبقيت ساطعة خلال النهار بعد اسابيع من ظهورها في ما يسمى اليوم بسديم السرطان، نجم نوتروني[٨] ينبض ثلاثين مرة في الثانية، أي البلسار (النجم النبضي). ومن الطريف أن في نهاية شهر كانون ثاني ١٩٩٨ ظهرت نتائج تحليل أرصاد تشير الى وجود بلسار «ينبض» بمعدل ٦٢ نبضة في الثانية وهو أكثر من ضعف سرعة دوران البلسارات السابقة. وهذا المقدار يناقض النظريات التي تعتبر أن أقصى سرعة هي ٦٠ نبضة بالثانية. وبهذا الإكتشاف لابد من العودة عن

النظريات السابقة ومحاولة إيجاد نظرية تطابق النتائج العملية.

مساهمة هواة الفلك في الاكتشافات الفلكية:

لقد سحر علم الفلك الكثير منذ القدم وجذب الى مجاله الكثيرين ممن بدأوا حياتهم العملية بمهن أخرى، فكان نداء النجوم أقوى من مطالب الحياة الأخرى فكرسوا حياتهم في سعيهم للبحث والتقصي في آفاقه الواسعة وأضافوا الكثير الى المعرفة البشرية. وأسهم العديد من هواة الفلك في دعم البحوث الفلكية من خلال إكتشافهم للعديد من الأجسام والظواهر الفلكية قبل المختصين في علم الفلك من الباحثين. فقد تابع هاوي الفلك الياباني المخضرم مينورو هوندا المذنبات أولا واكتشف العديد منها ثم حوَّل اهتمامه الى المستعرات. ففي ليلة ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٢ اكتشف نوفا وقد أجبر اكتشافه هذا معظم الفلكيين «المحترفين» في العالم الى أن يهرعوا بتوجيه تلسكوباتهم نحو موقع اكتشافه لدراسته، فالمحترفون عادة يوجهون اهتمامهم للنجوم أو الاجسام المعروفة لدراستها، ولقد اكتشف هوندا عشر نوفات.

ومن الغريب أن علم الفلك سحر الكثيرين من اختصاصات مختلفة ليكرسوا حياتهم له، فعالم الفلك وليم هيرتشل (١٧٣٨ - ١٨٢٢م) الذي ولد في هانوفر في ألمانيا ورحل مع اخته كارولين الى بريطانيا عام ١٧٥٧، وكان في التاسعة عشرة من عمره، لممارسة العزف والتأليف الموسيقي، وفجأة في عام ١٧٧٣ وكما ورد في مذكراته ليوم ١٩ نيسان بدأ يشتري كتب المثلثات والفلك ليتعلم بنفسه ويصنع تلسكوبه. وبعد ثمان سنوات في مساء الثلاثاء ١٣ مارس ١٧٨١ اكتشف كوكب اورانوس. وكانت اخته ومن ثم ابنه جون ممن ساهموا بجهودهم معه بأعماله وعادت اخته الى ألمانيا بعد وفاته وعاشت حتى عمر ٩٨ سنة حين توفيت عام ١٨٤٨. وكانت مساهماته في علم الفلك من الاتساع والعمق مما جعل اسمه يُطلق على أكبر تلسكوب في مرصد لابالما الاوربي.

وكذلك أدوين هبل (١٨٨٩ - ١٩٥٣م) الذي ولد في ولاية ميسوري الامريكية، درس الرياضيات والفلك في جامعة شيكاغو وسافر الى اوكسفورد لدراسة القانون، وبعد ممارسة المحاماة عاد ليلتحق كطالب دراسات عليا في مركز تلسكوب يركيز في مرصد جبل ويلسون ثم عُيِّن فيه عام ١٩١٧، أي عاد ليجيب نداء النجوم ويسهم بنشاط في البحوث العملية والنظرية خلال عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، فقد أثبتت ارصاده نظرية تمدد الكون وهو من اقترح نظرية الانفجار الكبير ، ويمكن تبسيط الفكرة بمشابهتها ببالون يملأ بالغاز فتتسع المساحة السطحية للكرة التي تكون البالون وتتباعد المسافة بين الاجزاء المختلفة، وكذلك الشيء بالنسبة للاجسام الفلكية التي يلاحظ تباعدها وتلك هي نظرية الكون المتسع. احتفل بمئوية هبل في مؤتمر ٢١ - ٢٣ حزيران (يونيو) ١٩٨٩ واطلق اسمه على ثابت المعادلة التي تخمن أبعاد الاجسام الفلكية (ثابت هبل) اضافة الى تسمية تلسكوب الفضاء باسمه.

مستقبل علم الفلك:

لقد بدأ العلم فردياً إلا أنه تطور الى استغلال المجموعات العلمية المتنوعة الاختصاصات للوصول الى مزيد من المعرفة. ولقد ساهمت الحرب العالمية الثانية، بمشروع مانهاتن لصنع القنبلة النووية، في ترسيخ أهمية العمل الجماعي للعلماء فتعلموا معنى العمل المشترك في مشاريع ضخمة. وليس غريباً هذه الايام الاطلاع على بحث منشور في احدى الدوريات العلمية المعروفة، في علم الجسيمات الدقيقة مثلا، من ملاحظة وجود مائة اسم للمساهمين في البحث. وكذلك الشيء في علم الفلك وفيزياء الفلك فقد أصبحت هذه المشاريع الضخمة تسمى بالعلم الكبير. وفيها يتم التعاون بين العلماء النظريين والعلماء التجريبيين اضافة الى

استغلال احدث وسائل التقانة في التصميم والتصنيع.

إن تنافس الدول الصناعية المتقدمة يشمل معظم فروع العلوم لما في ذلك من سيطرة غير مباشرة على العالم، وتتعاون الدول الصناعية هذه في تمويل المشاريع للاستفادة المشتركة. لذلك تُصرف المنح المالية الضخمة لهذه المشاريع، وعند الاطلاع على مصبّات هذه المبالغ الهائلة المبذولة نجدها تتركز في ثلاثة أنواع هي بحوث الفضاء والفلك، وبحوث التسلح النووي المتطور، وبحوث فيزياء الجسيمات الدقيقة حيث تُبنى المعجلات الضخمة المشتركة بين الدول، فميزانية دولة واحدة لا تتحمل النفقات الهائلة لأي مشروع لوحدها. كما أن الدول لا تملك ان ترفض المشاركة في مثل هذه المشاريع لئلا يحدث اكتشاف كبير أو اختراع فتكون خارج الحلبة ولا تستفيد مثل غيرها. ومما يؤمل أن يشارك بعض من أحفاد العلماء المسلمين، من الأفراد أو المجاميع العلمية في الجامعات، في مسيرة تطور علم الفلك كما فعل أجدادهم قبل ألف سنة.

ولو تعاونت الدول في الامور الاخرى أيضاً، كمحاولة اصلاح الضرر الذى سببته لدول العالم الثالث بسبب سلبها موارده وكنوزه اضافة الى تدخلها في شؤونه، أو تمويل المشاريع الانمائية للدول الفقيرة وغير ذلك، كما تتعاون في المشاريع العلمية لكان العالم أفضل بكثير وأقل عنفاً ومشاكل مثل الجفاف والمجاعات. إلا أن التعاون الذي نجده بين الدول الان والاستعداد المحموم لاستقبال الالف الثالث بأضخم التلسكوبات الممكنة وبأحدث التقانات يحمل الكثير من المنافسة والتسابق. ومع زيادة قدرة الارصاد وتوسيع عيون التلسكوبات الأرضية للتحديق في هذا الكون العجيب وصعود بعضها الى الفضاء، يزداد تحديق العيون الجائعة نحو الاعلى بأمل ألف ثالثة أقل قسوة عليهم.

الهوامش:

(١) أبعد كوكب في مجموعتنا الشمسية.

(٢) السنة الضوئية: هي المسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة واحدة وتعادل ٩٫٤٦ × ١٠/ ١٢ كيلومتر كما يستخدم الفلكيون أيضاً وحدة البارسيك وتعادل ٣٫٢٦ سنة ضوئية.

(٣) عند سقوط أشعة متوازية على عدسة (أو مرآة غير مستوية) تتجمع الأشعة المنكسرة (أو المنعكسة) في نقطة واحدة تسمى بؤرة العدسة (أو المرآة) ويسمى بُعد هذه النقطة عن سطح العدسة (أو المرآة) بالبعد البؤري.

(٤) Constellation = con (together) + stella (stars)

(٥) سمى العرب تجمعات النجوم بالكوكبة لأن مصطلح الكوكب كان يطلق على كافة الأجرام السماوية دون التمييز بين الكوكب أو النجم.

(٦) كتاب بطليموس «التصنيف الكبير في الحساب» (Grand Mathematical Syntax) والمعروف بالمجسطي (Almagest)(١٤٠ ميلادي) والذي ترجم للعربية في بداية النصف الأول من القرن التاسع الميلادي.

(٧) القدر الضوئي Magnitude هو شدة لمعان النجم حيث اصطلح على اللمعان من الدرجة الأولى لاشدها لمعاناً، ويتراوح القدر الضوئي للنجوم المرئية بالعين من -١ لاشد النجوم لمعاناً الى ٦ وهو أقل قدر ضوئي يمكن رؤيته بالعين المجردة. والاختلاف بخمسة اقدار ضوئية يعني الاختلاف بشدة اللمعان مائة مرة. فالقدر الضوئي للبدر هو - ١٢٫٦ وللشمس - ٢٦٫٨. اما النجوم الاقل لمعاناً من ذلك فيمكن رؤيتها بالتلسكوبات والتي تصل الى القدر ٢٨ في التلسكوب الفضائي.

(٨) النجم النوتروني يمثل إحدى مراحل دورة حياة النجم التي تصبح فيه كتلة النجم متمركزة في حجم صغير، فنجم بكتلة الشمس يكون قطره عشر كيلومترات فقط.

الغريب

شعر : على أحمد الرفاعي
- جازان -

سـألتني بوحي من روابيـها
هل أنت ميْتٌ لم تبلغ مراميـها؟

وكم نظرت إلى الدنيا وزخرفها
فلم أشاهدْ غيز راغب فيـها

بحر يموج بالأهوال مترعة
قعر المحيط لا يبلغ أقاصيـها

والناس كالزرع والأيام تحصده
جنح البعوضة وزناً لا تساويها

فكنْ غريباً فما الدنيا بدائمة
فكم أطاحتْ بمن عَمَّرْ صياصيـها

قرنٌ يمرُّ كالحاظ ثانية
والنُّفس لا تدرك الساعات تطويها

من عاش غراً فالايام توقظه
متى تفضتْ أعلاها ودانيـها

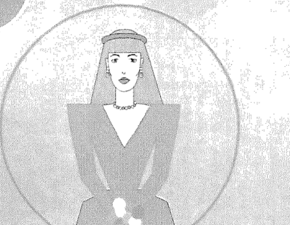
والطفل كالشيخ والاحداث تجمعهم
ولا اختلاف إلا في أساميـها

بعد الممات سؤال من يجاويه
نال الجنان بفوز في أعاليـها

وصلٍّ ربي على المختار سيدنا
محمد الهادي خير زاهد فيـها

والآل والصحب والاتباع كلهم
خير البرية أكرم من يواليـها

١٠٩

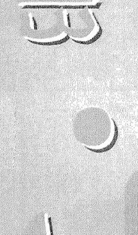


حوار مع ابنتي

فان جوخ .. ولوحة لم تكتمل

السجن المبارك

رسالة إلى السيدة الجميلة



مجلة شهرية ذات أداء متخصص تخاطب عقل المرأة ووجدانها

السجن المبارك
مأوى ومحراب يوسف الصديق عليه السلام

لعل القاريء يتساءل ما هو هذا السجن المبارك، لعلمه أن السجن مكان للعقاب يقضي فيه المذنبون مدة العقوبة. ولكننا هنا أمام سجن من نوع خاص .. سجن حباه الله دون بقية سجون الأرض قاطبة.. بأن جعله مأوى وملاذاً ومحراباً لنبي الله يوسف الصديق الذى كان يصلي الليل ويبكي .. ومما يزيد في شرف هذا السجن أن جبريل عليه السلام أتى يوسف الصديق في هذا السجن، وقال له: أما علمت أن الله تعالى يطهر البقاع بالأنبياء والله قد طهر بك السجن وما حوله.

ومن المعلوم أن يوسف عليه السلام قد مكث في السجن زمنا طويلا «فلبث في السجن بضع سنين» وفي التفسير أنه عليه السلام قد مكث في السجن سبع سنين، وقد قيل أن البضع ما بين الثلاث الى التسع.

وروى القرطبي في تفسيره عن وهب بن منبه أنه قال: حمل يوسف إلى السجن مقيدا على حمار وطيف به وهو يقول «رب السجن أحبُّ إلي مما يدعونني إليه» ويقصد أن عذاب السجن أهون عنده من الوقوع في المعصية، ولما دخل السجن وجد فيه قوما انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم فقال لهم: اصبروا وأبشروا تؤجروا، فقالوا له: ما أحسن حديثك بورك لنا في جوارك من أنت؟ قال: أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب.

موقع السجن:

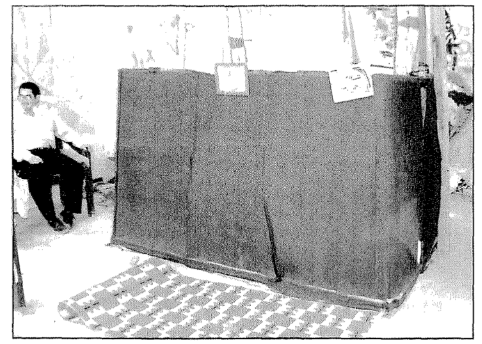
ويقع سجن يوسف عليه السلام بجنوبي الجيزة بحوالى ١٨ كيلو متر غرب البدرشين، عند بداية الصحراء الغربية بين هرم سقارة وبوصير في حضن هضبة رملية عالية، وتميزه حجرة خشبية نصبت أعلاه لتحديد معالم السجن بعدما طمرته الرمال، والسجن تحت أرض هذه الحجرة حيث توجد سلالم توصل للسجن حوالى ٣٥ درجة سلم.

وقد تأكدت صحة هذا المكان كما ذكره المؤرخ العظيم «المقريزى» في خططه قال القضاعى: «سجن يوسف عليه السلام ببوصير من عمل الجيزة أجمع

إعداد : أ.د. سامية محمد مصطفي عامر
- مصـــر -

أهل المعرفة من أهل مصر على صحة هذا المكان»٠

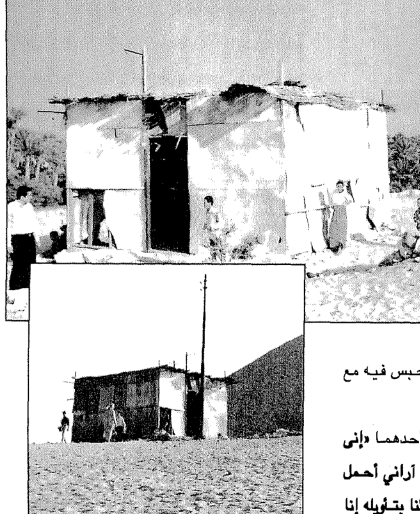
كما تحدث عنه الإمام الجليل ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان قائلا: «سجن يوسف الصديق عليه السلام هو ببوصير من أرض مصر وأعمال الجيزة في أول الصعيد من ناحية مصر»٠



حياة يوسف عليه السلام في السجن

روى الإمام عبد الله بن عباس، أنه كان يعزي فيه الحزين ويعود فيه المريض ويداوي فيه الجريح، ويصلي فيه الليل كله ويبكي، وقد طهر به السجن، واستأنس به أهله، فكان إذا خرج الرجل منهم من السجن، رجع حتى يحبس فيه مع يوسف مرة أخرى٠

ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما **«إنى أرانى أعصرُ خمرا، وقال الآخر إنّي أراني أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه، نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين»** وقد قيل كان أحدهما ساقى



صور تحدد موقع السجن

الملك واسمه «نبوا» والآخر خبازه، أى الذي يشرف على طعامه وهو الذى يسميه الأتراك «الجاشنكير» وكان يدعى «مجلث» وكان الملك قد سجنهما بعد أن توهم أنهما عملا على سمّه في طعامه وشرابه «رواه السدى» فعندما التقيا مع يوسف الصديق عليه السلام في السجن توسما فيه الهداية والنبوة، وقد قال أهل التفسير أنهما رأيا رؤية في ليلة واحدة، فأما الساقي فرأى كأن ثلاثة قضبان من الكرمة قد أورقت وأينعت عناقيد العنب، فأخذها فاعتصرها في كأس الملك وسقاه. ورأى الخباز على رأسه ثلاث سلال من الخبز، وضواري الطيور تأكل من السلة العليا، فأخبرهما الصديق يوسف قائلا: «يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه، وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين «وفي التفسير إشارة الى السبب الذى أدى إلى بقاء يوسف في السجن هذه المدة حيث روي عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: رحم الله يوسف لولا الكلمة التى قالها «اذكرنى عند ربك» ما لبث في السجن ما لبث.

نزول جبريل على يوسف عليه السلام في السجن

وعن عبد الله بن عباس ـ ترجمان القرآن ـ رضي الله عنهما، قال: إن جبريل أتى يوسف عليه السلام في هذا السجن وكان بيتا مظلما فقال له يوسف: من أنت؟ منذ دخلت السجن ما رأيت أحسن وجها منك؟ فقال له: أنا جبريل، فبكى يوسف. فقال له جبريل: ما يبكيك يا نبى الله؟ قال ما يعمل جبريل في مقام المذنبين؟ قال جبريل: أما علمت أن الله تعالى يطهر البقاع بالأنبياء والله قد طهر بك السجن وما حوله، فما أقام إلى آخر النهار حتى أخرج من السجن.

أسباب خروج يوسف الصديق من السجن

وعن جملة أسباب خروج الصديق يوسف عليه السلام من السجن، روى أن ملك مصر وكان يدعى «الريان بن الوليد» قد رأى في منامه: «سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات» فما أن قصها على قومه وحاشيته، لم يجد بينهم من يحسن تفسيرها، فقالوا له «أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين» وقال الذى نجا منهما (أى الفتيان) أن يوسف السجين خبير بتفسير الأحلام، وعندما عرضت الرؤيا على يوسف عليه السلام أخبرهم بتفسيرها، فلما علم الملك بتفسيره للرؤيا أمر بإحضاره إلى حضرته ليكون من جملة خاصته، فلما علم يوسف بذلك أحب ألا يخرج إلا بعد أن تثبت براءته «فلما جاءه الرسول قال ارجع إلي ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطّعن أيديهن، إن ربى بكيدهن عليم، قال ما خطبكن إذ راودتن

يوسف عن نفسه، قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء، قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين «فلما أنجلت الحقيقة واضحة وظهر الحق» قال الملك آئتونى به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين، قال اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم، وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض، يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء، ولا نضيع أجر المحسنين.

السجن المبارك

مزار على مر العصور

وقال الفقية الطحاوى فيه: «لو سافر الرجل من العراق ليصلي فيه وينظر إليه لما عنَّفته في سفره». ويروى أن كافور الأخشيدي حاكم مصر سأل أبا بكر الحداد عن موضع معروف بإجابة الدعاء في مصر، فأشار إليه بالدعاء على سطح سجن سيدنا يوسف عليه السلام.

وقد ذكر المسبحى أن العامة والسوقة طافت الأسواق بمصر بالطبول والبوقات يجمعون من التجار وأرباب الأسواق ما ينفقونه في مضيهم إلى سجن يوسف عليه السلام، فتعلل التّجار باستشراء الكساد واشتداد الغلاء، فذهبوا إلى أمير المؤمنين - آنذاك - الظاهر أبي الحسن على بن الحاكم بأمر الله، فرسم لنائب الدولة أبي طاهر بن كافى متولى الشرطة الترسيم على التجار حتى يدفعوا إليهم ما جرت به رسومهم ورسم لهم بالخروج الى سجن يوسف عليه السلام، ووعدوا بأن يطلق لهم ضعف ما أطلق لهم في السنة الماضية من الهبة، فخرجوا وركب القائد عز الدولة ووجوه القواد وشق البلد وجهز لأمير المؤمنين عساكر لتكون معه لحفظه عند إقامته بالسجن، فخرج أمير المؤمنين في أربع عشاريات وأربع عشرة بغلة من بغال النقل، وفي جمع من خاصته وحرمه إلى السجن وأقام عنده يومين وليلتين إلى أن عاد الرمادية الخارجون الى السجن بالتماثيل والمضاحك والحكايات والسحاحات فضحك منهم واستظرفهم ثم عاد إلى قصره، ثم أقام أهل الأسواق نحو أسبوعين يطرقون الشوارع بالخيال والسحاحات والتماثيل، ويطلعون إلى القاهرة بذلك كي يشاهدهم أمير المؤمنين، ويعودون ومعهم سجل قد كتب فيه ألا يعارض أحد في ذهابه أو عوده، ثم يظفرون بما يمن به عليهم من المنح والهدايا، وظلوا كذلك إلى أن خرجوا إلى السجن، وقد طافوا الشوارع بالحكايات والسحاحات والتماثيل فتعطل الناس في ذلك اليوم عن أشغالهم، وأجتمع في الأسواق خلق كثير لنظرهم، ثم عادوا بعد فراغهم من احتفالهم وقد صرف لهم جميعا ثمانية ألف درهم .

حقا .. إنها معجزة الله في أرضه .. سجن حوله الصديق إلى محراب عبد فيه الله بضع سنين ونزل فيه جبريل.. كيف لا يكون أطهر بقاع الكنانة.

فان جوخ .. ولوحة لم تكتمل

كل لوحة فنية تعتبر فصلا من حياة الفنان، وجزأ لا يتجزأ من عبقريته ووجدانه. ولكي نتذوق أي عمل فني ونقدره حق قدره، ينبغي لنا أن نتعرف على قصة حياة هذا الفنان ومفردات شخصيته حتي يتسنى لنا الحكم عليه.

كثيرة هي الأقاويل التي دارت حول شخصية فاينست فان جوخ، فهل حقا مسه الجنون؟ وإن لم يكن الأمر كذلك فلماذا قام بقطع أذنه بنفسه؟ وهل تمكن اليأس منه إلى درجة تجعله يطلق الرصاص على نفسه.؟

يعد فان جوخ، من أكثر الرسامين التشكيليين شهرة، على الرغم من أنه لم يبع اكثر من لوحتين اثناء حياته، والبعض قال إنه باع لوحة واحدة فقط. ولم يتجاوز دخله من لوحاته طوال حياته المئة والخمسين دولار - في حين بيعت اللوحة الواحدة منها بعد وفاته بمبلغ ٨٥ ألف دولار، وقدرت جميع لوحاته بحوالي عشرة ملايين دولار. ولا تزال لوحاته يتهافت على رؤيتها المشتغلون بالفن وعامة الناس. فلم يحقق أي فنان في أي زمان ولا مكان ما حققه فان جوخ من شهرة ذائعة الصيت على مدى العالم بأكمله - ولكن بعد وفاته.

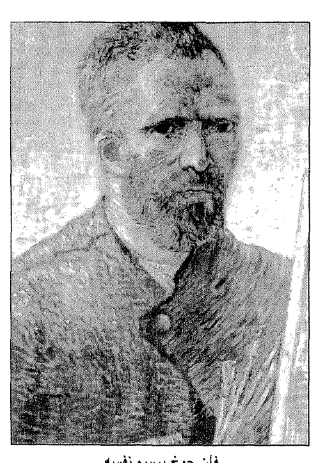
ولد فان جوخ في ٣٠ مارس ١٨٥٣ لأب كاهن بروتستانتي، ولعل هذا يفسر رغبة أبيه في دراسة ابنه للاهوت. وبعدها بأربع سنوات ولد شقيقه تيو الذي كان سنده المعنوي والمادي فيما بعد، حسب ما جاء في خطابات جوخ إلى أخيه، والتي بلغت حوالي ٦٥٠ رسالة حوتها ثلاثة مجلدات. وكانت هذه الرسائل مرجعا هاما لكتاب سيرة فان جوخ حيث عبر فيها عن نظرياته الفنية وخلجاته النفسية.

عندما بلغ السادسة عشرة وفر له خاله عملا في متجر لبيع اللوحات وبعدها بفترة التحق تيو بعمل هو الآخر في إحدى المعارض - وكتب إليه فينست مهنئا (أنا سعيد جدا أن كلا منا يعمل في الفن، أرجو أن تحتفظ بحبك للطبيعة فهي المعلم الحقيقي والطريقة الأمثل لتذوق الفن). وفي أواخر عام ١٨٧٩ ذهب إلى بورينج في بلجيكا ممثلا لإحدى الإرساليات التبشيرية هناك وتشتهر تلك المنطقة بكثرة مناجم الفحم. وكان فان جوخ ممثلا عمال المناجم وكان يرى شبها كبيرا بين عمال المناجم والعبيد وكان يقوم بتمريض العمال بل إنه كان ينفق عليهم من المبلغ الشهري الذي يرسله له أخوه تيو. ولم يتأخر عن مساعدة المحتاجين والفقراء وكان كثير الجدل والنقاش الأمر الذي تسبب في اعفائه من العمل في صيف ١٨٧٩.

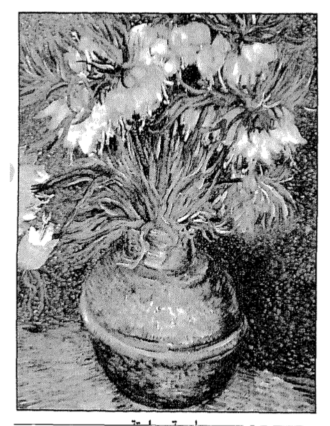
جيهان محمد الشناوي
- الكويت -

في عام ١٨٨٠ كان جوخ يحاول جاهدا اكتشاف نفسه والتعرف على مكنونات ذاته لقد كان موهوبا ولكنه لم يجد الدعم والتشجيع لتعزيز هذه الموهبة، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل كان سيتغير من الأمر شيء لو لاقى التشجيع اللازم؟ لم يتوقف جوخ عن الحركة والانتقال من مكان إلى آخر واستقر في لاهاي لبعض الوقت وكان مبلغ الـ ١٥٠ فرنكاً الذي يرسله إليه أخوه تيو - ويعادل ضعف أجر أي عامل في ذلك الوقت - ينفقه على موديلاته وألوانه وكان طعامه يقتصر على الخبز والقهوة. فالرسم عنده أولا ثم الطعام. والذي يثير التساؤل هنا لماذا لم يعمل بدلا من اعتماده الكلي على اخيه حتى أنه كتب له في احدى المرات قائلا (إنى بحاجة لشراء ملابس داخلية جديدة) وعندما اشتكى تيو من احوال العمل اقترح عليه فان جوخ بأن يقترض بعض المال ليرسله إليه. ويذكر أنه في إحدى المرات تعرف على إحدى الفتيات وكان يطالب أخاه بالانفاق عليهما.

وفي ١٨٨٣ وكان وقتها في الثلاثين من عمره - اكتشف الألوان - لقد شغف بالألوان شغفا قويا وعبر عن قصة حبه في لوحته (Lust for life) وكان أهم ما يشغل الفنانين في ذلك الوقت مسألة تنويع الألوان المستعملة في رسم اللوحات، وعاد فيما بعد ليقيم مع أسرته وهناك رسم لوحة (حائك النسيج) التي عبرت بعمق عن الطبيعة القاسية لهذه المهنة خاصة وأنه كان اشتراكيا متحمسا حتى أن موضوع تمجيد العامل يغلب على أكثر لوحاته فكان

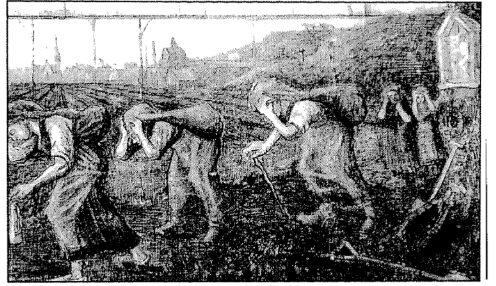


فان جوخ يرسم نفسه



طبيعة صامتة


ذاكرة الحديقة

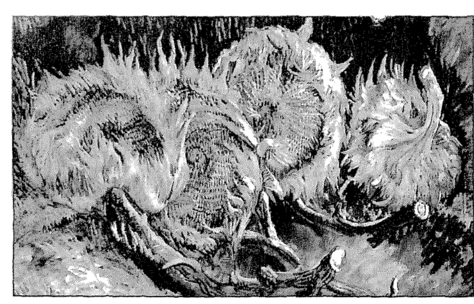

حمالو الأثقال

والبلاغة أضاء وجوه الأشخاص الخمسة مصدر داخلي، وطبعت الوجوه بكرامة أكبر وظهر فيها تأثير اللون على خلفية بنية بفعل تباين اللطخات القليلة من اللون الأصفر. لقد كانت عبقريته مزيجاً من المهارات الموروثة والحس الفني النادر. وعندما أحس بتأثير الألوان استفسر من أخيه عن الاتجاه الانطباعي في الرسم الآخذ في الانتشار في باريس وقتها.

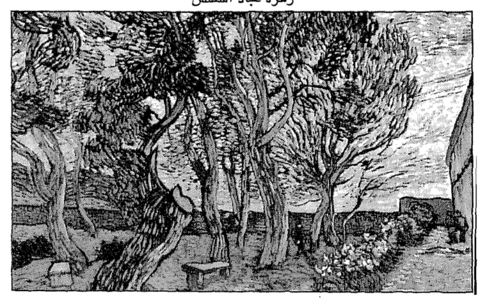
وبعد وفاة أبيه سافر إلى باريس في عام ١٨٨٦ لزيارة أخيه وتأثر كثيرا بما شاهده من فنون التصوير التشكيلي الانطباعي فقام بتخفيف فرشاته واستخدام الألوان البراقة الواضحة الزاهية المشعة ويذكر أن الإنطباعيين حققوا أرباحا كثيرة من بيع لوحاتهم ومع ذلك ابتكر الباريسيون أساليب فنية جديدة مثل Pointlisim وهي عبارة عن مجموعة الوان تتحد عندما تُرَى من بعيد. كما قابل هناك العديد من الفنانين الذين شهدوا بعبقريته. وجاءت لوحته للمقهى الشعبي في ١٨٨٦

فنه نابعا من الشعب وموجها الى الشعب، ولعل أبلغ مثال على ذلك لوحة (أكلة البطاطا) التي تعد بحق من أرقى أعماله - وكان فيها مزج جيد للألوان وقد كتب لأخيه تيو معلقا عليها قائلا: كل ما حاولت إثارته هنا - أن هؤلاء الناس الذين يتناولون البطاطا تحت ضوء المصباح - يأكلونها بنفس الأيدي التي حرثوا بها الأرض) إحساس غاية في التوحد

تحمل العناصر الانطباعية - الأحمر الدافيء لأوراق الخريف والمقاعد الخشبية الخالية من الرواد في المشهد الأمامي للرسم - فلقد كان للفن الانطباعي جاذبية لم يستطع الإفلات منها أي فنان. كما أدخل مبدأ التناقض الناتج من تعارض الألوان الأساسية الأصفر والأحمر والأخضر فقد كتب لأخيه قائلا: (عند مزج اللون الأحمر والأخضر ينتج لون برتقالي أكثر رونقا من اللون الأساسي الذي لم يستخدم في هذه الخلطة وكذلك عند مزج الأصفر والأزرق تنتج ألوان شديدة التوهج أو يعطي على العكس لونا رماديا غير واضح). وبدأت الألوان تنساب وتتدفق ما بين أصابعه ليرسم بريشته المحمومة أحلى وأرق المناظر، ففي لوحته Wheat fleld قام برسم سبعة ظلال مختلفة للقمح كلها باللون الأصفر.



زهرة عباد الشمس



حديقة المستشفي

لقد اهتم فان جوخ بدراسة أعمال الفنانين الآخرين ولكن بعد شهور من وصوله إلى آرلز في جنوب فرنسا أعلن رفضه للنزعة الانطباعية واتجه بأنظاره إلى ما يسمى إيحاءات الألوان ورسم الأفكار المستوحاة من الطبيعة واستقر في منزل تحيط به مزارع الخوخ والكرز والمشمش وساعد جو المدينة على تحسين صحته ورسم لوحات عديدة منها صياد الأزهار، وكتب لأخيه واصفا هذه المناظر البديعة قائلا (ما عليَّ سوى أن أفتح عينيَّ والتقاط

كل ما تراه). ثم استقر في منزل أسماه المنزل الأصفر الذي كان يطمح في أن يكون مجمعا فنيا يضم جميع الفنانين، ولعل أكثر ما كان يؤرقه في ذلك الوقت هو كيفية تصوير العتمة بالألوان لذا ظل لمدة ثلاثة أيام ينام بالنهار ويستيقظ بالليل ويمضي الليل في المقهى لكي يرسمه بصورة أفضل فرسم بعض السكارى منكفئين على موائدهم وعاشقين في إحدى الزوايا بعيدين عن الأنظار ليعكس صورة اليأس ويقول معلقا على هذه اللوحة (لقد حاولت من خلال اللونين الأحمر والأخضر التعبير عن الألم الإنساني المخيف فالغرفة مطلية باللون الأحمر الدامي الموشح بالأصفر الكامد والمصابيح باللون الأصفر الليموني وتنشر ضوءا برتقاليا، لقد حاولت أن أقول أن الحانه مكان للضياع) والجدير بالذكر أنه خلال السنتين الأخيرتين لم يرتد إلا مثل هذه الأماكن. وعن كم الصدق الذي تنطق به لوحاته كتب تيو لأخيه (أشعر بسعادة بالغة وانا أنظر إلى لوحاتك إنها تنير غرفتي بكم الصدق المشع فيها).

في الشارع الذي يقع فيه منزله الأصفر وقف فان جوخ تحت المطر في انتظار صديقه الرسام بول جوجان الذي قابله في باريس في صالة العرض التي يديرها تيو، وكان يستدين منه بعض المال لحين بيع لوحاته، وهناك دعاه فان جوخ للإقامة معه في منزله في باريس. رسم الاثنان سوية عدة لوحات وكثيرا ما كانت تشتد المناقشات بينهم، حتى أنه كتب لأخيه (إن مناقشاتنا نارية إلى حد كبير). فلقد كان جوجان يبخس القيمة الفنية للوحات فان جوخ - وكان جوخ يرى أن اسلوب جوجان التجريدي ما هو إلا فردوس ملعون ولا يمكن أن يكون أسلوبه هو، وبدأ الخلاف ينشب بين الإثنين. ويقول جوجان أنه في احدى المرات بعد أن عزم على الرحيل تتبعه فان جوخ وهو يحمل معه موس حلاقة وأخبره جوجان أنه سوف يعود إلى المنزل بعد أن يتمشى قليلا. وعندما عاد وجده وقد قطع جزء من أذنه اليمنى وجاء رجال الشرطة وأخذوه إلى المستشفى للعلاج وإلى الآن لم نعرف لماذا قام فان جوخ بمثل هذا الفعل الغريب، هل كان يعاني من الوساوس أم من انفصام في الشخصية - ولعل من المصادفات أن هذا الحادث وقع بعد خطوبة أخيه تيو - هل شعر أن الكل يتخلى عنه - هل أفزعته وحدته بعد اخلاصه لجوجان أم أخاله حسب أن زواج أخيه سيبعده من دائرة اهتمامه. لم يتحمل تيو ما حدث لأخيه وذهب إليه على الفور ولم يفصح فان جوخ لأخيه عن ما حدث واكتفى بقوله (إن المعاناة دون شكوى هي الدرس الذي يجب أن نتعلمه من الحياة).

وبدأت المرحلة النهائية ترسم خطوطها حول جوخ فبدأ يشتكي من ظلم الآخرين له واضطهادهم المستمر له وبعد وفاته قيل إنه كان يعاني من داء الصرع وانفصام في الشخصية وجنون الاضطهاد - هل هذه الأعراض لعبت دورا هاما في عبقريته وإبداعه!.

أمضى جوخ في المستشفى فترة رسم فيها صورة ذاتية له ولم تنقطع صلته بالرسم فاستمر في الرسم فرسم لوحة Starry night كما رسم لوحة صور فيها حديقة مستشفى الأمراض العقلية في آرل.

وفي مايو ١٨٨٩ نقل إلى مستشفى المجانين في سان ريمي ولم يكن طبيب المستشفى اختصاصيا في الأمراض العقلية وكان يعالجه بالحمام الأسبوعي وكان يسمح له بالخروج مع حارس ليرسم ما يريد. وكتب إلى أخيه قائلا (أعزي نفسي من خلال اعتبار الجنون مرضا كالأمراض الأخرى)، ثم قام برسم لوحة Les irtstsوملأ اللوحة بالحيوية اللازمة للطبيعة - يقدم اللون الأخضر البارد للأوراق على شكل لسان ووضع اللون الأخضر الصافي لتصوير حقول الأزهار وتميزت باحساس جوخ تجاه الحركة.

وفي نهاية ١٨٨٩ بدأ إلهامه يتقلص وبدأ يستنسخ بعض أعماله وتميزت هذه الفترة بالكآبة والحزن ثم قرر الخروج من المستشفى للالتحاق بطبيبه الرسام جاشيه ورسم لوحته دكتور جاشيه ولون سترة الطبيب باللون الأزرق لكي يبرز ملامح الوجه الذي بدا باهت اللون تاهت فيه نظرة الطبيب. ومن العجيب أن هذه اللوحة بيعت عام ١٩٩٠ بمبلغ ٨٢ مليون دولار محطمة بذلك الرقم القياسي الذي بيعت به لوحته Irisis .. بدا الحال يسوء من سيء إلى أسوأ، فلقد عزل أخاه من إدارة الصالة واعتلت صحة ابنه فينست، وسافر أخوه فان جوخ إليه ومكث معه ثلاثة أيام وأجر غرفة في أحد المنازل هناك ومضى يرسم كل يوم لوحة على مدى سبعين يوما منها لوحة كنيسة أوفير. والغريب أنه في الـ ٢٠٠٠ لوحة التي رسمها لم تكن هناك لوحات لأخيه تيو وابنه فينسيت. وفي مساء ٢٧ يوليو ١٨٩٠ أخذ معه مسدسا وخرج إلى الحقول وأطلق الرصاص على نفسه ثم تمكن وهو يجر قدميه الى الذهاب إلى الفندق وهو ينزف، استطاع تيو الوصول في صباح اليوم التالي، وجلسا وحدهما لمدة ١٢ ساعة حتى لفظ فان جوخ أنفاسه الأخيرة في حضن أخيه في ٢٩ يوليو ١٨٩٠.

وقد قام بشراء هذا الفندق رجل أعمال بلجيكي قام بتجديد الفندق بأكمله باستثناء غرفة فان جوخ تركها فارغة معلقا (في هذه الغرفة لا يوجد شئ تراه ولكن هناك الكثير من المشاعر والأحاسيس التي يمكن أن تحسها وتنفعل بها). لقد مات تيو بعد أخيه بستة أشهر وبعده رحلت زوجته إلى هولندا ونشرت خطابات فينست وقامت بزرع اللبلاب على مقبرتهما. ولا يزال يتوافد على شراء لوحاته الملايين من الناس.

وهكذا انتهت حياة فنان فريد من نوعه لا يمكن مقارنته بفنان آخر، فنان حاول أن يصنع وحدة مع فنه وبذل كل طاقاته إلى أن دفع حياته ثمنا تحقيقا لهذا الهدف.



تحت هذا العنوان يصطحب القارىء الكريم مجموعة من الموضوعات الإجتماعية الهادفة، في أسلوب حواريٍّ هادىء قريب إلى النفس، ليعالج بعض القضايا الاجتماعية والسلوكية. - المنهل -

حوار مع ابنتي (١)

للذّكر مثل حظ الأنثيين

مما يعجبني في ابنتي سارة، التي لم تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها، سؤالها عن كل ما يصعب عليها فهمه، وحرصها على تثقيف نفسها عبر ما تقرؤه في أوقات فراغها.

ذات مساء، من أماسي هذا الصيف، حيث لا مدرسة ولا واجبات، كانت سارة تقرأ في كتاب الله تعالى قراءة خافتة، يكاد من حولها لا يسمع منها شيئاً.

فجأة، أغلقت سارة المصحف على أصبعها حتى لا تفقد الصفحة التي كانت تقرأ فيها، والتفتت إليَّ بوجهها كله وهي تقول:

يا أبي.

أجبتها: نعم يا ابنتي.

قالت: ألم تقل لي إن الاسلام يعدل بين جميع المسلمين ولا يفرق بينهم؟

قلت: بلى يا سارة

قالت: لكنني قرأت الآن قوله تعالى: «يوصيكم الله في أولادكم: للذكر مثل حظ الأنثيين».. أليس في هذا تفضيل للأولاد على البنات؟

قلت: ليس فيه تفضيل يا ابنتي للأولاد على البنات.

قالت: كيف يا أبي؟

قلت: أتمّي قراءتك الآن في سورة النساء.. وسأشرح لك غداً إن شاء الله كيف أن الآية لا تفضل الأولاد على البنات!

عادت سارة إلى مصحفها تواصل قراءتها فيه بعد أن أشعرتني بالرضا عنها لحرصها على أن تفهم وتقنع بكل ما تقرؤه.

في صباح اليوم التالي؛ جاءني ولدي «البراء» يخبرني عن رغبته في الذهاب إلى سيرك للاستمتاع بعروضه الشائقة.

سألته: هل ستذهب وحدك؟

قال: بل سآخذ سارة معي.

قلت: حسناً تفعل. خذ هذه الدنانير العشرة معك لتنفق منها على نفسك وعلى أختك.. ولا تدعها تدفع شيئا من عندها.. ثم ناديت سارة وأخبرتها أن أخاها سوف يأخذها معه لزيارة

محمد رشيد العويِّد
- الكويت -

السيرك الذي نصب خيمته الكبرى في الساحة القريبة من بيتنا.

فرحت سارة كثيراً، وشكرتني وأنا أعطيها خمسة دنانير لتشتري ما تشتهيه في السيرك.

حول مائدة طعام الغداء، وقد جلسنا جميعاً نتناول ما طبخته لنا زوجتي أم البراء، سألت سارة والبراء:

- هل استمتعتما في السيرك؟

- أجابت سارة بحماسة: كثيراً يا أبي.

قلت: ما أكثر ما أعجبك؟

قالت: مشيهم على حبال رفيعة دون أن يسقطوا، ووقوفهم على دراجات مسرعة، والفيلة التي دربت تدريباً يثير العجب.. الحق يا أبي أن جميع فقرات السيرك أعجبتني.

قلت: أرجو أن تكون الدنانير الخمسة قد كفتك.

قالت: هي معي يا أبي.. لم أنفق منها شيئاً

قلت: كيف هذا يا سارة.. ألم تجدي شيئاً تشترينه.

قالت سارة وهي تنظر إلى أخيها: بلى يا أبي.. ولكن البراء أصر على أن يدفع هو ثمن كل شيء.

قلت: وتذكرة الدخول؟

قالت: حتى تذكرة الدخول دفعها أخي.

التفت إلى البراء أسأله: كم بقي من الدنانير العشرة التي أعطيتك يا ولدي؟

قال البراء: دينار واحد يا أبي.

التفتُّ إلى سارة قائلا: الآن أجيبك عمّا سألتني عنه ليلة أمس يا ابنتي. لقد أعطيت أخاك في الصباح عشرة دنانير وأعطيتك خمسة فقط. أي أنني أعطيته ضعف ما أعطيتك يا سارة. لكنني أوصيته ألا يدعك تدفعين شيئاً من ثمن ما ترغبين في شرائه. وهكذا لم يبق معه من الدنانير العشرة سوى دينار واحد.. بينما بقيت معك الدنانير الخمسة دون أن ينقص منها شيء.

يا ابنتي. الله سبحانه وتعالى حين أمر بإعطاء الذكر مثل حظ الأنثيين، كما قرأت في الآية، أمر الرجل بأن ينفق على المرأة في كل ما تحتاجه، كما أمرتُ أخاك بأن يشتري لك كل ما تحتاجينه.

قالت: ويبقى للمرأة معظم ما تأخذه من مال .. وينفد معظم ما يأخذه الرجل وإن كان ضعف ما تأخذه المرأة.

قلت: مثل ما كان اليوم بينك وبين أخيك.

قالت: لقد أردت يا أبي أن تجيبني عن سؤالي إجابة عملية مفهومة مقنعة لا أنساها أبداً.

قلت: أجل يا ابنتي .. هذا ما أردته.

قالت: كم أنا شاكرة وممتنة لك يا أبي.

قلت: وفقك الله يا سارة.. وزادك فهماً لشرع الله الحكيم.

رسالة من البارودي إلى السيدة الجميلة

* هو محمود سامي البارودي (١٨٣٨ ـ ١٩٠٤م).
* رائد الشعر العربي الحديث.
* شارك في أحداث الثورة العرابية (١٨٨٢م) وكان له دور بارز فيها.
* نُفي مع زعيم الثورة أحمد عرابى إلى جزيرة سرنديب (سيلان).
* أعاد إلى الشعر العربي ازدهاره وأصالته.
* يتميز شعره بالجزالة والفحولة وقوة البيان وسمو المعاني.

حبيبتي زوجتي أم علي:

من سرنديب (سيلان) أبعث إليك برسالتى هذه وأنا في لهيف الشوق إليكم وإلى أولادنا.. في غاية الشوق إلى مصر بأهلها ونيلها وترابها.

ماذا أقول يا إلهى وأنا في اغترابي مع زملائى الذين نفوا معى إلى هذه الجزيرة؟ عزلة تكاد تقتلنى، فليس لى صديق يعطف علي أو يتعاطف مع آمالى وأحلامى التى كنت أعمل بروحها ومن أجلها.

أبيت عليلا في سرنديب ساهراً
أعالج ما ألقاه من لوعتى وحدى
أدور بعينى لا أرى وجه صاحب
يريع لصوتى أو يرثى لما أبدى

في رسالتى هذه يا حبيبتي، يا قرة عينى وجنة سعادتى وظلال أحلامى أعطيك صورة لما يحدث لى في هذه الجزيرة، التى وإن شسعت المسافة بينى وبينكم إلا أننى معكم بقلبى، بروحى، بعقلى، بخيالى.

يا عجبا لهذا الزمان الذى لا يفى بعهد ولا يصون سراً لإنسان.. أينفض عنى الرفاق الذين أعطيتهم سرى ووهبت لهم روحى؟ هل يعقل هذا؟ رفاق الأمس ينفضون من حولى، وأين؟ هنا في غربتنا في سرنديب. ألم يكفهم أننا سجناء في المكان والزمان حتى يتبادلون الاتهامات بالخيانة وعدم الحكمة؟ هذا يتهم ذاك بأنه خائن للثورة، وهذا يتهم ذاك بخيانة العرش، وهذا يتهم ذاك بأنه خان

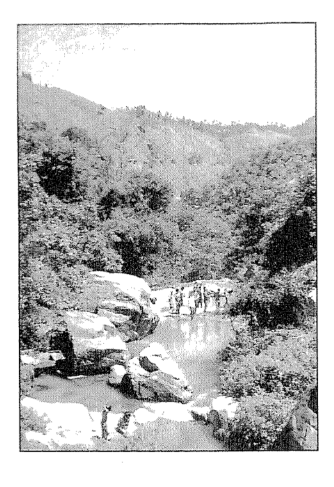
محمد عبدالواحد حجازي
- مصر -

خليفة المسلمين.. وهكذا نحن في غربتنا نعيش في احتراب مرير .. قاس شديد الأذى للنفس الأبية العزيزة.

وأمام هذه الصغائر التى تكاد تفتك بالمرائر.. أجد نفسى مضطراً إلى أن أضحك من مصيرنا الساخر.. أضحك من كل قلبى على تلك المهزلة المبكية التي ابتلينا بها والتى جلبناها لأنفسنا من تخاذلنا وتمزق إرادتنا وتهاوى نفوسنا إلى هاوية النكوص والارتداد.

فأي محنة أشد من أن يرى المرء نفسه وهو مضطر إلى مداراة من حوله ومسايرتهم فيما يخوضون فيه من أحاديث سقيمة.. أما قلبى فهو يتفطر أسى وحسرة على ما صار إليه أمر الرجال الذين عقدت مصر عليهم أعظم آمالها.. فيالشقائى وتعاستى .. أين الوفاء؟ أين؟ هل غاض من القلوب وازْورَّ عنه الضمير؟

لا في سرنديب خل أستعين به
على الهموم إذا هاجت ولا راعى
يظننى من يرانى ضاحكا جذلا
أنى خليٌ وهمى بين أضلاعى
ولا وربك ما وجدى بمندرس
على البعاد ولا صبرى بمطواع
لكننى مالك حزمى ومنتظر
أمراً من الله يشفى برح أوجاعي
أكف غرب دموعى وهى جارية
خوف الرقيب وقلبى جد ملتاع



فإن يكن ساءنى دهرى وغادرنى
رهن الأسى بين جدب بعد إمراع
فإن في مصر إخوانا يسرهم
قربى ويعجبهم نظمى وإبداعى

حبيبتى زوجتى أم على:

لشد ما يحز في قلبى ويصدعه بأوجاع تصَّاعد منها ألسنة من نيران الأسى، ما يوجه إلي من إفك وافتراء خبيث محموم.

ويا ويل المرء حين يكون سليم دواعى الصدر في دعوته للحق ومناصرة العدل ومظاهرة رجاله بكل ما يملك وبأعز ما يملك.. يا ويل المرء حين يكون بتلك الخلال والخصال ثم يأتيه السوء من جانب الذين

كانوا يعرفونه ويعلمون خطاه واتجاه مسعاه.. وأى سوء؟!! هل هناك أشنع وأفظع من أن يتهموني بالخيانة؟ ثرت من أجل تحقيق العدالة، فناديت بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فهل في ذلك عصيان وخيانة؟ وثرت من أجل حكم الشورى الذى أمر به الخالق سبحانه، فهل في ذلك عصيان وخيانة؟

أليس من الفرائض أن يغار الإنسان على الحق والعدل والمعروف؟ بلى:

وليت اللائمين يعقلون..

وليت اللائمين يتبصرون

يقول أناس إننى ثرت خالعا
وتلك هنات لم تكن من خلائقى
ولكننى ناديت بالعدل طالبا
رضا الله واستنهضت أهل الحقائق
أمرت بمعروف وأنكرت منكرا
وذلك حكم في رقاب الخلائق
فإن كان عصيانا قيامى فإننى
أردت بعصيانى إطاعة خالقى
وهل دعوة الشورى عليّ غضاضة
وفيها لمن يبغى الهدى كل فارق
بلى إنها فرض من الله واجب
على كل حى من مسوق وسائق
فهذا هو الحق المبين فلا تسل
سواي فإني عالم بالحقائق

حبيبتي زوجتي أم علي :

أرجو يا حبيبتي عمري أن تبلغي ابننا عليا أنني في غاية الشوق إلى رؤيته ..هو الحبيب الذي أدعو الله سبحانه وتعالى أن يحفظه لنا ويبقيه خلفا لي .. فمن يدري ؟ ربما يحمل لوائي ويسير سيرتي من بعدي ..

إيه يا علي، يا مهجة روحى وفلذة كبدى ورجائى في دنياى؛ هذه نصيحتى إليك ثمرة تجربتى في الحياة فاجعلها نصب عينيك وباعث إرادتك ومحك أعمالك إذا اشتبهت عليك أمور الحياة:

بادر الفرصة واحذر فوتها
فبلوغ العز في نيل الفرص
واغتنم عمرك إبان الصبا
فهو إن زاد مع الشيب نقص
إنما الدنيا خيال عارض
قلما يبقى وأخبار تقص
تارة تدجو وطوراً تنجلى
عادة الظل سجا ثم قلص
فابتدر مسعاك واعلم أن من
بادر الصيد مع الفجر قنص
وليكن مسعاك مجداً كله
إن مرعى الشر مكروه أحص

وبعد أن تقرئى عليه نصيحتى دعيه يقرأها بنفسه ويرددها بوجدانه وفكره فهى نعم الهدية منى إليه

حبيبتى زوجتى أم على:

ربما ساءلت نفسك وأنت مهمومة بهموم محنتى:



أين يا ترى يقضى محمود وقته ويزجى فراغه؟ كيف يمضى ساعات نهاره؟ كيف يا ترى تمر به ساعات الليل، وما أبطأها على المعذب المأسور؟

الحق أقول لك..

أحيانا يا حبيبتى تغشانى أزمة عنيفة من الضيق والملال، يضغط بعنف على صدرى حتى يكاد يزهق روحى.. آنئذ يبلغ منى القنوط غايته والتشاؤم ذروته، وها أنا ذا أرى كل شيء يسير على غير هدى. فهل أطمئن بعد ذلك للزمان؟ هل أطمئن بعد ذلك لإنسان؟

لأى خليل في الزمان أرافق
وأكثر من لاقيت خب منافق
بلوت بنى الدنيا فلم أر صادقا
فأين لعمرى الاكرمون الأصادق
أضعت زمانى بين قوم لو ان لى
بهم غير ما أرهقتنى البوائق
وإن أك ملق الرَّحْل فيهم فإننى
لهم بالخلال الصالحات مفارق

حبيبتى زوجتى أم علي:

وأحيانا يتفتح قلبى للمحات من التفاؤل بالغد وقرب انفراج الضائقة فتعود بي الذكريات إلى أيام صبانا.. وما كان أحلاها وأبهجها.. وما كان أسعدنا بها.. تعود بي الذكريات إلى أيام لهونا الأول فأترنم بينى وبين نفسى بحديث الهوى الذى طالما ترنمت به فأقول.. بل أنشد:

ويلاه من لحظها الفتاك إن نظرت
وآه من قدها العسال إن سنحت
يموت قلبى ويحيا حيرة وهدى
في عالم الوجد إن صدت وإن جنحت
كالبدر إن سفرت والظبي إن نضرت
والغصن إن خطرت والزهر إن نفحت
واخجلة البدر إن لاحت أسرتها
وحيرة الرشأ الوسنان إن لمحت
لها روابط لا تنفك آخذة
بعروة القلب إن جدت وإن مزحت
يا سرحة الأمل الممنوع جانبه
ويا غزالة وادى الحسن إن سرحت
ترفقى بفؤاد أنت منيته
ومقلة لسوى مرآك ما طمحت

حبيبتى زوجتى أم علي:

كونى يا حبيبتى ويا جنة حياتى مؤمنة بالله كما عهدتك دوما.. وثقى بأن الله سبحانه سيمن علينا بنعمة الحرية والعودة إلى الأهل والأحباب.. أجل، العودة إلى مصر أحب حبيب لنا في هذا الوجود..

فإن تكن الأيام ساءت صروفها
فإنى بفضل الله أول واثق
فقد يستقيم الأمر بعد اعوجاجه
ويرجع للأوطان كل مفارق



هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبداً.

ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.

ونظرا للدور البناء والمؤثر الذى تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر - فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.

وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.

مجلة فصلية تصدر عن هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة

العدد الأول صفر ١٤١٦ هـ - يونيو ١٩٩٥م

الإعجاز

العدد الأول - الطبعة الثانية - شوال ١٤١٦هـ

في مثل هذا الشهر (صفر) من العام ١٤١٦هـ صدر العدد الأول من مجلة «الإعجاز» وهي مجلة فصلية تصدر عن هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - رابطة العالم الإسلامي - بمكة المكرمة.

فبعد أن تأسست هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - عقدت كثيرا من الندوات والمؤتمرات الدولية، وأصدرت عددا كبيراً من الدراسات الموثقة المقروءة والمرئية - حول موضوع الإعجاز العلمي - وكان طبيعيا أن يواكب تلك الدراسات والبحوث والأنشطة العلمية المتنوعة صدور دورية علمية لنشر نتائج هذه الأبحاث وإطلاع الباحثين عليها واستكتابهم حولها.

وفي العام ١٤١٥هـ - قرر الأمين العام لهيئة الإعجاز العلمي - الأستاذ الدكتور/ عبد الله مصلح إصدار مجلة «الإعجاز» دون إبطاء لتوظيف هذه الانجازات في خدمة الدعوة الاسلامية داخل وخارج العالم الإسلامي بلغة عصرية مستنيرة.

وتم تحديد الأهداف التى تتجه إليها تلك الانجازات وكذلك النهج الذى تنهجه المجلة والذى يتمثل في النقاط التالية:

- إرساء القواعد المنهجية الصحيحة التى تضبط وتؤصل البحث في موضوعات الإعجاز العلمي.
- نشر أبحاث الإعجاز العلمي المحققة والعمل على تعميقها وتوسيع دائرة العلم بها بين جمهور المتخصصين والمثقفين.
- تشجيع الدراسات والبحوث في مجال الإعجاز العلمي عن طريق اقتراح مشروعات بحوث تعدها الهيئة.
- تلقى أبحاث ومشروعات وأفكار بحث من المتخصصين والمهتمين بدراسات وأبحاث الاعجاز العلمي وكل ما من شأنه العمل على تطوير البحوث والدراسات في هذا المجال.
- عرض وتحليل الكتابات المؤلفة في مجال الإعجاز العلمي لترشيد وتوجيه مسيرة البحث.

مجلة الإعجاز

- عرض الرسائل الجامعية التى لها علاقة بموضوع الإعجاز العلمي.
- إقامة ندوات علمية متخصصة لمناقشة بعض موضوعات الإعجاز العلمي.
- عرض إسهامات علماء المسلمين في مسيرة التطور العلمي.
- نشر أخبار هيئة الإعجاز العلمي والتعريف ببرامجها وأنشطتها وإقامة الجسور بينها وبين الباحثين المهتمين بتلك الدراسات.
- التعريف بالمؤسسات والهيئات العاملة في حقل الإعجاز العلمي وإقامة الروابط العلمية بينها وبين الهيئة.
- اجراء محاورات مع كبار العلماء في العالم حول موضوعات الإعجاز العلمي.
- العمل على إعداد ترجمة علمية صحيحة لمعاني الآيات الكونية في القرآن الكريم - باللغات العالمية - والتنبيه إلى أخطاء الترجمات السابقة.
- العمل على إعداد معجم لغوى للألفاظ الكونية في القرآن الكريم خدمة للبحث في موضوعات الاعجاز العلمي من خلال التوضيح اللغوي لمدلولات الألفاظ القرآنية.
- السعي لإدخال موضوعات الاعجاز العلمي ضمن المقررات الدراسية في جامعات ومعاهد العالم الإسلامي.
- تلقي مقترحات واستفسارات العلماء المتخصصين والقراء المهتمين بموضوع الإعجاز العلمي وكل ما من شأنه العمل على تطوير المجلة وكذلك تطوير البحوث والدراسات في هذا المجال.

وبعد صدور العدد الأول من مجلة «الإعجاز» في صفر ١٤١٦هـ - الذي لاقى استحسانا كبيرا من محبى الثقافة الاسلامية ومن الباحثين والدارسين - انهالت على إدارة المجلة من هذه الفئات المطالبات لإصدار طبعة ثانية من العدد - الذى نفد من المكتبات بسرعة لم يتمكن معها الكثيرون من الحصول عليه.. ونزولا على هذه الرغبة - المشكورة - تم إصدار الطبعة الثانية في شوال ١٤١٦هـ. وكانت هذه المطالبات بمثابة أول شهادة نجاح لهذه المجلة الوليدة.. كما أنها كانت حافزا كبيرا على مضاعفة الجهود في الأعداد التالية.

المنهل .. وهى تهنيء كل القائمين على مجلة الاعجاز بمرور ثلاث سنوات على صدورها.. تتمنى للجميع التوفيق والسداد.



أ.د. عبدالله المصلح
أمين عام هيئة الاعجاز العلمي
رئيس التحرير



الأستاذ أحمد الصاوي
نائب رئيس التحرير

٢٥٧ - كلب العقاد:

كان للأستاذ العقاد كلب أليف أطلق عليـه اسم (بيجو) وقد مـات الكلب، فكتب عنه الأستاذ الكبير مـقـالا تحليليـا شــرح خـواطره نحوه في خـلال ما كـان يبدى الكلب من حركات، وما له من مواقف معه، ثم رثاه بقصيدة شعرية ذات صدق مخلص، ومنذ ظهرت قصيدة العقاد ومقالته عن كلبه ونفرٌ من المتأدبين يحاولون محاكاته، فيبدون أنهم يحسون العطف على الحيوان الأليف، ويخصونه في المنزل بأطيب الطعام، وتنظيف المكان، ولكن ذلك كله تقليد لا طبع به، وهو يذكرنا بسيدة اشتهرت بمواقفها الاجتماعية المصطنعة في دور البر، شاعت أن تصطفى كلبة من طراز أوربي، فأخذت تدللها، وتصحبها معها في حفلات تجمع مثيلاتها، وهى تعلن أن رحمتها دافقة بالحيوان الضعيف، ولكن منافسة لها تحدثت عنها بأنها رأت في مطبخها ذات مـرّة قطة جـائعـة، فلم تكتف بطردها، بل سكبت عليها شواظاً من الماء الساخن، وحين قالت لها أهذه هى الرحمة التى تتحدثين عنها قالت في غضب: ليست قطتي!!

نعود إلى حديث العقاد فنذكر أن صديقه وتلميذه الأستاذ طاهر الجبلاوى كان يحاول محاكاته فيما يقدر عليه، ويدع مالا يقدر، وقد شاء أن يُربي كلباً يخصه بحنانه، فجعله حديثه ومشغلته ثم شاء القدر أن يموت الكلب، وقام الجبلاوى برثائه كما رثى العقاد كلبه، وجلس مع صديقه يعلن أساه، ويسأله أن يشاطره العزاء بقصيدة يرثي بها الفقيد الراحل، وقد استجاب العقاد لرغبة صديقه، وأنشأ قصيدة فكاهية قال فيها:

حـــزنا على كلب طاهر
فـــإنه طاهر الكلاب
تشـابهـا في خليـقـة
واتفقا، شيمة الصحاب
وربمـا عـيّ طـاهـر
وكلبه حاضرُ الجواب
فليس يوفيه حقه
من اكتئاب أو انتحاب
إلا إذا بـات نـابحــا
نبح المساعير في الخراب

* * *

لا تسـألوا رحمة له
قـد رحم الله واستجاب
لعله مــات قـانطاً
من أزمة الأكل والشراب
منتحـراً في شبابه
وهكذا يفعل الشباب
أراحه الله من ضنى

أنقــــذه القـــبــــر من عـــذاب
فليـــــحـــــمــــد الله ربه
من جـــاع، فليـــرض بالتـــراب

٢٥٨ ـ (قطة أحمد شوقي):

تحدث الأستاذ حسين أحمد شوقي نجل أمير الشعراء عن قطة أليفة استقراطية حاول أمير الشعراء أن يمنعها من الاختلاط (بقطط الرعاع) وفوجيء بأنها تلد، رغم الاحتياط الشديد، وهي قصة طريفة. أحاول تلخيصها نقلا عن مجلة الرسالة العدد ١٩ السنة الأولى:

يقول الأستاذ حسين شوقي: كنا في الاستانة بعد خلع السلطان عبد الحميد، وكان أثاث القصر يباع بالمزاد العلني، فذهبنا نشهد ما يعرض من طرائف التحف، ونفائس الكنوز، وما كادت أبصارنا تقع على (زنبل) القطة الاستقراطية الرائعة حتى تشاورنا بشأنها واشتراها والدى بخمسة جنيهات (تساوى الآن خمسمائة)!

كانت زنبل تجلس على كرسي القطيفة في الصالون الصغير، ترتل أناشيدها (المواء) فى هدوء وكم كان شعرها جميلا يحاكي بياضه الناصع، ثلج الجبال في الأناضول، وكانت نعومة شعرها مدهشة فاتنة، أما عيناها فكانتا تعكسان ما تشاهده على ضفاف البسفور من خضرة زمردية وكان لحم كفيها طريا ناعما إلي حد أننا كنا نجد لذة في القبض على تلك الأكف الظريفة، وكان صيد الفيران والصراصير من الأمور الحقيرة التي لا تتعرض لها زنبل كما تفعل القطط الأخرى، لأن تسليتها الوحيدة أن تلعب بكرة من الخيط الحريري فتضربها بيدها الصغيرة.

وفي ذات يوم وقعت حادثة مدهشة حيّرت جميع من في المنزل، هى أن (زنبل) حامل، رباه: كيف زلّت هذه الارستقراطية العريقة فاجترأ عليها قط حقير من قطط الشارع وهي التى كانت تربى وحدها دائما، وتنفر من كل مخالطة لأبناء جنسها، وتنظر الى هذا الطراز باحتقار شديد، وكأنها شعرت بخطئها فما كادت تضع الصغار حتى هجرتها في قسوة، ولم تشأ إرضاعها. فاضطررنا أن نغذيها باللبن، ولعلها كانت تعلم أن أولادها من نسل الصعاليك فلا يجوز لها أن تعيش أو أن تنسب إليها.

ثم انتهت حياتها بالموت في واقعة طريفة، لأنها كانت تأكل لحم الدجاج وحده، وتعرض عن كل طعام غيره، وفي إجازة سنوية عائلية تركناها للخدم وسافرنا، وجعلنا لها مقررا من الدجاج، ولكن الخادم كان يأكل اللحم ويرمى لها بالعظم، فترفعت عما يقدم لها من حطام لا تعهده، وآثرت الموت جوعا! وأنا أقول: أهذا معقول!!

٢٥٩ ـ (كلبة الأستاذ تيمور):

وشبيه بقطة شوقى كلبة الأستاذ محمود تيمور، فقد تحدث عنها، وفق ما جاء بمجلة الثقافة (فبراير سنة ١٩٧٩م، وكان تيمور قد دعا طباخة محيى ليمنع الكلبة (سالومى) من الدنو من باب

الفيلا، ولا يجعلها تتصل بكلب ما من الكلاب المصرية، ولفت ذلك نظر جليسه الروائي الشهير الأستاذ يوسف السباعي فقال له: يا محمود بك: لم نعرف قصة (سالومي)

فابتسم الأستاذ تيمور، وقال: هذه الكلبة من سلالة سويدية أصيلة. بعيدة عن التهجين، لأن عروقها نقية وقد اشتراها من السويد بعد أن قرأ شجرة الأنساب عن عائلتها، فعرف أنها سويدية ارستقراطية لحماً ودما، بشهادة متخصص في تربية الكلاب.

قال الاستاذ السباعي: هل المطلوب من الأخ محيي أن يمنع (سالومى) من الاختلاط وما الخسارة المترتبة على ذلك.

فقال تيمور: إذا تحققت يقيناً من واقعة الاختلاط، وشهد بها شهود «عدول» فسأضطر لسفرها إلى السويد من جديد، والبحث عن سالومى أخرى.

وضحك الأستاذ السباعي، ولكنه لم يسأل تيمور، عما سيصنع إذا جاءت الأخرى، واستجابت إلى صوت الغريزة وكررت واقعة الأولى! أتسافر مرّة ثانية! لتكرر المأساة من جديد.

٣٦٠ - (سندباد عصري):

للدكتور حسين فوزى كتاب سماه (سندباد عصري) وهو سرد لأحداث رحلة علمية قام بها على باخرة تقطع المحيط الهادى مع كبار الباحثين من علماء أوربا، اكتشافا لبعض الأحياء المائية التى يعج بها المحيط، وقد كتب فصلا بديعا عن (مشمشة) وهى قطة صحبت البعثة وأسهمت في نشاطها.

يقول الدكتور حسين ما ملخصه: كان ركاب الباخرة ذكوراً جميعهم، إلا مشمشه، وقد اشتركت في نشاطنا العلمى إذ كانت لا تقرب الأسماك التي تصيدها شباكنا، لأنها تحترم بحوثنا وتقدر قيمتها الحضارية.

وقد بلغت من الحمل، وهي معنا، فجعلت تدور في كل مكان بالسفينة، وتملأها عواء وهى مدفوعة بغريزة تتنبه فيها لأول مرّة، فقلت لأصحابى: هذه الهرة أيها السادة تفضل عندى بنى الإنسان. وهى تذكرنى بأوضاعنا الاجتماعية التي تضطرنا إلى كبت أهم غرائزنا، وأسوأ من كبتها الإمعان في تحقير مظاهرها، حتى لننظر الى المرأة التى تعمل لها مخلصة، نظرتنا إلى المجرمين، هذه القطة التى تتأففون من موائها ليل نهار، أشجع من ابن آدم، فهى حينما طلبت الأليف أعلنت ذلك على رءوس الأشهاد بلا هواده وبغير خجل.

وكلام الدكتور حسين يحتاج إلى تعليق ليس هذا موضعه. فالشذرات موضع استطراف، وليست مجال تحقيق، وقد عادت مشمشة بعد رحلة تسعة أشهر إلى مصر عذراء طاهرة.

٣٦١ - (حديث المازنى):

الكاتب الكبير الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى رحيم ودود، وذو ألف وتسامح، ولكن لا أدرى لماذا تحدث عن القطط حديث الغاضب الناقم، حيث لم يدع سوءة من سوءاتها إلا جسّدها بقلمه المصور. أترى هذه المخلوقات الوديعة قد أتلفت

كثيرا من زاده وطعامه ومحتويات منزله ففاجأها بالعداء الصارخ في قوله:

من غرور القط أنه لا يستأنس أبداً، يسكن بيتك، ويأكل طعامك برضاك، أو على الرغم منك ومع ذلك لا يكون منك إلا على حرف، تمسح له شعره فيثنى أرجله تحته، ويرخي جفنيه، فكأنك تستلم حجراً مقدساً من فرط ما يكون من انصرافه عنك، تقدم له اللقمة من الخبز فينظر إليها شزرا ويعرض عنها محتقرا، ويحول رأسه عنك بكبر دونه كل كبر، فإذا كان ما تعرضه عليه لحما طريا، أو سمكا أهوى عليه بأسنانه وهو عابس متجهم، وانتزعه منك كأنما ستدنسه بلمسه، ولا يكون معك إلا متحرزا متخوفا يتوقع الخيانة.

والعامة تعتقد أن للقطط سبع أرواح، وما أظنهم إلا صدقوا، ومن كان يشك في ذلك، فليتأمل كيف يسقط القط من فوق السطح العالى فلا يزيد على أن ينظر يمنة ويسرة ثم ينهض ويمضى، وما رأيت قطين اتفقا قط، وما اجتمعا إلا تحفزا للقتال، فترى كلا منهما قد رفع ذيله، وقوس ظهره، وراح يجس الآخر بعينيه، ويدور حوله ليغافله وينشب فيه أظفاره، والقطة هي الدابة الوحيدة التي تأكل أولادها، فمن كان يعرف حيوانا آخر يفعل ذلك فليخبرني.

وفي بيتنا قط، لا يزال كلما أوينا إلى مضجعنا يتسلل إلى المطبخ ويرفع كل غطاء، عن كل وعاء ويقلب كل صحن، ويعبث بكل ما في المكان، وليست نقمتى عليه من أجل ما يسرق، فقلما يجد لدينا شيئا، ولكن من أجل الضجة المزعجة التى يحدثها في الصحون والأطباق التي يكسرها، فنهبّ مذعورين من فرط الضوضاء، ونذهب الى المطبخ عسى أن ندرك شيئا قبل أن يتحطم، وإذا بالقط اللعين حين رآنا يقفز من الرف إلى النافذة دفعة واحدة.

ومقال المازنى طريف يتحدث عن أشياء نراها ولا نكاد نلتفت إلى مغزاها، وقد وصف احتيال القط على صيد الفأر، ومداعبته القاسية إياه حين يقع في يده قبل أن يأكله، وصفاً يذكرنا بحديث الجاحظ عن هذا الحيوان، فكلا الكاتبين من أمراء البيان.

٣٦٢ - (رثاء شعري):

قصيدة الشاعر ابن العلاف العباسي في رثاء القط مشتهرة، وقد ذهب بعض الدارسين الى أنها قصيدة رمزية قيلت في رثاء الخليفة الشاعر (ابن المعتز) ولكن ذلك استنتاج بعيد، لأن روح القصيدة بعيدة عن الرمز، وقد كان القط المرثى شرها يأكل فراخ الجيران وهو حيّ، فترّصده الموتورون وقتلوه، فقال ابن العلاف:

يا هرُّ فارقتنا ولم تعدْ — وأنت منا بمنزلة الولد
فكيف ننفكّ عن هواك وقد — كنت لنا عدّةً من العدد
متى اعتقدت الأذى لجيرتنا — ولم تكن للأذى بمعتقد
تدخل برج الحمام متئدا — وتخرج الفرخ غير متئد
وتطرح الرّيش في الطريق لهم — وتبلع اللحم بلع مزدرد
أذاقك الموت من أذاق كما — أذقت أطياره يدا بيد
لا بارك الله في الطعام إذا — كان هلاك النفوس في المعد
كم أكلة داخلتْ حشا شرَه — فأخرجت روحه من الجسد

نحن وحقوق الانسان

بقلم : أ.د. يوسف عز الدين
- المملكة المتحدة -

تثار بين آونة وأخرى في الغرب قضية حقوق الانسان في الاسلام ويهاجم من خلالها الدين الحنيف وينسى الغرب ما تصنعه جحافله في الشرق العربي والاسلامي من فظائع وفضائح يندى لها جبين البشرية.. والحق كما قال الشاعر العربي:

قتل امرىء في غابة   جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن   جريمة فيها نظر

ولو درسوا نصوص الدين الاسلامي وتعاليمه التى تضبط المجتمع من الانحراف وتردع الناس على الانحراف لاقتدوا بهذه التعاليم.. وقد سمعنا كثيرا من حماة القانون والمفكرين من ينادي بتطبيق الشريعة الاسلامية في قضايا كثيرة في الغرب.

وخير مثل مكتوب على الرعاية الانسانية والمعاملة الكريمة التى يعامل بها العرب والاسلام البشرية كلها ما وجدناه في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الذي مازال خير نموذج للامم المتحضرة.

وشخصية عمر رضي الله عنه فذة في حياتها وتعاملها وتطبيق الشريعة الاسلامية على نفسه وأسرته والمجتمع الاسلامي الجديد. ما حاز مالا ولا ترك إرثا وكان عطاؤه درهمين في اليوم.. فاعجز من خلفه من الحكام وكان حريصا على اموال المسلمين فقد اشتهت زوجه الحلوى فقال لها من أين لي ثمن الحلوى لاشتريها لك!!

ولما اقتصدت في طعامها ثمن الحلوى رده الى بيت مال المسلمين وقال يظهر أن ما خصص لكم اكثر مما ينبغي. واقام الحد على ولده ولم يضعف امام عاطفة الابوة وخير مثال على تطبيق حقوق الانسان ما صنعه مع اليهودي الاعمى لما رآه يستجدي وأخذه الى منزله وأعطاه ما يكفيه من مؤونة وأوصى به وبأمثاله خازن بيت المال.. وها هم المسلمون في جميع أنحاء الدنيا تمتص اوربا دماءهم ويموتون بالآلاف جوعاً دون أن يبادر الغرب الى مساعدتهم ومد يد العون لهم الا بالسلاح الذى يفتك بهم والعتاد الذي يبيدهم باسم المساعدات الانسانية ويالها من مساعدات في الافغان والصومال وكوسوفو والبوسنة والهرسك.

إن عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي ابرمه وهو المنتصر مع اهل إيليا يعطينا الدليل الواضح على مدى الحرية التي يعطيها الاسلام للبشر التى فاقت تعاليم الثورة الفرنسية التى مازال العالم يتشدق بتعاليمها وأسسها.

وقد أورد الطبري عهد عمر وهو عهد يتمنى العرب أن يشملهم اليوم وان يكون فيه التسامح الذي ورد في طياته ما لم نجده في القرن العشرين ولن نجده في القرن الواحد والعشرين. ففيه حرية واضحة في ممارسة الشعائر الدينية لغير المسلمين وأن يكون غير المسلم حرا في دينه ولا يكره على الدخول في الاسلام وفيه حرية التنقل (ومن كان من اهل الارض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن سار مع الروم ومن سار ورجع الى أهله فانه لا يؤخذ منه شيء) ومن خرج منها فإنه آمن على ان يصل مأمنه وآمن على نفسه وماله).

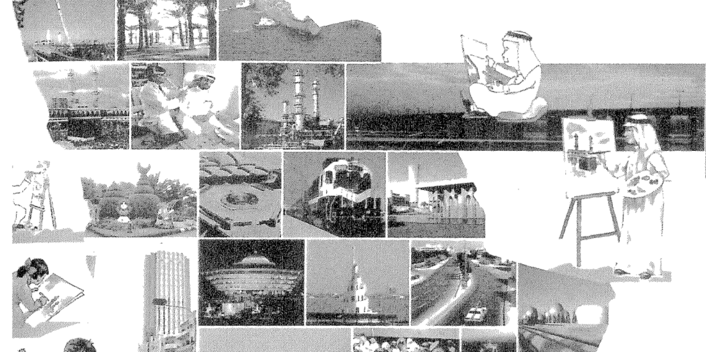
أين هذا من حقوق الثورة الفرنسية التى كان يمثلها (نابليون بونابارت) عندما قتل ثلاثة آلاف من الابرياء من أهل يافا الذين استسلموا له وهم أسرى حرب؟ دون أن تأخذه لومة ضمير أو محاسبة نفس؟!

عمر أعطى الناس الامان على الارواح والأموال حتى يصل الفرد الى مكانه الآمن ونابليون يقتل الآمنين في بيوتهم ويصادر اموالهم ويرميهم في البحر جثثا للاسماك. وعمر وقد ملك المدينة دون شروط أو تعهد من قواد المسلمين يقول في عهده:

(ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وَصُلُبِهم حتى يبلغون مأمنهم) وأعطى حرية كاملة لمن أقام في القدس كما أعطاها لمن يغادرها برغبته ودون اكراه وعلى هذه الأسس السامية اقام الدين الاسلامي الحنيف دعائمه ونشر تعاليمه. كان عمر يحمل فكرا حضاريا قلما وجدناه الآن في بعض المناطق العربية التى اصبح البشر فيها رقيقاً بلا رحمة وتسلط بعضهم على ابناء الامة دون هوادة وعمر يقول (لعمرو بن العاص) متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا، فعسى أن يقرأ الذين يهاجمون تعاليم الاسلام السمحة وأن يأخذوا بها، إذن، لقلت الجريمة وانحسر الارهاب.

المملكة في عيون أطفالها

احتفاءً بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية
يسر أرامكو السعودية أن تعلن عن مسابقتها السنوية العشرين
لرسوم الأطفال هذا العام وتخصيصها لهذه المناسبة
الغالية وموضوعها المملكة في عيون أطفالها.



دعوة إلى جميع الأطفال بالمملكة

يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية العشرين لرسوم الأطفال، والتي سيكون موضوعها «المملكة في عيون أطفالها» إسهاماً من الشركة بمناسبة مرور مائة عام على فتح الملك عبدالعزيز مدينة الرياض، وإقامة هذا الصرح الحضاري العملاق اليوم، المملكة العربية السعودية. وأرامكو السعودية إذ يسرها أن تعلن عن هذه المسابقة لتفخر وتعتز بهذا الحدث العظيم التي هي جزء منه، وهي بهذا تسعى لتجسيد هذا الحدث من خلال إبراز المواهب والإبداعات الفنية لأطفال المملكة، وتحفيز مواهبهم وتشجيعهم وكشف مواهبهم وإبداعاتهم وإثراء أعمالهم الفنية والتربوية معاً في ظل العهد الزاهر اليوم في مملكتنا الحبيبة.

ملاحظة مهمة: يرجى من جميع الأطفال الراغبين في الاشتراك في المسابقة ومن أولياء أمورهم ومدرسيهم أن يقرأوا نظام وشروط المسابقة بعناية، وأن يتبعوها بدقة، فالرسوم المخالفة لشروط المسابقة سوف تستبعد.

شروط المسابقة

(١) يحق لكل طفل لا يقل عمره عن خمس سنوات ولا يزيد على خمس عشرة سنة ويقيم في المملكة أن يشارك في المسابقة.
(٢) يجب على الطفل الالتزام بموضوع المسابقة وهو «المملكة في عيون أطفالها».
(٣) يتقدم كل طفل للمسابقة برسم واحد فقط على أن يكون الرسم من عمله هو دون أي تدخل أو مساعدة من الوالدين أو المدرسين أو غيرهم.
(٤) يجب أن يكون الرسم عملاً أصلياً غير منسوخ أو مشارك به في مسابقة أخرى.
(٥) يجب أن يكون العمل المقدم رسماً أو ما يشبه الرسم كأن ينفذ من أوراق القص أو اللصق الملونة، أو قطع القماش، أو ما شابه ذلك. وستستبعد الأعمال المجسمة من مواد بارزة كقطع الخشب أو قطع البلاستيك، أو الفخار، أو ما شابهها. ويمكن للطفل أن يستخدم أي نوع من الألوان أو الأحبار أو ما يراه مناسباً لرسمه.
(٦) يجب أن يكون الرسم نفسه خالياً تماماً من أية دلالة على اسم الطفل أو مدرسته.
(٧) يجب أن يكون مقاس الرسم ٣٥ سم × ٥٠ سم. وللطفل الخيار في الاستفادة من هذه المساحة أفقياً أو عمودياً.
(٨) يجب تنفيذ الرسم على الورق المقوى أو تثبيته على لوح من الورق العادي أو القماش.
(٩) يجب أن يكون الرسم مرتباً ونظيفاً.
(١٠) يجب تثبيت القسيمة المرفقة بهذا الإعلان أو صورة منها على ظهر الرسم، كما يجب ملء جميع البيانات المطلوبة فيها بدقة ووضوح.
(١١) يجب عند إرسال الرسوم في البريد وضعها في ظروف أو مغلفات متينة تحميها من التلف.
(١٢) تصبح جميع الرسوم المشاركة في المسابقة ملكاً لأرامكو السعودية سواء فازت أم لم تفز، وتبقى هذه الرسوم في حيازة الشركة، التي تحتفظ بحق استخدام أي منها حسبما تراه مناسباً.
(١٣) آخر موعد لتسلم الرسوم هو ٧ ربيع الأول ١٤١٨هـ الموافق الأول من يوليه ١٩٩٨م.

يجب ملء هاتين القسيمتين أو صورة منهما وتثبيت واحدة على ظهر الرسم المشارك، وإرفاق الأخرى منفصلة مع الرسم.

مسابقة أرامكو السعودية السنوية العشرين لرسوم الأطفال

اسم الطفل كاملاً:
تاريخ الميلاد: عمره:
الصف الدراسي:
اسم المدرسة:
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً:
ص.ب:
المدينة: الرمز البريدي:
الموقع:
الشارع:
الهاتف: الفاكس:
نوع الخامة أو المادة الفنية المستعملة في التلوين:
موضوع أو عنوان الرسم المشارك:
التاريخ:

مسابقة أرامكو السعودية السنوية العشرين لرسوم الأطفال

اسم الطفل كاملاً:
تاريخ الميلاد: عمره:
الصف الدراسي:
اسم المدرسة:
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً:
ص.ب:
المدينة: الرمز البريدي:
الموقع:
الشارع:
الهاتف: الفاكس:
نوع الخامة أو المادة الفنية المستعملة في التلوين:
موضوع أو عنوان الرسم المشارك:
التاريخ:

الجوائز

خصص للفائزين في هذه المسابقة مائتا جائزة قسمت إلى الفئات التالية:
- خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٥ و ٨ سنوات.
- خمس وستون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٩ و ١١ سنة.
- خمس وثمانون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٥ سنة.

يمكن توجيه الاستفسارات عن المسابقة إلى إدارة العلاقات العامة على الهاتف رقم ٨٧٣٤٢٠٢ و ٨٧٢٩٣٠٢ مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق.

ترسل جميع الرسوم إلى العنوان التالي: مسابقة أرامكو السعودية لرسوم الأطفال - المسابقة العشرون (إدارة العلاقات العامة - غرفة رقم ٢٢٣٨ - مبنى الإدارة الشرقي - أرامكو السعودية - الظهران ٣١٣١١)

المنهل
AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية
العدد (٥٥١) المجلد (٦٠) العام [٦٤] الربيعان ١٤١٩ هـ - يوليو واغسطس ١٩٩٨م

أوراق خاصة جداً
د. ام عمرو

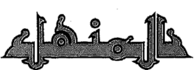
الفنان التشكيلي فهد الربيق :
المحلية رحم العالمية

ملف خاص
الانسان والحضارة
في اشكالية
الاقلاع الحضاري
أثر التغريب
على المستقبل الحضاري
الانسان والمثالية المفقودة



المتجمد الشمالي .. عالم المجهول

النينيو .. طوفان العصر



مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



واقع العالم العربي والإسلامي

حينما يضع المرء واقع العالم العربي والاسلامي، اليوم - تحت مجهر الفحص والدراسة والتحليل، يجدهما ممعنين في «التخلف» بالنسبة للعالم الغربي والشرقي الاوروبيين، وذلك فيما يتعلق باستيعاب الوان العلوم التقنية: الصناعية، السلمية والحربية على السواء .. وهي العلوم التى تكون روافد الاستقلال الحقيقي للامم.

بينما نرى العالم الغربي والشرقي الاوروبيين يتسابقان في السعى الى قمم التوصل الى ما يمكن لهما التوصل اليه من أسرار الكون، استكشافا واستنباطا لما يريان انه يرفع شأنهما منها .. وبينما يبلغان في هذه المسيرة الى المستوى الذى اهلهما أخيرا للصعود الى الفضاء.. وبينما يخترعان ويستكشفان في كل دقيقة وساعة، وفي كل يوم وشهر وسنة، ألوف المخترعات والمستكشفات، ما جل منها، وما دق، متجاوزين بذلك «منطقة الاكتفاء الذاتي» بآلاف المراحل ومتوغلين في مناطق التصدير لاسواق العالم العربي والاسلامي وغيرهما - نرى العالم العربى والاسلامي - مع بالغ الاسف - سوقا مفتوحة على مصراعيها لاستيراد كل شيء من الخارج: التافه والقيم، من الابرة والخيط الى الطائرة والباخرة.

إن العالم العربي والاسلامي مدعوان اليوم، الى تبديل خططهما من هذه الناحية بصفة جذرية، تبديلها بخطط جديدة مرسومة جديرة بالتقدير والاهتمام البالغ، بأن يتوجها بعناية بالغة الى استيعاب أكبر كمية من العلوم التقنية، والى ايجاد اكبر كمية من المصانع الحديثة الصغيرة والضخمة، والى ايجاد اكبر قدر من العلماء التقنيين والصناع والخبراء والمهندسين، في بلادهما الواسعة الخصبة، ليستغلوا ما فيها من خيرات، ومعادن وطاقات وخامات وفيرة، وليخرجوا من قوقعة الاستيراد الشامل الى ميدان الاكتفاء الذاتي، فالتصدير.. فذلك هو الباب المفتوح لعدم استقلالهما وتقوية كيانهما ومحو آثار العدوان عنهما ما كان، وما يكون، وحفظ بلادهما من هجمات المعتدين النهازين.

إننا لفي حاجة بالغة الى اقامة مئات المصانع، وانشاء عشرات الجامعات العلمية وتأسيس مئات المعاهد الفنية يديرها جيل من العلماء والصناع العرب المسلمين المدربين على خير منوال.

فهل للعرب والمسلمين أن يستيقظوا من سباتهم قبل فوات الأوان، وقبل أن يبتلعهم الطوفان؟!

«عبدالقدوس الأنصاري»

صفر ١٣٨٩هـ/ ابريل - مايو ١٩٦٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

لقطة الشهر

اللهم اجمع قلوب قومي على الحق

لوحة «دعاء» من اعمال سمو الأمير «خالد الفيصل»

اشارة

• تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.


طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ـ جدة
تليفون : ٦٣٩٦٠٦٠ ـ فاكس : ٦٣٩١٠٠٣

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



غلاف العدد





العدد : (٥٥١)
المجلد : (٦٠)
العام : (٦٤)

الفهرس





وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة



أقــــلام

د. عبد الله العشي — د. شريف مفلح
د. احمد الطويلي — د. عبد الحليم عويس
الدكتورة صباح ابراهيم — فهد الربيق
الدكتورة سامية مصطفى — انور الجندي
الدكتورة أم عمرو — احمد سالم باعطب

منهليات

نهايات القرن .. ؟؟؟؟

عالم نهايات القرن العشرين لم يأت من فراغ..

منذ منتصف هذا القرن تم وضع «خطته الهيكلية».

وبالطبع يتم هذا من قبل الدول ذات الذراع الطويلة.. التي بيدها القرار.. ولا نحسب بحال أن ما يجري الآن من محاولة «تجديد استعمار» العالم العربي والاسلامي، جاءت خبط عشواء أو وليد ساعتها، بل هو التنفيذ الدقيق لمرحلية المخطط الموقع عليه من قبل دول (النظام العالمي الجديد).

تُفكك دول، ويعاد ترتيبها من جديد.. تتم عمليات تصفية «عرقية» و«عقدية» كاملة بمنهجية «همجية» دقيقة.. بعض دول الشرق الأوسط يجري احتواؤها، وتهميشها.. فلسطين تحول إلى «مجلس بلدية».

دول أخرى في الشرق الأوسط تحاصر - تحت أى مسمى - المهم ان تحاصر..

« حقوق الانسان» و«الارهاب» الذراع الطويلة التي يستخدمها «الرجل الأبيض» لمحاصرة أو ضرب أو تهميش أو احتواء أو تخويف بعض الدول ذات الملفات المحفوظة على الأرفف في دول السيادة والسؤال الموجع الآن: إلى متى نبقى مختلفين؟!!

رئيس التحرير

٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الأندية الثقافية بين التوصيات والواقع


الأمير فيصل بن فهد

الأندية الثقافية تمثل لواجهة الأدبية والفكرية للدولة.. وهي التي جتمع إليها صفوة لعلماء والأدباء والشعراء، في ندوات أو قاعات أو محاضرات، أو مهرجانات، تكون معرضاً للرأي الحرّ الناضج، والفكر النيّر المبصر لطريقه، الهادف للخير، الساعي أبداً لاقامة جسور التواصل بين افراد المجتمع.

وتظل الأندية الأدبية الراعية بصدق لتدافع الحركة المعرفية في كل جوانبها، اظهاراً وابرازاً، وانماء وتطورا.

أو هكذا ينبغي أن تكون طبيعتها في منظومة العطاءات المعرفية للدولة.

ومملكتنا الحبيبة أولت الأندية الأدبية اهتماماً خاصاً ومتميزا.. وذلك لخصوصيتها وتميز أدائها.. ومقابل هذه الأريحية الكريمة من قبل الدولة، يكون الاداء والعطاء المتميز من قبل الأندية، في إطار أبجديات الالتزام المنهجي والسلوكى الذي قام عليه هذا الكيان.. وخلال مسيرتها الطويلة، استطاع كثير من أنديتنا الثقافية والأدبية تقديم الكثير في ميادين عطائه.

أقيمت المهرجانات.. وعقدت الندوات والمحاضرات واللقاءات.. وطبعت الكتب، في كثير من مجالات الحياة.

وهذا جهد - لا شك - مشكور ومقدر.. ويظل وراء هذا الجهد الضخم رعاية ومتابعة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب.. وكل القائمين على أمر الحياة الثقافية في ربوعنا الغالية هذه.

ويبقى القول موصولا بأسبابه، ومن غير انقاص لحق المجتهدين، فإنَّا نشير إلى ضرورة متابعة وتنفيذ ما انعقد عليه العزم من توصيات رأى المجتمعون ضرورة الأخذ بها في عدة اجتماعات سالفة.

ولا يغرب عن الذاكرة التوصيات التى اتخذت في الاجتماع الاخير لرؤساء الأندية الثقافية في المملكة.. وجاء فيها: بحث امكانية تأسيس جهاز يختص بالثقافة.. وإقامة اسبوع ثقافي للأندية الادبية خارج المملكة، وهذا يمثل بطبيعة الحال عملا فكرياً وثقافياً رائعاً يبرز للآخر طبيعة التوجه الأدبي والثقافي للمملكة، وفي التظاهرة الضخمة بمئوية المملكة ينبغي أن يكون للاندية الثقافية دورها المميز.

الجامعة وقضايا الأمة الاسلامية



شعار المنظمة

تحت هذا الشعار انعقدت اعمال المؤتمر الأول لاتحاد جامعات العالم الإسلامي، برعاية المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم.. موضوع التعليم الجامعي في العالم الاسلامي شغل الكثير من العلماء والمفكرين والمختصين بالحركة التعليمية، ذلك لان التعليم يمثل العمود الفقري في حركة التنمية في كل العالم.. وكان الأحرى والاجدر بالعالم الاسلامي أن يكون الاكثر حرصاً على تجويد التعليم والاهتمام به، وتوجيهه الوجهة الخيرة التى تخدم الأمة الاسلامية في نموها وتطورها، بل في سلمها وحربها..

والندوة التى عقدت على هامش هذا المؤتمر جاءت بعدد من التوصيات منها:

- تشجيع الجامعات على العمل بشكل متواصل لتطوير التعليم العالي في البلدان الإسلامية، وفي أوساط الأقليات الإسلامية، وذلك من خلال وضع برامج تعليمية توفق بين خصوصيات الهوية الثقافية الإسلامية وبين متطلبات التقدم العلمي والتكنولوجي الحديث.

تقريب اللغة العربية إلى أزيد من ١٥٠ مليون مسلم يتحدثون اللغة الفارسية

أصدرت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - ، معجماً عربياً فارسياً بعنوان (معجم التعابير العصرية) من تصنيف الدكتور صالح ماجدي، يقع في ٢٥٥ صفحة. وصدر هذا المعجم في إطار جهود المنظمة الإسلامية في إعداد وإصدار معاجم ثنائية باللغة العربية، وبغيرها من لغات الشعوب الإسلامية، لتسهم بصورة ناجعة وفعالة في نقل النصوص العربية في التربية والعلوم والثقافة، إلى اللغات الوطنية في البلدان الإسلامية.

ويقول الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إن هذا المعجم سيستفيد منه أكثر من مائة وخمسين مليون مسلم من الناطقين باللغة الفارسية يقطنون بلاداً إسلامية تمتد من الصين والهند وباكستان وأفغانستان، إلى إيران وتركيا وتاجيكستان وأذربيجان، وإلى أنحاء أخرى من الجمهوريات الإسلامية المستقلة حديثاً في آسيا الوسطى.

ويقول مصنف المعجم الدكتور صالح ماجدي، وهو من رجال العلم والثقافة في إيران، إن هذا المعجم سيستعمل أداة لترجمة الكتب والنصوص من العربية إلى الفارسية، ونشر الثقافة الإسلامية في إيران والدول الإسلامية الناطقة بالفارسية، وكذلك سيستخدم هذا المعجم وسيلة لترجمة المؤلفات من الفارسية إلى العربية للتعرف على عطاء الحضارة الإسلامية في مناطق عرفت ازدهاراً علمياً وثقافياً في عصور متألقة من التاريخ الإسلامي.

ويحتوي المعجم بالخصوص على ألفاظ الحضارة الحديثة وعلى الاستخدامات اللغوية المعاصرة، وعلى التعابير التى تروج في وسائل الإعلام، وعلى المفردات والتراكيب المتداولة على نطاق واسع.

- تشجيع انفتاح مؤسسات التعليم العالي على محيطها الإجتماعي والإقتصادي. وإلى ربط البحث العلمي الجامعى بمتطلبات سوق العمل، وتنظيم دورات تدريبية وإعداد برامج تربوية لدعم التبادل الإقتصادي حتى تصبح المؤسسات الجامعية أداة فعالة في التنمية الشاملة.
- ربط التعليم بالتنمية الشاملة من خلال إيجاد فرص العمل وابتكار أعمال ومشروعات جديدة.
- ضرورة النهوض بمستويات البحث العلمي اللازم والضروري لكل المعضلات المطروحة والمشكلات الخاصة بدول العالم الإسلامي وتحقيق نهضة تكنولوجية ملائمة.
- تحديد أولويات البحث العلمي وإنشاء بيوت خبرة في مجالات متخصصة، وتطوير القوى البشرية وتأهيلها، والعمل على رصد الموارد الكافية في موازنات الجامعات لهذا الغرض.
- العناية بالبحوث العلمية والتنسيق بين المؤسسات البحثية في العالم الإسلامي بما في ذلك الجامعات، وبضرورة التعاون بين الجامعات الاسلامية في وضع استراتيجية لما يمكن نقله من بحوث في المجال التطبيقي من الجامعات الأجنبية، عن طريق تكثيف التواصل في جامعات البلدان الإسلامية، والاتفاق على إجراء البحوث المشتركة بينها بما يفيد المجتمعات الإسلامية، وتشجيع تبادل الخبرة، وتوثيق الصلة بينها وبين مؤسسات الإنتاج.
- ضرورة الاستفادة من تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتقنيات التعليم عن بعد في تعميم المعرفة العلمية والتقنية في البلدان الإسلامية.
- دعم التعليم العالى الأهلي ليكون أداة فعالة في تطوير النظم التربوية والتعليمية وتنمية البحث العلمي.
- تقديم الدعم لمؤسسات التعليم العالي في فلسطين والصومال والبوسنة والهرسك وفي الدول الإسلامية المستقلة حديثا.

رسالة تقدير

هذه رسالة كريمة جاءت من الأستاذ الفاضل صالح بن عبد الجليل من تونس الخضراء. وهو من المحبين والمتابعين لمجلته المنهل.. ونحن نشكر له هذه الكلمات الطيبة عن مجلته المنهل والقائمين عليها. وهو من المتابعين بكل الحب لما يكتبه الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي على صفحات المنهل وبخاصة مقاليه (رحلة في الذاكرة).. و(رحلة في كتاب)..

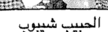
ويسعدنا أن ننشر هنا رسالته الرقيقة الموجهة الى الأستاذ الدكتور البيومي.. وضمن هذه الرسالة ذكر أن (شذرات الذهب) للدكتور البيومي .. وهذا القول يضع علامة استفهام حول ما ذهب اليه.. ولعل الاستاذ صالح يستطيع أن يؤكد لنا ملحظه هذا.

المنهل

حضرة الأديب المفضال الاستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي

المنصورة - جمهورية مصر العربية -

زادكم الله بسطة في العلم والجسم ومدد في انفاسكم وأحياكم حياة طيبة مباركة وأعانكم على ما بذلتم وتبذلونه من جهد ومعاناة في إظهار مقالاتكم الأدبية الرقيقة وخاصة في تحرير رائعتكم الممتعة «رحلة في الذاكرة» المتسلسلة عبر المجلة السعودية الرائدة «المنهل» التي هي حقيقة «منهل» عذب طافح بكل ما لذ وطاب من صنوف المعرفة المشرّفة والعلم النافع وقطوف الفكر والفن والأدب ذي الاتجاه الصحيح والمنهج القويم، ولذلك لم تلبث أن تظهر في السوق حتى تغيب وتنفد ويبقى روادها في حيرة جيئة وذهابا على محلات بيعها يسألون عن «المنهل» وعن موعد مجيئها. وقد صدق من قال: (المنهل العذب كثير الزحام).



الحبيب شيبوب

- ولقد استمتعتُ بمطالعة كل ما جاء ووقع في يدي من أعداد هذه المجلة الرائعة بل الحافلة بما فيها من مقالات متسلسلة طريفة وممتنعة وممتعة في نفس الوقت كـ (رحلة في الذاكرة)، و(شذرات الذهب) وما فيها من جدة وطرافة عن أعلام المعرفة الجيدة وعلوم الشريعة والأدب والنقد وفنون الشعر والرواية والمسرح بالوطن العربي مشرقه ومغربه، ولكن هذه الحلقة (٤٥) في المنهل ٥٤٨ بتاريخ ذي الحجة ١٤١٨هـ/ مارس ابريل ١٩٩٨م تعتبر حلقة فريدة بالنسبة لي على الأقل - لما اكتشفته بسببها من قيمة جيدة للأديب التونسي النابه الذكر الأستاذ القدير (الحبيب شيبوب) الذي يعتبر بصدق أحد القلة الباقية من خلفاء النخبة الصالحة من أهل الفضل والصلاح والعلم والأدب الرفيع - وبما أدركته من بعد الشقة التي كانت تفصل بين الشعوب العربية - مغربا ومشرقا - حتى ضعفت لحمتها وضاع سداها بسبب غطرسة واستبداد رموز السياسة الضيقة والأنانية القاتلة.. {ولكل درجات مما عملوا وما ربُّك بغافل عما يعملون} (الأنعام/ ١٣٢).

ولما لمسته من صدق إعجاب ومحبة هذا الرجل الطيب والأديب الأصيل (أ.د. البيومي) لأرض تونس الخضراء ورجالها المخلصين وعلمائها الأجلاء السائرين على درب الصدق والإخلاص لله والوطن والعمل لتحصين الذات الوطنية والذود عن الهوية الحضارية مع الاهتمام بقضايا اللغة والدين والفكر النير، وبالمناسبة، فإني أتوجه إلى ضيفنا المفضال[١] (أ.د. البيومي)

قضايا المصطلح الأدبي



د. عبدالقادر القط

د. عبدالسلام المسدي

النقد الأدبي أصبح يشكل هاجساً في مسار الحركة الأدبية الحديثة.. ذلك لتداخل الآراء والنظريات النقدية حيناً، ولتباينها واختلافها حيناً آخر.. مما أصبح يمثل خلخلة في ذهنية كثير من الممارسين للحركة النقدية.. هذا في الجانب النظري للحركة النقدية على مستوى العالم العربي، أما الجانب التطبيقي فانه في كثير من الأحيان قد يصل الى درجة التضاد في الرؤية واسلوب التناول.

وبحسب هذا، أن يجعل من قضية النقد ميداناً فسيحاً للالتقاء والاختلاف.

ومحاولة لتحديد (المصطلح) النقدي وهو الاساس والمرتكز،

في الرغبة الملحة أن يكاشف قراء «المنهل» الأعزاء بما في ذاكرته الثرة عن النجمين المشعين في سماء الحضارة والثقافة الاسلامية في تونس العربية المسلمة، وأعني بهما:

١ ـ عالم تونس الكبير وأصدق مصلحي التربية والتعليم فيها ورمز النضال الوطني الزيتوني بالساعد والفكر والقلم واللسان في سبيل اصلاح وترقية وتعميم التعليم العربي الاسلامي بشمال افريقيا تحت راية جامع الزيتونة طيلة عهد الاستعمار الفرنسي البغيض (١٨٨١ ـ ١٩٥٦م) وهو سماحة الاستاذ الأكبر العلامة المبرور محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٩٧٣م) شيخ الجامع الأعظم وفروعه وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ودمشق وصاحب التاليف الكبرى وعلى رأسها تفسيره الأغر الموسوم بـ (التحرير والتنوير) وكتاب (أليس الصبح بقريب) الذي ضمنه أسس مشروعه الإصلاحي للتعليم الزيتوني بهدف السير به قدما في مدارج النهضة والرقي ومواكبة العصر وشد أزر الأمة في استقلالها وصحوتها عوض الطمس والتغييب المبيت بخبث.. فضلا عن آرائه الجيدة في اللغة والأدب والتشريع والاجتهاد المبثوثة بكتبه الأخرى ومحاضر النوادي والمؤتمرات حتى صدق فيه قول الشاعر[٢]:

من ضمه مجلس يوما لحضرته
أحس بالجاذب الغلاب يدنيه
فيه الأبوة ممراع لها عبق
من جنة الخلد يذكو في تصافيه
إشراقة الدين تبدو من سماحته
في ذلك اللطف فيما كان يأتيه
تذكر القلب بالامجاد رؤيته
ويبعث العزم ما قد كان يلقيه



غلاف عدد الحجة ١٤١٨ هـ

٢ ـ النجل الأغر لذلك الطود الشامخ واسمه: محمد الفاضل بن عاشور (ت ١٩٧٠م) الذي كان نسخة من أبيه أو أكثر (وقد يفوق الفرع الأصل) كما (يوجد في النهر مالا يوجد في البحر) حيث كان أديبا ذواقا ومشرعا وقاضيا ومناضلا نقابيا وخطيبا مفوها وأستاذا محاضراً صاحب أسلوب أدبي رقيق ونشاط فردي وجمعياتي رائع حتى وصفه العارفون بأنه ـ بصوته المجلجل وعلمه الغزير ـ زينة المؤتمرات الدولية ومرجع الندوات الفكرية كلما تعلق الأمر بتاريخ الحضارة وأعلام الثقافة وزعماء الإصلاح ورموز النهضة في تونس وخارجها.. ويوم أن طواه الموت فجأة اهتزت له البلاد والعباد وأبنه ورثاه تلاميذه ومريدوه في تونس ومصر والجزائر وخاصة أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة في شخص نائب رئيسه الاستاذ زكى المهندس الأمين العام للمجمع الاستاذ ابراهيم مدكور[٣] رحمهم الله جميعا.

وختاما أجدد تحيتي وشكري وتقديري مع رجائي الصادق بدوام الصحة والقدرة على العطاء للأستاذ الكريم الدكتور رجب البيومي. مع ألف سلام

من المعجب بالمنهل وأسرتها

صالح بن عبد الجليل ـ تونس

الهوامش:

(١) الذي صرح بأنه زار تونس عدّة مرات وتعرف على رجالها.

(٢) هو الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله.

(٣) نشر كل ذلك في مجلة «جوهر الاسلام» التونسية مع زيادة (العدد ٨١٧ محرّم ـ صفر ١٣٩١هـ/ مارس ابريل ١٩٧١).

فقد عقد مؤتمر (المصطلح الأدبي) في مدينة القاهرة برعاية المجلس الأعلى للثقافة بمصر. وفي هذا المؤتمر الذى دام لعدة أيام طرحت على بساط الدرس والبحث والمناقشة مجموعة من الاوراق المتخصصة في المصطلح الأدبي، ومن هذه الدراسات:

ـ د. عبد القادر القط (قضية المصطلح في مناهج النقد الادبي الحديث).

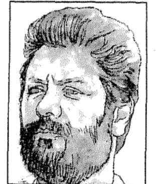
ـ د. عبد السلام المسدي (الالتباس المعرفي وتبرئة المصطلح .. مدخل تأسيس).

ـ د. تمام حسان (المصطلح النقدي بين المعرفة والارتجال).

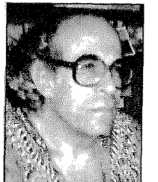
ـ د. سعد مصلوح (امراض النص النقدي المعاصر ـ تشخيص لساني).

ـ شربل داغر (المصطلح الأدبي بين القابلية اللسانية، والاعاقة المعرفية).

ـ د. سيد البحراوي (أزمة المصطلح في النقد العربي الحديث)



د. شربل داغر



ادوار الخراط

ـ د. احمد درويش (مخاطر الغموض في المصطلح النقدي)

ـ ادوار الخراط (افكار أولية عن القصة ـ القصيدة، والكتابة عبر النوعية).

تواصل . تعليق وتعقيب

الكتب السماوية كلها مصدرها الحق سبحانه، لذا لا نجد تناقضا فيها، وما وجد الاختلاف والتناقض إلا بعد أن بخل الهوى والغرض في نفوس زعماء اليهود والنصارى، فحرفوا كثيراً مما أنزل الله سبحانه وتعالى في كتبهم، وبدّلوا وغيروا.

والقرآن الكريم المسيطر على كل الكتب المنزلة والمهيمن عليها فضح دواخلهم، وأبان سخفهم، وسجّل ضلالاتهم.

ورغم كل هذا، فإن الله سبحانه مبطل كيدهم ودسائسهم.. ومصداق ذلك أن كثيراً ممن عرفوا الحق وأسلموا وجههم لله بعد أن كانوا منهم، دحضوا كل تلك الأباطيل.

ونشكر للأخ الأستاذ صلاح عبد الستار متابعته لمجلته المنهل.. وننشر له هذا التعليق على ما نشر حول هذا الموضوع.

المنهل

السيد الاستاذ/ نبيه بن عبد القدوس الأنصاري
صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

طالعت بأول الغيث بالمنهل العدد ٥٤٦ عدد رمضان ١٤١٨هـ عن استضافة اكاديمية الملك فهد الاسلامية في بون للمستشرقة «آن ماري شميل» والتى ألقت محاضرة عن «نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه مريم البتول في الاسلام» حيث أثبتت بالأدلة النقليه والعقلية أن المسيح رسول من عند الله وأنه ليس ابن الله كما يزعم النصارى.

ومن وحي ذلك جاءت فكرة هذا المقال:

- انجيل برنابا - لماذا تدعى الكنيسه عدم صحته.
- انجيل برنابا - الحلقة المفقودة بين المسيحية والاسلام

قال تعالى في قرآنه الكريم: {قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين} (المائدة/ ٦٨)، فالتوراة الحقة وكذلك الإنجيل المنزل على عيسى لا تعارض بينهما فعيسى جاء مصدقا للتوراة الحقة وما فيها من شرائع والقرآن جاء مصدقا للتوراة والإنجيل وما فيها من شرائع.

- كلمة انجيل كلمة يونانية معناها «الحلوان» وهو ما تعطيه مَنْ أتاك ببشرى - ثم أريد به البشرى عينها - أو الخبر السعيد - أو البشارة - أما السيد المسيح فقد استعملها بمعنى «بشرى الخلاص» التى حملها للبشر - وقد تداول المسيحيون في القرن الأول عشرات النسخ من الأناجيل ثم اعتمد آباء الكنيسة أربع نسخ منها بالإقتراع - أي بكثرة الأصوات - وهى انجيل مرقس وإنجيل متى وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا - إلى جانب هذه الأناجيل الأربعة يوجد إنجيل آخر هو إنجيل برنابا الذى يعتبر حلقة إتصال بين المسيحية والإسلام أو الحلقة المفقودة بين هاتين الديانتين.

ولا تعترف الكنيسة بهذا الإنجيل. وبرنابا هذا من الحواريين الإثنى عشر أو من الرسل السبعين ولا تعترف الكنيسة بهذا الإنجيل للأسباب الآتية التي تناقض الأناجيل الأربعة:

١ - أن يسوع «عيسى عليه السلام» أنكر ألوهيته وكونه ابن الله وذلك على مرأى ومسمع من جمهور عظيم.

٢ - أن الابن الذي عزم ابراهيم على تقديمه ذبيحه لله إنما هو إسماعيل لا إسحاق.

٣ - أن «محمد» هو البشرى المنتظرة - حيث جاء إنجيل برنابا صريحاً غاية الصراحة في ذكر اسم النبي (صلى الله عليه وسلم) محمد ، وتكرر هذا الاسم في مواضع عدة منها ما جاء في الفصل التاسع والثلاثين «فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها - لا إله إلا الله - محمد رسول الله، ففتح حينئذ آدم فاه وقال أشكرك أيها الرب إلهي لأنك تفضلت وخلقتني ولكني أضرع إليك أن تنبئني ما معنى هذه الكلمات - محمد رسول الله - فأجاب الله مرحبا بك يا آدم وأنا أقول لك إنك أول إنسان خلقته وهذا الذى رأيته إنما هو ابنك الذى سيأتى إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة الذى متى جاء سيعطى نورا للعالم. الأرقام من ١٤ - ٢٢ من انجيل برنابا[١].

٤ - أن عيسى لم يصلب بل حُمل إلى السماء وأن الذي صُلب إنما كان يهوذا الخائن الذى شبه به حيث جاء في الفصل الثانى عشر بعد المائة.

ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عنى هذه الوصمه وسيفعل الله هذا بي لأنى اعترفت بحقيقة «مسيا» الذى سيعطيني هذا الجزاء أى أن أعرف أنى حي وأنا برىء من وصمه تلك الميته (برنابا ١٧ - ١٨)[٢].

وهذا النص يشهد بأن القرآن الكريم الذى نزل علي سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) هو الذى برأ المسيح - عليه السلام - من تهمة القتل والصلب قال تعالى: {وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا} (النساء/ ١٥٧).

ولا شك في أن هذا الإنجيل يتفق في أكثر مسائله مع القرآن الكريم ويزيل الهوة التى ابتدعها بولس والتى ابعدت المسيحية عن الأديان السماوية.

ولقد أحدث اكتشاف «انجيل برنابا» دويا عظيما في الأوساط الدينية والعلمية في القرن الثامن عشر ويذكر برنابا في مقدمه إنجيله بأن «بولس انفرد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح» ولكن تعاليمه هى التى غلبت وانتشرت واشتهرت وصارت عماد النصرانيه».

وانجيل برنابا ذو نسخة وحيده معروفه الآن في العالم وهى نسخة إيطالية محفوظة في «فينا» ترجمها إلى الإنجليزية المستشرق سايل والدكتور منكهوس أحد اعضاء الكلية الملكية في اكسفورد. وقد علق سايل في مقدمة كتابه أن مكتشف النسخة الإيطالية راهب لاتيني يسمى «فراموينو» وقد تدارس بعمق هذا الانجيل مما جعله يعتنق الدين الاسلامى بعد ذلك.

ولأن اسم النبي (صلى الله عليه وسلم) ورد صريحا في

انجيل برنابا بلفظ محمد أو بلفظ رسول الله الذى تشير إليه كلمة «مسيا» فقد شككوا في نسبته وزعموا عدم صحته.

وخلاصة ما جاء في هذا الانجيل هو أن الله لم يتخل أبدا عن رسله والمؤمنين في حالات المحن. لقد نجى نوحا ومن آمن معه. ونجى ابراهيم من النار وكذلك موسى ويوسف ولم يتخل الله عن عيسى بل رفعه الله وأوقع الخائن يهوذا في شر أعماله ونجى المؤمنين».

- ومما لا شك فيه أن مكتبة الفاتيكان إنما تحتوى على العديد من بقايا الأناجيل التى كتبت والتى منع تداولها في القرون الأولى الميلادية. وقد روى بعض الكتاب الانجليز القدامى - قبل ظهور الاسلام. أنه اطلع في مكتبة الفاتيكان على نسخة من الإنجيل كتب فيها «يقول المسيح مبشرا برسول يأتى من بعدي اسمه أحمد» وذلك يوافق النص القرآنى بالحرف[٣].

ولا شك فإن تعدد الأناجيل كان مثار جدل كبير فلا أحد يعرف بالتحديد متى كتبت ومن هو مؤلفها الحقيقى أو بأى لغة ألفت. وهذا لا شك يدعو الى الريبة والشك.

صلاح عبد الستار محمد الشهاوي

طنطا - مصر -

الهوامش:

(١) انجيل برنابا - ترجمه عن الانجليزية - الدكتور خليل سعادة.
(٢) انجيل برنابا ترجمه عن الانجليزية - الدكتور خليل سعادة.
(٣) بيولوجية الايمان. أ.د. محمد محمود عبد القادر ص ٦٣.

هموم: لماذا الضجة الكبرى .. لماذا..؟!

الكيان الصهيوني يمتلك اكثر من مئتى رأس نووية، موجهة بدقة نحو عواصم وأهداف عربية.

وهذا الكيان - بكل صلفه وجبروته لم يوقع على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية.. ورغم كل هذا لم نسمع كلمة مما يسمى (الشرعية الدولية) تدين اسرائيل.

امريكا تمتلك من اسلحة الدمار ما لو استخدم فقط ١٠٪ منه لنسف الأرض ومن عليها.

وروسيا، ليست باقل من ذلك..

كل هذا والدعية (الشرعية الدولية) صامتة .. تماماً.

بالأمس القريب فجرت الهند خمس قنابل نوويه، (الشرعية الدولية) وجهت لها اللوم والعتاب على استحياء شديد.

وعندما ردت الباكستان بالمثل .. كانت الكارثة..!!

تهديد ووعيد لا نظير لهما من المسماة (الشرعية الدولية) .. وقبلها امريكا.

وبكل البراءة والصدق، نسأل، إن كان موضع للسؤال: لماذا العرب والمسلمون؟! لا نشك أن هذا السؤال وامثاله من السذاجة والبلاهة بمكان، لدى (الشرعية الدولية) المدعاة.

ومن وراء كل ذلك يأتي إعلام (ما وراء البحار) ليتحدث عن ما اسماه (القنبلة الاسلامية).

وهذا المسمى في نظرهم هو المعادل الطبيعي للإرهاب والتطرف.

- محمد السمان -

إعلام الألفية الثانية

الإعلام، اخترق كل الحواجز، وكل الأعراف السياسية والاجتماعية، وكل المعتقدات وثوابت السلوك.. هذا الاعلام أسماه البعض (أخطبوط القرن الجديد). وآخرون (أسطورة القرن).. وآخرون أطلقوا عليه (السلطة المطلقة).

هذا الاعلام في كل مسمياته الظاهرة والمستنبطة، أصبح المسيطر حقيقة على كل العالم بكل اختراقاته، وجرأته وتجاوزاته.

وستكون سيطرته وسطوته أشد خطورة إذا تحول الى اسلوب (المركزية)، أحدية البعد، وفي هذه الحال سيكون المنطلق أو البعد الفلسفى له يسير باتجاه البعد الموجّه.

لبحث قضايا الاعلام في الكثير من أبعاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.. انعقد المؤتمر الدولى الرابع للدراسات الاعلامية، تنظمه المجموعة الاوروبية الاعلامية تحت عنوان (وسائل الاعلام ما بعد ٢٠٠٠ر٢) وعقد في لندن.. شارك في المؤتمر العديد من الدارسين والباحثين والمختصين، وكان منهم: الخبير الاعلامي البرفيسور (دينيس ماكويل) وكانت دراسته بعنوان (السياسة الاعلامية) وتركزت في ادوار التطور الاعلامي، وحصرها في ثلاث مراحل اساسية.

المرحلة الأولى: بدأت في منتصف القرن التاسع عشر مع اكتشاف التلغراف..

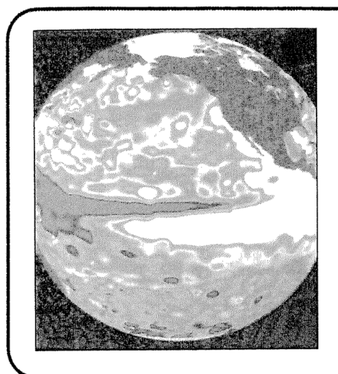
المرحلة الثانية: ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، ومعها ظهرت التوجهات السياسية، والدعوة للقومية.. وامتدت هذه المرحلة على مدى نصف قرن تقريباً حيث ظهرت المرحلة الاعلامية الثالثة في العقد الاخير من هذا القرن العشرين، وهذه المرحلة تلاحقت تطوراتها وهي تقوم على فلسفة (العولمة) أو العالمية أو ما عرف بالنظام العالمي الجديد.

وكلها مفاهيم متحدة في مضمونها وهي تحويل الكرة الأرضية بكاملها الى (قرية كونية اعلامية صغيرة) يحكمها نظام موحد له منطوقه وفلسفته وابعاده (النظام العالمي الجديد).

ولا شك، إذا ما استمرت سطوة هذا الاعلام بهذا المستوى، لا شك ستمحي ثقافات شعوب، وعادات وتقاليد وأعراف أمم، وسط هذا الطوفان الهادر.

وقدم الدكتور (روبرت بيكارد) ورقة بعنوان (مشاكل الاعلام المطبوع) تحدث فيها عن خطورة مركزية الإعلام.. وقدمت مجموعة من البحوث منها (معيار النوعية والجودة). ونستطيع القول أن الاعلام في الألفية الثانية ستكون له سطوته وجبروته وقوته في تشكيل ذهنية المتلقي.

«النينو» غضبة المد



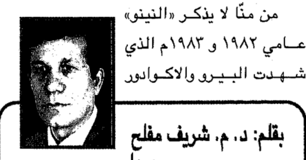
ـ صورة مأخوذة بالقمر الصناعي لظاهرة «النينو» المناخية فوق المحيط الهادي. وتشير الى أن ارتفاع سطح المياه في المناطق الوسطى والشرقية من الباسيفيك الاستوائي حافظ على وضعه الطبيعي منذ شهر مارس ١٩٩٨، غير أن منطقة الباسيفيك الاستوائية الغربية ـ باللون الاحمر ـ لم تستعد بعد وضعها الطبيعي ولا يزال ارتفاع سطح المياه منخفضا حوالي ٣٠ سنتيمترا عن المستوى الطبيعي لسطح مياه البحار. وبقايا المياه الساخنة لظاهرة «النينو» الظاهرة باللونين الأحمر والابيض لازالت متمركزة الى الشمال من خط الاستواء. ويقول علماء المحيطات ان هذه الوقائع والقياسات تدل على أن المحيط الهادي لم يتعاف بعد من التأثير الشديد لظاهرة «النينيو» عليه. مع العلم أن أحوال الطقس التي كان لها تأثير كبير على اجزاء واسعة من الولايات المتحدة والعالم، يتوقع لها الاستقرار في التقلب خلال فصل الربيع الحالي.

إنه يُدْعَى «النينو» .. وتعني هذه الكلمة بالاسبانية «يسوع الطفل»، وقد سمي كذلك لأنه يبلغ ذروته ليلة عيد الميلاد. لكن هذا التيار البحري الحار يشكل ظاهرة بيئية مدمرة، فهو محمل بكوارث من شتى الألوان والأصناف من فيضانات إلى أعاصير إلى موجات جفاف .. وها هو ذا يعود للظهور أعنف مما مضى، حتى أن هناك أسباباً وجيهة تحمل على الاعتقاد بأنه يقف وراء الحريق الهائل الذي أحال قسماً كبيراً من غابات الأرخبيل الاندونيسي الخضراء رماداً أسود.

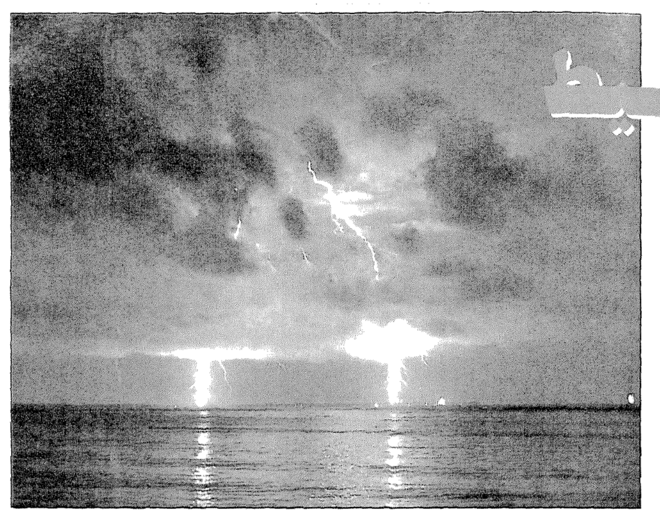
النينو: كيف يحدث؟

منذ شهر ابريل ١٩٩٧م وعلماء المناخ يترقبون الخطر المحدق واجمين، فقد سجلت شبكات الرصد والمراقبة المقامة على امتداد الجزء المداري من المحيط الهادي انخفاضاً حاداً في درجات حرارة المياه. كما أن بعض الحسابات الرقمية ترجح أن هذا الانخفاض غير المألوف في درجة الحرارة يعدّ من العلامات التي تنذر باقتراب «النينو» تلك الظاهرة المناخية التي يقترن ذكرها بالويلات والكوارث.

من منّا لا يذكر «النينو» عامي ١٩٨٢ و ١٩٨٣م الذي شهدت البيرو والاكوادور



بقلم: د. م. شريف مفلح
ـ سوريا ـ



ـ النينيو المناخية فوق المحيط الهادي

وبوليفيا خلاله فيضانات كاسحة وتعرّضت استراليا والمكسيك فيه لموجات جفاف لم يعرف لها مثيل من قبل، كما ضربت الأعاصير مناطق متعددة، ولم يكن شمال غرب الولايات المتحدة بمنأى عن خطره، فقد شهدت عدّة عواصف عنيفة مروّعة ٠٠ وقد وصل عدد ضحايا سلسلة الكوارث التي حملها «النينو» عام ١٩٨٣م على امتداد العالم إلى ١٧٠٠ شخص. وقدّرت الأضرار المادية التي تسببت بنحو ٢٠ مليار فرنك فرنسي ٠٠ لكن يبدو أن «النينو» المتوقع الذي أنذرت عدّة علامات خلال الأشهر بوقوعه سيحطم أرقام «النينو» السابق الذي كان علماء المناخ قد أطلقوا عليه لقب «نينو القرن».

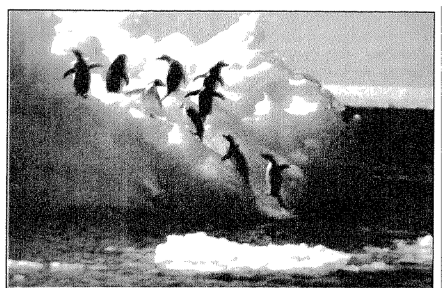
ترجع تسمية هذه الظاهرة المناخية بـ «النينو» إلى القرن الماضي، وقد أطلق عليها هذا الاسم الصيادون البيريون لأنها كانت تداهمهم أحياناً على شكل تيارات هوائية حادة أثناء قيامهم بعملهم المعتاد ٠٠ وكانت تصل إلى ذروتها ليلة عيد الميلاد.

ولم يكتشف علماء الناخ أن تأثير هذه الظاهرة التي تشمل الجو والمحيط مما يمتد على طول المنطقة المدارية من المحيط الهادي وأن لها آثاراً أخرى على مختلف بقاع الأرض إلا مؤخراً وذلك بفضل اختراع شبكات المراقبة والرصد الحديثة.

يتوقف هبوب الصابيات وهي رياح تهبّ من الشمال الشرقي إلي الجنوب الغربي تقريباً أثناء



- فيضانات مدمرة من أثر النينيو.



- في المحيط المتجمد حيث تخرج الطبيعة عن صمتها.

مستمر. لكن هذا لا يعني أن ظاهرة «النينو» باتت واضحة تماماً إذ أن الغموض مازال يلف الكثير من العوامل التي تتدخل في حدوثها.

في الحقيقة، أن «النينو» ظاهرة يصعب التكهن بحدوثها وبالعوامل التي تتدخل في انطلاقها. وقد فشلت نماذج المعلومات الأكثر بساطة، والتي صاغها العلماء استناداً إلى المعلومات التي بين أيديهم، في التنبؤ بها. لكن النماذج التي خرجت من نطاق المعلومات المتيسرة وحاولت وضع تمثيل مصغر لدينامية التأثيرات المتبادلة بين المحيط والجو على نحو تقريبي وحدها استطاعت التنبؤ بـ «النينو» الحالي. وقد قاد ذلك إلى الخروج بنتيجة مفادها أن ثمة عناصر تلعب دوراً هاماً في حدوث «النينو» ظل ذكرها مغفلا حتى وقت قريب من يومنا هذا وأنه يجب عدم إغفالها في حدوث «النينو» مما يؤدي إلى اندفاع المياه الحارة التي تحتجزها هذه الرياح من شرقي المحيط الهادي إلى غربه.. أي باتجاه الساحل الأمريكي محمّلة بآلاف الكيلومترات المربعة من الغيوم الضخمة الناتجة عن النقل الحراري والكثير الكثير من الأمطار الطوفانية. صحيح أن العلماء توصلوا إلى فهم آلية حدوث «النينو» بفضل أبحاث مضنية استغرقت عقوداً من الزمن وأن هذا الفهم في تحسن

الدراسات القادمة.

لقد توجهت أنظار الباحثين بغية فهم العمليات الفيزيائية التي تعطي الشرارة الأولى لانطلاق «النينو» إلى المحيط الهادي الشرقي، وركزوا دراساتهم على الملوحة التي تلعب دور المقلع في هذه الظاهرة. ويبدو من خلال الدراسات التي تمت مؤخراً أن الملح يلعب دوراً فعالا في تحريك مياه المحيط الهادي الساخنة من شرقه إلى غربه، بل



ويبدو أيضاً أن الملوحة تؤدي إلى تغيرات في درجة حرارة المياه السطحية وذلك بعزل هذه المياه عن مياه الأعماق الباردة. لكن دعونا نتعرف إلى أبطال «النينو» الرئيسيين عن كثب قبل أن نتوسع في الحديث عن الملوحة.

إن أبطال «النينو» الرئيسيين هم: خزان المياه الحارة الواقع في المحيط الهادي الشرقي ولسان المياه الباردة الواقع في المحيط الهادي الغربي والصابيات التي تهبّ بانتظام ويتفاعل بها البحارة، وهي تتجه من المحيط الهادي الغربي نحو استراليا واندونيسيا، وتسير على امتداد الشريط المداري. وقد تبيّن أن السبب الرئيسي في هبوبها هو تنقل طبقات الهواء في الجو الذي يدعى بـ «خلية هادلي» ويؤدي التباين بين الضغوط الجوية المنخفضة في منطقة خط الاستواء إلى تحريك الكتل الهوائية باتجاه خط الاستواء.

دوران الأرض و «النينو»:

من المعروف أن الرياح تنحرف عن مسارها تحت تأثير دوران الأرض. ويتسبب هذا الانحراف في تشكل الصابيات التي تدفع في طريقها مياه المحيط نحو الشرق، وبذلك تهيىء الظروف لنشوء التيار الاستوائي الجنوبي الذي يهب من شواطيء البيرو إلى شرق المحيط الهادي. كما يؤدي دوران الأرض إلى خلخلة المياه التي يسوقها هذا التيار في طريقه مما يسبب اختلاط مياه السطح بمياه الأعماق وصعود قسم من مياه الأعماق الباردة إلى السطح في المنطقة الواقعة على جانبي خط الاستواء في المحيط الهادي الغربي، وبذلك يتشكل لسان المياه الباردة الذي سبق الحديث عنه. ويقدر ما تقترب المياه التي يدفعها التيار الاستوائي الجنوبي الى الشرق بقدر ما ترتفع درجة حرارتها تحت الشمس المدارية الساطعة. من هنا فإن تجمع كتل المياه الباردة التي تسخنت بفعل أشعة الشمس المدارية أثناء سيرها من غرب المحيط الهادي إلى شرقه هو الذي يجعلها تحافظ على درجة حرارة ثابتة قدرها ٢٨ درجة في طبقة من الماء تصل سماكتها إلى ١٠٠م عندما تستقر في نهاية المطاف في الطرف الشرقي للمحيط الهادي، ويتشكل لدينا بذلك ما نسميه بخزان المياه الباردة.

وبما أن درجة حرارة القسم الغربي من المحيط الهادي تتأرجح بين ٢٤ و٢٦ عند خط الاستواء تبعاً لفصول السنة، فإنه يمكن اعتباره بارداً إذا ما قورن بالقسم الشرقي منه. لذلك فإن التباين الحراري بين شرق المحيط وغربه يزيد شدة رياح الصابيات.

في الحقيقة، إن الضغوط الجوية فوق خزان المياه الحارّة هي أقلّ من الضغوط الجوية فوق لسان المياه الباردة، الأمر الذي يشكل عاملا إضافياً في زيادة شدّة الصابيات. أضف إلى ذلك أنه بقدر ما يتسخن تيار الهواء أثناء سيره باتجاه الشرق ويتشبع ببخار الماء بقدر ما تنخفض سرعته، وترتفع الكتل الهوائية القليلة الكثافة التي تتجمع فوق خزان المياه الحارة نحو طبقات الجو العليا لتشكل أضخم منظومة نقل حراري في كوكبنا على الاطلاق. ويشكل الركام المزني «وهو كتلة من السحب ترتفع قممها كالجبال وتطلق وابلا من الأمطار والثلوج» الذي يلاحظ في هذه المنظومة واحداً من أهم تجلياتها وأكثرها وضوحاً، أن هذه الغيوم التي يمكن أن يصل ارتفاعها إلى ١٨ كم ناتجة عن تكثيف بخار

الماء الموجود بكثرة في الهواء الصاعد إلى طبقات الجوّ العليا وتجمعه.

وتشرح هذه الدورة المسماة بدورة «ووكر» كيفية اشتداد الصابيات وآلية تشكل غيوم النقل الحراري تحت تأثير التفاوت الحراري بين خزان المياه الحارّة ولسان المياه الباردة. ويمكن أن نستنتج ممّا تقدم أن الصابيات تساهم في زيادة الفروق في درجات الحرارة بين شرق حوض المحيط وغربه، وأن هذه الفروق نفسها تؤدي إلى اشتداد الصابيات.. كما أن الجو يؤثر على المحيط الذي يؤثر بدوره على الجو. إن لرقصة الأمواج والرياح الحميمة هذه المسماة بـ «تزاوج المحيط والجو» الفضل الأكبر في الحفاظ على شدّة الصابيات والابقاء على التباين الحراري بين شرق المحيط الهادي المداري وغربه.

الملوحة .. شرارة البدء:

عندما ننظر إلى راقص التانغو نجد أنه يمشي خطوتين إلى الأمام ثم يعود ثلاث خطوات إلى الوراء. إن هذه الخطوات الثلاث هي بالتحديد ما يركز عليه علماء المناخ، وهو أيضاً ما نسميه بـ «النينو»، لكن، ما العوامل التي تشعل فتيل هذه الظاهرة؟..

لنتخيل أن ظاهرة ما أدّت إلى إضعاف الصابيات سيقود ذلك بالطبع إلى انعكاس اتجاه التيار الاستوائي الجنوبي مما سيسبب تدفق مياه الخزان الحار باتجاه غرب حوض المحيط، ويسبب أيضاً انخفاض كمية المياه الباردة الصاعدة من الأعماق إلى السطح في سواحل أمريكا الجنوبية. كما أن انخفاض قيمة الفروق في درجات الحرارة بين الشرق والغرب الذي سينتج عن ذلك سيضعف الصابيات شيئاً فشيئاً، وسيمهد بالتالي لهجرة خزان المياه الحارة من الشرق إلى الغرب ولزيادة درجة حرارة لسان المياه الباردة بالتالي، صحيح أن هذه السلسلة من التفاعلات التي تقف وراء ظاهرة «النينو» باتت معروفة جيداً، إلا أن الشرارة التي تأذن ببدء هذه التفاعلات لم تزل مجهولة حتى الآن. وتعد الملوحة أول المرشحين للعب دور المقلع لهذه الظاهرة. لكن .. لماذا؟

لابد من الاشارة أولا أن أكبر كميات غيوم النقل الحراري التي تعرفها سماء الأرض على الاطلاق تتجمع فوق المحيط الهادي الشرقي وهي تزيد منسوب المياه بمعدل ٢م سنوياً، لذلك فإن خزان المياه الحار ليس حاراً فحسب وانما عذب أيضاً، إذ أن الأمطار الغزيرة جداً تقلل ملوحة الطبقة السطحية للمحيط الهادي الشرقي حتى سماكة ٣٠م، وتسبح هذه الطبقة فوق مياه الأعماق التي تزيدها ملوحة كما يطفو الزيت فوق الماء تماماً، فيما تدفع رياح هذه المنطقة الضعيفة نسبياً مياه الطبقة السطحية القليلة الملوحة باتجاه الغرب حتى تقترب من خط تغيير التوقيت حتى تلتقي مع المياه القادمة من الغرب والمتدفقة بتأثير التيار الاستوائي الجنوبي فتدخل هذه الأخيرة تحت طبقة المياه القليلة الملوحة القادمة من الشرق كونها أكثر كثافة منها، وبذلك تتزود منطقة تحت السطح المحيطية بطبقة من الماء الحار والمالح مصدرها السطح.

إذاً .. يشكل تجمع مياه كبير في منطقة الالتقاء، وتتمتع هذه المياه بدرجة حرارة واحدة، كما أنها تنقسم إلى طبقتين فتبلغ ملوحة المياه الموجودة في الطبقة العليا ٣٤٫٥ بالألف تقريباً. أما ملوحة الطبقة السفلى فتصل إلى ٣٥٫٥ بالألف، وتدعى هذه

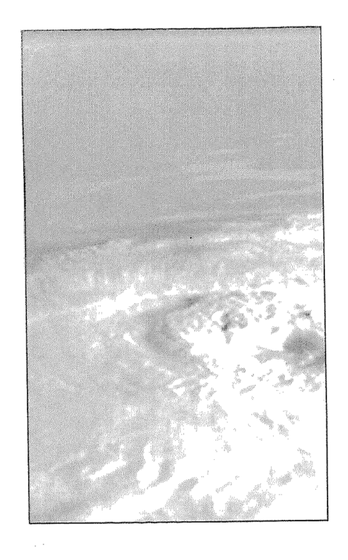


الطبقة بـ «حاجز الملح» وذلك لما تتمتع بها من خواص عازلة إذ أنها تعزل الطبقة السطحية العليا عن مياه الأعماق، وتمنع بالتالي حدوث التوازن الحراري بينهما. ويمهد حاجز الملح هذا بعمله المشابه لعمل قاطعة التيار الكهربائي عندما يمنع امتداد البرودة نحو السطح لنشوء نقاط حارة على سطح المحيط (وهي مناطق على سطح المحيط تمتد لمئات آلاف الكيلومترات المربعة وتصل درجة حرارتها إلى ٣٠ درجة).

يتسخن الهواء الموجود فوق هذه النقاط الحارة ويرتفع إلى طبقات الجوّ العليا مما يؤدي إلى تشكل غيوم نقل حراري، وغالباً ما يترافق نشوء هذا النوع من الغيوم بهبوب رياح شرقية عنيفة جداً تدفع في طريقها طبقة المياه السطحية قليلة الملوحة وتؤدي إلى انزلاقها فوق طبقة المياه السفلى الأكثر ملوحة، وتنشأ من هذه العملية تيارات سطحية تتجه نحو الغرب وتصل سرعتها أحياناً إلى متر في الثانية.. أي ما يعادل ٦و٣ كم في الساعة.

ومن المفروض طبيعياً أن يؤدي التمازج بين الطبقة السطحية والرياح الشرقية القوية إلى صعود مياه الأعماق الباردة إلى السطح مما سيقود بالتالي إلى تبديد النقاط الحارة، لكن من الممكن أن يقوم حاجز الملح مقام درع يقي بعض هذه النقاط من المياه الباردة الصاعدة ويحول دون تبددها. وتقوم التيارات السطحية القوية التي تتحرك بفعل الرياح الشرقية العنيفة بتغير مواقع النقاط الحارة وجرها باتجاه وسط المحيط الهادي ممهدة بذلك لنشوء نقل حراري فيه.. وهكذا.

وقد تبين لنا ممّا تقدم أنه من الممكن أن تتسبب



الملوحة في اشعال فتيل منظومة «انتقال خزان المياه الحارة + عملية النقل الحراري» نحو المحيط الهادي الغربي.

لقد حيّرت ظاهرة «النينو» الغريبة علماء المناخ وما تزال تحيرهم. وقد بينت الدراسة المفصلة والمتأنية لخواص خزان المياه الحارة الفيزيائية الأهمية غير المتوقعة لدور الملوحة في حدوثها، الأمر الذي وضع عقبة جديدة في طريق العلماء في التعرف أكثر على هذه الظاهرة، ويحتمل أن الملوحة ليست سبباً رئيسياً ولكنها تشكل دون أدنى شك عنصراً لا يمكن إغفاله من العناصر الداخلة في تركيب هذه الظاهرة الشديدة التعقيد.

الزحف الاسلامي نحو الغرب

جاء في تقرير عن احدى مؤسسات الغرب نشرته مجلة (لودينا الفرنسية) عن مصير البشرية (دراسة عامة في مجال الفكر الاستراتيجى) تحت عنوان «**مستقبل نظام العالم سيكون دينيا والنظام الاسلامي سيعود**».

هكذا تنبأت الدراسة بحدوث تغيرات بطيئة ولكنها ثابتة في نفس الوقت في هيكل النظام العالمي من خلال سلسلة من التحولات الصغيرة المستجدة تعقد على أثرها القوتان العظميان تاثيرهما على تحولات العالم.

اكدت الدراسة أن مستقبل نظام العالم سيكون دينيا وسيسود النظام الاسلامي العالم على الرغم من ضعفه الحالى لتميزه بشمولية (نقول نحن بتكامل يمكن من توهين النظام العالمي الذي سيظل يحكم العالم خلال العشرين سنة القادمة حيث تظهر قوة عالمية ثالثة هي القوة الاسلامية.

فالنظام الاسلامي سيسود ويسيطر لتميزه بشمولية هائلة يتمكن من خلالها من سحق قوة النظام العالمى لانه يتعامل مع الغرب بطريقة علمية.

وتؤكد الابحاث ظاهرة تزايد عدد المسلمين وتناقص عدد اهل الغرب وأن هناك الآن خمس دول اسلامية يزيد عدد سكانها عن خمسمئة مليونا تتقدمها:

اندونيسيا ١٦٨ مليونا.

نيجيريا، وبنجلاديش وكل منها ١٠٥ مليون نسمة.

باكستان ١٠٤ مليون نسمة.

تركيا ٥٣ مليون نسمة.

مصر ٥٠ مليون نسمة.

وقياسا على ذلك فإن عام ٢٠١٠م القادم سيشهد وصول تعداد السكان في العالم الاسلامي الى ٣ بلايين نسمة اي ثلاثة آلاف مليون نسمة وأن تعداد السكان سوف يستمر طوال الحقبة المستقبلة ولمدة لا تقل عن خمسين عاما.

(انتهى ما جاء في تقرير مجلة لودينا)

وتشير التقارير إلى أنه في النصف الاخير من القرن العشرين تتضح زيادة انتشار الاسلام بنسبة ٢٣٫٥٪ بينما تبلغ نسبة انتشار المسيحيين ٤٧٪ والبوذية ٦٣٪ والهندوكية ١١٧٪ وهناك احتمال زيادة اخرى.

فمن المتوقع أن يصير ثلث سكان فرنسا مسلمين في بداية القرن الواحد والعشرين ويبلغ تعدادهم في امريكا بين ١٥/ ٢٠ مليون (الآن ستة ملايين



بقلم المفكر الإسلامي: **انور الجندي**
- مصر -

نسمة في امريكا الشمالية).

وفي تقرير للدكتور مزمل حسين الصديقي رئيس المؤتمر الدولي يكشف عن أن عدد المسلمين في خلال خمسين عاما زادت نسبتهم ٢٠٠٪، يقول: إن المتتبع لحركة انتشار الاسلام في شتى بقاع المعمورة وشدة رغبة الكثير من الناس في هذا العالم في البحث عن ملجأ روحي يلجؤون اليه من اجل ارواء هذا الدافع الذي يعتقدونه بسبب انغماس العالم اليوم في الماديات، فمنهم الكثير من الرجال والنساء يدخلون في الاسلام في قناعة تامة دون اجبار ولا اكراه فهم أنفسهم جاءوا طالبين السلامة في ظل الاسلام وإن كل منصفي الغرب من مختلف الديانات ينظرون الى الاسلام على أنه منهج كامل للحياة يضمن السعادة للناس اجمعين.

وهكذا تدخل عالمية الاسلام مرحلة جديدة في مطالع القرن الخامس عشر الهجري قوامها: تصحيح مسيرة الدعوة الاسلامية وتحريرها من الاشواك التي تعترض طريقها نتيجة للجمود الذي اصابها من ناحية.. ومحاولات التشويه التي قامت بها قوة الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي على مدى اكثر من قرن من الزمان خلال سيطرة النفوذ الاجنبي ومحاولاته المستمره في احتواء عالم الاسلام واخضاعه للفكر الوافد وقد جرى هذا العمل من خلال اربع قنوات متصلة:

الأولى: تصحيح فهم الاسلام بوصفه منهجا جامعا يضم العقيدة والنظام ويقدم منظومة كاملة لمختلف جوانب الاجتماع والسياسة والاقتصاد.

الثانية: تصحيح فهم الاسلام بوصفه دينا عالميا خاتما، جاء ختاما لرسالات السماء وللبشرية كافة منذ ظهوره أنزله الله سبحانه على سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} خاتم الأنبياء إلى أن تقوم الساعة.

الثالثة: تصحيح اسلام المسلمين الجدد الداخلين فيه وحمايتهم من خطر الاحتواء حول مذاهب باطنية أو فلسفة مادية أو غيرهما مما لا يتحقق معه تقديم الاسلام الصحيح المصفى.

ولا ريب أن هذا المفهوم يكشف فساد دعاوى البهائية والقاديانية ومقولة مدعيي النبوة أو القائلين بنبوة مضللة، فقد قدم علماء المسلمين كل الدلائل والاسانيد التى تؤكد عموم الرسالة وختم النبوة حيث لم يستطع أي متنبىء خلال أربعة عشر قرنا أن يقيم هذه الدعوة المدعاة.

الرابعة: تصحيح مفهوم علاقة الاسلام بالاديان المنزلة من حيث ان جميعها يدعو الى عبادة الله تبارك وتعالى والايمان به والخروج عن دائرة الوثنية والشرك والتعدد وإن ظلت هذه الاديان مرتبطة ببيئتها وعصورها حتى اذا بلغت البشرية رشدها جاء الاسلام مصدقا لما بين يديه للناس كافة.

وقد اقر الاسلام اهل الاديان على عقائدهم وحفظ لهم وجودهم وحرية عباداتهم وجاء القرآن الكريم مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها وقد قامت الحضارة الاسلامية والثقافة الاسلامية من عصارة تراث الرسالات كلها بحسبانها من عند الله تبارك وتعالى وموجهة اصلاح النفس البشرية وهدايتها الى الخير والرحمه والاخاء البشري.

إن نقطة البدء الحقيقية هي حاجة الغرب الى الاسلام بعد طغيان الفلسفة المادية وحاجة النفس الانسانية الى الأمن، والسكينة التي لا يمكن أن يقدمها غير الاسلام من المناهج والدعوات.

لقد تأكد علماء منصفون غربيون محايدون من قدرة الاسلام على العطاء في هذا العصر وحل مشاكل البشرية وأعلنوا بذلك بعد أن تعقدت امور الايدلوجيات وتطلعت النفوس المحبة للخير الى الاسلام كمنقذ.

ويتحدث كثيرون عن أن العقل الاوربي لا يرفض الاسلام إذا عرف حقيقته وإذا سنحت له فرصة النظر المجرد، دون أن تكرهه سموم الاستشراق على التعصب لفكره القديم فالتوجيه الاسلامي اقرب الى النفس البشرية من التعدد المعروف في أديان أخرى.

وربما يصد عن الاسلام واقع المسلمين الذى لا علاقة له بالاسلام كمنهج أو طريقة الدعوة اليه من اناس متعصبين لاراء الفقهاء والعادات التى ألصقت بالدين اكثر مما يتعصبون للدين نفسه.

وفي أوربا قوى تحول بين الغرب وبين فهم الاسلام الصحيح خوفا من نهوضه وانتشاره مرة اخرى.

إن هناك قوى في الغرب تحول دون فهم الاسلام ومنها الكنيسة والصهيونية وتخوف الغرب من نهوض الاسلام، فإذا ذهبنا ندرس ظاهرة اتساع انتشار الاسلام في الغرب لا تخطئنا الحقائق الآتية:

أولا: إن الذين يدخلون الاسلام في الغرب ليسوا من عامة الناس ولكنهم من خاصتهم فهم على حظ كبير من الثقافة ومنهم مفكرون وعلماء واطباء وفلاسفة وقسس ورهبان كانوا يدعون لدين آخر.

ثانيا: إن المسلمين الذين يبلغ عددهم اكثر من الف مليون ونصف المليون مسلم لا يخرج واحد منهم من الاسلام الى غيره من الاديان.

ثالثا: لم تهدأ الحرب ضد الاسلام منذ أنزلت أول آية منه وقد هُزِمَ الروم والفرس ثم جاءت الحروب الصليبية وجاء التتار ليسجلوا هزائم أخرى.

رابعا: لم تخرج أوروبا من القرون الوسطى إلا بالفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية التجريبية ولم يجد الغربيون بداً من أن يتقبلوا الكثير من مفاهيم الاسلام تحت اسماء اخرى لاصلاح مجتمعهم وبهذا يثبتون هم انفسهم أن الاسلام حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومن أمثلة ذلك: انهم اباحوا الطلاق بعد أن عارضوه معارضة شديدة وكان الاسلام قد اباح الطلاق من أربعة عشر قرنا إذا تأكد فشل الحياة الزوجية وقاومه المتعصبون والمستشرقون.

وتمر مئات السنين فإذا اشد الدول الاوربية تمسكا بالكاثوليكية وهي ايطاليا واسبانيا تبيح الطلاق الذي اباحه الاسلام وتثبت أن القرآن حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكذلك محاربة الخمور وقد قاوم الاسلام هذا الخطر وقرر تحريم الخمر رحمة بالانسان فلما ثبت اليوم ان اكثر من ٥٠٪ من حوادث الطرق بسبب الخمور وعوامل أخرى بدأ الغرب يفكر في محاربة الخمور.

ويقول ليزبات روثني وفاطمة شرقاوى في كتاب ظهر في فرنسا تحت عنوان «من دين لآخر» **اعتناق الاسلام في الغرب. ما برح الاسلام يلاقى صدى طيبا في نفوس الغربيين فيدخلون فيه طواعية بعد ما افلست كل النظريات في اسعادهم ولم تعد اديانهم قادرة على اطفاء ظمأهم الروحي.**

وقد فقدت المسيحية الكثير ولم تبق كما هي وعجزت عن فهم الحياة التأملية التي هي عندهم اهم شيء.. وقد فقدت الكنيسة هيبتها عندما باعت شرفها حتى وصل الأمر الى تأجير كنائس في انجلترا للشاذين جنسيا.

وعلى عكس ذلك لم يتغير الاسلام ابدا ومن هنا كانت قوته الراسخة ولقد كان القرآن الكريم هو آخر وحي السماء ومحمد {صلى الله عليه وسلم} هو آخر الرسل.

وتتحدث الصنداى تلغراف البريطانية الاسبوعية عن ظاهرة اقبال سكان اوربا على الدخول في دين الاسلام افواجا بعد أن بدءوا يتأكدون من حقيقة الاسلام وجوهر القرآن ويكتشفون الدور الذى يقوم به الاسلام في سعادة البشرية والاخذ بيدها الى مدارج الرقي الروحي والمعنوي والمادي.

وتقول الصحيفة إن ظاهرة انتشار الاسلام في نطاق واسع مع اشراقة القرن الخامس عشر الهجرى واتساع دائرة المد الاسلامى ليس لها سبب مباشر الا أن سكان العالم غير المسلمين قد بدءوا يتطلعون الى معرفة الاسلام والقراءة عنه.

كذلك فإن الشعوب غير المسلمة بدأت تدرك أن الاسلام هو الدين الوحيد الجدير بالوراثة والتصحيح لكل الاديان والايدلوجيات ومن هنا بدأت تلك الشعوب تدرك كل الادراك أن الاسلام هو الدين الاسمى الذى عليه أن يتبع وأنه الدين الوحيد الصالح لحل كل المشاكل البشرية والقادر على إنارة طريق المستقبل امام الشعوب. وأنه الدين القوى الذي قاوم كل المحاولات التى عملت على ان تحد من انطلاقه الفكري عبر القرون الماضية.

ومن مختلف بلاد العالم نشهد اليوم تفهما لتعاليم الاسلام ومفاهيمه، إن قوة القرآن الكريم قادرة على أن تقهر كل الاعداء عبر المسيرة الاسلامية.

الاسلام يخاطب العقل ويشبع العاطفة ويناسب الفطرة الانسانية.

هذا المقال شهادة اهل الغرب انفسهم على اكتساح الاسلام لاوربا على رغم انف الكنيسة العالمية التي لم تدع وسيلة من الوسائل إلا استعملتها للقضاء على المد الاسلامى الذى يخاطب العقل قبل العاطفة ويناسب الفطرة البشرية.

وقد اقتنع بالاسلام من مشاهير الغرب رجاء جارودى ويوسف اسلام وموريس بوكاي وكوستر النجار وفاتش مونتي وتيران ميشان وميشيل كود كنوتير عالم دراسات الضوء.

تقول مجلة تايم: انها شمس الاسلام تشرق من جديد ولكنها هذه المرة تعكس كل حقائق الجغرافيا فانها تشرق من الغرب.

البصمات الحضارية للرسالة المحمدية

هنالك وعبر مسيرة البشرية المديدة على ظهر هذا الكوكب الأرضي، توجد لحظات تاريخية حاسمة توقف عندها التاريخ طويلا لكي يسجل بصماتها الحضارية الحيّة على جبين الحياة لأنها تعد على الحقيقة بمثابة مفترق الطرق في حياة الأمم عبر كل الأعصار. ومن هذا المنطلق التاريخي، فإننا نعتقد جازمين ومن خلال المعايشة الحية للتاريخ الإنساني، عبر حقبه الطويلة، وحضاراته المتباينة بأن رسالة الاسلام التي جاء بها سيدنا محمد بن عبد الله {صلى الله عليه وسلم} كانت ولا تزال وسوف تظل - إن شاء الله - بمثابة أكبر تحول حضاري عرفه التاريخ البشري.

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا وبكل موضوعية ، أن الاسلام هو التحول الحضاري الأوحد الذي غيّر ملامح الحياه الإنسانية - ليس على المستوى العربي فقط بل على المستوى الكوني بأسره - وذلك لأنه تولد عنه تغييرات جذرية رفدت الحياة بكل المفاهيم الإيمانية والحضارية الحقة التي ساعدت مساعدة حيوية على تشكيل الإنسان - المسلم - وصياغته صياغة أقل ما يقال عنها إنها صياغة إيمانية شاملة، مما أهل هذا الإنسان الذي تربى على مائدة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أن يشكل وفي مدة زمنية ليست بالطويلة - من المنظور الزمني - حضارة تعتبر من أعظم حضارات التاريخ البشري قاطبة. مما جعل حقيقة من رسالة الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام بصمة حضارية خالصة، بصمت بميسمها الأغر على جبين التاريخ البشري لمسات إيمانية حية، أضفت طابعاً من الإشراق على البشرية بعامة، ما أخذت بمنهجه.

ولقد كانت رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في الثلث الأخير من القرن السادس الميلادي ذلك القرن الذي شهد ظروفاً تاريخية تكاد تكون مماثلة تماماً لتلك الظروف التاريخية التي نحياها اليوم، نحن الذين نعيش في أواخر القرن العشرين. ويؤكد الاستقراء التاريخي، على أنه كانت تسيطر على مقدرات العالم التاريخية ومكاسبه الحضارية آنذاك امبراطورية فارس في الشرق - حيث كانت الشيوعية الفوضوية هي طابع الحياة فيها - وفي الغرب كانت الأمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) - حيث كانت الإنحلالية هي طابع الحياة فيها - كما هو الحال اليوم في عالمنا الراهن سواء في الشرق أم الغرب - وقد أشار إلى ذلك الدكتور عبد الحليم عويس. وقدَّم عنه تحليلا تاريخيا عميقاً مفعماً بالرؤية الإسلامية لتفسير التاريخ في



مصطفى محمد طه
- لبنان -

كتابه القيم «في ظلال الرسول عليه الصلاة والسلام».

ولد سيدنا محمد عليه الصلاة و السلام في تلك البقعة التي تحتل موقعاً وسطاً من العالم - من وجهة نظر الجغرافية الفلكية - وفي هذا مؤشر حيوي على أن الإشعاع الإيماني، الذي تنامى مع ميلاد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، كان مقدراً له أن يحقق ذلك الانتشار الحضاري، عبر الآفاق الرحبة من العالم شرقاً وغرباً. وهذا راجع إلى أنه شع ولا يزال - وسوف يظل إن شاء الله - يشع من هذا المنبع الوسط، الذي كان بمثابة المنارة التي تنطلق منها الإشعاعات الروحية والحضارية لهذه الرسالة الميمونة، في نمطية متناغمة حققت التوازن المنشود منها.

فلقد ولد عليه الصلاة والسلام في العام الميلادي (٥٧١م)، أي عام الفيل الموافق ليوم الاثنين ١٢ ربيع الأول[١]. ومسار حياة الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام في الجاهلية، وما واكب هذه الحياة، من تبدل في الأوضاع الاجتماعية الخاصة به عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، من حيث كونه نشأ يتيم الأب والأم، ثم في كفالة جده (عبد المطلب بن هاشم) له، ثم في كفالة عمه (أبو طالب بن عبد المطلب) له؛ كل هذه أمور تاريخية معروفة لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وإذا ما جئنا إلى الواقع التاريخي لشبه الجزيرة العربية في غضون هذه الآونة التي ولد ونشأ فيها سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} قبل بعثته المباركة. فإننا نستطيع أن نؤكد على أن الرسول {صلى الله عليه وسلم} قد نشأ قبل بعثته أمياً .. وعاش أمياً بين قوم أميين. والقرآن الكريم يبلور لنا هذه الحقيقة بجلاء عندما يقول الحق وهو أصدق القائلين: {هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين} (الجمعة/٢)، وأميته وظهوره بين قوم مغرقين في الأمية .. حكمتان من حكم الله سبحانه وتعالى. حتى تكون معجزة النبوة الخالدة والشريعة الإسلامية الغراء واضحة في الأذهان لا لبس بينها وبين الدعوات البشرية المختلفة[٢].

ومن هنا كانت حياته الصافية - عليه الصلاة والسلام - وسط هذا الركام الجاهلي الآسن بمثابة الإرهاصة الإيمانية والومضة الحضارية البارقة التي تنامى نورها، ومدها الإشعاعي إلى أن أصبحت بمثابة انبثاقة وضّاءة وإشراقة خالدة انبلجت وغيرت معالم الحياة في شبه الجزيرة العربية، وعالم القرن السابع الميلادي ومن ثم قلبتها رأساً على عقب، ثم تواصل عطاؤها الخيِّر ولا يزال وسوف يظل بإذن الله تعالى.

التطور الحضاري - وبالذات الجانب الثقافي منه - للأمة العربية، كان قد تعرض في السنوات الأولى من حياة الرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم} قبل البعثة النبوية المباركة إلى أزمة عنيفة هزت أركان الحياة القبلية في شبه جزيرة العرب كلها وأصابت بالشلل جميع الأنظمة القبلية على اختلاف مظاهرها، من ممالك في اليمن، وإمارات على أطراف الهلال الخصيب ومشيخات في جوف بلاد العرب وبخاصة في مكة المكرمة وكان قوام

هذه الأوضاع هو الصراع الحاد فيما بين الروح الفردية التي فطرت عليها النظم القبلية وبين المحاولات التي قامت بها مجموعة من القبائل لبناء أحلاف تصلح نواة لمجتمعات سياسية كبرى[٣].

ولقد كان هذا الواقع الحضاري المتأزم لشبه الجزيرة العربية إبان الميلاد الأغر للرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم هو بمثابة إفراز طبيعي لتلك الظاهرة الكبرى في تاريخ بلاد العرب قبل الإسلام. ونعني بها سيطرة النظم القبلية على حياة السكان فيها ونشاطهم سيطرة كاملة. ويرجع السبب الحيوي في سيادة تلك الظاهرة إلى أنها جاءت خير نموذج للتطبيق العملي لتأثير «قانون البيئة» الذي ينظم القواعد التي يقوم عليها «العمران» وهو ما يقصد به الاجتماع الإنساني الذي تتولى فيه النظم توجيه السلوك الجمعي للأفراد نحو ما يكفل لهم مطالبهم المادية والمعنوية في الحياة[٤].

وبناء على ما سبق فقد اختلف الباحثون وهم بصدد التقييم الموضوعي - من المنظور الحضاري - لحال بلاد العرب قبيل ظهور الإسلام، فقال بعضهم أنه كان هناك نهضة تقدمت بعثة النبي {صلى الله عليه وسلم}، وأن العرب كانوا على استعداد لقبول دعوة الإسلام المشرق، وأنكر آخرون كل ما يطلق عليه كلمة استعداد ونهضة، وجعلوا العرب في هوة سحيقة من الانحطاط الأدبي والأخلاقي والسياسي والديني وأخيراً الحضاري. وفي هذا الإطار يقول المستشرق (لوثروب ستودرد): «كيف لا وكان العرب - قبل الإسلام - قد فاقوا آباءهم وأجدادهم إيغالا في الشرك والوثنية، وانقضى عليهم وهم على هذه الحالة عهد ليس بالقليل حتى استحالت عناصر أمزجتهم من شدة ذلك كله فصاروا تواقين بفعل غرائزهم وأخلاقهم إلى تبديل حالهم وتحسين شأنهم. هكذا كانت حالتهم العقلية والنفسانية حالة الاستحالة الكبرى والانقلاب - الإيماني والحضاري - العظيم والاستجداد الكبير لما صاح فيهم نفير الإسلام»[٥].

ومن هنا تأتي حيوية دراسة السمات البارزة، التي وسمت حياة سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} قبل بعثته الميمونة، وكانت حقيقة إرهاصات إيمانية وحضارية مهّدت لظهور الإسلام - دين وحضارة - إلى الواقع البشري المعاش. ولعل أبرز هذه السمات أنه عليه الصلاة والسلام كان يتحنث على دين أبيه ابراهيم أبو الأنبياء عليه السلام.

كان يمارس تطهيراً للنفس وتفكيراً في عظمة الخالق الأكمل، وفيما وراء هذا العالم الظاهر، وفي اختلال الأوضاع والقيم التي كانت تسيطر على المجتمعات الجاهلية العالمية سواء في المجتمع الفارسي أم في المجتمع الروماني، أو حتى في داخل شبه الجزيرة العربية الضائعة في ذلك الحين[٦].

وبناء على ما سبق فقد كان {صلى الله عليه وسلم} منذ نعومة أظفاره بعيداً عن دنس الجاهلية العربية وفسادها المدمر الذي أغرق القوم في جحيمها. وفي سيرته العاطرة العابقة بشذى الفطرة السوية والمضمخة بندى الاستجابة لنداء قلبه الصافي قبل البعثة الدليل الناصع الذي لا يقبل الجدل ولا المراء، على أنه عليه الصلاة



والسلام قد خلق ليؤدي رسالة سامية عظيمة الشأن· فميّزه الله بأخلاق عالية وصفات حسنة، لم يتحل بها غيره من عفة اللسان وطهارة الجنان وصدق الحديث وقوة الأمانة· وكان لهذه الصفات الحميدة الاحترام والإجلال من قومه على اختلاف طبقاتهم حتى أنهم سموه - عليه الصلاة والسلام - بالأمين[٧]·

لذا يمكن لنا التأكيد الجازم على أن هذه الحياة الصافية - لرسولنا الأكرم عليه الصلاة والسلام قبل بعثته الخالدة - كان رائدها الأول والأخير، هو البحث الدقيق عن الحقيقة البلجاء ومن ثم عبادة الخالق الواحد تبارك وجل في علاه عن طريق الخلوة والتفكر في ملكوته الواسع وكونه الرحيب إنما كانت هي البوتقة الإيمانية - إذا صحّ التعبير - التي انصهرت فيها تلك الإرهاصات التي سادت شبه الجزيرة العربية من حيث الثورة العارمة على عبادة الأصنام، وظهور ما سمي - تاريخياً - بالحنفاء الذين دعوا إلى عبادة إله ابراهيم - عليه السلام - وهو الخالق الأعظم والموجد الأكمل· وكان من أشهرهم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل· وهم الذين كانوا كارهين - في المجتمع الجاهلي نفسه - لبعض القيم الجاهلية النكراء· ولكن واحداً من هؤلاء لم يبلغ جزءاً من ألف جزء مما بلغه كمال الرسول {صلى الله عليه وسلم} الخلقي والنفسي حتى صار مضرب المثل، بين أهل مكة في هذا السياق الأمثل والإطار الطبيعي لهذه الجوانب جميعاً· وقد اتبعه بعض هؤلاء أنفسهم - وقال له ورقة بن نوفل - وهو أحد كبار الحنفاء - والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الأمة· ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن· ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه[٨]·

الهوامش:

(١) إ·د· عبد الحليم عويس - في ظلال الرسول {صلى الله عليه وسلم} دار الاعتصام - القاهرة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ص٤٤·

(٢) أ·د· عبد الحليم عويس - المرجع السابق ص ٣٩·

(٣) أ·د· ابراهيم احمد العدوي - تاريخ العالم الإسلامي «عصر البناء والانطلاق» الجزء الأول مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ٣٣·

(٤) أ·د· ابراهيم أحمد العدوي - النظم الإسلامية «مع دراسة تطبيقية في مصر الإسلامية» - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ص١·

(٥) أ· عمر رضا كحاله - العالم الإسلامي «العرب قبل الإسلام - البعثة المحمدية» الجزء الأول - المطبعة الهاشمية - دمشق - الطبعة الثانية ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م، ص ١١١ - ١١٢·

(٦) أ·د· عبد الحليم عويس - المرجع السابق ص ٤٩ - ٥٠·

(٧) أ·د· ابراهيم الشريقي - التاريخ الاسلامي «خلال أربعة عشر قرناً منذ العهد النبوي وحتى العصر الحديث» رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة - الطبعة الثانية ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ص ٢٨·

(٨) أ·د· عبد الحليم عويس - المرجع السابق ص ٥٣·



رثاء المصطفى {صلى الله عليه وسلم} في شعر الرعيل الأول

لم تكن تلك النقلة التي تغيرت فيها معالم الحياة في الجزيرة العربية عند بزوغ فجر الاسلام عجيبة فحسب بل كانت نقلة نوعية هائلة فاقت كل الاعتبارات البشرية والموازين الأرضية.

لقد أقام المصطفى {صلى الله عليه وسلم} في المدينة المنورة مجتمعاً مازالت البشرية حتى يومنا هذا تحلم بتحقيقه بُني على الصدق والإخاء وجُبل بالحب والولاء وضمخ بالتضحية والفداء فوصل خلال ردح من الزمان إلى أفق رفيع مازالت النفوس تتوق إليه والأبصار ترنو لتحقيقه، والأفئدة تتطلع لتراه.

لقد كان بعث الرسول {صلى الله عليه وسلم} مولداً للإنسانية، وحياة للأخلاق، وموتاً لكل مظاهر الشرك والعبودية لغير الله، أخذ فيها النبي محمد {صلى الله عليه وسلم} بيد البشرية إلى بر الأمان بعد أن حملها على مراكب الإيمان في خضم هذه الحياة فمضت تلك المراكب تحمل الحق في جنباتها، والعدل في وهداتها، والخير في أرجائها، والبر في أنحائها لتهدي البشرية إلى منهج الرحمن الذي علمها القرآن. شرعة الله للإنسان.

لقد استطاع في مدة وجيزة لا تزيد عن ربع قرن أن يكبح جماح أمة اتخذت الصحراء المحترقة سكناً لها، وأن يقلب بهذه الأمة وجه التاريخ وأن يكتسح بقوة الإيمان الخارقة أقوى دولتين في حينه مقدماً إليها رسالة الإسلام ودعوة القرآن .

ولقد بلغت محبة المسلمين للرسول {صلى الله عليه وسلم} حداً يفوق كل وصف ويقف أمامه كل بيان، ويذهل كل باحث ليس فقط في جيل الصحابة الكرام فحسب بل جيلا بعد جيل، وقد قال أبو سفيان عندما كان مشركاً عن حال الجيل الأول مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «والله ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.

بل إن إحدى نساء الأنصار من بني دينار بعد عودة الرسول {صلى الله عليه وسلم} من غزوة أحد وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها فلما نعوا لها قالت فما فعل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قالوا خيراً هو بحمد الله كما تحبين فقالت أروني حتى أنظر إليه فلما رأته قالت «كل مصيبة بعدك تهن».

حقاً لقد بلغت محبة الرسول {صلى الله عليه وسلم} حداً فاق كل وصف وأعجز كل بيان ولما انتقل الرسول {صلى الله عليه وسلم} إلى الرفيق الأعلى كان

بقلم : د. محمد إياد صلاح الدين العكاري
- الهفوف -

طامة كبرى على المسلمين وخطباً عظيماً ألم بهم اضطرب منه الناس وعظم فيه المصاب وأظلمت فيه الدنيا قام حينها أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو أقرب الناس إليه ليقف موقفاً خالداً كتبه له التاريخ بماء الذهب عندما قال من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

ولا غرو أن تنطلق الألسنة والقلوب في ذاك الجيل الفريد من الصحابة الذين أحبوه وأحسنوا له الصحبة وكانوا له كظله أن تنطلق لترثي سيد الخلق والرحمة المهداة وحامل لواء الإسلام للبشرية.

فهذا حسان بن ثابت رضي الله عنه يقول في رثائه في قصيدة مطولة:

بطيبة رسم للرسول ومعهد
منير وقد تعفو الرسوم وتهمد[١]
ولا تمتحي الآيات من دار حرمة
بها منبرُ الهادي الذي كان يصعدُ
وواضحُ آثار وباقي معالم
وربع له منه مُصلى ومسجدُ
بها حجرات كان ينزلُ وسطها
من الله نور يستضاء ويوقد
ظللت بها أبكي الرسول فأسْعَدَتْ[٢]
عيون ومثلاها من الجفن تُسعد
مفجعة قد شفها فقدُ أحمد
فظلت لآلاء الرسول تُعددُ
أطالت وقوفاً تذرفُ العينُ جهدها
على طلل القبر الذي فيه أحمد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت
بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

ثم يصور حال الصحابة رضوان الله عليهم بعد فقده {صلى الله عليه وسلم} فيقول:

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكي السماوات يومه
ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
فهل عدلت يوماً رزية هالك
رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه منزل الوحي عنهم
وقد كان ذا نور يغور وينجد
يدل على الرحمن من يقتدي به
وينقذ من هول الخزايا ويرشد
وأمست بلاد الحرم وحشا بقاعها
لغيبة ما كانت من الوحي تعهد
قفاراً سوى معمورة اللحد ضافها
فقيد يبكيه بلاط وغرقد
ومسجده فالموحشات لفقده
خلاء له فيه مقام ومقعد
فَبَكّي رسول الله يا عينُ عبرة
ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
وجودي عليه بالدموع وأعولي
لفقد الذي لامثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمد
ولا مثله حتى القيامة يُفقد

ثم يعدد حسان بن ثابت رضي الله عنه بعضاً من

مناقبه {صلى الله عليه وسلم} فيقول:

أعف وأوفى ذمة بعد ذمة
وأقرب منه نائلا لا ينكدُ
وأبذل منهُ للطريف[٣] وتالد[٤]
إذا ضن معطاء بما كان يتلدُ
وأكرم صيتا في البيوت إذا انتمى
واكرم جدًّا أبطحيا يُسَوَّدُ
وأمنع ذروات وأثبت في العلا
دعائم عز شاهقات تشيَّدُ
وأثبت فرعاً في الفروع ومنبتاً
وعوداً غذاه المُزْنُ فالعود أغيدُ[٥]
تناهت وصاة المسلمين بكفه
فلا العلم محبوس ولا الرأي يفندُ[٦]

ثم ينهي هذا الرثاء بأنه لن يترك ثناءه ورثاءه لحبيبه المصطفى {صلى الله عليه وسلم} ما أحياه الله يريد بذلك ثواب الله وجواره {صلى الله عليه وسلم} فيقول:

وليس هواي نازعاً عن ثنائه
لعلي به في جَنَّة الخلد أخلدُ
مع المصطفى أرجو بذاك جواره
وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهدُ

وقال في قصيدة له أخرى يرثي بها النبي {صلى الله عليه وسلم} ويبيِّن عظم مصيبة المساكين والمحتاجين بعد موته عليه الصلاة والسلام فقال:

نبِّ المساكين أنَّ الخير فارقهمْ
مع النبي تولى عنهمُ سحرا
من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي
ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا
أم من نعاتب لا نخشى جنادعه[٧]
إذا اللسان عتا في القول أو عثرا
كان الضياء وكان النور نتبعه
بعد الإله وكان السَّمْع والبصرا

أما أبو بكر الصديق خليل رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وصاحب هجرته فقد رثاه في قصيدة مطولة قال فيها:

فُجعْنا بالنبي وكان فينا
إمام كرامة نعم الإمامُ
وكان قوامنا والرأس منا
فنحن اليوم ليس لنا قوامُ
نموج ونشتكى مما لقينا
ويشكو فقده البلدُ الحرامُ
فلا تبعد فكل كريم قوم
سيدركه ولو كره الحمام[٨]
فقدنا الوحي إذ وليت عنا
وودعنا من الله الكلام
لقد أورثتنا ميراث صدق
عليك به التحية والسلامُ

وقد أورد ابن عبد البر أبياتاً للسيدة صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها تجلى فيها الإيمان والعاطفة الإسلامية الصادقة تقول فيها:

ألا يارسول الله كنت رجاءنا
وكنت بنا براً ولم تك جافيا



وكنت رحـيـمـاً هادياً ومـعلمـاً

ليـبك عليك اليـوم من كـان باكـيـا

لعـمـرك مـا أبكي النبي لفـقـده

ولكن لما أخـشى من الهـرج آتيـا

كـأن على قلبي لذكـر مـحـمـد

ومـا خـفـت من بعـد النبي المكاويا

أما أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب الذي هجاه قبل إسلامه فقد رثاه في قصيدة تعد من غرر شعره ظهرت فيها محبته للنبي {صلى الله عليه وسلم} صادقة جلية قال فيها:

أرقت فـبـات ليلي لا يزول

وليل أخي المصـيـبـة فـيـه طولُ

فـأسـعـدني البكاء وذاك فـيـمـا

أصـيب المسلمـون به قليلُ

لقـد عظمت مـصـيـبـتنا وجلَّتْ

عـشـيـة قـيل قـد قـبض الرَّسـولُ

وأضـحـت أرضنا ممَّا عـراها

تكاد بنا جـوانبـهـا تميلُ

فـقـدنا الوحي والتنزيل فـينا

يروح به ويغـدو جـبـرئيلُ

وذاك أحقُّ مـا سـالت عليـه

نفـوس الناس أو كـادت تسـيلُ

نبـي كـان يجلو الشك عنَّا

بما يوحى إليـه ومـا يقـولُ

ويهـدينا فـلا نخـشى ضـلالا

علينا والرَّسـولُ لنا دليلُ

أفـاطم إن جـزعت فـذاك عـذر

وإن لم تجـزعى ذاك السَّبـيلُ

فـقـبـرُ أبيك سـيـدُ كل قـبـر

وفـيـه سـيـدُ الناس الرَّسُولُ

وما أروع أن نختم مقالنا بقول الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي.. رحمه الله حيث قال ليس المصلح من استطاع أن يفسد عمل التاريخ فهذا سهل ميسور حتى للحمقى ولكن المصلح من لم يستطع التاريخ أن يفسد عمله من بعده.

وإن سيد الخلق محمداً {صلى الله عليه وسلم} هو صاحب الرسالة الوحيدة التي تولى الله سبحانه حفظها وتكفل بالخلود لكتابها وأحاط مبادئها وسننها وشرائعها وأحكامها بحياطته الصمدانية وأقامها بين أيدي البشر غضة سليمة كأن نبرات صوته الشريف {صلى الله عليه وسلم} تنطق بحروفها ونصوصها في كل حين فتنبهر الناس بكمالها الذي لا يطاوله كمال ولا يدركه مقال والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(١) تهمد: تبلى

(٢) أسعدت: أعانت.

(٣) الطريف: ما استحدث من المال.

(٤) التالد: المال الموروث.

(٥) أغيد: ناعم أملس

(٦) يفند: يخطأ.

(٧) الجنادع: أوائل الشر.

(٨) الحمام: الموت.



أدنى أهـ

فيما سبق تكلمنا عن القصص النبوي ومنازل أهل الجنة ودرجاتهم، وأعلى درجة في الجنة وأن أعلى الجنان هي الفردوس، لأنها في وسط الجنة وفوقها عرش الرحمن. ورأينا السابقين في دخول الجنة وغير ذلك مما مر ذكره.

ونعرض هنا ما جاء في القصص النبوي عن أدنى أهل الجنة منزلة، وجاءت فيه روايات بأنه رجل صرف الله وجهه عن النار، أو أنه آخر الناس خروجا من النار، وآخرهم دخولا في الجنة، ففي البخاري عن ابراهيم بن عبيدة[١] عن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي {صلى الله عليه وسلم} (إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها، وآخر أهل الجنة دخولا، رجل يخرج من النار حبْوا، فيقول الله: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يارب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ـ أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا ـ فيقول: تسخر مني، أو تضحك مني وأنت الملك، فلقد رأيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ضحك حتى بدت نواجذه، وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة).

وجاء في القصص النبوي في منتخب كنز العمال[٢]: (إن أدنى أهل الجنة منزلا لرجل له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها) و(أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم، واثنان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء) و(أسفل أهل الجنة درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم، بيد كل خادم صحفتان: صحفة من ذهب، وصحفة من فضة، في كل واحدة لون ليس في الأخرى، يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها يجد لآخرها من اللذة والطيب مثل ما يجد لأولها، ثم يكون ذلك رشح مسك وجشاء مسك لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون) و(إن أدنى أهل الجنة منزلة، وليس فيها دنيء الذى يتمنى فيقول بلسان طلق ذلق وعقل مجتمع: اعطني كذا، اعطنى كذا، حتى إذا لم يجد شيئا لقن فقيل له: قل كذا وقل كذا، فيقال له: هو لك ومثله معه).

ونقل القرطبي[٣] عن مسلم عن المغيرة بن شعبة



أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
ـ مصر ـ



يرفعه إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (سأل موسى - عليه السلام - ربه فقال: يارب ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: رجل يأتي بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله معه، ومثله، ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك، فيقول: رضيت، قال: يارب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، قال ومصداقه من كتاب الله: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قُرّة أعين)٠

وروي عن النبي {صلى الله عليه وسلم}: (إن أدنى أهل الجنة منزلة من له سبع قصور، قصر من ذهب، وقصر من فضة، وقصر من در، وقصر من زمرد، وقصر من ياقوت، وقصر لا تدركه الأبصار وقصر على لون العرش، في كل قصر من الحلى والحلل والحور العين مالا يعلمه إلا الله - عز وجل)٠

قال القرطبي: ذكره القتبي في عيون الأخبار له، وفي مراسل الحسن عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى يركب في ألف ألف من خدمه)٠

وخرج الترمذي، عن ابن عمر أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته ونعيمه وخدمه وسروره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيا، ثم قرأ رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال: حديث غريب٠ وجاء عن مجاهد: (إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه مسيرة ألف سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، وأرفعهم هو الذي ينظر إلى ربه بالغداة والعشي)٠

وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين)٠

وذكر ابن قيم الجوزية قصة رواها عن الإمام أحمد عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن أدنى أهل الجنة منزلة سبع درج، وهو على السادسة وفوقه السابعة، وإن له ثلاثمائة خادم، ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلاثمائة صحفة - ولا أعلمه قال إلا من ذهب - في كل صحفة لون ليس في الآخر، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره وعن الأشربة بثلاثمائة إناء، في كل إناء لون ليس في الآخر، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وإنه ليقول: يارب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم، لم

ينقص مما عندى شيء، وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة، سوى زوجاته من الدنيا، وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض) وابن القيم ضعف هذه الرواية لضعف شهر بن حوشب وتناقضه مع بعض الروايات الأخرى. والله أعلم.

وفي موضع آخر يتكلم ابن القيم[٥] عن (ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها) فينقل بعض القصص النبوي الذى يتحدث عما لأدنى أهل الجنة، ومن ذلك القصص ما جاء عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: (إن أدنى أهل الجنة منزلة - وليس فيهم دنيء - من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه).

وفي رواية (قال ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن إلا على عمل ليس عليه صاحبه) وعن أبى عبد الرحمن الحبلى قال: (إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ) وعن أبي هريرة قال: (إن أدنى أهل الجنة منزلة، وما فيهم دنيء لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم، مع كل خادم طرفة ليست مع صاحبه) وعن أبي عبد الرحمن المعافري قال: (إنه ليصفّ للرجل من أهل الجنة سماطان، لا يُرَى طرفاهما من غلمانه، حتى إذا مر مشوا وراءه).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يارب أنّى لى هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك).

وفي قصة عن مسلم[٦] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له تمن، فيتمنى ويتمنى، فيقول له: هل تمنيت؟ فيقول: نعم، فيقول له: فإن لك ما تمنيت ومثله معه).

وفي الجنة فضل

ومن فضل الله ورحمته بعباده سعة الجنة وكثرة أبوابها ودرجاتها عن النار، وإن كانت النار تقول هل من مزيد، فإنه برحمته يضع قدمه فيها فينزوى بعضها إلى بعض، ويبقى في الجنة - بعد دخول أهلها فيها - فينشىء الله لها خلقا آخر يسكنهم ذلك الفضل.

جاء في القصص النبوى في صحيح البخاري[٧] عن قتادة، عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (لا يزال يلقى فيها، وتقول: هل من مزيد حتى يضع فيها رب العالمين قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، ثم تقول: قد قد، بعزتك وكرمك. ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشىء الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة) وفي رواية تقول (قدنى قدنى) و(قط قط) أى حسبى حسبى.

وروى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي {صلى الله عليه وسلم}: (تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله - تبارك وتعالى - للجنة: أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى،

وقال للنار: إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتليء، حتى يضع رجله فتقول: قطْ قطْ، فهنالك يمتليء ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله - عز وجل - من خلقه أحداً. وأما الجنة فإن الله - عز وجل ينشيء لها خلقا آخر).

وفي قصة في صحيح مسلم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: (لا تزال جهنم يلقى فيها، وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوى بعضها إلى بعض، وتقول قط قط، بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة) وفي رواية أخرى: (يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى، ثم ينشيء الله لها آخر مما يشاء).

ومن القصص النبوى ما جاء في مسند الإمام أحمد عن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غزوان، قال: خطبنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصرم[٨] وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صبابة[٩] كصبابة الإناء، يتصابها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذكر لنا: أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاما، ما يدرك لها قعرا، والله لتملؤنه أفعجبتم، والله لقد ذكر لنا: إن ما بين مصارع الجنة مسيرة أربعين عاما، وليأتين عليه يوم كظيظ الزحام ولقد رأتنى سابع سبعة مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا، وإنى التقطت بردة فشققتها بينى وبين سعد، فائتزر بنصفها وائتزرت بنصفها، فما أصبح منا أحد اليوم إلا أصبح أمير مصر من الأمصار وإنى أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما، وعند الله صغيرا، وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى يكون عاقبتها ملكا، وستبلون أو ستخبرون الأمراء بعدنا.

ومن القصص النبوي الذي يتحدث عن سعة الجنة وسعة فضل الله ما روي عن أبى سعيد[١٠] (إذا أسكن الله أهل الجنة الجنة بقي في الجنة مكان أفيح، فيسكنها الله ستين وثلاثمائة عالم، كل عالم أكبر من الدنيا منذ خلقت إلى يوم تنقطع).

- للبحث صلة -

الهوامش:

(١)فتح البارى جـ ١١ ص ٤١٨.

(٢) جـ ٦ ص ١٠٨ وما بعدها.

(٣) التذكرة ص ٥٧٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٥٧٨، ٥٨٧ وحادي الأرواح ص ١٩٣.

(٥) حادى الأرواح ص ٣١٦، ٤٣١.

(٦) جـ١ ص ٣٤١.

(٧) فتح البارى جـ ١٣ ص ٣٦٩ وجـ ٨ ص ٥٩٥ ومسلم جـ ٧ ص ٢١٧.

(٨) بصرم: انقطاع.

(٩) الصبابة: البقية اليسيرة من الشراب.

(١٠) منتخب كنز العمال جـ ٦ ص ١١١.

الشعر .. بين الفكر والفن

عاش الشعر ـ ولا يزال ـ ضحية خطابين: خطاب الفكر وخطاب الفن؛ فخطاب الفكر يجرد الشعر من خصوصيته الفنية، وخطاب الفن يجرده من خصوصيته الفكرية وقد انعكست هذه النظرة الجزئية علي النقد الادبي، وطغت هذه الثنائية على وظيفة الشعر، وظل الشعر موزعا بين الفكر والفن؛ بين وظيفة فكرية ووظيفة فنية.

بقلم : د. عبدالله العشى
ـ الجـزائر ـ

وليست قضية الوظيفة في العمل الشعري قضية جديدة، بل هي من لوازم التفكير الادبي منذ القديم. ولم تخرج الاجابة عن السؤال المثار حولها عن أمرين ينفي أحدهما الآخر؛ بالاستقلالية الفنية. غير أن ما يميز هذه الدراسات هو انها في معظمها دراسات نقاد، فالنقاد هم الذين أرخوا للنظرية الشعرية، وهم الذين صنعوا المناهج النقدية وأوّلوا للشعر وظائف متعددة، بطريقة لا يمكن أن تكون خالية تماما من التعسف والصرامة التي تصحب تطبيقات المنطق الاكاديمي.

ليس الأمر جديدا إذن في بحث مسألة الوظيفة في الشعر. لكن الجديد الذي يمكن عده كذلك هو أن هذه المقالة سوف لن تعتمد نصوص النقاد، وإن أشير فيها الى ناقد، فإن ذلك من باب التوظيف الثانوي الذي يراد به الدعم المنهجي.

أما النصوص الاساسية التي ستتم قراءتها وتأويلها فهي نصوص الشعراء انفسهم وذلك لاعتبارات ثلاثة:

أ ـ اقتناع بأن الشاعر يعرف عن عمله أكثر مما يعرفه عنه الآخرون. حتى انه يمكننا أن نقول مع عبد العزيز المقالح: **(إذا لم يستطع الشاعر العظيم أن يعرف ما هو الشعر، فمن اذن يستطيع ذلك)**[١].

ب ـ اقتناع منهجي بضرورة اعتماد النصوص الأكثر قربا من الشعر والأكثر مجاورة

له: **فالنص النظري للشاعر يصدر من منطقة قريبة من منطقة الابداع الشعري.**

ج ـ الاسهام في طرح مغاير قد يسهم في توضيح بعض قضايا النظرية الشعرية بعيدا عما هو متداول من مرجعيات في دراسة الظاهرة الشعرية بعامة، وموضوع الوظيفة الشعرية بخاصة. دون أن نرفع أي شعار من شعارات التجديد أو نحوه.

السؤال النظري المنهجي:

وفي اثارتنا لهذا السؤال دعوة الى ضرورة العودة الى المسائل النظرية في العمل الادبي، بعد أن بالغت بعض الدراسات النقدية في الانفصال عن البعد الفلسفي للأدب، بحجة التعامل مع النص بوصفه القيمة الحقيقية للأدب. ولا شك في أن هذا الانفصال كان بمثابة رد فعل على المناهج القديمة التي أهملت النص وبالغت في الاهتمام بما قبل النص أو ما بعده، من شؤون نفسية وتاريخية واجتماعية وفكرية. لكن رد الفعل هذا كثيرا ما وقع في ما كان ينتقده، **فتحولت الدراسة الادبية إلى دراسة نص مفصول عن سياقاته المختلفة وأصبح السياق الذي يطرح النص من خلاله، سياقا غير أدبي، وذلك حين يتسع مفهوم النص ليشمل أي نص آخر، أدبيا كان أم غير أدبي.**

إن في العودة الى اثارة المشكلات الفلسفية والنظرية للأدب حماية لخصوصيته، واعادة للنص الأدبي الى سياقه الحقيقي، سياق النظرية الادبية. مما يمكن من دراسته بوصفه نصا أدبيا، وليس نصا فقط.

وقد فطن بعض النقاد الى ذلك، فظهر (اتجاه واضح في الدرس النقدي الآن الى العودة الى الاهتمام بنظرية الادب ومحاولة الاجابة عن أسئلة أولية طالما سئلت في الماضي، مثل: **ما الادب وما النقد؟ وما وظيفة الادب؟ وما وظيفة النقد؟**)[٢]، وليست مثل هذه الاسئلة اجترارا للماضي، وانما هي ضرورة فرضها أحيانا بعض التوجه السلبي الملاحظ في الدراسات الادبية التي حولت الادب الى كائن آخر أفقدته خصوصيته، مما يدعو حقا الى التساؤل عن مفهوم الادب ووظيفته. والسؤال في هذا المجال دعوة الى اعادة النظر أيضا في بعض الدراسات الادبية التي نصفها بالتوجه السلبي.

وسنحاول أن نقف على اجابة عن سؤال قائم: هل حقا أن الوظيفة في الشعر يتوزعها رأيان متضادان؟ وهل يمكن العثور على صيغة ثالثة ترقى بالدراسة الى مستوى آخر يعيد النظر في طبيعة الجدل الطويل حول هذه المسألة؟

مغامرة التعريف:

من الضروري أن نشير في البداية إلى أن مسألة تحديد وظيفة الشعر ترتبط ارتباطا صميما بمسألة تحديد ماهيته، فبمقدار ما ينكشف جوهر الشعر وتتضح ماهيته، بمقدار ما تتحدد وظيفته. ومسألة الوعي بالعلاقة بين الماهية والوظيفة مسألة متداولة، فقد كتب ريتشارد: (**إننا لكي ندرك خطر الشعر يجب علينا أولا أن ندرك الى حد ما ماهيته**)[٣]. وبعده قال ديفيد ديتشس: (**يُعنى النقد بإثارة**

القصيدة التعبير الأفضل عن التجربة

الفنانون والأدباء يُعدُّون الشعوب لكتابة تواريخها بدمائها وعرقها وجهدها

الدعوة الى تسييس الشعر دعوة خاطئة

الشعر الحقيقي ينتمي الى الانسان لا إلى الأشخاص

عدد من الاسئلة فقد يطرح السؤال الفلسفي الخاص بماهية الادب الخيالي، ويقتضي المنطق أن يكون هذا السؤال مقدما على غيره من الاسئلة، إذ كيف يتسنى لنا أن ندرس موضوعا من الموضوعات دون أن نعرف بادىء ذي بدء ماهية هذا الذي نتحدث عنه)[٤].

وإذا كان الأمر كذلك، فإن مسألة تحديد الوظيفة في الشعر سوف لن تكون أمرا ميسورا، وبخاصة أن النتائج التي تنتهي إليها التأملات حول الماهية، لم تبلغ درجة الوضوح والاستقرار، ولم ترق إلى المستوى الذي يطمئن إليه الباحث.

وقد أحس الشعراء - العرب وغيرهم - بمدى الصعوبة التي تعترضهم في تجديد وظيفة الشعر، وعبروا عن ذلك في كتاباتهم وأحاديثهم.



عبد الوهاب البياتي

يقول عبد الوهاب البياتي:

(أما وظيفة الشعر فمن الصعوبة بمكان أن نحدد ملامحها، ونقطة بدايتها ونهايتها، فالشاعر خلاق وثوري ورائد للمستقبل، وهو يحتضن العالم والاشياء، وهو احيانا محراث وسيف وربيع وبساط الريح، صقيع العالم الذي نعيش فيه، انه اشبه بالفصول الأربعة التي تتجدد الاشياء من خلالها، وهو ايضا عودة تموز من العالم السفلي الى الحياة)[٥].

يتضمن نص البياتي إشارة إلى ما وراء الصعوبة التي تكتنف تحديد وظيفة الشعر، وهو ما يمكن أن نسميه بـ (الكلية)، بمعنى أن الصعوبة لا تتأتى من عدم تبين الشاعر أو الناقد لوظيفة الشعر، بل من كون الشعر يبلغ من الشمولية والسعة حدا يمكنه من اداء كل الوظائف المكنة. والتي يصعب على الناقد أن يحيط بها علما. فإذا كان الشعر خلاصة عدد كبير من العناصر: اللغوية والعاطفية والجمالية والمعرفية والاجتماعية، فإن وظيفته ستتعدد بتعدد هذه العناصر، بحيث يحيل كل عنصر من هذه العناصر على احدى الوظائف، مما يسمح بالحديث عن الوظيفة اللغوية والعاطفية والجمالية والمعرفية والاجتماعية والاخلاقية والدينية وغيرها. وهذا مما يصعب على المتأمل أن يختصر وظيفة الشعر في وظيفة واحدة. أو أن يتبين الوظيفة المركزية المهيمنة.

إن الشعر قطاع من الحياة، أو قطاع من الانسان، والاجابة التي نتلقاها لو طرحنا السؤال عن وظيفة الحياة سنتلقاها، هي نفسها، لو طرحنا السؤال عن وظيفة الشعر.

والتعددية التي أشرنا اليها هي ما اشار اليها نص البياتي بـ (الخلق ـ الثورة ـ الريادة ـ احتضان العالم والاشياء ـ الحرب ـ الربيع ـ بساط الريح ـ صقيع العالم ـ التجديد والاخصاب). وهذه الكثافة الوظيفية تعني أن **الشعر جذر المعرفة الانسانية، لا يخاطب في الانسان بعدا واحدا من ابعاده، بل يخاطب فيه (كليته)؛ يخاطب جوهر الوعي فيه قبل أن ينشق هذا الجوهر ويتناثر ويتحول الى اشكال جزئية من الوعي تتقاسمها حواسه أو غرائزه.** إن الشعر بهذا المعنى هو المعرفة الأولى قبل أن تتشظى المعارف وتتفرع الى حقول معرفية جزئية. والوعي بهذه المسألة قليل التداول في الكتابات النقدية، مع انه من الاجدر أن يكون مرجعية أولى عند أي ناقد.

أية وظيفة؟:

هذا من حيث التحديد الصارم لوظيفة الشعر، اما من حيث وجود الوظيفة ذاتها فليس ثمة اختلاف، فمن اقصى الشكلية الى اقصى الموضوعية، اقرار بأن للشعر وظيفة يؤديها، سواء على المستوى الفردي، أم على المستوى الاجتماعي، أم على المستوى الانساني. ويمكن في هذا المجال أن نكتفي بايراد نصين من مدرستين مختلفتين، يقول أدونيس: **(ليس للقصيدة، للمسرحية، للوحة، فعل مباشر يشارك في تغيير التاريخ مشاركة مباشرة. لكن لهذه جميعا قدرة التغيير، بشكل أو بآخر: تقدم صورة جديدة أفضل للعالم ـ أي أنها تعيد خلقه، وإذ تعيد خلقه تغيره)**[٦]، ويقول ممدوح عدوان: **(الشاعر منتم الى إحدى الطائفتين: إما أنه طامح الى تغيير العالم، وإما أنه مساهم في تكريسه، ولا مجال للحديث المنافق عن ضرورة عدم تدخل الشعر في السياسة أو الاقتصاد أو المجتمع**، فهذا الحديث ذاته يسعى إلى تكريس موقف سياسي واقتصادي واجتماعي للشعر يريد جعله مادة تسلية وتثبيت للعالم على الصورة القائمة)[٧].


أدونيس

هذان مجرد نموذجين من مدرستين مختلفتين، غير أن الخلاف بينهما بقدر ما يبدو في منظور ما خلافا كبيرا، يبدو من منظور آخر عند حدود العدم، إذ أن كليهما يضفي على الشعر مهمة التغيير الشامل للعالم، وليس بينهما من خلاف الا في تحفظ ادونيس واشارته الى الصورة العملية التي يحقق بها الشعر مهمة تغيير العالم. **فالشعر عنده ليس فعلا متعديا يمارس ـ بنفسه، وبشكل مباشر ـ عملية التغيير، بل هو فعل يمارس تأثيره عبر قناة واصلة، اي بشكل غير مباشر.** أما ممدوح عدوان فإن حماسته لنظرية الالتزام والواقعية دفعته إلى اغفال الصورة التي يحقق بها الشعر مهمته التغييرية. مع أنه يؤمن، مثل أدونيس، بأن الشعر ليس فعلا متعديا. وهذا ما يقوله في مرحلة تالية: (صحيح أن القصيدة ليست مقالة سياسية، ولا أطروحة فكرية، ولا بحثا جدليا. ولكن الصحيح أيضا أنها يجب ألا تخلو من شيء من هذا القبيل، فالشعر، ومهما كانت

خاصيته اللغوية متميزة، ليس لعبا طفوليا في الالفاظ. والقصيدة ليست كلاما جميلا مبتكرا وخاويا من المعنى. **إن القصيدة هي التعبير الافضل عن التجربة)**[٨].

يستعيد عدوان توازنه في هذا النص، فيشير إلى الخصوصية التي يمارس بها الشعر وظيفته، هذه الخصوصية التي تميزه عن السياسة والفكر والبحث النظري. ولكن العبارة التي نراها حاسمة، هي العبارة التي انتهى بها النص السابق: إن القصيدة هي التعبير الافضل عن التجربة. فهي حاسمة، من حيث انها تدفع من جهة، الاتهام المحتمل بتحويل القصيدة الى مقالة أو اطروحة أو بحث نظري. وذلك من خلال مصطلح (التعبير الأفضل) التي تختصر عناصر البعد الجمالي، ومن جهة اخرى، تؤكد على ضرورة الواقعية والارتباط بالحياة من خلال مصطلح (التجربة).

ومثل هذا الموقف المتوازن يقفه كثيرون، وبخاصة من ينتمون الى مجتمعات تعد الحاجة الجمالية فيها من الكماليات. يقول عبد العزيز المقالح (**في اعتقادي أن الادب والفن كلاهما للحياة، وأن الاديب مسئول أمام مواطنيه مسئوليته امام العالم، وليس الادب عبثا ولا تهريجا ولا اصواتا.. أو تعبيرا خاليا من أي مضمون)**[٩]. وكما رأينا سابقا كيف اعاد ممدوح عدوان النظر في رأيه الأول، فإن المقالح

عبد العزيز المقالح

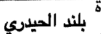
يعيد النظر في رأيه الوارد منذ حين، أو أنه يعيد صياغته في ظل تأمل جديد للمسألة الشعرية؛ وهكذا يضيف نصا آخر يكمل به النص السابق، ويمنحه به شيئا من المنطقية والتماسك. يقول (فالوظيفة الاجتماعية والسياسية للقصيدة عندي تنبع من الوظيفة الفنية والجمالية، ولا يمكن الفصل بين الوظيفتين، بين الشكل والمضمون، وليس هناك في رأيي عمل جيد على المستوى الفني رديء على المستوى المضموني)[١٠].

وإذا كنا نحاول أن نربط بين نصوص بعض الشعراء، وننظر اليها على انها تقع في سياق تكاملي، فإن ذلك لا يمنع من القول بأن ما يقع من تناقضات أو اختلافات في نصوصهم انما يعود أيضا الى غياب الرؤية الواضحة لمنظومة المفاهيم المتعلقة بالنظرية الشعرية لديهم، مما يوقعهم احيانا في التناقض، خصوصا إذا كانوا أسرى أسئلة معينة موجهة لتحقيق غايات معينة لدى السائل.

خصوصية الوظيفة الشعرية:

تبين قراءتنا لنصوص الشعراء النقدية المتعلقة بوظيفة الشعر، أن هذه الوظيفة ذات خصوصية متميزة، ويتمثل هذا التميز في التأثير (عن بعد)، أي انها تؤدي وظيفتها بشكل غير مباشر، من خلال وسيط فني. وهذا الوسيط الفني لا يستعمل استعمالا مؤقتا، بحيث يستغنى عنه بمجرد استعماله، بل يعد - هو ذاته - احد الوظائف التي يؤديها الشعر. ومعنى هذا - بشيء من التبسيط الذي قد لا يخل بتكامل الوظيفة ووحدتها - أن الشعر يؤدي وظيفتين:

جمالية تتحقق من خلال هذا الوسيط، واخرى **فكرية** تتحقق حسب المضمون الذي يحمله النص الشعري. وهذه الطريقة غير المباشرة تحدث عنها غير واحد

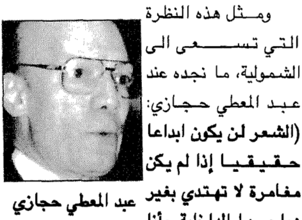



من الشعراء. يقول بلند الحيدري: **(صحيح أن التاريخ لا يكتبه الفنانون ولا الادباء، ولكن الصحيح ايضا أن الفنانين والادباء هم الذين يعدون الشعوب لكتابة تواريخها بدمائها وعرقها وجهدها)**[١١]. وهذا يعني أن العمل الذي يقوم به الشعر انما هو النقر على الاوتار الحساسة في الذات وفي الوعي وفي الوجدان، بحيث تستفز الذات من خلال النقر المتواصل، فتتحرك من اجل احداث التغير المطلوب.

فالشعر يخاطب المنطقة المنفعلة لا الفاعلة في الانسان، لكن العلاقة بين المنطقتين علاقة متعدية، بحيث يستوجب التوتر القائم في المنطقة المنفعلة رد فعل في المنطقة الفاعلة. وهكذا يتم تأثير الشعر وتتحقق وظيفته، كما يفهم من قول بلند الحيدري الذي يضيف: **(إن الادباء في كل مجتمع هم مؤشرات عافية، لانهم يحملونه في التطلع هدفا اكثر كمالا ورغبة تشير لاطراده ونموه وتكامله، وهم إذ يطرحونه بعدا مستقبليا يتجاوزون عتبة الحاضر في ارادة تغييره، وتخطي واقعه الآني الى واقع جديد عبر الشكوى من مثالية أو نقد بعض مظاهره)**[١٢].

يرقى هذا التصور بالشعر الى وظيفة خارقة، فالشعر ليس مهدئا بسيطا ولا علاجا جزئيا، بل هو **امكانية حضارية شاملة** بمقدورها تحقيق الكمال في الهدف، والتكامل في النمو، الى درجة تجعل الشعر بابا من ابواب المستقبل بمعنى انه بامكانه أن يحدث ثورة شاملة في الانسان والمجتمع، تنقله من مرحلة حضارية؛ الى مرحلة اخرى، قد لا يصلها بفعل وسائل المعرفة، أو وسائل الانجاز الحضاري الأخرى.

ومثل هذه النظرة التي تسعى الى الشمولية، ما نجده عند عبد المعطي حجازي: **(الشعر لن يكون ابداعا حقيقيا إذا لم يكن مغامرة لا تهتدي بغير هواجسها الداخلية، وأنا**


عبد المعطي حجازي

أناهض كل دعوة لتسخير الشعر لخدمة أية غاية مباشرة مهما كانت. لكن لا استطيع أن أتصور شعرا بلا لغة، ولا استطيع أن أتصور لغة بلا جماعة ولا استطيع أن أتصور جماعة بلا مشروع)[١٣]، ومع أن حجازي يناهض (كل دعوة لتسخير الشعر لخدمة أية غاية مباشرة)، الا أنه يؤمن أن للشعر وظيفته التي تتعدى الجانب الفني، ولكنها وظيفة لا يستمدها الشاعر من سلطة سابقة عليه أو خارجة عن عالمه، أو من سلطة عليا (سياسية - اجتماعية - دينية.. الخ) ولذلك فقد سعى الى البرهنة على فكرة التجاوز الى الوظيفة الاجتماعية عن طريق الربط بين سلسلة من القضايا تؤدي حلقاتها الى بعضها، فالشعر الحقيقي لا يكون بلا لغة، واللغة لا تكون بلا مجتمع، وليس ثمة مجتمع بلا مشروع وبهذا

يلتقي ما كان عند النقاد تناقضا، ويلتقي الفن والحياة، ولن يعود - إذا صحت هذه الاطروحة - لمقولتي الفن للفن والفن للحياة، أي صلاحية في تفسير الوظيفة الشعرية ما دامت الجمالية والاجتماعية يمكن اجتماعها في نص شعري واحد اجتماعا تكامليا وليس تناقضيا.

وفي هذا الاتجاه يقول عبد العزيز المقالح: **(إن مكان الاديب ينبغي أن يكون رائدا ومشرفا ومستشرفا، وألا يقنع بدور الحاكي أو بدور الصدى، وحين يختار الاديب لنفسه هذا المكان يكون قد اختار لنفسه وظيفة أو سلطة لا تتنافي ولا تتعارض مع سلطة الايديولوجية)**[١٤].

إن سلطة الرؤية الشعرية لا تتنافي - حسب المقالح - مع سلطة الايديولوجية، وهذا ما يقابل فكرة حجازي في **التعايش بين الجمالية والوظيفية.** وهذه مسألة هامة؛ فأن يتحول الشعر الى سلطة، هو تحقيق للذات واستقلال في التفكير؛ بحيث تصبح القصيدة قادرة على بناء وظيفتها بنفسها، من غير أن تتلقى الاوامر من أي حقل معرفي أو غير معرفي آخر.


محمود درويش

وضمن هذا التصور يتحدث محمود درويش عن العلاقة بين الشعر والسياسة، أيهما يخدم الآخر؟ يقول: **(أن يكون الشاعر خادما لقضية سياسية محددة، هذا يقتل الشعر، لذلك أنا ضد تسييس الشعر، ولكن أنا مع انخراط الشعر في الواقع الذي يعبر عنه، وبما أن سمة هذا الواقع سياسية، فلابد للشاعر أن يتعامل مع هذه القضية بأدواته هو وبطريقته هو، وباستقلاله التعبيري عن التعبير السياسي المباشر، وبالتالي فإن الدعوة الى تسييس الشعر دعوة خاطئة أيضا، لأن معناها في الشرط العربي الراهن هو الابتعاد عن الواقع)**[١٥].

يخشى درويش على الشعر أن يتحول إلى ناطق رسمي باسم الحزب أو المؤسسة السياسية، لا باسم الإنسان. فأن يتحدث الشاعر في السياسة بوصفها موضوعا من الموضوعات الشعرية برؤيته الخاصة، أمر منسجم مع منطق الشعر، لكن أن يتحول إلى شعر مؤسسة يعالج موضوع السياسة من زاوية المؤسسة الحزبية، فهذا - حتما - يقتل الشعر. مما يعني أن الشاعر مطالب بالحفاظ على وسائله ومنهجيته ورؤيته للعالم، وليس يضيره أن يكون شعره مستمدا من موضوعات الواقع المختلفة، فما يحقق شخصية الشعر والشاعر هو رؤيته الخاصة للعالم، أما دون ذلك من الموضوعات والادوات فهو من الاملاك الشائعة والشاعر هو المسئول عن تحويلها من اللاشعر الى الشعر.

وسيظل الشاعر شاعرا ما دام يرى برؤيته، ولن يتحول الى دجال أو منافق أو كذاب، الا اذا جعل أرضه معبرا للآخرين، أو أهدى صوته بوقا للمزمرين، أو باع وسائله بخسا للمتاجرين.

ينظر درويش الى المفهومين النقديين اللذين يتقاسمان أمر التنظير للوظيفة في الشعر، أعني المفهوم الفني، والمفهوم الاجتماعي، مفهوم الفن للفن، ومفهوم الفن للحياة، ينظر إليهما على

أنهما قاصران، وقصورهما متأت من فهم غير سليم للظاهرة الشعرية. وبالتالي يردهما معا، إذا كانت العلاقة بينهما علاقة تناقض، وإذا كان التحليل النقدي الذي أفرزهما، يعني أنه لا امكانية للجمع بينهما.

رؤية الشاعر خلاف ذلك، ومن ثم يقترح صيغة ثالثة تتجاوز التناقض النظري في ثنائية الفن والمجتمع من جهة، وتحقق من جهة ثانية الغاية الانسانية للشعر. وهذا الاقتراح الذي يقدمه درويش يستمد من قوله: **«الدعوة الى تسييس الشعر دعوة خاطئة. والدعوة الى ابتعاد الشعر عن السياسة دعوة خاطئة أيضا»** وترجمة هذه الاطروحة نقديا تعني تشكيل مفهوم ثالث يحقق للشعر جماليته في الوقت الذي يحقق فيه وظيفة أخرى اجتماعية أو سياسية أو أخلاقية أو غير ذلك. وبطريقة تلقائية دون تعمد أو تكلف، لأن تلك وظيفة أصلية فيه.

محاولة تركيب:

وبعد قراءة النصوص السابقة وتحليلها يمكن بلورة خلاصة ذلك في الافكار التالية:

أ ـ إن فكرة «الشعرية» مرتبطة بعالم الشاعر، وليس بالعالم الواقعي فالشعر الحقيقي، كما قال حجازي هو الصادر عن هواتف الذات وهواجسها، أو هو الصادر عن الرؤية الاستشرافية كما قال المقالح والحيدري. ونشير هنا الى أن ذات **الشاعر ليست ذاتا منعزلة منفردة**، أو هكذا ينبغي لها أن تكون، **فهي ذات تختزل مجموع الذوات**، أي أن الشاعر مهما كان ذاتيا في تعبيره فإن قدرا ـ مهما كان ضئيلا من صورة المجتمع وقضاياه السياسية والاقتصادية والاخلاقية وغيرها ـ سوف يسكن في لغته وتعبيره. وهذا يعني أن الشاعر وهو يعبر عن لغته يعبر أيضا ـ بنسبة ما ـ عن الآخرين.

وظيفة الشعر لا تُفهم ولا تحدد إلا في ضوء نظرية الابداع الشعري

العلم هو البحث الذى يتحقق والشعر هو البحث الذى لا يتحقق

الشاعر لا يعبر عن الموضوع انما يعبر عن حالة ما بعد الموضوع

اننا نعتقد أن كل حديث عن وظيفة الشعر يجب أن يستحضر، أولا طبيعة الكتابة الشعرية وكيفية تكون القصيدة. فقد تحدث الشعراء كثيرا عن التحولات التي تحدث في اثناء الكتابة والتي لم تكن حاضرة في الوعي قبل ذلك وتحدثوا عن صور وافكار وعلاقات ومشاهد لم تكن تخطر لهم علي بال قبل الكتابة، ولكنها في اثناء الكتابة تسربت الى القصيدة بتلقائية وعفوية. يقول اديسون: **(فاية اشارة الى ما سبقت لنا رؤيته غالبا ما تثير مشهدا كاملا من الصور وتوقظ العديد من الافكار التي كانت تغفو في المخيلة، وقد يكون لرائحة بعينها، أو لون، أن تملا الذهن فجاة بصورة حقول أو جنائن عرفنا**

فيها تلك الرائحة أو اللون أولا، وتجلب للعيان انواع الصور جميعا مما كان يحف بها يوما، ويتسلم خيالنا الاشارة فيقودنا من غير توقع الى مدن ومسارح وسهول ومروج)[١٦]، فإذا كان هذا النص يركز على الجانب التشكيلي أو البنائي للقصيدة، فإنه بالامكان أن ينسحب على الجانب الموضوعي للقصيدة؛ فكما يتكون الشكل أو البناء يتكون الموضوع ايضا، وكما تتكون الصور تتكون المواقف الفكرية في القصيدة. وهذا النص - بالاضافة الى ذلك - يبين كم هو صعب أن نجد الحدود الفاصلة بين الذاتي والموضوعي في الشعر، وبالتالي بين الفني والاجتماعي. لأن القصيدة تخضع لسلسلة من التحولات، ولنمط من النمو خاص، يتراوح بين الذاتي والموضوعي وبين الفردي والاجتماعي.

إن استحضار عملية الكتابة الشعرية يعطي للناقد يقينا بضرورة التفريق بين الوظيفة في الشعر والوظيفة في غيره من اشكال الكتابة، ويعينه علي طرح مسألة الوظيفة بصورة تتناسب مع طبيعة الكتابة الشعرية. بل تمده بفكرة أن الفكرة الشعرية لا تسبق القصيدة وانما تولد معها، كما تولد مع القصيدة جميع عناصرها.

ب - وبناء على الفكرة السابقة، فإن «الفكرة الشعرية» هي الفكرة التي «تنضج» في وجدان الشاعر وعقله، وتنقل بواسطته الى القصيدة. وحينذاك فإن المضامين الاجتماعية والسياسية وغيرها تتحول الى قضايا شعرية، تفقد كثيرا من خصوصياتها الاجتماعية أو السياسية التي ميزتها في حالة ما قبل الشعر وتصبح قضايا خاصة بالشاعر تمتزج بعالمه وتصبح جزءا من هواجسه وأحلامه وكأنما لم يستمدها الشاعر من الواقع وانما ولدت في ذاته. وهذه هي المسألة التي تغافل النقاد عن مواصلة تأملها والبحث فيها.

إن الارتباك الذي حدث في مفهوم وظيفة الشعر يعود - في رأينا - أساسا الى **عدم التفريق بين المضامين الاجتماعية** التي تنتقل مباشرة من الواقع الى القصيدة دون أن تمر على وجدان الشاعر، ودون أن تصطبغ برؤيته، أي دون أن تتحول الى افكار شعرية. **وبين الأفكار التي تنتقل الى وعي الشاعر** فتصطبغ برؤيته، فتولد في عالمه من جديد، ولتأخذ صورة اخرى غير الصورة التي كانت عليها في الواقع، أي لتتحول الي شعر والمعروف في نظرية الابداع أن ثمة مرحلة الفكرة، وهي مرحلة ما قبل الشعر، ثم مرحلة الشعر. وحين يتم التفريق الدقيق بين هذين الاسلوبين في الكتابة، وهاتين المرحلتين في التفكير، فإن مسألة الوظيفة في الشعر ستطرح في شكل سؤال عن الاسلوب الذي تتحقق بوساطته هذه الوظيفة شعريا، وليس عن الوظيفة ذاتها.

فالنظرة النقدية التي ترد الشعر الرديء المباشر، لو تاملت الامر اكثر لتبين لها أن سبب سقوط هذا الشعر ليس المضمون الاجتماعي مثلا بل هو الاسلوب المباشر (غير الشعري) الذي انتقل من الواقع الى القصيدة دون أن يمر على قناة الشاعر ويبقي على حالته الخام. وهذا ما عبرت عنه الشكلانية الروسية في صيغة قريبة مما كان الشعراء الذين تناولنا بعض نصوصهم في هذا المقال، فقد كتب (ميدفيديف): **(أن على**

الشاعر النهوض بمسئوليته الاجتماعية، ولكنه حين يفعل ذلك لابد أن يترجم هذه المسئولية الى لغة الشعر ذاتها. أي انه لابد أن يجعل من المشكلة الاجتماعية مشكلة شعرية تحل بواسطة الادوات الشعرية ذاتها)[١٧].

ج ـ **من أجل أن يكون الشعر شعرا حقيقيا، عليه أن يعلن انتماءه الى الانسان لا إلى الأشخاص**، إلى الافكار لا إلى المؤسسات، إلى الرؤيا لا إلى الالتزام، **فالشعر ضد التقسيمات الهشة والأفكار الكسولة** التي لا ترقى بالتأمل والتحليل إلى الآفاق البعيدة، وضد الرؤى التى لا ترى في الشعر سوى وجه واحد، أو ترى وجهين متناقضين. الرؤية الموحدة هي الرؤية المنسجمة مع حقيقة الشعر، اعني الرؤية التي تدرك الكل في صفته الكلية ولا تجزئه الى اجزاء متناقضة.

إن الشعر يؤدي وظيفته من خلال هويته، ويعبر عن المضامين الاجتماعية والانسانية لكن بوسائله. وقد سبق أن طرحنا في مطلع هذا المقال سؤالا حول ما اذا كانت الجمالية تنفي الاخلاقية أو العكس، ولا شك أن الشعراء نظروا الى المسألة نظرة فيها اختلاف عن نظرة النقاد في الشمولية والعمق.

د ـ ورث النقاد ـ وصنعوا ـ ثنائيات، ان كانت تستقيم مع الفكر الفلسفي والعلمي، فإنها لا تستقيم ـ بالضرورة ـ مع الشعر، والفن بعامة. ثم اصبحوا اسرى هذه الثنائيات، واصبح تفكيرهم محكوما بمنطقها. **وفي مجال الوظيفة الشعرية تبرز ثنائية الذاتي والموضوعي**، بوصفها الثنائية المتحكمة في كثير من الاحكام النقدية، فالقول بالذاتية يعني مجانبة الشعر بينما يعني القول بالموضوعية اجتماعيته أو إنسانيته. لكن الشعر ليس بسيطا الى حد يقبل فيه هذا التصنيف، فالظاهرة الشعرية تبلغ من التعقيد حدا يجعل معظم التنظيرات النقدية التي دارت حولها موضع مراجعة دائمة، وهو ما يحدث ـ حقيقة ـ في الواقع النقدي..

نعتقد أن أمر الذاتية والموضوعية مما يمكن استعمالها حين يتعلق الامر بدراسة ما دون الشعر، أي الاشكال المعرفية التي تنتهي قبل أن يبدأ الشعر، فإذا كان الشعر يبدأ في المرحلة التي ينتهي فيها (الفكر) وتنتهي فيه (اللغة)، وإذا كانت الكتابة الشعرية طموحا لتحقيق المطلق الذي لا يحققه الا الشعر[١٨]، وإذا كان (الشعر تقريبا هو من النثر بمنزلة الصراخ أو الانين في الكلام)[١٩] فإن الثنائيات ومنها (الذاتية/ الموضوعية) تنتهي عند الحدود التي ينفصل فيها الشعر عن الفكر أو الكلام، ويتحول الى «صراخ أو أنين»، مثال هذه الثنائيات تؤدي عملها إلى أن يأخذ الشعر في الانفصال عن العادي فتصبح آنذاك غير قادرة الى الفعل.

ثم إننا نعتقد أن الشعر لا يأخذ في التحقيق إلا بعد أن يجتاز حدود التناقض الذي هو مبعثه أساسا، بمعنى لو أننا افترضنا أن حالة من الحزن أو من الفرح هي الدافع إلى الكتابة الشعرية لدى شاعر ما، فإن هاتين الحالتين لا تتحولان الى شعر إلا بعد أن تفقد كل منهما بعضا من طبيعتها وتسمو الى ما هو أعلى منها وأبعد من طبيعتها العادية وأشمل من فرديتها.

فالفرح العادي أو الحزن العادي لا يصنعان

الشعر، ولكنهما يصنعانه حين يصلان الى درجة روحية يصبح الفرح فيها مساويا للحزن من حيث الكثافة الوجدانية والتأثير على الذات، وهي درجة تنتفي فيها ثنائية العاطفة، لانهما تحولا ـ عند هذه الدرجة الروحية ـ الى حالة من الجمالية. كأن الأمر شبيه بالتحليل الكيمياوى الذى تتحول فيه العناصر الاصلية الى مكونات جديدة مختلفة عن أصلها، ولم يعد الحزن أو الفرح شعورين متداولين عاديين كما يعيشهما غير الانسان الشاعر، يقول البياتي: (**أكتب عندما لا أكون في ساعات فرح أو حزن، وعندما تحل السكينة والسلام في نفسي، وأقترب اقترابا من حافة الوجود**)(٢٠).

حين يلتقط الشاعر العناصر الاولية المكونة للشعر من لغة وفكر وعاطفة، يقوم جهاز التوليد الشعري بعملية صهر لهذه العناصر، ثم يولدها مجتمعة ومختلفة عن أصولها، وتتشكل بعد ذلك في شكل جديد كل الجدة هو الشعر. والامر قريب مما يفعله الحداد حين يقوم بعملية صهر عدة معادن مختلفة ليشكل منها كائنا جديدا مختلفا عن العناصر المكونة منه.

هـ ـ والحقيقة أنه يجب الا يعمم المفهوم الذي يتوصل اليه من خلال فن واحد على بقية الفنون، فكما أن لكل فن خصوصية في الماهية والابداع والشكل، فإن له خصوصية في الوظيفية ايضا. فما تحققه المسرحية أو الرواية أو القصة، يختلف كل الاختلاف ـ أو بعضه على الاقل ـ عما تحققه اللوحة أو القطعة الموسيقية أو القصيدة الشعرية.

فالقصيدة تكتب في حالة روحية تختلف بشكل كبير عن الحالة التي تكتب فيها المسرحية أو الرواية، وهي حالة تستجيب لما استقر في الذات من عناصر فكرية ووجدانية من خبرات وتأملات وأحلام. والشاعر في هذه الحالة يتجاوز التفكير في ثنائية الذاتية والموضوعية اللتين يمكن أن تطرحا في النثر بصوت عال، ولا يصدر عنها، لانه في حالة اندماج وتوحد تمنعانه من التفكير المتعمد في هذه الثنائية، وهذا الاندماج ايضا يجعله في منأى عن التفكير فيما دون الشعر، والسؤال عن التجربة الشعرية: هل هي ذاتية أو موضوعية هو سؤال فيه اغفال أو تغافل عن طبيعة الكتابة الشعرية: (**يجب أن نتذكر بأنه، ولو أن موضوع أية قصيدة قد ينشأ من تجربة مفردة الا أن صورها تستقي من حقل أكثر سعة من التجربة الكلية لحياة الشاعر**)[٢١] ويمكن ـ قياسا على رأي هذا الشاعر الانجليزي ـ القول بأن **القصيدة التي تنشأ من تجربة جماعية سرعان ما تتحول الى تجربة فردية**، وهذا هو منطق الشعر، يندمج فيه الذاتي بالموضوعي، والحاضر بالماضي، والحلم بالحقيقة، والاسطوري بالمنطقي، والخاص بالعام، وهكذا. وبالتالي فإن صح مثل هذا التحليل، فإنه يدعونا الى القول بهشاشة السؤال عن الذاتية والموضوعية في الشعر، كما يدعونا أيضا، وطبقا له، الى القول بهشاشة السؤال عن الجمالية والاجتماعية وغيرهما من الثنائيات التي تقع خارج منطقة الشعر. فالشعر يتحقق حين يتجاوز منطق التناقض ويصل الى درجة الوحدة، وفي هذه الدرجة الخارقة تنتفي الثنائيات. وفي ضوء هذا

التحليل يمكن أن نفهم أطروحة البياتي التي أوردها سابقا والتي اجتهدنا في تأويلها بالكلية.

و- ينبغي ايضا أن يعاد النظر في مسألة الوظيفة في الشعر في ضوء ما يريده الشاعر من شعره، هل يسعى الى معنى معين وتقريبه الى المتلقي، أم انه يطارد هاجسا شبحي الملامح عصيا علي المتابعة.

إذا عدنا الى تفاصيل عملية الابداع - وهي مرجعنا في تفسير مسائل الشعر - فإننا نجد تصريحات للشعراء تؤكد على أن **الشاعر يطارد هاجسا، غير أنه لا يمسك به، وكل ما هناك أن عملية المطاردة تترك وراءها سيلا من الالفاظ هو ما نسيمه القصيدة.**

يقول عبد الوهاب البياتي **(هجرتي تبدأ من حيث السندباد انتهى، وأكتشف أن النص الحقيقي ليس هو النص الذي كتب)**[٢٢]، وهذا تأكيد على أن العملية الشعرية (قد) لا تصل الى ما حدده الشاعر سلفا، وأن **القصيدة التي كتبها الشاعر ليست القصيدة التي حلم بها قبل الكتابة.** ويقول أدونيس في نص أكثر وضوحا وتفصيلا: (لا يمكن للشعر في مستوى الفاعلية الشعرية وخصوصيتها - أن يعرف ما يريد، المعرفة كلها، إذ لو عرف لبطل - في مستوى هذه الفاعلية، أن يكون شاعرا. وهنا النقطة التي تميز الشعر عن غيره من الفاعليات وتحدد خصوصيته: **فإذا كان العلم - مثلا - هو البحث الذي يتحقق، فإن الشعر هو البحث الذي لا يتحقق)**[٢٣].

الشعر يخاطب المنطقة المنفعلة في الانسان، لا الفاعلة

الشعر يؤدي وظيفته من خلال هويته

الشاعر يظل يطارد هاجساً لا يمسكه

مهمة الشاعر تنسيق أحزان العالم

وبؤرة هذا النص هو علاقة الشاعر بموضوعه، وهي العلاقة القائمة علي الانفصال النسبي، مما يجعل الشاعر تحت تأثير سلطة الانشاء والتعبير والابداع الجمالي، بمعنى أن الشاعر يعيش في هذه اللحظة حالة من الانخطاف الصوفي يضيع فيها ما كان قد جلبه معه من عالم النثر، ولا يبقى معه إلا ما تحول الى عناصر ذاتية اتحدت بكيانه وذابت في مكوناته.

وقد استوحي البير يس من الرمزية مفهوما للابداع قريبا مما نحن بصدده حين قال عن الشاعر **(انه يتطلع في الواقع الى ما لا يمكن تحديده لا الى تلك الافكار والمفاهيم والعواطف الاعتيادية التي حددها منطقنا)**[٢٤]. ومعنى هذا اننا **لو حاولنا أن نحدد للشاعر ما يريد بدقة لاعدناه الى ما قبل الشعر.**

وبناء على فكرة اللامحدود التي تمثل طموح الشاعر، فقد ذهب بعض الشعراء والنقاد الى

القول بوظائف لا محدودة أو خارقة. مثل القول بأن **مهمة الشاعر هي (تنسيق احزان العالم)**[٢٥] أو **(التعبير عن المعنى الغامض لظاهر الوجود)**[٢٦]. أو انه **(يصبو الى أن يكون وحيا)**[٢٧]. أو أنه **(يرفع ضد الرؤية والخيال الروتينيين عالما لا غور له، وافقه على وجه التحديد كل ما نهمله)**[٢٨]. أو انه **(يعلمنا أن نرى ما لا يرى عادة)**[٢٩].

لا تبدو مثل هذه التحديدات اكثر من هواجس غامضة، لا تقرب الى المتلقي شيئا محددا بالمعنى العلمي للتحديد، ولكنها بالمعنى الشعري منسجمة في ماهيتها مع ماهية العملية الابداعية، فإذا كان الشاعر (لا يعرف ما يريد المعرفة كلها) فإن ما يحققه الشعر ايضا لا يمكن معرفته المعرفة كلها ولا تحديد غايته التحديد كله، ذلك لاننا قلنا أن **الشاعر لا يعبر عن الموضوع وانما يعبر عن حالة ما بعد الموضوع**، وهي الحالة التي يتحول فيها الموضوع الى حقيقة اخرى، أو بدقة اكثر الى حقيقة شعرية. إن آليات العمل الشعري تقوم (باستخلاص) روح الموضوعات وتجسيدها لغويا، أما ما بقي مما هو دون الروح فيظل في منطقة النثر، وواضح أن الغامض المشار اليه سابقا هو ما يتعلق بالروح، ومن هنا يرتبط الشعر دائما بالغموض.

وخلاصة ما ننتهي اليه أن **وظيفة الشعر لا تفهم ولا تحدد بشكل دقيق الا في ضوء نظرية الابداع الشعري** وكل تحديد يهمل تفاعلات العملية الابداعية سوف يتجه لا محالة نحو أمور هامشية. وفي ضوء هذا يمكن أن نقول أن الشعر يؤدي وظيفته، وهي وظيفة واحدة، يحقق بها ذاته، وهذه الوظيفة لا تسبق القصيدة وانها تأتي معها. وأن الوظيفة التي نتحدث عنها في الشعر هي الوظيفة الشمولية، التي إن اختلفت تسمياتها فإنها تعني أن للشعر وظيفة واحدة. وأما ما يقوله النقاد عن اقسام وتصنيفات، فليس سوى عناصر وظيفية لا تستقل عن الوظيفة الكلية.

ولو تجرأ شاعر أو ناقد أو منظر، وقال بالعدمية المطلقة، ونفى أن يكون للشعر أية وظيفة على الإطلاق، فلن يكون لاطروحته سوى موقع رد الفعل، ولن ترقى إلى الفعل الأصيل، لأن لكل سلوك بشري معنى، ولا يمكن القول بالمجانبة المطلقة، وخصوصا ونحن نعيش تدفقا لنظريات التأويل والتلقي التي تبحث عن المعنى ولو في ما نتصوره عديم المعنى. إن الحقيقة الشعرية اكبر من النقد والتنظير، وعلى صخرتها كم انكسرت من احكام وتحطمت من تحاليل.

وكذلك لو تجرأ شاعر أو ناقد أو منظر، ونظر الى الشعر على أنه واسطة بين الفكر والمتلقي، أو المجتمع والمتلقي، أو أنه مجرد أداة تسعى الى تحقيق عملية التواصل في الميدان الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي أو غيرها، فلن يكون لمثل هذه الاطروحة أية مصداقية بالنظر الي الحقيقة الشعرية التي هي اكبر من أن يحيط بها حكم جزئي لا يرى في الظاهرة الشعرية الاما ادركته حواسه.

وهكذا تبدو حقيقة الشعر وما يتفرع عنها أكبر من أي تنظير، وكل مقاربة لا شك في انها ستقف عاجزة عن بلوغ غايتها منها.

الهوامش:

(١) عبد العزيز المقالح، ثرثرات في شتاء الادب

العربي، دار العودة، بيروت ط١، ١٩٨٣: ٤٢.
(٢) محمود الربيعي، مداخل الى دراسة الادب العربي، مجلة عالم الفكر (الكويت)، المجلد ٢٣.ع:١ - ٢ - ١٩٩٤: ٢٩٨. وايضا. فاضل تامر. اللغة الثانية. المركز الثقافي العربي. (بيروت - الدار البيضاء) ط١. ١٩٨٠: ١٢.
(٣) ريتشاردز. العلم والشعر. ترجمة مصطفى بدوي. مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة ١١.
(٤) ديفيد ديتشس. النقد الادبي بين النظرية والتطبيق. ترجمة محمد يوسف نجم. دار صادر. بيروت ١٩٦٧: ١٥.
(٥) البياتي في . نبيل فرج. مملكة الشعراء. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٨: ٩١.
(٦) أدونيس. فاتحة لنهاية القرن. دار العودة. بيروت ط ١. ١٩٨٠: ١٠٥.
(٧) ممدوح عدوان. لابد من التفاصيل (شعر). دار الكلمة للنشر. بيروت. ط ١. ١٩٨٠: ١٠.
(٨) ممدوح عدوان مجلة الحرية. ع ١٧/٨٣. ٢٢/٥/١٩٨٣. ص ٤١.
(٩) المقالح. م.س. ٧٤.
(١٠) نفسه: ١٩.
(١١) بلند الحيدري. اشارات ونقاط ضوء. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ط١: ٩٥.
(١٢) نفسه: ٢٨.
(١٣) عبد المعطي حجازي. مجلة التبيين (الجزائر) ع١، ١٩٩٠: ١٢٦.
(١٤) المقالح .م.س: ١٤١.
(١٥) محمود درويش، مجلة الحوادث ع ١٥٢٢، ٣ يناير ١٩٨٦: ٤٩
(١٦) برانت. التصور والخيال. في عبد الواحد لؤلؤة (موسوعة المصطلح النقدي) مج:٢. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ط ١: ٢٠٢.
(١٧) محمود الربيعي. مجلة عالم الفكر (المعطيات السابقة): ٣٠١.
(١٨) ج.م. جويو. مسائل فلسفة الفن المعاصرة. ترجمة سامي الدروبي. دار اليقظة العربية. بيروت ط٢، ١٩٦٥: ١٦٥.
(١٩) نفسه ٢٢٠.
(٢٠) البياتي. كنت أشكو الى الحجر. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ط١، ١٩٩٣: ٥٢.
(٢١) دي لويس. الصورة الشعرية. ترجمة احمد نصيف الجنابي وآخرين. بغداد ١٩٨٢: ٨٤.
(٢٢) البياتي م.س: ٣١.
(٢٣) أدونيس. سياسة الشعر دار الآداب. بيروت. ط ١، ١٩٨٥: ١٥٨.
(٢٤) البير يس. الاتجاهات الادبية الحديثة، ترجمة جورج سالم. منشورات عويدات، بيروت ط٢، ١٩٨٠: ١٢٩.
(٢٥) هاوسمان، في دي لويس: م.س: ٣٨.
(٢٦) البير يس. م . س ، ١٣٠.
(٢٧) نفسه: ١٣١.
(٢٨) نفسه: ١٤١.
(٢٩) نفسه: ١٤١.

شاعر من بلادي

الشيخ أحمد بن علي عبد الفتاح الحازمي، واحد من علماء المنطقة الجنوبية (جازان) المعروفة قديماً باسم (المخلاف السليماني).

شغل عدة وظائف في القضاء ثم في امارتي نجران وجازان .. انتقل الى رحمة الله تعالى في ١٤١٠/٣/١١هـ.

الشيخ احمد بن علي يعتبر واحداً من شعراء المنطقة يتسم شعره بالسلاسة والخفة، وصدق العاطفة، وغالباً ما يأتي شعره عفو الخاطر من غير تكلف فيه.

يقول في إحدى قصائده:

رفقا بقلبي أيها الظبي الأغن
وبنا رويداً يا غزيلات الوطن
أنوافر عن ربعنا ونواكث
ميثاقنا وغوافل عن ود من
يدري بأن البر كتمان الهوى
ودموعه شهدت عليه بما أجن

شاعرنا لم يكن بعيداً عن مجتمعه والواقع الذي يعيش فيه بل إنه كان متتبعاً لسلبيات المجتمع محاولا إصلاح الفاسد وتقويم المعوج وله في ذلك قصيدته الحواريه - وهي تربو على مائة بيت - ناقش فيها أضرار الدخان والقات بأسلوب شيق في شعره اللطيف. وجعل النقاش يدور حول حسناء تندب حظها، منيت بزوج من المدمنين على القات تشاغل عنها بشرب الشيشة والدخان ومضغ القات فقال على لسانها:

وقالت بعدما سردت عتاباً
تلين للطفه صمّ الصخور
أيهجرني الضجيع بلا نشوز
ويلهو ويله دوماً بغيري
لقد غبن السفيه ونال خسراً
أعاض الله غالية المهور
أيعدل نحو مضغ القات عني
كمضغ النوق من شجر البرير
ويودعه إلى حين بفيه
فينفخ خده كجراب كير
ومن دوني العكاف على دفار
متوجة ببركان السعير
إذا أمسكت مبسمها للثم
سمعت رغاها مثل البعير
وليس رضابها إلا دخاناً
وليس غناؤها غير الزفير
وتخلع تاجها فيهم مراراً
لترجيع بجمر مستطير

محمد بن يحى الحازمي
- جازان -

إلى أن قال على لسان الزوج:

تثنى الغصن يغني عن قدود
ويحكي رونق الوجه النضير
هويناه فأكسبنا نشاطاً
وأنسانا بريات الخدور
فمالي والتردد نحو نجد
وما شأني وتحريك السرير
وأمّا من نظل لها عكوفا
فأطهر مرضع وأبر خير

ولقد كان رحمه الله يتسم بالمرح مع أصدقائه ومحبيه وله معهم مكاتبات شعرية قال في قصيدة ردّ بها على قصيدة وردته من أحد أصدقائه حيث قال:

جدد العهد لنا نشر الصبا
نسمات أمنحتنا طربا
هزت الأعطاف مني فرحاً
بعد ما كنت أقاسي الكربا
أنبأتني عن ليالي راحتي
وحكت أيام أنس ذهبا
ذا وقت آه لو عاد لنا
لقضى مني وصال القربا
وشفينا دامي القلب الذي
بات من نار الأسى ملتهبا
أضرم الوجد به جمر الغضا
طالما هام الى تلك الربا
بيد أني سامي الهمة في
طلب العليا أحثّ الطلبا

ولقد كان يرى أن الراحة هي في العلم وأن الفخر في طلبه وتدريسه حيث يقول:

راحتي في العلم فخري درسه
ذاك دأبي لا أريد المكسبا
هاجني ما جاء في (ولينفروا)
فنفرنا وأتبعنا السببا
وفطمنا النفس عن لذاتها
كفطام الطفل أيام الصبا
لا أبالي بهناها إن أتى
أو مضى مهما قضيت الأربا

ثم هو بعد ذلك يوصي في ثنايا شعره باحترام العلماء وإجلالهم واعطائهم حقهم من التكريم فقال:

وحديث العلماء هم وارثوا
أنبياء الله فيما كتبا
إنما العالم كالبدر إذا
طلع البدر أزاح الشهبا
إن أتيت الحق في مسلكه
قلت هذا الفخر ليس النسبا
لا تقل عمي وجدي وأبي
كم ترى من ولد ساد أبا

ومن عادة الحساد الوشاية بين المتحابين لزرع البغضاء بينهم فشاعرنا ينصح بالتغاضي عن الواشي وضرب الصفح عنه فذلك أشد ألماً عليه من الكلام فقال:

سادتي لا عتب ما هذا قلى
وثناء ما مضينا حقبا
أضربوا الصفح عن الواشي إذا
ما أتى يلقى حديثا عجبا

وكعادة الشعراء فإن شاعرنا دائما يردد في شعره بلدته ومسقط رأسه «العريش» فنجده يتغنى بها وبروابيها وبالسيل المتدفق في أراضيها حيث يقول:

سرى عارض نحو العريش فاصدقا
وأومض منه بارق وتألقا
هو المزن حيّاهم وجاد بأرضهم
وبات عليهم سيله متدفقا
هو الوابل المنهل قبّل تربهم
ليكسو الثرى من سندس النبت رونقا
بلاد بها أنسي ودار أحبتي
ومجتمع الإخوان أهل وأصدقا
تذكرت عهداً والفتى يذكر الصبا
ويبقى ادّكارى لو علا الشيب مفرقا
خليليّ عنى بلّغاهم تحيتى
وعوجا على دار الحبيب وأطرقا
وقولا بأني فوق ما يحسبوننى
فما كان لي صداً ولا خنت موثقا
سوى أنني رمت المعالي فليس لي
توان ولو حاولت شرقا ومغربا
فيا خير من حاز الشهامة والعلى
على وجهه نور السيادة أشرقا
سلام عليكم ما سقى الأرض حبيب
وما حنّ رعد بالعريض وأبرقا
وما طلعت شمس وما قال منشر
سرى عارض نحو العريش فاصدقا

هذا وإن شاعرنا الراحل كان عميق الولاء لدولتنا الرشيدة مشيداً بموقف الملك عبد العزيز من قضية فلسطين حيث يقول:

العدل غاية ما تسعى له الأمم
وحيث ما حلّ مقرون به السلم
يا ابن السعود وما اغناك عن مدحي
آمال يعرب في ناديك تزدحم
فاصدع بأمرك إن الحق منتصر
والشمل مجتمع والصدع ملتئم
والله قد وعد الإسلام نصرته
وعروة الدين ما والله تنفصم

وعلى الاجمال فإنّ ما خلّفه العالم والأديب الراحل من شعر لهو ذخيرة من الذخائر يجب أن تكون موضع عناية منا جميعا فهي ثروة من ثروات هذا البلد التي يجب علينا الإهتمام بها وعلى أبنائه يقع عبء جمع ما تفرّق من شعره وإخراجه للناس حتى تعمّ الفائده. وما سطرته من شعر شاعرنا ما هو إلا قليل من كثير وغيض من فيض أتحفني به والدي الشيخ/ أحمد بن عبد الله الحازمي أحد تلامذة الفقيد.

وما هذه سوى مشاركة مني وفاء بحق شاعر عالم حلّق في سماء الأدب والشعر فمن حقه على أدباء هذه المنطقة وبخاصة نادي جازان الأدبي القيام بدراسة وجمع انتاجه الشعري.

أمواج الخليج العربي

شعر : على أحمد الرفاعى ـ جازان

تلاطمت أمـــواجـــه بـعـــزة شـــمـــاء
وســـمـت تعـــانق نجـــمـــة الجـــوزاء
بحـــر العـــروبـة والســـمـــاحـــة والندى
بحـــر يقـــاوم غـــازي الأعـــداء
ســـمـــاؤه شـــهـب تألق ضـــوؤهـا
وأرضـــه تبـــر بيـــد الكرمـــاء
مليكنا الفـــهـــد حـــامي عـــزه
له المكارم كلـهـــا بـوفـــاء
آل الســـعـــود الغـــر أكـــرم عـــزهم
كل البـــرية أغـــدقـــوا بســـخـــاء
من يبـــتـــغي بحـــر المجـــرة قـــاصـــداً
نـور الخليج فـــوق كل ســـمـــاء
إن الخليج وإن تقـــادم عـــهـــده
مـــثل الشـــمـــوس ســـاطع بسناء
يوم الوغى أشـــبـــاله ورجـــاله
يســـابقـــون النار في الهـــيـــجـــاء
بذلوا النفـــوس رخـــيـــصـــة لحـــيـــاضـــه
وترفـــعـــوا عن خـــســـة الجـــبناء
أبناء يعـــرب من يروم حـــيـــاضـــهـــم
تصـــلاه نار تلهب الأحـــشـــاء
خليـــجـــنا بحـــر المودة والكرم
وبنوه ابطال بنو الخنســـاء

لمحة اقتصادية من زاوية قرآنية

٢ ـ ٢

في الجزء السابق من هذه الدراسة القيمة تحدث الأستاذ الدكتور باجودة عن مجموعة من الملامح المتعلقة بالجوانب المالية والاقتصادية، منها حفظ مال اليتيم حتى يبلغ رشده، والتعامل بالامانة والصدق في مال السفيه، وأسلوب التعامل في الشراكة المالية، وبعض قضايا الميراث.. وهي ملامح تمتلىء بها حياتنا المعاصرة وهذا هو الجزء المكمل لما سبق.

النهي عن الإسراف وعن الاعتداء في التحريم والتحليل:

أحلّ الله سبحانه وتعالى الطيبات لعباده وأباح لهم أن يأخذوا نصيبهم من الدنيا، وحرّم عليهم الخبائث، ونهاهم عن الإسراف وبطر النعمة والكبر وغمط الناس حقوقهم. وإنّ المسلم حينما يأخذ نصيبه من الدّنيا بقصد أن يحقق الهدف الذى من أجله خلقه الله تعالى وهو عبادته جلّ وعلا وحده لا شريك له، يكون ذلك الأخذ من الدنيا مظهراً من مظاهر العبادة ما دام المسلم يطبق في أخذه نصيبه من الدنيا تعاليم القرآن الكريم وتعاليم أشرف المرسلين. ومن ألطف ما يلاحظ على منهج الإسلام التربوي أن الحياتين الأولى والآخرة متلازمتان بحيث إن الأولى ينبغى أن تفضي إلى الآخرة وإن الآخرة ينبغى أن تكون غاية للأولى وثمرة لها. وحينما يكون هذا المعنى واضحاً في ذهن المسلم راسخاً في نفسه تكون معالم طريق حياته في سفره إلى الله تعالى واضحة، وصواها لا لبْسَ فيها ولا خفاء.

إنّ القرآن الكريم يقرر أن الله سبحانه وتعالى قد هيأ لنا أسباب الحصول على اللباس الذي يوارى سوءاتنا ويستر عوراتنا، وعلى الرّياش التي نتزين بها ونتجمل، كما يقدّر أن لباس التقوى المعنوي خير من لباس الكمال الذي يواري السوءات ولباس الجمال الذي تحصل به الزينات.

قال تعالى[٣٠]: {**يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً، ولباس التقوى ذلك خير، ذلك من آيات الله لعلهم يذكّرون**} والقرآن الكريم يأمر بأخذ لباس الزينة والكمال والفضل والوقار الذي يليق بكل من الجنسين عند كل مسجد، ويأمر بالأكل والشرب أمر إباحة، وينهى عن الإسراف، وينعى على الذين يحرّمون على أنفسهم وعلى عباد الله تعالى زينته التي أخرجها جل وعلا لعباده ويحرّمون الطيبات من الرزق، وينكر على الذين يحرّمون غير ما حرّم الله تعالى. إن تحريم ما أحلّ الله تعالى اعتداء، وإنّ تحليل ما حرّم الله تعالى اعتداء. قال تعالى[٣١]: {**يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحبّ المسرفين. قُلْ من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرّزق. قل هي للذين آمنوا في**



بقلم: أ.د. حسن محمد باجوده
عميد كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ

الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة. كذلك نفصّل الآيات لقوم يعلمون. قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون}.

وقد جاء خطاباً لقارون قوله تعالى[٣٢]: **{وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسَن اللهُ إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إنّ الله لا يحب المفسدين}.**

والله سبحانه وتعالى هو الذي زيّن لنا هذه الشهوات التي أشارت إليها الآية الكريمة من سورة آل عمران[٣٣] قال تعالى: **{زُيِّن للناس حبُّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث. ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب}.**

والخيل المسوّمة المعلمة بالشّيات الحسان الرائعة حسناً لمن رآها. لأن التسويم في كلام العرب هو الإعلام. فالخيل الحسان مُعْلمةٌ بإعلام الله إياها بالحُسن منْ ألوانها وشياتها وهيآتها[٣٤].

وقال تعالى[٣٥]: **{يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين. وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون}** وقال تعالى:[٣٦] {يأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين} وقال تعالى[٣٧]: **{يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون}.**

النهي عن أكل أموال الناس بالباطل:

نهى القرآن الكريم عن أكل أموال الناس بالباطل في كل الصور ووصف ذلك الكسب بأنه خبيث. جاء في سورة المائدة[٣٨] قوله تعالى: **{قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون}** وجاء في النهي عن أكل أموال الناس بالباطل قوله تعالى[٣٩]: **{ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتُدْلُوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون}**، وقال تعالى[٤٠]: **{يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم، ولا تقتلوا أنفسكم إنَّ الله كان بكم رحيما}.**

وجاء في السّارق والسّارقة قوله تعالى[٤١]: **{والسارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله. والله عزيز حكيم. فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإنّ الله يتوب عليه. إن الله غفور رحيم. ألم تعلم أنّ الله له ملك السماوات والأرض يُعذّب من يشاء ويغفر لمن يشاء. والله على كل شيء قدير}.**

وجاء في قاطعي الطريق قوله تعالى[٤٢]: **{إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقَتَّلوا أو يُصَلَّبوا أو تُقَطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض. ذلك لهم خزْيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم. إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم}**، وبشأن الآية الكريمة الأولى: «قال الجمهور: هذه الآية مُنْزلة على أحوال كما قال أبو عبد الله الشافعي: أنبأنا إبراهيم بن أبي يحيى عن صالح مولى التوأمة عن ابن عباس في قطّاع الطريق إذا قتلوا وأخذوا المال قُتلوا وصُلبوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا المال نفوا من الأرض»[٤٣].

على أن الرّبا هو الذنب الذي أعلن الله تعالى ورسوله {صلى الله عليه وسلم} الحرب على مرتكبه. وقد تحدث القرآن الكريم عن الرّبا في عدة مواضع مرتبة ترتيباً زمنياً. جاء في سورة الرّوم[٤٤] المكية قوله تعالى: **{وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله**

فأولئك هم المضعفون} وجاء في أثناء الحديث عن غزوة أحد في سورة آل عمران[٤٥] المدنيّة قوله تعالى: **{يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الرّبا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون. واتقوا النار التي أعدت للكافرين. وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون}**، وجاء في سورة البقرة[٤٦] المدنيّة آخرُ ما ختم به التشريع والبديلُ الصحيح للرّبا وذلك في قوله تعالى: **{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الرّبا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله. وإن تُبْتُمْ فلكم رءوس أموالكم لا تَظْلِمون ولا تُظْلَمون. وإن كان ذو عُسْرَة فَنَظِرَةٌ إلى ميسرة. وأن تَصَدَّقُوا خير لكم إن كنتم تعلمون}**.

الحث على الإنفاق مما رزق الله تعالى:

إنّ من سمات المتقين الإنفاق مما رزق الله تعالى. وقد قال عزّ من قائل في صفات المتقين في أول سورة البقرة[٤٧]: **{الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون}** وقد جاء في الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله تعالى قوله عزّ من قائل[٤٨]: **{والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون}**.

وحينما تحدثت إحدى آيات عباد الرحمن من سورة الفرقان[٤٩] عن كيفية إنفاق هؤلاء العباد مرّت على الإنفاق مروراً عابراً باعتباره شيئاً لابد منه ووقفت عند الإرشاد إلى كيفية هذا الإنفاق. قال تعالى: **{والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما}** إنّ عباد الرحمن حينما ينفقون لا يسرفون ولا يبذرون من ناحية ولا يقترون ولا يبخلون من ناحية أخرى إنما يسلكون الطريق الوسط في الإنفاق وفي سائر شئونهم وقد قال الله تعالى في شأن هذه الأمة في سورة البقرة[٥٠]: **{وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرّسولُ عليكم شهيدا}** وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً: أي خياراً عدولا[٥١]، والوسط اسم لما بين الطرفين. وُصف به المسلمون فأطلق على الخيار من الشيء لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل[٥٢] والأوساط محمية محوطة[٥٣] ومن الآيات الكريمات التي أرشدت إلى كيفية الإنفاق وعينت بعض الفئات المنفق عليها مقدِّمة الأوْلى فالأوْلى بعض آيات الحكمة من سورة الإسراء[٥٤] قال تعالى: **{وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تُبَذِّر تبذيرا. إنّ المبذّرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطانُ لربّه كفورا. وإمّا تُعْرِضنّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا. ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلَّ البسط فتقعد ملوماً محسورا. إنّ ربّك يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر. إنّه كان بعباده خبيراً بصيرا}**.

ومن الآيات الكريمات التى بيّنت حقّ الله تعالى بعبادته جلّ وعلا وحده لا شريك له، وحقّ عباد الله تعالى مقدّمة الأولى فالأولى، ناهية عن البخل وعن المراءاة الآيات الكريمات من سورة النساء[٥٥] قال تعالى: **{واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القُربى والجار الجُنُب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم. إنّ الله لا يحب من كان مختالا فخورا. الذين يَبْخَلون ويأمرون الناس بالبُخْل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا. والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر. ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قرينا. وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله، وكان الله بهم عليما}**.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: الجار ذو القربى: الذى بينك وبينه قرابة[٥٦] والجار الجُنُب: الذي ليس بينك وبينه قرابة[٥٧] والجُنُب في كلام



العرب البعيد، ومنه قيل للجنب جنب لاعتزاله الصلاة حتّى يغتسل[٥٨]، وقال ابن عباس: الصّاحب بالجنب: الملازم. وقال أيضاً: رفيقك الذى يرافقك[٥٩] والمراد الذي يرافقك في الحضر كالعمل أو في السفر.

ومن ألطف ما يجْمُل الحديثُ فيه بشأن النظم أن هذا القول: «إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا» قد جاءت بعده آيتان كريمتان تتحدث أولاهما عن البخل فهي تتمشى مع لفظة «مختالا» المتقدمة في التذييل. ومعنى مختالا: مختالا في نفسه[٦٠] وتتحدث أخراهما عن الرّياء فهي تتمشى مع لفظة «فخورا» المتأخرة في التذييل: **«إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا».**

ومن سور القرآن الكريم التى تحدثت كثيراً عن المال سورة البقرة التى تحدثت في آخرها عن النفقة في سبيل الله تعالى وعن الصدقة وعن الرّبا وعن الدّين. وما أكثر الدروس المستفادة من هذه الآيات الكريمات. ومن هذه الدروس أنّ ثواب النفقة في سبيل الله تعالى إذا تحققت شروطها ومن بينها عدم المنّ وعدمُ الأذى يصل إلى سبعمائة ضعف وإلى أكثر من هذا قال تعالى[٦١]: **{مثلُ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبّة، والله يضاعف لمن يشاء. والله واسع عليم. الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون}** ومن هذه الدروس أنّ صدقة السّرّ أفضل من صدقة العلانية.

قال تعالى[٦٢]: **{إن تبدو الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكَفّر عنكم من سيئاتكم. والله بما تعملون خبير}** ومن هذه الدروس أنّ الرّبا هو الذنب الوحيد الذى أعلن الله تعالى وأعلن رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) الحرب على مرتكبه. ومن هذه الدروس أهمية الدّين بحيث إن آية الدّين هي أطول آي القرآن الكريم.

وهذه الآية الكريمة من سورة التوبة[٦٣] عينت الفئات التى تجب لها الزكاة. قال تعالى: **{إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرّقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم}.**

الإيمان والأمانة والعلم من سمات القيادة الناجحة:

حينما نبحث عن أهم مقوّمات القيادة الناجحة بعامّة، والقيادة المالية أو الاقتصادية بخاصة، فإنّا نتبين أنها ثلاثة، الإيمان والأمانة والعلم.

لقد جاء في سورة النمل[٦٤] على لسان العفريت مخاطباً سليمان عليه السلام قوله تعالى: **{قال عفريت من الجنّ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقويٌ أمين}**، وهذا يوسف عليه السلام الذى نميل إلى الاعتقاد بأنه نبيء بعد دخوله السجن يجيء على لسانه عليه السلام في سورة يوسف[٦٥] بعد أن خرج من السجن واستخلصه ملك مصر قولُهُ تعالى: **{قال اجعلنى على خزائن الأرض إنيّ حفيظ عليم}.**

إنّ الآية الكريمة تنص على الحفظ وهي الأمانة وعلى العلم. وإنّ يوسف عليه السلام الذى يضربُ به المثلُ في الإيمان والإحسان ليضرب المثل الرفيع حينما كان في السجن الذى زُجّ به فيه ظلماً وعدوانا، ليَضْرب المثل الرفيع على خلق المؤمن الرفيع حينما لا يبخل على من ظلمه بالعلم النافع في مجال تعبير الرؤيا التى رآها الملك وفي مجال ما آتاه الله تعالى من علم لدنّيّ يتعلق بالعام الخامس عشر الذى لم يسأل عنه رسول الملك المكلف بالبحث عمّن يعبر رؤيا الملك والذى لم يخطر ببال أحد السؤال عنه فقد كان الجميع مشغولا بتعبير الرؤيا المخيفة التي أزعجت الملك وعجز أهل الحلّ والعقد عن تأويلها. لقد جاء عن الرّؤيا قوله تعالى[٦٦]: **{وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات. يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرُّؤيا تعبرون}**، لقد رأى الملك سبع بقرات سمان يبتلعهن

سبع من البقر عجاف وسبع سنبلات خضر وسبع سنبلات يابسات قد التوت على الخضر وعلت عليها.
إنّ يوسف عليه السلام الذى اصطفاه الله تعالى بنعمة النبوّة يجود في سبيل الدعوة إلى الله تعالى بما يسأله عنه الذين لازالوا يسجنونه ظلماً وعدواناً وبما لا يسألونه عنه من علم لدنّي اصطفاه الله تعالى به. إنه عليه السلام يعبّر رؤيا الملك ويخبر بما يكون عليه الحال بعد سني الرّؤيا الأربع عشرة.

قال تعالى:[٦٧] **{قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهنّ إلا قليلا مما تُحْصنُون. ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث النّاس وفيه يعصرون}.**

إنّ يوسف عليه السلام وهو يعبر الرّؤيا ينصح القوم بأن يزرعوا سبع سنين دأباً ومتتابعة، ويرشدهم إلى أمثل طريقة لحفظ الحبوب وهي بقاؤها في سنابلها، ويحذرهم من سني الشدّة السبع ويبينها لهم، ويبشرهم بما يختص به العام الخامس عشر من نزول الغيث وظهور الثمار بكثرة للدرجة التي يعصر الناس منها ما أرادوا عصره. وإنّ يوسف عليه السلام الذى ترك والديه في الشام وأهله وبلاده بسبب نزغ الشيطان الرجيم بينه وبين إخوته والذى غاب في مصر الكثير من السنوات لا يخطر بباله مطلقاً أن يعود إلى أهله في الشام ويترك ميدان الدّعوة إلى الله تعالى في مصر شاغراً. إنّه وقد استخلصه الملك يعرض على الملك أن يجعله في منصب يشابه منصب وزير المالية أو الاقتصاد أو رئيس الوزراء في أيّامنا هذه. وإنّ يوسف عليه السلام ليُلقي على رجال الاقتصاد والمال درساً في الحفظ والعلم وفي تلبية نداء الواجب مهما كانت التضحيات الذاتية وذلك في سبيل مصلحة الجماعة أو الأمة، وفي سبيل مصلحة الدعوة إلى الله تعالى، فقد سخّر عليه السلام ما آتاه الله تعالى من منصب عزيز مصر أولا ومنصب الملك آخراً في سبيل الدّعوة إلى الله تعالى وفي سبيل مصلحة الأمة. قال تعالى[٦٨]: **{وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسي فلمّا كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين. قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم. وكذلك مكّنّا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء. نُصيبُ برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين. ولأجرُ الآخرة خيرٌ للذين آمنوا وكانوا يتقون}.**

ومن القرائن التى قد يُفهم منها أن يوسف عليه السلام أصبح ملك مصر لفظ العرش ولفظ المُلْك في قوله تعالى[٦٩]: **{فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين. ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبلُ قد جعلها ربّى حقاً وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتى. إنّ ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم. ربِّ قد آتيتني من الملك وعلّمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين}.**

وهكذا يتبين أنّ أهم مقومات القيادة بعامة، والمالية أو الاقتصادية بخاصة، ثلاثة، الإيمان، الأمانة، والعلم.

وإنّ يوسف عليه السلام الذى أكرمه الله تعالى بنعمة النبوة ليلقي علينا نحن المسلمين درساً في التواضع حينما يسألُ الله سبحانه وتعالى أن يلحقه بالصالحين.

والمعروف أنّ صفة الصلاح بمثابة العمود الفقري لكل المُنْعم عليهم من المرسلين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين. ومعروف أن صفة الصلاح ثمرة طبيعية للتمسك بتعاليم القرآن الكريم وتعاليم أشرف المرسلين، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما بشأن قوله تعالى في سورة طه[٧٠]: **{فمن اتبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى}** ضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضلّ

في الدنيا ولا يشقى في الآخرة[٧١]، وهذا المعنى هو الذى عبّرت عنه سورة النحل[٧٢] بالحياة الطيبة.

قال تعالى: {**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**} ومن مظاهر الحياة الطيبة في الأولى ما فهمه العلماء من قوله تعالى في سورة الكهف[٧٣]: {**وأمّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك. وما فعلتُه عن أمري. ذلك تأويل ما لم تَسْطعْ عليه صبرا**} لقد فهم العلماء أن في الآية الكريمة ما يدل على أن الله تعالى يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وإن بعُدُوا عنه[٧٤] إنّ الأب صالح والمال طيب فحفظه الله تعالى للأبناء البررة الصالحين.

الاستعداد للقاء الله تعالى:

اهتم الشارع الحكيم في هذا الشأن بثلاثة أمور مالية مهمة، الميراث، والدين والوصية.

وبشأن الميراث تكفل ربّ العزّة بتوزيعه، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى فيه ثلاث آيات من سورة النساء هي الحادية عشرة والثانية عشرة والآية الأخيرة من السورة الكريمة، السادسة والسبعون بعد المائة وهي آية الكلالة. وقد قال ابن تيمية رحمه الله تعالى رحمة واسعة في هذا الشأن[٧٥]: {فإن الله أنزل في الفرائض ثلاث آيات مفصلة ذكر في الأولى الأصول والفروع، وذكر في الثانية الحاشية التى ترث بالفرض كالزوجين وولد الأم، وفي الثالثة الحاشية الوارثة بالتعصيب وهم الإخوة لأبوين أو لأب}.

وبشأن الدَّين عرفنا أنّ أطول آي القرآن الكريم آية الدين دليلا على أهميته. وبشأن الوصية والدين جاء في الآية الكريمة الأولى من آيات المواريث الثلاث القول: «من بعد وصية يوصى بها أو دين» وجاء في الآية الكريمة الثانية القول: {من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضارّ وصيّة من الله} وقبل ذلك جاء بشأن من توفي من الزوجات: «من بعد وصية يوصين بها أو دين» وجاء بشأن من سيتوفى من الأزواج: «من بعد وصية توصون بها أو دين» وبشأن الدين والوصية يقول ابن كثير[٧٦]: «أجمع العلماء من السلف والخلف على أن الدين مقدّمٌ على الوصية وذلك عند إمعان النظر يفهم من فحوى الآية الكريمة» وإنما تقدمت الوصية في الذكر على الدَّين لأن للدَّين صاحباً يطالب به الورثة وليس كذلك الوصية التى قد تشح نفوس الورثة بها وتمتنع عن تنفيذها، فكأن تقديم الوصية في الذّكر لمعالجة هذا الدّاء لدى بعض النفوس.

وقد جاء في الوصية أحاديث منها ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: ما من امرىء مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيتُهُ مكتوبة عنده. قال ابن عمر: ما مرّت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول ذلك إلا وعندى وصيتي[٧٧].

وقد جاء في الآية الكريمة الثانية من آيات المواريث الثلاث القول: {**من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصيّة من الله**} والمعنى: «لتكن وصيته على العدل لا على الإضرار والجور والحيف بأن يحرم بعض الورثة أو ينقصه أو يزيده على ما فرض الله له من الفريضة، فمن سعى في ذلك كان كمن ضاد الله في حكمه وشرعه.

عن ابن عباس عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «الإضرار في الوصية من الكبائر»[٧٨].

وتجوز الوصية بالثلث ولا تجوز الزيادة عليه[٧٩].

النساء :

الرّجال والنساء سواء في أصل التكليف. قال تعالى[٨٠]: {**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين**

والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجرا عظيما} وإنّ واجب كل من الجنسين أن يقنع بما قسم الله تعالى له. قال تعالى[٨١]: **{ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض. للرجال نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساء نصيبٌ مما اكتسبن. واسألوا الله من فضله. إن الله كان بكل شيء عليما}**، ومما فضل الله تعالى به جنس الرجال درجة القوامة أي رئاسة الأسرة بسبب استعداد الرجل لهذه المهمة وبسبب ما ينفق على المرأة من ماله مهراً ورزقاً وكسوة وما إلى ذلك قال تعالى[٨٢]: **{ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف. وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم}** وقال تعالى[٨٣]: **{الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم}**.

وفي مقابل درجة القوامة التي جعلها الله سبحانه وتعالى للرجل هنالك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي بيّنت مكانة المرأة الرفيعة في الإسلام، والتى منعت أدنى ظلم أن يلحق بها، والتى أعطتها حقوقها كاملة غير منقوصة، ومنها حق المال. فللمرأة حقها في الميراث وحقُّها في الحصول على المال بالطرق المشروعة، وحقُّها في التصرف في مالها، وحقُّها في المهر، وحقُّها في الرّزق والكسوة والسكن، وحقُّها في المعاشرة بالمعروف، وحقُّها في برّ أبنائها بها إلى غير ذلك من حقوق.

ولا يتسع المقام لأكثر من ذكر بعض الآيات الكريمات في الحقوق المالية للمرأة وشرح ما يحتاج إلى شرح. قال تعالى[٨٤]: **{وآتوا النساء صدقاتهن نِحْلَةً. فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئا}** ومعنى: «وآتوا النساء صدقاتهن نِحْلَةً» وآتوا النساء مهورهنّ عن رضا منكم وطيب خاطر. وقال تعالى[٨٥]: **{للرجال نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون مما قلّ منه أو كثر نصيباً مفروضا}** وقال تعالى[٨٦]: **{يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهنّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة. وعاشروهن بالمعروف. فإن كرهتموهنّ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا}** روى البخاري في سبب نزول الآية الكريمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقّ بامرأته إن شاء أحدهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوّجوها، فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية[٨٧] ومعنى القول: **{فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا}** فعسى أن تكرهوا الزوجة وحينما تصبرون عليها ابتغاء مرضاة الله تعالى يجعل الله في ذلك خيراً كثيراً بأن يرزق منها الذّرّيّة الصالحة[٨٨].

وقال تعالى[٨٩]: **{وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً. أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبينا. وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظا}**.

وجاء بشأن نكاح الفتيات المؤمنات، أي الإماء، قوله تعالى[٩٠] **{فانكحوهنّ بإذن أهلهنّ وآتوهنّ أجورهنّ بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان}** ومعنى محصنات: عفائف عن الزّنا لا يتعاطينه[٩١]، ومعنى: غير مسافحات، غير معلنات بالزّنا وغير مجاهرات به[٩٢]، ومعنى: ولا متخذات أخدان، قال ابن عباس: أخدان: أخلاء[٩٣]، عن ابن عباس: يعنى تنكحوهنّ عفائف غير زوان في سر ولا علانية. ولا متخذات أخدان يعنى أخلاء[٩٤].

الهوامش:

(٣٠) سورة الأعراف/ ٢٦.

(٣١) سورة الأعراف/ ٣١ ـ ٣٣.



(٣٢) سورة القصص/ ٧٧.
(٣٣) الآية ١٤.
(٣٤) تفسير الطبري ٣/١٣٦.
(٣٥) سورة المائدة/ ٨٧، ٨٨.
(٣٦) سورة البقرة/ ١٦٨.
(٣٧) سورة البقرة/ ١٧٢.
(٣٨) الآية/ ١٠٠.
(٣٩) سورة البقرة/ ١٨٨.
(٤٠) سورة النساء/ ٢٩.
(٤١) سورة المائدة/ ٣٨ ـ ٤٠.
(٤٢) سورة المائدة/ ٣٣، ٣٤.
(٤٣) تفسير ابن كثير ١/٥١.
(٤٤) الآية/ ٣٩.
(٤٥) الآيات/ ١٣٠ ـ ١٣٢.
(٤٦) الآيات/ ٢٧٨ ـ ٢٨٠.
(٤٧) الآيات/ ١ ـ ٣.
(٤٨) سورة التوبة/ ٣٤، ٣٥.
(٤٩) الآية/ ٦٧.
(٥٠) الآية/ ١٤٣.
(٥١) الجلالين.
(٥٢) البحر المحيط ١/٤١٨.
(٥٣) الكشاف ١/٢٤٣.
(٥٤) الآيات/ ٢٦ ـ ٣٠.
(٥٥) الآيات/ ٣٦ ـ ٣٩.
(٥٦) تفسير الطبري ٥/٥٠.
(٥٧) تفسير الطبري ٥/٥١.
(٥٨) تفسير الطبري ٥/٥١.
(٥٩) تفسير الطبري ٥/٥٣.
(٦٠) تفسير ابن كثير ١/٤٩٥.
(٦١) سورة البقرة/ ٢٦١، ٢٦٢.
(٦٢) سورة البقرة/ ٢٧١.
(٦٣) الآية/ ٦٠.
(٦٤) الآية/ ٣٩.
(٦٥) الآية/ ٥٥.
(٦٦) سورة يوسف/ ٤٣.
(٦٧) سورة يوسف/ ٤٧ ـ ٤٩.
(٦٨) سورة يوسف/ ٥٤ ـ ٥٧.
(٦٩) سورة يوسف/ ٩٩ ـ ١٠١.
(٧٠) الآية/ ١٢٣.
(٧١) تفسير القرطبي/ ٧.
(٧٢) الآية/ ٩٧.
(٧٣) الآية/ ٨٢.
(٧٤) تفسير القرطبي ٤٠٧٧.
(٧٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ١٣/٣٤٣.
(٧٦) تفسير ابن كثير ١/٤٥٩.
(٧٧) فقه السنة ٣/٤١٥.
(٧٨) تفسير ابن كثير ١/٤٦١.
(٧٩) فقه السنّة ٣/٤٢٢.
(٨٠) سورة الأحزاب/ ٣٥.
(٨١) سورة النساء/ ٣٢.
(٨٢) سورة البقرة/ ٢٢٨.
(٨٣) سورة النساء/ ٣٤.
(٨٤) سورة النساء/ ٤.
(٨٥) سورة النساء/ ٧.
(٨٦) سورة النساء/ ١٩.
(٨٧) تفسير ابن كثير ١/٤٦٥.
(٨٨) انظر مثلا تفسير ابن كثير ١/٤٦٦ وتفسير القرطبي ١٦٦٨.
(٨٩) سورة النساء/ ٢٠، ٢١.
(٩٠) سورة النساء/ ٢٥.
(٩١) تفسير القرطبي ١٧١٢ وتفسير الطبري ٥/١٣ وتفسير ابن كثير ١/٤٧٥.
(٩٢) تفسير القرطبي ١٧١٢.
(٩٣) تفسير ابن كثير ١/٤٧٥.
(٩٤) تفسير الطبري ٥/١٣.

المركزية الغربية

** «التدافع الحضاري» المنهج الأمثل بدل «الصراع الحضاري»

** استرقاق الشعوب ونهب خيراتها تمثل «الرسالة النبيلة» للرجل الأبيض

** العالم الاسلامي، إما أن يخضع للنظام العالمي الجديد أو أن يواجه آلة الحرب الاطلنطية



بقلم المفكر الإسلامي :

أ.د. محمد عمارة ـ مصر

لو أن «صامويل هانتنجتون» بعد تحليله الدقيق والعميق للتعددية الثقافية والحضارية للعالم ـ قد تبنى، في العلاقة بين الحضارات المتعددة، منهاج ومعيار «التدافع الحضاري»، أي التنافس والتسابق والحراك، الذي هو وسط بين «تعايش السكون» وبين «الصراع» الذي يفضي إلى أن يصرع طرف الطرف الآخر فيطوي صفحته ويلغيه.. لو أنه تبنى هذا المنهاج لأصاب وأجاد..

لكن الرجل ـ وهو واحد من مفكري الحضارة الغربية ـ قد انطلق من «فلسفة الصراع»، التي مثلت وتمثل «زاوية الرؤية الغربية» لكثير من الأمور .. فالحياة في «الوضعية .. والمادية .. والداروينية» هي ثمرة للصراع في عالم الأحياء.. والتقدم الاجتماعي والاقتصادي، هو ثمرة للصراع الطبقي ، تنحاز له الليبرالية إذا انتهى بانتصار البورجوازية، وتنحاز له الشيوعية إذا انتهى بانتصار البروليتاريا .. **وصراع الامبريالية الغربية لإبادة البنى الحضارية للأمم غير الغربية، ونهب ثرواتها واسترقاق شعوبها هو «الرسالة النبيلة» للرجل الأبيض تجاه احتواء هذه الأمم والشعوب!.**

فانطلاقاً من «فلسفة الصراع» هذه رأى «هانتنجتون» مستقبل العلاقة بين الحضارات.

ولأننا بإزاء «فلسفة صراعية»، مثلت وتمثل

ـة.. ونـزعـة العداء للإسـلام

قسمه من قسمات الحضارة الغربية.. فلم يكن «صامويل.ب. هانتنجتون» بدعاً في تصوره هذا لمستقبل العلاقة بين الحضارات.. وللعلاقة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية على وجه الخصوص.

فرئيس المجلس الوزاري الأوربي - الأسبق - في سنة ١٩٩٠م - «جياني ديميكليس» يدعو الغرب لترتيب بيته، حتى يفرض «نموذجه الحضاري» على العالم، وفي المقدمة منه العالم الإسلامي.. ويهدد العالم الإسلامي بتوجيه آلة الحرب الغربية - حلف الأطلنطي - إليه - بعد أن كانت موجهة للعالم الشيوعي - إذا لم يخضع فيقبل «النموذج الحضاري الغربي».

فعندما يسأله مراسل «النيوزويك» - الأمريكية - عن مبررات بقاء حلف الأطلنطي، بعد زوال المواجهة - التي قام لأجلها - بين الغرب الليبرالي والمعسكر الذي كان اشتراكياً؟!.. يكون الجواب:

«صحيح أن المواجهه مع الشيوعية لم تعد قائمة، إلا أن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربي والعالم الإسلامي».

فلما عاد مراسل «النيوزويك» ليسأله:

- وكيف يمكن تجنب تلك المواجهة المحتملة؟

- قال: «ينبغي أن تحل أوربا مشاكلها، ليصبح النموذج الغربي أكثر جاذبية وقبولا من جانب الآخرين في مختلف أنحاء العالم. وإذا فشلنا في تعميم ذلك النموذج الغربي فإن العالم سيصبح مكاناً في منتهى الخطورة»[١].

فالتهديد بالحرب موجه إلى مختلف الحضارات غير الغربية، وفي المقدمة «العالم الإسلامي»، إذا لم يتم تعميم وقبول النموذج الحضاري الغربي».

والأمين العام السابق لحلف الأطلنطي «ويلي كلايس» يعلن أن العدو الجديد، الذي حل - في خطط حلف الأطلنطي - محل الشيوعية، هو الإسلام، لأن الأصولية الإسلامية قد أصبحت الآن هي التهديد للغرب، كما كانت الشيوعية من قبل[٢].

والرئيس الأمريكي الأسبق «ريتشارد نيكسون» وهو مفكر استراتيجي مرموق - يخير العالم الإسلامي بين النموذج الغربي العلماني - كما تجسده تركيا العلمانية - وهو النموذج الذي يلحق العالم الإسلامي ويربطه بالغرب سياسياً واقتصادياً - وبين «مواجهة ردود الفعل الخطيرة»، إذا هو اختار النموذج الإسلامي، المغاير للنموذج الغربي.. فلقد كتب محذراً العرب والمسلمين من:

أ - **الخيار القومي في النهضة**.. والذي سماه: خيار «الرجعية، صاحبة الأيديولوجية القومية المتعصبة»، المتعلقة بـ «وهم الوحدة العربية»!.

ب - **وخيار الأصوليين الإسلاميين:** المصممين على استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة، عن طريق بعث الماضي وتطبيق الشريعة الإسلامية، والمناداة بأن الإسلام دين ودولة، واتخاذ الماضي

هداية للمستقبل.

ودعا - نيكسون - السياسة الأمريكية والغربية إلى أن تلعب «دوراً رئيسياً في تحديد الخيار الذي تختاره الشعوب المسلمة».. وهو «خيار»

ج - **التقدم: ونموذجه تركيا - العلمانية -** في انحيازها نحو الغرب.. وسعيها إلى ربط المسلمين بالعالم المتحضر (الغرب) من الناحية السياسية والاقتصادية).. وإلا، فإن ردود فعل خطيرة ستحدث في العالم.. إذا لم ينجح الغرب في دفع المسلمين إلى هذا «الخيار» الحضاري الغربي»[٣].

ولعلها «فزورة» غير قابلة للحل، ومعادلة مستعصية على الفهم.. أن تحدد لنا السياسة الغربية «الخيار» ثم يوصف هذا «الخيار الغربي» بأنه الخيار «الذي تختاره الشعوب الإسلامية».. فيتحول - لست أدري كيف؟! «الإلزام» إلى «التزام»، و«الإكراه والجبر» إلى «حرية واختيار».!!

ومن نماذج تحليلات «خبراء الفكر والثقافة» الغربيين، التي تفسر هذا الموقف «السياسي.. والاستراتيجي.. والحربي» للحضارة الغربية من هذه القضية - **قضية «الواحدية الحضارية»؟** أم **«التعددية الحضارية»؟؟** - نختار رؤية مجلة (شئون دولية) التي تصدرها جامعة «كمبردج» - والتي جاءت بالملف الذي خصصته للإسلام والمسيحية، والإسلام والماركسية - وفي هذه التحليلات قال هؤلاء الخبراء عن الإسلام: إنه الهدف الأول للحرب الغربية، لا لشيء إلا لتحديه، كحضارة، ورفضه، كثقافة، الخضوع للنموذج الحضاري الغربي، وإبائه التنازل عن خصوصيته المستعصية على العلمانية الغربية.. وبنص كلمات هؤلاء الخبراء:

- يتساءل أوربيون كثيرون عما إذا كان يمكن جعل الإسلام يقبل بقواعد المجتمع العلماني؟!.. أم أنه على قدر من الرسوخ، في المجال السياسي والاجتماعي، يجعله رافضاً لأي تمييز بين ما لله وما لقيصر؟!.

إن النظرية التي يعتنقها علماء الاجتماع، والتي تقول: إن المجتمع الصناعي والعلمي الحديث يُقوض الإيمان الديني - مقولة العلمنة - صالحة على العموم.. لكن عالم الإسلام استثناء مدهش وتام جداً من هذا.. إنه لم تتم أي علمنة في عالم الإسلام.. إن الإسلام مقاوم للعلمنة، في ظل مختلف النظم السياسية.. وسيطرته الآن على المؤمنين به أقوى عما كانت من مائة سنة.. ولقد مكّنت التقاليد المحلية الإسلامية العالم الإسلامي من الإفلات من محاكاة الغرب، تلك المحاكاة المذلة، التي تضفي الطابع المثالي على النموذج الغربي. فباسم الإيمان المحلي يتم الإصلاح، دون علمنة.

- **«إن الإسلام هو الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحد فعلي وحقيقي لمجتمعات الغرب.. ولذلك، فإنه من بين الثقافات الموجودة في الجنوب، هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة»[٤].**

ففي هذا التحليل، الذي تحدث عن التميّز الحضاري للإسلام والمسلمين، وعن استعصاء حضارتنا الإسلامية على استبدال النموذج الغربي العلماني بنموذجها الإسلامي، وعن وقوفها متفردة تتحدى احتواء الغرب واجتياحه وتغريبه وعلمنته لحضارات الجنوب.. وعن استحقاقها، لذلك كله، من الغرب، أن يشن عليها «حملته الجديدة».. في هذا التحليل التفسير لما كتبه «هانتنجتون» عن أولوية الإسلام في الصراع الحضاري الغربي ضد الحضارات غير الغربية.

** على الغرب أن يدفع المسلمين دفعاً لخياره الحضاري!! هكذا يرى مفكرو الغرب

** الإسلام هو الهدف المباشر للحملة الغربية الحديثة

** الغرب صنع من أبنائنا من يبشر بحضارته

وفي ذلك كله التفسير للممارسات الدامية والتطبيقات المأساوية التي يصنعها الغرب بالإسلام والمسلمين وقضاياهم وحقوقهم، في مختلف الميادين، وعلى امتداد الأوطان والقارات.

وإذا كان غريباً وعجيباً أن يسمي «ريتشارد نيكسون» الزام الغرب لنا بنموذجه الحضاري العلماني: «خياراً لنا واختياراً منا»، فإن الأغرب والأعجب أن يقبل ذلك قطاع من مفكرينا ومثقفينا.. أن يقبلوا هذا *«الإلزام» الغربي*، ثم يذهبون شتى المذاهب لإقناع الأمة بقبول مالا يصح أن يُقْبل، والتزام بما لا يلزم في هذا الميدان..

فالمرحوم الدكتور طه حسين (١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ/ ١٨٨٩ - ١٩٧٣م) - في مرحلة انبهاره بالنموذج الحضاري الغربي.. وقبل نضجه وتجاوزه لكثير من مقولات التغريب - قد ذهب إلى الاعتراف بأن السير في طريق النموذج الحضاري الغربي، إنما هو «إلزام» غربي لنا بمقتضى المعاهدات غير المتكافئة التي عقدها الاستعمار الأوربي مع حكوماتنا، في ظل حراب الاحتلال وقهر الاستعمار.. فكتب عقب معاهدة سنة ١٩٣٦م - بين انجلترا ومصر - ومعاهدة سنة ١٩٣٨م بين الدول الاستعمارية ومصر - يقول: **«لقد التزمنا أمام أوربا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع. التزمنا هذا كله أمام أوربا. وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال (سنة ١٩٣٦م) ومعاهدة إلقاء الامتيازات (سنة ١٩٣٨م) إلا التزاماً صريحاً قاطعاً أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوربيين في الحكم والإدارة والتشريع؟ ولو أننا هممنا الآن أن نعود أدراجنا وأن نحيي النظم العتيقة لما وجدنا إلى ذلك سبيلا.. لأننا عاهدنا أوربا على أن نسايرها ونجاريها في طريق الحضارة الحديثة»**[٥].

وبدلا من أن يرفض طه حسين هذا «الإلزام» الأوربي لأمته، بمقتضى المعاهدات غير المتكافئة، أن تساير أوربا وتسير سيرتها في الحكم والإدارة والتشريع - أي في جماع النموذج الحضاري الغربي - رأيناه يذهب فيحاول إقناع الناس بأن السير في هذا الطريق الغربي، بدلا من الطريق الإسلامي، هو أمر طبيعي، بدعوى أن الحضارة واحدة - وهي الحضارة الغربية - وأن طريق الرقي والتقدم والتحضر واحد لا تعددية فيه.. فقال بعكس ما قرره «صاموئيل.ب. هانتنجتون» اليهودي الأمريكي وكتب عن «واحدية العقل» بين الشرق والغرب، لأن العقل الشرقي في رأيه هو كالعقل الأوربي، مردّه ومرجعيته إلى عناصر ثلاثة:

- حضارة اليونان، وما فيها من أدب وفلسفة وفن.

- وحضارة الرومان، وما فيها من سياسة وفقه.

- والمسيحية، وما فيها من دعوة إلى الخير وحث على الإحسان.

وبعد أن أنكر تمايز الحضارات في الإنسانيات، وزعم وحدتها في الأدب والفلسفة والفن والسياسة والفقه والشرائع.. رتب على ذلك «واحدية العقل الشرقي والأوربي»، فقال: «لقد كانت مصر دائماً جزءاً من أوربا في كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية، على اختلاف فروعها وألوانها».

ثم مضى، فرفض أن يكون ظهور الإسلام ونزول القرآن قد أحدثا تميزاً للعقل الإسلامي الشرقي عن العقل النصراني الغربي، فقال: وكما لم يغير الانجيل من الطابع اليوناني للعقل الأوربي.. فكذلك القرآن، لم يغير من الطابع اليوناني للعقل الشرقي، لأن القرآن «إنما جاء متمماً ومصدقا لما في الانجيل».. فأهدر الرجل التمايز الحضاري القديم بين مصر الفرعونية وبين الإغريق.. وأهدر تميّز الإسلام في الشريعة عن النصرانية.. وأهدر، أيضاً، تميّز النصرانية الغربية عن النصرانية الشرقية الأولى.. وأهدر تمايز الحضارات - ومنها الإسلامية والغربية - في الفلسفات والشرائع والإنسانيات.. أهدر كل ذلك، ثم انطلق من ميدان الحكم على الماضي والتراث، ليعمم هذا الادعاء على الحاضر والمستقبل، فدعا الناس إلى أن يسلكوا في النهضة، ويختاروا للتقدم نفس الخيار الغربي - الذي ألزمتنا به معاهدات الاستعمار الغربي - زاعما أنه خيار وحيد، وسبيل مفردة لا تعدد فيها.. فقال: **«إن السبيل واضحة بينة مستقيمة لا لبس فيها ولا عوج ولا التواء وهي واحدة فذة ليس لها تعدد، وهي: أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يُحب منها وما يُكره، ما يُحْمَدُ منها وما يُعاب»[٦].**

ولست أدري كيف يكون «الملزَمون بمقتضى المعاهدات» أنداداً وشركاء للذين ألزموهم هذا الإلزام بمقتضى هذه المعاهدات..!!

ذلك هو مذهب المنكرين للتعدية الحضارية القائلين بوحدتها في الإنسانيات كما في الطبيعيات.. والداعين إلى تبني النموذج الحضاري الغربي، سبيلا وحيداً لتقدم كل الأمم والشعوب، بدعوى أنه النموذج العالمي والإنساني والوحيد للتقدم والنهوض والتحضر والارتقاء.

«البحث موصول»

الهوامش:

(١) صحيفة الأهرام، عدد ١٧ يوليو سنة ١٩٩٠م، نقلا عن «النيوزويك» عدد يوليو سنة ١٩٩٠م.

(٢) مجلة «سكوتسمان» الأمريكية في ٢٧ فبراير سنة ١٩٩٥م.

(٣) ريتشارد نيكسون (الفرصة السانحة) ص ٢٨، ١٤٠، ١٤١ ترجمة: أحمد صدقى مراد. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م.

(٤) مجلة (شئون دولية) مجلد ٦٧ - عدد ١ يناير سنة ١٩٩١م.

(٥) (مستقبل الثقافة في مصر) جـ١ ص ٣٦، ٣٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م.

(٦) المرجع السابق. جـ ١ ص ٢١ - ٤٥.

في إشكالية الاقلاع الحضاري

عندما قال فيلسوف فلاسفة فرنسا «رينيه ديكارت» قولته المشهورة (أنا أفكر إذن أنا موجود).. إنما كان على حق وصواب.. فالإنسان ما خُلق إلا ليفكر ويجهد عقله وحواسه، وكل القوى المودعة فيه.. وقد ارتقى الإسلام بالتفكير حتى جعله نوعاً من أنواع العبادة والعمل.

بيد أن التفكير المراد ها هنا هو ذاك التفكير العملي الذي يجعل من الجهد العقلي «برامج تغيير»، و«خطط تنمية»، و«مشروعات عمل».. ذلك أن التجريد العقلي، أو التفكير الذي يغلب عليه «الطابع التجريدي»، أو الصفة التي تفصل «المثال عن الواقع»، يُعتبر من أهم الأسباب - إن لم يكن السبب الأول - التي أدت إلى المستوى الحضاري المتدني الذي عليه أمتنا العربية والإسلامية؛ فأمتنا اليوم، وعلى الرغم من الرصيد العقلي والحضاري الضخم الذي تتوافر عليه إلا أنها في موقع لا تُحسد عليه، وفي مرتبة بين الأمم تثير الشفقة وتبعث على اللوعة والحزن!!

هذه الوضعية المزرية تعكس في الحقيقة وجود أزمة صميمة في جهاز فهمنا، وبالتالي في شبكة علاقاتنا الإجتماعية، لأن واقعنا لا ينسجم - ولو بمقدار متواضع - مع رصيدنا الحضاري والعقلي والمعرفي.

يشير بعضُ الكُتّاب العرب الذين يعنون بمسائل النهوض الحضاري والتنمية إلى أن النهضة العربية بدأت في تاريخ مواز للنهضة في اليابان؛ وإذا أردنا الدقة أكثر فإن النهضة العربية بدأت قبل النهضة اليابانية بنحو عشر سنوات. ولكن فلننظر إلى موقع اليابان وإلى موقعنا نحن في إطار خارطة التقدم والرقي العام!!

يذكر المفكر الإسلامي الدكتور محمود محمد سفر في كتابه القيّم «إنتاجية مجتمع» أن اليابان أرسلت إلى مصر في عهد الخديوي اسماعيل بعثة قصد دراسة أسباب تقدم مصر عليها.. ولتقف اليابان موقف التلميذ من مصر تتعلم وتستفيد!

أعتقد جازماً أن مشكلتنا بالأساس هي مشكلة فكرية .. ثم مشكلة فعّاليّة.. والفعّاليّة هنا تعني كيف نشحذ الطاقة الفكرية ونحولها إلى انجازات عملية، وإلى مشروعات قائمة في عالم الواقع، فالفرد الياباني لا يملك من الموارد الطبيعية شيئاً يذكر، ومع ذلك فاليابان اليوم تُهدد العالم الأول بمنتوجاتها المتنوعة؛ وأضحى اليابان يمثّل الشبح المخيف الذي بات يرعب الغرب ويتهدد مصالحه الإقتصادية وأسواقه الإنتاجية. لأن الفرد الياباني يملك الدماغ المدبر والعقل المفكر، أما العقل العربي فما يزال يعيش مشكلات كثيرة فكرية وتصورية فضلا عن المعضلات الحياتية والإجتماعية والمدنية التي يصطدم بها خلال حركته اليومية الراهنة.



بقلم: ابراهيم نويري
- الجزائر -

ويظل الأمر الهام الذي يجب التشديد عليه في هذا المجال يتعلق بمردود «عمل الفرد» وعلاقته من ثمة بـ «المردود الإجتماعي العام».. هذه القضية الحيوية التي اتخذت كمرتكزات رئيسة للكثير من المعادلات الإجتماعية والحضارية. إذ يجب دراسة مختلف العوامل التي تجعل من الفرد الياباني والاوروبي على سبيل المثال عنصراً منتجاً وفعّالا في مناخ اجتماعي وسياسي ما؛ بينما يتحول الفرد العربي إلى كتلة من الخمول والجمود والإضطراب السلبي تحت تأثيرات مناخ آخر وواقع اجتماعي مخالف.

هذه إذن مشكلة نلاحظها في واقعنا الإجتماعي، وغضُّ الطرف عنها، أو عدم التفكير بوضع معالجات واقعية ومنطقية لمحاصرتها واستئصالها، هو تأخير مؤكد لعملية التنمية والاستنهاض الحضاري والإجتماعي.

وهناك عدّة دراسات في المكتبة العربية والإسلامية حاولت التصدي لمعالجة إشكالية التقدم والتخلف، وأزمة «الإنسان» المسلم المعاصر. كما حاولت التأسيس لفكر حضاري جديد يستهدف تبصير المسلم المعاصر بحقيقة واقعه، ومحاولة النهوض بمستواه الفكري والإجتماعي والحضاري، ويمكن اعتبار **مالك بن نبي** - رحمه الله - رائداً لهذه المدرسة المتميزة في الفكر الإسلامي المعاصر.

كما أود أيضا الإشارة بكتابات المفكر الإسلامي السعودي **الدكتور محمود سفر** - حفظه الله - وهو من رموز مدرسة الفكر الحضاري - لا سيما كتابه **«ثقب في جدار التخلف»**.. ففي هذا الكتاب الهام الذي أصدرته دار الصافي للثقافة والنشر، الكثير من المعالجات الناضجة الواعية، والمدركة بطبيعة المسلم المعاصر ومشكلاته الراهنة.. وإلقاء المزيد من الأنوار والأضواء على قضايا حساسة تتعلق بالإنسان والقيم والمجتمع والبناء الحضاري.


مالك بن نبي


د. محمود محمد مسفر

ومن جملة تلك القضايا مسألة «الفعالية الروحية» التي يعتبرها الدكتور سفر من أهم مرتكزات الإقلاع الحضاري بالنسبة لمجتمعاتنا العربية والإسلامية التي ترنو إلى مستقبل مشرق تتعزّز فيه إنسانية الإنسان المسلم، وتحقق فيه أمتنا مكانة تليق بقدسية رسالتها الخالدة، باعتبارها خير أمة أخرجت للناس، وهذا يقتضي منها أن تحتلَّ مكان الصدارة؛ لأن من معاني رسالتها ودلالاتها: الريادة للإنسانية، والشهادة على الخلق.

فلننظر بعمق، ونعمل عقولنا بجد لنرى ما إذا كنا في مستوى المسؤولية الإلهية التي أنيطت بنا، والتي هي في واقع الأمر «رسالة» و«شرف».. أو «مسؤولية» و«اصطفاء»..

ومن ثمة فلابد من تحملها بكل جسارة وإقدام من منطلق «وسام» الريادة والشهادة الذي حبا الله به هذه الأمة وميّزها عن العالمين.

أثــر التغـريـب على المسـ

ليس المجتمع مجموعة من الافراد يعيشون في أرض محددة، بل هو - مع ذلك - تنظيم معين ذو طابع انساني يتم طبقا لنظام معين، يقوم على عناصر ثلاثة: حركة يتسم بها المجموع، وانتاج لاسباب هذه الحركة، وتحديد لاتجاهها[١].

- ولكي تتم حركة تغيير أو تطوير أو تفاعل بين المجتمع - أي مجتمع - وبين مجتمعات أخرى، أو في مواجهة متغيرات انسانية عامة، فانه لابد من رصد المصدر الذي وفدت منه عملية التغيير، وتحليل المواد التي تحدث التغيير، ودراسة القوانين العامة التي تتحكم في هذا التغيير[٢].

- فعندما تختل معايير التفاعل أو شروط التغيير تعجز بالتالي عناصر النظام الاجتماعي عن القيام بوظائفها ويتجه التغيير سلبا، ويمضي في طريقه الى الاخلال بأركان البناء الاجتماعي حتى يصل به الى الذوبان والانسحاق.

- وأسوأ ما يصيب المجتمع - وهو يواجه عملية التفاعل أو التغيير - أن يصاب بالشلل من داخله، ويقع ذلك عندما ينجح العدو الحضاري في اختراق كيانه، وتحويل بعض اعضائه الى حملة لافكار الخصم وحماة لها.

فهنا يتصارع المجتمع داخليا، ويتعاون أفراده على تحطيم بعضهم، وتبديد طاقتهم، فتتقدم العوامل الخارجية في فراغ، ويسود فقر الافكار التي من شأنها، لو وجدت المناخ المناسب - أن تحقق التفاعل الحضاري وفق شروطه وعناصره، بل ربما تتعطل الافكار تماما وتصبح بعض اركان المجتمع لا هم لها الا مواجهة الاركان الاخرى بل ربما استعانت بالخصوم في مواجهة شركائها في المجتمع والحضارة!!

والمشكلة التي يواجهها العرب والمسلمون منذ إدراكهم للهوة الحاضرية التي تفصلهم عن العصر انهم لم يستطيعوا وضع شروط التفاعل الحضاري وسنن الله في التغيير موضع تطبيق.

المنهـل

لقد كتب مفكروهم كثيرا من الكتب حول أسباب تأخر المسلمين ووسائل نهضتهم، وحول أزمة العقل العربي والإسلامي، لكن بعض الحكام حالوا دون أن تكون هذه الدراسات موضع الاعتبار والتقدير، بل ربما نظروا إليها على أنها كلام متفلسفين يعيشون في أبراج منعزلة بعيدة عن **مفردات الصراع السياسي**، كما أن الطبقة التي نجح خصوم الحضارة في اقتحام عقولها، وإصابة وجدانها بالشلل الوطني والقومي والإسلامي، وجذبها الى قبلتهم.. **هذه الطبقة تبذل كل جهدها حتى لا تصل هذه الأفكار الأساسية في صناعة النهضة وفي التغيير الحضاري الى أصحاب القرار، والى الذين يملكون القدرة على تحريك الأمة من خلال مؤسسات التربية والتوعية في اتجاه البناء الصحيح.**

فإذا ذهبنا الى الطرف الآخر - وهو (حضارة الغرب) التى اكتشفنا أنها الخصم الأكبر الذى يسعى لغزونا وسحقنا منذ شعرنا بقوته وهو يدوس الازهر بخيوله ويدك القلعة بمدافعه سنة ١٧٩٨م فيما يسمى بالحملة الفرنسية على مصر.. اذا ذهبنا الى هذا الخصم نجده ايضا يرفض التعامل معنا بأسلوب حوار الحضارات، وابجديات التفاعل الحضارى.. انه جاء بخطة جاهزة ولاهداف محددة، وهو مستعد لأن يناور كثيرا مستخدما كل وسائله الميكيافيلية، لكنه ليس مستعدا لأن يتنازل عن خطته أو أهدافه.

فعلى الرغم من كل البيانات والمنشورات والتحليلات التي صاحبت وأعقبت الغزوة الى يومنا هذا كان نابليون صريحا في تحديد مهمته عندما قال: «سأستعمر مصر» انطلاقا لبناء امبراطورية شرقية نابليونية. ومنذ دخول الحملة الى



بقلم: د. عبدالحليم عويس
- مصـــر -

...تقبل الحضاري للأمة

الاسكندرية - بل قبل دخولها الاسكندرية - اثبتت انها حملة بربرية، فهؤلاء الذين جاءوا لتحرير (المصريين) من المماليك كان أول ضحاياهم حاكم الاسكندرية (المصري) الذي رفض الحماية الانجليزية فأعدموه بعد التعذيب والحبس والتشهير.

وعندما صب نابليون نيران الثورة الفرنسية على الازهر، كان نابليون الذكي (الدجال) يعرف هذه الحقيقة اكثر من صبيان المبشرين المعاصرين.. لقد كان يعرف أنه بضربه الازهر يضرب قيادة الامة الصحيحة.. يضرب تاريخها ومستقبلها الصحيح.

«كان الازهر يمثل الكيان المتميز لهذه الامة، يمثل ذاتها وتراثها وامكانية مستقبلها.. وادرك المحتلون ذلك كله، لذا نراهم في نفس الوقت الذى يُجْرون فيه المفاوضات والمساومات مع الباب العالى بهدف التفاهم معه، ويعقدون الاتفاقيات مع فلول المماليك، ويصبح كبيرهم «مراد» بك بمثابة موظف أو قائد قوة بوليسية تابعة للمحتل الفرنسي.. في نفس الوقت كان الصدام يتصاعد يوميا بين جيش الاحتلال أو السلطة الفرنسية وبين الازهر.. وانتهى ذلك الصراع باغلاق الازهر وتسمير ابوابه بعد مصرع كليبر.. وفي عهد خليفته الذى ادعى الاسلام.. «عبد الله جاك مينو»[٣].

وقد وصلت الرسالة الاستعمارية الى مجموع المصريين فهبوا من وراء الازهر يقاومون الحملة التغريبية الفرنسية التى حاولت خداعهم بالمطبعة وببعض الوسائل المادية العلمية الحديثه.. هبوا يدافعون عن حضارتهم وأصالتهم، مدركين بوعيهم الفطرى الفروق بين التغريب والتحديث، فالتغريب هو الذوبان في الغرب بخيره وشره، تبعية تشبه تبعية القرود والعبيد، والتحديث هو امتلاك المعرفة التي يتفوق بها الغرب وانتاج كل المعدات التى ينتجها الغرب، وهى علاقة انسان بانسان وتلميذ بأستاذ، وليست علاقة عبد بسيد ولا قرد بانسان.. **التحديث يعنى المساواه بالغرب انسانيا وعقليا وفكريا، والايمان بأن التخلف شيء عارض يجتاح كل الامم وأنه ظاهرة طارئة يمكن علاجها عندما تلتزم الامة بشروط النهضة وتمتلك مؤهلات الحضارة وتمضى في مسيرتها ملتزمة بسنن الله الكونية.**

التحديث يعنى أن اعانى ميلاد الحضارة وأن انشر الخشونة والتقشف حتى أهيىء المناخ المناسب للرجولة والنضال والجهاد، وأن أهيىء نسبة كبيرة من دخلى لتنفق على العلوم ووسائلها وعلى الترجمة للكتب العلمية، لا على ترجمة كتب الترف الفنى والمذاهب الفلسفية والروايات الانحلالية.. بايجاز: التحديث: أن آخذ دورى في التنافس الحضارى من أجل صنع الحضارة مرورا بأعباء الحمل والولاده، وصبرا على تحمل كل الآلام.. وأن أومن، وأقنع كل المصريين والعرب والمسلمين، كما اقتنعت اليابان بعد هزيمة مدمرة.. بأننا لسنا اقل من الاوربيين في الانسانية أو العقل أو الابداع، وأن تخلفنا مرض طارىء لن يلبث أن يزول.

**** بين التغريب والتحديث خيط رفيع**

**** عندما تختل موازين التفاعل مع السنن الكونية يكون التخلف والذوبان**

**** بعض مفردات الصراع السياسي أعاقت نهضة الأمة كثيرا**

«أما التغريب، فيبدأ من اقناع الامة الشرقية انها متخلفة في جوهرها، متخلفة في تاريخها وصميم تكوينها. ومن ثم فلابد من انسلاخها تماما عن كل ما يربطها بماضيها ويميز ذاتها، واعادة تشكيل المجتمع على الطراز الغربي من ناحية العادات والمظاهر السلوكية مع ابقائه متخلفا عاجزا عن انتاج سلع الغرب.. عاجزا عن اكتساب معرفة

الغرب، فإذا ما اكتسب بعض افراده هذه المعرفة، يجدون انفسهم غرباء عاطلين عن العمل في مجتمعهم فيضطرون الى النزوح الى عالم المتفوقين»[٤].

وإذا كان من حقائق علم الحياة أن عملية نقل الدم تخضع لشروط وقواعد دقيقة تنبغي مراعاتها مخافة أن يؤدي الأمر الى زلزلة الجسم المتلقي والفتك به، إذ ليس كل عنصر من عناصر الدم بقابل ليحل محل الآخر لما بين فصائله من اختلاف عضوى يرجع في الحقيقة الى اختلاف الابدان[٥].. إذا كان الأمر كذلك فإن التغريب هو عملية نقل دم مع اختلاف الفصائل والخلفية الثقافية والعقلية الحضارية ودون تعريض عملية النقل للتنقية والترشيح!!.

وقد هب المصريون من وراء الأزهر فرفضوا التغريب وطردوا الحملة الفرنسية، مؤثرين اصالتهم على صفقة خبيثة تعطيهم منتوجات حضارة حديثة دون أن تعلمهم وسائل انتاجها. وفي سبيل ذلك تقضي على مقوماتهم الحضارية.. وقد وصلت الرسالة الازهرية الوطنية الاسلامية الى الاستعمار الصليبي فأدرك انه لابد من أجل غرس التغريب أن يهدم الاصالة أو على الاقل أن يصرف الأمة من حولها ويشل فعاليتها، **ولما كان ذلك صعبا بل وفاشلا بواسطة القوة، فقد لجأ إلى اساليبه الخبيثه المعروفة، فعمل على تجريد الازهر من قيادته الفكرية وجعله مدرسة أو جامعة مثل كل الجامعات خالية من الاشعاعات ومن الرسالة الحضارية، بل أقرب ما تكون الى المهنيه والحرفية التقليدية المجردة من الابداع ومن الدعوة والرسالة،** ولهذا فقد بنيت حول الازهر في القاهرة أسوار من المدارس الاجنبية التنصيرية الحديثة التي تخضع للتصورات الانجيلية والغربية للحياة وتعطي اللغة الاجنبية الامتياز والتفوق وتحط من شأن اللغة العربية وفي مواجهة الازهر على امتداد عدة كيلومترات، وفي أرقى ميادين القاهرة، بنيت الجامعة الامريكية مزودة بامكانات مادية وفنية (وليست علمية) هائلة.

وفي معظم المدن الكبرى في مصر بنيت ايضا مدارس تغريبية وتنصيرية **وصار خريجوها في الأعم الاغلب طلائع للتحول التغريبي، كما بنيت أخيرا جامعة سنجور[٦] في الاسكندرية معتمدة اللغة الفرنسية لغة اولى، رافضة الاعتراف باللغة العربية.**

ونحن نعتقد أن ما سمي بقانون تطوير الازهر انما كان حلقة علمانية، حين وجد اساتذة شيوعيون يدرسون في الازهر، وحين افرغت الكليات الاصلية وهي الشريعة وأصول الدين واللغة العربية من الطلاب المتفوقين لولا أن لطف الله بالازهر على يد الرجل العظيم الشيخ عبد الحليم محمود - رحمه الله رحمة واسعة!!

** أبجديات التفاعل الحضاري مفقودة في تعامل الغرب مع الشرق

** نابليون جاء بالمطبعة، وحاول دك الازهر بخيله

** الغرب صنع لنفسه طلائع للتحول التغريبي

وفي مواجهة الانبعاث الازهرى الذى تألق في مواجهة الحملة الفرنسية، وقاد الامة الى مقاومة الاحتلال الفرنسى بضراوة من خلال ثورتى القاهرة الاولى والثانية وما بينهما من انتفاضات فردية مستمرة.. في مواجهة هذا الانبعاث الذى كان من الممكن أن يقود مسيرتنا الى الطريق الصحيح للمواجهة الحضارية بعد هذه المواجهة العاصفة بين الحضارة الاوروبية الصاعدة والحضارة الاسلامية التى كانت تحمل على كاهلها بقايا المماليك المتآكلين، وشيخا عثمانيا هرما يرفض الاخذ بسنن الله في التقدم الحضارى الشامل.. **بعد هذه المواجهة أدرك الغرب خطورة الانبعاث الاسلامي فلجأ الى طريقته الذكية التقليدية الناجحة حتى اليوم، وهى احداث البديل المبدد للطاقة الصارف عن الحل الابداعي الحضاري الاصيل..** فجاء بالتغريب ملفعا بأردية مضللة يقوده ذلك الالباني الآبق محمد على باشا!!

وقد اتجه الرجل بسلاحه الغربى المستورد ضد اخوانه المسلمين في نجد يستأصلهم ويحارب انبعاثهم الاصلاحى الاسلامى على يد الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويدمر مدنهم ويأسر أبناءهم وشيوخهم، ويذبح كثيرين منهم.. كما اتجه بسلاحه - كذلك - ضد الدولة العثمانية، بدلا من أن يمد لها يد التعاون على الاصلاح

وعبور الازمة الحضارية، وفق منهج حضاري سليم[٧].

وحسبنا للدلالة على تمكن أجهزة التغريب المعلنة والسرية من توجيه المسيرة الحضارية في مصر ضد مصلحة مصر الحقيقية، وضد تقدمها الصحيح وضد احتياجاتها الحقيقية.. حسبنا للدلالة على هذا أن نشير الى هذا التقرير الذى صدر بالجريدة الرسمية بمصر[٨] عن البعثات الدراسية الخارجية التي قامت بها وزارة التعليم العالي بمصر في سنة ١٩٧٣م.

فبينما تشكو الامة العربية من ضعف في النواحي العلمية والتكنولوجية لا نجد العلوم المتعلقة بهاتين الناحيتين تحتل اكثر من خمس بعثات من بين اكثر من مائتى بعثه.

هذا بينما تحتل دائرة التربية وطرق التدريس والعلوم الانسانية، وهى تلك العلوم التى يجب أن تتصل بالبيئة والتراث والوضعيات المحلية المختلفة.. تحتل هذه الدائرة اكثر من مائة وعشرين بعثة من بين البعثات المذكور عددها سابقا.. أى أنها تزيد على النصف من البعثات، حتى ليخيل للمرء أن مخططى البعثات يعمدون الى مزيد من التمييع والتضليل بالنسبة للعملية التربوية في العالم العربى. نعم في العالم العربى لأن هؤلاء الاساتذة غالبا ما يوفدون الى جامعات عربية ويتركون بصماتهم فيها.

ونجد مثلا فروع الطب والتمريض والصيدلة على اهميتها لا تحتل اكثر من عشرين بعثة من بين البعثات الموفدة للعام ٧٣ - ١٩٧٤م.

أما فروع القانون (الحقوق) وحده، فإنه يفوز بعدد مواز للعدد الذى نالته جميع فروع الطب والصيدلة والتمريض.. أى قريبا من عشرين بعثه.

وبقية البعثات.. أي حوالى ٣٥ بعثة.. توزع بين كليات التجارة بأقسامها المختلفة، وبين بعض المعاهد المتخصصة كمعهد البريد ومعهد القطن ومعهد الفنادق وغير ذلك.

ومن النظرة المحايدة يتضح عدم حياد القائمين على البعثات كما يتضح سيرهم في التخطيط المدمر لما تبقى من عناصر الصمود في هذه الأمة[٩].

فلم تكن هذه البعثات يوما تحديثية تسد حاجة البلاد، وتعمل على تحقيق الفوز التكنولوجي الذى نعانيه، بل كانت في مجملها بعثات تغريبية تقوم بدراسة الشعر والأدب والنقد والنحو والتربية.. بل والفقه والتفسير والحديث.. ولا ضير في وجود عدد محدود من البعثات لا تقدم ولا تؤخر في المجالات التطبيقية، إذ أنها لضآلة كمها وضعف كيفها لا تكفى لتطوير مدينة.. فضلا عن بلد كمصر!!

وهكذا كان التغريب هو الطريق المضمون لخسارة معركة التحديث، وكل الدول التى تم تغريبها، أو اختارات طريق التغريب وانشغلت في قضاياه ظلت على تخلفها.. بل وأخطر من ذلك أن «التغريب» يقضى على روح المقاومة في الأمة الشرقية، فيجعل استعمارها من قبل الدول الغربية المتفوقة أسهل، وحكمها أيسر، ويجعل استغلالها أعمق وأكبر عائدا.. وأقل كلفة ومخاطرة[١٠].

والحقيقة أن بذور التغريب والانهزامية الحضارية تعود بدرجة كبيرة الى هذه الحملة الفرنسية التى داست الازهر بخيولها وقاومها الازهر يومها مقاومة شديدة، وقتل أحد طلاب الأزهر الشوام (سليمان الحلبى) قائدها الثانى بعد نابليون (كليبر) وحكم عليه التغريب الفرنسى الممثل لحضارة الحرية والاخاء والمساواة بحرق يده وهو حي وبقتله على الخازوق!!

الهوامش:

(١) مالك بن نبي: ميلاد مجتمع - شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ص ١٥.

(٢) انظر المرجع السابق ص٩.

(٣) الاستاذ/ محمد جلال كشك: ودخلت الخيل الازهر ص ٨ الطبعة الأولى ١٣٩١ الدار العلمية، بيروت.

(٤) أ./ محمد جلال كشك: ودخلت الخيل الازهر، ص ١٤.

(٥) مالك بن نبي: وجهة العالم الاسلامي، ص ٧٢، دار الفكر بدمشق ١٤٠٢.

(٦) كان سنجور رئيس جمهورية السنغال السابق من الاطفال الذين وقعوا فريسة للتنصير مع أن أبويه وأخوته مسلمون ولهذا احتفل به وأصبح رئيس جمهورية نصرانى لدولة اسلامية!.

(٧) د/ عبد الحليم عويس: المسلمون في معركة البقاء، ص ١١٠.

(٨) انظر جريدة الاهرام المصرية ١٩٧٣/٦/٨، نشر دار الاعتصام بمصر ١٩٧٩.

(٩) جريدة الاهرام عدد ١٩٧٣/٦/٨ السابق.

(١٠) محمد جلال كشك: ودخلت الخيل الازهر، ص ١٥ ط الدار العلمية، ١٩٧٢م الطبعة الاولى.

اشعاع تونس الحفـ

شهدت تونس خلال العهد الحفصي، من أوائل القرن السابع الهجري الى العاشر ومن القرن الثاني عشر الميلادى الى الخامس عشر، ازدهاراً ثقافيا، ونهضة عمرانية ونشاطا علميا، مما جعلها مركز إشعاع حضاري عظيم كان مبعث إعجاب كبير في نفوس من زارها اذ ذاك من الرحالين المغاربة والاندلسيين والغربيين والمشارقة، فكتبوا منوهين مشدوهين بما وصلت اليه تونس في عصرهم من نهضة ادبية وعلمية وثقافية وعمرانية بكثرة علمائها وادبائها وشعرائها وزُهَّادها من جهة، وبروعة مبانيها وتعدد جوامعها ومساجدها ومدارسها والتفنن في بناء القصور وتنضيد البساتين من جهة أخرى.

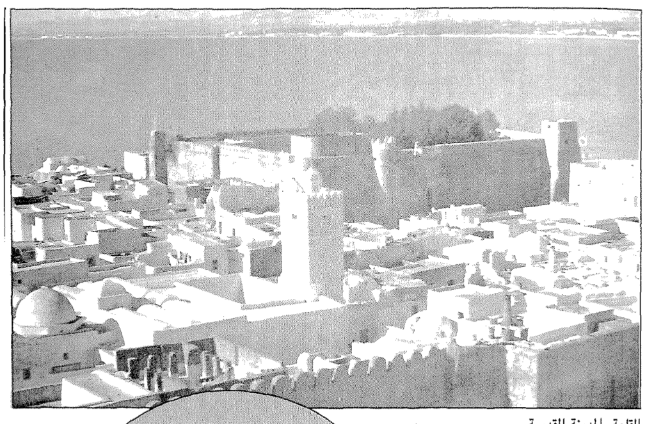
بقلم : د. أحمد الطويلى
- تونس -

وليرجع المرء الى النصوص الراجعة الى العهد الحفصي والتي كتبها هؤلاء الرحالون امثال التجاني والبلوي والعبدري وابن رُشيد وابن بطوطة والقلصادي وعبد الباسط بن خليل وليون الافريقي وادورن[١] أو كتبها مؤرخون أمثال الزركشي في «تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية» وابن الشماع في «الادلة البينة النورانية على مفاخر الدولة الحفصية وابن قنقذ في «الفارسية في مباديء الدولة الحفصية وابن خلدون في تاريخه، فسيجد تصويرا للمكانة الرفيعة التي بلغتها تونس بين البلدان بمعالمها الجميلة وقصورها المترفة وبساتينها التي تغني فيها النوافير وتهدل الاطيار وتتأرج الروائح.. وبأخلاق أهلها العالية ولطف شمائلهم وتربيتهم الرفيعة.

فقد كانت تونس مركزا لتعليم العلوم وفنون الادب خاصة البلاغة والنقد الادبي والعروض والنحو والصرف، وكانت مركزا لتأليف الكتب في شتى الاهتمامات الفكرية والادبية، ولنا اليوم تصانيف كثيرة راجعة الى العهد الحفصي كتبها اصحابها في تونس، وتعد اثارا فنية وادبية ذات بال نذكر منها بعض تأليف ابن الآبار وحازم القرطاجني وابن عصفور وشرف الدين التيفاشي وابن شباط وأبي جعفر اللبلي الى جانب التأليف الفقهية التي كانت وما تزال من المصادر الاساسية في الفقه المالكي مثل تأليف ابن عرفة وتلاميذه ابي القاسم بن ناجي وابي القاسم البرزل، وابي العباس البسيلي وأبي مهدى عيسى الغبريني وابي عبد الله الابي وابي عبد الله الرصاع.

وكانت تونس مركزا لاحتكاك الافكار والمناقشات الفقهية والخصومات الادبية والمطارحات الثقافية بتشجيع من الملوك والوزراء وأصحاب الثروة. وكان مبعثها خاصة التنافس

ـاري في العهـد الحفـصي



القلعة والمدينة القديمة

جانب من الفن المعماري الاسلامي

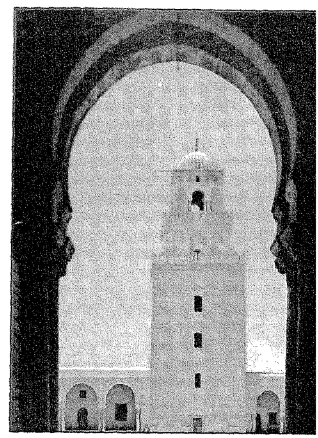
للتحصل على الخطط السامية في هذه البيئة الفكرية والادبية العالية. وكانت المشاحنات تقع بين بعض الادباء الافارقة وبين بعض الأدباء الأندلسيين المهاجرين الى تونس، مثلما كان بين أحمد الغساني وابن الآبار، أو بين الأندلسيين انفسهم مثلما كان يحدث بين حازم القرطاجني وابي المطرف بن عميرة وبين ابن الأبار ومن معه أو تقع هذه الخصومات بين الأدباء الافارقة انفسهم

مثلما كانت تحتد بين ابن خلدون وابن عرفة وحزبيهما أو بين ابن رشد وخصومه وعلى رأسهم ابراهيم بن عبد الرفيع صاحب «معين الحكام على القضايا والاحكام» ومنهم محمد بن عبد السلام ومحمد بن هارون. وكانت هذه المعارك والمنافسات الفكرية تؤدى احيانا الى القتل والاغتيال والتآمر لدى السلطان ليفتك بهذا أو ذاك مثلما كان بالنسبة الى ابن عصفور، وابن الآبار واحمد الغساني.

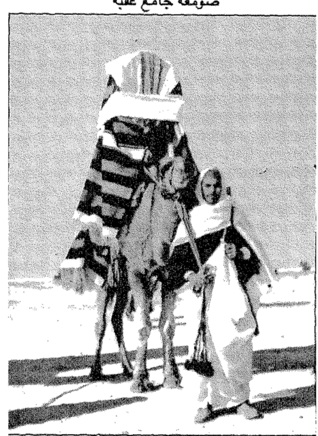
واشتهر الخلفاء الحفصيون عموما برعاية الأدباء وتشجيع الفنانين والراقصين[٢] وتأسيس المؤسسات العلمية والدينية من جوامع ومدارس ومكتبات وزوايا نذكر منها خاصة مكتبة ابي زكرياء الأول وكانت كتبها لا تقل عن ٣٤٠٠٠ كتاب، والمكتبة الفارسية، والمكتبة العثمانية والمكتبة العبدلية الشهيرة.

وكان الكثير من الملوك والامراء الحفصيين شعراء فحولا، اصحاب دواوين احاطوا انفسهم بعدد كبير من الادباء والعلماء تونسيين ومغاربة واندلسيين، كانوا يسنون لهم الجوائز، ويقدمون لهم الهبات، ويجرون لهم الرواتب، كما أن لبعضهم تآليف نثرية ادبية وعلمية ودينية، فكثر الشعراء المادحون من المشرق والمغرب والاندلس.

فلا عجب أن انعشوا الحياة الفكرية والأدبية بتونس ونفخوا في هذه المدينة الجديدة إذ ذاك روحا جديدة اصبح لها اشعاع عظيم، وصارت قطبا هاما من أهم خصائصه توافد الأدباء والشعراء والأطباء والعلماء عليه، وتكاثر المجالس الأدبية والفكرية والغنائية والفقهية به، وتواجد الكتب في المكتبات العامة والخاصة حتى اصبح



صومعة جامع عقبة



الهودج تقليد عربي قديم



رسم على الزجاج لحمل كسوة الكعبة .. وهو يشبه الهودج (الجحفه) في تونس

التجار يقبلون عليه لاقتناء العدد الوفير منها وتصديره للبلدان المشرقية والافريقية والمغربية.

الا أن اهم ما يلفت الانتباه هو أن تونس قد صدرت في هذا العهد العديد من العلماء الفطاحل الى كثير من الحواضر المشرقية والاندلسية، وقائمة ما نعلمه منهم من الاسماء طويلة، نذكر منهم الى جانب ابن خلدون، أبا عبد الله بن القويع (ت ٧٣٨)، قد حصل في مصر على تقدير علمي عريض، وحظي بمكانة اجتماعية مهمة، عرف أديباً فذا، وطبيبا ماهرا، وفيلسوفا كبيرا وبرهان الدين الصفاقسي النحوي واللغوى (ت ٧٤٢)، واخاه شمس الدين، وقد اختار الأول القاهرة مكانا لاقامته والف فيها «المجيد في اعراب القرآن المجيد في أربعة مجلدات بينما آثر الثاني دمشق وجلس في جامعها الأموى مقرئا ومؤلفا، وكلف فيها بوظائف عالية.

ومن العلماء المهاجرين الى مصر أبو المواهب بن زغدان (ت ٨٨٢) الصوفي صاحب التآليف العديدة في علم التصوف وأبو عبد الله محمد القلشاني (ت ٨٩٠) شيخ تربة السلطان قايتباى وصاحب الفتاوى العديدة، ومن العلماء المقيمين بدمشق محمد بن جابر الوادى آشي (ت ٧٤٩) ومحمد مغوش (ت ٩٤٧) وأبو الفتح محمد بن عبد السلام الخروبي (ت ٩٧٧).

ومن المقيمين بالمدينة المنورة ايمن ابو البركات (ت ٧٤٣) وبمكة محمد الوانوغي (ت ٨١٩) ومحمد بن عزم (ت ٨٩١) صاحب موسوعة «دستور الاعلام بمعارف الاعلام» في التراجم، والشاعر محمد اللواتي (ت بعد ٨٩٩) الخ ..

وقد اصبحت تونس في العهد الحفصي عاصمة لا لأفريقية فحسب بل لجانب كبير من المغرب العربي بسبب الانتصارات العسكرية شرقي افريقية وجنوبيها، وظهرت الدولة الحفصية اقوى دولة في تلك الفترة، فقد شاهد أحد المؤلفين التونسيين، صاحب «المختصر الفارسي في الطب» الحجاج المسلمين في مكة والمدينة يدعون لأمير تونس خليفة المسلمين، كما أن القصائد كانت تتوالى على تونس من الأندلس يستنجد فيها أصحابها الخلفاء الحفصيين للهبوب لاسترجاع الأراضي الأندلسية.

وأصبحت تونس مركز الخلافة الاسلامية لاسباب تاريخية ذكرها القلقشندي في «صبح الاعشى» يقول[٣]: «إن الخلافة الاموية ودعاوى بني عبد المؤمن قد زالت عنها في المغرب بغلبة بني

مـرين عليـهم وانتـزاعـهم الأمـر منهم، وخـلافـة العبيديين قد زالت في مصر، وخلافة بني العباس قد زالت من بغداد باستيلاء التتر عليها وبايع اهل مكة المستنصر (ت ٦٧٥) خليفة للمسلمين، وبعثوا البيعة اليه بانشاء ابن سبعين الصوفي و«قرئت في موكب حافل، اهتزت لها تونس، وتلقب من يومئذ بأمير المؤمنين كما جاءته بيعة بني مرين بفاس «وهاداه ملك برنو» من السودان بهدايا نفيسة[٤].

ومن ذلك الحين بدأ المستنصر يستعد ليجعل من بلده عاصمة للخلافة الحفصية، فإذا بتونس يتغير وجهها، وتضحى متأنقة العمران، مزدهرة بالقصور، مليئة بالبناءات الضخمة، فائحة بالبساتين منها رياض رأس الطابية وابي فهر قرب اريانة ، غرس فيها السلطان مختلف الاشجار المثمرة، وأقام فيها الجوابي مما ذكره ابن خلدون في تاريخه (ج٦) بعبارات التفخيم والاجلال والتخليد. ومما نوه به الشعراء في مدائحهم ووصفوه بكل تدقيق وتفصيل في دواوينهم تجديد الحنايا الرومانية الجالبة للمياه من زغوان الى بساتين السلطان وجامع الزيتونة. وقد واكب الشعراء اعمال المستنصر الحضارية، فتناولوها بالرسم والتصوير، ولهجوا بمزاياها الجمالية.

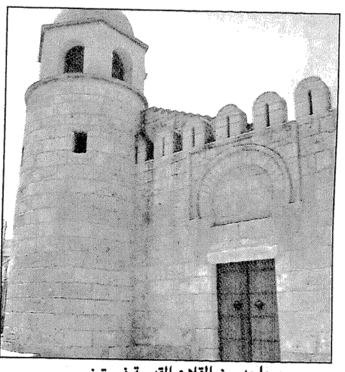
ويمكن أن نحدد ذهاب المستنصر شوطا بعيدا في انجاز اعمال الابهة بعد فشل الحملة الصليبية التي شنها لويس التاسع على تونس ومغادرة الصليبيين قرطاج اثر وفاة لويس التاسع في ١٠ محرم ٦٦٩ (٣١ اكتوبر ١٢٧٠).

فقد أمر المستنصر بتخريب قرطاج تخريبا نهائيا بعد أن كانت بعض معالمها قائمة، واخذت تونس تعمر وتزدهر ببنيان القصور بحطام مدينة عليسة، باعمدتها ورخامها.

يحدثنا ابن خلدون عن غزوة لويس التاسع وما ترتب عنها بالنسبة الى آثار قرطاج يقول عن الصليبيين[٥]: «فانزلوا عساكرهم في المدينة القديمة من قرطاجنة وكانت ماثلة الجدران ووصلوا ما فصله الخراب من اسوارها بالواح الخشب، ونضدوا شرفاتها وادارو على السور خندقا بعيد المهوى وتحصنوا. وندم السلطان على اضاعة الحزم في تخريبها أو دفاعهم عن نزلها، واقام ملك الفرنجة وقومه متمترسين بتونس ستة اشهر».

وبعد اقلاعهم «امر السلطان بتخريب قرطاجنة وان يؤتى بنيانها من القواعد فصير ابنيتها طامسة[٦]».

وقد انتشل الحفصيون افريقية من الفوضى والاضطرابات والانقسام الى دول طائفية انتصبت باهم المدن الافريقية من بينها تونس، فلم ينجحوا فقط في توحيد افريقية واقامة حكم



واحد من القلاع القديمة فى تونس

مركزي بالعاصمة التونسية بل أيضا وسعوا حكمهم جنوبا الى طرابلس وجنوب الصحراء الى حدود توغرت ووراكلا وغدامس وغربا الى الجزائر ففاس، ولم يرد ابو زكرياء الحفصي وخلفاؤه من بعده الا القضاء على الفتن التي كان أهم عامل من ورائها القبائل الاعرابية من بني هلال وسليم وما انفكت منذ هجومها على القيروان تمثل سببا رئيسيا للتخريب وعدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي والتدهور الاقتصادي واستطاعت الدولة الحفصية أن تستمر اكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن، متغلبة احيانا كثيرة على التناقضات القبلية، وموطدة للامن والاستقرار.

وارتبطت بمعاهدات اقتصادية مع بعض الدول الاوروبية مما تناوله الاستاذ روبير برنشفيغ في اطروحته عن تاريخ الدولة الحفصية[٧].

وكانت بداية تألق تونس واشعاعها الحضاري منذ استقل ابو زكريا الحفصي (٥٩٧ - ٦٤٧هـ) بافريقية وكاتب انحاءها بخلع المأمون الموحدي والاقتصار على الدعاء للمهدي والخلفاء الراشدين سنة ٦٢٧هـ، ومنذ ذلك الحين عزم على التوسع والاستيلاء على المزيد من البلدان غرب افريقية فحاصر قسنطينة سنة ٦٢٨هـ وفتحها، ثم فتح بجاية وولى عليها اخاه ابا عبد الله اللحياني. وبدا يخطط لتوزيع عاصمته عمرانيا، فبنى المصلي خارج باب منارة سنة ٦٢٧هـ ثم شرع في بناء جامع القصبة وبقي تشييد البناء طيلة اربع سنوات ولم يكتمل الا سنة ٦٣٣.

مدخل وصحن جامع الزيتونة

وبدأ بتخصيص اسواق للمهن والحرف والصناعات حول جامع الزيتونة وفي اطراف المدينة منها ما هو باق الى اليوم مثل اسواق الصباغين والعطارين، والشماعين والجلادين واسواق الذهب والفضة والزجاج والنقش على النحاس وبعض المعادن.

وقد ساعدت ابا زكرياء الظروف السياسية والحربية بالاندلس على أن تأتيه البيعة من أهل بلنسية سنة ٦٣٦، ارسلوا له وفدا برئاسة ابي عبد الله بن الآبار (ت ٦٥٨) يستنجدون به، والقى هذا الشاعر في حفل مشهود قصيدة شهيرة سارت بها الركبان في تلك الفترة أولها:

أدرك بخيلك، خيل الله، أندلسا
إنّ السبيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست
فلم يزل منك عزُّ النصر ملتمسا

وفي نفس هذه السنة ٦٣٦هـ، افتتح ابو زكريا بلد الجزائر وبجاية وولى عليها ابنه ابا يحيى ثم تحرك الى تلمسان وحاصرها واخذها وهكذا استوفى فتح المغرب الأوسط.

وحين وفاة ابي زكرياء في ٢٢ جمادى الثانية ٦٤٧هـ بظاهر بونة ترك لابنه المستنصر (ت ٦٧٥) ملكا واسعا، وحاشية جل افرادها من العلماء والأدباء والشعراء من افريقية والاندلس وما لبث السلطان الجديد أن تسمى بأمير المؤمنين بعد ثلاث سنوات من ولايته، بعد أن ذاع صيته في الحرمين الشريفين حيث حررت له البيعة بالخلافة كما بينا اعلاه! وأخذ المستنصر يواصل عمل والده، وشرع في التفكير بأن تكون تونس أهلا للخلافة، فإذا بوجهها يتغير، وتضحي متأنقة العمران، مزدهرة بالقصور، حافلة بالبناءات الفخمة، فائحة بالبساتين والرياض منها رياض السلطان بأبي فهر قرب اريانة، وبراس الطابية.

ومن أعمال المستنصر الحضارية ترميمه للحنايا الرومانية وايصالها الى رياضه وجامع الزيتونة، وقد لهج الشعراء بهذه الاعمال فوصفوها ونوهوا بمزاياها الجمالية.

وقد تألقت مجالسه الأدبية والفنية بألمع شعراء عصره من الأندلس والمغرب وافريقية، وسيروا شعرهم فيه مشرقا ومغربا، وضمت هذه المجالس بالاضافة الى الشعراء صفوة من اللغويين والمؤرخين والكتاب والعلماء في شتى الفنون .. وكان المستنصر مثل والده ملكا قويا، محبا للأدب، شاعرا جعل من تونس مركزا للعلم والادب والثقافة الاسلامية في العالم العربي .. واصطبغ انتاج هذه الفترة الادبي بالترف الفني والرقة في تناول الاغراض مما ينم على وصول تونس درجة عالية من الحضارة.

وبوفاة المستنصر في ١١ ذي الحجة ٦٧٥، ورغم دخول البلاد في فترة اتسمت بالفوضى السياسية وكثرة الانقلابات وتوالي الاغتيالات، فإن تونس لم تخمد فيها جذوة الأدب والعلم. فقد تخرجت عن الجيل الأول اجيال من الأدباء عرفوا بدسامة المنتوج الفكرى والأدبي نذكر منهم ابن خلدون وابن عرفة وافراد عائلة التجاني، وفي هذه الفترة الثانية التي تبتدىء بوفاة المستنصر الى سنة ٧٧٢ سنة دخول السلطان أحمد الى القصبة تكونت المدرسة الفقهية التونسية برئاسة ابن عرفة وازدهرت صناعة الكتابة في ديوان الانشاء وتولى اعباءها الفنية خاصة افراد من عائلة التجاني. ووصلت الحياة الاجتماعية الى اوجها الحضارى. ففي عهد ابي يحي ابي بكر (٦٩٢ - ٧٤٧) كان بتونس ازيد من ٧٠٠ حانوت للعطارة، وكان يصنع بتونس كل يوم ٤٠٠٠ قفيز من القمح أَلْفٌ تُبَلّ، وألف تطحن، وألف تغربل، وألف تعجن، وزهت البلاد في ايامه[٨].

وقد عاد الاستقرار السياسي الى تونس بعد دخول ابي العباس احمد الى العاصمة، وفي حياة هذا السلطان الذى حكم من ٧٧٢ الى ٧٩٦، وحياة من خلفه (ابو فارس عبد العزيز (٧٩٦ - ٨٣٧) وابو عمرو عثمان (٨٣٩ - ٨٩٣هـ) ظهر مؤرخون كبار امثال الزركشي وابن قنفذ وابن الشماع وابن خلدون ارخوا لتونس المدينة منذ العهد الاسلامي ووضعوا في تواريخهم علامات

نيرة للحركة الثقافية والنشاط الادبي بالبلاد ورسموا اشارات واضحة لازدهارها العلمي والثقافي واشعاعها الحضاري الكبير.

وبموت ابي عمرو عثمان دخلت البلاد في فترة مُدْلهمّة تولى فيها الحكم سلاطين ضعاف متكالبون على الحكم استنجدوا بالاسبان فاكلتهم الفتنة. واتى الاحتلال الاسباني، بتونس على الاخضر واليابس، وكان من نتائج الغزو الاسباني:

١ ـ القضاء على كثير من معالم المدينة الحضارية بتقويض القصور وهدم البناءات والدور، وتقليع الاشجار وحمل الذخائر والكنوز الفنية مثل بعض سوارى جامع الزيتونة الى اسبانيا[٩].

٢ ـ حرق المخطوطات المحفوظة بجامع الزيتونة واتلافها والعبث بها. إذ اصطبغت هذه الغزوة بروح عنصرية وكره للاسلام والمسلمين ورغبة في تنصير البلاد.

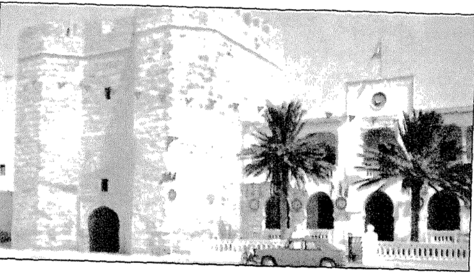
٣ ـ هجرة العلماء والادباء والشعراء الى المشرق والمغرب نذكر منهم ابا عبد الله محمد ماغوش وابا الفتح بن عبد السلام الخروبي وجار الله ابي عبد الله محمد بن خروف وابا عبد الله محمد اللواتي وهم من ألمع شعراء عصرهم.

٤ ـ وانجر عن ذلك ضياع الثقافة التونسية وخبو نجم الآداب بتونس الى ظهور العهد الحسيني فشروق العهد الجمهوري.

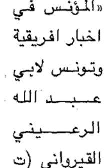
خاتمة البحث:

ومجمل القول أن تونس كانت مركز اشعاع حضاري عظيم طيلة العهد الحفصي، وقد دام هذا الاشعاع حوالي أربعة قرون منذ دخول أبي زكرياء تونس سنة ٦٢٥هـ الى احتلال العثمانيين لها وحمل السلطان محمد الحفصي الى القسطنطينية في ٦ جمادى الأولى سنة ٩٨١. إذ عرفت تونس في كثير من الفترات الاستقرار السياسي والازدهار العمراني وتألق الحياة الفكرية والادبية والرخاء الاقتصادي والأمن الاجتماعي.

وأهم ما نبرزه تطور العمران ببناء الاسواق واقامة القصور والمنتزهات بأريانة وراس الطابية وباردو والمرسى وتشييد الحصون وتطويق العاصمة بالبساتين الشذية بالرياحين والمزهرة بالاشجار المثمرة وتعميرها بالمساجد والجوامع



البوابة القديمة لمدينة المهدية



والـزوايـا، ويمـكـن أن نعتبر ما جاء في كـتـاب «المؤنس في اخبار افريقية وتونس لابي عـبـد الله الرعـيـني القيرواني (ت بعد ١٠٩٢هـ) شـهـادة عن الاشعاع الحضـاري، الثقافي والعلمي التونسي في عهد بني حفص. وقد تضمن هذا التأليف نزعة تمجيدية واضحة قصد اليها المؤلف حين عنون كتابه بالمؤنس. فنرى ابن ابي دينار القيرواني الاصل والمنشأ يمجد العهد الحفصي ويتغنى به في اكثر من مناسبة. يقول عن تونس[١٠]:

«انها عروس بلاد المغرب، ونزهة الاقليم الافريقي، ودار الخلفاء من بني ابي حفص، وهي اشهر من نار على علم، وخبرها روته الثقاة بالنقل والنص».

وافرد المؤلف الباب الأول من تصنيفه للتعريف بتونس الحاضرة، باسمائها وجامعها وبعض آثارها كما خصص فصول الخاتمة لمظاهر من الاشعاع العلمي والثقافي بتونس. ومما قاله منوها بالايام الحفصية: «كانت ايام بني ابي حفص، في أول بدايتهم، من غُرر الأيام، وانتشرت دولتهم حتى عمت بلاد الاسلام»[١١]، وقبل ذلك يقول عن تونس:[١٢]

«قامت بها الدولة الحفصية فعظم قدرها بين البلاد وما ذلك إلا لأنهم قاموا مقام الخلفاء وخطب لهم بأمير المؤمنين وجاءتهم البيعة من الاندلس ومن مكة شرف الله تعالى قدرها سنة ٦٥٧، فحينئذ ضخم أمر تونس وشدت اليها الرحال، وهوجر اليها من كل البلاد».

وفي الفصل الثالث من الخاتمة الخاص بما «تميزت به الديار التونسية وما تفتخر به بين احبابها» يقول[١٣]: «اعلم ايها الواقف على هذا المجموع أن لتونس مفاخر جمة لو استقصيناها لطال بنا المجال وخرجنا عن الحد ولكن نأتي من كل شيء بطرف. وقد كانت قبل هذا الزمان في غاية من الشرف، واهلها في النعيم والترف، بحيث لم تكن بلد تضاهيها، ونفوس اهلها مطمئنة بامنها وامانيها، وكانت محط الرحال، ومبلغ الآمال.

وإذا افتخرت مدينة من مدن المغرب فما احق الفخر بتونس، وإذا حل بها غريب نال التأنس من تونس.

الهوامش:

(١) ارجع الى اطروحتنا «الحياة الادبية في العهد

الحفصي» فصل «قائمة نقدية للمصادر والمراجع».

(٢) اسقط ابو فارس عبد العزيز مغارم واداءات على القيان والراقصين، انظر تحفة الاديب لعبد الله الترجمان.

(٣) ج ٥ ، ص ١٣٤.

(٤) انظر «خلاصة تاريخ تونس لحسن حسني عبد الوهاب ط. الدار التونسية للنشر، د.ت ص ١٣٠.

(٥) التاريخ ج ٦ ، ص ٢٩٣.

(٦) ص ٢٩٤ من نفس المرجع وانظر معجم البلدان لياقوت الحموى، بيروت ١٩٥٩، ص ٦٠ و ٦٢.

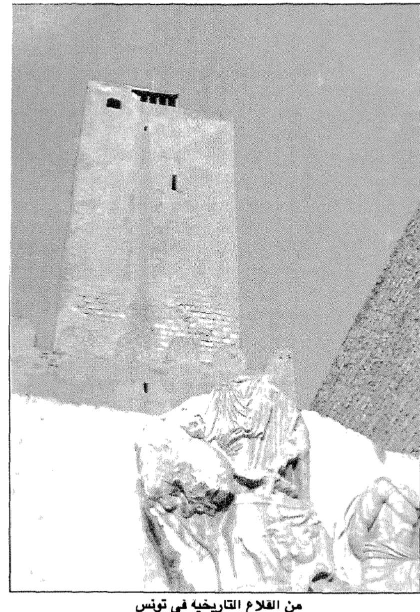
(٧) انظر :

La Berbe'rie Orientale sous les Hafsides des Origines a' la fin du XVe sie'cle. Paris 1982. T.I PP. 25 - 29 - 43 - 44.

(٨) المؤنس لابن ابي دينار، ط ١٣٥٠، ص ١٢٨ عن ابن الشماع.

(٩) انظر:

Paul Sebag: Une relation ine'dite sur la Prise de Tunis par les Turcs en 1574, Publication de



من القلاع التاريخيه فى تونس

L,Universite' de Tunis. Faculte des Lettres et Sciences Humaines. TUNIS 1971.

(١٠) ص ٣.

(١١) ص ٢٧٠.

(١٢) ص ٢٦٢.

(١٣) ص ٢٧٤ وانظر ص ١٢.

الإنسان .. والمثل

نحن اليوم في الثامن والتسعين من القرن العشرين، أي أنه لن تنصرم من أيامنا أكثر من سنتين الا ونغدو في قرن جديد هو القرن الحادي والعشرون.

فهل نشعر اليوم أن هناك قيادات تحملها اطلالات القرن الحادي والعشرين .. فيها من الاعاصير المثقلة بالضياع بما يذهل؟ أم أن الانسانية تجتر أياما خوالي عاشت الدنيا في أجوائها العابقة بأشذاء الايمان والحب والسعادة.. أجواء سكن وحذر واطمئنان تحمل آمالا مزروعة ببذور الخير والموارقة.. نحو مستقبل انساني مشرق بالنماء؟.

صحيح أن العلم وقد تطور هو آخذ في النمو والشمول ولكن معاني الاصالة الانسانية التي غرسها الله تعالى في ذات الانسان تكالبت عليها معالم البشاعة فانصرف الى الغرق في مادية جاحدة بكل القيم والمثل العليا المتجمدة فيها ذاته تلك متباينة الوضوح مع ذلك الغرس الالهي.

فمنجزات الانسان اليوم في معدل عمره.. توازي منجزاته لثلاثة قرون مضت لانه ابتسر الوقت وسخر الآلة.. فبات ما ينجزه في عام ينهيه في ساعات .. الا أنه أضحى يستعملها في الدمار والهلاك.. والفساد في الأرض بدل أن يستخدمها من أجل اسعاده وتهيئة أسباب الخير له في الدنيا والآخرة.

وتعود تبعة ذلك كله الى أن الأرض وإن تكن خالية من طائفة الحق، قد استبد بها من انحرف عن الله وانغمس في عبودية المادة.. وشهوات الدنيا في بوهيمية تحسده عليها السوائم.

فالقيم مهددة من الداخل من قبل التقنيات المتولدة عن وسائل الاستعانة بالاهواء من مبتكراته ومنجزاته. وهو ما يسمى بالتقنيات السيكولوجية.

وقد نضجت على الاخص في البلدان الرأسمالية والشيوعية فهي في «أميركا» مثلا في خدمة مذهب اقتصادي بصورة رئيسية تهدف الى قسر الفرد على الشراء.

أما في «الدول الشيوعية» فانها في خدمة مذهب سياسي وهي تهدف الى قسر الانسان على الانخراط دون تحفظ في ايدلوجية الحاكمين.. لذلك فانها تجند الانسان بكليته.

وهناك مجموعة من ملايين البشر في عالم هذه السنين الاخيرة من القرن العشرين تجحد الله وتزعم في اصرار أن الانسان مخلوق صنعته الطبيعة وطورته حتى غدا في شكله الذي هو عليه بعد أن كان حوتا في البحر أو قردا في الغابة.. وأنه أخذ في التطور سرمديا حتى يغدو أكثر جمالا وتكوينا منه الآن.. ولو صح زعمهم هذا فمعنى ذلك أن البقية الباقية من المخلوقات حري بها أيضا أن تتبدل في صورتها وتكوينها.. تماما كالانسان.

إن هذا المفهوم عديم المنطق واستنتاجه مردود على أصحابه وإلا فلماذا لا يسري قانون الطبيعة على سائر المخلوقات من حيوان ونبات وجبل وبر وبحر؟.. ألخ..

إن منهجية الدين تحتم على المفكر فيها الانصراف الى تكوين وقت معين للتدارس حول واقع العالم اليوم والاستقاء منه لمستقبله غدا وتغذية الانسان بلقاحات فكرية روحية دعما لدولة الايمان المنشودة كما تحددها تعاليم السماء وإزاء ما تحمله تيارات العصر في القرنين الحالي والقادم من تبعات يغلفها الحذر والقلق والضياع.

ولنكن على بينة جلية من أن كلا من الحضارات التي بادت والتي تعايشنا اليوم كانت تتصل في معظمها بجانب من الانسان فحسب .. بينما هي في الحضارة من تعاليم السماء تتوجه الى كل الاركان في الانسان وتتنضد في الروح والفكر والغريزة فوق



بقلم : محمد كامل الخجا
- المدينة المنورة -

ـالية المفقـــودة

بعض. فهي تنضم انضماما عميقا يولد الحياة والفعالية في مثالية فذة.. فعلى الانسان أخذ العبرة من حاضر تائه فيعمل لغاية واحدة فيها التحرر من كل أردان العبودية للمخلوق.

أنارت السنة الالهية الغاية من خلقه وهي عبادة الله وحده، تلك الغاية المجسدة للحقيقة الكونية التي ليس سواها سوى وهم عابر وزيف زائل.

حرر الله الانسان ورفعه فوق مبتغيات النفس وهواها الى افق الحقيقة الكونية الشاملة.. وبالمنهج المبين الواضح دون أي لبس أو ابهام حمله تبعة الامانة ومسؤليتها وحثه على أن لا يلج درب الانحراف وأن لا يسلك مسيرة تتباين مع الصراط المستقيم.

رسل الله عز وجل .. تواكبوا على الانسان منذ أن كان في قرونه السحيقة وعلى مدار التاريخ.. يرسمون الجادة عند كل انحراف.. الى أن هيأ خاتمة العقد من الرسل عليهم السلام المواكبين على الانسان.. {محمد صلى الله عليه وسلم} وتولى الله حفظ رسالته وتماسكها وصان منهاجه ذلك المنهاج الكامل الشامل للفرد والاسرة والجماعة والدولة .. للبشرية كلها وللارض كل الارض.

وكل شيء يخرج حسنا من يدي مبدع الاشياء . ولكنه يتشوه بين يدي الانسان. وليس هناك ثمة سلطانان مدني وديني.. فالدين هو السلطان الرابط بين الناس اراده الله لسعادة الانسان في كل ذرة من العلائق. في الحياتين الدنيا والاخرى.

أما ماذا سيكون عليه فكر الانسان بعد اعادته الى مثاليته التي حققها له الدين.. فحقا سيكون بالايمان. وفق ما به يبدع ويصور. يفعل ويعمل .. فإن ابداعه لابد أن يمتد ويتسع لعمل كل طرق استنباط الاشياء التي يستطيع صنعها وعندئذ يمكننا أن نجد لذة وارتياحا دون أن نهتم للنتيجة.. فالفكر المبدع والعمل المخلص يصبحان جزءا من الحياة والنمو.. وقد يصبح في الامكان تجنب بعض المنافسات التي تقضي على بهجة الحياة المعاصرة.

ومهما كان الشيء الذي يبرع فيه الانسان فلابد من أن ينظم طاقاته المبدعة. ويتحقق بالطبع تشريع وفق الطاقة الفورية في دولة الايمان والعلم.. ولكن اذا كان الهدف التفوق واذا أريد للطاقة البشرية أن تصل الى درجة عالية من المهارة فإن العمل المنظم واضح جدا.

وفي نهاية المطاف نشعر بأن هذا التقدير لما يحمله معه القرن الجديد القرن الحادي والعشرين.. هو ثمرة جهود ضخمة في معاناة صراع مع القيم المشوهة للمجتمع المتداعي الفاسد تبذلها الروح الانسانية ذات الغرس الالهي المثالي.. تلك الروح التي هي سر القدرة على الثبات والجلد والمؤهلة للشفقة والرحمة والتضحية.. في واقع انساني تتنضد فيه تلك الروح مع الفكر والغريزة لتنضم انضماما عميقا يولد الحياة والفعالية للقرن الجديد في مثاليته ليس فيها كما قلت ثمة سلطانان.. مدني وديني .. فالدين هو السلطان الرابط بين الناس.. أراده الله لسعادة الانسان في كل ذرة من العلائق في الحياتين الدنيا والاخرى لكل زمان.

وفي وسط الالم الذي تعيش الانسانية فيه.. تتحدد صورة المستقبل صورة مجتمع الانسان الذي نسعى اليه.. مجتمع غير قائم على الاستغلال.. مجتمع يقدس الكلمة الشريفة.. قائم على الطهر والايجابية بالايمان العميق الذي يملأ حياتنا ويصوغ هذه الحياة بما وقر في القلب وصدقه العمل.

فالدين يعود بالانسان بدفعة قوية جديدة تشرق عليه من خلالها طوالع القرن الجديد في كيان للانسان جديد.. صورة مثالية على الأرض مما تريده لها تعاليم السماء وليستشعر العالم رابطة قوية.. فيختصر الزمان والمكان ليعود الى ملكوت خالقه وعهود النبوة والنماذج الانسانية التي تهوى اليها الافئدة.. مجسدا كرامة الانسان والمساواة بين البشر.. وطوبى للذاكرين.. فانهم سيفرحون.

ما أجمل العم

أحملْ متاعك وارحل لا تذُب ندماً
أصبحت في الحيِّ لا سيفا ولا قلما
تركت جنتنا الخضراء عارية
فلم تعُدْ للمُنى رمزاً ولا علما
يا شاعري أنت في التمثيل مُحْترمٌ
لكن هواك دعيٌّ ليس مُحْترما
يبيتُ يهْذي بأخرى وهو ملكُ يدي
كأنني لم أكنْ روضا له وحمى
فقلتُ مالي أرى الحسناء غاضبة
ما ضلَّ زورقُ ميعادي وما هرما
تقاذفتني همومٌ غيرُ منصفة
وجرَّحتْ أغنياتي فانتحبن دما
وشوَّهت غربتي أبعاد ذاكرتي
واستفحل اليأس في الأعماق واضطرما
لا تُسرفي في عتابي أنت ملهمتي
إلاك في الحُسن مَنْ أبصرتُهُنَّ دُمى

* * *

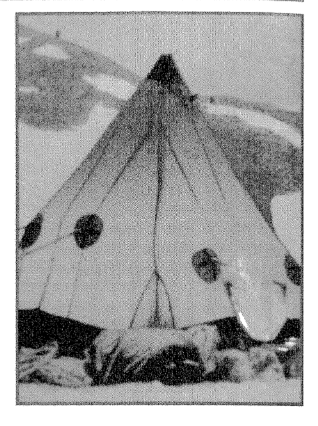
قالت أرى الشوق يلهو بين أضلعنا
فهل جعلت له ما بيننا رحما
أخاف أن نحتسي أحلامنا غُصصاً
ونستطيب العمى والعيَّ والصمما
فافتح نوافذنا يزكو النسيمُ بها
إني أخاف زماناً يعشق الظلما



شــــعر : أحمد سالم باعطب
- جــدة -

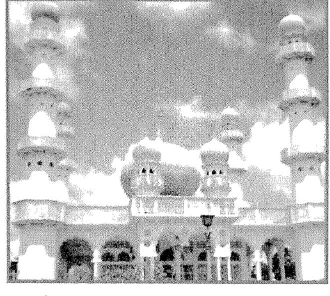
فقلتُ طرفُك ناجى مهجتي سحراً
فلوّنا بالحديث العذب ما رسما
ونادما جدول الذكرى وراعهما
منهُ الحنينُ وما أفضى وما كتما
حبيبتي لم أزل هيمان مُلتزماً
وما طرقتُ رياض المنتدى قزما
دخلتُ قلبك نادتني الشغافُ به
وجئتُ أبني لأحلامي به هرما
فأنت بسمة أيامي وبهجتها
وأنت أسمى هوى بين الضلُّوع نما
قالتْ أحبُّك في حرب وفي سلم
وأحتفي بك منصوراً ومنهزما

أنت الذي سكرتْ من همسه أذُني
ورفَّ قلبي ولمَّا يبلغ الحُلما
أنا وأنت صنعنا من عواطفنا
على السُّطور شموعاً في الشفاه لُمى
ألقى الزَّمانُ لأيدينا أعنَّتهُ
وصار عيناً لنا بين الورى وفما
فقلتُ يا حلوتي كلُّ الفُصُول هنا
تنسابُ أنسامها في رقة نغما
حفظتها لك لحناً تُطفئين به
إذا التقينا لهيباً شبَّ واحتدما
ما أجمل العُمر إن وشَّى الوفاء له
ثوباً وعانقهُ الإخلاصُ وابتسما



في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطيع وجوه الناس
السائح يستقريء
الملامح ويرسم اللوحة

قارة انتركيتيكا
أكثر مناطق العالم برودة



مشاهدات من سورينام

السائح





طفلة تشادية جاءت الى عيد الموسم







عادات الشعوب وأعرافها متنوعة ومتعددة، فيها التباين وفيها الالتقاء في بعض الجوانب .. ويبقى لكل شعب بصماته المميزة لعطائه في كل فعاليات أعرافه وتقاليده.

وتراث الشعوب اضافة إلى أنه البصمة الخاصة بها فهو في جانبه التوثيقي يمثل ثقافة هذا أو ذاك من الشعوب والقبائل.

القبائل وبطونها في جمهورية (التشاد) كغيرها من القبائل الأفريقية التي خلطت ومزجت بين ثقافتين - الثقافة الأفريقية والثقافة العربية.. وكان لهذا المزج دوره الفاعل في تكوين منظومة تراثية شعبية مزدوجة.

الزي عربي، الجلباب الأبيض الفضفاض الواسع، العمامة والتَّلثم، الخيل العربية الأصيلة، الجمال، حتى الرقصات وأسلوب الاداء، هذا مهرجانهم السنوي الاكبر اسموه (عيد الموسم) في ديسمبر من كل عام، ومن بعد نهاية فصل الخريف، انه عيد الفروسية، وموسم الفرح الاكبر.



موكب عرس

أمريكا الجنوبية

٣

مشاهدات من سورينام

المسجد النبوي:

هكذا سموه (مسجد نبوي) بدون «أل» التعريفية، وتعني المسجد النبوي، وهو أكثر المساجد حركة بمعنى أنه معمور بالمصلين في أوقات الصلوات كلها، وبخاصة صلاة الفجر، وهو أيضاً تقام فيه الدروس، ويقصده الدعاة لإرشاد الناس الذين يؤمونه.

ومظهره لا يقل عن مخبره، فهو مشرف البناء، أبيض الطلاء، ذو أربع منارات، وقبة ظاهرة، ويقع غربيه كنيسة تضم مركزاً مسيحيا يديره أحد الأندونيسيين المسيحيين.

ولم يقتصر نشاط أهله على عمارة المسجد، وإنما اشتروا أرضاً مقابلة له؛ يريدون أن يقيموا عليها سكناً داخلياً، لأن هذا أمر مهم، وبخاصة بالنسبة إلى من يدخلون في الإسلام حديثاً، فإنهم من الأحداث، ومن الذين لا سكن لهم، فيمكنهم أن يسكنوا ويعيشوا بين المسلمين، وقرب المسجد يؤدون فيه الصلوات، ويسمعون فيه العظات.

والمسجد مؤلف من طابقين: الأرضي منهما فيه مدرسة ذات مقاعد كثيرة، وفيها دروس للكبار والصغار من المسلمين وأولادهم، ومطعم لصنع الطعام للحفلات العامة والمناسبات، ومرآب للسيارات. والثاني فيه المصلى الرئيسي، أي المسجد، أرضه من الخشب الصقيل، وأكثرها غير مفروش، وكتبوا على منبره الشهادتين بالعربية، وشرحها باللاتينية.

ومما يذكر هنا أننا رأيناهم يكتبون لغتهم الجاوية بحروف لاتينية، كما يفعل الأندونيسيون في الدولة الأندونيسية الآن، وليس كما كانت عليه الحال في الماضي عندما كانت تكتب بالحروف العربية.

ونوافذ المسجد من الزجاج الممتاز، وفيه قسم للنساء واسع، مفصول عن القسم الذي يصلي فيه الرجال.

ورأينا في المسجد حارساً مقيماً فيه، وهو أندونيسي الأصل اسمه (رشدي راجمن)، وقد ركزوا على موضوع وجود الحارس؛ مما يدل على أن الأمن ليس على ما يرام، وإن لم نشاهد من ذلك شيئاً، وإنما تولد عندنا الشعور بهذا الأمر من واقع التحذيرات والاحتياطات الموجودة في الفندق كما سبق.

بقلم : الشيخ محمد بن ناصر العبودى
الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي
ـ مكة المكرمة ـ

وقد رأينا في الطابق الأرض
سيارة طويلة مسترة لا يرى
ما بداخلها أخبرونا أنها
مخصصة لنقل جنـ
المسلمين، وإ
متوسط أجرة نقل
الميت هي (١٥٠)
قلدراً على أن
المسيحيين يأخذون
لمثل هذا العمل ألف
قلدر، وأنهم أحيـ
يؤجرون هذه السـ
لنقل الموتى؛ مـ
الحصول على نقود للإنفـ
المسجد، وما يتبعه من المرافق،
السيارة مكتوب بحروف لاتينية (نبوي) لـ
تابعة للمسجد النبوي.

مسجد
الجمعية
الاسلامية الهندية فى

وقد صلينا الظهر في المسجد متقدمين على الآخرين لأنهم أصحاب أعمال يؤخرون الصلاة قليلا لهذا السبب من دون أن يفوت الوقت، ونحن خمسة: أنا، ورفيقي الشيخ محمد بن قعود، وثلاثة من الدعاة الذين يعملون مع المملكة العربية السعودية، فيهم من هم مبتعثون من الإفتاء، وفيهم واحد تابع لرابطة العالم الإسلامي.

في السفارة الغويانية:

فرغنا من صلاة الظهر، وصلينا العصر أنا والأخ الشيخ محمد بن قعود جمعاً، وكان المؤذن يدخل ليؤذن للظهر، وكنا قد استعجلنا لأننا نريد الوصول للسفارة الغويانية للحصول على سمات الدخول الى (غيانا) التي من المقرر أن تتجه إليها رحلتنا بعد سورينام.

فمررنا بحديقة عامة، فيها أشجار من أشجار النارجيل السامقة، وغيرها، وبجانبها مكتب رئيس جمهورية سورينام.

وجدت موظفة هندية آسيوية الأصل، ويذكر أن الأخ المسلم الجديد الذي قلنا قبل قليل إنه اسلم

في شهر شوال الماضي، وإنه كان قبل ذلك مسيحياً يعمل موسيقياً في الكنيسة، هو (هندي أمريكي) أي من السكان الأصلاء الذين كانوا موجودين في البلاد قبل وصول الأوروبيين، فلبثنا هنيهات من الوقت في السفارة أعطوني سمة الدخول سياسية مجانية لكون جوازي (دبلوماسياً)، وأما رفيقي الأخ الشيخ محمد بن قعود فقد طلبوا الرسم على السمة ستة دولارات أمريكية، ولم يقبلوا عملة (سورينام)، ولم نكن نحمل دولارات أمريكية في تلك الساعة، لأننا كنا قد أودعنا نقودنا في صندوق الأمانات في الفندق، فرهنوا الجواز حتى أعطاهم الأخ الداعية (محمد علي) أوراقاً هامة معه بمثابة الرهن، إلى أن يأتيهم بالدولارات الستة.

إلى جهة الجنوب:

كان من المقرر أن نخرج في جولة على الريف الواقع جهة الجنوب من مدينة (باراماريبو) للاطلاع عليه، غير أننا وجدنا أن حر الشمس لا يطاق؛ إضافة إلى الرطوبة، فأخرنا ذلك إلى الخامسة عصراً.

وقد بدأنا بالريف الجنوبي لمجرد الاطلاع عليه وعلى ما فيه، لأن الريف الشمالي ستكون زيارتنا له زيارة عمل تشمل الاطلاع على أحوال بعض المسلمين الأندونيسيين الذين يقيمون فيه، ورؤية مساجدهم، وحضور الصلاة في أحدها، وإلقاء كلمات في تجمع لهم في مسجد آخر.

اقتصاد سورينام:

اخترقنا قلب المدينة التجاري الذي فيه فندقنا (إمباسادور)، وبهذه المناسبة، أي مناسبة ذكر قلب المدينة التجاري، يجدر بنا أن نلقي بكلمات مختصرة، وربما تكون مبتسرة هنا، عن التجارة لأن التبسط في مثل هذه الموضوعات ليس من عملنا، ولا هو من هدفنا.

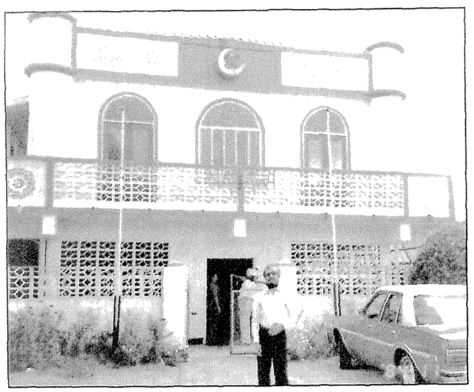
تساوي قيمة القيلدر السورينامي رسمياً قيمة القيلدر الهولندي، وقد أخذ اسمه لأن البلاد كانت مستعمرة هولندية، كما هو معروف، ولكن الواقع أن قيمته في السوق الحرة، التي تسمى عندنا السوق السوداء، لا تزيد على نصف قيمته الرسمية، أي نصف قيمة القيلدر الهولندي، والسعر الرسمي للدولار الأمريكي قيلدر واحد ونصف القيلدر، وفي السوق الحرة يباع الدولار بثلاثة قيلدرات ونصف.

وتعتبر (سورينام) بلاداً غنية، لأنها تصدر الأغذية، مثل الأرز، والموز، كما تصدر سلعاً أخرى مثل الأخشاب، والألمنيوم، وتنتج قليلا من النفط.

ويبلغ مجموع مساحة سورينام ١٦٢ ألف كيلو متر مربع من الأراضي الخصبة التي لا يحتاج استصلاح أكثرها، إلا لقطع الأخشاب، وإبعاد الحشائش، وبعضها يحتاج لتجفيف المستنقعات على حين أن المعمور منها بالسكان لا يزيد على عشر البلاد أي ١٠٪.

وبسبب قلة السكان، وغنى البلاد، وكثرة مجالات العمل فيها، كانت قبل فترة مقصداً للتجار

والعـاملين على تنمـيـة أمـوالـهم بكثـرة؛ إلا أن هذا قلّ الآن بسـبب بعض التعقيدات التي فرضتها البلاد على التجارة بعد الاستقلال، لا سيما إذا عرفنا أن عدد سكان هذه البلاد هو في حدود نصف مليون نسمة، نصفهم يقيمون في العاصمة (باراماريبو)، والبقية في سائر البلاد، ومستوى المعيشة فيها مرتفع.


احد المساجد فى براماريبو

وانطلقنا نقصد الخروج إلى الجهة الجنوبية من المدينة، فرأينا الشوارع في داخل المدينة أكثرها ذوات أرصفة بخلاف الضواحي، فإن أكثر الشوارع فيها خالية من الأرصفة، ولكن إشارات المرور، وتخطيط الاتجاهات في أرض الشوارع متوفرة فيها كلها.

ومن الطريف أن الشوارع التي ليس فيها أرصفة قد حلت الأعشاب، والحشائش الكثيفة فيها محل الأرصفة، فنمت فيها نمواً عظيماً، حتى صرت لا تدري نوع الأرض تحتها أهي حجارة أم تراب إلا إذا فحصتها.

واخترقنا شارعاً يسمى (خرافن سترات)، أي شارع خرافن، و(سترات) بفتحة صحيحة على الراء تتلوها ألف هي (ستريت) الإنكليزية بمعني شارع، وهو من الشوارع الرئيسية لأنه يشق المدينة، وعليه متاجر، وعلى جانبيه أشجار باسقة ضخمة وارفة الظلال، ربما كان سبب ذلك أنها كانت موجودة قبل إقامة هذه البيوت، أو أن ذلك بسبب وفرة الأمطار، وكثافة الرطوبة في الجو، ولا بأس بهذا الشارع إلا أنه رغم طوله ليس واسعاً؛ بل هو لا يتسع لأكثر من سيارتين.

وقد تجلى منظر السكان الذين هم في جملتهم - كما قلنا - من السود، والسمر الشديدي السمرة، وقد اتضحت السمرة الشديدة على ألوان الهنديات الآسيويات اللاتي تخففن من اللباس القصير الذي نقص من أطرافه العليا أيضاً، وقد هجرن الملابس الهندية الآسيوية التقليدية التي هي طويلة، وفيها زوائد لا حاجة لها، لولا شدة المحافظة على

الأشياء الزوائد في الهند.

الريف الجنوبي:

ثم خرجنا من المدينة جهة الجنوب، فأصبحنا في ريف أخضر، كثيف الخضرة، وخضرته أكثرها طبيعية، وحشية، وأكثرها خال من العناية أو التهذيب، مع أن المنطقة لو لقيت عناية، وزرعت بالأشجار النافعة المثمرة كالموز، والنارجيل مثلا، لآتت غلات كثيرة، ولكنهم يجدون أراضي رخيصة، وسهلة الاستزراع بالنسبة إلى هذه الملاصقة للمدينة.

ولقد وقفت بين الأعشاب النامية التي يحجبني طولها والتفافها، فكدت أختفي بينها، حتى كان أصحابي لا يرونني إذا طأطأت رأسي، وهي أعشاب، وليست أشجاراً.

وبين هذه الأعشاب، وقريب منها، أشجار من أشجار البرتقال الكبيرة التي تزرع عادة في المناطق الاستوائية، والشبيهة بالاستوائية، وهي كبيرة عالية، وثمرتها خضراء أقل جودة من البرتقال الذي تنتجه البلدان المعتدلة مثل المغرب ومصر ولبنان.

ورأينا هذه الأشجار محملة بثمار البرتقال، وأخبرنا الإخوة المرافقون أنهم يبيعون البرتقال عداً، وليس وزناً، كل مائة برتقالة بستة قيلدرات سورينامية، والقيلدر الواحد يباع بالسوق الحرة بما يساوي الريال السعودي الواحد، وهذا هو السعر الذي يبيع به الفلاحون للتجار.

ثم وصلنا إلى شاطىء نهر سورينام العظيم الذي يقترب من المدينة أكثر في جهة غير هذه الجهة في مكان يسمى (لاين بيرخ) ومعناها بالهولندية: جسر لاين التي هي الأسد، وسميت بالأسد لأن فيها مقر نادي الأسد الدولي الذي هو جمعية أشبه بالماسونية، وبيرخ معناها: جسر، وليست بعيدة من (برج) لهذا المعنى بالإنكليزية، و(لاين برخ) هذه ميناء للعبّارات (بتشديد الباء) التي تنقل الناس والسيارات من شاطىء النهر هذا إلى الجهة المقابلة التي هي في هذه النقطة أعرض من النيل في شمال القاهرة خمس مرات. وكنا نود ركوب إحدى هذه العبارات لزيارة منطقة واقعة على الضفة المقابلة من النهر اسمها (ماروين) فيها مسجد، ولكن الوقت كان ضيقاً، فالتقطنا صوراً تذكارية في ميناء العبارات هذا، ولبثنا قليلا نتنشق هواء النهر العليل بعد أن أدبرت الشمس، ومعها سياطها الحارة التي كانت تلهب بها الرؤوس.

وأبعدنا جنوباً أيضاً لمسافة خمسة كيلومترات، فتجلى الريف كما وصفته كثيف الخضرة إلى درجة تجعل الانتفاع من الأرض للزراعة وغرس الأشجار المثمرة صعباً لأن إبعاد هذه الحشائش وقطع الأشجار والأعشاب النامية أمر مكلف.

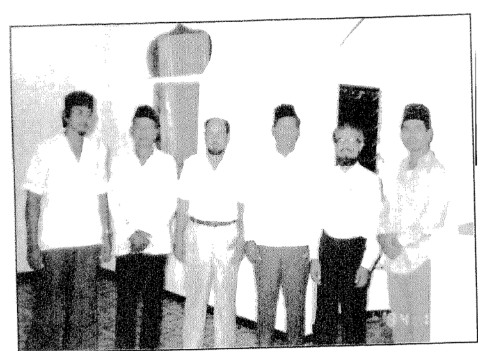
روضة المحبين:

عدنا جهة المدينة مع طريق على شاطىء النهر مما يسمى في العامية بالكورنيش في منطقة جيدة المنازل، كانت منازل للأثرياء والمترفين في عهد الاستعمار الهولندي الذي هو عصر الازدهار



الاقتصادي، والحرية في التجارة والعمل، وهي أشبه ما تكون بالناحية الحديثة التي تتناثر فيها الدارات (الفيلات) الغارقة في الجنات.

ويسمى الطريق (أنطون برختن وايخ) أي طريق أو شارع أنطون برختن، وهو شخص هولندي، و(وايخ) طريق، وهي (وي) الإنكليزية، بمعنى طريق، أو ابنة عمها.



مع الاخوة الدعاة فى سورينام

وتجاور هذا الطريق حديقة متسعة مهذبة، فيها المقاعد، قالوا: إنها كانت تسمى في زمن الترف في الاستعمار الهولندي (حديقة العشاق)، وسميتها (روضة المحبين) لأنها أولا كالروضة؛ إلا أنها لا يصيبها المحل أبداً، فلا تجف زهورها، ولا تسقط أوراق أشجارها. وثانيا: لأن تسمية هذه الأماكن بالروضة هو أشبه بالصحة في العربية الفصحى من تسميتها بالحديقة التي تعني الأشجار داخل سور أو حاجز، وهذه ليس عليها سور أو حاجز.

وكلما سرنا على مهل في هذه المنطقة الجميلة من الشاطىء قلنا: ما أجمل البلاد.

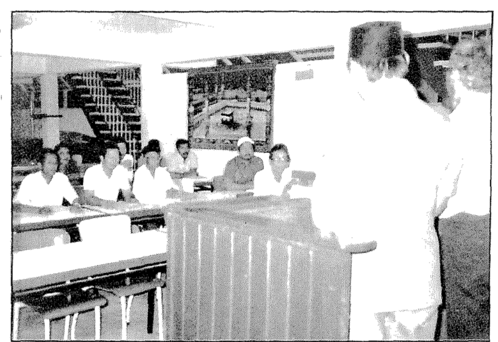
إلى الريف الشمالي:

مررنا بوسط المدينة، ولم نقف لأن لنا هدفاً نقصده، واقعاً جهة الشمال البعيد نسبياً منها، فمررنا بمقبرة قال لنا الإخوة المرافقون: إن فيها قسما منفصلا للمسلمين عن القسم الأكبر الذي يقبر فيه النصارى.

كما أخبرونا أن الدفن في المقابر العامة مجاني، بمعنى أنه لا يؤخذ ثمن للقبر؛ بخلاف كثير من البلدان الخارجية التي لابد فيها من أن يدفع أهل الميت ثمن قبره، أما المقابر التي تتبع الجمعيات، وهي التي يعتنى بها في الغالب، فإنها بنقود، وليس منها الجمعيات الإسلامية التي لا تتقاضى نقوداً عن القبر، وإنما تتقاضى النقود عن أجرة نقل الميت بالسيارة إذا كان أهله قادرين على دفع تلك الأجرة. وذلك لأن الجمعيات تكون قد اشترت أراضي تلك المقابر شراء.

مسجد القبلتين:

الهدف الأول من ذهابنا إلى جهة الريف



- لقاء في باراماريبو.

الشمالي هو زيارة مسجد القبلتين، والمراد بالأول هنا أنه الفقرة الأولى من الزيارة، وليس الأولوية، لأن المساجد هناك، بل الإخوة كلهم هم سواسية لدينا مع مساجدهم.

ويبعد (مسجد القبلتين) عن المدينة اثني عشر كيلو متراً، وتسميته (مسجد القبلتين) هي ابنة ساعتها، فهي من عندي، وسيأتي ذكره.

اتجهنا عند الخروج من المدينة جهة معاكسة للجهة التي قدمنا منها لتونا، وهي الجنوبية، فوقعنا بدون مقدمات في ريف أخضر ندي، كالريف الجنوبي، إلا أنه مختلف جداً عنه من جهة العمارة والزراعة، فهو هنا حقول زراعية للأرز، والأشجار المثمرة، والمنازل فيه لا بأس بمظهرها، وإن كانت كلها من الخشب.

وكنا نسير مع طريق جيد التعبيد إلا أنه ضيق، لا يتسع إلا لسيارتين متقابلتين. وبمناسبة كثافة الخضرة والأشجار في الريف سألت الإخوة المرافقين عن الحيوانات في الغابة، وعن الصيد فيها، فأجابوا: إن الصيد موجود، والحكومة لا تلاحق الصائدين، ولكن الناس الذين يجدون الوقت، والمال اللازم لشراء البنادق، والذخيرة هم قليل، وإلا فالغابات في الأراضي الريفية حافلة بأنواع الصيد الثمين.

أما الحيوان في هذا الريف الذي نسير عليه الآن، والذي رأيته بنفسي فإنه كلاب سود، وماعز أسود اللون، صغير الحجم، غريب المنظر، وهو نادر الوجود خارج هذه البلاد كما عرفته من أنحاء العالم المختلفة.

ومررنا بمعبد للقاديانيين في هذا الريف بمنارات، وقبتين ظاهرتين، وأهله كلهم من الهنود الآسيويين، والباكستانيين، وليس فيهم من الأندونيسيين وأهل البلاد أحد، فلم يستسيغوا القاديانية، ولم تنطل عليهم شبهها.

ثم بمسجد معتاد في مظهره، فهو كالبيت المعتاد، ليس له منار، ولا قبة، وهو أيضاً معتاد على الخطأ في القبلة، كما هو التقليد القديم عندهم في جعل القبلة إلى جهة الغرب، ولم نقف عنده إذ

لم نتيقن أن فيه أحداً في هذه الساعة التي تسبق ساعة الغروب.

والملاحظ أن الريف هنا مسكون، بمعنى أن فيه منازل متناثرة، وإن لم تكن كثيفة، والبيوت كلها مبنية من الخشب لوفرته، ورخصه بالنسبة إلى مواد البناء الأخرى، وكلها مبني من طابق واحد ذي سقف مسنم لكي تنزلق عنه الأمطار.

والأشجار العالية والضخمة كثيرة، ومن أكثرها ظهوراً للنظر أشجار النارجيل بقوامها النحيل، وفرعها الثقيل؛ على عكس ما كان يتغزل به العشاق القدماء من الخصر النحيل، والردف الثقيل، إلا أن الفرع الأثيل الذي هو في الصور الجميلة هو الشعر الكثيف الجميل، هو في أشجار النارجيل عسب منسقة على شكل مظلة خضراء تعجب من أن تستطيع هذه الشجرة (العصلاء) أن تتحمل ثقلها، لا سيما إذا داعبها الهواء، فصار يجبرها على الانحناء والالتواء.

ثم انحرفنا عن الطريق المعبدة إلى طريق ريفية ترابية فرعية، تسير بجانبها ترعة مائية موغلة في الريف الذي يصح أن نسميه بالغابة لولا وجود الزراعة الحقلية، وبعض البيوت الخشبية.

ولمناسبة وجود هذا الماعز الصغير الحجم، الأسود اللون، سألت الإخوة عن الأنعام التي تربى في هذا الريف، وعما إذا كانت فيها أبقار، أو أغنام؟

فأجابوا: إن الضأن هنا لا تسهل تربيته، وكذلك الأبقار، وذلك بسبب كثافة الرطوبة، وقلة المراعي المستوية؛ لأن البلاد كلها أشبه ما تكون بغابة كثيفة، وإنما يعتمد الأهالي في اللحوم على الدجاج والسمك والماعز، ويأكل الكفار لحم الخنزير.

وصلنا (مسجد القبلتين) في قلب الريف الندي، وسميته (مسجد القبلتين) لأن قبلته كانت جهة الغرب، فأوضح الإخوة من دعاة المملكة العربية السعودية لأهله أن ذلك خطأ، وأن صواب القبلة أن تكون إلى الشرق، مع ميل قليل إلى الشمال، فحولوا قبلة المسجد من الغرب إلى الشرق قبل سنتين، ولم يكلفهم ذلك أكثر من أن يجعلوا المحراب باباً للدخول إلى المسجد، ويجعلوا باب الدخول الذي كان يقابله، وهو قديم، محراباً.

فكان هذا المسجد ـ لهذا السبب ـ حرياً بأن يسمى من الآن فصاعداً (مسجد القبلتين)، وقد أسميته بذلك، ولا أدري ماذا يسميه أهله بعد ذلك، أما اسمه الحالي فهو (مسجد هداية الله).

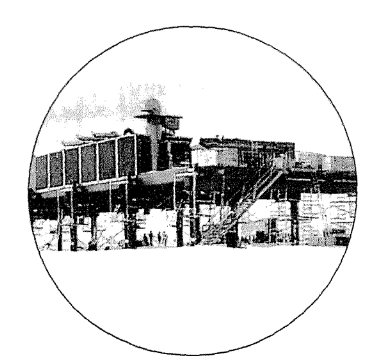
لقد بُني هذا المسجد من الخشب، وعلى الطريقة الأندونيسية الخالصة في بناء القباب في المساجد ونحوها، الذي تكون أشبه ما تكون بالقبة الصينية المربعة الصغيرة، ذات الطيات التي يركب بعضها بعضاً، ولها شاهد قصير.

استقبلنا إمام المسجد، واسمه (واكي مني واكي نو) ولا حاجة إلى القول بأنه أندونيسي؛ لأن هذه لفظة منطقة إسلامية أندونيسية، أو لنقل سورينامية أندونيسية الأصل.

بقلم : مصطفى غنيم
ـ الكويت ـ

قارة انتركيتيكا أكثر مناطق العالم

وصف المستكشف الشهير الكابتن كوك(انتركيتيكا) قائلا: «إنها بلد قُدِّر له أن يظل مدفوناً تحت جليد دائم» وأضاف قائلا: «وإذا توغل أى مستكشف في جنوب هذه القارة فلن أحسده على الشهرة التي سوف يجنيها من اكتشافه ولكني سأعلن بصراحة أن العالم لن يجني أي نفع منها». ولكن اليوم تعج انتركيتيكا بالعلماء الذين تتضاعف أعدادهم إلى بضعة آلاف خاصة في الصيف وهم يواجهون ببسالة الرياح الباردة التي تبلغ سرعتها ٩٠ كم/ ساعة والجليد والصقيع الدائم ولك أن تتساءل: لماذا يتحملون كل هذا؟



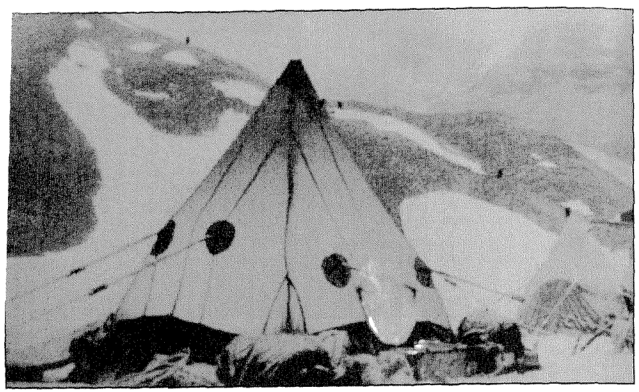
ـ أحد المعامل العلمية في القارة القطبية الجنوبية.

الجواب ببساطة: لأن هذه القارة تحتوى على كنوز علمية غير عادية، فالجليد يحتفظ بعينات فضائية قديمة مثل النيازك، والمحيط يحتوى على كائنات بحرية فريدة في تكيّفها مع البيئة، والمكان يكاد يكون هو الوحيد الذي لم تلمسه بعد يد الإنسان.

مكتشفو الصحراء الجليدية الكبرى:

وصلت حركة استكشاف قارة انتركيتيكا إلى قمتها في بداية هذا القرن، ومنذ ذلك الوقت وضع آلاف من الناس أقدامهم عليها، وطالما واجه هؤلاء الرّحالة خطر الموت في الصدوع الجليدية أو فقدان أجسامهم للحرارة أو الجوع، علاوة على أن هناك دائماً خطر الضياع في فضاء واسع لا يوجد به سوى قليل من العلامات المميزة.

وعلى المسافر في هذه الأرض أن يتصف بالقوة البدنية والذهنية لكي يبقى على قيد الحياة، والأمر كما يقول

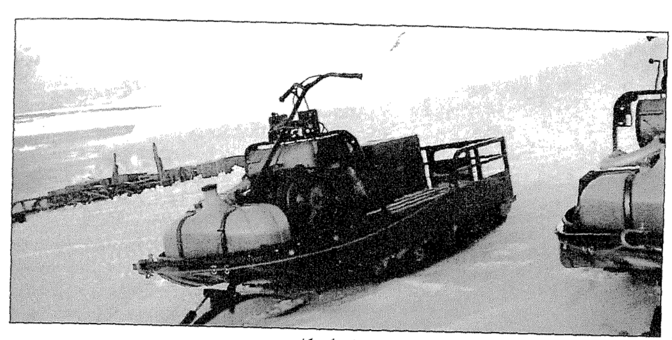


- في هذه الخيام يسكن العلماء الذين يدرسون انتركيتيكا.

المستكشف البريطاني إرنست شاكلتون: «إن الصفات الواجب توفرها في المستكشف هي حسب أهميتها كالتالي: التفاؤل والصبر والتحمل البدني والمثالية وأخيراً الشجاعة، فقليل من الناس يفتقرون إلى الشجاعة، ولكن التفاؤل يبطل الإحباط ويجعل المرء قادراً على الإستمرار، ونفاذ الصبر معناه كارثة والتحمل البدني لن يعوض الصفتين الأوليتين». ويضيف رئيس المركز البريطاني لأبحاث انتركيتيكا عوامل أخرى مثل وجود الحافز والثقة بالنفس. والمركز البريطاني المذكور لا يجري اختباراً نفسياً لمن سيعمل به كما تفعل دول أخرى، ولكنهم يعتمدون على المقابلات الشخصية وعلى اختبارات طبية دقيقة.

وقد كتب رانولف فينيس يصف المشاكل النفسية التي تعرض لها عام ١٩٩٢ أثناء رحلة عبوره للقارة المتجمدة مع زميله مايك سترود فيقول إن كليهما أراد أن يتراجع في اليوم الأول وكان كل منهما يتمنى في نفسه أن يكون الآخر هو البادئ بعذر لذلك، وظل الرجلان ثلاثة أشهر دون استحمام وهما يتشاركان خيمة واحدة، ولكن ما كاد ينال منهما هي التفاصيل الصغيرة مثل من منهما يملأ ملعقته بالعصيدة أكثر من الآخر، ومن زحافته أخف في جرها من زحافة الآخر، لقد كان كل جزء من جسميهما يصرخ بالألم ولم يكن ثمة من حل سوى شحذ طاقتهما الذهنية للتغلب على هذا الموقف، فالأمر كما يقول المستكشف ويل ستيجر: «إن نسبة ٧٠٪ من السفر في انتركيتيكا مسألة عقلية».

م برودة وارتفاعاً وجفافا وغرابة



- وسيلة المواصلات التي يستخدمها العلماء للتنقل في انتركيتيكا.

وفي كثير من الأحيان يصاب الناس في انتركيتيكا بالإنهيار، ففي عام ١٩٨٣ أحرق طبيب أرجنتيني مبنى قاعدة بلاده هناك لأنه لم يتحمل قضاء شتاء آخر هناك، كما أن مكتب التحقيقات الفيدرالي اضطر رجاله الى التحقيق في شجار نشب في القاعدة الأمريكية هناك، كما أرسلت استراليا وسيطاً لتهدئة العلاقات التي توترت بين الستة عشر عضواً في قاعدتها هناك.

انتركيتيكا: آخر بقعة في الأرض لم تلوث

- تحتوي انتركيتيكا على ٣٠ مليون كليومتر مكعب من الجليد تختزن ٩٠٪ من المياه العذبة في العالم.

- تمتلك الكائنات الحية القليلة هناك ميكانيزمات خاصة تعينها على البقاء، فبعض الأسماك أجسامها مضادة للتجمد.

- إذا ذاب الغطاء الجليدي فوق القارة فسوف يرتفع مستوى الماء في البحار حوالى سبعين متراً.

- إن جفاف الهواء وانعدام التلوث يجعل الرؤية في هذه القارة واضحة تماماً، فيمكنك أن ترى على بعد عدة أميال ولكن المشكلة هي صعوبة الحكم على المسافات.

- انتركيتيكا من الناحية الفعلية صحراء، فكمية الماء المتساقط على القطب الجنوبي تعادل سبعة سنتيمترات في العام فقط.

أكبر معمل في العالم:

تمتلك أكثر من اثنتي عشرة دولة قواعد دائمة في القارة المتجمدة الجنوبية، هذه القواعد يعيش فيها مجموعة من العلماء ومساعديهم لدراسة هذه القارة التي تعتبر بظروفها البيئية غير العادية أكبر معمل في العالم.

يقول عالم الأحياء البريطاني كيث ريد الذى قضى ثلاث سنوات هناك يتتبع الحيوانات التي تعتمد على البحر في غذائها: «إننا نثبت أجهزة إرسال في طيور البطريق، وتنطلق هذه الطيور وهي تحمل معدات تساوي مبلغاً كبيراً من المال دون أن تكون واثقاً من عودة هذه الطيور مرة أخرى». وهناك طرق أكثر بساطة من الناحية التقنية مثل دراسة فضلات عجول البحر والطيور لمعرفة المعلومات اللازمة عن غذائها.

وفي جنوب القارة القطبية حيث البرودة أشد قسوة يمكن لبعض الكائنات الحية أن توجد، فعالم الكائنات الدقيقة البريطاني الدكتور ديفيد وليام يقوم

هناك بدراسة كيفية تفاعل الكائنات الحية الدقيقة مع الأشعة فوق الحمراء الناتجة عن ثقب الأوزون، وارتفاع درجة الحرارة الراجع إلى تأثير البيوت الزجاجية.

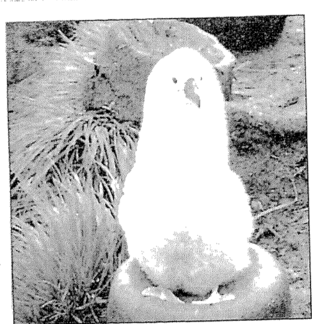
وهناك مجموعة أخرى من العلماء في انتركيتيكا يقضون وقتهم وهم ينظرون إلى السماء بدلا من النظر إلى الأرض، يقول أحدهم وهو عالم الغلاف الجوى الدكتور جون دوديني: «إننا لا نهتم بأنتركيتيكا نفسها، وإنما نتخذها رصيفاً نقف عليه لدراسة الفضاء خارج حدود الأرض».

انتركيتيكا: النبات والحيوان؛ أرقام وحقائق:

- كلمة «انتركيتيكا» مشتقة من كلمة يونانية معناها «بلا دببة». فالدب القطبي يوجد فقط في المنطقة القطبية الشمالية.
- يوجد في هذه القارة نوعان فقط من النباتات المزهرة، وليس بها أى نوع من الأشجار كما لا يوجد أى نوع من الحشرات الطائرة.
- طيور البطريق التي تستوطن جزيرة زقادوفسكى هناك يبلغ عددها ١٢ مليوناً.
- أسماك القد الموجودة في المحيط هناك يمكنها أن تعيش في درجة حرارة تصل إلى خمس درجات تحت الصفر، ولكنها تموت إن زادت درجة الحرارة إلى خمس درجات مئوية.
- لم يتساقط المطر فوق القطب الجنوبي منذ حوالي عشرة آلاف سنة كما يقدر العلماء.

الصراع حول امتلاك القارة:

قبل توقيع معاهدة انتركيتيكا عام ١٩٦١ كانت كثير من دول العالم تتزاحم للسيطرة على مكان في القارة القطبية بحماسة أدت إلى كثير من التوتر في العلاقات الدولية، فادعت بريطانيا السيادة على شبه جزيرة انتركيتيكا عام ١٩٠٨، ولكن نفس هذا المكان ادعت ملكيته كل من الارجنتين وشيلي في الثلاثينيات من القرن العشرين. وتنازعت امريكا واستراليا على شرق القارة، بينما ادعت المانيا النازية لنفسها ما



- دراسة الحياة النباتية والحيوانية في انتركيتيكا تعطي معلومات حيوية عن تأثير الانسان على البيئة.

كانت تسيطر عليه النرويج؛ ففي عام ١٩٣٨ أرسل النازيون بعثة سرية إلى انتركيتيكا لتأكيد سيطرتهم على هذه الأرض وقامت الطائرات الألمانية التى تحملها حاملة طائرات برسم خرائط لجزء كبير من سواحل القارة وألقت بصلبان معقوفة من المعدن في كل مكان تطير فوقه.

وأثناء الحرب العالمية الثانية تزايد قلق البريطانيون من نشاط الألمان والأرجنتينيين فأرسلت بريطانيا بعثة بحرية سرية جداً تسمى «العملية تابارين» لإقامة قواعد لها هناك.

وأخيراً انتهى الصراع الدولى حول القارة بتوقيع المعاهدة المذكورة آنفاً والتى جمدت ادعاءات الدول في أراضى هذه القارة، وسمحت فقط بالتعاون العلمي بين الدول هناك واستعمال القارة للأغراض السلمية فقط، وقد جُدِّدت هذه المعاهدة عام ١٩٩١ ولا يزال معمولا بها حتى الآن.

ويمنع البروتوكول المتفق عليه بين الدول التعدين في القارة للأغراض التجارية حالياً وفي المستقبل القريب، فهل ستصمد هذه المعاهدة في ظل نقص المصادر الطبيعية وزيادة سكان العالم الذى يغري

السـراي والسلطـان

سوف نتعرف على أجواء هذا السراى أثناء حملة نابليون الأول على مصر من خلال تتبعنا لدور السلطان سليم الثالث ومدى تأثير محظيته ايميه عليه ونتعرف كذلك على ما قامت به والدة سليم الثالث السلطانة ميرز شاه من دور بارز في سبيل إخراج الفرنسيين من مصر ولكن جدير بنا أن نعطى لمحة عن حالته النفسية أثناء الحملة لكي نخرج بصورة حقيقية عن هذا السلطان. إذ أنه من غير الموضوعي أن نتحدث عن عواطفه تجاه ايميه محظيته ودورها ونتجاهل شعوره وقراراته التى اتخذها في أثناء هذه الأزمة التى مر بها السراى العثماني. كان هذا السلطان في حالة غضب شديد أن يرى مصر تلك الدرة الغالية في تاج السلطنة العثمانية وقد اجتاحها الفرنسيون. ومن أول ما اتخذ من قرارات لمواجهة الاحتلال الفرنسي لمصر، هو عزل شيخ الإسلام والوزير الأعظم وعين آخرين مكانهما. ثم وجه هذا النداء الذى ألصقت كلماته على النواصي الرئيسية للعاصمة أستانبول:

«يجب أن يدخل المؤمنون الصالحون في حرب ضد الفرنسيين وإنى أرى أنه من واجبي الديني أن استنفد كل ما في استطاعتي من أجل تخليص السلطنة من هذه الجماعات الكافرة. وليعلم كل المسلمين أننى أحارب ضد الفرنسيين، وعليكم أن تستخدموا كامل قواتكم ليل نهار لنيل القصاص العادل من هؤلاء المحتلين»[١].

وأصدر هذا السلطان كذلك مرسوما باحتجاز الرعايا الفرنسيين في قصر «البروج السبعة» ولقد كان هذا القصر مخصصا لإحتجاز الدبلوماسيين الذين يخالفون قواعد العرف الدبلوماسي. وكذلك اعتقل ٢٥ فرنسيا آخرين في «بيت فرنسا» في استانبول وكان الفرنسيون مطاردين في كل أنحاء السلطنة. ومن المفارقات الغريبة - فيما يتعلق بالرعايا الفرنسيين في أقاليم الخلافة العثمانية وخاصة في استانبول - أن بعض هؤلاء الرعايا كان قد طرد من فرنسا بعد قيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩ بسبب ولائهم الملكي.

وكان هذا السلطان رقيقا وإنسانيا تجاه هؤلاء الرعايا الفرنسيين الذين احتجزوا في تلك الفترة. ولقد عاملهم معاملة إنسانية راقية. وقد سجلت هذه المعاملة أثناء احتجازهم، صفحة أخرى من صفحات التسامح التى عرفت بها

بقلم : د . صادق محمد نعيمي
جامعة جنيف - سويسرا -

...ان ودور المرأة

مراحل مختلفة من تاريخ الحضارة الإسلامية. ولكن الغريب حقا هو أن بعض هؤلاء الرعايا قد كتب مذكرات بعد إطلاق سراحهم، وذكروا أنهم أسيء معاملتهم. كان منهم من تحدث عن عدم الإنسانية بدلا من الإنسانية، والوحشية بدلا من المعاملة الطيبة. بيد أن واحدا فقط من بين هؤلاء الرعايا هو الذى سجل إنسانية السلطان تجاه هؤلاء الرعايا المحتجزين وهو: ريفان الذى أشاد بعدالة هذا السلطان. وهكذا لا تخلو الحياة الإنسانية - مع رداءة الطبع الإنساني وسفالته - من أناس يسجلون الحق ويردون الباطل فى بعض المواضع.

ولعله من المناسب أن نذكر بعض الأمور التاريخية المتعلقة بعلاقة الرعايا الفرنسيين بالسلطنة العثمانية. كانت عاصمة الخلافة العثمانية قد شهدت مولد شاعر من الشعراء العظماء في اللغة الفرنسية وهو اندريه شنيه حيث كان أبوه يعمل دبلوماسيا في هذه العاصمة. ومن المفارقات أن أرض الإسلام قد شهدت مولده، وشهدت باريس مشنقه حيث أعدم هذا الشاعر أثناء «فترة الرعب» التي اجتاحت فرنسا بعد إعلان الجمهورية الفرنسية الأولى ١٧٩٢[٢].

ونسجل كذلك فيما يخص هذه العلاقة العثمانية/ الفرنسية أن هذا السلطان (سليم الثالث) كان أول من اعترف بالحكومة الثورية في فرنسا. وكان القصر العثماني أول قوة ذات ثقل دولي كبير (حسب معايير القوى في نهاية القرن الثامن عشر) تعلن إعترافها بالحكومة الثورية. ومن صور هذا التسامح العظيم، أن الإدارة العثمانية كانت لا تمانع من تواجد من طردتهم الحكومة الثورية.

ونسجل هنا مفارقة فكرية غريبة وهى أن بعض فلاسفة عصر الأنوار Sie'cle des Lu-mieres[٣] وخصوصا Montesquieu في روايته: الرسائل الفارسية التى ظهرت في سنة ١٧٢١ وفي كتابه روح القوانين Espritdes lois المنشور في ١٧٤٨ كان يهاجم بشدة السراى العثماني ويعتبره نموذجا للإستبداد الشرقي. ولعلنا نعلم أن فلسفة الأنوار قد ساهمت في ازدياد الوعى مما أدى إلى الثورة الفرنسية[٤] ولكن كانت المفارقة أن تكون السلطنة العثمانية هى أول من يعترف بالحكومة الثورية.

يبدو أنه جدير بنا أن نسجل أمرا آخر يحسب في غير صالح سليم الثالث، وذلك أنه قد سمح للأسطول الروسي بالمرور عبر البوسفور وكان هذا على عكس رغبة الوزير الأعظم. ونظرا لأن هذا الوزير قد ارتأى عكس رؤية السلطان، فقد كان هذا سببا في عزله من منصبه مع أن رأيه كان صوابا. وهذا يدفعنا إلى التذكير بخطورة

التصرفات الاستبدادية التي ترتكب بسبب الإصرار على رأيه حتى ولو كان خطأ، بل قد يصل إلى محاربة أصحاب الرأي الآخر، ولكن أنى للسلطان أن يسمع هذا الرأي الرشيد، وهو قد استمع إلى مشورة محظيته المفضلة ايميه: «ابحث عن الرأة»[٥].

كان صيف ١٧٩٨ أسوأ صيف عاشته ايميه في حياتها، حيث كانت في موقف لا تحسد عليه. فقد غضبت من السلطان لاحتجاز الرعايا الفرنسيين إلا انها كانت ممزقة بين حبها لأهل بلدها وبين حب قلبها للسلطان. وفي إحدى الليالى طلبت منه أن يفرج عن الرعايا الفرنسيين، وكان هذا الطلب - إذا عرفنا متى وكيف تطلب النساء شيئا من رجل - بيد أن السلطان لم يستجب لها، وإن كان قد وعدها بمعاملتهم معاملة إنسانية.

وعندما بدأ الخطر الروسى في التزايد اقترحت هذه المحظية على السلطان أن يضغط على الروس من خلال الإدعاء بأن السلطنة توطد علاقتها مع الإنجليز. أشرنا آنفا أن الإنجليز والروس كانوا في حالة تحالف مشوب بالحذر - يوحى للإنجليز بأنه سوف يوطد علاقته مع الفرنسيين والإنجليز. ولكن سليم الثالث رفض أى تقارب مع الفرنسيين ماداموا يحكمون مصر. وبقي التساؤل حول هذه النصيحة المقدمة من محبوبة السلطان ايميه كما يلى: أيَّة ورقة يمكن لعبها ضد الفرنسيين إذن؟ ولم يكن جواب هذه المحظية سوى الحرب. ومؤدى نصيحة ايميه: أن يتحارب الإنجليز والروس والفرنسيون ويحارب الباب العالى الفرنسيين كذلك. وبالفعل تم توقيع معاهدة تحالف بين الدولة العثمانية وكل من روسيا القيصرية وإنجلترا.

وتذكر بعض الكتب الفرنسية التى تتناول هذه الفترة أن هذه المرأة هي التي اقترحت على السلطان أن يدعم محمية عكا أثناء حصار نابليون لها بقوة من قوات ما كان يعرف وقتئذ «بالنظام الجديد». ولعل هذا يحتاج إلى توثيق حول ما إذا كان هذا هو اقتراح هذه السيدة أم هو من جانب المبالغات في دور هذه المرأة. ولعل أحد الباحثين في المشرق أو المغرب العربى أن يخصص بحث ماجستير أو دكتوراه أو بحث تخرج من أجل دراسة دور المرأة في القصر العثماني أثناء الحملة الفرنسية بل وفي مصر كذلك. وأن من شأن بحث كهذا أن يقوم بتسليط الأضواء على أمثال هذه الأمور. وقد يتسع الأمر لمعرفة دور المرأة الاجتماعى والثقافي والسياسي في المراحل المختلفة لتاريخ الأمة العربية. وهذا يؤدى بنا إلى التعرف على وجوه مشرقة للأدوارالإجتماعية التى لعبتها المرأة العربية داخل مجتمعها. ولعل هذا يكشف أيضا عن الدور السلبي لبعض النسوة، وان كان قليلا بالقياس للدور الإيجابي الذى لعبته المرأة في ماضى الأمة وما انفكت تلعبه في حاضرها.

وجدير بنا أن نشير أن التأريخ، لا يتحدث عن المرأة ودورها الاجتماعي. ويعد هذا نقطة ضعف خطيرة أخرى في كتابة التاريخ في الشرق. ومن الواجب أن تعاد كتابة التاريخ مع التركيز على دور الطبقة الوسطى في التغيير الاجتماعي على مدار حقبات التاريخ العربي. علينا أن لا نواصل السير في كتابة التاريخ بالطرق التقليدية التي تعتمد على السرد دون التحليل والتي تتناول تاريخ الملوك والدول والحروب فقط. إنه من اللازم علينا أن نبرز دور الفرد، دور المواطن العادي في سبيل التغيير. ويتم هذا من خلال إبراز تضحيات هذا المواطن وإبراز سلبياته كذلك. ولسوف يؤدى هذا لأن نعرف نقاط قوتنا وأسباب ضعفنا.

وكانت في القصر العثماني امرأة أخرى لعبت دورا مهما في حث السلطان على التدخل لمساعدة المصريين في الدفاع عن بلدهم والدفاع كذلك عن جزء من السلطنة العثمانية. هذه المرأة هى (ميزرشاه) والدة سليم الثالث وبنت السلطان أحمد الثالث. ومنذ اليوم الأول لدخول الفرنسيين إلى مصر كانت تعمل هذه السيدة على طردهم منها. ومما فعلته هذه المرأة أنها قدمت للأميرال نيلسون هدية بعد أن حطم أسطوله الإنجليزى، أسطول الحملة الفرنسية في معركة أبى قير البحرية في الأول من أغسطس ١٦٩٨. وكانت الهدية عبارة عن جوهرة كبيرة من الحجر الثمين. وجدير بالذكر أن هذه السلطانة قد عنفت ابنها سليم الثالث على أنه يستمع إلى مشورة فرنسية عدوة. وكانت تقصد بعبارتها تلك محظية السلطان التى تحدثنا عنها، لتونا. وعندما دعا السلطان مجلسه الاستشارى للبت فيما يجب فعله تجاه الاحتلال الفرنسى لمصر، ما كان من المجلس إلا أن انقسم إلى فريقين ما بين مؤيد للحرب ضد الفرنسيين وبين معارض. ولكن كفة الفريق الذى تؤيده والدة السلطان ميرزشاه والمؤيد للحرب قد رجحت. أما ايميه فكانت ترى أن يترك السلطان كلا من الإنجليز والروس ليقاتلوا الفرنسيين ويتفرغ السلطان للإصلاحات التى كان قد بدأها في الهيكل التنظيمى للخلافة التركية. ومشورة هذه المرأة كانت خطيرة للغاية حيث سوف يسمح للأسطول الروسى بالمرور عبر خليج البوسفور، في نفس الوقت الذى كان يعد فيه الروس أعداء تقليديين للدولة العثمانية مما يؤدى إلى اختراق عاصمة الخلافة. ومن شأن هذا أن يؤدى إلى أن يكون للروس والإنجليز موطأ قدم في مصر. ويتحول هذا البلد إلى مستعمرة روسية أو إنجليزية بدلا من فرنسية. وهو ما حدث فيما بعد حيث تحولت مصر إلى منطقة احتلال بريطاني سنة ١٨٨٢ بل عقب خروج الفرنسيين كانت بريطانيا تعد لاحتلال مصر وهو ما ظهر واضحا في حملة فريزر الفاشلة على مصر سنة ١٨٠٧.

ولعل السلطان كان مترددا بين رأي أمه ورأي محبوبته. ولكن الشارع الإسلامى كان يغلى..

كانت أستانبول تغلى لأن «الفرنجة» احتلوا مصر. وما نريد أن نستخلصه هنا هو أن الشعور الإسلامي كان قويا. وكانت هناك مشاركة وجدانية قائمة على أساس الشعور الدينى المشترك فإذا ما احتلت منطقة أو دار من ديار الإسلام تجاوب كل المسلمين مع أهل هذه المنطقة المحتلة من قبل غير المسلمين. وهذا الدور الاجتماعى هو ما ندعو بالحاح إلى الاهتمام به لتقوية هذا الشعور وإحيائه من جديد. ولعل صيحة هذه السلطانة كانت تتجاوب مع صيحة المسلمين ولقد قالت هذه المرأة لابنها سليم الثالث:

أما عن وجه الخطأ في السماح للأسطول الروسي بالمرور عبر البوسفور فإنه يتمثل ليس فقط بالسماح لعدو تاريخى للخلافة العثمانية أن يمر عبر عاصمة السلطنة رافعا علم القيصرية الروسية ذا اللون الأصفر الذى يعلوه نسر، ليس هذا فقط ولكن لأن الروس والإنجليز كانوا متحالفين وإن كان تحالفا مشوبا بالحذر، مما كان من شأنه أن يؤدى إلى تحالف خطير ضد الدولة العثمانية. وقد بدأ الخطر الروسي يزداد ويتضاعف حيث ساعدهم هذا السماح بالمرور - لمحاربة احتلال فرنسا لمصر - على مضاعفة قواتهم في منطقة البلقان. وكانت هذه المنطقة قد بدأت تشهد بعض أنواع التمرد ضد الخلافة العثمانية مثل التمرد الصربي. ومرد ثورات الأمم البلقانية ضد السلطنة هو ازدياد الشعور القومى عند القوميات التى كانت خاضعة للسلطنة، وكان الشعور الدينى المسيحى يتضافر مع هذا الشعور القومى في استثارة هذه القوميات.

أما عن عواطف السلطان سليم الثالث أثناء هذه الحملة، فكانت عواطف محب تجاه محظيته الفرنسية. كانت هذه المحظية تسمى ايميه واسمها يمكن ترجمته (محبوبة) (وان كانت أسماء الأعلام لا تترجم ولكن من جانب ملاحظة هذا الحب تجاه محبوبته!!) وهى - كما أسلفنا - فرنسية ولكن من عائلة ترجع أصولها إلى منطقة المارتينيك. ولقد قلنا محظيته لأنها لم تكن زوجته حيث إنه كان لديه زوجة تسمى فاليدا. ويرجع تواجدها في السراى العثماني إلى أنها اختطفت من قبل مجموعة من القراصنة البربر. ومن المعروف في التاريخ أن القراصنة على جانبى البحر الأبيض المتوسط، كانوا يقومون بعمليات خطف وقرصنة.

كان عمر ايميه وقت اختطافها لم يتجاوز الخامسة عشرة وأهداها داى الجزائر إلى السلطان ولقد اختار هذا الداي أن يتقرب الى السلطان، فلم يجد سوى هذه الحسناء لتكون خير ما يتقرب به إلى سلطانه.. وهكذا كانت ومازالت هناك علاقة وثيقة - وإن كانت دنيئة - بين المرأة والسلطة، بين النساء والجاه. ولقد قال مونتني في المقالات Les Essais كم هي الشهوة أشد أنواع العبودية. وعلى أية حال فقد تقرب الداى بما تقرب به، وكان هذا طريق ايميه إلى السراى.

وربطت بين هذه المرأة والسلطان علاقة حب.

ولسنا ندرى أكانت تحبه لإنسانيته أم تحبه لسلطانه، إذ ما أشد حب المرأة للسلطة أكثر من حبها لمن بيده هذه السلطة. ولكن ما نؤكده هو أن هذا السلطان قد أحب هذه المرأة كما سنرى في السطور التالية.

ونشير إلى أن ايميه وبنت عمها جوزيفين - زوجة نابليون بونابرت - كانتا تلعبان بالقائدين الأساسيين أثناء الحملة الفرنسية على مصر.

لقد احتلت مكة فماذا تنتظر أيها السلطان؟

ولعل هذه العبارة مهمة حيث إن منطقة الشام ومصر هى المدخل الرئيسي للصليبيين - إذا ما أخذنا في الاعتبار تصورات القرن الثامن عشر - لمنطقة الحجاز. ولكن الملفت للنظر هو أن سليم الثالث قد قرر أن يأخذ بالمشورتين معا: مشورة أمه ومشورة محبوبته، فقرر أن يعلن الحرب ضد فرنسا وأن يسمح للأسطول الروسي بالمرور من البحر الأسود إلى خليج البوسفور، وهكذا مرت سفن البحرية الروسية رافعة علم القيصرية. ولقد كان لهذا العبور مضاعفات لسنا في موضع ذكرها.

إذن كان السراى العثماني في حالة طوارىء وكان السلطان سليم الثالث مشتتا بين رأى محبوبته ورأى أمه فيما يجب فعله حول التدخل الفرنسي في مصر. وكما رأينا لعبت محظيته وأمه دورا مهما في هذا الصدد.

الهوامش :

(١) Michel de Grece, La Nuit de Se'rail, Olivier Orban, 1983. P. 279.

(٢) Andre' che'nier, Oeuvres com-ple'tes, La pleade Paris, 1990.P.X.

(٣) عرف القرن الثامن عشر بأنه عصر الأنوار، وقد شاع استخدام تعبير عصر التنوير في الكتابات العربية للإشارة لذاك القرن.

(٤) علمنا الأستاذ ب. باتشكو B.Baczko ضمن محاضراته حول تاريخ الثورة الفرنسية في جامعة جنيف بسويسرا أن الثورة الفرنسية هي مجموعة من الأحداث التى نتجت بدون تخطيط ولا تدبير، بل كان الحدث مثل إعلان حقوق الإنسان أو إعدام الملك لويس السادس عشر.. يقود إلى حدث آخر حتى تكون ما يعرف في التاريخ باسم الثورة الفرنسية، ويرفض الأستاذ باتشكو أن تكون فلسفة الأنوار هى التى أدت إلى الثورة الفرنسية كما هو شائع في تاريخ الفكر الإنسانى وقد ضمن أفكاره هذه - بالإضافة إلى محاضراته - في مقالته المعنونة: أنوار Lumie'res ضمن قاموس الثورة الفرنسية المعنون Dictionnaire de la Re'volution Francaise في الجزء المخصص للأفكار Lde'es

(٥) مثل يقال في اللسانيات حيث تكون كلمة (المرأة) والـ signifiant هى السبب.

العرب الأوائل في بلاد المغ

اتجه العرب في بداية العقد الثالث من القرن الأول للهجرة الى شمال افريقية يحملون معهم عقيدتهم الاسلامية لينشروها في تلك المناطق، ويحملون معهم فكرة تحرير سكان الشمال الافريقي من السيطرة الاجنبية البيزنطية. ولهذا شهدت القرون الاسلامية الأولى في المغرب نشاطاً كثيفاً كان له أثره في وضع أسس استقرار العرب، وقواعد تعريب المغرب وصهر سكانه في بوتقة المجموعة العربية - الاسلامية.

في البدء يستحسن تحديد مصطلح «المغرب الاقصى» الذي يراد به ذلك الجزء المتطرف من بلاد المغرب[١]، وهو ما يعرف اليوم بالمملكة المغربية. فابتداء من القرن الخامس للهجرة، الحادي عشر للميلاد اطلق الجغرافيون العرب[٢] على الاقاليم البعيدة في بلاد المغرب اسم «المغرب الاقصى» والتي تمتد من وادي ملوية حيث مدينة تلمسان حتى مدينة أسفي على المحيط الاطلسي غرباً.

عقبة بن نافع وفتح المغرب

أما صلة العرب بمنطقة المغرب الأقصى وجهودهم في التعرف عليها فلم تبدأ الا بعد حوالي أربعين سنة من دخول الجيوش العربية الى مناطق برقة، وقد ارتبطت باسم القائد العربي عقبة بن نافع. ففي ولايته الثانية على بلاد المغرب (٦٢ - ٦٤هـ/ ٦٨١ - ٦٨٤م) حمل عقبة الجيش العربي - الاسلامي الى سواحل المحيط الاطلسي والحافات الشمالية للصحراء الغربية.

تتفق المصادر العربية الوسيطة[٣] على أن عقبة بن نافع خرج من القيروان بصحبة عسكر كبير نحو الغرب فاخترق المغرب الاوسط، محارباً من فيه من البربر والروم، وممهداً الطريق لسيادة العرب على بلاد الزاب. وقد واصل عقبة سيره موغلا غرباً نحو منطقة الريف حتى وصل الى أحواز طنجة التي يعرف حاكمها باسم يليان، وكان هذا الحاكم الرومي على ما يبدو قد بادر بمهادنة عقبة والعرب القادمين، ويبدو أنه بفضل توجيهاته استطاع عقبة وجيشه التوغل جنوبياً في مناطق المغرب الاقصى واخضاع قبائل البربر[٤].

وبالرغم من اننا لا نجد عند الكتاب العرب الاوائل مثل ابن عبد الحكم والبلاذري[٥] الا اشارات مقتضبة عن حملة عقبة الى المغرب الاقصى، لكننا نجد تفصيلات عنها عند المتأخرين منهم. فبعد أربعمائة عام من وصول عقبة الى مناطق المغرب الاقصى، نجد أن الرفيق القيرواني يشير الى أن عقبة كان قد وصل الى مدينة تارودنت[٦] في السوس، ودخل السوس الأقصى بعد أن أحرز انتصارا آخر ضد القوات البربرية

بقلم الدكتورة : صباح ابراهيم الشيخلي
جامعة بغداد - كلية الآداب

ـرب الأقصى

التي اجتمعت هناك بأعداد كبيرة (القيرواني، المصدر السابق).

كما أن البكري الذي كتب في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد ذكر أن عقبة وصل الى «منطقة السوس الادنى والسوس الاقصى والمحيط الأطلسي» (المسالك والممالك، ص ١٦٠).

ومما يؤسف له أن روايتي القيرواني والبكري، لا تحتويان على ذكر محدد للمناطق والمدن التي وصل اليها عقبة وجيشه العربي. وبهذا الصدد نجدد قطعة تاريخية مهمة أوردها ابو صالح بن صالح بن عبد الحليم[٧] في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد، والتي يمكن اعتبارها اكثر اهمية من الروايات السابقة لها، لأنها تعطي صورة واضحة ومفصلة عن حملة عقبة الى مناطق السوس الادنى والأقصى، وجاء فيها ما يلي:

«فلما تفرغ عقبة من المغرب الاوسط، دخل المغرب الأقصى سنة ٦٢، وعقبة أول من دخلها من عمال المسلمين في هذه الأمة. فوصل عقبة الى طنجة ووجد عليها يُليان، فاستأمن معه يليان. فذهب عقبة حتى وصل مدينة وليلي بمقربة من الموضع الذي بنى فيه فاس قبل بنيان فاس، فوجد فيه جموع البربر فقاتلهم حتى هزمهم واتبعهم الى درعة، ومن هناك نزل الى بلاد الصحراء الى ايفيران يطوف وقيل إنه رجع من السوس الادنى وهي بلاد درعة فدخل بلاد صنهاجة وقيل إنهم أطاعوه ولم يقاتلوه، وكذلك هسكورة» (عبيد الله بن صالح بن صالح بن عبد الحليم، الانساب، ورقة ٤١).

وفي دراسة نص ابن عبد الحليم نستطيع القول إن عقبة اتجه من طنجة جنوباً ليقاتل قبائل البربر في مناطق المغرب الأقصى، ويبدو أن مسيرته أوصلته مع جيشه الى الحافات الشمالية للصحراء الغربية حيث مواطن بعض قبائل صنهاجة. ولعل ما جاء عند ابن خلدون من أن عقبة «كان قد عبر بلاد السوس الى منطقة الملثمين، حيث قاتل قبائل مسوفة البربرية (العبر، ج ٦ ص ٩٧) يؤكد لنا وصول عقبة الى مناطق الصحراء الشمالية جنوب واحة سجلماسة والتي تمثل مراكز استقرار قبائل مسوفة الصنهاجية. ويستفاد من نصي ابن عبد الحليم، أن آخر منطقة في المغرب الاقصى وصل اليها عقبة بن نافع هي وادي درعة. وإذا صح هذا الافتراض يكون عقبة بن نافع هو القائد العربي الأول الذي عرّف العرب على سكان مناطق المغرب الاقصى وحافاتها الشمالية. وفي اثناء تجواله بتلك المناطق نجده لا ينسى بناء عدة مساجد فيها لتكون مراكز لنشر الاسلام، منها مسجد في درعة، ومسجد في مدينة ايجلي عاصمة وادي السوس الاقصى[٨].

وأخيرا لابد من القول باننا لا نملك اي إشارة تفيد أن حملة عقبة الى مناطق المغرب الاقصى كانت قد أدت الى استقرار جاليات عربية ولو صغيرة فيها. وبالرغم من وجود اشارات قليلة إلا أن عقبة قد ترك بعض أصحابه لتعليم البربر مبادىء الاسلام[٩]، وربما لادارة المساجد التي أسسها في

بعض مدن المنطقة، ولكن هذه المجموعة القليلة لا يمكن أن تمثل بوادر الوجود العربي في المغرب الأقصى. إلا أن حملة عقبة نفسها قد كانت تمثل الفرصة الاولى لتعريف وتعرف العرب على سكان منطقة المغرب الأقصى من البربر.

جهود موسى بن نصير

كانت الخطوة الثانية، والاكثر اهمية، في استكمال عملية فتح المغرب الاقصى والانتشار في أراضيه على يد موسى بن نصير في العقدين الاخيرين من القرن الاول للهجرة/ السابع للميلاد. إذ استطاع موسى بن نصير حال وصوله الى افريقيا أن يبدأ بتطبيق سياسته الجديدة وهي اخضاع بلاد المغرب كلها للسيادة العربية الاسلامية. والذي يهمنا في سياسته هو نشاطه في المغرب الاقصى والذي اتسم بالسعة والشمول في اقصى شمال البلاد حيث طنجة وسبتة الى جنوبه حيث منطقة السوس الأقصى؛ وقد تمكن موسى بن نصير خلال ذلك من القيام بعدة عمليات عسكرية كان هدفها الرئيسي الوصول الى المغرب الأقصى.

خرج موسى من القيروان بجيش كبير مخترقاً المغرب الأوسط حتى وصل مدينة طنجة فتشتت القبائل البربرية أمامه، فتبعها جنوباً عبر السوس الادنى حتى مدينة سجلماسة ووادي درعة[١٠] وقد نجح في مسيرته هذه من اخضاع القبائل البربرية في هوارة وزناتة وكتامة ومعمودة وصنهاجة[١١] لنفوذ العرب. وأخيراً بعد أن تم لموسى اخضاع مناطق المغرب الأقصى جميعها وجه اهتمامه نحو طنجة التي كانت تخضع للحاكم الرومي يُليان فنجح في ذلك. وقبل عودته الى القيروان ترك في طنجة حامية عسكرية بلغ عدد افرادها - كما يذكر ابن عبد الحكم - الف وسبعمائة رجل تحت قيادة ابنه مروان.

(ابن عبد الحكم، فتوح مصر وافريقية، ص ٢٠٤). والذي يبدو أن الظروف في طنجة لم تكن ملائمة لمروان لذلك ترك القيادة فيها الى القائد طارق بن زياد.

إن استقرار مجموعة عربية في طنجة، يمكن اعتباره بادرة مهمة في قضية الوجود العربي في المغرب الأقصى، كما أن اعطاء قيادة المعسكر في هذه المدينة الى طارق بن زياد، قد جذب اعداداً هائلة من البربر للانضمام الى المعسكر الاسلامي الموجود في هذه المنطقة. كما لم ينس موسى قضية نشر الاسلام والثقافة العربية بين بربر المغرب الأقصى ولاجل نشر الاسلام وتعليم سكان المنطقة مبادئه، ترك طارق بن زياد في سبتة عشر من فقهاء العرب وقرائهم وكذلك في طنجة لتعليم سكان المنطقة مبادئ الاسلام[١٢].

أدى الوجود العربي البربري في طنجة الى تجنيد البربر مع العرب في جيش اسلامي كبير أدى، فيما بعد، مهمة خطيرة في تاريخ الدولة العربية الاسلامية الا وهي فتح الاندلس. وبالرغم من أن هناك عدم اتفاق بين المصادر العربية الوسيطة فيما يتعلق باعداد المقاتلين الذين كانوا تحت قيادة طارق بن زياد[١٣]، إلا أن هناك اتفاقا بينها على أن جيشه كان قد تألف من العرب والبربر[١٤]، إن مثل هذا النوع من التجنيد في الجيش الاسلامي كان فرصة مهمة للاختلاط العربي - البربري في المغرب الأقصى منذ فترة مبكرة.

عصر الولاة

في المرحلة التالية التي يسميها المؤرخون المحدثون باسم «عصر الولاة» تغيرت نظرة العرب نحو اهداف الفتح وباتت ملامح سياسة جديدة تبرز الى الوجود، الا وهي الاستقرار في المغرب. وكان

محمد بن يزيد القرشي أول ولاة افريقية الذين عملوا على وضع أسس الاستقرار[١٥]. ومثله ايضا كان اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الذي أبدى جهداً استثنائياً في محاولات نشر الدين الاسلامي على نطاق واسع، متمثلا في دعوة البربر الى الاسلام، وفي جلب العلماء وأولي الرأي من المشرق الى المغرب لبث تعاليم الدين الصحيح، مما أدى الى بعث النشاط الديني والحياة الفكرية في المغرب، وبالتالي تنشيط عملية التعريب[١٦].

كما شهدت هذه المرحلة ايضا ازدياد عدد العرب في البلاد شيئاً فشيئاً، ونحن وإن كنا لا نملك إشارات صريحة عن العناصر العربية المهاجرة والمستوطنة في المغرب في الفترة المذكورة، الا أننا نستطيع أن نفترض تتابع قدوم العناصر العربية الى المغرب نظراً لارتباط ذلك بالخانة السياسية فيه. فتتابع ثورات البربر وما نتج عنها من الاضطرابات والقلاقل، قد دعا الولاة الى جلب جيوش عربية كبيرة من المشرق للقضاء عليها[١٧]؛ هذا بالاضافة الى رغبة كل وال عربي في الاكثار من افراد قبيلته، قد أدى الى تزايد العنصر العربي في المغرب بشكل عام، وفي المغرب الأقصى بشكل خاص.

وبالرغم من أن ولاة بلاد المغرب، المعينين من قبل الخلافة في الشرق كانوا يتخذون القيروان (في تونس) قاعدة لحكمهم، إلا أن سلطتهم كانت تمتد الى كل الشمال الافريقي ومن ضمنها المغرب الاقصى. بل يبدو أن نظرة جديدة بدأت تتكون عند الولاة عن اهمية المغرب الاقصى الاقتصادية بالنسبة للعرب المسلمين. فهو البوابة الشمالية للطريق الصحراوي الذي يؤدي الى مناطق السودان الغربي حيث مصادر ومراكز مناجم الذهب، ولعل خير مثال على هذا الاهتمام ما قام به الوالي عبد الرحمن بن حبيب، الذي قدم الى المغرب عام ١٢٩هـ/ ٧٤٧م، حيث يسجل لنا البكري (المسالك والممالك ص ١٥٧).

أن عبد الرحمن هذا قد حفر ثلاثة آبار في الطريق الصحراوي الذي يربط سجلماسة باودغست، المركز التجاري الصحراوي الواقع على الحافات الجنوبية للصحراء.

وهذه الرواية تحملنا على القول بأن عبد الرحمن بن حبيب اراد بعمله هذا أن يسهل سير القوافل التجارية الصحراوية في المغرب الأقصى الى بلاد السودان، وبذلك يضمن للعرب المسلمين وصول منتجات بلاد السودان الى الشمال.

كان لجهود العرب في منطقة المغرب الأقصى في القرنين الأول والثاني للهجرة/ الثامن والتاسع للميلاد أن أصبحت هذه المنطقة مركز التقاء بين العرب والبربر. ولعل خير مثال يمكن اعطاؤه عن *الاستقرار العربي في ساحل البحر المتوسط في* المغرب هو ما حدث في منطقة الريف الحالية[١٨]، حيث استقر العرب الاوائل واختلطوا وتزاوجوا مع بربر هذه المنطقة.

صالح بن منصور الحميري

في خلال فترة حكم الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموي، وفي سنة ٩١هـ/ ٧١٠م بالذات، ثم فتح منطقة الريف على يد صالح بن منصور الحميري الملقب «بالعبد الصالح»[١٩]، والذي يبدو من هذه التسمية انه كان رجلا تقيا وورعاً، بالاضافة الى كونه من المحاربين المسلمين الأوائل، كما قيل عنه انه من العرب القحطانية في أصل حميري[٢٠] وقد استقر صالح الحميري، بعد فتحه لمنطقة الريف فيها، وبالذات نزل في «مرسى تماسان بموضع يقال له بدكون بوادي البقر»[٢١]. ومن الطبيعي أن صالح لم يستقر وحده في هذه المنطقة، بل لابد أن

تكون القوة العسكرية العربية التى فتح بها منطقة الريف قد استقرت معه فيها، ولذلك نجد أن أبا محمد بن عبد الحق بن اسماعيل الباديسي في كتابه «المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف»، يسمى مملكة الريف بـ «دولة بني صالح الحميريين»[٢٢]؛ وهذا ما ينطبق ايضا على قيام صالح ومن معه بنشر الاسلام بين بربر منطقة نكور حال نزولهم فيها.

إن تاريخ مملكة الريف الحميرية كان قد دُوِّن من قبل محمد بن يوسف بن عبد الله الوراق (توفي ٣٧٣هـ/ ٩٧٣م) في مؤلف خاص يسمى بـ (تاريخ نكور)، ولكن هذا الكتاب كأعمال الوراق الاخرى تعتبر الآن في عداد المفقودات. ومن حسن الحظ فقد ترك لنا أبو عبيد البكري (من اهل القرن الخامس للهجرة. الحادي عشر للميلاد) رواية مفصلة نسبياً عن نكور، واعتقد أنها استمدت معلوماتها من عمل الوراق(٢٣).

في تتبع عملية الوجود العربي لبني صالح الحميريين في منطقة الريف وجهودهم في نشر الاسلام والعروبة بين السكان البربر، نجد أن السنوات التى اعقبت استقرار صالح في تماسان شهدت نجاحه فى هداية القبائل البربرية من سكان تلك المنطقة الى الاسلام «فعلى يديه أسلم بربرها وهم صنهاجة وغمارة»[٢٤] ولكن الذي يبدو، كما يذكر البكري[٢٦] ان قبائل صنهاجة وغمارة من سكان الريف سرعان ما شعروا بوطأة التقييدات التي فرضتها عليهم الديانة الجديدة، فارتدوا عن الاسلام وتخلوا عن صالح بن سعيد؛ ولم يكتفوا بذلك بل اخرجوه من بلدهم واتخذوا لهم رئيساً يدعى داود الرندي، وهو بربري من قبيلة نفزة. ومع أن البكري لم يشر الى اسم البلد أو المكان الذي استقر به صالح، لكنه يعود فجأة ليذكر لنا أن قبائل البربر من صنهاجة وغمارة عادوا فقبلوا الاسلام ودعوا صالحاً للعودة لهم من دون أن يذكر لنا سبب عودتهم الى الاسلام وقبولهم قيادة صالح الحميري. وهنا يفرض السؤال التالي نفسه وهو، هل كانت عودة صالح مقرونة بمحاولة استخدام القوة في استعادة سيادته على هذه المنطقة؟ وإذا افترضنا أن الجواب هو نعم، نستطيع أن نفترض أن القوة العسكرية العربية التي دخلت منطقة الريف بقيادة صالح الحميري لازالت محتفظة بقابلياتها، وربما ساعدها في اعادة تثبيت نفوذها مجموعة من أنصارهم من بربر هذه المنطقة.

والنقطة الوثيقة الصلة بموضوع بحثنا هي أن صالح الحميري، وبعد عودته الى رئاسة قبائل صنهاجة وغمارة في منطقة الريف، تزوج امرأة من صنهاجة. وفي المؤكد انه اراد بهذا الزواج تقوية مركزه في هذه المنطقة أولا وربما رغبة منه في خلق صلة النسب بين العرب القادمين وبين البربر، سكان الريف الاصليين. وقد انجبت تلك المرأة الصنهاجية لصالح ولدين هما المستعصم وادريس، حيث خلف الأول، والده صالح، ثم خلف سعيد بن ادريس عمه المستعصم[٢٦].

أما تغير مكان اقامة بني صالح فقد قيل أنه حدث على أيام سعيد، حفيد صالح؛ فقد ابتنى عاصمة له، شأن معظم الدول والامارات العربية التي قامت في المغرب، سميت نكور. وتقع نكور على بعد عشرين ميلا من تماسان غرباً، بين نهر نكور ونهر غيس، على مسافة خمسة أميال من البحر[٢٧].

كانت السنوات السبعة والثلاثين من حكم سعيد بن إدريس بن صالح، اكثر السنوات ازدهاراً ورخاءاً في عمر هذه المملكة. فاليعقوبي (في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد) يذكر «أن مملكة صالح بن سعيد الحميري مسيرة عشرة أيام في عمارات وحصون وقرى ومنازل وزرع وضرع وخضب»

(اليعقوبي، البلدان، ص ٣٥٧)٠ وقد توفي سعيد فترك عشرة اولاد، اعقبه منهم ولده صالح[٢٨]٠، وفي خلال هذه الفترة من تاريخ مملكة نكور حدث اندماج وتزاوج يستحق اهتماماً خاصاً٠ فكما أورد اليعقوبي أن «صالح بن سعيد يدعي أنه من حمير واهل البلد يزعمون انه من اهل البلد نفزي» (اليعقوبي، البلدان، ص ٣٥٧)٠ والذي يبدو أن العلاقات النسبية بين العرب والبربر هي السبب في ارتباك اليعقوبي الذي لم يعط جواباً مقنعاً لسؤال مهم وهو هل كان اسلاف صالح عرب من حمير أو بربر من نفزة٠

وبأهمية مماثلة، فإن أحفاد صالح الحميري كانوا قد دخلوا في علاقات زواج مع الاشراف في منطقة الزاب، وهم أحفاد سليمان بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب[٢٩]، وربما ضمنت مثل هذه العلاقات تعزيز شرف أحفاد صالح الحميري ومكانتهم في الريف٠ فبناء على ما سجله البكري، فإن احمد بن ادريس بن محمد بن سليمان بن الحسين بن الحسن بن علي كان قد تزوج من اخت صالح بن سعيد بن صالح بن ادريس وعاش معها في مدينة نكور حتى وفاته٠ (البكري، المصدر السابق، ص ص ٩٠ ـ ٩١)٠

مملكة نكور

بعد وفاة صالح الثاني حُكمت مملكة نكور من قبل أحفاد اسرة صالح الحميري وفي الواقع، أن قبائل البربر في نفزة وغمارة وصنهاجة كانوا يشكلون أغلبية سكان هذه المملكة[٣٠]، مع وجود أسر أو جاليات عربية تحكم المنطقة وتحاول تعريب البربر، عن طريق الدخول في علاقات نسبية معهم، كما أشرنا الى ذلك اعلاه؛ الى درجة أن حكام نكور أصبحوا يحملون الدماء العربية البربرية، وفي نهاية فترة أبناء صالح الحميريين[٣١]، وبالتحديد في سنة ٤١٠هـ/ ١٠١٩م، انتقل حكم نكور الى قبيلة بربرية في البرانس هي ازداجة[٣٢]٠

وبعد هذا كله لابد من القول أن لمملكة نكور الحميرية أهمية في قضية الوجود العربي في منطقة الريف٠ فمن الملاحظ أن وجود العناصر العربية الحميرية لم يختف في هذه المنطقة حتى بعد سقوط مملكة نكور الحميرية، بل نجدها تستمر في الوجود محتلة مكانتها بين سكان هذه المنطقة في البربر الذين هم أنفسهم بدأوا يحملون الدماء العربية بفعل الوجود العربي بينهم٠ فعلى سبيل المثال هناك اشارة الى وجود احد الاشخاص الحميريين من اهل نكور ويدعى عبد الله بن محمد بن منصور اللخمي الحميري، كان قد عاش ايام المرابطين في مدينة فاس (في المغرب الأقصى) ثم منح منصب القضاء فيها عام ٥١٠هـ/ ١١٠٦م[٣٣]، إن توفر مثل هذه الاشارات في الكتب العربية الوسيطة تجعلنا نفترض انتشار الحميريين من أهل نكور في منطقة الريف الى مناطق المغرب الأقصى الأخرى٠

أما الشاهد الثاني على الاستقرار والوجود العربي في المغرب الأقصى، فهو ما حدث في منطقة مدينة فاس على ايام حكم الادارسة الاشراف للمغرب الأقصى٠

حكم الادارسة

إن ادريس بن عبد الله بن الحسن من احفاد الامام علي، الذي تمكن من الهرب من الجزيرة العربية عن طريق مصر باتجاه المغرب، بعد فشل حركة العلويين في مكة والمدينة التي كان يقودها الحسن بن علي بن الحسن بن علي سنة ١٦٩هـ، قد وصل أخيراً الى اقليم طنجة في المغرب الأقصى واستقر في مدينة وليلي سنة ١٧٢هـ٠ وهناك تمكن

إدريس، بعد أن حصل على مساندة أوربة والقبائل البربرية الاخرى مثل زناتة وهوارة وصنهاجة، في إقامة السلالة الادريسية في المغرب الأقصى. كما أنه وجد في قبائل البربر القوة البشرية التي استطاع بواسطتها أن يوسع سلطته في هذه المنطقة ودعا قبائلها الى الاسلام[٣٤].

في خلال حكم الادارسة ابتداء بأدريس الأول، دخلت الأسرة الادريسية بعلاقات زواج مع البربر، فأدريس الأول نفسه تزوج امرأة تدعى كنزة[٣٥]، واستناداً الى المدغري فإن «كنزة كانت بنت عبد المجيد الأوربي الذي أقام ادريس الأول في دياره عندما وصل لأول مرة الى وليلي» (المدغري، تأليف في الانساب، ورقة ١٤٤).

وإذا كان الأمر كذلك، فيمكن القول بأن ادريس كان قد تزوج امرأة في عائلة بربرية كتعبير عن رغبته في اقامة علاقات وثيقة مع البربر واظهار اعترافه بمساعدتهم، وينطبق هذا الأمر ايضا على أولاده واحفاده الذين تزوجوا بنساء بربريات[٣٦]، والذي يبدو أن التزاوج بين العرب من قريش والبربر من صنهاجة وغمارة وغيرهم، نتج عنه نشوء بعض الاسر في المغرب الأقصى التى تربط نفسها بالنسب الشريف في الوقت الذي كانت تحمل اصولا ودماء بربرية[٣٧].

بعد إزدهار الحكم الادريسى في المغرب الأقصى هاجر العرب، وفي أجزاء مختلفة من المغرب والأندلس الى المنطقة، مما أدى الى ازدياد العناصر العربية هناك؛ وهو امر يمكن ادراكه بوضوح أيام ادريس الثاني (١٨٨ - ٢١٣هـ/ ٨٠٣ - ٨٢٨م). فمن تصفح الروايات الواردة في المصادر العربية الوسيطة التي تخص المغرب الأقصى[٣٨]، والتى تشير الى المجموعات العربية التي وصلت الى المنطقة موضوع البحث مع نهاية القرن الثاني للهجرة/ التاسع للميلاد، يجد الباحث أن المجموعة القحطانية ضمت قبائل مثل الازد، الخزرج، يحصب، صرف ومدحج. أما المجموعة الثانية فقد تألفت من بطون وقبائل قيس علان، كنانة وغيرها، كما سنرى. أن مثل هذة العناصر مع بداية تأسيسها[٣٩] فعلى أيام ادريس بن ادريس بن عبد الله سكنت هذه المدينة عناصر عربية كثيرة شاركت في سكناها قبائل متعددة من البربر مثل صنهاجة، هوارة، زناتة، مصمودة وأوربة[٤٠]، وسرعان ما اصبحت مدينة فاس مركزاً مهماً للاندماج والاختلاط بين العرب والبربر في المغرب الأقصى منذ أيام الأسرة الادريسية وما تلاها، بل أنها تحولت الى مركز للتلاحم الفكري والحضاري بين العناصر السكانية في المغرب الأقصى.

العرب والبربر

وكما هو الحال في تزاوج الادارسة مع البربر بعد وصولهم الى المغرب، فقد حدث الأمر بعينه بالنسبة للعرب المهاجرين الى فاس، حيث دخلوا في علاقات نسب مع بربرها. إن المصادر العربية الوسيطة، لا سيما كتب التراجم عن مدينة فاس مثل «بيوتات فاس الكبرى» و«جذوة الاقتباس» تزودنا بقائمة وفيرة عن اسماء الاسر العربية والبربرية التي استقرت في فاس منذ أيام الادارسة واستمرت في استيطانها. ولا نريد هنا أن نعدد اسماء تلك الأسر، وانما نود أن نورد بعض الأمثلة من الاسر العربية في فاس، لا سيما تلك التي دخلت بعلاقات زواج ونسب مع الأسر البربرية في هذه المدينة. فاسرة بني ملجوم هي أسرة مشهورة في فاس الوسيطة، كما وصفت من قبل مؤلف كتاب «بيوتات فاس» فهو يشير الى أن أسرة بني الملجوم كانت قد انحدرت من عمير بن مصعب الازدي أحد أولاد العرب الذين

كانوا قد استقروا في الاندلس، وبعد وصولهم الى المغرب الأقصى اختير عمير من قبل إدريس الثاني كوزير له وزوّجه إحدى بناته. وكما يلاحظ أن العرب الازد، ومن بينهم اسرة عمير، كانوا من بين العرب الأوائل الذين استقروا في مدينة فاس في مكان يدعى «عين عمير» في عدوة الاندلسيين[٤١] والاكثر اهمية من ذلك هي الصورة الاخرى التى تخص تزاوج بني عمير مع البربر فى زناته في فاس، ففي كتاب بيوتات فاس أيضاً نجد اشارة صريحة الى زواج عمير بن مصعب الازدي بامرأتين بربريتين «الاولى من بني الخير الزواغيين الزناتيين، والثانية من بنى بهلول الزناتيين وكان ساكنها بها مع قومها بنو بهلول عن يمين المار الى فحص سايس منحدراً على وادى فاس نحو فرسخ من مدينة فاس»[٤٢] وبهذا يمكن الافتراض بأن حالات الزواج بين العرب والبربر في مدينة فاس قد حدثت منذ القرون الاسلامية الأولى.

ومن الطريف أن نشير هنا الى أن قبيلة بني بهلول الزناتية التي تزوج منها عمير بن ملجوم الازدي، والتي عاشت مع الازد في مدينة فاس منذ القرن الثاني للهجرة/ التاسع للميلاد نجدها في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، وقد عدّها الأدريسي من القبائل البربرية التي تتكلم العربية في فاس قائلا«ويسكن حولها (فاس) قبائل من البربر ولكنهم يتكلمون العربية وهم بنو يوسف وفندلاوة وبهلول وزواوة ومجاصة وخياته وسلاجيون[٤٣]، ولعل نص الادريسي هذا خير دليل على عمق تأثير الاختلاط بين العرب والبربر في فاس والذي انعكس في تبني بربر هذه المنطقة اللغة العربية.

إن طبيعة الامتزاج والاختلاط العربي في مدينة فاس في المغرب الأقصى قد أصبح، وكما يبدو، اكثر اتساعاً وتعقيداً بمرور الزمن. فالقبائل السلاجية التي وردت في نص الادريسي اعلاه، على سبيل المثال، اعتبرت قبائل بربرية متعربة في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر الميلاد[٤٤]، ولكنهم في الحقيقة عرب قيسيون عدنانيون قطنوا مدينة فاس منذ أيام الادارسة[٤٥]، والذي يبدو أن استقرارهم واندماجهم مع القبائل البربرية في فاس ولقرون عديدة كان السبب في عدم تمكن الادريسي من تمييز نسبهم العربي.

وأخيرا يمكن القول أن منطقة نكور وفاس لم تكونا المنطقتين الوحيدتين اللتين شهدتا استقرار العرب في المغرب الاقصى، بل أن هذه المنطقة جميعها كانت مسرحا للوجود العربي - الاسلامي منذ القرون الاسلامية الاولى، وقد كان لذلك كله أبعاده الواضحة في مختلف مجالات الحياة هناك ومن بينها التداخل النسبي بين العرب والبربر.

الهوامش:

(١) استخدم العرب منذ عصر الفتوحات تعبير «بلاد المغرب»، وعنوا به الجزء الغربي من العالم الاسلامي.

(٢) انظر البكري، المسالك والممالك، ص ٧٦؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ٧٩؛ الادريسي، صفة ارض المغرب والاندلس ص ٦٣.

(٣) انظر: ابن عبدالحكم، فتوح مصر وافريقية ص ١٩٨، البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٢٨، الرقيق القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب ص٤٢، ابن الاثير، الكامل، ج ٤ ص ٥٣، ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١ ص ٢٤.

(٤) ابن عبد الحكم، المصدر السابق ص ١٩٨، ابن

عذارى، المصدر السابق، ص ٢٢٨.

(٥) انظر فتوح مصر وافريقية ص ١٩٨، فتوح البلدان ص ٢٢٨.

(٦) يذكر ابن عذارى وابن الاثير أن عقبة بدأ بالسوس الادنى وهي البلاد المعروفة بـ «تامسنا حيث مساكن قبائل مصمودة (انظر الكامل جـ ٤ ص ٥٣، البيان المغرب، جـ ١ ص ٢٦) وهذه أقرب الى الحقيقة من مدينة تارودنت.

(٧) نشر كتاب صالح بن عبد الحليم تحت عنوان «الانساب» ابنه عبيد الله بن صالح بن صالح بن عبد الحليم ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً في الخزانة العامة في الرباط تحت رقم (ك ١٢٧٢). كما ترد الرواية عند ابن عذارى (البيان، جـ ١ ص ٢٧) مع بعض الاختلافات القليلة. ويرى ليفي بروفنسال ان هذه الرواية ربما كانت قد اخذت من مرجع أقدم منها مع إضافة فقرات اليها. ليفي بروفنسال، نص جديد عن فتح العرب المغرب، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد (١٩٥٤) ص ٢٠٣.

(٨) ابن عذارى ، المصدر السابق، جـ ١ ص ٢٧، عبيد الله بن صالح بن صالح، المصدر السابق، ورقة ٤١.

(٩) انظر ابن عذارى، المصدر السابق، جـ ١ ص ٢٧.

(١٠) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص ٢٤٠، ابن عذارى، المصدر السابق، جـ ١ ص ص ١ ـ ٤٢ ، البلاذري، المصدر السابق ص ٢٢٣.

(١١) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص ٢٠٥، ابن ابي دينار، المؤنس ص ٢٧.

(١٢) الرقيق القيرواني، المصدر السابق ص ٦٩.

(١٣) انظر ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص ٢٠٤، الرقيق القيرواني، المصدر السابق ص ٦٩، المقري، المصدر السابق جـ ١ ص ٢٢٩.

(١٤) ابن عذارى، المصدر السابق، جـ ١ ص ٤٢، السراج، الحلل السندسية، جـ ١ ص ٥٦٦، ابن خلدون، المصدر السابق، جـ ٦ ص ٢٢٠.

(١٥) ابن عذارى، المصدر السابق، جـ ١ ص ٤٤.

(١٦) ابن عذارى، المصدر نفسه، جـ ١ ص ٤٥، المالكي، رياض النفوس، ص ص ٦٤ ـ ٧٦، ابن خلدون، المصدر السابق، جـ ٦ ص ٤٠٢.

(١٧) ابن عذارى، المصدر السابق، جـ ١ ص ٥٥، ٥٧.

(١٨) تمتد منطقة الريف بين وادي ملوية شرقاً ووادي درعة غرباً. لمزيد من المعلومات عن هذه المنطقة وتاريخها انظر: C.S. Coon, Tribes of the rif harvard African studies, vol, Lx (Newyork, 1970 P.3. جاك كلني، امارة نكور في اواسط القرن الخامس الهجري، مجلة البحث العلمي، العدد ٢٢ (١٩٧٥) ص ١٤٦.

(١٩) البكري، المصدر السابق ص ٩١.

(٢٠) البكري، المصدر نفسه، مؤلف مجهول، الاستبصار ص ٩٢.

(٢١) البكري، المصدر السابق ص ٩١.

(٢٢) الباديس، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، (مخطوط) في الخزانة العامة في الرباط برقم د١٤١٩٠، ورقة ٢٥، ويعود هذا المخطوط الى القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد.

(٢٣) إن الذي يؤكد افتراضنا هذا هو أن البكري يقتبس ولمرات عديدة من كتابات الوراق المختلفة (انظر المسالك والممالك ص ٢٨، ٣٧، ١٠٥، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٨).

(٢٤) البكري، المصدر السابق ص ٩١.

(٢٥) البكري، المصدر نفسه.

(٢٦) البكري، المصدر السابق، ص ٩٢ ويشير البكري الى أن صالح له ولد ثالث يسميه عبد الصمد ولم يشر الى أمه التي نرجح أنها كانت عربية.

(٢٧) البكري، المصدر السابق، ص ٩٢.

(٢٨) البكري، المصدر نفسه. اما اولاد سعيد العشرة فهم: منصور، حمود، صالح، زيادة الله، الرشيد، عبد الرحمن، معاوية، عثمان، عبد الله وادريس.

(٢٩) حول تفصيلات أخرى عن مملكة سليمان في تلمسان شرقي نكور انظر: البكري، المصدر السابق، ص ٦٥، ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص٤٠.

(٣٠) البكري، المصدر السابق، ص ص ٩٠ ـ ٩١.

(٣١) كانت مملكة نكور على اتصالات وثيقة مع الدولة الأموية في الاندلس، بل كان بني صالح الحميريين يلجأون الى حكام هذه الدولة عندما يواجهون اي خطر. انظر البكري، المصدر السابق، ص ص ٥ ـ ٩٦، ابن خلدون، المصدر السابق، جـ ٦ ص ٤٤٢.

(٣٢) البكري، المصدر السابق، ص ٩٩، ابن خلدون، المصدر السابق، جـ ٦ ص ٤٤٤.

(٣٣) العباس بن ابراهيم، الاعلام، جـ ٨ ص ١٨٧.

(٣٤) ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص ص ٦ ـ ٨، ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٤ ص ٢٣؛ انظر ايضا: P. Ma Chenzie, the lchalifate of the West (london, 1911) p.59 i W. Spencev, The land and people of Marocco (Newyork, 1965) p,39.

(٣٥) الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ٢١٧.

(٣٦) ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص ٢٨.

(٣٧) ظهر هذا الامر في القرون الاسلامية المتأخرة. وهنا نشير الى الادلة الوفيرة التي زودنا بها احمد بن محمد بن القاسم بن احمد بن عبد الرحمن العشماوي (القرن ٩هـ/١٦م) في كتابه «التحقيق في النسب الوثيق» والتي تشير الى ارتباط أسر بربرية في زناته وصنهاجة وهوارة بالنسب العربي الادريسي في مناطق المغرب الأقصى (انظر الورقات، ٥٠ ـ ٥٥ ، ٩٦، ١٠١، ١٠٨).

(٣٨) انظر ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص ص ٣ ـ ١٤، بيوتات فاس الكبرا، ص ص ١٠ ـ ١٣، احمد بن القاضي المكناسي، جنوة الاقتباس، جـ ١ ص ٢٧.

(٣٩) إن تأسيس مدينة فاس كما تشير الروايات يعود الى عام ١٩٣هـ/ ٨٠٨م أيام إدريس الثاني (ابن ابي زرع ص ٢٤، ابن القاضي، جنوة، جـ ١ ص ٣٧. ولكن المستشرق ليفي بروفنسال، حاول من دراسته وتفحصه لبعض النصوص العربية عن تأسيس مدينة فاس أن يؤكد الرأي التالي: إن بداية تأسيس مدينة فاس كان عام ١٧٣هـ بدل ١٩٣هـ اي على أيام ادريس الاول وليس إدريس الثاني، اما ربط الروايات العربية اسم إدريس الثاني بتأسيس مدينة فاس فيعلله بالشكل التالي: مادامت مدينة فاس متكونة من مدينتين: وحيين كبيرين وهما عدوة القرويين وعدوة الاندلسيين، فيرى بروفنسال أن العدوة الاولى أسسها إدريس الأول والثانية قد وضع اسسها ادريس الثاني). ليفي بروفنسال، الاسلام في المغرب والاندلس، ترجمة عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي (القاهرة ١٩٥٨) ص ص ٥٠ ـ ٥١، انظر ايضا عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير جـ ٢ ص ص ٤٨٩ ـ ٥٠١.

(٤٠) ابن ابي زرع ، المصدر السابق، ص ص ٤ ـ ٢٥، المدغري، الانساب ص ص ٨ ـ ١٠٩، انظر أيضا: J.D. Latham, Prolegomera to astudy of Andalusian in Fluences in the social life of North Africa, unpublished Ph.b thesis (Pembrolce college, oxford, 1956), PP. 2 - 3.

(٤١) بيوتات فاس، ص ص ١٠ ـ ١٣.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ١٣.

(٤٣) الادريسي، المصدر السابق ص ٧٩.

(٤٤) المصدر نفسه.

(٤٥) بيوتات فاس، ص ٤١، ابن القاضي، المصدر السابق، جـ ١ ص ١٦٩، الكتاني، سلوة الانفاس، جـ ٢ ص ١٨٣.

توقعات وتنبؤات

التاريخ سجل عظيم وسفر جليل يحمل بين طياته الأحداث السياسية ويكتنز بين دفتيه الملح والطرائف والنوادر والعجائب وتتضمن صفحاته جوانب الحضارة وتحفل سطوره أيضاً بالتنبؤات والتوقعات، ولعل سبب ذكرنا لهذه التنبؤات هو تحققها، وسوف نستعرض عبر سطورنا القادمة جملة مما تحقق منها في التاريخ:

الإسكندر يعزل الوالي:

حُكي أن الأسكندر تملك بعض البلاد فدخلها فوجد امرأة تنسج ثوباً، فقالت: أيها الملك أعطيت ملكاً ذا طول وعرض، ثم دخلها والي بلدها فقالت له: إن الأسكندر سيعزلك، فغضب الوالي فقالت: لا تغضب إن النفوس تعلم أموراً بعلامات فإن الأسكندر لما دخل كنت أدبر طول الثوب وعرضه وأنت لما دخلت فرغت منه وأردت قطعه. فكان الأمر كما قالت.

ملكه قد ذهب:

لمّا استنصر «سيف بن ذي يزن» بكسرى على قتال الحبشة بعث إليهم كسرى في جند عظيم براً وبحراً فخرج إليهم ملك الحبشة «مسروق بن أبرهة» في مائة ألف من الحبشة وغيرهم من (حمير وكهلان) فتصاف القوم وكان «مسروق» على فيل عظيم فقاتل ساعة وهو على ذلك الفيل ثم نزل منه وركب جملا ساعة ثم نزل عن الجمل وركب فرساً ساعة ثم أنف من محاربتهم على الفرس استصغاراً لأصحاب «سيف بن ذي يزن» فدعا بحمار فركبه فتأمل «هرمز» ذلك وقال: احملوا عليه فإن ملكه قد ذهب انتقل عن كبير إلى صغير. فحملوا عليهم وكشفوا الحبشة فأخذتهم السيوف من كل جانب وقتلوا «مسروق بن أبرهة» وخواصه.

لا تفرح:

روي أن الخليفة الأموي «سليمان بن عبد الملك» لبس يوماً حلة وعمامة خضراء ونظر في المرآة وقال: أنا الملك الفتى، فنظرت إليه جارية من جواريه وقالت:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى
غير أن لا بقاء لإنسان
ليس فيما علمته فيك عيب
كان في الناس غير أنك فان

ولم يمض أسبوع واحد على ذلك حتى مات.

هلك الرجل الصالح:

جاء في كتاب «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز»: حدثنا موسى بن أعين قال: كنا نرعى الشاه بكرمان، في خلافة عمر بن عبد العزيز، فكانت الشاه والذئب ترعى في مكان واحد، فبينما نحن ذات ليلة، إذ عرض الذئب لشاة، فقلت: ما نرى الرجل الصالح إلا قد هلك. قال حماد: فحدثني هذا أو غيره أنهم حسبوا، فوجدوه قد مات في تلك الليلة.

عبدالله بن ناصر الحديب
- الخرج -

صاحب بني أمية ومُحيي دولتهم بعد زوالها:

جاء في كتاب «البيان المغرب» في رواية يحكي فيها عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) عن نفسه قائلا: دخلت الأندلس وأنا أضبط جلية «مسلمة بن عبد الملك» فإنه أتى جدي هشاماً يوماً، فوجدني عنده صبيا، فأمر جدي بتنحيتي عنه، فقال له مسلمة «دعه يا أمير المؤمنين، فإنه صاحب بني أمية، ومحيي دولتهم بعد زوالها» فلم أزل أعرف ليّ مزية من جديّ بعد.

ويروى أنه كان في بلاط.. ابن حبيب[١] يهودي عالم بالحدثان، قد صحب مسلمة بن عبد الملك، فذكر لابن حبيب أنه يغلب على الأندلس رجل من أبناء الملوك يقال له «عبد الرحمن» له ضفيرتان، فلما قدم «ابن معاوية» وكانت له ضفيرتان، همّ بقتله حتى لا يتحقق تنبؤه.

ويعقب الدكتور السيد عبد العزيز سالم على هذه قائلا: وأغلب الظن أن قصة اليهودي هذه ملفقة، وقد أشرنا إلى أمثال هذه القصص التي تنسب إلى البطل نبوءات بنجاحه تتحقق مع الأيام، والذي لا شك فيه أن عبد الرحمن بن حبيب كان يخاف على إمارة إفريقية والمغرب من أمراء بني أمية أصحاب الحسب والنسب، وقد تخلص من عدد منهم وكان يسعى لتخلصه من عبد الرحمن الداخل يدفعه في ذلك ما زعموه من تنبؤ مسلمة بن عبد الملك له وهو ابن عشر سنوات، ويبدو أن شيئاً من ذلك وصل إلى أسماع عبد الرحمن بن حبيب فعزم على قتله، إلا أن ابن معاوية استطاع الهرب من القيروان ليُقيم ملكاً لبني أمية في الأندلس.

فاتح القسطنطينية:

جاء في الحديث الشريف المنقول عن الرسول [صلى الله عليه وسلم] «لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش» وحول هذا الحديث الشريف تواترت روايات تاريخية مفادها: أن القسطنطينية ستفتح على يد أو في عهد خليفة اسمه يوافق اسم أحد الأنبياء عليهم السلام، فابتدأت المحاولات في عهد معاوية بن أبي سفيان ثم تلتها حملة أخرى بقيادة «مسلمة بن عبد الملك» في خلافة أخيه سليمان الذي أرسل قوات برية وبحرية أملا في تحقق ما ورد في الرواية التي تقول بأن ذلك الفتح سيتم في عهد خليفة اسمه على اسم نبيّ الله سليمان عليه السلام، إلا أن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح، ثم توالت عدّة محاولات في عهد الدولة العباسية، ثم جاءت المحاولة الأخيرة والناجحة في عهد السلطان العثماني محمد الثاني[٢] الذي استطاع فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ (١٤٥٣م).

وفي الجانب الغربي تطالعنا رواية تقول إن قسطنطين الأول تنبأ سنة ٣٥٢ بأن العدد ١٣[٣] سيجلب الدمار إلى مدينته القسطنطينية وبعد ١١٠٠ سنة تحققت توقعاته - ولكن لم يأت الدمار لمدينته بل جاءها العمار - عندما سقطت القسطنطينية بيد السلطان العثماني محمد الفاتح - كما سبق أن أشرنا - وذلك سنة ١٤٥٣م، وكان امبراطور بيزنطة آنذاك «قسطنطين الثالث عشر»، والعدد ١٣ يساوي مجموع أعداد السنة ١٤٥٣م الذي فتحت فيه القسطنطينية على يد المسلمين (١+ ٤ + ٥ + ٣) = ١٣.

الهوامش:

(١) هو عبد الرحمن بن حبيب الفهري من نسل عقبة بن نافع، كان والياً على إفريقية والمغرب منذ أيام مروان بن محمد سنة ١٢٩هـ.

(٢) سُمي بمحمد الفاتح لأنه فتح القسطنطينية التي كان فتحها أملا يراود المسلمين ثمانية قرون.

(٣) من هُنا يتضح لنا سبب تشاؤم الغرب النصارى من الرقم ١٣، لكن المصيبة أن يتخذ بعض المسلمين من هذا الرقم مصدراً للتشاؤم، والنبي [صلى الله عليه وسلم] يقول: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل، قالوا: يارسول الله وما الفأل؟ قال: كلمة طيبة» أخرجه البخاري ومسلم.

خليل مطران أروع ما كتب

تأليف: د. محمد صبري

خليل مطران

المشهور عن خليل مطران لدى قراء هذا الجيل أنه شاعر كبير حمل راية التجديد في عصره، ولكن الذين عاصروه كانوا يعرفون أنه كاتب كبير مع شاعريته الفذة، إذ أن له من الروائع النثرية ما يجعله إماماً للكتاب في عهده، وقد لحظ ذلك الأديب الكبير الدكتور محمد صبرى السوربوني إذ رأى الحديث عن مطران من أساتذة الأدب ومؤرخيه تقتصر على إسهامه الشعرى وحده، فأراد أن يقدم للقراء نماذج من نثره، لتدل على مكانته الرفيعة في هذا الفن، فكان ما قدَّم من مختارات مطران النثرية من أقوى ما كتب في الأدب العربي حديثه وقديمه، ولو أن الدكتور صبرى قد اختار نُبذاً لمشاهير الكتّاب في مختلف العصور لما أمتع القارىء بقدر ما أمتعه من المختارات التى اصطفاها من آثار خليل مطران، وظهور هذه المجموعة النثرية تصحح خطأ بارزا في تاريخ الأدب المعاصر، لأن المؤرخين لهذا الأدب يجعلون مفتتح القرن العشرين تمهيداً للإبداع النثرى الذى جاء به المنفلوطى ومن تلاه! وهذا ظلم كبير لمطران لأنه سبق المنفلوطي بهذا الإبداع، وتواريخ كلماته تُثبت أنه تصدر لهذه الروائع قبل أن يعرف الناس ما أثر عن المنفلوطي من نثر رائع! وإذن فيجب أن تُعرف للرجل الكبير ريادته في الشعر والنثر معا، وهذه المختارات هي الدليل وتواريخها المدونة لدى كل كلمة تعطيه هذه المنزلة الرفيعة!.

محمود سامي البارودي

وأعظم ما لاحظته في هذه المختارات إلى جانب ما تحويه من أدب عال، هو الوفاء الكبير الذى اتسم به الشاعر المثالى حقا، ظهر ذلك فيما كتبه عن الشاعر الكبير محمود سامي البارودي بعد رجوعه من منفاه، ثم عقب رحيله إلى دار البقاء، إذ كان الخليل حريصاً على مودته والكتابة عنه في وقت تنكر فيه الوصوليون لرب السيف والقلم، وعدُّوا الاتصال به سبباً لغضب القصر والمستعمر الحاكم معا، ولكن مطران قد كان فوق المآرب الشخصية حين كرر زياراته للشاعر الكفيف في شيخوخته الوافية، وقد حادثه في شوق لينتقل حديثه إلى قراء مجلته ولم أر من وصف البارودي في شيبته الزاهية كما وصفه خليل مطران حين قال[١]:

«اتفق أن جئته ذات يوم، وما بيننا ثالث، فتطارحنا الشعر، وتباحثنا فيه، ثم اقترحت عليه بيتين يرتجلهما فاستوى يفكر، استوى ساكنا ساجيا، مسندا ظهره إلى الحائط، وفكّر غير منقبض المحيا، ولا مُعنت الملامح، متهللة سماحة وجهه بأنوار الزوال بين بَلَج لحيته البيضاء المستديرة، وقُتّم الناظرتين السوداوين اللتين تحجبان عينه، مرّت به وبي دقيقة وهو متمكن في تأمله، وأنا مسترسل مع خاطر أخطرته في قلبي رؤية الرجل على هذا الحال، فخيل إليّ أنى لدى تمثال من تلك التماثيل التى أقامها صناع اليونان لبعض المتقدمين من حكمائهم، وتبدلت في ذهني الناظرتان السوداوان بالظلين اللذين يحيطان بالعيون المطبقة في تلك



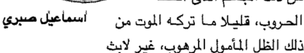
أ. د. محمد رجب البيومي
عضو مجمع البحوث الإسلامية - المنصورة

التماثيل، وبينما أنا مستغرق الحواس بتلك الذكرى، إذ تحرك الرجل تحرُّك من يعالج معنى صعبا، فتنبهت تنبُّه دهْشَة كأني أرى التمثال يتحرك! وفي تلك الوهلة تصورت لأول مرة أن الرجل وذلك رسمه، وتلك بشرته البيضاء ليس بعربي النبعة، وقضيت عجبا لآية البيان التي تنتفي عندها فروق الفروع والأصول، والأمكنة والأزمان».

هذا ما كتبه عن البارودي في حياته، أما حين انتقل إلى الرفيق الأعلى، فمن أعجب العجب في هذا الزمان الرديء أن الصحف اليومية لم تشر إلى وفاته إلا بعد أمد طويل، غير صحيفة خليل مطران (الجوائب المصرية) التي كان يقوم على تحريرها، فقد أفردت فصلا رئيسياً لجنازة البارودي، والحديث عن حياته وأدبه!! كتب هذا الفصل خليل مطران بأبلغ ما يقول كاتب في هذا المجال، كتب يقول[٢]:

خرجنا نمشي وراء نعشه المحفوف بالإجلال، ونحن ننظر ذات اليمين والشمال، فلا نرى من الجمهور إلا كل مهتز العطف للشعر، متطلع النفس الى الحلال من السحر، والجميع قد نسوا منه الوزير ربَّ الدولة، والفارس صاحب الصولة، وإنما بكوا ذلك الخلق الجليل في ذلك الخلق الجميل، وذكروا الشاعر! وكانت أول عبرة اعتبرنا بها لدى سير المشهد، أن أثبت الدُّول للرجل دولة العلم لا دولة الحكم، وأن أوفى الصحب أشياع الفكر لا أشياع النهى والأمر وخير لمثله أن يعتاض في المشيعين بالشيخ محمد عبده عالماً، واسماعيل صبرى باشا ناظماً، والشيخ على يوسف كاتبا، من وزراء لم يعرفوا الوزارة حرّة كما عرفها، ومحافظين ومديرين لم يألفوا الأحكام شريعة كما ألفها، فلما أفضينا إلى قرافة الإمام، وقد آذنت الشمس بالغروب، وكمد الأفق إلى الشحوب، جزنا مدينة تباب، مرفوعة القباب، على الوحشة والخراب، فسما بنا الطرف الى السماء، وإذا هلالها يشرف على القبور، كأنه توقيع في صحيفة القضاء على سر من أسرار المقدور، بخاتم أخفته الظلمة، ودل على طرف منه النور، حتى أفضينا الى مستقر الفقيد، فألقي به في أخدود من الأرض، ضئيلا ما أبقاه الضنى من ذلك الجسم الذى أصلته الحروب، قليلا ما تركه الموت من ذلك الظل المأمول المرهوب، غير لابث عليه أثر من آثار الجاه القديم، والبأس العظيم، والمنفى الأليم، ولكن يبدو على محياه شفق تخلّف عن ذكاء الفكر، وتلوح من ملامحه مواقع الوحي والشعر، كذلك أودعناه القبر!».

الشيخ الامام محمد عبده



اسماعيل صبري

كانت نفس خليل مطران متسعة الجوانب للخير، يغمرها تسامح لا حد له، لذلك كان شاعراً في أعماله اليومية كما هو شاعر في نثره وشعره، يأتي من ضروب المكارم ما نسمع به فلا نصدقه، وينظر إلى الحيوان بالعين التي ينظر بها إلى الانسان فهو ذو روح تحس وتفرح وتتألم، ماذا أقول؟ إنه ينظر الى الجماد أيضا هذه النظرة الحانية، لقد اصطدم قطاران حديديان في مشهد مؤلم. وكاد الحديد الخاص بهما يتحول إلى أنقاض، فجاء قطار ثالث ليحمل فوق عرباته ما تكسر من عربات القطارين الصريعين! وقد يمر مشهد الحديد المحمول فوق العربات على الناس جميعا فلا يشعرون بشيء من دواعي الرحمة، لأن الحامل والمحمول كليهما جماد لا يحس، وإذا اصطدم كأس بلوري بكأس مثله فتكسرا معا، فلن يحزن صاحبهما لما أصابهما، بل لما خسره من ثمن الكأسين، فالحزن للمال لا للبلور، لقد شاهد مطران العربات الناقلة تجر الكيان المحطم، فكتب في الجوائب المصرية مقالا قال فيه[٣] بعد تمهيد للحادث:

«إنا لفي محطة سراي القبة إذ سمعنا صفيراً مستطيلا منكرا، فاطللنا من النوافذ، وإذا قاطرة تنفح ضراما ودخانا وتهدر هدير الفحل، وهي تتقدم برفق فمرّت بنا ووجدنا وراءها بقايا القطارين المحطمين، أحدهما منجرد لباسه عن عظامه الحديدية، باد قوساه، يتجرد مقعقعا متفككا، تليه سلسلة من مركبات نقل

الحجارة والبهائم وركاب الدرجة الثالثة، والقطار الآخر محمول هيكله الضخم على مركبة، مات ميتة البعير كلُّ ما فيه، ملتو مسترخ محلول! قال لي صديقي، وقد راعه هذا المنظر، أفتموت الأشياء كما تموت الأحياء؟ فقلت: أليس موت الموجود أن يتحول ويتغير فليكن ميتا كل ما يتبدل ويتنكر».

وإذا رثى مطران للجماد، فلا تعجب أن يرثي طفلة لا يعلم عنها شيئا إلا أن أباها قد رحل قبل موتها بزمن قصير، وأن والدتها تلتاع للفراقين معا! علم مطران هذه الحالة العادية تماماً في كل ملابساتها، فتمثل الطفلة الراحلة، فكتب مقالا حاراً يناجيها بقوله متسائلا[٤]:

لماذا لحقت بأبيك إلى ذلك العالم الذي وراء ملتقى البحر والأفق؟ أكنت أشدّ حباً له منك لأمك الحزينة، أم ذهبت لتكوني شفيعة بين يدي الله لهذه الثاكل التي جزيت عن مسرة زمن قصير بحزن دهر طويل؟!! أم أنار الله فكرك بنور الحق باكرا، فرأيت هذه الحياة حق رؤيتها قبل أن تتأصل بها أعراق وجودك، رأيت ما فيها من دسائس ومفاسد ومطامع لا تنجو منها الأيم، ولا يسلم اليتيم ففزعت منا إلى ربك قبل أن تختبرى فتعلمي ما النكد؟ وقبل أن تحيى فتحْيي مسافة ما بين سرور النظر بلمع السيف، وألم الأحشاء بمروره فيها. وقبل أن تشبى على اليتم لتشعري أن كل حي متسلط عليه أقوى منه، ذهبت وذهب سرك معك، فيا قطرة الندى التى اتخذت من أشعة الصباح أجنحة وطارت بها إلى أبيها، وصلت إلى الغاية من أقرب طريق، وسواء أكانت الغاية النعيم محسوساً أو الراحة بلا حس فهي أكرم مثوى، وأطيب مقاما! قيل إنك ابتسمت ساعة الاحتضار، أليست كذلك قطرة الندى تلمع لمعة السرور حين تتحول الى نسمة وطيب ونور؟».

هذا النمط الرائع من البيان يفسده الشرح، فليقرأه القارىء ليعيش في جوه موحيا له بما يعجز عن ترجمته اليراع! لقد تحدث الأستاذ عباس محمود العقاد عن هذا الكتاب، فجعله دليلا على نهضة اللغة العربية وآية ارتفاعها بين اللغات، بعد أن أشار إلى قوم من الناقدين يزعمون أن اللغة العربية لغة بطيئة تنقصها الحركة السريعة، كما توجد في اللغات الراقية، وليس بها (ديناميـة) تبعث على الحركة السريعة، والوثب المتكرر، ورأى أن ينقل من أسلوب مطران ما ينهض بدحض هذه الدعوى العريضة فقال العقاد[٥]:

«إن مطران الناثر كمطران الشاعر، مثل البلاغة (الدينامية) على قول أصحابنا عشاق العناوين، وإننا لننقل أول وصف له في المجموعة (مجموعة خليل مطران أروع ما كتب) فيغنينا عن المزيد من هذه الأوصاف الحسان، لأنها كلها أوصاف لا تعوزها الحركة ولا المناظر التى تراها العين أو يتمثلها الخيال.

قال في مقال (سجن الأحداث[٦]): نحن يوما جلوس على شرفة ناد، وإذا جمهور من صبية كبار وصغار، طوال وقصار، يمرون في الطريق، وينقلون أقدامهم على نغم موسيقى يعزفُ أمامهم، ويتقدم الموسيقى غلام يحمل صولجانا طويلا، ثخينا يقلبه في قبضته شمالا ويمينا، كأنما يشر به الى المارة أن اخلوا السبيل جانبا وقفوا منا موقف السيل جارفا، والجيش محاربا، وتتلو صاحب الصولجان الغلمة العازفة الضارية ثم نحو المائة من الأحداث تمشي وراءها صفوفا متحدة الملبس، مختلفة الوجوه صنوفا، وكل هذا السواد كأسوق أبيض مسطرا بسواد، قويمة قاماتهم مرفوعة هاماتهم غضة أبدانهم، بادية من السرور أسنانهم، فقلنا من الجيش بلا سلاح؟، فقيل المساجين في مدرسة الإصلاح.

نقل هذه القطعة الأستاذ عباس محمود العقاد ليدل على تموج الحركة في نثر مطران، وأنا أرى أن هذه القطعة على مستواها البياني العالى ليست من أحسن ما في المجموعة من مقالات وصفية تبلغ حد الروعة المنقطعة النظير! إنها لا تبلغ حد المقالة الفتّانة التى كتبها مطران تحت عنوان (في الطريق[٧]: متحدثة عن فتاة أجنبية كانت تسير في أوائل الربيع بالقاهرة مع رفيقتها قاصدتين بعض الأمكنة، وقد رقت السماء وصفا الجو وطاب، فقال مطران عنها «من لي بمعرفة هذه الحسناء فأسألها؟! أراها قد خرجت مبكرة تتمشى في الطريق، وإلى جانبها امرأة تسايرها، وتتمشى فلا تحس الأرض وطأتها، ما أجمل قوامها يتثنى وهامته فوق الهام كما تتثنى سنبلة الذهب في الحقل، وقد أنافت على ما يحيط بها من السنابل، نعم وما غالطت، هي سنبلة برشاقة قدها، وبما في خديها من مسحة النضار بين البياض

وبين البهاء، تتثنى وما بودها، ولكن في الثمر ما يثقل الغصن القويم، ولابد لجيرتها الآنسات عطفة تعطفها إليهن على قدر فيخاطبنها ولا يتحاملن على أصابع الأقدام! تنظر ذات اليمين وذات الشمال وترى كل شيء عجبا، ويلوح لى أنها فرحة بما حولها، معجبة بنفسها على شدة وداعتها وتواضعها. وما هي بالمزدهاة ولكنها مسرورة كسرور العصفور أفلت من قفص».

كذلك لا تبلغ قطعة العقاد المختارة حد المقالة المعنونة بهذا العنوان «أين السعادة»[٨] وفيها يصف فتاة جميلة زفت إلى رجل كبير السن وصفا حسيا ومعنويا، فتبدي رضا ظاهراً باطنه لوعة مستكنة، وقد حاورها الكاتب حواراً بلغ الدقيق المستتر من الخوالج، وأبان لفحة من الشجى الهادىء تحاول أن تختفى فلا تبين، ولا تبلغ أيضا حدَّ المقالة المعنونة بـ (صفحة من التاريخ القريب) إذ وصفت لقاء عجيباً بين الشاعر وعبده الحمولى قبيل الفجر أمام نبع مائى مترقرق، وقد ترنم الحمولى ببيتين من الشعر تحدث مطران عن أثرهما فقال[٩]: إن الشجن كان آخذا من تلك النغمة أقوى مأخذة، ولولا أنه قبض صدرى إلى البكاء لقلت إنها كُوَّة من جنة النعيم فُتحت، فسمعت منها مالا يخطر على القلب، لكن الحي الفانى إذا تناهى سروره لجأ إلى الحزن ليطيق السرور، فكيف به وقد طرب فوق طرب الدنيا».

ولا أختم المقال دون أن أشير الى الكلمة الرائعة التى كتبها مطران تحت عنوان (قارئة) حيث دعى إلى حفلة عرس بالقاهرة، أحيتها مقرئة مكفوفة البصر، تلت من كتاب الله سورة يوسف عليه السلام! وقراءة القرآن في الأفراح عجيبة في هذا الجيل الذى يتخذ هذه المناسبة للهو الفارغ والطرب المخمور، ولكنها كانت محمدة رائعة لأبناء الجيل الماضي، حيث انتظم الحفل الساهر، ليسمع المقرئة الشادية التى يقول عنها مطران[١٠]:

«وأول ما سمعناه منها سورة يوسف، كان صوتها يسلسل الآيات كعدِّ الجواهر على صفاء، وكان تلحينها مستوياً كأنه يمهد لما يتلو، فلما ألقي يوسف في غيابة الجب ثم نقله السيارة الى مصر أخذ الصوت يتنقل بين المحزن والمفرح، وكلما تمادت في القراءة عظم الشعور في نفس الحضور، وجميعهم من ذوى الأدب والمقام يصغون حق الإصغاء للقول الشريف، وحين وصلت الى قول إخوة يوسف له (وتصدَّق علينا) رق صوتها وحن ولطف حتى طفرت الدمعة من عيني، وذلك أنها كانت تختار لكل موقف أسدّ النغم موافقة له، فإذا فرغت من اللحن الذى فيه ودعت الحال الى اختيار غيره أطالت الوقف وانتقلت إليه من أقرب مآتيه».

لقد كان بودى أن أنقل كل ما جاء تحت عنوان (قارئة) فهو مشج مؤثر رقيق... فما أبدع مطران كاتبا كبيرا، وناثرا ذا ألمعية ونبوغ.

خليل مطران

أروع ماكتب

مع مقدمة وشروح وتعليقات

بقلم

الدكتور محمد صبري

القاهرة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٦٠

غلاف الكتاب

الهوامش:

(١) خليل مطران من أروع ما كتب ص ١١٦.

(٢) ص ٥٧ من الكتاب، وقد أشار الدكتور صبرى ص ٦٤، ان الصحف المصرية لم تشر يوم ١٩٠٤/١٢/١٥ التالى يوم وفاته ١٢/١٤ إلى موت الرجل ولم تنعه ببعض ما يجب ما عدا الجوائب المصرية التي يصدرها مطران!! وقد نادى بإقامة حفل تأبين له.

(٣) خليل مطران ص ٦٩.

(٤) خليل مطران ص ٤٤.

(٥) مجلة قافلة الزيت سنة ١٩٥٨م.

(٦) خليل مطران ص ٢٥.

(٧) خليل مطران ص ٤٧.

(٨) خليل مطران ص ٣٢.

(٩) خليل مطران ص ١٢٧.

(١٠) خليل مطران ص ٧٤.

أبو عزّة الجمحي ت: ٣ هـ

كان شاعرا مملقاً كثير العيال، لم يقف عنده التاريخ كثيرا، ذلك لأنه عاش على هامش هذه الفترة، وتردد في موقفه بين الإسلام والكفر، وبين الوفاء بالعهد، ونقض العهد، وقد رأيناه في أول الأمر يلقي نفسه إلقاء إلى جانب المشركين في غزوة بدر، وحين سقط في الأسر، رأيناه يقبلُ على الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم يقول: إني ذو عيال وحاجة قد عرفتها، فامنن عليّ صلى الله عليك، وقد رقّ له الرسول ثم قال: على[١] ألا تعين عليّ - يريد شعره - فقال: نعم، فعاهده الرسول ثم أطلقه فقال:

ألا أبلغا عني النبيَّ محمدا
بأنك حق، والمليكُ حميدُ
وأنت امرؤ تدعو إلى الرشد، والتُّقى
عليك من الله الكريم شهيدُ
وأنت امرؤ بُوِّئْت فينا مباءة
لها درجاتٌ سهلة وصعود
وإنك من حاربته لمحارب
شقي، ومن سالمته لسعيد
ولكن إذا ذكرت بدراً، وأهلها
تأوبُ ما بي حسرة، وتعُود[٢]

ومعنى هذا أن الإسلام دخل قلبه، وأنه عزم على الإبتعاد عن حرب الرسول، ولكن حرب «أحُد» أقبلت فعزم على الابتعاد عن هذه الحرب، ولكن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي أحد السادة الداعين إلى حرب الرسول، قد دعاه للمشاركة في الحرب، وحين ألح عليه قال الشاعر: إن محمداً قد منَّ عليّ، وعاهدته أن لا أعين عليه، وقد عرف نقطة الضعف عنده فأطعمه من جوع، ثم منّاه بقوله: لك الله عليّ إن رجعت أن أغنيك، وإن أصبت أجعل بناتك مع بناتي، يصيبهن ما أصابهن من عُسرٍ ويُسر، فما كان من الشاعر إلا أن ضعف، وانطلق في بني كنانة يحرضهم على قتال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، فقد قال:

أيا بني عبد مناة الرُّزّام
أنتم حماة وأبوكم حام
لا تعدوني نصركم بعد العام
لا تسلموني، لا يحلُّ إسلام[٣]

ثم كان أن انطلق للحرب في غزوة أحد، وكما أسر في بدر، أسر في أحد، وقد أراد أن يكرر ما حدث في بدر، فقد ذهب إلى رسول الله ثم قال له: يارسول الله منّ عليّ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: لا يلسع المؤمن من جحر مرتين[٤]، وفي رواية أخرى قال: لا تمسح عارضيك بمكة تقول: خدعتُ محمدا مرتين، وكان أن أمر بقتله فقتل، وهناك رواية أخرى تقول: ما أسر أبو عزة يوم أحد ولا غيره، فالمسلمون كانوا في شغل عن الأسر، ويذكر ابن جعدبة أن أبا عزة عاش طويلا، وبرص بعد ما أسن، وكانت قريش تكره الأبرص، وتخاف العدوى، فكانوا لا يؤاكلونه ولا يشاربونه ولا يجالسونه، فكبر ذلك عليه، فقال الموت: خير من هذا، فأخذ حديدة، وصعد إلى جبل حراء يريد قتل نفسه، فطعن بها في بطنه، فضعفت يده لما وجد مسَّها، فمالت الطعنة يمينا وشمالا، فسال ماء أصفر، وذهب ما كان به فقال:

لا هُمَّ ربُّ وائل ونهد
والتّهمات، والجبال الجرد
وربُّ من يرمي بياض نجْد
أصبحتُ عبداً لك وابْن عبد
أبرأتني من وضح بجلدي
من بعد ما طعنْتُ في معدّي[٥]

وحين نعرف أنه لم يمتْ إلا بعد أن أسنَّ، وكيف أنه برأ من البرص، نرتاح إلى القول بأن الرسول لم يقتله

بقلم : أ . د . عبده بدوي
- الكويت -

بعد ما قيل عن أسره في معركة أحد، وبخاصة أن ابن جعدبة يقول: ما أسر يوم أحد ولا غيره، فقد كثر الحديث عن قتله في أحد، كما كثر الحديث عن قتل النضر بن الحارث في يوم بدر صبرا[٦]، ذلك لأن هناك رواية تقول: إنه إصابته جراحة فارتث منها، بمعنى أنه صرع في المعركة، وحمل وبه رمق، ثم مات، ولما كان شديد العداوة، فإنه قال في حقد على الإسلام: لا أطعم طعاما، ولا أشرب شرابا، ما دمت في أيديهم، وكان أن مات متأثرا بجراحه، وبعناده كما قيل إن الرسول لم يقتل أحدا صبرا إلا عقبة بن معيط في يوم بدر[٧].

من كل هذا نذهب إلى أن الرسول لم يقتل إلا في أضيق الحدود، لمن كان يستحق، وما أكثر الشعراء الذين وقفوا ضد الرسول والرسالة مثل هبيرة بن أبي وهب، ومع ذلك سكت عنهم، وتجاوز عن مواقفهم[٨]، أما الذين لم يقفوا عند حد مثل كعب بن الأشرف الذي جاهر بالعداوة، وبكى قتلى بدر، وشجع على قتال المسلمين، وفي الوقت نفسه شبب بنساء الرسول، ونساء المسلمين[٩]، مما أحدث بلبلة بين الناس، وقد كان تياها فخورا بخاله من يهود على نحو قوله:

رب خـال لي لو أبصـرتـه
سبـط المشيـة أباء أنفْ
لين الجـانب في أقـربيه
وعلى الأعـداء سم كـالزعُف
ولنا بئـر رواء جـمـة
من يردها بإناء يغـتـرف
ونخـيل في قـلاع جـمـة
تخـرج التـمـر كـأمـثـال الأكُف
وصـرير في مـحـال خلتُهُ
آخـر الليـل أهـازيـج بـدُفْ

فما كان من الرسول إلا أن أمر محمد بن مسلمة «ورهطا معه من الأنصار بقتله فقتلوه بعد معركة بدر»[١٠] التي كان مما قاله فيها:

ألا بلغـا عنّي النبي مـحـمـدا
بأنك حق والمليكُ حـمـيـد
ولكـن إذا ذكـرتُ بـدرا وأهـله
تـأوه مـنـي أعـظـم وجـلـود[١١]

كما أن عبد الله بن خطل قد قتل يوم فتح مكة بيد أبي برزة الأسلمي لأن الرسول كان أهدر دمه لارتداده مشركا، ولأنه كان يأمر قينتين له بأن تغنيا بهجاء الرسول، أما مقتل ابن حبابه، فقد قتله نميلة بن عبد الله من قومه يوم فتح مكة، لأنه كان قتل رجلا من المسلمين ثم ارتد مشركا فأهدر النبي دمه[١٢].

وأخيرا قد وضعه محمد بن سلام في طبقة شعراء مكة، وعددهم عشرة[١٣].

الهوامش:

(١) أيام العرب في الإسلام، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ص ٢٨، دار الجيل بيروت، السيرة النبوية ٦٦٠/١.

(٢) أيام العرب ٣٢، الرزام: الثابتون في الحرب.

(٣) هناك رواية أخرى للأبيات في الحماسة المغربية ص ١١٥، ورواية ثالثة في من اسمه عمرو من الشعراء لأبي عبد الله الجراح. تحقيق د. عبد العزيز المانع ص ١١٢ مطبعة المدني ط١.

(٤) في رواية لا يلدغ مؤمن من جُحر مرتين، من اسمُه عمرو من الشعراء لأبي عبد الله الجراح ص ١١٢.

(٥) طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر ٢٥٣/١ وما بعدها.

(٦) القتل صبرا يعني أن يقدم الإنسان فينصب، فيضرب عنقه.

(٧) نفسه ص ٢٥٦، ولعل مما يدل على هذا رده على حسان حين تكلم عما دار في سقيفة بني ساعدة، فقال (وكلهم ثان عن الحق عطفه يقول: اقتلوا الأنصار، بؤس من فعل) فرد عليه أبو عزة الجمحي بقوله في قصيدة أولها:

معشر الأنصار خافوا ربكم
واستجيروا الله من شر الفتن

- قضايا الأدب الإسلامي والأموي. د. عباس بيومي عجلان ص ٢٩٤.

(٨) طبقات فحول الشعراء ٥٧.

(٩) جمهرة أشعار العرب للقرشي. تحقيق خليل شرف الدين ٥٤/١ ط٢.

(١٠) طبقات فحول الشعراء ص ٢٨٢/١.

(١١) قضايا الأدب الإسلامي والأموي، د. عباس بيومي عجلان ص ١٤٨ وفي الحماسة المغربية هذا البيت للشاعر أبو عزة عمرو بن عبد الله ص ١١٥.

(١٢) العمدة ٢٣/١ ط٥.

(١٣) طبقات فحول الشعراء ٢٣٤/١ دار المدني بجدة.



حجرة الفئران:

كان خوفي كله ابان الطفولة من حجرة الفئران وهي حجرة وهمية لا وجود لها في المدرسة يستخدم المدرسون صيتها المرعب في اخافة التلاميذ المشاغبين ومن لا يستذكرون دروسهم، لم ادخلها قط ولم يدخلها احد من اقرانى حتى المشاغبين، لكن تكونت عندى عقدة «حجرة الفئران» ولكى اتخلص منها اسأل كل من يقابلني - حتى بعد أن تخرجت من الجامعة - عن تلك الحجرة فلم اجد من شاهدها وإن كان الجميع يعلمون - عن طريق السماع - بوجودها الوهمي كالغول والعنقاء.

عندما تسلمت عملى - كطبيب نفساني - في المستشفى العام اعتذر لي مديرها في أول مقابلة انه لا توجد حجرة خالية تليق بالعيادة النفسية وأنه سوف يعطيني حجرة معتمة في الدهليز المعتم بصفة مؤقته - استمرت حتى الآن عشر سنوات - اكتشفت بعد عشر سنوات ان المدير كان يرهب الاطباء الذين لا يؤدون عملهم انه سوف يضعهم مع الطبيب النفساني.

عرفت أن حجرة الفئران كانت اقرب إليّ مما اظن فقد مكثت بها عشر سنوات.

السعادة:

ربما كانت السعادة في أن يهب الانسان للآخرين السعادة، ثم يشاهد هذه السعادة في عيونهم فيشعر بالسعادة.

كان يعانى من تخلف عقلي واضح يستطيع أن يتبينه كل انسان واحدى رجليه عرجاء لكن الذى لا يلاحظه سوى طبيب نفسانى عمل بالطب طويلا انه يعانى من اعراض مرض عقلى، لكن كل هذه الامور لم تؤثر على مسيرته فقد كان يقعد في السوق في طرف قصي ولا يبيع سوى نوعين فقط من الخضر وهما البطاطس والبصل. كان ناجحا في عمله، فالسعر محدد والناس يقبلون على الشراء منه، بعضهم بدافع الشفقه والآخر بدافع الطمع في انه من الممكن أن يبخسه في السعر أو الميزان أو كليهما، لكنه كان يلوح وكأنه لا يدرى من العالم كله سوى شيئين وهما أن السعر كذا والميزان هكذا.

في ايام العيد الكبير الاربعة وفي عز الحر ترك تجارته تبور واستأجر حماراً هزيلا ربما كان ايضاً يتمتع بالتخلف العقلى أو الجنون، واخذ يجره ويجر معه رجله العرجاء ويؤجره للاطفال الصغار طوال النهار ويجرى خلفه وهو يتفصد عرقاً لكن السعادة

بقلم : د. عبدالغني عبدالحميد رجب
- مصر -

كانت تقفز من قسمات وجهه البريء وهو يرى سعادة الاطفال الآخرين بامتطاء صهوة الحمار الهزيل.

آخر مره:

اعظم ادوار حياتي دور جائع ينتظر الطعام.

كانت السيدة العجوز لا تجد قوت اولادها الذين يأنون انين الجوعى بصوت يقطع نياط القلب فكانت تعالج احزانهم علاجاً نفسيا فتضع القدر على النار - ذلك القدر الذي يحتوى على الماء فقط وتقلبه من حين لآخر وهى توهم اولادها انه لم ينضج بعد والاولاد يستحثونها فيقول احدهم: اماه غذيني ويصرخ آخر: الجوع يؤذينى ويتألم ثالث: قد هدنى الجوع يا اماه فاحمينى، تخلو الام بنفسها برهة تشكو ما بها فيسمعها الوالى العادل الذى يتحسس اخبار الرعية فيذهب الى منزله ويحمل على ظهره الدقيق والسمن ويطبخ طعامهم بنفسه.

وقع اختيار المدرسة عليّ لكى اقوم بدور الابن الاصغر للام العجوز لصغر جسمى وفي البروفة الأولى للمسرحية الشعرية امسكت ببطنى دلالة على الجوع فاعجبت المدرسة وهي مخرجة العرض في نفس الوقت بأدائى وفي البروفة الثانية اخذت اتلوى من الجوع من الامساك ببطنى وازداد اعجاب المدرسة المخرجه اما في البروفة الثالثة فأخذت اتمرغ على الارض بقوة دلالة على الجوع الشديد والمدرسة من اعجابها بادائى كانت قد احضرت المدرسات الاخريات لمشاهدة البروفة قبل النهائية حيث ستعرض المسرحية في عيد الام.

كان ولابد أن يتبلور احساسي بالجوع في البروفة النهائية وينتج عنه عمل درامي فذ لم اكن ادرى كنهه على وجه التحقيق فقد فوجئت أنا بنفسى تطلق زعقة هستيرية هائلة متصلة في تلك البروفة إضافة للامساك بالبطن والتلوى والتمرغ على الارض. حضر ناظر المدرسة والوكلاء وجميع العاملين والتلاميذ وانا على تلك الحالة وتعطلت الدراسة في ذلك اليوم.

لا ادرى حتى الآن لماذا تم الغاء العرض ولم امثل بعدها ابداً وهكذا تم احباط مشروع ممثل عظيم.

ثم اصبحت طبيباً نفسانيا بعد أن نجحت نجاحاً عظيماً تحول من روعته الى فشل كممثل جائع.



وشوشات البحر

وشوش البحر في المساء الخجول
وهفا ضاحكاً للثم الأصيل

ورنا الشعر للبيان ابتهاجاً
بحديث الندى عن المستحيل

هزه الشوق للعباب فأسرى
وتغنى بروعة القنديل

ها هو الآن في الشفاه غناء
وعلى الشط موطنٌ للمقيل

ها هو الآن في السماء سحابٌ
يحمل الخير في الزمان البخيل

يمطر الحبّ في القلوب فتصفو
ومن المستقي شفاء الغليل

وردة تمنح الورود اخضراراً
وعيوناً جرت من السلسبيل

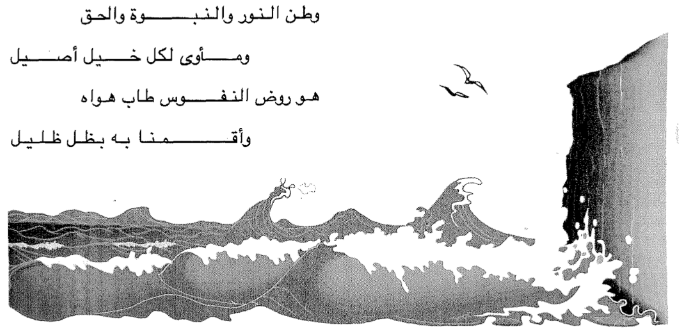
وطني إن مدحته لست أرضي
فيض شعري بزحفه المعلول

هو فوق الشعور فوق المعاني
وطن المجد والهوى الموصول

وطن الخير والمنى ودروب
قد أضيئت بمحكم التنزيل

وطن النور والنبوة والحق
ومأوى لكل خيل أصيل

هو روض النفوس طاب هواه
وأقمنا به بظل ظليل





شعر : إبراهيم عمر صعابي
- جـازان -

قـمـة الحب أن نذوب احـتـراقـا
في هوى الموطن الأمين الجـمـيـل
أيـهـا السـادة المحـبـون عـفـواً
إن طغى الحبّ في الفـؤاد العليل
قـد كـسـونا الحـيـاة مـجـداً تليداً
وفـتـحنا نوافـذ المجـهـول
وغـرسنا الطمـوح في كل شـبـر
فظفـرنا ببـاسـقـات النخـيل
يا مـضـيء الجـبين مـعـذرة إن
قـصّر الشـعـر عن مـعـاني الخليل
كل يوم يشـاد في الأفق صـرح
من صـروح البنا بعـون الجليل
كـل يـوم يمـر يـنـبـئ أنـا
أمـةُ الحق ·· أمـة التـرتيل
كم تسـامت منارة وأضـاءت
أرضنا البكر ·· قـوة التـهليل
تشـهـد الأرض للبـلاد بمجـد
واثق الخطو بالكفـاح الطويل
أكـرم الله أهلـهـا وثراهـا
واصطفـاها بكل خـيـر جـزيل
حكمـة الله في الوجـود تسـامت
يسـبق المزن هـمـهـمات المخـيل



حوار مع الفنان التشكيلي فهد الربيق

زرت الفنان فهد الربيق بمرسمه في الرياض خلف مبنى التلفزيون - مجمع صالح الراجحي السكني، فوجدت المرسم مليئا باللوحات الفنية الجميلة التي تعبر عن البيئة بالجزيرة العربية، والتراث مع ما يحمله من عبق الماضي، وعن أعماق الفنان ومشاعره تجاه هذا العالم الفسيح.

تجولت في المرسم وهو يروي لي قصة كل لوحة من لوحاته، حتى انتهى بنا المطاف إلى جلسة أدبية هادئة في مكتبه.. وكانت التجربة الذاتية في الفن التشكيلي بداية الحوار:

* التجربة اللونية عشق يتنامى تزاوجه طبيعة الحياة فهو وجدان يتكاثف فيظهر أبخرة ترسم حولها ألوان الطيف.. فيتوالد مكوناً ألف لون ولون يعبق في داخل الفنان فيكون مخاضاً يولدُ الطبيعة من حولنا.

والرؤية تكوين يتكاثر، يعلّقُ في ذاكرة الترحال، يطوي الزمن، ويكسر حاجز الخوف المتدفق كصهيل خيل متقطع بين مساحة أرض وجبل.. والغوص بين خط ولون تباشير لعالم فسيح تعكسه خيالات الفرشاة في مساحات بيضاء.

والإبداع لغة تتراكض في جبين الذاكرة، وحين أطرق بوابة الرسم أقول وقتها كيف أنمو، وكيف أعشق، وكيف أتنفس لأرقص بين خط ولون، وتنوب الأشياء من حولي أجمعها في لغة بسيطة تكبر في عالمي، وأصغر في محيطها.. وحين أنهمر تتدفق من حولي لغات كثيفة أبلورها في وجدان يتنامى.

ما أجمل أن يحلق الفنان المبدع في الطبيعة بين أرضها، ونباتها، وبيوتها، والفضاء الفسيح الذي نحلم به، ويعشقنا، ونزاوجه في ترحال الزمن، وما أجمل تراكمات الأوقات والفصول، ومساقط الضوء إشراقة وغروب، وما أجمل تدفق مياه البحر وامتداده.

إعداد :
عقيل بن ناجي المسكين - الرياض



ـ الفنان فهد الربيق يتشرف بالسلام على خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز.

المنهـل

● الفنان فـهـد الربيق، باعتبارك رئيسا للجنة الفنون التشكيلية بالمركز الرئيسي لجمعيات الفنون التشكيلية بالملكة، ما هو الدور الأساسي لهذه اللجنة في سبيل إثراء الساحة بهذا العطاء الفني الحضاري؟

** أنا أعتقد بأن الدور الأساسي للجنة يعتبر دوراً ريادياً في إنماء وتواصل الحركة التشكيلية للفنانين المتمثلين على هذه الأرض الطيبة، والجمعية تحمل دوراً مهماً في إيجاد الرابط بين عطاء الفنان التشكيلي وتواصله مع المتلقي بشكل جيد، ويكون ذلك بترتيب بعض المعارض الشخصية والجماعية، وكذلك نقل هذه المشاركات الى خارج حدود المملكة الى دول مجلس التعاون والوطن العربي وخارج الوطن العربي أيضاً، فالجمعية عبارة عن قاعدة للفنانين والمتذوقين المهتمين بهذا الجانب الحيوي والذين يهدفون الى إثراء مثل هذه الفنون وإعطائها حقها المتكامل الذي يوصف بشكل جيد ويجعل نماء الثقافة نماءاً طبيعياً يحمل جانب العطاء في مساحة اللون والخط والنحت والتشكيل الفني، وكذلك يرتبط بالثقافة التي تحيط بالجانب الفني التشكيلي وذلك بإقامة الندوات التشكيلية واستضافة بعض الفنانين التشكيليين من الخليج والوطن العربي، كما تهدف الجمعية الى تشجيع الروابط التي تربط الفنانين التشكيليين بإيجاد هذه القاعدة القوية التي ينطلقون منها لعالم الإبداع، فالجمعية بالرياض وبجميع فروعها بالمملكة عبارة عن اسرة واحدة تحمل نفس التطلعات والأهداف وتصبها في قالب واحد يخدم مسيرة هذا الوطن الكبير ويغذي طموحات المتلقي الكريم، وبالتالي يصبح التواصل تواصلا قوياً ويحمل معيناً لا ينضب مزداناً بالوعي الثقافي المعاصر الذي نعيشه ونفخر به بمساحتنا في المملكة العربية السعودية.

المنهـل

● هل تقتصر هذه النشاطات على النخبة من المبدعين والفنانين التشكيليين بالمملكة أم أن هناك برامج تشجيعية لذوي المواهب الواعدة؟

** الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنونه من ضمن خططها تواصل عطاء الفنانين المبدعين مع المتلقين والمتذوقين لهذه العطاءات بالمعارض التي تنظمها الرئاسة العامة لرعاية الشباب والجمعية، وإعطاء هؤلاء المبدعين حقهم الإيجابي لكي يأخذوا حقهم وسط هذا النشاط الذي يفوح برائحة العطاء البكر، خصوصاً وأن إنتاجهم يعتبر نموذجاً لمساحة الثقافة والفنون بالمملكة، ولا تتركز فعاليات الجمعية ولجنة الفنون في التواصل مع المبدعين فقط فهؤلاء ستكون لهم مساهمة فعالة مع الجمعية واللجنة في سبيل إيصال إبداعهم الى الموهوبين والى الذين يحملون بدايات جيدة تشق طريقها بشكل صحيح.

ومن ضمن الفعاليات حقيقة هو الإعتناء بدور الموهوبين وما يحملونه من عطاءات جيدة، وهؤلاء الهواة سيعقد لهم برنامج حافل ستقوم به اللجنة بالتعاون مع النخبة من الفنانين والمبدعين في عالم الفن التشكيلي، والاستفادة ستعم المبدعين أيضاً وليس فقط الموهوبين وأصحاب البدايات الجيدة حيث أن المرسم سيضيف للمبدعين أشياء جديدة مثل المواكبة لحركة الفن التشكيلي سواء في المملكة



- المعرض الشخصي للربيق بدولة تونس.

أو في العالم العربي أو في العالم بشكل عام، ولن يقتصر نشاط اللجنة على ملاحظة هؤلاء الموهوبين فقط بل ستطرح جوانب متعددة مثل المحاضرات والندوات التي تحمل قيمة فنية وجوانب متعددة في الساحة التشكيلية من قبل إخصائيين ومسؤولين في هذا المجال من الفنانين السعوديين ودكاترة من الجامعات السعودية.

فاللجنة ستعقد دورات تنطلق انطلاقاً حياً في مرسم الجمعية الذي نسعى حالياً لتجهيزه وتقديمه للموهوبين وإيجاد البرامج التي نوهت إليها، كل ذلك بتوفيق من الله سبحانه وتعالى ثم مجهودات رئيس مجلس الإدارة الاستاذ محمد الشدي كل ذلك هدفاً للوصول الى خلق التواصل القوي بين المبدعين والموهوبين والحرص الشديد على إظهار التعاون الإيجابي الذي يتطلع اليه كل فنان سعودي.

المنهل

● وماذا عن المسابقات التي تعقدها الجمعية واللجنة في هذا المجال؟

** فيما يتعلق بمعارض الفنون التشكيلية هناك دعوات توجه للفنانين المبدعين الذين لهم خبرتهم الطويلة وكذلك الفنانين الذين يحملون منطلقاً جيداً في بداية مرحلتهم التشكيلية، وهدفنا من ذلك هو وضع الرابط القوي فيما بين الفنانين باختلاف خبراتهم، وبالتالي يكون هناك حافز للمبتدئين الناضجين، وهذه المعارض التي تنظم عادة يكون فيها بعض الجوائز، وقد تكون أحياناً على شكل معارض جماعية وتحدد الجوائز من قبل المتلقين أنفسهم الذين تشدهم اللوحة الجميلة ويشدهم العمل الإبداعي الناضج، والحلم الذي يسعى اليه الفنان هو أن يحظى باهتمام المتلقين والمتذوقين الذين يعون دور هذا العطاء، ويستفيد الفنان من انطباعات المتلقين ورؤيتهم حول عطائه وإنتاجه الفني، حيث إن العمل الفني ملك للفنان ما دام في مرسمه أما إذا خرج للجمهور فهو ملك لهم لأنهم سيبدون وجهات النظر وبث الرؤى حول هذا النتاج، وقد يقتني بعض المتلقين الأعمال الإبداعية لجاذبيتها أو لارتباطه بها أو لارتياحه منها وفي كل الحالات يشكل ذلك مساحة من الثقافة التي نفخر بها ونعتز بها.

المنهل:

● من برأيك يتصدر الساحة السعودية من الفنانين التشكيليين؟

** الجواب على هذا السؤال صعب للغاية، وفي الحقيقة أنا أحمل تذوقي الخاص وهو رؤية خاصة حيث انني أعتقد بأن أكثر الفنانين إيصالا لابداعهم وأكثرهم فخراً بعطائه وأكثرهم ارتفاعاً في السلم الهرمي الذي يسعى اليه كل فنان هو العطاء الذي يتمازج بالصدق والوعي الثقافي والرؤية الهادفة، وكل ذلك لا يتشكل بانفعاله وإنما بتفاعله مع هذا العطاء الثقافي، وهذا لا يتشكل أيضاً إلا بالممارسة الطويلة والوعي، وأكثر تواصل المبدعين في هذه الساحة هو الأكثر مصداقية في تعامله مع مساحة اللون والخط وأكثرهم صدقاً في تعامله مع مجتمعه وعاداته وتقاليده وأكثرهم وعياً في قناعته بأن منطلق العالمية يأتي

- بادية العرب.

من واقع المحلية التي يعيشها وتميز عطائه البكر من دون تخصيص أسماء.

المنهل:

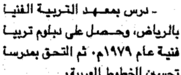
● نقفز بالأسئلة من المبدعين وذوي المواهب الشابة إلى المتلقي، ترى هل لمستم من الجمهور التفاعل الإيجابي المطلوب مع نشاطات اللجنة؟ وما مدى هذا التفاعل؟

** يوجد هناك الكثير من المتذوقين مما يجعل نوعاً من الإثراء بتفاعل هؤلاء المتلقين ولكن لا يأخذ صورته المتكاملة، وأنا في هذه النقطة أطرح الجانب الإيجابي الذي أثرى ساحتي كفنان وهو أن هناك متلقين ومتذوقين يتفاعلون بقدر تفاعلنا وهم في الحقيقة يبرزون لنا صورة موجودة في اللوحة لم تكن في الحسبان في داخلنا لأن تعبيرنا تعبير ينبع من داخل الفنان ومشاعره، وهذه الصور الجديدة في إبداعنا لا تشاهدها العين ولكن العين الثالثة لنا هي عين المتلقي نفسه، حيث أنه يتفاعل مع ما يشاهد من اللوحات والأعمال الفنية ويطرح رؤيته من واقع هذه اللوحات.. فليس القصور من المتلقي فقط وإنما حتى من الفنان التشكيلي حيث أنه يجب أن يتواصل عطاؤه ويجب أن يجد الطرق والسبل السهلة والجيدة لإيصال عطائه التشكيلي الى المتلقين والمتذوقين وإلى الجمهور والوصول لهم حتى لو وصلت به الحالة للعرض في الشارع ووسط الحياة الإجتماعية.

وأنا أعتقد بأن إحدى التجارب التي نجحت في أحد أسواق المنطقة الشرقية - مركز الراشد - حيث عقد معرض جماعي لنخبة من الفنانين وهم مجموعة من النخبة والمتطلعين لإقامة معرضهم ولقد حقق نجاحاً كبيراً لأن

في ميدان الكلمة

فهد الربيق في سطور

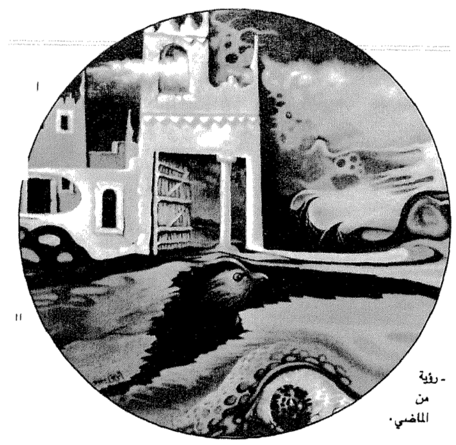


- درس بمعهد التربية الفنية بالرياض، وحصل على دبلوم تربية فنية عام ١٩٧٩م. ثم التحق بمدرسة تحسين الخطوط العربية.
- عمل بالتدريس، ثم رساماً بمجلة الفيصل ومصمم مناظر بالتلفزيون السعودي.
- اشترك في تنظيم عدة معارض جماعية مع زملائه الفنانين في الداخل والخارج.
- شارك في جميع المعارض التي تقيمها الرئاسة العامة لرعاية الشباب والجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.
- نال العديد من الجوائز والميداليات والشهادات التقديرية.
- مثل فناني المملكة في الأسابيع الثقافية بالسويد والنرويج عام ١٩٧٧م.
- وفي معرض الفنانين التشكيليين العرب بالكويت عام ١٩٧٨م وفي مهرجان الشباب العربي في سوريا.
- أقام عدة معارض شخصية في الداخل والخارج ومنها في دولة المغرب وتونس وجمهورية مصر العربية والسودان.
- شارك في مهرجان التراث والثقافة بالجنادرية.
- شارك في معارض الرياض والمملكة بين الأمس واليوم في ألمانيا والمملكة المتحدة وفرنسا ومصر والولايات المتحدة.
- شارك بمجموعة من المعارض منها: معرض أصدقاء الفن الخليجي.. المعرض الجماعي التشكيلي السعودي الأول بمجمع الراشد بالخبر في الفترة من ١٤١٦/١٢/٤هـ - ١٤١٦/١٢/٢٥هـ.
- يرأس حالياً لجنة الفنون التشكيلية بالمركز الرئيسي الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض.

الجمهور يصل السوق لقضاء حاجاته ويجد أنه يرى خطوطاً جديدة وملامح من الفن التشكيلي في المملكة وعطاءاً متميزاً من بعض الفنانين، فتسرقهم اللوحات أكثر مما تسرقهم البضائع الموجودة في السوق.. فهذه خطوة جيدة، ومثل هذه الجوانب تأخذ بيد المتلقي ليأتي الى الساحة التشكيلية بنفس راضية ويتفاعل معها.

المنهل:

● كنت في بداياتك تتخذ من الواقعية مسلكا تعبره للتعبير عن ذاتك الفنية، ثم زاوجت بين الواقعية والسريالية،



- رؤية من الماضي.

ثم تطلعت إلى ما هو أبعد من ذلك وهو الاسطورة والخيال المجنح، ترى ما هي رؤيتكم الآن..؟

** كانت بدايتي طبيعية، وكنت مركزاً على الواقعية كأساس.. وفقاً للقاعدة التي تقول أن الطبيعة هي مدرسة لكل فنان، فإذا تعامل الفنان مع الطبيعة التي تحيط به من جميع الجوانب فهو يتفاعل بشكل جيد وطبيعي ولكن البدايات الحقيقية التي يتفاعل معها الفنان.. وأنا كذلك أتفاعل معها.. هي تواصل الفنان التشكيلي مع عطائه بشكل يحمل الثقة والوعي الجيد بدور الحركة التشكيلية داخل ذلك الوسط والساحة الفنية التي نعيشها، ومن خلال تطلع المحب لهواية الرسم أو المطلع الى طموح أكبر في تحقيق ذاته، كانت الطبيعة هي المقياس الحقيقي لعطائي في البدايات، ولكن الحلم الذي أعيشه من واقع هوايتي وحبي للفن التشكيلي أكبر من الواقع الذي أشاهده، والطبيعة التي أرسمها تحركت الى تراث الاجداد من عادات وتقاليد أحسها وأدركها ومن خلال بعض القصائد في تراثنا سواء الشعبي أو التراث الفصيح وتحقيق بعض هذه الموروثات والإنطلاق من خلالها بتعبير فني جميل يربط الواقعية المترابطة بنتاجي كرسام وكفنان تشكيلي بجانب الخيال.

امتزجت لوحاتي الواقعية بالسريالية في التشكيل من منطلق أن للفنان ثقافته الخاصة وله وعيه وله اطلاعه.. وأنا أحلم بأشياء كثيرة جداً كانت منطلقاً لي في التعبير عبر الجوانب الرمزية.. ولدي محاولات للإنطلاقة من خلال

المنهل:

● على ذكر القصيدة واللوحة، واستيحاء فكرة اللوحة من القصيدة.. ترى إلى أي حد يمكن توثيق العلاقة بين الفن التشكيلي والأدب؟.

** العلاقة التي تربط بين الجهتين رابط قوي جداً وهو الرابط الابداعي الذي يحققه الفنان التشكيلي ويحققه الفنان الأديب الشاعر من واقع تعبيره عبر أحرف الكلمة ومن واقع تعبير الرسام بانطلاقته عبر ألوان مساحات اللون والتعبير من منطلق حي، فالجوانب التي تربط بين الأدب وبين الفن التشكيلي هو الجوانب الإبداعية التي تجعل للأديب والفنان شخصيته الخاصة التي تحمل نكهته ورائحته وطعمه وتحمل مستوى الوعي الذي يدركه من خلال عطائه الإبداعي، فهي رموز إبداعية تحمل شخصية الفنان.. رموز إبداعية تحمل شخصية الشاعر.

هناك جانب آخر يربطني بالشعر وبالقصة وبالرواية فأنا أقرأ كثيراً في هذه الجوانب وجوانب متعددة أخرى وفي جانب الأدب قرأت الكثير من الأساطير الشعبية مثل «ألف ليلة وليلة» وغيرها، وقد كونت مخزوناً في داخلي ينطلق من خلاله الفنان في تعبيره، وأتوقع أن هذا لم يثر عطائي التشكيلي فقط وإنما أعتقد أنني أحمل كلمة تنطلق عبر السطور ولكنني أحتفظ بها في أدراجي الخاصة، فأنا دخلت تجربة القصيدة وكان لي مشاركات عديدة في الصحافة تحت اسم مستعار وذلك في عام ١٤٠٢هـ، وكنت

أكتبها تحت اسم (فهد بن ناصر)، ففي مطالع القصائد أميل الى جانب الرمزية وجانب السريالية وأدخل معها كذلك رسم اللوحة الخاصة بموضوع القصيدة، ولكن «فهد الربيق» في تلك ا لفترة لا يكتب ليكون شاعراً وإنما الإحساس القوي لتذوقي هذه القصائد يجعلني أحمل وحدة تعبيرية أنطلق من خلالها، كذلك كان لي محاولة في كتابة القصة القصيرة ولي أكثر من قصة منشورة، كذلك كانت لي محاولات في الساحة الثقافية من عام ١٤٠٠هـ استمرت لفترة بسيطة وتوقفت بعدها لأنه لدي قناعة متكاملة أن «فهد الربيق» لم يخلق ليكون شاعراً أو قاصاً وإنما ارتباطه القوي والأكثر هو تجربة الخط واللون والتعبير.

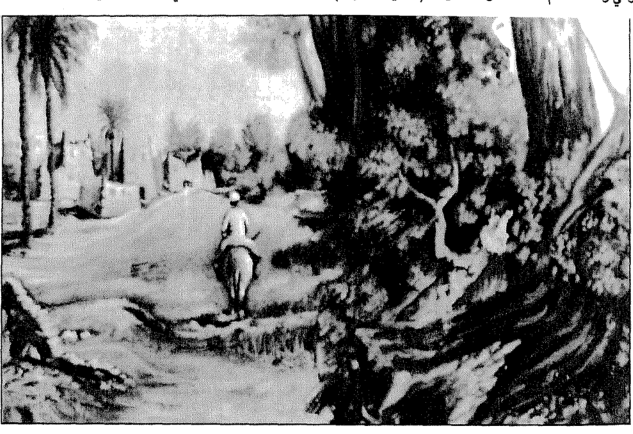
في الفترة الأخيرة كان لي ميول بكتابة النثر الشاعري ومازلت احتفظ بكثير منه.. ليس لابراز هذا النثر الفني وإنما لتكون منطلقاً حياً أعبر من خلاله وأترجم هذه الكلمات الى مساحات ملونة تحمل الرمزية والسريالية في طرحي الأدبي اللوني - إن صح التعبير - ولكن أنا أقول بأن المنطلق الثقافي الذي أعيشه يكون مخزوناً جيداً للتعبير، وقد رسمت بعض اللوحات ومن ضمنها لوحة (الطوفان) وهي رسمت عام ١٤٠٧هـ، وكذلك لوحة (قصيدة الفرس) ورسمت عام ١٤٠٣هـ، وكذلك لوحة (الغوص) ورسمت عام ١٤٠٤هـ في لوحتين، اسميتها (أعماق بحار)، وهذه العطاءات تتزاوج مع الكلمات التي أكتبها، فالكلمات التي أكتبها تكون ملامح العالم الذي في داخلي والذي أعبر من خلاله في أحيان كثيرة بالكتابة وفي حالات كثيرة بالألوان، وتحمل جانب السريالية أو الجانب الرمزي أو جانب الاسطورة.

ولدي الآن لوحة بدأت في رسمها منذ ١٤١٥هـ وهي لوحة جدارية مازلت أعمل فيها وهي تحمل الجانب الاسطوري، وهذه اللوحة مساحتها تقارب الـ ٣٠ر٢م ارتفاعاً وعرض ٨٠ر٣م وهي تعبر تماماً عن كثير من الإحتدامات الثقافية التي في داخلي منذ تلك الفترة وأنطلق من خلالها لتكوين الاسطورة.

المنهل:

● **الحرف العربي له حضور فعال في نوعية انتاجاتك الأخيرة، ترى إلى أي مدى تمت استفادتك من الحرف العربي.**

** الحرف العربي هو رمز قوي وهو منطلق جيد





ـ معركة روضة مهنا.

للإبداع، لا لإعادة تشكيل الحرف وإنما لإظهار الجوانب الجميلة في هذا الحرف، والإنطلاقة من خلاله بخلق رموز مختلفة وجميلة فيه، ولا يخفى أن التجربة في الخط العربي تمتزج بعطاءات كثيرة لفنانين عرب، والجانب الإبداعي من خلال انطلاقة الفنانين المهتمين بالخط العربي ضئيلة جداً لأن مفاتيح الإبداع يكون ظهورها قليلا في هذا الجانب، وبالنسبة لي فإنني بدأت الإهتمام بهذا الجانب منذ البداية بدراسة الخط العربي المرتبطة بالدراسة في «معهد إعداد المعلمين» حيث درست دورة للخط العربي على يد أساتذة كبار، وقد تمت الدراسة في أربع سنوات وحصلت على دبلوم من «معهد تحسين الخطوط والزخرفة الإسلامية» وكانت لي بداية في المرحلة المتوسطة، وبعد نجاحي في «معهد التربية الفنية» عام ١٣٩٧هـ كان من أول الأشياء المفرحة لي أن تلقيت شهادة النجاح في ذلك اليوم وكان في هذا اليوم انعقاد أول معرض افتتحته في «فندق انتركونتنتال» في الرياض على شرف صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز، وكان عمري آنذاك لا يتجاوز السبعة عشر عاماً، وكان فن الرسم مكملا للخط الذي أهواه في البداية، ثم زاوجت الحرف العربي بالتعبير اللوني والرمزي، وبالتالي صنعت لنفسي منطلقاً خاصاً ومختلفاً أحاول من خلاله خلق جو متميز خاص بي، فالفنان لابد أن تحيطه جوانب من المؤثرات مثل الرموز العربية المعروفة في هذا الجانب الإبداعي.

المنهل:

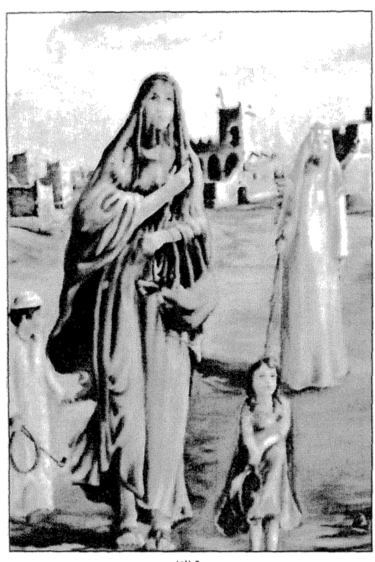
● إلى أي أفق توصل الفن العربي التشكيلي من حيث المساحة الثقافية في العالم، وأين موقع الفن التشكيلي السعودي؟.

الفن العربي من خلال تجربة المعارض المتعددة والمشاركات المختلفة في السنوات الماضية، ومنذ ما يقارب الأكثر من خمسة عشر عاماً من المشاركات الجادة في المحافل العربية وفي معظم المهرجانات التي تمثل مستويات من العطاءات في العالم العربي والعالم أجمع، تكونت لدي فكرة مفادها أن الفن العربي يحمل شخصية مختلفة لم تكن بقدر التفسير أن الفن العربي تحيطه مؤثرات للجوانب الإبداعية في الفن الأوروبي، ولكن هناك انطلاقة حقيقية تمثل الشخصية المستقلة من حيث الرموز العربية، حتى من خلال بعض المعارض التي شاركت بها ومن خلال بعض المشاركات في دول أوروبا وأمريكا في أكثر من تسع ولايات وجدت أن الجمهور يحفظ رموزاً قوية في الجانب الإبداعي للفنان العربي، فالفنان العربي هو الذي أبعد من داخله التأثر بالفن الأوروبي والمدارس الفنية التي تعيشها دول

أوروبا وأمريكا وإنما وجدت هناك أشياء تتردد كنغم الموسيقى وعطاء الاسطورة في الساحة الثقافية.

فالفنان العربي تواجد على المستوى العالمي بشكل قوي، وكذلك أوجد له نمطاً حقيقياً من خلاله ظهرت عالميته وانتشرت أعماله، وذلك يمثل الصورة التي يحلم بها كل فنان حيث أنه يرغب في نشر الثقافة العربية ويكون تعبيراً ورمزاً من خلال استقلاليته كعربي ومبدع.

أما عن مساحة الفن التشكيلي في الوطن العربي فإنها ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالجانب الإبداعي الذي يحققه الفنان التشكيلي وقد برز ذلك ليس في الجانب الإعلامي فقط وإنما تمثل أيضاً في قدرة الفنان نفسه واجتهاده ومصداقيته نحو عطائه التشكيلي، والحمد لله وبفضل الجهود التي تعنى بها الجهات المسؤولة في الثقافة والفنون والمتمثلة في «الرئاسة العامة لرعاية الشباب» وعلى رأسهم صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز أمير الشباب، الذي يسعى دائماً لتحقيق الهدف الذي يصبو إليه كل فنان تشكيلي في إبراز عطائه ويحرص كذلك على إثراء الساحة الثقافية سواء في جانب الفنون التشكيلية أو الجوانب الثقافية المتعددة.



- زوجة الفلاح.

المنهل:

● **كما أن للكلمة دوراً في تفسير المسؤولية تجاه طموحات وتطلعات الأمة، كذلك للفن فهو وسيلة من الوسائل التي تعبر بالشكل أو اللون أو الأداء عن خبايا الذات الإنسانية، وبارقة الأمل، والتطلع الى المستقبل المشرق لهذه الأمة، ترى ما هي الروافد والسبل التي يصب فيها ابداعك الملون لخدمة الأمة وتطلعاتها؟**

** الفنان ينطلق عادة من ذاته ومن الساحة التي يعيشها وسط العالم الثقافي وحول التطلعات التي يحملها وحول قدراته على الجوانب الإبداعية التي تحيط به وانعكاسها بشكل حقيقي وواقعي يمثل انطباعا محفوظا لدى المتلقي وسعيي وراء ساحة الفنون التشكيلية ليس لابراز الشهرة وإنما لإبراز ما أحمله في داخلي من ثقافة ومن رموز ومن طموحات من خلال الهم الذي أعيشه، الهم الطيب وما يعكسه، أو انطلاقة التعابير التي تحمل مصداقية الفنان بما يكن في داخله من عطاء.

أعتقد أن تواصل الفنان التشكيلي مع من حوله يجعله متواصلا أكثر في إبداعه، والفنان التشكيلي تشكله الملحمة والأسطورة وجوانب متعددة أخرى ولا يمكن أن تتعامل مع واحد منها دون الآخر.

هذه العطاءات التشكيلية التي يفرزها الفنان ويحاكي من خلالها طبيعة البشرية وطبيعة الثقافة تكون هي الرمز الحقيقي وبمقدار المصداقية وبقدر صفحتها التي تكمل الرؤية لديه، أجد أن هم اللوحة أو المعاناة التي تفرز هذا العطاء التشكيلي تمثل القصيدة في داخل الشاعر وتمثل الأطروحة في داخل الفنان الذي يعشق اللغة التي يفصح من خلالها ما بداخله ويفصح كذلك بدور تأثره بالمحيط العام.

عبر تجدد عطاءاتهم.

والفنان التشكيلي أعتقد أنه مطالب بجوانب متعددة أولها/ الإطلاع على الحركة التشكيلية في العالم بأكمله، فدراسة تاريخ الفن والإطلاع على المدارس في أوروبا والرواد في تلك المراحل في عصر النهضة وما بعده، الى المراحل الجديدة التي عاشها الكثير من الفنانين الموجودين والراحلين، تُكوِّن الساحة الثقافية التي تجعل الفنان أكثر تواصلا مع هذه العطاءات وأكثر وعياً بما يشاهده وهذا لا يمنع الإطلاع على هذه الجوانب المتعددة في الفن ودراسة هذه الإبداعات ولكن ينبغي علي الفنان المبدع أن يجعل له شخصية تحمل اسمه وتحمل رمزاً واعياً لدوره وسط هذه الساحة الثقافية وهذه تعكس ثقافته ودوره قبل كل شيء، فيقال أن العالمية تنطلق من واقع المحلية التي يعيشها الفنان، فالفنان الشعبي في الجزيرة العربية متميز بعطائه وهو لا يعرف أن هذا العطاء متميز بالفن التشكيلي فهو يمر بمرحلة تمثل جانباً من عطاءات الفنون وكذلك الفنان الذي يتأثر ببيئته وعاداته وتقاليده يرسم رموزاً لجيل قادم يحفظ هذه الحقوق، واتوقع أن الجيل القادم لا يعيد الكرَّة ويعيد ممارسة الذين سبقوه في مجال الحركة التشكيلية، والذين نقلوا واقع الطبيعة وواقع العادات والتراث في وقتهم إنما هم يعيشون مرحلة مختلفة فهم يأخذون جوهر هذا التراث ويأخذون جوهر هذه العادات والتقاليد، ويأخذون الجوانب الإبداعية من واقع التجربة لتكون لهم انطلاقة جيدة.

فالإنبهار بالفنون الأوروبية لا يميز شخصية الفنان العربي ولا الفنان السعودي وإنما ينبغي أن يوجد الفنان العربي في داخله قناعة مفادها أنه يمتلك لغته الخاصة وتعبيره الخاص ولسانه الفصيح وقصيدته الواضحة التي يرسم معالمها من خلال اللون والخط.

المنهل:

● التراث العربي في الجزيرة العربية وكذلك في أرجاء الوطن العربي والإسلامي مليء بالقصص والأساطير



- رؤية.

المنهل:

● نرى أن الكثير من الفنانين التشكيليين في أنحاء الوطن العربي يتأثرون بالمدارس الفنية الغربية ويتخذونها قدوة لهم في الإبداع رغم اختلاف البيئة والعادات والتقاليد والثقافة ما رأيك؟.

** من وجهة نظري الخاصة والمتواضعة أقول أن المحب للرسم يثريه كثيراً الإطلاع على الفن العالمي سواء في أوروبا أو في العالم أجمع وتثير انتباهه بشكل قوي وتشكل في داخله مساحة من مزيج جميل يثري ثقافته وتشكل كذلك للمتلقي والمتذوق الإنبهار لانطلاقة هؤلاء الفنانين العالميين في أنحاء العالم، هذا الإنبهار يعكس صدى في داخل الفنان وتجده في تفاعله مع الرسم تتعكس مشاهداته من خلال رؤيته ومن خلال تعمقه في هذه الأعمال، لكن أنا أعتبر ذلك وحدة تجربة وليس انطلاقة لمبدأ شخصي للفنان التشكيلي، والسعي الذي يؤثر في الفنان التشكيلي من واقع العطاءات والإبداعات الأوروبية أعتقد أن ذلك لا يمثل الإثراء أو يمثل الإضافة، مراحل بيكاسو سبقت الفنون كاملة وفنانو عصر النهضة سبقوا الواقعيين في الفن المعاصر والفنانين في فرنسا وفي إيطاليا وفي أمريكا سبقوا العطاءات التشكيلية التي نعيشها في الفترة الحالية

والملاحم الشعبية والشعر، ألم تحدثك نفسك كفنان ومبدع بالإستفادة من هذا التراث الضخم في تحويل المميز منه والأكثر إبداعا إلى لوحات فنية مستوحاة من جو هذه النصوص، خصوصا وأنك تسير في منحى يتخذ الاسطورة غاية فنية؟.

** الحقيقة أن أكثر ما يأخذ من وقتي القراءة وتسجيل بعض التعبيرات لحفظها والإطلاع على هذه الجوانب يعبر عن احتياجي الى لغة التعبير عبر مساحة اللون واللوحة، أعتقد أن الفنان التشكيلي حينما يكرر نفسه فهو يدور في دائرة مفرغة وأنا قناعتي تتمثل في أنني أحلم أن أعيش في كل يوم تجربة مختلفة وفي كل عام مرحلة مختلفة ولون وثقافة مختلفة ليست مضادة وإنما ثقافة مكملة، والفنان بفكره ثم بمهارته، لكن الجانب الثقافي المتكون من واقع هذه المعاصرة لتاريخنا ولتراثنا وللأدب الذي يحيط بنا يحمل إثراء للفنان التشكيلي يرتبط بقناعة قوية وسط مساحة هذا الوطن.

المنهل:

● **كفنان تشكيلي .. ماذا يعني لك فن الطفل؟.**

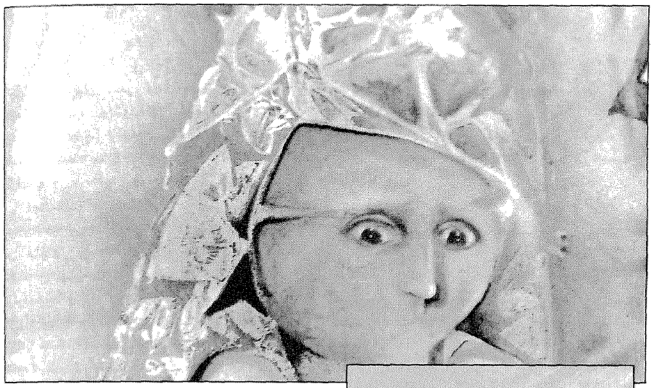
يمثل لي مدرسة متكاملة جداً، وأنا أقول أن فن الطفل هو الذي جعلني أتفاعل أكثر مع نفسي حباً في عطاءاتهم وفي رموزهم وفي جمالهم التلقائي وفي تعبيراتهم، ولكوني مدرساً للتربية الفنية لما يقارب التسعة عشر عاماً فإن عطائي أكثر إرتباطاً بفن الطفل أكثر من غيره، وكان حرصي على تدريس المراحل الأولية لأنني أزرع في داخل هذا الطفل مقياساً جميلا لحمل القلم ومسك الألوان والتعامل مع ورقة الرسم وتعريف الطفل بإمكانية هذه الألوان وتجاوزها الى آفاق أوسع وكيف ينطلق من خلالها.

فالطفل عندما يحفظ هذه المهارات أحمل له مرحلة أخرى وهي الجوانب التي ترتبط بحسه وإدراكه والفروقات الفردية المتواجدة لديه فأحمل له القصة القصيرة ومشاهد الطبيعة والروايات المبسطة والأحلام التي تسمعها آذاننا من جدأتنا وأجدادنا من حكايات وأساطير تمثل الإغراء في أن نتوق لهذه اللحظات التي يسمع من خلالها «السوالف» و«الحكايا» تحمل لهم بعض الرموز ولكن ببعد ثقافي أكثر جمالا وهو طموحنا، وهذا البعد الذي نطرحه لهم يحمل حساً لونياً وحساً من المساحات والأشكال والشخوص والحيوانات وما يحبه الطفل فتكون حكاية لون وحكاية عشق يحاكي به الطفل الشيء الذي لفت انتباهه من واقع هذه الحكاية التي سردت عليه، فالطفل يعتبر بذاتية مطلقة وقوة عظيمة يفقدها الفنان الكبير، فالفنان الكبير وهو يتفاعل مع اللون يكون في ذاكرته أشياء تشوب عمله الإبداعي من ضمنها جانب الإثارة والإستعراض والجوانب المادية وحرصه على أن يكون العمل فيه الفائدة فهو يسعى إلى إرضاء المتلقي لا لإرضاء ما بداخله وهنا يفقد مصداقيته الفنية.

الفنان الطفل يملك مصداقية قوية جداً، والأطفال يعتبرون بالنسبة لي مدرسة أولى حققت من خلالها أبجديات الرموز وأبجديات التلقائية وأبجديات التكوين والمصداقية في التكوين، فأنا أستفيد منهم وأنقل تلقائيتهم وتعبيرهم وحلمهم وبعض عطاءاتهم لأحكيها على نفسي وأنطلق مع



ـ عمل القرصان.



ـ الصمت.

الأطفـال في تعليـمي لهم الرسم، ومن هؤلاء الأطفـال منْ أصبحوا كباراً وأصبحوا من الفنانين المشهود لهم وأصبحوا من المدرسين في مجال التربية الفنية.

المنهل:

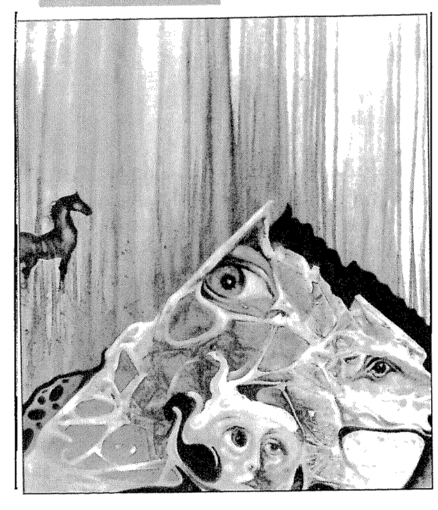
● وماذا عن جمعية الثقافة والفنون، هل أعدت نشاطا معينا للطفل؟.

** عندما اتحدث عن جمعية الثقافة والفنون فدائماً يعلق في ذاكرتي حلم قديم جداً، عندما كنت صغيراً دخلت الجمعية وأنا أحمل لوحاتي آملا فى أن أشارك في معرض شخصي بعد مشاركات متعددة في معارض الرئاسة العامة لرعاية الشباب في داخل المملكة وخارجها وذلك في سن يناهز السبعة عشر عاماً، واليوم أدخل البوابة وأنا أحمل مسؤولية الفنون التشكيلية بالمركز الرئيسي بالرياض، أعتقد أن المنطلق الذي دخلت من أجله الجمعية يجعلني أتذكر دائماً أن هناك فنانين يحرصون على ظهور بداياتهم كما هي بداية فهد الربيق.

والشيء الذي يثيرني أن رسوم الأطفال فيها جانب إيجابي، والجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون تسعى لتنظيم بعض المعارض لرسومات الأطفال الجيدة من المبدعين الصغار والتي تربط أعمالهم بالفن المميز والذي يطرح جماليات الطفل وتلقائيته ومصداقيته، وحرصنا على إبراز مثل هذه المعارض هو أن الطفل يحمل نواة جيدة يمكن أن تتواصل بشكل يتنامى، ويحمل مقداراً عالياً في

ـ اطلال من الدرعية القديمة.

الفترات القادمة وهذه النواة ستصبح نخلة فارعة في مجال الحركة التشكيلية تطاول بذلك قمم العطاءات في الساحة التشكيلية في المملكة، وفي الطموح الذي نسعى له لانتشار مثل هذه العطاءات، فعندما تجد الرعاية وتجد الإحتضان وتجد الفعالية ستصبح في يوم من الأيام مقداراً عالياً يكون مكملا لما نحلم به في تواصلنا لتحقيق الحلم الجميل، وهو إثراء الحركة التشكيلية بمصداقية لا بعجلة تواكبها خطوات متعثرة، وفي الفترة القادمة سيتم تنظيم معارض للطفل ولمسنا الحرص الشديد من سمو الرئيس العام لرعاية الشباب حول عطاءات الطفل ومحاولة إيصال هذه العطاءات بشكل جيد وبمتابعة قوية من رئيس مجلس إدارة الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون الأستاذ محمد الشدي، الذي أوضح الدور الكبير لمثل هذه الفعاليات ليكون نمطاً واحداً حول إعطاء هذه المساحة الجميلة أحقيتها وإبرازها بصورة نتفاعل بها جميعاً على الدوام.



المنهل:

● ماذا عن انتاجاتك الأخيرة وأين ستبحر بك سفينة إبداعك؟.

** في المرحلة الأخيرة أجد أن هناك تعاملا قوياً أكثر فاعلية وأكثر ارتياحاً لأن طور التجربة والبحث يتكرر دائماً والحلم يفاجئني كل يوم بمساحة جميلة في لوحاتي التي لا تكتمل أبداً وإنما تتواصل مع عمل قادم وفكر وثقافة جديدة قادمة، حيث أحيطها بالرعاية والعناية التي في داخلي وأتفاعل مع هذا العطاء الذي أحبه وأدرك من خلاله أن هذه المحاولات ستظهر يوماً للنور ومن ضمن هذه التجربة الأخيرة وجدت ترشيحاً لبعض لوحاتي في معرض على مستوى عالمي في معارض دولية تشارك فيها المملكة.

المنهل:

● ما هي كلمتك لكل فنان تشكيلي من زملائك في هذا المجال لأداء رسالته الفنية على أكمل وجه؟.

** حب التواصل في مثل هذه العطاءات .. وهذا لن ينمو إلا بجهد ذاتي.. والإرتباط القوي بالساحة الثقافية، وأدعوهم دائماً للتواصل حول ما يثري هذه الحركة التشكيلية بالمملكة وذلك ضمن المعارض التي تقيمها الرئاسة العامة لرعاية الشباب، وحسن التواصل معها بمصداقية قوية.

وكذلك الإرتباط بالدور الذي تلعبه الجمعية حيث أن الفنانين هم الذين يحركون مستوى الجهد الذي تقوم به الجمعية، ولا نطالب المسؤول في الجمعية أن يحمل صورة الفن التشكيلي بمجهوده الفردي، وإنما نقف بجانبه لإثراء هذه الحركة ووضع المقترحات التي تثري دور الحركة التشكيلية.

وأنصح نفسي قبل أن أنصح زملائي أن نكون أيد صادقة في إبراز الدور الذي يلعبه الفنان التشكيلي وأن يأخذنا الحماس والتفاعل بشكل قوي في الممارسة وأن تكون جهودنا محققة للأهداف التي ترسم الحلم والطموح الذي يسعى له ابن هذا الوطن الغالي للجزيرة العربية.

ســـــوقُ المعلـ

في علم البديع الذي هو ثالث علْمي: المعاني والبيان من علوم البلاغة والتي هي في خدمة القرآن الكريم، ما يسمى (تجاهل العارف) وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا لنكتة، وهذا التعريف عليه اتفاق أكثر البلاغيين، لكن، لورود هذا اللون البلاغي في القرآن الكريم لم يستحسن الإمام السكاكي اسم (تجاهل العارف) فغيره إلى اسم يليق بكلام الله سبحانه وتعالى وهو (سوق المعلوم مساق غيره) يقول السكاكي: ومنه أي - من علم البديع (سوق المعلوم مساق غيره) ولا أحب تسميته بالتجاهل[١] هذا التعريف من بديعيات الإمام السكاكي في علم البديع، وذلك استدراكاً على من سبقه من علماء البلاغة، كعبد القاهر الجرجاني الذي هو إمام البلاغيين، وأبو هلال العسكري وابن الأثير الجزري والخطيب القزويني وغيرهم، وبابا لتحسين الألفاظ والمعاني وجعلها في مخرج بديع ينفي عن السامع المكروه والبذيء من القول، أو هو تحسين اللفظ مع اتحاد في المعنى، وغاية هذه التسمية هي التأدب مع القرآن الكريم، إذ ورد فيه ما يشير إلى هذه المعاني البديعية، كما سنبين البديع منها ونوعيته، إذ هو على أنواع عدة.

ونفي محبة السكاكي لذلك التعريف ما هو إلا مفتاح من مفاتيح التحذير والتنبيه في إسناد كل تعريف أو فن أو جُمل أو معاني إلى القرآن الكريم، فإن هناك ما لا يليق به كما عرفنا، وأقرب ذلك إلى ضرب المثل (الشعر) فلا يجوز ولا يحل قطعاً القول بأن في القرآن شعرا، أو أن الرسول {صلى الله عليه وسلم} المنزل عليه القرآن الكريم كان شاعرا، أو نقله إلينا بطريقة الشعر حاشاه من ذلك كله، كيف وقد نفى الله عنه ذلك بقوله: {وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكرٌ وقرآن مبين}[٢]، ولا ننسى أيضاً: السنة النبوية المطهرة إذ هي مفسرة لكتاب الله عز وجل وكلام نبينا {صلى الله عليه وسلم} ما هو إلا وحي يوحى، وقد جاء في السنة النبوية من كلامه {صلى الله عليه وسلم} مثل هذه الألوان البديعية كما سيأتي.

الأسرار البلاغية لتجاهل العارف، أو الباعثة على سوق المعلوم مساق غيره:

١ - الإيناس: كقوله تعالى: {وما تلك بيمينك يا موسى}[٣] فموسى عليه السلام يقف بين يدي ربه في موقف رهيب مهيب فأراد الله (سبحانه وتعالى) أن يسأله عما في يده. ليؤنسه ويزيل رهبته وخوفه، ويملأ قلبه طمأنينة، وهو يعلم ما في يده بل وما تكنه نفس موسى[٤]، فهل يحق لنا أن نقول هنا هذا (تجاهل عارف) تنزه سبحانه عن ذلك.

وفي الحديث الشريف من الإيناس والإستنباه: قصة الصحابي الجليل سيدنا قتادة رضي الله عنه عن الهيثم بن عدي عن أبيه قال أصيبت عين قتادة بن النعمان يوم أحد فأتى النبي {صلى الله عليه وسلم} وهي في يده، فقال الرسول {صلى الله عليه وسلم}: ما هذا يا قتادة؟ قال هذا ما ترى



بقلم : عبدالله محمد أبكر
- جدة -

...وم مساق غيره

يارسول الله، قال إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيئاً. الحديث متفق عليه. فقوله (ما هذا يا قتادة)؟ إستنباها لعقل قتادة حتى يتهيأ ويصغي إليه ويتيقن من حاله ليتلقى العلم الجديد والبشارة السارة وما هو له أنفع وأصلح، لذلك قال قتادة: هذا ما ترى يارسول الله، أي عيني - وقوله {صلى الله عليه وسلم} «إن شئت صبرت ولك الجنة» إعلاما لقتادة بالعلم الجديد الذي أراده الرسول {صلى الله عليه وسلم} إعلامه إياه.

وقرأت في سيرة الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز رحمه الله، أن ابنا من أبناء قتادة هذا دخل عليه أيام خلافته فقال له من أنت يا فتى.؟ وهو يعرفه ولكن تجاهل، فقال الفتى:

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه

فردّت بكف المصطفى أحسن الردّ

فعادت لما كانت لأول أمرها

فيا حسن ما عين ويا طيب ما يد

فقال عمر رحمه الله: بمثل هذا فليتوسل إلينا المتوسلون ثم قال:

تلك المكارم لا قعبان من لبن

شيبا بماء فعادا بعد أبوالا[٥].

ومثله: عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «إن الزمان - يعني السنة - قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، الحديث طويل (رواه الإمام مسلم في صحيحه، ومنه قوله {صلى الله عليه وسلم} أي شهر هذا.؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه قال: أليس هذا ذا الحجة؟ قلنا بلى: قال: فأي بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم. قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه قال (أليس البلدة.؟ قلنا بلى قال: أي يوم هذا.؟ قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه قال: أليس يوم النحر قلنا بلى يارسول الله، قال: (فإن دماءكم وأموالكم - قال محمد وأحسبه قال - وأعراضكم حرام عليكم كحُرْمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا[٦]، فالشاهد منه قوله {صلى الله عليه وسلم} أي شهر هذا وأي بلد هذا وأي يوم هذا.؟ مع علمه {صلى الله عليه وسلم} بذلك كله.

فبعد أن استنبههم وتهيؤا، أعلمهم بالعلْم الجديد الذي كانوا يجهلونه. وهو (فإن دماءكم، الخ..).

٢ - **التعريض:** كقوله تعالى: {وإنَّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين}[٧]، فالله سبحانه وتعالى ورسوله أعلم بمن هو على هدى ومن هو على ضلال، ولكنه أتى بالآية الكريمة على هذه الطريقة للتعريض بعدم هداهم[٨].

٣ - **التعجب:** كقوله تعالى: {أفَسِحْرٌ هذا أم أنتم لا تُبْصرون}[٩]. ومنه قول الشاعر:

أخدّه أملح أم خطه

ولحظه أفتن أم لفظه

ومنه:

فقلت من التعجب ليت شعري

أأيقاظ بني أمية أم نيام

ومنه مع مبالغة في المدح:

فــوا الله مــا أدري أأنت كــمــا أرى

أم العين مـزهوٌ إليــهــا حـبـيـبـهــا

٤ ـ التدله في الحب: كقول ذي الرمة أو الحسين بن عبد الله الغزي أو مجنون ليلى أو غيرهم:

بالله يا ظبــيـــات القـــاع قلن لنا

ليـــلاي منكم أم ليلى من البـشـــر

فالشاعر يعلم يقينا أن ليلى من البشر، وليس من الظباء، ولكن شدة حبه لها أفقدته هذا العلم، وجعلته يتجاهل ويوجه كلامه إلى الظبيات ويستحلفهن بالله أن يخبرنه إن كانت ليلى من جنسهن أو من جنس البشر، وهذا يصور ذهوله، ومدى سيطرة حبها على قلبه.

٥ ـ التوبيخ: كقول ليلى بنت طريف الشيباني في رثاء أخيها الوليد حين قتل:

أيا شــجــر الخـــابور مـــالك مـــورقـــا

كـأنك لم تجـزع على ابن طريف[١٠]

فالشاعرة لشدة حزنها على أخيها تسأل شجر الخابور عن عدم جزعه على أخيها، وتلومه على إيراقه واخضراره، وتطلب منه أن يشاركها في مأساتها وجزعها على أخيها النابه الذكي الذي بلغ من الشهرة والمجد مالا يغيب عن الدنيا بأكملها، عاقلها وغير عاقلها، ولذلك نراها تخاطب الشجر ـ وهو غير عاقل ـ فتنزله منزلة العقلاء وتوبخه على إيراقه، وإذا كانت توبخ الشجر وهو لا يعقل، فغيره من العقلاء أولى وأجدر بالتوبيخ على عدم حزنه وجزعه على أخيها.

٦ ـ المبالغة في المدح: كقول البحتري في مدح الفتح بن خاقان:

ألمع برق سـرى أم ضـوء مـصبـاح

أم ابتـسـامـتـهـا بالمنظر الضـاحي

فالبحتري يعلم تماما أن هذا البريق وهذا اللمعان إنما حدث من ابتسامتها ومن إشراق ثغرها، ولكنه تجاهل ذلك وادعى أن الأمر قد اشتبه عليه، فأخذ يسأل عن هذا البريق هل هو لمع برق؟ أو ضوء مصباح أو ابتسامتها؟ وهو بذلك يشير إلى جمالها وفتنتها، وإظهار أنها قد بلغت من الحسن درجة جعلته مذهولا لا يدري من أين جاء هذا الإشراق ومن أين حدث هذا البرق؟[١١].

ومن هذا النوع ما كتبه أبو هلال العسكري وبعث به إلى بعض أهل الأدب: (سمعت بورود كتابك، فاستفزني الفرح قبل رؤيته، وهز عطفي المرح أمام مشاهدته. فما أدري أسمعن بورود كتاب، أم ظفرت برجوع شباب، ولم أدر ما رأيت: أخط مسطور أم روض ممطور وكلام منثور، أو وشي منشور، ولم أدر ما أبصرت في أثنائه. أأبيات شعر أم عقود در، ولم أدر أغيث حل بواد ظمآن أم غوث سيق إلى لهفان[١٢].

٧ ـ والمبالغة في الذم: كقول زهير:

ومـــا أدري وســـوف إخـــال أدري

أقـــوم آل حــــصن أم نســـــاء

قوم: يشمل الرجال والنساء، ولكن المراد به هنا الرجال فقط بدليل قوله: أم نساء، وذلك كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يَكُنّ خيرا منهن} (الحجرات/١١) فالمراد بالقوم: الرجال بدليل قوله: ولا نساء.

وكقول المتنبي في هجاء قبيلة بني كليب عندما هزمهم سيف الدولة:

ومن في كــفـه منهم قناة
كــمن في كـفـه منهم خـضـاب

وأمثال أخرى متعددة ما يوافق هذه الأنواع البلاغية في (سوق المعلوم مساق غيره)، وإنما ذكرنا هذه لمعرفة هذا اللون البديعي، والإيجاز أحب إلى العرب.

ويعد فللكلام المساق مساق غيره، حلاوة وطلاوة وعذوبة تنساب في الألفاظ والمعاني، ويدعو إلى حسن الإنصات والإصغاء والتأمل في المقاصد ورسوخها في الذهن، وفيه أيضا المعاريض المباحة، والأخذ بالمعنى المؤدي إلى الاستحقاق الظاهر، وفيه اللطافة في الإلقاء دون خشونة أو القول المنفر.

بلاغة تجاهل العارف:

يقول الدكتور حمزة زغلول: تجاهل العارف بأسراره البلاغية السابقة، وبنكاته البيانية المتعددة يدل على المبالغة في المعاني، وتصورها بصورة أفخم وأبهى وأنبل، فتثبت في الذهن وتقع في القلب الموقع الملائم لها، وتؤدي غرضها الذي سيقت من أجله.

فمثلا لو رأيت رجلا يطيل شعره، ويضيق ملابسه، ويلبس سلسلة ذهبية في عنقه، ويتشبه بالنساء، فقلت له: هل أنت رجل أو امرأة؟ كان ذلك ذما شنيعا، لأنك ساويته بالمرأة وسلبت منه صفة الرجولة، والعكس[١٣].

والبحتري عندما قال:

ألنت ديار الحي أيتها الربا الا
نيقة أم دار المها والغنائم
وسرب ظباء الوحش هذا الذي
أرى بربعك أم سرب الظباء النواعم
وأدمعنا اللاتي عفاك انسجامها
وأبلاك أم صوب الغمام السواجم
وأيامنا فيك اللواتي تصرمت
مع الوصل أم أضغاث أحلام نائم

نراه سأل الديار وهو يعلم أنها لن تجيبه، ومع ذلك فقد تجاهل وساق المعلوم مساق غيره، وذلك لأن ذكرياته الأولى في هذه الديار قد هيجت كوامن حزنه، وأثارت في قلبه الأشواق فأخرج المعاني في الصورة اللائقة بها المعبرة عما يريد، والتي يناسبها هذا ا اللون البديعي: تجاهل العارف وهكذا في باقي الأغراض ترى أن تجاهل العارف يعطي المعاني قوة وشبابا ونضارة[١٤].

الهوامش:

(١) الإمام السكاكي: مفتاح العلوم. ص ٤٢٧ طبعة دار بيروت للكتب.
(٢) سورة يس: الآية ٦٩.
(٣) طه: الآية ١٧.
(٤) د. حمزة زغلول: الألوان البديعية، ص ٧٤.
(٥) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز ٢٦٤.
(٦) أنظر تمام الحديث في مختصر الإمام مسلم. للحافظ المنذري ص ٢٧٠.
(٧) سبأ الآية ٢٤.
(٨) حمزة زغلول: المرجع السابق ص ٧٤.
(٩) سورة الطور: آية ١٥.
(١٠) الخابور: نهر ينبع من تركيا، ويمر بسورية، ويصب في نهر الفرات (أنظر الأطلس العربي).
(١١) حمزة زغلول: المرجع السابق ص ٧٦.
(١٢) كتاب الصناعتين: ص ٣٨٧.
(١٣) زغلول: المرجع السابق ص ٧٨.
(١٤) نفس المرجع ص ٧٩.

ليل القرية

شعر : مفرج السيد
- السعودية -

الشمس غابت واختفى الألق
وبدا رويدا يظهر الشفق
وبدت نجوم الليل طالعة
ترنو كما ترنو لنا الحدق
والبدر أوفى بعد آونة
كسبيكة يزهو بها الأفق
وبدت وراء السفح راعية
في صحبة الأغنام تنطلق
وشياهها للحي آيبة
بحليبها للحي مغتبق
وهناك راع غابه طرب
لمجاهل الأجواء يخترق
وسرى النسيم العذب منتشياً
أنسامه الأشذاء والعبق
والطير يشدو في خمائله
وللإلف المشتاق يعتنق
ومضى قطار الليل منطلقاً
حتى سجى وخلت به طرق
السامرون بليلهم جمعوا
في مجلس زانت بهم حلق
والعاشق المشغوف في وله
في لوعة الأشواق يحترق
ومسافر راحت مطيته
يمتد بالحادي لها عنق
والهاجعون بنومهم نعموا
ما مرّ في أجفانهم أرق
حتى أطل الصبح مبتسماً
عن غرة بالنور تنبثق

١١٠

جوارمح ابنتي

أقل ساكني الجنة

الرمان .. كأنه اللؤلؤ المكنون

المرأة في الشعر العربي والأوروبي

العباءة رمز تاريخي أصيل

زاد

هن

مجلة شهرية ذات أداء متخصص تخاطب عقل المرأة ووجدانها



الرمان.. كأنه اللؤلؤ المكنون



الرمان لغة، هو شجر مثمر من الفصيلة الرمانية، يؤكل حبه ومفرده رمانة، وهو من الأشجار الصغيرة المعمرة، متساقطة الأوراق، اسمها العلمى بيونيكا جرانات (Punica granatum) ، والاسم الأنجليزي Pomegranate زهره أحمر يعرف بـ «الجلنار»، وثماره عجيبة الصنع متفردة في تركيبها بين الفواكه، إذا نظرت إليها بإمعان وجدتها كالأم الحنون تحيط الحب بلفائف وتضعه في دهاليز.. كأنه اللؤلؤ المكنون.. مرصوص في شكل هندسى بديع.. غطى هذا التكوين الرائع قشرة نحاسية اللون.. براقة المنظر لتحافظ عليه من كل مكروه، وأمام هذا الجمال الرائع لا نملك سوى أن نقول تبارك الله أحسن الخالقين.

الرمان في القرآن الكريم والسنة النبوية:

لقد ورد ذكر الرمان في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، بصيغة الجمع، مما يدل على أهميته وفوائده العديدة، من ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام {والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون} (آية/ ٩٩) وقال تعالى: {والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه} (آية. ١٤١) وفي سورة الرحمن {فيهما فاكهة ونخل ورمان} (آية/ ٦٨).

والحق تبارك وتعالى يريد أن يلفت أنظارنا إلى صفحة من صفحات ذلك الوجود الحافل بدلائل وجوده، ووحدانيته وقدرته وتدبيره وعظيم صنعه، وقد غمر الكون بظلال من الجمال، والوجدان، بظلال كونيه موحية للتدبر والتفكر.

يقول صاحب الظلال:

هذا النبات كله بفصائله وسلالاته (مشتبها وغير متشابه) - {أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه} أنظروا بالحس البصير والقلب اليقظ.. أنظروا إليه في ازدهاره وازدهائه عند كمال نضجه، أنظروا إليه واستمتعوا بجماله.. لا يقول هنا كلوا من ثمره إذا أثمر ولكن يقول {أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه} لأن المجال هنا مجال جمال ومتاع، كما أنه مجال تدبر في آيات الله وبدائع صنعه.

ويقول «محمد قطب» في كتابه «منهج الفن الإسلامي» إن الأشياء التى يستعرضها هنا أشياء

بقلم : أ.د. سامية محمد مصطفي عامر
- مصر -

تشتهي وتؤكل: النبات والخضر والحب والنخل والأعناب والزيتون والرمان».

لكن لا يقول هنا كما يقول في مواضع اخرى «كلوا من ثمره إذا أثمر» وإنما يقول «انظروا» انظروا إلى الثمر إذا أثمر والينع إذا أينع انظروا إلى الجمال وتفكروا في القدرة التى تبرع الجمال. أما في سورة الرحمن فقد يكون وجه تخصيص النخل والرمان هو فضل ثمارهما على غيرهما من الثمار لما أودع الله فيهما من مزايا أثبت العلم الحديث وجودهما فيهما. فنجد أن الرمان يحتوى لبه أو عصيره على نسبة مرتفعة (إذا قيس بغيره من الفواكه) من حمض الليمونيك الذى يساعد عند احتراقه على تقليل أثر الحموضة في البول والدم مما يكون سببا في تجنب النقرس وتكوين بعض حصى الكلى، هذا فضلا عن احتواء عصير الرمان على نسبة لا بأس بها من السكريات (حوالي ١١٪). السهلة الإحتراق، والمولدة للطاقة. كما أن قشر الرمان به مادة عفصية قابضة (تنينية) تقي الأمعاء مما يصيبها من إسهال كما أن قشور سيقان أشجار الرمان تستخدم في القضاء على الدودة الشريطية.

ويذكر عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا: «ما من رمان من رمانكم هذا إلا هو ملقح بحبة من رمان الجنة» وذكر حرب وغيره عن على أنه قال: «كلوا الرمان بشحمه فإنه دباغ المعدة».

لمحة سريعة عن الموطن الأصلي والتاريخ:

الرمان هو إحدى الفواكه المغرقة في القدم، فقد عرفتها الأقوام السالفة، واكتشفت كثيرا من خصائصها وفوائدها، وذكرت ذلك على جدران معابدها وبين طيات كتبها، ونقشت صورتها في تماثيلها ورسومها وقد وجد أقدم رسم لشجر الرمان في مقبرة بتل العمارنة من أيام «أمنحوتب» الرابع أحد ملوك الأسرة الثامنة عشر.

كما عرف المصريون القدماء الرمان باسم «ارهماني» ومنها اشتق الاسم القبطى «أرمين» أو «أرمن» أو «رمن» الذى اشتق منه الاسم العبرى «رمون» والاسم العربى «رمان».

والمعتقد أن الموطن الأصلي للرمان هو بلاد ايران والشمال الغربي من بلاد الهند، ومن هذين البلدين انتقل الرمان إلى شمال إفريقيا ومصر وحوض البحر المتوسط وأوروبا.

مناطق زراعته وأهم أصنافه:

تجود زراعة الرمان في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية لتوافر الحرارة والجفاف، لأن الجو البارد وزيادة الرطوبة لا تناسب زراعة الرمان. والرمان من الأصناف التي تتحمل الملوحة الأرضية بدرجة لا بأس بها. وهو من الأشجار الصحراوية التي تقاوم الجفاف. وزيادة الرطوبة أثناء نضج الثمار تتسبب في



تشققها. وشجرة الرمان تحمل بعد زراعتها في الأرض المستديمة بحوالى سنتين أو ثلاث ويؤخذ أحسن محصول للشجرة عند عمر ١٥ سنة.

وتنقسم أصناف الرمان إلى قسمين:

١ ـ أصناف ذات ثمار فاتحة اللون مثل: البناتي والعربى والطائفى والمليسى (النارجي) والوردي ودي لا جرينولبير.

٢ ـ أصناف ذات ثمار غامقة اللون (حمراء) مثل: المنفلوطي والحجازي وناب الجمل، ويمتاز بقلة الحموضة.

وتختلف أصناف الرمان في الحجم والشكل واللون وحلاوة العصير ودرجة الحموضة، وشكل البذور ولونها وأجود أنواعه الشديدة الحمرة، الرقيقة القشرة، الكثيرة الماء.

العناصر الغذائية في الرمان:

الرمان ثلاثة أنواع: حلو وحامض ومعتدل، وتختلف ميزاته وخصائصه باختلاف نوعه، ولاختلاف نسبة المواد السكرية الموجودة فيه، فالنوع الحلو منه يحتوي على: حمض الليمونيك بنسبة ١٪، والسكريات بنسبة ٧٪، والبروتينات بنسبة ١٪، والألياف بنسبة ٢٪، ورماد بنسبة ٧ر٤٪، ودهون بنسبة ٣٪، وماء بنسبة ٣ر٨١٪ ويحتوى على نسبة ضئيلة من الأملاح المعدنية مثل الحديد والفوسفور والفيتامينات مثل فيتامين أ، ب، ث.

أما في الجزء الصلب من لب الرمان ـ وهو بذرة ـ فترتفع نسبة البروتين إلى ٩٪، والمواد الدهنية إلى ٧٪ وتحتوى قشور الرمان على ٣٨٪ من حامض التنيك، كما تحتوى قشور سيقان وجذور شجر الرمان على مجموعة من القلوانيات تصل إلى ٦ر٠٪ أهمها قلوانى «بلترين» المستعمل في القضاء على الدودة الشريطية بطردها من الجسم.

والجدول التالى يبين التركيب التحليلى لثمرة وبذور وقشور الرمان الحلو

بذور الرمان	
العنصر	نسبة وجوده ٪
البروتين	٩ ٪
الدهون	٧٪
قشر الرمان	
حامض تنيك	٣٨٪
قشور سيقان وجذور الرمان	
بلترين	٠,٦٪

ثمرة الرمان الحلو	
العنصر	نسبة وجوده ٪
مـاء	٨١,٣٪
دهون	٣,٠٠٪
سكريات	٧,٠٠٪
بروتينات	١,٠٠٪
ألياف	٢,٠٠٪
رماد	٤,٧٪
حمض الليمونيك	١,٠٠٪

ومقادير ضئيلة من الأملاح المعدنية وخاصة الحديد وفيتامين ث.

الرمان في الطب القديم:

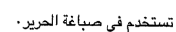
ذكر ابن القيم الجوزية في كتابه الطب النبوى عن الرمان: أنه جيد للمعدة مقو لها، نافع للحلق والصدر

والرئة، جيد للسعال، ماؤه ملين للبطن، سريع التحليل لرقته ولطاقته.. يولد حرارة يسيرة في المعدة وريحاً، وله خاصية عجيبة: إذا أكل بالخبز يمنعه من الفساد في المعدة.. لا يصلح للمحمومين وحامضه ينفع المعدة الملتهبة، ويدر البول أكثر من غيره من الرمان، ويسكن الصفراء، ويقطع الإسهال، ويمنع القيء، ويطفىء حرارة الكبد، ويقوى الأعضاء.. نافع للآلام العارضة للقلب وفم المعدة، يقوى المعدة ويدفع الفضول عنها.. وإذا استخرج ماؤه بشحمه وطبخ بيسير من العسل حتى يصير كالمرهم وأكتحل به قطع الصفرة من العين، ونقاها من الرطوبات الغليظة.. وإذا لطخ على اللثة نفع من الأكلة العارضة لها وحب الرمان مع العسل طلاء للداحس والقروح الخبيثة.

في الطب الشعبي الحديث:

وصف الرمان بأنه مقو للقلب، قابض، طارد للدودة الشريطية، مفيد للدوسنتاريا، يكافح الأورام في الغشاء المخاطى إذا قطر في الأنف مصحوبا بالعسل وإذا شرب عصيره مع الماء والسكر، أو مع الماء والعسل، كان مسهلا خفيفا وهو منظف لمجارى التنفس، والصدر، مطهر للدم يشفي من عسر الهضم، وأكله مع المواد الدسمة يساعد على هضمها.. في عام ١٨٧٨ أمكن استخراج مادة فعالة طاردة للديدان من الرمان.

وقشر جذور الرمان إذا غلى بنسبة (٥٠ - ٦٠) جراماً في لتر ماء لمدة ربع ساعة، وشرب من المغلى كوب في كل صباح أسقط الدودة الوحيدة (الشريطية)، وينصح باستخدام شربة مسهلة معه. يمكن استخراج الصبغات الصفراء المحموة ذات الألوان الثابتة والتي


تستخدم في صباغة الحرير.

الفوائد الطبية لثمرة الرمان:

عصير الرمان غني بالمواد السكرية، وعنصر الحديد وهو ضروري وهام لتكوين كرات الدم الحمراء ولذلك فهو مفيد في حالات فقر الدم (الأنيميا).

نظرا لاحتوائه بكثرة على حامض التانيك، وهى مادة ذات خاصية قابضة فإنه يستخدم في الحالات الآتية:

أ - تستخدم القشور في علاج الإسهال، والبواسير.

ب - يستخدم عصير الرمان كنقط للأنف حيث يساعد على انقباض الأوعية الدموية والغشاء المخاطى المبطن للأنف، وبذلك يعمل على فتح الأنف في حالة انسدادها مثل حالات الرشح والزكام.

ج - أما «الجلنار» الذي يطلق على زهر الرمان فإن مغليه يفيد في علاج اللثة.

المـــرأة في الشعـــر العربـ

العرب أمة تعشق الشعر ويتغنى به صغيرها وكبيرها في جميع المناسبات، والشاعر العربي يحس الجمال ويتذوقه في كل ما حوله، لذا استطاع أن يخلق أجمل القصائد في وصف أشياء قد نراها غير جديرة بالذكر، فإذا هي تتحول على يديه إلى لوحات فنية رائعة يتجسد فيها إبداعه حين يصف ناقته أو رحلته في الصحراء أو بقايا ديار حبيبته، وهنا نريد أن نتوقف طويلا لنرى كيف ظهرت المرأة في الشعر العربي عبر العصور الأدبية، ونسوق حادثة تدلل على دور المرأة في حث الرجال على الفضيلة وقدرتها على رفع هممهم وعزائمهم ليصلوا إلى ذرى المجد. فهذا الحارث بن عوف الذي خلد زهير بن أبي سلمى ذكره في معلقته بعد أن كان سببا في إيقاف حرب دامت أربعين عاما لأنه تحمل ديات القتلى فأراح الناس من دمار الحرب وويلاتها، لكن أحدا لم يسمع بالمرأة التي دفعت الحارث من وراء الأستار ليصبح من أشرف العرب وأعظمهم.

يروى أن الحارث بن عوف تقدم لخطبة إحدى بنات أوس بن حارثة، فوافقت الصغرى وقالت: والله أنا الجميلة وجها الرفيقة خلقا الحسيبة أبا فإن طلقني فلا أخلف الله عليه. وحين أسرع الحارث بدعوة الضيوف وأقام حفلا كبيرا ونحر الإبل ردته عنها وقالت موبخة: كيف تجد وقتا لمداعبة النساء والعرب في الخارج تسيل دماؤها في مذابح القتال بين عبس وذبيان، أسرع بالخروج وحاول الإصلاح بين القبيلتين المتنازعتين ثم عد لزوجتك. ويستجيب الرجل لأوامر زوجته الحبيبة ويقدم من ماله الخاص دية كبيرة بلغت ثلاثمئة ألف بعير يدفعها خلال السنوات الثلاث القادمة، ويعود السلام بعد قتال عنيف وعندها عاد الحارث محاطا بالإجلال والإكبار إلى عروسه التي فخرت به أيما فخار[١].

وهذا عنترة بن شداد يريد أن يثبت لعبلة أنه جدير بحبها فيتحول إلى فارس مغوار بعد أن كان عبدا لا تثيره غيرة ولا حمية.

ولقد نزلت فلا تظني غيره
مني بمنزلة المحب المكرم
يخبرك من شهد الوقيعة أنني
أغشى الوغى وأعف عند المغنم
ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني وبيض الهند تقطر من دمي

ابتهال محمد البار
- جدة -

ي والأوروبي



ويقول:

يا عبل مثل هواك أو أضعافه
عندي إذا وقع الإياس رجاء
إن كان يسعدني الزمان فإنني
في همتي بصروفه إزراء

وعنترة في غزله هذا كان أول من وضع أسس الغزل العذري الذي تحددت معالمه في العصر الأموي، وهو غزل نقي طاهر نسب إلى بني عذرة إحدى قبائل الحجاز ثم شاع في بوادي نجد والحجاز، «ولم تكن المرأة عند هؤلاء الشعراء حاجة تطلب أو شيئا يطمع فيه وإنما كانت شطرا من النفس لا تطيب الحياة إلا به»[٢] كما امتاز برقة الألفاظ ورقي المعاني إذ لم يكن الشاعر يدور في قصيدته الغزلية حول وصف المرأة وصفا ماديا بل هي مشاعر وأحاسيس تجعله يحلق في سماء عالية، ومن زعماء الغزل العذري: كثير عزة وجميل بثينة، وانظر كيف كانت المرأة جليلة في قلوبهم حتى التصقت أسماؤهم بأسماء محبوباتهم فجميل لا يعرف بأنه جميل بن معمر بل هو جميل بثينة وكثير لا يعرف بأنه كثير بن عبد الرحمن بل هو كثير عزة.

فمن شعر الأول قوله:

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل
إلى اليوم ينمي حبها ويزيد
وأفنيت عمري في انتظار نوالها
وأبليت فيها الدهر وهو جديد

إلى أن يقول:

يموت الهوى مني إذا ما لقيتها
ويحيا إذا فارقتها فيعود

ومن شعر كثير:

وقال خليلي ما لها إذا لقيتها
غداة السنا فيها عليك وجوم
فقلت له إن المودة بيننا
على غير فحش والصفاء قديم
وإني إن أعرضت عنها تجلدا
على العهد فيما بيننا لمقيم

ومن البيتين الأخيرين يتجلى لنا أن هذا الشعر امتاز بالعفة وحرارة العاطفة مع المثالية الخلقية السامية، ومما يؤكد لنا هذا القول أن الغزل العذري لم يكن قصرا على الشعراء فحسب بل تناوله بعض الفقهاء مثل «ابن عتبة أحد الفقهاء السبعة المقدمين في المدينة وكان ضريرا كما كان رقيقا مرهف الإحساس وله غزل كثير في زوجته عثمة بعد طلاقه



لها يصور فيه حبه وندمه وألمه، ومن أبياته قوله:

لعمري لئن شطت بعمرة دارها

لقد كدت من وشك الفراق أليح[٣]

أروح بهم ثم أغدو بمثله

ويحسب أني في الثياب صحيح[٤]

وتمتد هذه الموجة حتى تتأصل على يد العباس بن الأحنف - في العصر العباسي الأول - الذي أفرغ أحاسيس العشق والوجد في ديوان كامل لم يتناول فيه غرضا سوى الغزل ومن أبياته قوله:

يا لائمي في العشق مه

لا خير فيمن ليس يعشق

ويقول:

فإن كنت لا تدرين ما العشق فانظري

إلي فإن العشق صيرني عبدا

ثم يعلن شعاره قائلا:

يا بني آدم تعالوا ننادي

إنما نحن للنساء عبيد

والآن بعد أن تتبعنا خيطا من هذا الغزل الذي صورت فيه المرأة الشرقية كأنها إحدى سيدات الطبقة الراقية، نعرض رأي المستشرقة الألمانية المنصفة زيغرد هونكه إذ تقول: «لو كتبت للسيدة الفاضلة خطابا وأنهيته بالمخلص فلان أو بخادمك المطيع فأنت تعترف بسيادة العرب لأنك أخذت عنهم هذه الكلمات إذ لم يكن أجدادك في الغرب يعرفون شيئا منها.. لأن الكتاب المقدس عارض هذا المسلك العربي ونص على أن الرجل سيد المرأة ونشطت الكنيسة تحارب كل الأفكار المخالفة وتعمل كل ما في وسعها لإبقاء المرأة تحت سيطرة الرجل تبعا لمشيئة الرب، وعلى الرغم من هذا فقد قاوم العرب كل التيارات المعادية، واستطاعوا القضاء على هذا العداء للمرأة والطبيعة وجعلوا من منهجهم مثالا احتذاه الغرب، ولا يملك الآن منه فكاكا شاؤوا أم أبوا»[٥].

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف انتقلت هذه الموجة الغزلية العربية إلى أوروبا؟ وكيف تحولت المرأة في نظرهم من مخلوق شيطاني رجيم، من مصدر للشرور الكوني إلى سيدة أرستقراطية لها

مجالسها الأدبية التي توجه فيها الشعراء من الرجال الذين يتزلفون لطلب ودها؟

«لقد كانت الصلة بين الأدب العربي والإسلامي وبين الآداب الأوروبية متصلة الوشائج على مدى قرون، فقد كان عادة أمراء العرب وأمراء أوروبا وعلى وجه الخصوص أمراء بروفانس أن يتبادلوا الزيارات ويصحب كل واحد منهم شعراءه.. كما أن اختلاط الأوروبيين بعرب الأندلس الذين أصبحوا سادة البحر المتوسط وملوك صقلية وسادة لكثير من المدن الفرنسية ومقاطعاتها كان له أثر كبير في اطلاع شعراء أوروبا على الشعر العربي ويتجلى هذا التأثر في ظهور فن أدبي جديد بين شعراء بروفانس الذين نشروه في الأقطار الأخرى، وهذا الفن يختلف اختلافا تاما عن الشعر الذي تعودوا عليه قبل ذلك الوقت، وكلمة تروبادور مشتقة من الكلمة العربية طرب مع بعض التحريف، وهم شعراء جوالون كانوا ينتقلون من قصر إلى قصر في جنوب فرنسا ينشدون من أغاني الحب، ولقد ساروا على نمط الموشحات الأندلسية، يقول أحد الباحثين موريس فالنسي: «إن المذهب الذي اتبعوه في القرن الثاني عشر يختلف اختلافا جوهريا عما عرف من نماذج تبحث في الحب في التراث الغربي من حيث أن الفكرة في شعرهم تدور حول تمجيد المرأة وهي في مجتمع ينظر إليها نظرة اشمئزاز ويتهمها بنقص العقل» لقد سار المجتمع الغربي بالنسبة للمرأة حسب ما قاله القديس بولس: يجب ألا يسمح للمرأة أن تتلقى التعليم أو أن تتثقف بل عليها أن تطيع وأن تخدم وتسكت[٦].

وهكذا تغيرت نظرة الشعراء الأوروبيين إلى المرأة وأصبحت محورا تدور حوله قصائد شعراء التروبادور بعد أن كانت المرأة مبتذلة حقيرة لا يفكر شاعر ما أن يذكرها في ثنايا شعره، وإذا ما جادت نفسه لم يصفها إلا بوصف شهواني حقير. ومن نماذج هذا الشعر الجديد: «يا سيدتي الطيبة لا أطلب منك سوى أن تقبليني خادما وسوف أسهر على خدمتك سهري على أحسن سيد لي».

وأخيرا يتضح لنا من هذه المقارنة البسيطة أن المرأة العربية لم تكن دائما على هامش الحياة كما يصورها الغربيون، بل العكس هو الصحيح إذ لم تعرف المرأة الغربية نوعا من المشاركة في الحياة الاجتماعية إلا بفضل العرب الذين نقلوا حضارتهم وأخلاقهم السامية إلى أوروبا.

الهوامش:

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغرد هونكة.

(٢) حديث الأربعاء، الجزء الأول، طه حسين، ص ٢٢٦.

(٣) أجزع.

(٤) تاريخ الأدب الإسلامي، شوقي ضيف، ص ٣٦٢.

(٥) المرجع نفسه، ص ٤٦٧، بتصرف يسير.

(٦) شعراء التروبادور، مريم البغدادي.



تحت هذا العنوان يصطحب القارىء الكريم مجموعة من الموضوعات الإجتماعية الهادفة، في أسلوب حواري هادىء قريب إلى النفس، ليعالج بعض القضايا الاجتماعية والسلوكية. - المنهل -

حوار مع ابنتي (٢)

أقل ساكني الجنة

لاحظت أمارات قلق على وجه ابنتي سارة؛ فسألتُ أمها إن كانت مريضة، أو إن كانت حزينة لأنها لم توفق في امتحان من امتحاناتها؛ على الرغم من اطمئناني إلي تفوقها في دراستها.

نفت زوجتي الأمرين كليهما؛ نفت أن تكون سارة مريضة، ونفت أن تكون لم توفق في امتحان.

طلبت من زوجتي أن تحاول مفاتحة سارة بلطف ورفق لتعرف منها سر قلقها الظاهر، وخرجت من البيت لأدرك موعداً اقترب وقته.

في المساء؛ سألت زوجتي: هل عرفت سرّ قلق سارة؟

ابتسمت زوجتي قائلة: أجل.

قلت: خير إن شاء الله.

قالت: لقد أقلقها حديث قرأته لرسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

قلت: وهل تقلق أحاديث النبي {صلى الله عليه وسلم}؟ إنها تبعث الطمأنينة في نفس كل مؤمن.

قالت: لقد أقلقها حديث للنبي {صلى الله عليه وسلم} يذكر فيه أن النساء أقل ساكني الجنة!

ضحكتُ وأنا أقول: يا حبيبتي يا ابنتي. أين هي؟.

ردت زوجتي: تمهل.. دع ذلك إلى ما بعد طعام العشاء.

قلت: بل الآن. أريدها أن تتعشى وهي مطمئنة.

ذهبت إلى الصالة، وجدت سارة جالسة تكتب واجباتها المدرسية، جلست قريبا منها بعد أن مسحت بيدي على رأسها.

قلت: هيه. ياسارة كيف دراستك؟

قالت: بخير يا أبي ولله الحمد.

قلت: أجميع زميلاتك في الفصل متفوقات مثلك؟

قالت: خمس فقط متفوقات.

قلت: وكم عدد تلميذات فصلك؟

قالت: ثلاثون.

قلت: نسبة المتفوقات إلى غير المتفوقات قليلة إذن.

قالت مبتسمة: أجل يا أبي.

قلت: ألا يميزك هذا أكثر مما لو كان عدد المتفوقات عشرين مثلا؟

قالت: بلى يا أبي؛ فأن أكون واحدة من خمس يجعلني أكثر تفوقاً مما لو كنت واحدة من عشرين.

قلت: هذا يفرحك إذن؟

قالت ضاحكة: طبعاً.

قلت: وكذلك ينبغي أن تفرحي إذا علمت أن ساكنات الجنة من النساء أقل.

انتبهت سارة إلى ما أردته من حوارها، وأدركت أن أمها أخبرتني بقلقها من كون النساء أقل ساكني الجنة.

قلت مواصلا حديثي: حين تكونين من هؤلاء القليلات اللواتي يظفرن بالجنة فإن هذا أدعى لفرحك وفخرك بأنك تفوقت على كثيرات غيرك لم يظفرن بالجنة.

قالت: ولكني يا أبي أخاف ألا أكون من هؤلاء القليلات!

محمد رشيد العويِّد
- الكويت -

قلت: ألا تخـــافين أحــــيـــاناً ألا تكوني من المتفوقات؟

قالت: بلى.

قلت: إلام يدفعك مثل هذا الخوف؟

قالت: إلى مضاعفة الدراسة وبذل مزيد من الجهد في الحفظ والمراجعة.

قلت: وكذا ينبغي أن يدفعك خوفك ألا تكوني من أهل الجنة.. إلى مزيد من طاعة الله ورسوله.

ظهرت علائم الارتياح في وجه سارة وبدت مطمئنة.

قلت: ذكرتني يا سارة برجل كان يدعو الله تعالى فيقول: اللهم اجعلني من القليل.

قالت: ولكنه يا أبي رجل وليس امرأة.

قلت: أجل وقد سمعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: ما هذا الدعاء؟ فرد الرجل قائلا: أردت قوله تعالى {وقليل من عبادي الشكور}.

قالت: سأدعو غداً أمام زميلاتي: «اللهم اجعلني من القليلات»!

قلت ضاحكاً: ستثيرين فضولهن بهذا الدعاء.

قالت: وسيسألنني، وربما يسخرن مني، عن هذا الدعاء.

قلت: وتكون فرصة لتشرحي لهن ماذا تقصدين بهذا الدعاء الذي يسمعنه لأول مرة.

(وكأنما تذكرت سارة شيئا)

قالت: إذا سألتني إحدى زميلاتي: أين العدل في أن يجعل الله أقل ساكني الجنة من النساء؟

قلت: حاشا لله ألا يعدل؛ سبحانه، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، الله يا ابنتي لم يجعل النساء أقل أهل الجنة، بل إنه سبحانه كشف لنبيه {صلى الله عليه وسلم} هذه الحقيقة المغيبة فأخبر بها.

لو أن مديرة مدرستك أجابت موجه وزارة التربية بأن أقل عدد للمتفوقات هو في فصل كذا؛ فهل تكون قد ظلمت غير المتفوقات أو اختارت لهن أن يكنّ كثيرات؟!

قالت: طبعاً لا.



قلت: وهكذا الأمر هنا، ولله المثل الأعلى.

قالت: أجل يا أبي، ليس في الحديث ما يشير إلى أن الله جعل النساء أقل أهل الجنة بل فيه إخبار بهذا فحسب.

قلت: اقرئي لي يا ابنتي نص الحديث.

أخرجت سارة ورقة كانت بين دفاترها يبدو أنها سجلت الحديث عليها وصارت تقرأ: عن عمران بن حصين عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «إن أقل ساكني الجنة النساء» أخرجه مسلم.

قلت: لم يقل {صلى الله عليه وسلم} جعل الله النساء أقل ساكني الجنة، بل قال: «إن أقل» والفرق ظاهر بين التعبيرين.

قالت: كم أنا شاكرة وممتنة لك يا أبي، لقد أبدلت قلقي رضا وطمأنينة، بل وزدتني حماسة ورغبة في أن أكون من القليلات.

قلت: أنت منهن، برحمة الله أولا، ثم بالتزامك دينك وبرّك أبويك الراضيين عنك يا سارة.



العبـــاءة رمز تاريخي أصيل

الازياء الشعبية المحلية هي جزء من فولكلور أي شعب وهي تراث ينتقل من جيل الى جيل كاحدى السمات المميزة له عن غيره من الشعوب، فالعباءة رمز تاريخي اصيل وعلامة من علاماته التي مازالت الاجيال تتوارثها من جيل الى جيل معبرة عن مدى ارتباطهم بتراث الاباء والاجداد، وانعاشا لذكراهم، لأن في لباسها معالم الاصالة والعراقة والعادات العربية الاصيلة.

فصناعة العباءة فن قائم بذاته لما تحتويه من رسومات والوان مستوحاة من البيئة والواقع

فعلى الرغم من التطور الحضارى الذى غزا العالم في جميع المجالات والتغيرات الكثيرة التي طرأت على اللباس القديم ورغم تحديات الموضة وآخر الصرعات إلا أن الكثير من الشعوب العربية مازالت متمسكة بتقاليدها وملابسها القديمة وزيها الشعبي الاصيل لانه تراث الآباء والاجداد، ورثه الابناء عنهم، وتتميز العباءة بتنوعها فهي على انواع متعددة ودقة نقوشها ورسومها وزخرفتها فالعباءة رمز اصيل وجميل موغل في اعماقنا وقلوبنا.

وما زلنا نطرب لقول ميسون في قصور بني امية بدمشق:

ولبس عـــبـــاءة وتقـــر عـــيني
أحَبّ إليَّ من لُبس الـهـــفـــوف

وللعباءة مكانة كبيرة في نفس الانسان العربي وقد اعتز بلباسها في المناسبات والاعياد وكانت تعتبر العباءة اللباس المتميز للشخص.

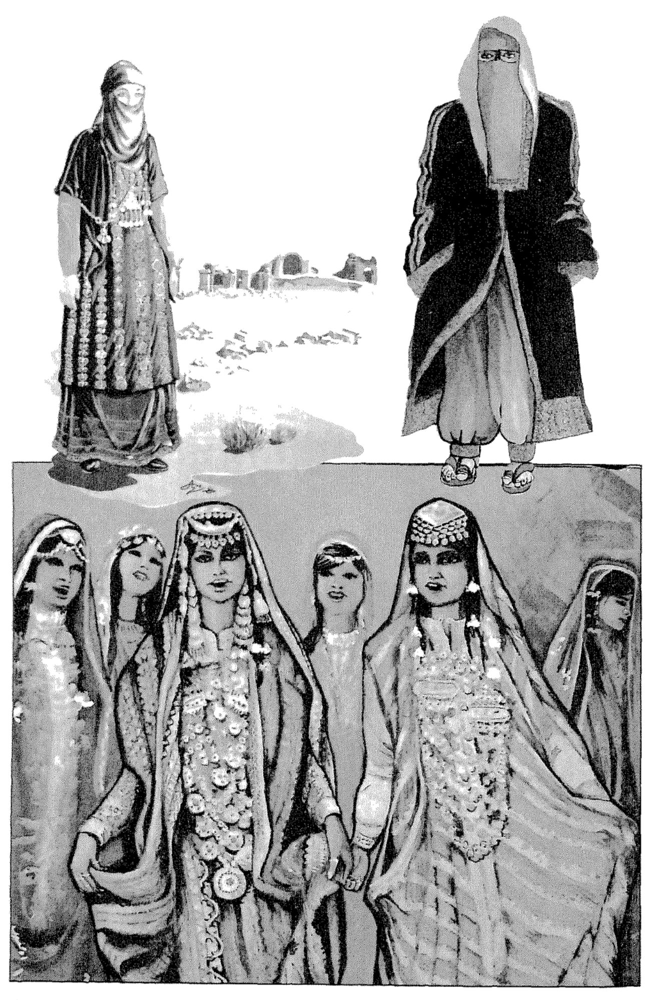
ما هي العباءة؟

العباءة كما جاء في لسان العرب تعني الكسوة وأصل العباءة يعود الى زمن بعيد جدا وإن كان العرب أول من اشتهروا بها، والعباءة هي أول كسوة لبستها الشعوب القديمة تلف الجسم وتقيه من البرد والحر كانت العباءة بالنسبة للشعوب القديمة الكساء الوحيد وكانت تصنع من الحرير للنساء أو الصوف.

والعباءة عرفتها كل الشعوب القديمة في آسيا وافريقيا وفي بلاد العرب فالبدوي في الصحراء يلف جسده بالعباءة فتقيه البرد والعواصف، وكانت العباءة قديما تصنع من الجلود وقد لبسها البرابرة وقد اشتهرت في صناعة العباءات مدينة الموصل في العراق، وكانت تصنع من الحرير الناعم جدا وخصوصا للنساء، كذلك اشتهرت دمشق في صناعة العباءات والجزيرة العربية وبعض مدن ايران.

والعباءة كانت تصنع بحسب الحاجة والمناخ ففي اليمن مثلا العباءة قصيرة وهي تصل الى تحت الركبة بقليل لأن اليمن بلاد جبلية واهلها يتسلقون الجبال اما في نجد فهي واسعة طويلة لأن ارضها صحراوية، ولأكمام العباءات اختلاف فمنها الواسع كالعباءة النجدية ومنها الضيق كالعباءة الايرانية.

هاجر بجيرمي
- دمشق -



رؤى خريفية

بقعة دائرية من الضوء تخترق هالة رمادية مائلة الى اللون الاسود تحيط بها والجبل ساكن بخشوع الناسكين.. تلك البقعة الضوئية تتأرجح وكأني بها تحاول الافلات من معاقل الحزن الرمادي.. لكنها لا تستطيع، لأن السيد الحزن في حالة عشق مفاجيء لأشلاء الشمس المتناثرة فوق الجبل وخلفه.. وانت تحيا بين العروق في جسدي.. لم اكن أدري أن للحطام جاذبية الجسد الذي يضوع بالصبا.. ولكن لماذا الحزن وحده يعشق الأشلاء ويكون السيد؟؟

كان للكلمات روعة الحلم.. وهناك على عتبات منزل «العرافة» العجوز.. آه لمكر النساء لعل تلك المرأة درت بما وراء البحر الهادر فتركتنا نستحم بنظراتها الغامضة مثل الدخان الطالع من موقدها القديم ونسينا حديث الأبراج وتنبؤات الفلكيين وامطرتنا بعطور الأيام التي لم نرها بعد فشعرنا بتفاهة التاريخ وسخافة التقويم.. فما يعني أن كان في نيسان مولدي أو في تشرين؟؟ فقد كنت انت الذي يصنع فصول الحياة لفؤادي ويهب الدنيا بهجة اللقاء.. انت وحدك؟

قد كذب يا سيدي من قال أن للعرافة لسان صدق وكذبت كل الفناجين الراقدة على مناضد العشاق.. ألم تقل العرافة أن الورود مزروعة كما تراها في طريقنا الموحد منذ عتبة منزلها الى آخر خلجان الدنيا مرورا بكل حقول السنابل ومحطات الفرح؟

والفنجان الذي رشفناه معاً ألم تقل صديقتي انها قرأت على حافته بشائر فرح قريب..؟

وحين كنا في الطريق من منزل العرافة الى مكان ما لم يستطع اي منا تحديده لأن سكون الليل كان جميلا في كل الأمكنة.. حينذاك كان صوت العرافة لا يزال يتردد في مسامعي مؤكدا أن طريقنا معبد بالرياحين.. صوت ما اخترق صمت الليل وقطع احاديث العجوز فالتمعت عيناك ببريق لم اشهده فيهما من قبل.. نظرت اليك.. كنت تدفن وجهك بسواد الليل وتطوي الطريق تحت قدميك بسرعة.. لقد تأخرت عنك خطوات.. لا استطيع مجاراتك.

- قلت - توقف ارجوك!

توقفت.. يبدو انك والعناد في خصام هذه الليلة وهذا امر يبعث على الارتياح فاخرجت عبء الأيام من صدرى اذ وجدت نفسي بمحاذاتك.

غريب.. عيناك تشعان ببريق أكاد ألمحه وسط الظلام.

- يجب أن تسرعي قبل ان ..

ولم تكمل حديثك فقد كان دوي آخر قد صدر من أول الطريق الذي نسير فيه.. واستطعت هذه المرة ان اميزه..

- انه صوت رصاص ؟ همست وقد ازددت التصاقا بك.

مريم جبر
نجران - السعودية

- لقد اخطأوا ..

جـوابك اذهلني .. وتسـاءلت: من هم الذين اخطأوا؟ لم تجب واخذت قدماك تسابقان الريح.

- اي سر تخفيه؟ سألتك وأنا اضغط على الحروف حرفا حرفا.. لكنك لم تجب وواصلت الصمت ونهب الأرض.

- توقف قليلا ارجوك..

التفت إليّ .. يا لتلك العينين اللتين تدفنان اسرار الوجود بين جفنين .. امنحني بعضا من هذه القابلية للتحدي .. ودعني مرة فقط اتذوق لذة المغامرة.. وأعدك بأن لا أهرب، امنحني لحظة احس فيها بجرحك وأعدك بأن لا ابكي..

موجة من الحنان اجتاحت وجهك فغمرتني لدرجة الاعتراف بالسعادة .. فحبك اذن لم يرحل برحيل صوتك.. يا ليت تلك اللحظة تصير عمرا بحجم اسطورة تاريخية..

التفت اليّ متسائلا: احقا تؤمنين بحديث العرافة؟ دفنت وجهي بين راحتيك .. ودوى في الأرجاء صوت رصاصات متتالية..

وبدأت الكلمات تتساقط نازفة من بين شفتيك..

- اسرعي بالوصول الى منزلك والافضل ان تذهبي لمنزلنا واخبري امي انني بخير.

لكني لم اتحرك من مكاني فاحساس المرأة في داخلي يأبى الا أن يطغى.. وانتظرت أن تقول شيئا .. قل شيئا .. وامنحني ولو لحظة من لحظات خوفك على نفسك ومن نفسك.

وكأني بك قد أدركت ما يجول بخاطر المرأة في ساعة خوف من مجهول فقلت بصوت خفيض فيه بعض الرجاء.

- لا تحزني اذا طالت غيبتي ولك أن تكسري هذا القيد الذي يطوق اصبع يمناك لكن اياك أن تظلميني.

أظلمك لو اتهمتك بالقسوة واظلمك اكثر لو وصفتك بالرقة.. فلأتابع الطريق اذن..

قدماي لم تحتملا الجسد الذي كان يرتعد خوفا ورهبة من غد تحول فجأة الى شبح مرعب..



كيف لا .. وذاكرتي اصبحت قادرة على تحديد المسافات الفاصلة بين القضبان.. ولا تميز بين كفيك اللتين تطوقهما بقوة وبين برودة الحديد في ليالي تشرين فكلاهما يصر على انه الاقوى .. وفقدت القدرة على تمييز ملامح الوجه الذى مازال يحتفظ بلون التراب .. فقد ضاع وجهك ما بين سياط السجن وحرقة الاشواق.. حقا.. لقد اخطأ الرفاق وتعجلوا في تنفيذ خطة الهجوم فوقعت انت..

- لماذا انت ؟..

لا تحزن فسجننا اكبر وعذاباتنا اقوى من كل السياط والوسائل البشعة..

وعذاباتي انا لذيذة غير منتهية كأنها البقعة الضوئية التي تراءت لي في هذا المساء الخريفي..

كان صوتك محببا الى نفسي .. وكان جنونك محببا الى نفسي ايضا خصوصا بعد كل مغامرة تكسب فيها لحظة ارتياح وحفنة من تراب..

ورحل صوتك .. لكنك تظل سيدا فوق حزني وكل الألم .. بصمتك وجنونك وعشقك الازلي للتراب المعبق برائحة الليمون والزعتر .. تبقى سيدا..

يا سيد كلماتي الموجعة .. لماذا لا تكف عن هدر دمي ودمعي .. وتستثنني من نوبات جنونك النرجسي؟ خذ ما تبقى من دمي ودمعي واعتق بقايا الحياة في روحي لأكتب آخر قصيدة لعمر بنفسجة شهيدة.. ولأنسج ثوب العرس لامرأة تلملم اشلائي وتجسم منها خارطة لعشق حواء منذ عهد آدم.

أ و ر ا ق ز و ج ي ة

أبو عواد / أم عمرو

٩٣٢ـ أبو عواد:

إنني لا أحبّ مواسم العواطف في حياتنا، حين تأتي جياشة تارة وباردة أخرى. فما أحوج المرء لدفء المشاعر وتواصلها، إن قليلها الدائم خير من كثيرها المنقطع.

٩٣٢ـ أم عمرو:

تدفق العواطف وانحسارها من أى طرف في العلاقة الزوجية هو رد فعل لسلوك يأتى من الطرف الآخر. اما اذا تنبه الزوج لوجود زوجته لحظه واغفل وجودها لحظات فعليه أن يتوقع هذا التذبذب في عواطفها نحوه اضافة إلى احساسها الدائم بعدم الأمان.

٩٣٣ـ أبو عواد:

«داوني بالتي كانت هي الداء» وصفة تصلح للمرأة التي يتزوج عليها زوجها لأسباب لا تبدو وجيهة في نظرها.. ليتها تتمالك أعصابها وتتفنن بكل ما لديها من دهاء وبرود أعصاب في اقامة الدليل تلو الآخر له على أن «نزوته» تلك!! لم يكن لها ما يبررها ولحمله على القناعة أن: «قديمك نديمك» وأنه مهما غير وبدّل في المنازل «فحنينه أبداً لأول منزل».. لكن الذى يحصل أن حماقة الغيرة العمياء تنسف كل شيء.. إن المرأة العاقلة هي التي تعرف كيف تغيّر دفة الأمور بالايحاء لا بالضوضاء.

٩٣٣ـ أم عمرو:

لا اعرف لماذا يتصور بعض الرجال أن المرأة كائن غير عادى فيطالبونها بالفرح والمرح في الوقت الذى تتجه عواطف زوجها واهتمامه إلى امرأة أخرى، إن كل ما هو ضد طبيعة الأشياء لا يمكن توقعه أو المطالبة به.

٩٣٤ـ أبو عواد:

أتمنى على كل امرأة دأبت على تفتيش جيوب زوجها أن تعالج المفاجآت بحكمة وأن تتفادى المرافعات التي لن يكون من ورائها طائل.. وعليها ألا تنسى أن زوجها هذا طفل كبير وأنها معنية بأن تصبر على «الحامض» حتى يصير «حلواً».

٩٣٤ـ أم عمرو:

جميل أن يعترف واحد من جنس الرجال بأن الرجل طفل كبير في وصاية المرأة أمه كانت أو زوجته. ولكن ليس بجميل أن يفتش اي من الزوجين متعلقات الآخر وخصوصياته. إن هذا السلوك المخل نوع من انواع عدم الثقة ودليل عليها.

٩٣٥ـ أبو عواد:

تذكري أن التربية تبدأ قبل الانجاب بل وقبل الزواج ففي اختيارك زوجة يعني الشيء الكثير، فعندما قالوا لـ «هند» أن ولدك (يعنون معاوية بن أبي سفيان) سيكون له شأنٌ في قومه، ردت واثقة: «ثكلته أمه إن كان سيكون له شأنٌ فقط في قومه».

٩٣٥ـ أم عمرو:

صحيح جداً أن اختيار أي من الزوجين للآخر يلعب دوراً كبيراً في سعادة الأسرة وسلامة بنائها والزوجة الصالحة مدرسة هامة وأساسية في إعداد ورعاية الطفل في أهم سني عمره، الست سنوات الأولى، وبعد ذلك.

٩٣٦ـ أبو عواد:

النســاء يناصبن العــداء لكل من لا يكون في صفهن على طول الخط نفاقاً أو حباً أو كرها .. إن نابليون الذي قال: «فتش عن المرأة وراء كل مصيبة هو نفسه القائل: «إن المرأة التي تهزّ السرير بيمينها قادرة أن تهز العالم بيسارها».

فـهل تصنف «حواء» نابليـون في قـائمـة أعـداء المرأة أم أصدقائها؟! وغيره كثيرون!!!

٩٣٦ـ أم عمرو:

تضـع المرأة نابليـون في عـداد المتـأرجـحين في آرائهم من الرجـال الذين يمدحون تـارة ويذمّون تارة ولا يستطيعون الوصول إلى مبدأ ثابت.

٩٣٧ـ أبو عواد:

في اعـتـقـادي أن أجـهل امـرأة على الأرض هي التي تسـأل زوجـهـا عما إذا كـان حبه لهـا يفوق حبه لأمـه .. وأجـهل منها تلك التي يتـرك لديهـا انطباعـاً أن حبـه لها أكـبر من حبـه لأمـه .. وفي نظري أنها غبية لو صدّقته بل حتى لو احترمته!.

٩٣٧ـ أم عمرو:

السـؤال في حـد ذاته خطأ فـالبـرتقـال لا يقـارن بالتـفـاح والحب أنواع لا يصلح مـقـارنتـهـا ببعضـهـا البعض.

٩٣٨ـ أبو عواد:

يقـولون .. أن الزوج يشـتـري الملابس القـيـمـة لزوجـتـه لتلبسـهـا لغيره.. فـيمـا تكـتـفي في البيت بارتداء أسمال رثة!!

٩٣٨ـ أم عمرو:

الزوجة ترتدي الملابس الجديدة لمن يثني عليها أو يغار منها مثلها مثل الرجل تماما، فإذا أراد الزوج أن تلبس له زوجته الجديد من ثيابها وحليها فعليه أن يهتم بالتعليق على هذا الجـانب وامتداحـه وسـيـجـد عجباً.

٩٣٩ـ أبو عواد:

كلما حاولت فهم زوجتي وحل لغزها كامرأة على الحـاسـوب دخل الفـيـروس ومـسـح البـرنامـج في اللحظات الأخيرة على اكتشاف كينونتها لأبدأ رحلة البحث من جديد وهكذا ودون نتيجة!.

٩٣٩ـ أم عمرو:

للتغلب على الفيروس الذى يتسبب في عدم مرور برنامج حل لغز المرأة يحتـاج الزوج وصفة علاجـية مكونة من شـحنه كبيرة من الحب والرعـاية وسيـأتي الفـهم بعد ذلك مبـاشرة بمجرد أن تلمس أصـابعـه أزرار الحاسوب، في المرة التالية.

٩٤٠ـ أبو عواد:

جمـال المرأة يجلب لهـا من السـعـادة بمقـدار مـا يجني عليها من الشقاء.

٩٤٠ـ أم عمرو:

جمال الإنسان الحقيقي في قلبه وروحه وليس في وجـهـه وهؤلاء الذين يملكون هـذا الجمـال لا يكتـرثون كثيراً بجمال القشرة الخارجية.

٩٤١ـ أبو عواد:

تستطيع المرأة أن تحيط نفسها بأسوار لا يتأتى اقـتحـامـهـا لأقوى الطـامعين.. ومـتى أهملت المرأة حصانة تلك الأسوار أصبحت ضحيّة إلا عندما تؤتى الأسوار من بوّابتها ويأذن صاحبها عندها قد يصبح الطرف الآخر هو الضحية.

٩٤١ـ أم عمرو:

الأسـوار لا تحيط إلا القلاع والقصور والقيم من الأشيـاء والذين يسمح لهم بالدخول من بوابات هذه الأسـوار عليـهـم أن يحـتـرمـوا مـا يجـدوه بالداخل ويتكيفوا معهم وبذلك يصبحون جزءاً منه وليس جزءاً دخيلا مفروضاً عليه.

رسالة من السرى الرفّاء إلى السيدة الجميلة

* **هو أبو الحسن السرى بن أحمد الكندى**
* **شاعر وصاف مدّاح.**
* **نشأ بالموصل.**
* **كان يتكسب فى صباه برفو الثياب وتطريزها.**
* **نظم الشعر فأجاده.**
* **قصد سيف الدولة بحلب فأقام معه حتى مات سيف الدولة.**
* **ثم قصد بغداد فمدح رؤساءها، ومات بها سنة ٣٦٦هـ.**

حبيبتى بُهيشة:

رسالتى إليك يا أول حب أحببته، وأول جمال أشرق في قلبى ونعمت به عينى. فكنت هنائى وفرحى وتطلعى الساذج الآمن للحياة والناس والعيش .. فما من مرة التقينا خلسة خشية العيون اليقظة من أهلنا إلا وكان لقاء لا يتجاوز دقائق حسبنا فيها كلمة عذبة غضة نفترق بعدها وكل منا يتلفت حوله وخلفه وكأنه قد أتى شنعاء تستحق المحاسبة، أو المؤاخذة والتأنيب.

وغبرنا على ذلك أمداً، كم هو في عمر الزمان؟ لا أعلم .. وكم استغرق من حياتنا؟ لا أعلم. كنت دائما أمني النفس بأن تصبحى زوجة لى فأسعد بك وتسعدين بي.. صحيح لا أنا ولا أنت فتحنا هذا الباب، باب الزواج ولكن لقاءاتنا كانت توحى به ونظراتنا كانت تومىء إليه. حتى عندما كنا نفترق كل إلى سبيله كان تلاقى الأيدى في تصافحها تأكيد لميثاق الحب على أن نظل له مخلصين.

وكان أهلونا يعلمون بذلك ويدركونه ولكنهم كانوا معارضين لأن أحوالى المعيشية ـ وأنا أعيش مع أمى ـ كانت على شيء من العسرة والضيق نعانى منه في مأكلنا ومشربنا وملبسنا.. فكانت أمي تصارحنى أحيانا من باب الشفقة بى والحرص على مستقبلى وكرامتى وعزة نفسى. كانت تصارحنى ولكن بغير أن تجرح مشاعرى أو تحرجنى، فتقول لي: يا بنى، لسنا موسرين ولا نعيش في رغد من الرزق. وفتح بيت وبناء أسرة مهمة تحتاج إلى الكثير والكثير من

محمد عبدالواحد حجازي
- مصر -

المال الذي يهيىء لك الراحة والاطمئنان. فلا تنغص عليك حياتك تبعات الزواج وما يلزمه من نفقات تتزايد باستمرار يوما بعد يوم وشهراً بعد شهر..

ولا أخفي عنك يا حبيبتي أن كلام أمي هذا أو نصيحتها هذه عكرت صفو اطمئناني وراحة بالي..

وصرت أتفكر وأتفكر: إن كلام أمي صحيح ونظرتها وهي الخبيرة المحنكة صائبة ما في ذلك شك.. إنني مجرد رفّاء فحسب أرفو للناس ثيابهم وأطرز أزياءهم وعمائمهم وجببهم وإنها صنعة حسيرة الرزق فلا يأتي الزبائن إلى دكاني إلا بين الحين والحين وربما راجت أحوالي بعض الشيء في أيام الأعياد والمهرجانات القومية والمناسبات الدينية. أما في غير ذلك فدكاني يظل - بحمد الله - طول العام خاليا من الزبائن أو شبه خال. وهنا لم أجد مناصا من دراسة صنعة الشعر وتجربة حظي معه. وفعلا، كنت أسهر الليالي لأجود وأجتهد في التحصيل والإبداع حتى أيقنت أنني قد بلغت من الرسوخ والقوة ما يمكنني من مقابلة كبار الشعراء ومنازلتهم في الحلبة التي يستبقون فيها ويتنافسون.

وذات ليلة أسررت إلى أمي أنني سوف أسافر يوم الثلاثاء إلى حلب فأخذتها الدهشة وقالت: وماذا تصنع يا بني في حلب؟ قلت: أجرب حظي يا أماه فعسى الله أن يفتح عليّ أبواب الرزق فيأتي الرغد من حيث لا أحتسب فيجعل الله بعد عسر يسرا.. وبعد لحظات من الصمت سألتني سؤالا ما كنت أنتظره منها.

فقالت: وبُهيشة يا ولدي؟ قلت: بهيشة، لن أتركها يا أمها ولسوف أرجع إليها بعد أن أكون كونت ثروة ترضيها وأهلها. وقبل كل شيء، دعواتك أنت يا أماه.

حبيبتي بُهيْشة:

وكتمت الخبر عن أهلي وجيرتي ولم أشأ أن أعلن عن سفري أو عن سبب سفري.

وعند الفجر..

والفجر كالراهب قد مزقت
من طرب عنه الجلابيب

غادرت الموصل وأنا أسيف وجيع على ابتعادي عن حبيبتي وأهلي وعشيرتي ومدينتي..

وبلغت حلب واتصلت بأميرها وسيدها وعظيمها سيف الدولة بن حمدان وكان مما قلته له:

بكاهل الملك سيف الدولة اطأدت
قواعد الدين واشتدت كواهله
من الرماح وإن طالت مخاصره
كما الدروع وإن أوهت غلائله

فسر الأمير سروراً جما وأنعم علي بالنعم الغوالي، ولاسيما حين قلت له:

فلتشكرنك دولة جددتها
فتجددت أعلامها ومنارها
حليتها وحميت بيضة ملكها
فغرار سيفك سورها وسوارها

حبيبتي بُهيْشة:

إنني في غاية الشوق إلى الموصل بكل ما حولها

ومن حولها .. شوق إلى رياضها ومغانيها وأرباضها وقراها.. أجل.

أمحل صبوتنا دعاء مشوق
يرتاح منك إلى الهوى الموموق
هل أطرقن العمر بين عصابة
سلكوا إلى اللذات كل طريق
أم هل أرى القصر المنيف معمما
برداء غيم كالرداء رقيق
وقلا لي الدير التى لولا النوى
لم أرمها بقلى ولا بعقوق

ومما أراني ملزما بأن أؤكده لك أنني لن أفكر في غيرك يا حبيبتي، ولن يغرى ناظرى أية غادة من حسان حلب.. فأنا خلقت على الوفاء، والوفاء إخلاص وحب وإيثار:

لا تحسبوا أننى باغ بكم بدلا
ولو تمكنت من صبرى ومن جلدى
قلبى رقيب على قلبى لكم أبدا
والعين عين عليه آخر الأبد

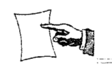
بهذه الأشواق التى أسهدتنى وحيرتني كنت أتوق إليك وأتمنى أن لو رجعت.. وبين الأمنيات والأشواق والسهاد والحيرة كان قلبي مرتعا خصبا لظنون الهم والكمد:

قسمت قلبي بين الهم والكمد
ومقلتى بين فيض الدمع والسهد
ورحت في الحسن أشكالا مقسمة
بين الهلال وبين الغصن والعقد
أريتنى مطراً ينهل ساكبه
من الجفون وبرقا لاح من برد
ووجنة لا يروى ماؤها ظمئى
بخلا وقد لذعت نيرانها كبدى
فكيف أبقى على ماء الشئون وما
أبقى الغرام على صبرى ولا جلدى

وآه لو تعلمين ما أقاسيه في غربتى عندما أفكر في حبنا.. في أشواقنا.. في أحلامنا:

بلانى الحب منك بما بلاني
فشانى أن تفيض غروب شاني
أبيت الليل مرتفقاً أناجى
بصدق الوجد كاذبة الأمانى
فتشهد لي على الأرق الثريا
ويعلم ما أجن الفرقدان
إذا دنت الخيام بها فأهلا
بذاك الخيم والخيم الدواني

ويطيب لى يا بهيشتى أن أطرفك ببعض صبواتنا ونزواتنا لعلك تجدين فيها شيئا من السلوى والتسرية.. هل تذكرين يوم أن مررت على دكانى بالموصل وضننت علي بنظرة؟ يومها حزنت.. لماذا تقسين عليّ بهذه القسوة؟ ألم تعرفى أن حياتى فى



نظرة من عيونك؟ لقد قلت:

بنفسى من أجود له بنفسى
ويبخل بالتحية والسلام
وحتفى كامن في مقلتيه
كمون الموت في حد الحسام

وهل تذكرين يوم أن نشب الخلاف بينى وبينك بسبب امتداحي لراهبة بدير الموصل.

كانت هذه الحادثة سببا في خصامك لي واحتجابك عنى فبعثت إليك أقول:

أما للمحبين من حاكم
فينصفنى اليوم من ظالمى
حمامى في طرفه كامن
كمون المنية في الصارم

فرضيت عنى وصفحت عن زلتى التى لم أكن أقصدها أو حتى أعنى ما وصفت به الراهبة.

أي حبيبتي بُهَيْشة:

لا تظنى أن أيامى بحلب كلها دعة وهناء وسرور فإنه من المستحيل أن تدوم الحياة على ذلك. فهناك منغصات وهناك مكدرات.. فالإنسان حين يكون قريبا من الأمير أو الملك فإن عليه أن يحرص على كل كلمة يقولها فلا يطلق لسانه في كل شيء من غير توق أو حذر. ولقد حدث أنى وثقت في أحد رجال أميرنا سيف الدولة بن حمدان. وفي زورة له عندى صرت أسر إليه ببعض مالا يعجبني في رجالات الأمير ظنا منى بأنه لن يفشى ما ذكرته له ولكن خاب ظنى فقد أفضى بما قلته فغضب الوزراء وكادوا يفتكون بى لولا أن شفع لى أحد المخلصين.. فبعثت إلى ذلك الصديق العدو أقول له:

رأيتك تبرى للصديق نوافذا
عدوك من أمثالها الدهر آمن
وتكشف أسرار الأخلاء مازحا
ويارب مزح راح وهو ضغائن
سأحفظ ما بيني وبينك صائنا
عهودك إن الحر للعهد صائن
وألقاك بالبشر الجميل مداهنا
فلي منك خل ما عرفت مداهن
أنم بما استودعته من زجاجة
ترى الشيء فيه ظاهراً وهو باطن

يا بهيشتى يا حبيبتى:

في ختام رسالتي أهديك أغنيتى التى تسعدنى حين أرددها:

يا شبيه البدر حسنا
وضياء ومثالا
وشبيه الغصن لينا
وقواما واعتدالا
أنت مثل الورد لونا
ونسيما ودلالا

... وإنه لأنت يا بهيشة...



٢٦٣ - مدح أم هجاء

حين أحيل الباحث الفاضل الأستاذ محمد أحمد برانق إلى المعاش أقام له زملاؤه في وزارة التربية والتعليم حفلة تكريم كبرى، وقد جمعوا نفقات الاحتفال من تبرعات المشاركين في الحفل ومن زملاء الرجل في مراحل حياته التعليمية، وممن سعدوا بالتلمذة له من المدرسين، وعددهم كثير، وكان الحفل في مظهره العام شائقاً بديعا، إذ توالى الخطباء والشعراء منوهين بمآثر الأستاذ برانق، ثم جاء الدور على صديقه الأستاذ محمود غنيم، وهو من زملاء الأستاذ تلميذاً ومدرسا فقال قصيدة لا أقول إنها أشبه بالهجاء، بل أقول إنها من الهجاء الصريح، فقد قال ما معناه إنك لم ترزق أية موهبة ولكن مالك كثير لأن حظك سعيد، وقد رزقت مهارة اليهود في اصطياد النقود، وقد بنيت عشرات البيوت الحجرية، ولكنها كلها لا تساوى بيتا من شعرى، وإذا أردت أن أمدحك فابذل لي بعض مالك لأجد ما يدفعني إلى مديح أمثالك، والقصيدة نابية في موضعها التكريمي، ومنها هذه الأبيات.

محمود غنيم

لم تؤت شعراً مثل شعر
أبي العلاء أو الوليد
لكن رزقت مهارة
الصهيون في جمع النقود
كم تقتني من ضيعة
كبرى ومن بيت مشيد
لكن بيوتك لا تساو
ي شطر بيت من قصيدي
سبحان من قسم المواهب
والحظوظ على العبيد
رجل يسود بعلمه
وسواه بالحظ السعيد

وأكبر مأساة خلقية، هي أن الذين اشتركوا في حفلة التكريم وأسهموا بنقودهم في الاحتفال قد صفقوا للشعر واستعادوه، وأخذوا القصيدة ونشروها في أكثر من مجلة، لأنى قرأتها بمجلتي الأدب والرائد وجريدة الجمهورية، فما معنى هذا، ولماذا اشتركوا في الاحتفال إذا كانوا يحملون عاطفة الجحود لصاحب الاحتفال؟ أليست هذه مأساة؟.

على أن الشاعر غنيم قد تجنى على زميله، فالأستاذ برانق لم يكسب المال بالحظ السعيد فقط، ولكن بجده العلمى، فله كتب قيمة في التاريخ مثل «الوزراء العباسيون» في جزءين، وأبي العتاهية (بحث تحليلى) وتاريخ البرامكة (بحث جامع مستوعب) هذا إلى كتب مدرسية كثيرة

قررتها وزارة التربية والتعليم على المدارس المختلفة! فكيف لا يكون عالما ذا جهد ملحوظ.

٣٦٤ ـ حافظ ابراهيم

اشتهر شاعر النيل حافظ ابراهيم بالفكاهة البارعة ويشاركه في ذلك صديقه الباحث العالم حفني ناصف، وقد أقيمت حفلة تكريمية للشاعر المطبوع حفني ناصف بمناسبة انتقاله من القضاء إلى التفتيش بوزارة المعارف، وتحدث فيها كثير من أهل الأدب، ومنهم حافظ ابراهيم وقد غلبت روح الفكاهة على حافظ، فأراد أن يداعب صديقه بتذكار أيامه الماضية حين كان طالبا فقيرا في الأزهر، لا يأكل غير الجبن والمش. ولا يعرف مطابخ اللحم والسمن، بل يبذل جهده في قراءة الحواشي والمتون الأزهرية مع صديقه محمد سلطان، وقد صار فيما بعد رجلا فاضلا من كبار الباحثين، ذكر حافظ ذلك فى دعابة خفّت على السمع، وتلقاها حفني ناصف في حفلة تكريمه بارتياح، ومما قال شاعر النيل مخاطبا صديقه:

حافظ ابراهيم

حفني ناصف

لا تنس عيشا تولّى
ما بين شرح ومتن
ولّى شبابك فيه
ما بين مدّ وغنّ
وذقْت من (جاء زيدٌ)
ومن شروح الشمنّي
ما لم تُنقْك الليالي
قلبْن ظهر المجنّ
أيام (سلطان) يلهو
بمشّه ويغنّي
يبيت يقصع ما لم
أسمّه أو أكني
أيام يدعوك حفني
من الحياة أجرني
من لي ببدرهم لحم
عليه حبّة سمن
فإن غدوت وزيرا
يوماً وجئنا نهنّي
فلا تقلْ من غرور
يا أيها الناس إنى

والدعابة في القصيدة ذات روح مرحه، وقد هزت عواطف المستمعين، واستعادها حفنى مسرورا، لأن روح الحب تغمرها، وليست روح الحسد والتّعالي.

٣٦٥ ـ علي محمود طه:

حين مات شاعر الجندول الشهير (على محمود طه) أقام له أدباء الدقهلية موطن ميلاده حفلا تأبينيا دعوا إليه كبار الأدباء والشعراء في مصر، فألقوا كلمات

علي محمود طه

الرثاء حارة صادقة وجاء دور الأستاذ حبيب الزحلاوى وهو ناقد شديد اللهجة، فتعرض لحياة الشاعر الخاصة ووصفه (بالبوهمية) وذكر أن كثيرا من عاشقاته التى تحدث عنهن في شعره كنّ من وحي خياله، ولم يعرف عنهن شيئا في رحلاته إلى أوربا، ولكنه وقع أسير الوهم، وعبداً لأحلام اليقظة، وكانت أسرة الشاعر وأقرباؤه الأدنون من حضور هذا الحفل فساءهم أن يوصف الشاعر في حفلة تأبينه بالتبذل والاستهتار، والبوهمية، وبدا الضيق على الوجوه، فقام من الخطباء من يعارض الزحلاوى، وكادت تكون معركة كلامية لا مبرر لها، ثم انتهى الحفل في حالة من التبرم الساخط، وكان الأستاذ الزيات صاحب مجلة الرسالة أحد شهود الحفل وممن ألقوا كلمة بارعة كان لها مداها الطيب في النفوس، فاجتمع بالمتحدثين، وعاتب الأستاذ حبيب الزحلاوى على تورطه فيما قال، فردّ بأنه يرعى حق التاريخ ولا ينساق مع الهتّافين والمصفقين، فقال الزيات: هناك فرق بين ما يقال في حفلة تأبين يقيمها أصدقاء جازعون لهول الفراق ووحشة البعاد، فهم يذكرون أحسن مناقب الراحل الكريم مترحمين، وبين ما يقال في درس أدبي بالجامعة أو في كتاب تحليلي عن أدب الشاعر، ففي المقام الأول لا تذكر غير المحاسن وفي المقام الثانى للباحث أن يقول ما يشاء! وكان

محمد حسن الزيات

كلام الأستاذ الزيات قولا فصلا في هذا المجال، حيث اقنع به الحضور وكلهم أدباء مرموقون!

٣٦٦ ـ موقف مشابه:

أذكر أنّي دعيت لمناقشة رسالة جامعية تتحدث عن شاعر معاصر اشتهر اسمه في أوائل هذا القرن ثم عفى عليه النيسان، وقد لاحظت أن الدارس قد رفعه فوق قدره، وقرنه بكبار شعراء العصر في مستوى واحد، كما تغافل عن مساوىء شعره وهى واضحة لا شك فيها، وكان عليّ أن أوضح ذلك في جلاء لا لبس فيه، ولكنى فوجئت بأسرة الشاعر جميعها، ومنها زوجته العجوز وقد جاءت محمولة لتشهد ما تعده تكريما لزوجها، ومنها ولده الطبيب الشهير، وقد تقدم بكلمة يقول فيها إنه باسم الأسرة يشكر جامعة الأزهر التى أنصفت شاعراً لا يقل في إبداعه عن مستوى شوقى وحافظ، وقد تنكر له الباحثون حتى جاءت كلية اللغة فردت له اعتباره، كما غمرت الجلسة بعد هذه الكلمة روح الإعجاب الخالص بشاعر مظلوم آن أن ينصف، وكان ازدحام الصفوف الأولى بأسرة الفقيد، وقد علا البشر وجوههم مما أوقعنى في حيرة شديدة، فإذا قلت ما أعددته من هنات الشاعر، وما أخذته على الدارس من الوقوع في مبالغة لا داعى لها في مجال البحث العلمي، إذا قلت ذلك فإنى أتجاهل شعور الزوجة العجوز التى جاءت محمولة على الأعناق، كما أعصف بالكلمة التى قالها ولده الطبيب مباهيا فخورا.. لذلك

رأيت أن أتنازل عن نصف ما لدى من المآخذ، وأن أقول قبل توضيح النصف الآخر: إن كل شاعر لابد له من أخطاء، وأن شوقى وحافظ ومطران والبارودى وهم كبار الشعراء في هذا العصر لم يسلموا من أخطاء وجهت إليهم فإذا كان شاعر هذه الرسالة ممن وقعوا في أخطاء فنية تجاوز عنها الدارس فليس هذا بمنتقص فضله الكبير، ومضيت أحصي بعض ما تجاوز عنه الدارس، وكان الوجوم يجلل بعض الوجوه في الصفوف الأولى، ولكنى عقّبت أخيرا بما يعيد البسمة للوجوه!! وهل كان في وسعي أن أفعل غير ما فعلت!.

٣٦٧ - تكريم الهلباوى:

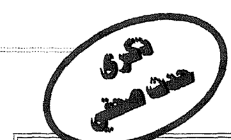
الأستاذ إبراهيم الهلباوى كان محاميا كبيراً خطيرا، لأنه اشتهر ببلاغة الحجة، وقوة المنطق بحيث يرتجل في مرافعاته القانونية من التبريرات والعلل ما يدهش خصومه، وقد قال العقاد إن لسان الهلباوى قد دخل التراث الشعبي، فأصبح العاميّ يقول لمن يبرع في المجادلة «ولا لسان الهلباوى» لقد أقيمت حفلة تكريم لهذا الرجل بمناسبة اختياره نقيبا للمحامين، وانطلق زملاؤه يشيدون بمواهبه، ولكن زميلا ثائرا خرج عن موضوع التكريم، وذكر حادثة دنشواى التى كانت سببا لأكبر خطيئة وقع فيها الهلباوى حين طالب باعدام المتهمين وهم مصريون! وقد تكهرب الموقف، ولم ينقذ الحفل غير وقوف الهلباوى نفسه، قائلا في قوة، إنه يشكر زميله الذى تعرض لهذه المسألة، فقد كان ينتهز فرصة للحديث عنها فلا يجد، ثم انبرى يعرض ما اعتزم عليه الانجليز من محاولة إعدام عشرة نفوس، ومعهم القوة والبطش، فحاول أن يدفع عن المتهمين بكل ما أمكن من الحجج، حتى وقف الأمر عند هؤلاء الأربعة! فحمد الله أن الشرار لم يمتد إلى أكثر منهم، وقبل المرافعة درءا لخطر أكبر إذا ركب المحتل رأسه! ثم ذهب الى مجلس زميله الذى هاجمه من قبل، فعانقه والدمع يترقرق من عينه، وتتابع الخطباء من بعد.

هذا الموقف، يدل على قوة نفس، وشجاعة خاطر، وهو رمز لذخيرة نفسية لا يتسلح بها غير القليلين، إذ لو كان الأمر متعلقا بغير الهلباوى لما كانت هذه النتيجة.

٣٦٨ - من كلام البشرى:

يقول الكاتب الكبير الأستاذ عبد العزيز البشرى عن الهلباوى في كتاب (المرآة):

«خطيب أي خطيب، لقد يقف في الجمهرة، والناس أكثرهم على غير رأيه فيما يجول فيه فما يزال يدور على مواطن إحساسهم يحسها من هنا ومن هاهنا في رشاقة وخفة قول، ولطف شاهد، وبراعة نكتة حتى إذا آنس من الآذان تطامنا من جماح واسترخاء بعد عصيان، هجم منها بكله على النفوس، فظل يهزها هزا، ويرجها رجا، فما الفحل إذا هدر، ولا الليث إذا زأر، ولا البحر إذا زخر، بأشد صولة على الأسماع، من الهلباوى حين يتدفق في الكلام، فما يرد على هذه الجماهير الواجمة، إلا أن تراها برغمها، قد أرسلت حناجرها بالهتاف، وبعثت أكفها بالتصفيق.



هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبدا.

ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.

ونظرا للدور البناء والمؤثر الذي تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر - فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.

وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.

صحيفة نصف شهرية

مرآة الجامعة

العدد الأول السنة الأولى

يصدرها قسم الاعلام بالمعهد العالي للدعوة الاسلامية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

٩ ربيع الأول ١٤٠٢ هجرية — ٤ يناير ١٩٨٢ ميلادي

بمناسبة وضع حجر الأساس للمدينة الجامعية ..
جلالة الملك المفدى ...

في مثل هذا الشهر (ربيع الأول) من عام ١٤٠٢هـ وتحديدا في اليوم التاسع منه الموافق الرابع من شهر يناير عام ١٩٨٢م، صدر العدد الأول من صحيفة (مرآة الجامعة) عن قسم الإعلام بالمعهد العالى للدعوة الاسلامية - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

وقد كانت فكرة وتجهيزات الصحيفة مكتملة من حيث الأهداف وإعداد الكوادر الفنية والمعدات والخامات .. واقتناصا لفرصة وضع حجر الأساس لمعلم حضاري كبير- ألا وهو المدينة الجامعية والذى رعاه حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز آل سعود (إبان توليه منصب ولي العهد) تم إصدار العدد الأول من «مرآة الجامعة» ليكون لها شرف مواكبة الخطوة الحضارية الجديدة على طريق التقدم العلمي والثقافي.

ومن أهداف الصحيفة:

- تدريب طلاب قسم الإعلام - عمليا - على فنون العمل الصحفي بجوانبه كافة بدءا من صناعة الخبر وتحريره واعداده للنشر وانتهاءاً بصفّه واخراجه في صورته النهائية.
- ربط منسوبي الجامعة وفروعها ومعاهدها الداخلية والخارجية ببعضهم البعض.
- ربط طلاب الجامعة المبتعثين للدراسة في الخارج بالجامعة.
- ايضاح نشاطات مختلف هيئات الجامعة وفروعها

صحيفة (مرآة الجامعة)

ومعاهدها للجهات الحكومية والخاصة والأفراد.

وصحيفة مرآة الجامعة نصف شهرية - في الوقت الحالي - ويبلغ ما يوزع منها اثنى عشر ألف نسخة يتم توزيعها على منسوبي الجامعة والفروع والمعاهد الداخلية والخارجية والهيئات الحكومية في الداخل والخارج والطلبة المبتعثين.

ويتكون الهيكل التنظيمي للصحيفة من:

١ - د. عبد العزيز بن ابراهيم العسكر - عميد كلية الدعوة والاعلام - المشرف العام.

٢ - د. فهد بن عبد العزيز العسكر - رئيس التحرير.

٣ - أ. عبد الملك بن عبد العزيز الشلهوب - مدير التحرير.

٤ - أ. محمد عبد الرحمن الشبل - سكرتير التحرير.

٥ - أ. عبد الحكيم بن عبد الرحمن العواد - المدير الإداري.

ويساهم أساتذة قسم الإعلام في تحرير الصحيفة الى جانب طلاب المستويات المتقدمة في القسم والذين يسهمون بالجزء الأكبر من العمل الصحفي.

وتصدر الصحيفة بصورة مشرفة من حيث انتقاء المواد والأخبار - وكذلك الطباعة والاخراج وبشكل يليق بقسم متخصص في الاعلام.

وقد أفادنا سعادة الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العسكر بأن الصحيفة سوف تصدر - أسبوعية - بإذن الله - بعد انتهاء تجهيز مقرها في المطابع الجديدة بالجامعة.

إعداد: يعقوب السيد حسنين



د. عبدالعزيز العسكر



عبدالملك الشهلوب



عبدالحكيم العواد

حاجتنا الى مجمع لغوي

بقلم : د. طاهر تونسي
- جامعة الملك عبدالعزيز بجدة -

بلغت اللغة العربية قمة ازدهارها في العصر الجاهلي. وسما الأدب الجاهلي شعرا ونثرا الى الذروة العالية السامقة. ونزل القرآن الكريم وأعجز العرب جميعا وهم أهل البيان أن يأتوا بمثله.

وقد أنزل الله كتابه باللغة العربية فزادت اللغة العربية مكانة. فأصبحت لغة المسلمين جميعا بعد أن كانت لغة لأمة العرب وحدها دون غيرهم. وحمل العرب رسالة القرآن الى فارس وأرض الروم ثم أرض الهند وأفريقية وحملوا معها اللغة العربية فانتشرت في تلك الأصقاع لغة القرآن ونبغ من أهل تلك البلاد لغويون ونحاة. وقد نظر كثير من المهتمين بأمور اللغة العربية للأمر على أنه فريضة إسلامية أن يهتموا بلغة القرآن الكريم.

وقد صنّف علماء اللغة المعاجم والمطولات، وكتب فقه اللغة حتى لم يتركوا شاردة ولا واردة إلا حققوها وأفاضوا في معانيها. ثم جاء العصر الحديث وبدأ العدو الخارجي يلتهم دول العالم الإسلامي. وما أن بدأ يحكم قبضته الآثمة على هذه الدول حتى قامت العواصف ضده. وقد فطن المستعمر الى قوة الدافع الدينى في هذه الأمة، وعرف أن ما يشدهم إليه إنما هو القرآن الكريم. فرأى إضعاف اللغة العربية وسيلة لابعادهم عن كتاب الله فلا يتيسر لهم فهمه. وفطن المفكرون الى خطة هؤلاء فتأسس مجمع لغوى في مصر ثم تبعه مجمع لغوى في دمشق. ونحن في هذا البلد الأمين أحق الناس بالاهتمام بلغة القرآن فقد نزل في هذه الأرض على قلب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كلام الله الحكيم.

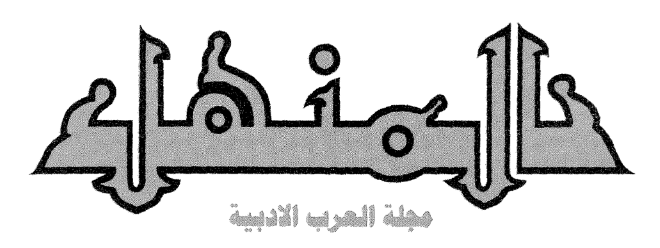
ومنذ فجر النهضة الأدبية الحديثة في بلادنا والتى بدأت في عهد موحد الجزيرة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه، بدأت حركة اهتمام باللغة العربية فقام بعض الأدباء بتحقيق كتب اللغة العربية القديمة ومن أمثال ذلك ما قام به الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار من تحقيق لكتاب تهذيب الصحاح للزنجانى وتحقيق الصحاح للإمام الجوهرى.

وإننى اليوم أدعو إلى أمر أراه ضروريا ألا وهو انشاء مجمع لغوي سعودي يضم كبار اللغويين والنحاه من بلادنا مع الاستعانة بعلماء من أرجاء العالم العربي والاسلامى حتى نستفيد من خبرتهم وتجاربهم وواسع علمهم. لقد تقدم العلم التجريبي تقدما مذهلا وقد صاحب ذلك وفود كثير من المسميات التى يجهل ترجمتها الكثير منا. إننا بحاجة أيضا إلى توحيد الترجمة فلا نترجم كلمة معينه بآراء شتى معظمها لا يتقبلها جمهور القراء.

ومن العلوم التى تقدمت علوم الطب، لذا فمن الأمور التى يجب أن يضطلع بها المجمع اللغوى ترجمة أمهات كتب الطب باللغة العربية الفصحى حتى يتسنى للطالب العربى قراءة العلم التجريبى في لغته الأم.

كما أن من الأمور التى ينبغى أن يهتم المجمع اللغوي بها اصدار دورية لينقب أخطاء الكتاب والأدباء اللغوية وما أكثرها في زمان كثر فيه اللحن وفشا فيه الخطأ وقلّ فيه الصواب. وكثرت الأخطاء اللغوية بين كبار الشعراء ومدرسي النحو مشكّلا وضعا يحتاج إلى تصحيح وتصويب.

ومن فوائد قيام مجمع لغوي فى بلادنا، الإشراف على تدريس اللغة العربية في المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية وكذلك على تدريس اللغة العربية بالجامعات وأن يحافظ على مستوى معرفة اللغة العربية عند الجيل الناشيء.



مجلة العرب الادبية



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣

أرامكو السعودية تهنئ الأطفال الفائزين

يسرّ أرامكو السعودية ممثلة في إدارة العلاقات العامة أن تقدّم تهانيها الحارّة إلى الأطفال الفائزين في مسابقتها السنوية التاسعة عشرة لرسوم الأطفال . وتتقدم في الوقت ذاته بخالص الشكر والتقدير لجميع الأطفال الذين شاركوا في المسابقة وذويهم ومدرسيهم وكل من شجّعهم وشرح لهم أهمية الإقتصاد في استخدام المياه وحثّهم على المشاركة في هذه المسابقة . الجدير بالذكر أن عدداً كبيراً من الأطفال من مختلف أنحاء المملكة قد شاركوا في هذه المسابقة . والشركة إذ تكرّر شكرها وتهانيها للفائزين . يسعدها أن توجه الدعوة إلى جميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة العشرين التي أعلن عنها مؤخراً وموضوعها " **المملكة في عيون أطفالها** " احتفاء من أرامكو السعودية بمرور مائة سنة على تأسيس المملكة العربية السعودية . في ما يلي أسماء الأطفال الفائزين بجوائز المسابقة :

أبرار محمد صالح المونس	مدارس الرياض	الرياض
أحمد أسامة محمد مصطفى القدح	العزيزية الأهلية	الخبر
أحمد راشد محمد الراشد الحميد	مدارس الرياض – الروضة	الرياض
أحمد رأفت أحمد عبد العزيز	المصيف الخاصة	الطائف
أحمد سعيد مرجّى	متوسطة عثمان بن عفان	المدينة المنورة
أحمد عبد الرحمن الجغيمان	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الأحساء
أحمد عبد العزيز الزغيبي	الدفي الابتدائية	الجبيل الصناعية
أحمد عبد الله باحداد	يحي بن أكثم الابتدائية	جدة
أحمد ماجد سلامة	العزيزية الأهلية	الخبر
أحمد محمد سعيد بازيد	عقبة بن غزوان	الرياض
أحمد مصطفى المصطفى	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الأحساء
أحمد نافد الجعبري	العزيزية الأهلية	الخبر
أريج أحمد عبود سالم بن زقر	الابتدائية الثانية لتحفيظ القرآن	الخبر
أسماء عبدالله راشد بن دايل	مدارس الرياض للبنين والبنات	الرياض
أشواق محمد عبد الله الدريس	الرواد الأهلية	الرياض
أفراح إسماعيل الصومالي	مركز التعليم الخاص – جمعية فتاة الخليج	الخبر
أكوب انترانيلو اسبنجيان	النموذجية الأهلية	الخبر
الافا هشام أحمد يوسف زينل علي رضا	دار الفكر	جدة
البتول محمد يوسف محمد صلاح جمجوم	دار الفكر	جدة
الجوهرة ناصر سعود الدغيثر	مدارس الرياض	الرياض
أنس عبد القادر العباسي	الحويلات الابتدائية	الجبيل الصناعية
أنفال علوش مشعل نومان	مركز سعد الصانع لتقويم السمع والنطق	الخبر
إيمان أحمد أبو بكر العامودي	دار الفكر	جدة
إيمان علي حسن البادي	المتوسطة الأولى	القطيف
بسمة بنت منصور بن مشعل بن عبد العزيز آل سعود	دار الفكر	جدة
بشرى ناصر صالح العجاجي	منارات القصيم	بريدة
بلال نزار حسين فقيها	مزدلفة الابتدائية	مكة المكرمة
بنان عبد الله محمد المقرن	الابتدائية ٢٥	الرياض
بندر فهد عبد الرحمن زعير	مدارس الرياض – الروضة	الرياض
بيضاء شخص العصيمي	أم كلثوم بنت عقبة	الرياض
حادي محمد عبدالهادي بنجك	مركز سعد الصانع لتقويم السمع والنطق	الخبر
حسام كايد صالح	الدفي الابتدائية	الجبيل الصناعية
خالد عبد الكريم سالم الرشيدي	الإمام البخاري الابتدائية	القريات
خلود خالد سراج الدين	----------------------	المدينة المنورة
خليل إبراهيم خليل الدوسري	طارق بن زياد الابتدائية	الدمام
دانة حسين عيسى الملا	مدارس الرياض	الرياض
دانية فوزان عمر محمود شمس	دار الفكر	جدة
ديمة سعود الخرينق	التربية النموذجية	الرياض
رابية قيس إبراهيم جليدان	دار الفكر	جدة
راضي غافل حمد العنزي	----------------------	القريات
رؤى رشاد عابد الثقفي	الرواد الأهلية	الرياض
رجائي محمد إبراهيم العلي	المقداد بن عمرو	الظهران
رحاب صالح الخضير	التربية النموذجية	الرياض
رزقان محمد ناصر	الشيخ محمد بن عبد الوهاب	عرعر
رشاد أحمد محمد مباركي	الحويلات الابتدائية	الجبيل الصناعية
رضوان سعيد مرجّى	الحمدية النموذجية	المدنية المنورة
رفال كامل محمد علي	رياض الإسلام	الدمام
رهام هشام سالم عطاس	الابتدائية ١٤	مكة المكرمة
ريهام محسن القحطاني	أم كلثوم بنت عقبة	الرياض
زكي سليمان الحفظي	متوسطة منذر العوص	رجال ألمع
زهراء باقر محمد الهاشم	السابعة عشرة الابتدائية	القطيف
سالم ناصر هزاع السبيعي	العزيزية الأهلية	الخبر
سحر جمعان الشهراني	الابتدائية ٥٤	جدة
سحر مبارك القحطاني	مركز التعليم الخاص – جمعية فتاة الخليج	الخبر
سكران أحمد سكران	الشيخ محمد بن عبد الوهاب	عرعر
سلطان تركي عبد الله التركي	مدارس الرياض	الرياض
سلمان محمد عبيد الحازمي	عمر بن عبد العزيز الابتدائية	طريف
سليم سليمان الغريض	الشيخ محمد بن عبد الوهاب	عرعر
سليمان محمد الحيش	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الأحساء
سليمان محمد سليمان الجربوع	دار العلوم الأهلية	الرياض
سمية إبراهيم زيد الدوسري	مركز رعاية المشلولين	الرياض
سندس علي عبد الله الشبعان	التربية النموذجية	الرياض
سهى فلاح عبد الكريم الحرز	الابتدائية ٤٨	الدمام
سيماء محمد عمر ناصر	دار الفكر	جدة
شذى أحمد محمد بكر	الزهور الابتدائية	الخفجي
شروق أحمد محمد بكر	الزهور الابتدائية	الخفجي
شريف إسماعيل عبد العزيز حسن	أكاديمية رحيمة	الخبر
شهد جعفر عبد الله آل سليم	----------------------	الظهران
شهد علي محمد الخليفة	الرواد الأهلية	الرياض
صالح خليفة صالح الغريب	روضة حي الإسمنت الخيرية	بقيق
صالحة محمد حسن علي الحربي	معهد الأمل للصم والبكم	جدة
طارق كمال الدين حسين شرقوب	الشاطئ الأهلية	جدة
عادل محمد سالم العصيفير	الأزهري المتوسطة	الرياض



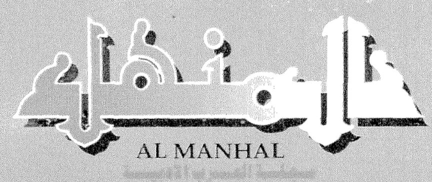
للعام

19

على التوالي

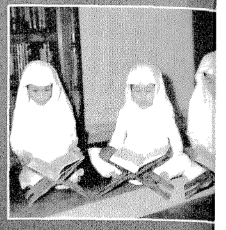
[illegible]	عمر بن ... الابتدائية بالهفوف	الاحساء
[illegible]	الجوهرة الابتدائية	الجبيل الصناعية
[illegible]	دار الفكر	جدة
[illegible]	الشيخ محمد بن عبد الوهاب الابتدائية	الخبر
[illegible]	الدفي الابتدائية	الجبيل الصناعية
[illegible]	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الاحساء
[illegible]	الدفي الابتدائية	الجبيل الصناعية
[illegible]	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الاحساء
[illegible]	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الاحساء
[illegible]	الدفي الابتدائية	الجبيل الصناعية
[illegible]	احد الابتدائية	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الاحساء
[illegible]	[illegible] الاهلية	الظهران
[illegible]	دار الفنون الاهلية	الرياض
[illegible]	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الاحساء
[illegible]	[illegible]	جدة
[illegible]	دار الفكر	جدة
[illegible]	الشيخ محمد بن عبد الوهاب الابتدائية	الخبر
علي حسين العتيبي	الدفي الابتدائية	الجبيل الصناعية
[illegible]	[illegible]	جدة
عمر محمد علي	الشيخ محمد بن عبد الوهاب الابتدائية	الخبر
[illegible]	مدارس الرياض	الرياض
جواد سلمان العواد	الشيخ محمد بن عبد الوهاب الابتدائية	الخبر
حسن عبد الله الحميدي	التربية الاهلية	الخبر
عمر علي عبد الكريم المسلم	[illegible]	جدة
فريح بكر محمد سمير	الامام النووي الابتدائية	ينبع
[illegible]	التربية النموذجية	الرياض
فاطمة محمد علي القحطاني	دار الفكر	جدة
علاء عوض مرعي البكري	عبد الله بن عباس الابتدائية	الخبر
فراس سمير حجاوي	الخوارزمي الابتدائية	الجبيل الصناعية
فهد ماجد السبيعي	التربية الاهلية	الخبر
فواز محمد البريكي	الشيخ محمد بن عبد الوهاب الابتدائية	الجبيل الصناعية
فيصل سمير حجاوي	الخوارزمي الابتدائية	الدمام
[illegible]	التربية الاهلية	جدة
لمى منصور عبد القادر منصور	دار الفكر	الرياض
لين خالد عبد الله السبايح	مدارس الرياض	بريدة
[illegible]	[illegible]	الخبر
محمد صالح محمد الكثيري	[illegible]	جدة
[illegible]	روضة حدة النموذجية	الاحساء
محمد عبدالقادر الحاج القاسم	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الجبيل الصناعية
محمد حمدي محمد	الخوارزمي الابتدائية	الاحساء
[illegible]	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	رجال ألمع
محمد علي مجتبى حسن	متوسطة عمر الفاروق	الاحساء
محمد فهد عبد المحسن الملحم	عمار بن ياسر الابتدائية بالهفوف	الجبيل الصناعية
[illegible]	الدفي الابتدائية	مكة المكرمة
[illegible]	[illegible]	الرياض
محمد علي حسين حمدان	[illegible]	الخبر
محمود حسين عبد الله حسن	الشيخ محمد بن عبد الوهاب الابتدائية	الرياض
[illegible]	مدارس الرياض	الرياض
مشاعل محمد العمري	[illegible]	الخبر
[illegible]	[illegible]	المدينة المنورة
[illegible]	[illegible]	الرياض
[illegible]	التربية النموذجية	الدمام
[illegible]	الابتدائية ١٨ بالدمام	الخبر
[illegible]	واحة المعرفة الاهلية	الرياض
منصور فراج محمد الفراج	الرواد الاهلية	جدة
منى محمد عدنان المغربي	[illegible]	الرياض
[illegible]	التربية النموذجية	جدة
[illegible]	دار الفكر	الرياض
[illegible]	التربية النموذجية	جدة
نورة صالح محمد السويلم	روضة حدة النموذجية	الخبر
ناصر محمد منصور القحطاني	عبد الله بن عمر الابتدائية	الرياض
ناصر مصطفى عبد الله	مدارس الرياض	الرياض
[illegible]	التربية النموذجية	الطائف
[illegible]	الفيصلية الخاصة بالطائف	الخبر
[illegible]	[illegible]	الرياض
[illegible]	[illegible]	الرياض
[illegible]	مدارس الرياض	جدة
[illegible]	دار الفكر	رجال ألمع
[illegible]	متوسطة عمر الفاروق	الجبيل الصناعية
هادي علي هادي	الدفي الابتدائية	الرياض
[illegible]	العروبة	الدمام
[illegible]	[illegible]	جدة
هدى عبدالله الراشد	دار الفكر	الرياض
هدى محمد اسامة الشماس	مدارس الرياض - روضة	الظهران
[illegible]		الرياض
هشام قاسم علي الغامدي	التربية النموذجية	الخبر
[illegible]	مدارس الرياض	الخبر
[illegible]	ابن الاثير الابتدائية	الرياض
وائل ماجد احمد الحاج	مركز التعليم الخاص - جمعية فتاة الخليج	الخبر
وفاء ابراهيم احمد الزيد	[illegible]	جدة
وفاء سعود عبد الله الصالح	[illegible]	جدة
[illegible]	دار الفكر	الخبر
[illegible]	دار الفكر	الظهران
[illegible]	التربية الاهلية	[illegible]
يوسف محمد احمد العثمان	[illegible]	[illegible]


نجاحك ... نجاحنا



AL MANHAL

العدد (٥٥٢) المجلد (٦٠) العام [٦٤] جمادي الأولى ١٤١٩هـ ـ سبتمبر ١٩٩٨م



نقرأ ونفهم القرآن

ـة العروبة والإسلام

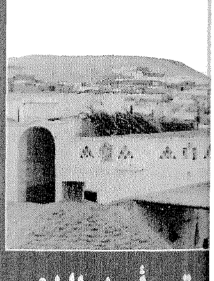
هوايتنا الحضارية

ـلافة الإسلامية فى

ـ دراسات المعاصرين

أدب الجـــريمة

ـائية وشاراتها ...



ـبة .. أرض الذهب



مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ ت: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧ - الرياض: ص.ب ٢٩٠ ت: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ١٥٠ قرشا - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
- قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
- قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



في شئون التعليم

الضرورة باعثة اليوم، إذا اردنا نهوضا بالتأليف المدرسي، على ايجاد نوع جديد من المؤلفات لمدارسنا تجمع بين الانتظام التأليفي، وغزارة المادة والسهولة والاختصار. وهذا يقتضي عناية خاصة؛ وسعيا حثيثا؛ وإخلاصا متينا للعلم.

ففي العلوم العربية والأدبية مثلا لو قامت مديرية المعارف بتكليف طائفة من العلماء الاعلام، والادباء المقتدرين بالتأليف في هذين الميدانين حتى اذا تموا مؤلفاتهم احالتها المعارف الى هيئة عليا تتولى التهذيب والتشذيب والحذف والتبديل في العبارات والنظريات، حتى اذا نقح الكتاب وجاء سويا قرر في المدارس رسميا، وطبع في احدى المطابع الحجازية، لو قامت المعارف بهذا الأمر الجليل لتوجت نهضتها المشكورة بتاج الفخار والخلود. ومما يدعونا في حرارة لاستحثاث الهمم الى تطبيق هذا الاقتراح من الآن ما لاحظناه في هذه الكتب المدرسية المقررة من انبثاث روح الاوساط الخارجية التى الفت فيها ولها انبثاثا يحجب عن نظر المتعلم جمال بلاده وفخامة وطنه، وينسيه مجده، وتاريخه الذهبي ويحول فكره الى ناحية الاقاليم التى كرس وقته الثمين لدراسة آثارها ومآثرها.

«عبدالقدوس الأنصاري»
رجب ١٣٥٦هـ/ سبتمبر ١٩٣٧م



لقطة الشهر



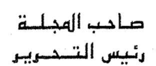
حديقة الاحياء المائية

في سنغافورة تمثل هذه الحديقة واحدة من المعالم الهامة فيها.. وهي من الاماكن المفضلة للترفيه والسياحة بعيداً عن زخم الحياة اليومية وضجيجها.. تضم الحديقة (٥٠٠٠) سمكة من ٣٥٠ فصيلة يمكن مشاهدة تحركاتها عن طريق السير في أنابيب بلاستيكية تمتد بشكل حلزوني داخل مياه الحديقة.. وتحتضن هذه الحديقة ايضا نحو (١٠٠٠) تمساح.

اشـــارة

● تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ـ جدة
تليفون: ٦٣٩٦٠٦٠ ـ فاكس: ٦٣٩١٠٠٣



صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير
أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام
زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

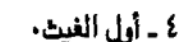
هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



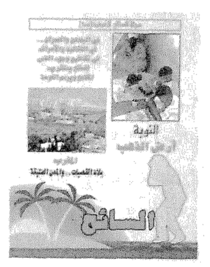
غلاف العدد

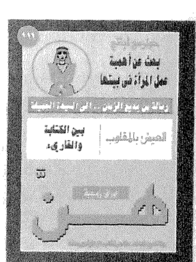


العدد: (٥٥٢)
المجلد: (٦٠)
العام: (٦٤)



الفهرس





وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

في هذا العدد

أقـــلام

منهليات

التعليم غاية حضارية

لتبيُّن هذه الحقيقة الهامة، فلنقرأ قول الحق سبحانه وتعالى {اقرأ باسم ربك الذي خلق}..

هكذا جاء أول الوحي لخاتم الرسل اجمعين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.. إنه التوجيه الأعلى لهذه الأمة - أمة المسلمين - التوجيه الأعلى للقراءة، القراءة المرتبطة بخالق الكون (باسم ربك الذي خلق)، والواصلة إليه، والمستعينة بعظيم قدرته سبحانه ليفتح لها آفاق الفهم والاستيعاب، بل آفاق كيفية التعامل - الأمين ، الصادق - مع فيض هذه المعارف الموصولة بربها وخالقها.

التعامل الصادق بصدق التوجه، والأمين في التلقي والتنفيذ.

(باسم ربك الذي خلق).. هذا الكون الفسيح - أرضه وسماؤه - رسالة مفتوحة من الخالق سبحانه للخلق.

رسالة على الخلق تدبر أسطرها بإمعان ودقة.. ملاحظة، واستقراء، واستنتاجاً، وتنفيذا.. كل ذلك بغرض الإفادة، لإقامة شرائع الحياة بازخة على هدى من ربها.. الانسان عندما يقطع رباط الوصل بخالقه تأتي حياته ممسوخة، مشوهة، قميئة المنظر والمخبر.. لانها قامت على غير هدى من ربها..

هذا حال الذى قرأ وتعلم، وجمع أطراف المعارف، وعند التطبيق تعامل مع هذه القراءة بقانون الخلق، وبعد عن تعاليم الخالق سبحانه في الأخذ والعطاء.

أما ذلك الذي ظل على جهله، ولم يفد بشيء من عطاء المعارف المكتسبة والموهوبة، فإنه لا شك تظل حياته مرهونة بقبول ذلك المسخ المشوه.

ولكي لا تقبل أمة المسلمين بذلك المسخ المشوّه من حيوات الآخرين فانه عليها بـ (القراءة).. القراءة الواعية المدركة لما ينبغي ومالا ينبغي.

نحن اليوم في حياة تحكمها القوة (والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف).. التقارير عن التعليم في العالم الاسلامي والعربي لا تبشر بخير.

- نسبة الأمية في الوطن العربي ٤٥٪.

- نسبة الحاصلين على التعليم الجامعي أو العالي في قوة العمل لا تزيد عن ٥٪.

- نسبة الحاصلين على مؤهل عال بالقياس الى القوة العالمية ٥ر٧٪ .

العالم اليوم يتجه نحو (الكوكبة).

الدول التي تمتلك مفاتيح العلوم والمعارف، هي محور دائرة هذه الكوكبة، وعلى كل (الجاهلين) عفواً (الآخرين) أن يدوروا في فلك هذه الكوكبة.

أرادوا .. أم أبوا ..!!

رئيس التحرير

٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٣١٣٤

المسابقة الدولية الرابعة لفن الخط العربي



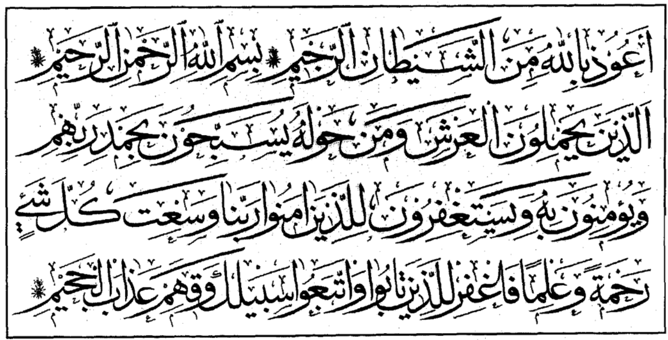
الأمير فيصل بن فهد

د. اكمل الدين احسان أوغلي

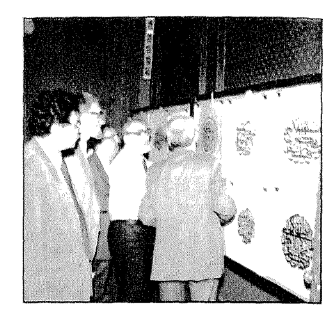
باسم الخطاط الشهير **الشيخ حمد الله الأماسي** (٨٣٣ ـ ٩٢٦٠هـ/ ١٤٢٩ ـ ١٥٢٠م) أقامت أمانة اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري والإسلامي، ممثلة بمركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول، أقامت المسابقة الرابعة لفن الخط العربي.

وقد دأبت اللجنة التي يرأسها صاحب السمو الملكي **الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز**، ويقوم بأعمال أمانتها التنفيذية **الأستاذ الدكتور أكمل الدين احسان أوغلي**، على اجراء هذه المسابقة بهدف الحفاظ على قيم وأساليب فن الخط الاسلامي واحيائه عن طريق تشجيع خطاطي الجيل المعاصر والأجيال المقبلة، ولفتح الطريق أمام أعمال الخطاطين وفق المناهج التقليدية المتعارف عليها وحسب المفاهيم المشتركة التي رسخها أعلام هذا الفن على مر القرون، بعيداً عن التأثيرات الدخيلة التي تتنافى مع المفهوم الأصيل لفن الخط الاسلامي.

وإذ سبق للجنة أن نظمت المسابقة الأولى عام ١٩٨٦ باسم الخطاط الراحل **حامد الأمدي**، والثانية عام ١٩٨٩ باسم الخطاط الكبير



إحدى اللوحات الفائزة



أعضاء لجنة التحكيم وهم يعاينون الاعمال المقدمة

ياقوت المستعصمي، والثالثة عام ١٩٩٣ باسم الخطاط الكبير **ابن البواب**، فقد رأت أن ربط المسابقات التالية بأسماء كبار الخطاطين المبدعين فيه حث للمتسابقين على اقتفاء آثارهم وتخليد ذكراهم، لذا قررت اللجنة تنظيم هذه المسابقة باسم الخطاط **الشيخ حمد الله الأماسي**.

وبذلك فقد وزعت (٣٣) جائزة و (٦٠) مكافأة و(٤٦) جائزة رمزية هي عبارة عن كتاب «فن الخط، تاريخه ونماذج من روائعه على مر العصور، والذي أصدره المركز عام ١٩٩٠ كمرجع في هذا الفن وقيمته ١٥٠ دولاراً أمريكياً أي أن **مجموع الجوائز والمكافآت بلغ ٣٠٠ره٤٥ دولاراً أمريكياً**، فاز بها (١١٠) متسابقاً من (٢٩) دولة في العالم.

هذا وسيقام بمشيئة الله معرض للوحات الفائزة في مقر اللجنة باستانبول ومن المتوقع تنظيم معارض متجولة لهذه اللوحات في بعض الدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الاسلامي فيما بعد، كما سيتم طباعة كتالوج للوحات الفائزة مع ترجمة مختصرة لحياة أصحابها يوزع على الفائزين والمتفوقين في المسابقة. وسترسل قيمة الجوائز الى أصحابها في وقت لاحق. ومن المعروف أن هذه المسابقة تجرى مرة كل ثلاث سنوات بشكل دوري.

الاسلام والقرن الحادي والعشرين

على أعتاب القرن الحادي والعشرين، قرن ثورة المعلومات والتقنية المذهلة؛ حيث أصبح العالم كله كالقرية الكونية الواحدة تتواصل فيها الثقافات وتتلاقح الحضارات. هل يستطيع المسلمون جميعا ـ في كل أنحاء العالم ـ أن يعيدوا النظر في مواقفهم ويبذلوا أقصى الجهد من أجل الوصول إلي مكان لائق بتاريخهم وحضارتهم على خريطة عالم القرن الحادي والعشرين أم أن المصير سيكون هو السقوط في زوايا النسيان والتخلف؟!!

حول طبيعة الدور الذي يجب أن يكون لعالمنا الاسلامي في القرن الحادي والعشرين كان الاجتماع للمؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الاسلامية على أرض الكنانة مصر.

ودعا المؤتمر المسلمين في كل أنحاء العالم إلى أن يتهيأوا وبكل القوة والعزم للقيام بمسؤولياتهم تجاه مصيرهم وتجاه مستقبل البشرية كلها في القرن الحادي والعشرين.

وحث المسلمين على أن يحسنوا التحدث باللغة الجديدة التي ستتخاطب بها الدول والشعوب وهي لغة العلم والتقنية والمعلومات والاتصالات حتى يصغي العالم إلى ما يقول المسلمون ويضع مصالحهم في مكان الرعاية والاعتبار.

بل وطالب المؤتمر المسلمين بأن ينبذوا خلافاتهم حول المسائل الهامشية وأن يركزوا اهتمامهم على وضع وتنفيذ خطط التنمية الشاملة من أجل الخروج من دوامة التخلف التى لا تزال تشد العالم الاسلامي إلى الوراء.

إذ لا يليق بأمة صاحبة حضارة عريقة أن تظل مشلولة الحركة مسلوبة الارادة لا تقوى على مواجهة التحديات والعالم من حولنا يسرع الخطى، فلن يكون للضعفاء والمتخاذلين أي مكان في ركب التقدم الحضاري بل وسيتجاوزهم الزمن وينساهم التاريخ.

نأمل أن تجد توصيات هذا المؤتمر تطبيقا فاعلا ليعود الى الأمة الاسلامية مكانتها التى قال عنها رب العزة سبحانه [كنتم خير أمة أخرجت للناس].

المسابقة الثامنة لنادي المنطقة الشرقية الأدبي

بمناسبة مرور مائة عام على فتح الرياض فقد رأت لجنة المسابقة أن يكون موضوعها حول هذه الذكرى العزيزة متجسدة في إبداعات أدبية تتناول الوطن ومنجزاته خلال هذه المسيرة المباركة.

مجالات المسابقات:

١ - **الشعر**: قصيدة تتناول توحيد المملكة العربية السعودية وجمع الشتات الذي قام به الملك عبد العزيز - يرحمه الله - وآثار هذا التوحيد على الوطن والمواطن.

٢ - **البحث**: يتناول جانباً من جوانب النهضة المباركة التي شهدتها المملكة في أي مجال من المجالات (الثقافية ، العلمية، الاجتماعية).

٣ - **القصة**: تتناول جانبا من المتغيرات الاجتماعية التي طرأت على المجتمع السعودي بعد توحيد المملكة العربية السعودية.

شروط المسابقة:

١ - **المسابقة مفتوحة للشباب والشابات من السعوديين وغيرهم من المقيمين في المملكة**، شريطة ألا يقل عمر المتسابق أو المتسابقة عن ثمانية عشر عاما، ولا يزيد على ثلاثين عاماً.

٢ - يشترط أن تكون الأعمال المقدمة مكتوبة باللغة العربية الفصحى، ولم يسبق نشرها، ولم يسبق فوزها في مسابقة أخرى.

٣ - لا يجوز للمتسابق أو المتسابقة أن يتقدم فى أكثر من مجال.

٤ - لا يجوز للمتسابق أو المتسابقة أن يتقدم بأكثر من عمل في المجال الواحد.

٥ - الأعمال التي ترد إلى النادي يجب أن تكون بخط واضح أو مطبوعة، وأن يرسل الأصل مع صورتين.

٦ - جميع الأعمال التي ترد إلى النادي لا تعاد إلى أصحابها سواء فازت أو لم تفز.

٧ - الأعمال الفائزة تصبح من حقوق النادي ولا يجوز نشرها لغيره.

٨ - تسلم الأعمال المقدمة للمسابقة إلى إدارة النادي مباشرة، أو ترسل إليه على صندوق البريد ٨٤٣٨ - الدمام الرمز البريدي ٣١٤٨٢ بعد أن يكتب الاسم والعنوان كاملا على الظرف كما يجب أن يكتب عليه عبارة (مسابقة نادي المنطقة الشرقية الأدبي الثامنة).

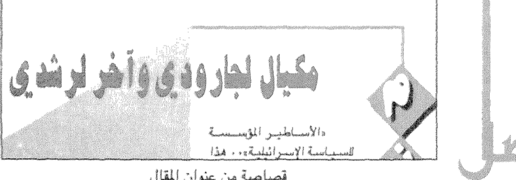
٩ - ترفق بالأعمال المقدمة للمسابقة صورة من البطاقة الشخصية أو الإقامة وشهادة الميلاد ولن ينظر إلى الأعمال التي لا ترفق بها صور هذه الوثائق.

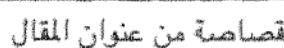
١٠ - آخر موعد لقبول الأعمال المقدمة **نهاية شهر رجب ١٤١٩هـ**، ولن ينظر إلى الأعمال التي تصل بعد هذا التاريخ.

جوائز المسابقة:

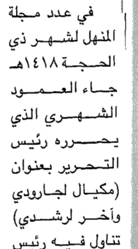
يخصص لكل مجال من مجالات المسابقة ثلاث جوائز على النحو التالي: (الجائزة الأولى ثلاثة آلاف ريال، الجائزة الثانية ألفان وخمسمائة ريال، الجائز الثالثة ألفا ريال).

تواصل





قصاصة من عنوان المقال



غلاف ذو الحجة ١٤١٨ هـ

في عدد مجلة المنهل لشهر ذي الحجة ١٤١٨هـ جاء العمود الشهري الذي يحرره رئيس التحرير بعنوان (مكيال لجارودي وآخر لرشدي) تناول فيه رئيس التحرير قضية الحكم المجحف الذي اوقعه القضاء الفرنسي على المفكر الاسلامي الأستاذ رجاء جارودي في كتابه الذي تناول فيه اكذوبة حرق اليهود، التى باتت (تجارة واستنزافاً وارهاباً) من قبل اليهود ودولتهم المزعومة اسرائيل ضد كل من يخالفهم الرأي.

وهذه الرسالة جاءتنا من مدريد، من قارئ كريم متواصل مع مجلته المنهل بتوقيع (أحمد).. ونحن نشكر للأستاذ أحمد هذا التواصل الطيب مع مجلته المنهل، ونشكر له ونقدر حميته وانفعاله لقضايا المسلمين، وهذا واجب المسلمين في كل بقاع الأرض.

ويسعدنا نشر رسالته بكاملها..

المنهل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى أصحابه وأتباعه الي يوم الدين.

أما بعد:

فقد قرأت مجلتكم الغراء وقرأت ما كتبه رئيس التحرير الموقر تحت عنوان (مكيال لجارودي وآخر لرشدي) وكان مقالا ممتعا وجيداً فقد أجاد وأفاض وأفاد، أجاد بأنه وضع النقاط على الحروف، وأفاض بأنه كتب مقالا كبيرا في مساحة صغيرة، وأفاد لأنه جاء في وقته، فليس عجباً أن يلقى جارودي مالاقاه من محاكمة في بلد مثل فرنسا والتي تمثل الكنيسة الكاثوليكية في العالم بأسره، فقد سمحت الكنيسة هذه لرئيس وزراء اسرائيل برفع العلم اليهودي في بلد متعصب مثل (بولندا) وخلفه ما يقرب من (١٠) آلاف يهودي من مختلف العالم للدعاية بتذكير العالم بذكرى (حرق اليهود) وبعد أن سمح البابا لليهود بدخول الفاتيكان وبعد أن طلب العفو من اليهود بسبب سماحه للنازيين الفارين من الحرب العالمية الثانية باللجوء الى الفاتيكان، وبعد التفاهم الذي حصل بين الكنيسة الكاثوليكية بقيادة بابا روما والكنيسة البروتستانتية بقيادة انجلترا وحليفتها الصهيونية فإن هذا التفاهم الثلاثي هدفه الأول هو القضاء على الاسلام والمسلمين في جميع أنحاء العالم ليس في فلسطين فقط، فقد حاول بابا روما بالتفاهم مع بابا الكنيسة الارثوذكسية للذهاب الى القدس للاحتفال بانتهاء الألفية الثانية لميلاد المسيح، وبعد رفض رئيس (الارثوذكسية) لذلك الطلب، تحول بابا روما الى التفاهم مع رئيس الكنيسة البروتستانتية وحليفتها الصهيونية، فكان جارودي ضحية هذا التفاهم وكان الكثير من المسلمين ضحية لهذا التفاهم، خذوا مثلا الكثير من الدول الاسلامية لا

يوجد فيها مسجد الا وأمامه كنيسة،إما كاثوليكية أو ابروتستانتية، زد على ذلك ان البابا الذي استطاع أن يقضي على الشيوعيين دون أن يطلق رصاصة واحدة (ويفخر كثيرا بذلك) فهو يتجه اليوم الى دول الاسلام في آسيا للوصول الى الصين، وهذا يعني أن على الكنيسة تنصير العالم كله وعليهم أن يعملوا على ذلك واتمام ما قام به كل من بطرس وبولس ويوحنا المعمدان، وقد استطاعوا تنصير الامريكتين رغم ما يوجد بينهما من خلاف حاد يعرف في الصحف الآن (بحرب الطوائف) والذي قل تأثيره في الآونة الأخيرة، وفي إفريقيا لا توجد كنيسة كاثوليكية إلا وأمامها كنيسة بروتستانتية، وخف الخلاف بينهما وزار الرئيس الامريكي إفريقيا وكانت أول مرة يزور فيها رئيس بروتستانتي دولا كانت تدين للكاثوليكية، واوروبا متنصرة وتدعم الكنيستين، بالرجال والمتطوعين، فمعظم رجال الكنيسة يخرجون بعد تعلمهم في مدارس دينية من اسبانيا ويذهبون الى امريكا اللاتينية وافريقيا لتتبع الاقليات المسلمة هناك ومحاصرتها إن لم يستطيعوا تنصيرها.. وقد عملت الكنيسة الكاثوليكية المستحيل لعدم كتابة مسجد أو حتى كلمة (محمد) على المركز الثقافي الاسلامي في مدريد، وكان لها ما ارادت، وبعد التفاهم الصليبي - الصليبي، فهم يقومون بحل مشكلة ايرلندا المستعصية والمتمثلة بحرب شرسة بين أبناء البلد الواحد وأبناء الديانتين، وحل مشكلة شمال اسبانيا التي تعاني نفس الحرب، وكل ذلك حصل منذ شهر أيلول من عام ١٩٩٧م وظهر لأول مرة في صحيفة (النيوزويك) بعد أن كانت الصحيفة قد طعنت البابا ونعتته بكل النعوت في نفس المجلة وفي نفس الشهر من عام ١٩٩٦م فكانت هناك ضحايا كثيرة، فمنذ وصول حزب الشعب الى الحكم في اسبانيا فهو يعمل على منح كثير من المغاربة (الجنسيات) أو الجنسية الاسبانية لسبب غير معروف ولكن على ما يبدو لعمل شيء ما في المستقبل ضد المغرب كما يحصل في الجزائر.

واهنيء السيد القاسمي على مقاله الممتع الجميل المنشور في نفس العدد .. جزاه الله خيرا على مقاله (مفهوم الموت) واخيرا وليس آخرا ارجو لكم التقدم والازدهار في مجلتكم من أجل خدمة المسلمين واظهار الحقيقة لما يخفيه الاعداء. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

توقيع/ اخوكم احمد - اسبانيا -

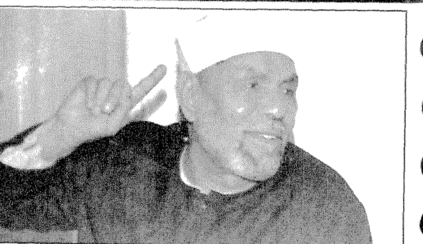
جائزة البابطين للابداع الشعري

جائزة عبد العزيز سعود البابطين منذ تأسيسها - وهي الآن في دورتها السادسة - توجهت نحو الابداع الشعري فقط لم تزد عليه، وتناولت فيه (ديوان الشعر - نقد الشعر - أفضل قصيدة - الابداع في الشعر» وأضافت الى ذلك محاولة كتابة الموسوعة الشعرية في العالم العربي، وهي محاولة لتدوين المختار من الابداع الشعري المعاصر.

وجاءت نتائج الجائزة لهذا العام كالتالي:

- جائزة الابداع في الشعر فاز بها الشاعر الفلسطيني سميح القاسم وقيمتها (٤٠ ألف دولار).
- جائزة نقد الشعر فاز بها الدكتور ادريس بالمليح من المغرب وقيمتها (٤٠ ألف دولار).
- جائزة أفضل ديوان فاز بها ديوانان، أحدهما (شيء يخص الروح) للشاعر السوري شوقي بغدادي، وثانيهما (ناي على أرواحنا) للشاعر الاردني محمد القيسي، وقيمة كل واحدة من الجائزتين (٢٠ ألف دولار).
- جائزة أفضل قصيدة فاز بها الشاعر السعودي جاسم محمد الصحيح وعنوان قصيدته الفائزة (عنترة في الأسر).

رحل الشعراوي إمام المفسرين في القرن العشرين



بعد حياة مليئة وزاخرة بالعطاء الفكري والدعوة الاسلامية، فجع العالم الاسلامي والعربي صبيحة يوم الأربعاء ١٤١٩/٣/٢٣هـ الموافق ١٧ يونيو ١٩٩٨م برحيل علم من أعلامه وجهبذ من جهابذة تفسير القرآن الكريم في القرن العشرين فضيلة الشيخ/ محمد متولي الشعراوي، الذي أثرى المكتبة الاسلامية بمئات من الكتب الدينية وخاصة في تفسير القرآن الكريم بالاضافة الى شرائط الفيديو والكاسيت المسجل عليها حلقاته التى ملأت الآفاق بخواطره القرآنية.

وقد عاش الشيخ الشعراوي حياته مثقلا بهموم المسلمين يجوب انحاء العالم داعية ومبشرا بالاسلام مجاهدا في سبيل نشره واعلاء كلمته.

كما كان ـ رحمه الله ـ يتسم بصفات العلماء الأجلاء الذين ينزلون بعلمهم الى مستوى العامة فكان يترفع عن التنافس المحموم على حطام الدنيا، ولا يتكبر على الناس لعلم أعطاه الله إياه أو لفضل خصّه الله به.

بل ولم تقتصر مجالسه القرآنية الشهيرة على عوام الناس بل كان المنصتون إلى علمه أكثرهم من الدرجات العلمية العليا يجلسون بين يديه وكأن على رؤوسهم الطير، ينهلون من معين حديثه الذي امتاز ببيان رفيع تتصاغر بجانبه أساليب الخطباء وأرباب الصنعة من أهل الكلام.

ولد الشيخ الشعراوي في ١٥ ابريل عام ١٩١١م بقرية دقادوس مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية بجمهورية مصر العربية.. والتحق بالتعليم الازهري وواصل دراسته فيه إلى أن حصل على شهادة العالمية في كلية اللغة العربية في عام ١٩٤١م، ثم حصل على شهادة العالمية مع اجازة التدريس في عام ١٩٤٣م..

وعمل مدرساً بمعهد طنطا الديني ثم انتقل إلى معهد الاسكندرية ثم إلى معهد الزقازيق الازهري.

وفي عام ١٩٥٠م أعير للعمل مدرسا بكلية الشريعة جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة.

ثم شغل مركز وزير الأوقاف المصرية في عام ١٩٧٦م إلى عام ١٩٧٨م ، ثم واصل الفقيد عطاءه في الدعوة الاسلامية واختارته رابطة العالم الاسلامي عضوا بالهيئة التأسيسية.

وفي العام ١٩٨٨م حصل فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي على جائزة الدولة التقديرية.

وإذا كانت الأمة العربية الاسلامية قد خسرت بفقدها علما من أعلام الحق فإن عزاءها فيه ما خلّفه من علم نافع وعمل صالح سيظل نبراسا تهتدي به الأجيال في أمتنا والعالم أجمع.

الامام الشيخ محمد متولي الشعراوي ـ أحسن الله اليه ـ جمع الله سبحانه وتعالي اليه قلوب ملايين المسلمين، وكما يقال فان الخلق شهود الحق.. وجلس في مجلس علمه كل طبقات المجتمع، من الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وحتى أستاذ الجامعة، وكل واحد من هؤلاء يجد بغيته في حديث الشيخ.. وجلس إليه الزاهد، العابد، يلتقط الاشراق والحكمة.

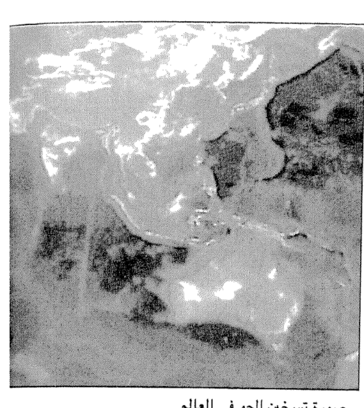
وسمعت إليه تلك التى تفرقت بها السبل تبتغي الهداية الى سبيل الحق سبحانه.

لقد كان الشيخ الشعراوي أنموذجاً جديداً، بل فريداً في بابه وعطائه، نسأل الله جلت قدرته أن يخلف علينا بمثله أو أحسن والله على كل شيء قدير.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

عواقب تغير المناخ


صورة تسخين الجو في العالم

إن تغير المناخ من المشكلات العالمية، كالفقر والنمو السكاني واستنزاف الموارد، التي تحتاج إلى اهتمام أكبر وتبحث عن حلول وايجاد طرق مناسبة للتأقلم مع التغيرات البيئية الناتجة عن تغير الظروف المناخية. وان اختلاف المناخ عبر العصور الماضية لدليل على استمرارية حدوث تلك التغيرات. فالظروف الجوية تتغير كل يوم حتى أنها أصبحت مألوفة لنا، ففي كل عام تتكرر ظروف الرطوبة والجفاف والبرد والحر في أقاليم العالم المتباينة. ولا يهتم الناس كثيراً بهذه التغيرات إلا إذا كانت شديدة التأثير كحدوث الفيضانات والأعاصير والعواصف الثلجية وموجات الحر والجفاف التي تسبب هلاك أعداد كبيرة من البشر.

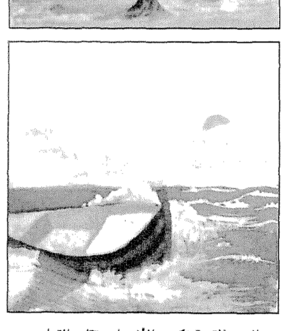
ولقد شهد عقد الثمانينيات وبداية التسعينيات من هذا القرن ارتفاعاً ملموساً في معدل درجة حرارة الأرض، حيث حدثت فيها سبع سنوات من الثمان سنوات الأكثر دفئاً في المائة سنة الأخيرة، وربما يكون ذلك مؤشراً على ارتفاع معدل درجة حرارة الأرض وبرهاناً يدعم نظرية تسخين الأرض Global Warming

ويتفق العلماء على أن ظاهرة البيت الزجاجي (الدفيئة) Greenhouse تسبب ارتفاع معدل درجة حرارة الأرض. وهي ظاهرة طبيعية تمنع تطرف درجة حرارة الأرض وتبقيها حول معدلها (١٥°م). ولكن النشاطات البشرية الكثيرة سببت ازدياد تركيز غازات البيت الزجاجي (مثل ثاني أكسيد الكربون والأوزون والميثان وأكسيد النيتروز ومركب CFCs)

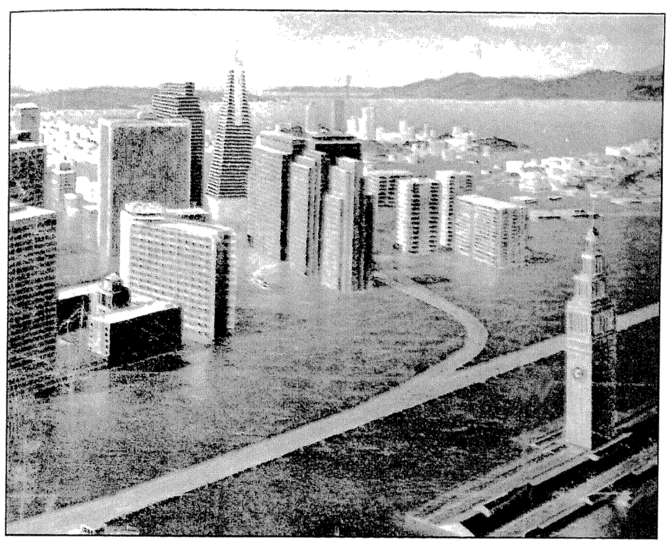
بقلم : د. على أحمد غانم
الجامعة الاردنية ـ عمّان

التي تزيد من فعالية ونشاط تلك الظاهرة فتسبب تسخين سطح الأرض عن طريق التقليل من تسرب الطاقة إلى الفضاء. وتشير الدراسات إلى ارتفاع معدل درجة حرارة الأرض بحوالي ٣ر٠ - ٦ر٠°م خلال المائة سنة الأخيرة. وانه من المتوقع أن تسخن الأرض بأكثر من ٢°م خلال القرن القادم إذا بقيت معدلات تلويث الجو على ما هي عليه في الوقت الحاضر. ويتفق أيضاً على أن المصدر الرئيسي للتلوث الجوي هو من الدول الصناعية المتقدمة، ولذلك يقع عليها العبء الأكبر في ايجاد الطرق المناسبة لوقف التلوث والحفاظ على البيئة سليمة للأجيال القادمة.

ويقوم العلماء بدراسة التغيرات المناخية وعواقبها عن طريق نمذجة المناخ، أي تمثيل مناخ الأرض بمعادلات رياضية ومن ثم تستخدم للتنبؤ بالظروف المناخية المتوقع حدوثها في المستقبل.



الريح القوية تكسر الأشجار وتقلب القوارب


صورة خيالية تمثل تأثير ارتفاع منسوب البحر في مدينة سان فرانسيسكو

ووجد أن تغير المناخ الناتج عن تسخين الأرض سيؤدي إلى حدوث عواقب سلبية كثيرة تختلف في شدة تأثيرها وطبيعتها من اقليم لآخر. ولابد من الإشارة إلى صعوبة دراسة تأثير المناخ في مجالات الحياة المختلفة لأن العوامل المؤثرة كثيرة ومتداخلة، وأن أي نتائج احصائية دقيقة تحتاج لدراسات منظمة ومعلومات عالمية دقيقة غالباً لا تكون متوفرة. وسيكون التركيز في هذا المقال ليس على التغيرات المناخية ذاتها، بل على عواقبها المتوقعة على مجالات الحياة الطبيعية والبشرية المختلفة كارتفاع مستوى البحر والزراعة وتوفر الماء والغذاء والبيئة الطبيعية وصحة الإنسان، وبمعرفة ظروف البيئة المستقبلية نحصل على فرصة ثمينة للتخطيط واتخاذ بعض الإجراءات الضرورية للتكيف مع تلك الظروف قدر الإمكان.

إن تسخين الأرض الناتج عن ارتفاع الحرارة سيؤدي إلى ارتفاع مستوى البحر بسبب ذوبان جزء من الجليد المتراكم في العروض العليا. فارتفاع وانخفاض مستوى البحر يعتمد بالدرجة الأولى على تراكم أو ذوبان جليد المناطق القطبية. فلقد تغير

مستوى البحر في الماضي، فارتفع بحوالي ٤ ـ ٦ أمتار خلال الفترة الدفيئة التي سبقت العصر الجليدي الأخير، بينما انخفض بحوالي ١٠٠ متر في أوج تراكم الجليد في ذلك العصر قبل حوالي ١٨ ألف سنة. ولابد من الإشارة إلى أنه توجد عوامل أخرى تؤثر على مستوى البحر كهبوط الأرض والتمدد الحراري لمياه البحار والمحيطات.

ويقدر العلماء أن مستوى البحر سيرتفع بحوالي المترين في أواخر القرن القادم. وقد يبدو ذلك ذو أهمية بسيطة، ولكن سيكون له تأثير كبير على الحياة وبشكل خاص في المناطق المنخفضة كالسواحل والدالات والجزر الصغيرة مسبباً غرق مساحات كبيرة من أراضي بعض الدول في جنوب وشرق أسيا وافريقيا وهولندا وجزر المالديف وجزر مارشال وغيرها.

وسيكون التأثير كبيراً في بنغلادش التي يقع حوالي ٧٪ من أراضيها ضمن دالات أنهار براهما بوترا والكانج ومغنا التي لا يزيد ارتفاعها عن المتر، وأن ٢٥٪ منها يقل ارتفاعها عن ثلاثة أمتار فوق مستوى البحر. لذلك فإن ارتفاع مستوى البحر بمقدار مترين سيغرق كثيراً من الأراضي الزراعية في بلد يعتمد نصف اقتصاده على الزراعة التي يعمل فيها ٨٥٪ من السكان. وسيؤدي ذلك إلى انخفاض الانتاجية الزراعية بسبب دخول مياه البحر المالحة لمسافة تصل إلى ٣٠٠ كم في بعض المناطق مؤثرة على المياه الجوفية العذبة التي تستخدم لري المزروعات.

وكذلك فإن أكثر من ١٢٪ من أراضي دلتا النيل ستعاني من نفس المشكلة لأنها ستغرق بمياه البحر. وستتعرض أراضي جمهورية المالديف المكونة من ١١٩٠ جزيرة صغيرة للغرق، حيث لا يزيد ارتفاع معظم أراضيها عن المترين. وكذلك مساحات واسعة من المناطق الساحلية المنخفضة في هولندا التي يقع حوالي نصف أراضيها تحت مستوى البحر الحالي، وهي الآن محمية بالسدود الرملية التي شيدها الإنسان بطول ٤٠٠ كم.

وإن جزءاً كبيراً من الأراضي الطبيعية المبتلة Wet Lands التي تقدر مساحتها بحوالي المليون كيلومتر مربع ستتعرض للغرق تحت مياه البحر. وهي أراض هامة جداً للحياة النباتية والحيوانية الطبيعية، حيث أن انتاجها الحيوي يفوق أي انتاجية زراعية طبيعية في العالم. وتعتمد عليها الطيور والحيوانات البرية وكذلك الإنسان في صيد الأسماك.

ولتغير المناخ الناتج عن ازدياد تركيز الملوثات الجوية وقطع النبات تأثير كبير على كميات الأمطار ومن ثم على مصادر المياه العذبة الضرورية لجميع أشكال الحياة. فتكثر أنواع النباتات والحيوانات في المناطق الرطبة وتقل في المناطق الجافة وشبه الجافة، وكذلك فإن الإنسان يحتاج للمياه العذبة، حيث يستخدم أغلبها حوالي ٦٥٪ في ري المزروعات و٢٥٪ في الصناعة والباقي لاستخداماته الشخصية للشرب والنظافة ويختلف مقدار توفر المياه من دولة إلى أخرى فالسكان في بعض المناطق يحتاجون لسير ساعات للحصول على كمية قليلة من الماء، بينما في الدول المتقدمة تصل كميات غير محدودة

إلى داخل المنازل عبر أنابيب المياه.

وتشير الدراسات إلى أن تسخين الأرض وتغير المناخ سيؤثر على الأمطار، حيث ستزيد في بعض المناطق كالاستوائية والموسمية وتقل في مناطق أخرى كالصحاري والمناطق القارية مما يزيد من مشكلة التصحر والجفاف. وسيكون لقلة الأمطار أثر كبير على وفرة المياه العذبة، مما يخلق مشكلات دولية كثيرة خاصة في المناطق التي تشترك فيها عدة دول في مصادر المياه. ويقدر أن حوالي ٨٠٪ من أراضي ٤٤ دولة تقع ضمن أحواض دولية، مثل أحواض أنهار الدانوب (١٢ دولة) والنيل (٩ دول) والكانج (٥ دول) وكذلك في الدول التي تعاني من مشاكل مائية في الوقت الحاضر وتعتمد على أنهار دولية كنهري الفرات والأردن.

وإن قطع الغابات والأعشاب يسهم في انخفاض كمية الأمطار بسبب تناقص عملية النتح واختلاف خشونة السطح وتغير معامل انعكاس الأشعة الشمسية (الالبيدو). وأظهرت بعض الدراسات أن الأمطار ستقل بحوالي ١٥٪ في حالة ازالة الغابات الواقعة إلى الجنوب من خط عرض ٣٠° جنوباً في أمريكا الجنوبية، وستقل بحوالي ٧٠٪ إذا أزيلت غابات الأمازون. وهذا أيضاً ينطبق على المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية التي تعاني من التصحر الناتج عن القطع المتواصل للأعشاب.

ويهتم كل مزارع بالظروف المناخية لاهميتها في زراعة المحاصيل وتربية الحيوانات، فتغير الحرارة أو الأمطار يؤدي إلى تغير أنواع المحاصيل التي تزرع في منطقة ما. فنجاح الزراعة أمر يهم الناس جميعاً لأنهم بحاجة إلى زيادة الانتاج الزراعي لتغذية العدد المتزايد لسكان العالم، فتغير المناخ بتسخين الأرض سيؤدي إلى حدوث نقص في الانتاجية الزراعية في المناطق الجافة وشبه الجافة وفي الدول النامية، وسيزداد اعتمادها في توفير الغذاء على الدول المتقدمة التي ستزداد فيها الانتاجية بسبب مقدرتها العلمية والمادية على التكيف مع الظروف البيئية المتغيرة، وذلك عن طريق تحسين أو اختيار أنواع المحاصيل الزراعية لتلائم الظروف المتوقعة.

فنجاح التنبؤات المناخية أمر مهم جداً للزراعة. ومن الأمثلة على ذلك معاناة مزارعي البيرو من ظاهرة النينو التي تجلب كميات كبيرة من الأمطار لمناطق الساحل الغربي لامريكا الجنوبية. ومنذ أن بدأ مزارعو البيرو بالاعتماد على التنبؤ بظاهرة النينو ازدادت الانتاجية بأكثر من ٣٪ كما حدث في السنوات التي تلت النينو ١٩٨٧/٨٦، وذلك بسبب تغير نوع المحاصيل الزراعية لتلائم الظروف الجوية المتوقعة.

ولا يوجد دلائل على أن تغير المناخ سيسبب نقصاً في الغذاء لأن انتاجية الدول الكبرى ستسد احتياجات الدول الأخرى. ولكن نقص الانتاجية الزراعية في الدول النامية والصحراوية سيؤدي إلى ازدياد هجرة السكان إلى المدن، حيث تترك الأراضي الزراعية التي قلت فيها الانتاجية. لذلك هناك فرصة كبيرة لزيادة الانتاجية في الدول النامية عن طريق تطوير الأساليب الزراعية التي مازالت قريبة من الطرق البدائية في كثير من تلك الدول.

أما النباتات والحيوانات فإنها ستتأثر بتغير

البيئة الطبيعية. فهي حساسة للعوامل المناخية ونوع التربة وتوفر المياه، وتختلف حساسيتها لتغير المناخ، ولكنها جميعاً ستعاني من ازدياد انتشار الأمراض والحشرات الضارة. فقد يؤدي تغير المناخ إلى انقراض بعض أنواع النباتات والحيوانات. فالأشجار مثلا تعيش لمدة طويلة، ولعدم قدرتها على الاستجابة السريعة لتغير المناخ فإنها ستكون الأكثر تأثراً. وإن سوء حالة الغابات يلاقي اهتماماً كبيراً في الوقت الحاضر وخاصة في أوروبا وأمريكا الشمالية. ووجد أن سبب تدهور النبات ليس فقط الأمطار الحمضية الناتجة عن التلوث الجوي، بل أيضاً بسبب تغير المناخ الذي يلعب دوراً هاماً في تدهور النبات وخاصة عند تتابع فصول الشتاء الدافئة والصيف الجافة. ومهما كان السبب فإن ضعف حالة النبات تفشل مقدرته على التأقلم مع الظروف البيئية المتوقعة، لذلك فإن تغير المناخ سيزيد من تدهور الحياة النباتية ومن ثم الحيوانية نتيجة لتدهور البيئة الطبيعية.

وإن جودة البيئة الطبيعية تؤثر على صحة الإنسان. فالعوامل التي تؤدي إلى تدهور البيئة والانتاجية الزراعية وتوفر المياه ستؤدي إلى ضعف في الحالة الصحية للناس. فالتلوث الجوي والمائي والتربة الفقيرة كلها خطر على صحة الإنسان لأنها تساعد على انتشار الأمراض. وذلك لأن كثيراً من الحشرات الحاملة للأمراض تنشط وتزدهر أوقات الحر والرطوبة. لذلك فإن الأمراض المحصورة الان في الأقاليم المدارية كالملاريا والحمى الصفراء وغيرها ستنتشر فى مناطق العروض الوسطى المعتدلة بسبب ارتفاع حرارتها المتوقع.

وبارتفاع حرارة الأرض سيزداد انتشار وتكرار موجات الحر، وأظهرت الدراسات ازدياد عدد الموتى خاصة من كبار السن خلال أيام موجات الحر الشديد. ومن المتوقع أيضاً ازدياد احتمال تعرض مناطق جنوب آسيا إلى عدد أكبر من الأعاصير المدمرة، كإعصار نيسان ١٩٩٤ الذي أدى إلى مقتل أكثر من مائة ألف نسمة في بنغلادش.

فالحفاظ على البيئة والمقدرة على التأقلم مع الظروف المناخية المتغيرة وتخفيف عواقب تغير المناخ هي من مسؤولية الجميع، ابتداء من الأفراد والعلماء والاقتصاديين والسياسيين إلى الحكومات وخاصة من الدول الكبرى والغنية، فإن مشاريع تخفيف الأضرار مكلفة ولا تستطيع معظم الدول توفيرها، فلابد من وجود تعاون دولي للحفاظ على البيئة.

ومن الطرق المقترحة مثلا:

١ ـ انشاء سدود تحمي المناطق المنخفضة من ارتفاع مستوى مياه البحار.

٢ ـ استخدام طرق حديثة في ري المزروعات بهدف تقليل المياه المستخدمة في الري.

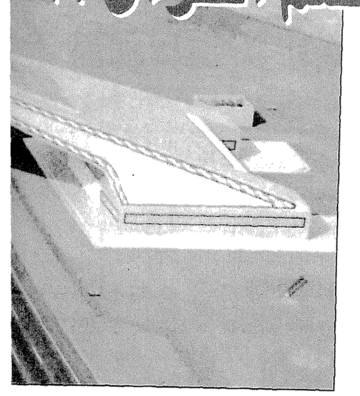
٣ ـ تطوير وصيانة أنابيب المياه.

٤ ـ توفير في المياه المستخدمة في الصناعة.

٥ ـ مكافحة التلوث الجوي وانتشار الغازات الضارة.

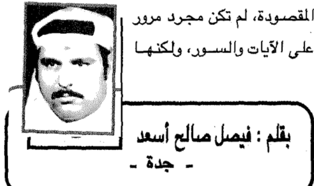
٦ ـ تطوير الطرق الزراعية في الدول النامية والمناطق شبه الصحراوية.

كيف نقرأ ونفهم القرآن ؟!

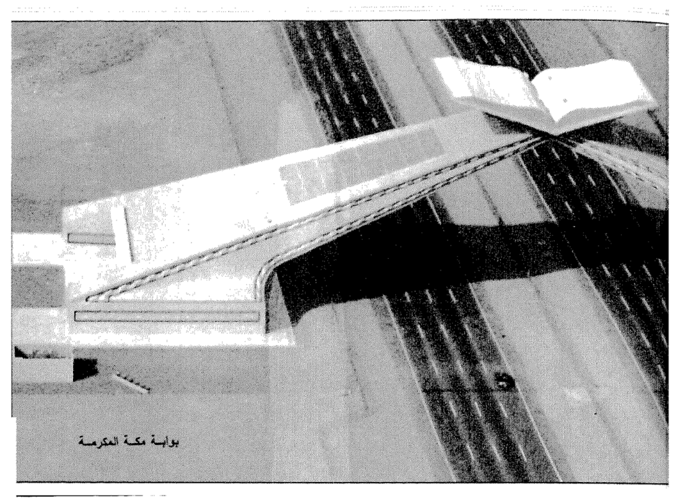


ربما كان هذا العنوان غريباً على كثير من الناس، وبخاصة من أخذ منهم بقسط وافر من العلم، ونصيب لا بأس به من المعرفة، وربما قال قائل من هؤلاء وهؤلاء: وهل هو إلا كتاب ككل كتاب، تتألف سطوره من حروف وكلمات من لغتنا هذه، ونحن نكتب بها، ونتعامل معها، وهو كما يقول سبحانه: {بلسان عربي مبين}، أو كما يقول: {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكّر} لا يحتاج من القارىء إلا أن يساعده اللسان على النطق الذي منحه الله إياه، وعوّده عليه، وقاوم به محنة البكم والخرس الذى ابتلى به غيره والعياذ بالله، ونحن نبادر بالإعلان عما نقصد إليه من تلك القراءة، وهي من غير شك تحتاج إلى اهتمام خاص، وعناية خاصة، ونطق ليس ككل النطق الذى يصدر عن عامة الناس.

وقد اصطلح علماء الشريعة الإسلامية على قواعد ومواصفات لابد من مراعاتها في النطق بالحروف من حيث المد والقصر، والإظهار والإخفاء، ومن حيث الغُنّة وعدمها، وهكذا فيما سموه تجويد القرآن الكريم، وقال فيه النبي {صلى الله عليه وسلم} (من لم يجوّد القرآن فهو آثم)، ومما لا يماري فيه أحد أنه {صلى الله عليه وسلم} مع كونه أفصح العرب بيانا، وأقومهم لساناً، تلقى قراءته عن جبريل عليه السلام الذى كان ينقطع له في رمضان - من السَّنة إلى السَّنة - ليسمع له، أو ليتلو عليه وهذا كان درساً له لابد منه - ومن ثقافتنا التى حصلنا عليها من الكتب التى بين أيدينا يصادفنا في التوصية بهذه القراءة، والحث عليها، أو الترغيب فيها، أكثر من آية في كتاب الله، وأكثر من حديث نبوي في سنته {صلى الله عليه وسلم} وهى ترينا أن هذه القراءة المقصودة، لم تكن مجرد مرور على الآيات والسور، ولكنها



بقلم : فيصل صالح أسعد
- جدة -


بوابة مكة المكرمة

تلك القراءة المصحوبة بالتأمل والانتباه، والنظر والفهم، مع تعلق القلب، وارتباط الفكر، وميل الطبع، وشغف العاطفة، وهيام النفس، وكأنما هي تلك التي يريدها أبو حمزة الخارجي في وصفه لأصحابه، إذ يقول: (منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مرّ أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها، وإذا مرّ بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه).

ومن قوله جل جلاله: {**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به**} وقوله: {**إن الذين يتلون كتاب الله**} وقوله: {**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مُكْث**} يمكن أن ندرك الملامح البارزة لهذه القراءة، التي يجب أن تتوفر للقاريء الذي ينأى عن المؤاخذة، أو الذي يريد أن تكون قراءته مناجاة لله، ينعم فيها بلذة القرب والعبادة دون أن يكون هنالك خلل ولا سوء أدب في تلك المناجاة، وهذه الملامح أو الخطط يعلنها قوله سبحانه: {**حق تلاوته**} وقوله {**يؤمنون به**} وقوله: {**على مكث**} وهي كما ترى ملامح تتطلب الإيمان والخشوع، وفراغ البال، وإقبال القلب، والإنقطاع كل الإنقطاع عن الشواغل، التي تزدحم بالهواجس، وتمتليء بالوساوس وتجعل القاريء في واد غير ذي زرع.

ومن هذه الكلمات الثلاث التي اقتطفناها من الآيات نرى:

أولا: أن تكون القراءة تلاوة، والتلاوة مأخوذة من قولهم: تلا فلان فلاناً إذا جاء بعده بوقت، ولا يتأتى ذلك في النطق إلا إذا كان على مهل ليأخذ كل حرف من الحروف حظه من الصوت الذي يليق به، ترقيقا

أو تفخيماً، وإظهاراً أو إخفاء، وهمساً أو جهراً، وهكذا كما يقول هذا العلم الخاص بذلك.

ثانيا: أن يكون هذا القارىء ممن تمتلىء نفوسهم بالإيمان به، والإكبار له، والإقبال عليه، والرغبة فيه وهذا هو الذي تهدف إليه كلمة «يؤمنون به» لأن الذى يساق سوقاً إلى القراءة، وهو غير متحفز إليها، ولا مقبل عليها، لا تكون قراءته بفهم، ولا تلاوته بوعي، ولا انقطاعه لها عائد بجدوى، وإنما هي ضياع للوقت، وضرب من العبث الذى لا يستجيب له إلا صغار الأحلام، ولهذا الغرض يوصي أهل الفقه والعلم ألا يكون المستمع لكتاب الله على صورة المستمع وكفى، بل لابد أن يكون مع الإصغاء تأمل، ومع السمع تدبر، ومع توجيه النفس ارتباط، {**وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا**}، فلا يكتفى الإنسان بامتلاء الآذان بالصوت، ومنع اللسان عن اللغو، وكف الجوارح عن الحركة، ما لم يكن مع هذا وهذا الإمعان في الإصغاء، والإغراق في التأمل، والمبالغة في التفرغ، ونراه سبحانه وتعالى ينعي على هؤلاء المنصرفين عنه أشد النعي، ويوبخهم أعنف التوبيخ، وهو يقول جل شأنه: {**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**}، ويؤدبنا {صلى الله عليه وسلم} بهذا الأدب، ويرشدنا إلى هذا المعنى وهو يقول: {اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فيه فقوموا عنه}. وقد ورد عنه أيضا ما يفيد أن أولئك الذين كانوا يقرأون تلك القراءة وهي لا تتجاوز حناجرهم، ولا تلامس ضمائرهم، ولا تصادف هوى صادقا، ولا قلباً خافقا، ملعونون من القرآن الكريم، وما أظن أن تكون هذه اللعنة إلا لرجل بلغ به هذا الإستهتار حد العبث بكتاب الله، وهو لم يتأدب بأدبه، ولم يستحضر له مهابته، ولم يوفر له احترامه، ولم يوفه حقه من النطق اللائق به، ولم يعطه من الإقبال والتفرغ ما ينبىء عن كونه موصولا به.

ثالثا: أن يكون ذلك على مكث «لتقرأه على الناس على مكث»، والمكث في اللغة أكثر من التمهل، وأعمق من التؤدة، وأبلغ من التريث ومنه يتبين أن التوانى الذى تتطلبه هذه القراءة، والأناة الواجب ملاحظتها، ليست ليأخذ النطق حقه وكفى، ولا لإخراج الحروف من مخارجها فحسب، فإن هذه من الأمور البديهية التي يحسب حسابها، ويراعى توفرها، أو باستيفاء الحروف حقها من التجويد، ولا أن يكون بتلوين الصوت باللون المناسب، وإنما هو مع ذلك كله باستحضار روعة المعنى، وربطه بما يؤازره من سابق أو لاحق، ويؤلف وإياه أسرة متينة البنيان، ثابتة الأركان، تعطي في إطارها من التناسق والإتصال، والتعانق والارتباط، ما لهذا الكلام من إعجاز أبدعت فيه قدرة اللطيف الخبير، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما رجلا يبالغ في عبادته ونسكه، ويتجاوز الطاقة في العبادة والطاعة، ومما عرف عنه أنه كان يقرأ القرآن كله في ليلة واحدة، ولما علم عنه ذلك النبى {صلى الله عليه وسلم} لم يقره عليه، وأمره أن يتم قراءته كل شهر، ولما راجعه عبد الله وقال له: ولكننى أطيق يارسول الله، قال له الرسول: اقرأه كل سبع ليال مرة، ففعل، إلا أنه بعد أن تقدمت به السن، ولم تسعفه القوة، ندم على أنه لم يقبل تلك الرخصة التى أرشده إليها رسول الله



{صلى الله عليه وسلم}، ولم يمت حتى كان يعلن هذا الحديث الذى رواه عنه أبو داود وابن ماجه والترمذي: (لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث).

وقد يكون من المستحسن- وقد تناثر بنا حديث القراءة إلى هذا المدى - أن نعرض



فقط: النطق الصحيح، وسلطان المعنى.

وكثيراً ما نسمع قارئا لم يتوفر له جمال الصوت، ولا حسن النغم، في حين أنه يتوفر له نور القلب، وإخلاص النية، وفيض الإيمان، وقوة اليقين، وصحة التجويد،

لتلك القراءة التى يملأها أصحابها بالنغم، ويشحنها ذووها بالتلحين، ويثقلها أهلها بما يكون فيها من الموسيقى، وأن نذكر نصيبها من الحل والحرمة، وحظها من اللياقة والأدب، وأكبر الظن أن القارىء الذى يلتزم بحقوق الحروف التى نص عليها علم التجويد، لا يلومه أحد على ذلك بحال من الأحوال، والجمال هنالك لسحر القرآن لا لصوت القارىء، ولا يتصور إنسان أن يكون هذا الحسن لصوت المغنى أو المرجع، إنما هو في الواقع راجع الى أمرين اثنين

وروعة الأداء، فإذا هو يملك علينا جوانب الشعور، وهواتف العقل، ويروح بنا إلى ملكوت واسع من السماوات والأرض، وعلى هذا فإن القراءة الممقوتة هى تلك التى تخرج عن حدود الأدب لذلك الكتاب الذى هو عزيز علينا وعلى الناس، حين لا يوفيها نصيبها من النطق الصحيح، أو يتجاوز ما يجب أن يكون، وهو يمضغ ما ينطق به، أو يخطف الحروف، أو يخلط المخارج، أو يتخنث في الصوت ، فإنه يتعرض لسخط الله، وعليه الوزر من غير شك،

والصوت الجميل، والإيقاع الحلو، والتطريب الحسن، لا تزيد شيئا عن هذا الذى يكون في الأذان للصلاة الذى يرى الشارع أن يكون من إنسان مديد الصوت، ندي الجرس، عذب المخارج، جهير النطق، رطب الحلق، كما كان بلال بن رباح الذى كان النبي {صلى الله عليه وسلم} يحب أن يسمع أذانه. ولقد كان رسول الله داود عليه السلام صاحب صوت حسن، وكان حظه كله وسعادته التى أنعم الله بها عليه، لا يراها في شيء وراء تلاوته لذلك الكتاب الذى أنزله الله عليه، وكان لصوته الندى، وقراءته الرتيبة، الفضل كل الفضل في امتداد دعوته، ونجاح رسالته، واستجابة قومه له، والفطرة السليمة من شأنها أن تميل إلى الصوت الجميل، وتصغي إلى النغم الحسن.

والدين لا يحارب الطباع، ولا يجافي الغرائز، وهذا هو أبو هريرة رضي الله عنه يقول: (ما أذن الله لشيء كما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن ويجهر به) وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «زينوا القرآن بأصواتكم».

ولعل المعنى على القلب - كما يقولون - فإن القرآن كامل الزينة، تام الروعة، خلاب النغم، جميل الإيقاع، يخاطب أوتار القلوب، والفضل إنما يعود لصوته هو الذى يخلعه على القارئ من فيضه، ويسكبه عليه من مائه، ويعود عليه به مما أودعه الله فيه من بهجة وجلال، ويمن وبركة، وخير وبر، وليس ذلك غريبا إذا علمنا أن علماء الأصوات الذين عنوا بدراسته من الناحية الصوتية أدهشهم ذلك التنسيق في الحروف الذى جعل النغم فيها غير ناب ولا قلق، ولكنه يجعله متشابكا تشابكا عظيما يبعث على الغرابة، ويحمل على الإجلال والتقدير.. ولابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار) كلام ينال به من هؤلاء الذين يقرأونه للدنيا، أو لطلب ما عند الناس، والذين لم يكفهم من ابتذاله والارتزاق به هذا الحد المزرى الذى وصلوا إليه، حتى راحوا يجيئون في القراءة بوجوه غير مألوفة ولا معروفة، إظهاراً للبراعة، وإعلانا عن المقدرة، والعلماء يقولون بكراهية ذلك، وقد رأيته كذلك في كتابه (مشكل القرآن) يقول: فإن قال قائل: فهل يجوز لنا أن نقرأ بجميع الوجوه، قيل له: كل ما كان منها موافقا لمصحفنا، غير خارج عن رسم كتابته، جاز لنا أن نقرأ به، وليس لنا ذلك فيما خالفه، لأن المتقدمين من الصحابة والتابعين قرأوا بلغاتهم، وجروا على عاداتهم. فكان ذلك جائزا لهم، ولقوم من القراء بعدهم مأمونين على التنزيل، عارفين بالتأويل، أما نحن معشر المتكلفين فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف لنا على مصحف واحد هو آخر العرض، وليس لنا أن نعدوه، ولو جاز لنا أن نقرأ بخلاف ما ثبت في مصحفنا لجاز أن نكتبه على الاختلاف، والزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير، وهناك يقع ما كرهه لنا الأئمة الموفقون رحمة الله عليهم أجمعين.

وبقي أن نتحدث عن الشق الثاني من العنوان وهو فهم القرآن، أو كيف نفهم القرآن، وكثير من الناس يسألون عن تفسير القرآن، وكيف يفهمونه، أو كيف يتسنى لهم ذلك، والكتب التى تعرضت له - مع كثرتها - قد اختلفت منازعها، بين الطول والقصر، والتفسير بالمأثور، والتفسير بالرأى، والاهتمام بآيات



الأحكام، أو القصص والأخبار، وهكذا كان هذا الاختلاف، وذلك التضارب. والذى يهتم بالقرآن، إما رجل درس دراسة جامعية، أو أقل من ذلك، والذى تعلم تعليما عاليا أو جامعيا، لا يعنينا أمره في قليل ولا كثير، لأنه يستطيع أن يختار لنفسه الكتاب والأسلوب دون وصاية عليه، أو توجيه له، وأمامه من القديم: تفاسير الفخر الرازي والألوسي والكشاف والقرطبي وابن كثير وغيرها مما لا عداد له، ومن الحديث: (الشيوخ الأجلاء الشعراوي، والطنطاوي، وسيد قطب أو الشيخ شلتوت والمراغي والشيخ الغزالي والشيخ مخلوف ومجمع البحوث والمجلس الإسلامي التابع لوزارة الأوقاف المصرية، وإن كانوا جميعا يمتحون من قليب واحد، وينهلون من معين فيّاض.

والنبي [صلى الله عليه وسلم] قد علمنا أن تكون قراءة القرآن مع فراغ البال، واستعداد النفس، وخلو الذهن من الشواغل، ولا يمكن لقارىء يرتبط بالقرآن وهو على هذه الحال أن يعود من قراءته بخفي حنين - كما يقولون - وكثيرا ما يتأكد هذا المعنى للقارىء الذى يقرأ القرآن في خلوة من الضوضاء، وصخب الحياة، وهموم الدنيا، ومتاعب العيش، وهنالك تخطر له المعانى الحلوة، والأفكار الجديدة، التى لا يجدها في الكتب المتداولة، وحين يتلقاها بالرضا والارتياح، لا يسعه إلا أن يقول: هذا من فضل الله عليّ وعلى الناس، وبركة القرآن الذى جعله الله وسام شرف لهذه البشرية التى آمنت به، واستجابت لدعوته، وكانت به خير أمة أخرجت للناس، وكأننا وقد تعودنا دائما أن نقول القرآن الكريم ناعتين له بالكريم إنما نعنى هذه الناحية المباركة، الفياضة بالخير، الباذلة للعطاء، وهى تجود بلا منّ، وتسخو بلا انقطاع، وتعطي من غير بُخل، وما عاد أحد منه صفر اليدين إلا أن يكون من هؤلاء الذين يقرأون وهم منصرفون، ويتلون وهم غافلون.

والمولى سبحانه وتعالى وقد أخبر أنه يسَّره للذكر، يدل بذلك على أن القارىء سيعود بفائدة لا محالة، وفي ألفاظه مجردة عن المعنى الذى سيقت له، والغرض الذى تهدف إليه، تقويم اللسان على النطق، ومران له على الإعراب، إلى جانب العظة الخاطفة، والأدب العارض والهداية المتاحة، على أن يسَّره للذكر، بمعنى التلاوة له، والنطق به، ويسر الاسترسال معه، موجود كذلك من غير شك، وبخاصة في أول أمره على من كان بلسانهم، وعلى نمط بيانهم، ولو كان بغير لسانهم وعلى غير طريقة بيانهم، لبعدت المسافة بينهم وبينه، وحيل بينهم وبين ما يشتهون، ومجيئه بلسانهم هكذا رفع عنهم كثيرا من المعاناة والمشقة في الفهم وفي النطق كذلك، ويتأكد ذلك كل التأكيد لمن يشاهد ناطقا بالانجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية وهو ينتزع الألفاظ من أعصابه ويقتلعها بأنيابه، ويستجمع قواه ليعلن ما في نفسه، لكن هذه العربية يتحدث بها المتحدث - وفي القرآن بالذات - كأنما يضرب على وتر، أو يحرك أصابعه على آلة عزف - وبهذا كله يظهر معنى الامتنان في الآية **{ولقد يسرْنا القرآن للذكر}**، وإن كانت القراءة في ذاتها ليست غرضا، إنما الغرض من الارتباط به، أو التلاوة له، ما يكون فيه من فقه وعلم، أو وعى وإدراك، ويدلنا على ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قد أمره الله أن تكون قراءته له على مكث، وأن تكون ترتيلا، وكانت أكثر ما كانت بالليل الذى

هو وقت التجلي والإلهام: {**ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً**}، وكل هذا يدل على أن المراد المبنى لا المعنى.

ولعل في هذا الذى قدمناه ما يعطي - الخطوة الأولى - لمن يريد أن يرتبط بالقرآن، ليأخذ منه، أو لينتفع به، وبعد ذلك وذلك خطوات أخرى في مقدمتها أن يكون ملماً إلماماً لا بأس به بالقصص الذى جاء فيه عن الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، كأصحاب الجنتين، وأصحاب الأخدود، وأهل الكهف، وغزوات الرسول {صلى الله عليه وسلم} وأحداثه في بيته ومع زوجاته، فإن ذلك كله يحتل حيزا كبيرا من القرآن، والمسلم إذا أحاط بهذه كلها ووعاها، كان ميسوراً له إلى حد ما أن يفهم المعنى المراد، وقد تكون الغزوة من سورة كتبوك في التوبة، وبدر في الأنفال، والخندق في الأحزاب، أما قصص الأنبياء والرسل فمبثوث في أكثر السور.

وعلى الرغم من أن القرآن بلسان عربي مبين، وأنه نزل على العرب الذين كانوا أدرى بلسانه وبيانه، فإنه كان يتفاوت في فهمه لديهم، وكان دائما أبداً فيما بينهم يشبه الأستاذ الكبير من تلاميذه، وهم في حاجة إلى الأخذ منه، والاستعانة به، لأن البون لا يزال بعيدا بينهم وبينه، وهم يشعرون بضرورة المزيد من علمه، والكثير من فيضه، ذلك لأن السبب - كما نقول في كل وقت - أن القرآن يحتاج الناظر فيه، والطالب له - وراء ما تقدم، وبعد معرفة الألفاظ، وتذوق الأساليب، لتكشف له عن القصد، وتوقفه تمام الوقوف على حقيقة المعنى، من غير التواء - إلى أسباب النزول، وهي ناحية مهمة إلى حد بعيد، ولهذا فإننا رأينا العلماء قد اهتموا بها اهتماما عظيماً، إذ ألفوا فيها الكتب الكثيرة على غرار ما كتب الواحدي رحمه الله، وربما قرأ المسلم هذه الآية: {**يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبْد لكم تسؤكم**}.

فبدا له أن يقول - ولو بينه وبين نفسه - كيف يقف الدين حجر عثرة في سبيل العلم، وكيف يشجع على الجهل، فينهانا عن السؤال الذى هو نصف العلم وطريق المعرفة ومفتاح الفهم ووسيلة من وسائل إزالة حجاب الظلمة، لكنه إذا عرف السبب بطل عنده العجب، إذ أنها وردت في رجل كان مجهول النسب - وهذا الجهل كان أحد وسائل الستر عليه - وقد ألحَّ على النبي {صلى الله عليه وسلم} أن يدله على أبيه - وهو أب غير شرعي - وقد تغاضى عنه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المرة بعد المرة، رجاء أن يسكت ، ولكنه تمادى في إلحاحه وطلبه معرفة أبيه، فقال له {صلى الله عليه وسلم} أبوك فلان، فكانت هذه القاصمة، وأخذ الناس كلما مر بهم هذا الرجل يقولون: هو ابن فلان، وبهذا فتح على نفسه باباً من الشر كان مغلقا، وندم على أنه هتك سراً كان قائما.

والناظر في القرآن كذلك يحتاج إلى العلم بالناسخ والمنسوخ، وإلى الإحاطة بدقائق اللغة، وغريب الألفاظ، وأسرار البلاغة وأساليب الفحول، فإن الله الذى أنزله على العرب، وهم يباهون بالبيان واللسان، لم يجعلهم كلهم في مستوى واحد من الاحاطة والإدراك، والوعي والفهم، وقد كان أصحاب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مع معاصرتهم له، وملازمتهم مجالسه، يختلفون اختلافا بيناً، ويتلاحون

تلاحياً واضحا، في الوقوف على معانيه، ومعرفة أسراره ومراميه، ومن أمثلة ذلك أن يكون اللفظ من قبيل المشترك، مثل لفظة «قرء» في آية العدّة:

{والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قُروء}، فقد ذهب بعضهم إلى أن المراد الأطهار، وذهب الآخرون إلى أن المراد الحيض، واستدلوا بالحديث: (دعي الصلاة أيام أقرائك)، وردوا حجة من قال إن التاء دليل على أن المراد المذكر وهو الطهر بأن التاء تدخل على مؤنث المعنى كما تدخل على مؤنث اللفظ، وكذلك تكون الكلمة دائرة بين المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي فيحملها مجتهد على المعنى الحقيقي، في حين يحملها آخر على المعنى المجازي، ومما يراد الحمل على المعنيين في مثل قوله سبحانه وتعالى: **{إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويَسْعَوْن في الأرض فساداً أن يُقَتَّلوا أو يُصَلَّبوا أو تُقَطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنْفَوا من الأرض}** فإن النفي من الأرض حمله البعض على الحقيقة، وأراد به الإخراج والطرد من البلد التي كانت ساحة للجريمة، ورأى أن المفسد المحارب لابد من إقصائه عن الأرض التي ارتكب فيها جريمته، زجرا له عن التمادي في الباطل أو المبالغة في الطيش، وحجته أن الأصل أن ينصرف اللفظ إلى حقيقته عند الإطلاق، ولا يعدل عن ذلك إلا إذا تعذرت هذه الحقيقة، ولا تعذر، وقد جرى الشارع الحكيم على مثل ذلك في تغريب الزاني في بعض المذاهب، وحمل الأحناف ذلك على المجاز، وقالوا إن المراد به السجن، واعتمدوا في ذلك على العقل، وقالوا: لو كان المراد من كل الأرض التي فيها الإسلام إلى أرض الكفر لكان ذلك غير جائز، وإن كان المراد بالأرض الأرض الإسلامية الأخرى كان عبثاً، لأنه لم يكف أذاه عنها، وبهذا لم يحصل المقصود من العقوبة.

هذا ومن أسباب اختلاف المسلمين في فهم القرآن - أيضاً - أن اللفظ قد يكون عاماً، وقد يكون خاصاً، وحين يكون عاما قد يبقى على عمومه، كما في قوله تعالى: **{وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها، كل في كتاب مبين}**.

فإن المراد بها كل دابة تدب على وجه الأرض من إنسان أو حيوان، وقد يقصد بهذا العام الخاص، وذلك في مثل قوله سبحانه: **{ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله}** فهو وإن كان عاما في أهل المدينة والأعراب إلا أنه خاص بمن كانت له القدرة على الخروج، وحمل السلاح، وصد غارة العدو.

وقد ثبت أن عمر رضي الله عنه، مع ذكائه وعقله، وعلمه وفضله، حين سمع قول الله تعالى: **{على تخوف}** لم يفهم معنى التخوف، حتى قال له بعض الأعراب: إن التخوف يا أمير المؤمنين يجيء في لغة العرب بمعنى النقص، ثم أنشد له بيتا من الشعر يدل على هذا، فسلم له عمر رضي الله عنه، واطمأن إلى قوله، وقال له: صدق الله العظيم إذ يقول: **«وفوق كل ذي علم عليم»**.

وهكذا كان القرآن ميدانا للعقول، ومدرسة عامة للآراء والأفهام يأخذ منه كلٌّ على قدر استطاعته، وتوفيق الله إياه، وما ضاق به أحد زرعاً، وما كان موقفه من الناس إقلالا ومنعاً.



آخر أهل الجنة

في القصص النبوي عن رؤية الله سبحانه وتعالى - في الآخرة، جاء في رواية مسلم[١] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - (أن ناسا قالوا لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} هل نرى ربنا) ومن هذه الرواية ما جاء في هذا المقام: (ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار - وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة - فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه، ثم يقول الله - تبارك وتعالى - هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة، فيقول الله: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألنى غير الذى أعطيتك، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: أي رب، ويدعو الله حتى يقول له: هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك، فيعطي ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة انفهقت[٢] له الجنة، فرأى ما فيها من الخير والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب أدخلني الجنة، فيقول الله - تبارك وتعالى - له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: أي رب لا أكون أشقى خلقك، فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله - عز وجل - منه، فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمنه، فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره، يقول: من كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني، قال الله - تعالى - ذلك لك ومثله معه).

ومن القصص النبوي في ذكر آخر من يدخل الجنة ما روي عن ابن مسعود[٣] - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذى نجانى منك، لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول: أي رب ادنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله - تعالى - يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يارب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب ادنني من هذه لأشرب من مائها واستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها، فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه -



أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة
- مصر -



تعالى - يعذره، لأنه يرى مالا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين فيقول: أي رب ادنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى يارب، هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره، لأنه يرى مالا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يصريني[٤] منك، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ فيقول: أي رب أتستهزىء مني وأنت رب العالمين، فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألونى ممن أضحك؟ قالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقالوا: مم تضحك يارسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزىء بي وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزىء منك، ولكنى على ما أشاء قدير) وفي رواية عن أبى سعيد الخدري: (ويذكره الله - تعالى - سل كذا وكذا، فإذا انقطعت الأمانى قال الله: هو لك وعشرة أمثاله، قال: ثم يدخل بيته فتدخل عليه زوجتان من الحور العين، فتقولان له: الحمد لله الذى أحياك لنا وأحيانا لك، قال: فيقول: ما أعطى أحد مثل ما أعطيت).

وجاء في القصص النبوي فيما رواه مسلم[٥] عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر أهل النار خروجا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقول: نعم لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا، فلقد رأيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ضحك حتى بدت نواجذه[٦]).

ونقل ابن قيم الجوزيه[٧] عن الطبراني عن أبى أمامة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن آخر رجل يدخل الجنة، رجل يتقلب على الصراط ظهر البطن كالغلام يضربه أبوه، وهو يفر منه، يعجز عنه عمله أن يسعى ، فيقول: يارب بلغ بي الجنة ونجني من النار، فيوحي الله - تبارك وتعالى - إليه: عبدي إن أنا أنجيتك من النار وأدخلتك الجنة، أتعترف لى بذنوبك وخطاياك؟ فيقول العبد: نعم يارب وعزتك وجلالك لئن نجيتني من النار لأعترفن لك بذنوبي وخطاياي، فيجوز الجسر، فيقول العبد فيما بينه وبين نفسه: لئن اعترفت له بذنوبي وخطاياي ليردني إلى النار، فيوحى الله إليه: عبدى اعترف لي بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيقول العبد: لا، وعزتك وجلالك ما أذنبت فيلتفت العبد يمينا وشمالا فلا يرى أحدا، فيقول: يارب أرنى بينتك، فيستنطق الله جلده بالمحقرات، فإذا رأى ذلك العبد فيقول: يارب عندي وعزتك العظائم، فيوحى الله إليه: عبدي أنا أعرف بها منك، اعترف لي بها أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيعترف العبد بذنوبه، فيدخل الجنة، ثم ضحك رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حتى بدت نواجذه، يقول: هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذى فوقه).

ومما يتصل بالقصص النبوى عن آخر أهل الجنة دخولا، ما جاء في منتخب كنز العمال[٨] عن الخارجين من النار ممن حق عليه أمر الله بأن

يخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ومن الذين نفعتهم شفاعة الشافعين، أو الذين أحرقتهم النار فلم يبق إلا وجوههم أو رجل يقال له جهينة، وقيل إن آخرهم رجال كانوا يقولون: لا إله إلا الله فيعيرهم أهل اللات والعزى بقولهم ما أغنى عنكم قولكم: لا إله إلا الله فيدخلهم الله الجنة.

فعن أبي سعيد - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} (يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله - عز وجل - أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية).

وعن جابر - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} (يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمما، ثم تدركهم الرحمة، فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة فيرش عليهم أهل الجنة الماء، فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة).

وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} (إن الله - تعالى - يخرج قوما من النار بعد مالا يبقى منهم فيها إلا الوجوه، فيدخلهم الجنة).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} (آخر من يدخل الجنة رجل يقال له جهينة، فيقول أهل الجنة عند جهينة الخير اليقين)[٩].

وفي رواية عن ابن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} (آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة، فيقول أهل الجنة: عند جهينة الخير اليقين، سلوه: هل بقى من الخلائق أحد يعذب؟ فيقول: لا (قط).

وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} (إن ناسا من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم، فيقول لهم أهل اللات والعزى: ما أغنى عنكم قولكم لا إله إلا الله، وأنتم معنا في النار، فيغضب الله - تعالى - فيخرجهم، فيلقيهم في نهر الحياة فيبرؤون من حروقهم كما يبرأ القمر من كسوفه، فيدخلون الجنة، ويسمون فيها الجهنميين).

وعنه أيضا[١٠] عن النبي {صلى الله عليه وسلم} (إن عبدا في جهنم ينادى ألف سنة: يا حنان يا منان فيقول الله لجبريل: اذهب ائتني بعبدي ، فينطلق جبريل، فيجد أهل النار مكبين يبكون، فيرجع إلى ربه - عز وجل - فيخبره، فيقول: ائتني به فإنه في مكان كذا وكذا، فيجيء به فيوقفه على ربه، فيقول: يا عبدى كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ فيقول: يارب شر مكان وشر مقيل، فيقول: ردوا عبدى، فيقول: يارب ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تعيدني فيها، فيقول: دعوا عبدي)[١١].

سوق الجنة:

في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولكن فيها ما يشابه ما في الحياة الدنيا وإن تفوق عليه في الكم والكيف، كما جاء في تفسير ابن كثير في قول الله تعالى: (وأتوا به متشابها) يوتى أحدهم بالصُّحْفة من الشيء، فيأكل منها، ثم يؤتى بأخرى فيقول: هذا الذى أتينا به من قبل، فتقول الملائكة: كل فاللون واحد والطعم مختلف. وعن ابن عباس: لا يشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا في الأسماء.

وجاء في القصص النبوي أن في الجنة سوقا كما في الدنيا أسواق، ولكن سوق الدنيا يختلف كما سنرى فى وصف الذى لا ينطق عن الهوى. روى مسلم[١٢] عن أنس بن مالك - رضى الله عنه

ـ أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: (إن في الجنة لسوقا، يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزادون حسنا وجمالا، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون: وأنتم والله لقد ازدتم بعدنا حسنا وجمالا).

ونقل ابن قيم الجوزية[١٣] عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة: (اسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، فقال سعيد: أوفيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم، فيوذن لهم في مقدار يوم الجمعة عن أيام الدنيا، فيزورون الله ـ تبارك وتعالى ـ فيبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ياقوت، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم ـ وما فيها دنى ـ على كثبان المسك والكافور، ما يرون أن اصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا) قال أبو هريرة: وهل نرى ربنا ـ عز وجل ـ ؟ قال: نعم، قال: هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ فقلنا: لا، قال: فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول: يا فلان ابن فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا، فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: بلى أفلم تغفر لي، فيقول: بلى، فبمغفرتي بلغت منزلتك هذه، قال: فبينما هم على ذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط، قال: ثم يقول ربنا ـ تبارك وتعالى: {قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم، قال: فيأتون سوقا قد حفت بها الملائكة، فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، قال: فيحمل لنا ما اشتهينا، ليس يباع فيه ولا يشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا، فيقبل ذو البزة المرتفعة، فيلقى من هو دونه، وما فيهم دنى، فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، قال: ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن: مرحبا وأهلا بحبنا، لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه، فنقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ـ عز وجل ـ ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا).

ـ للبحث صلة ـ

الهوامش:

(١) جـ ١ ص ٣٣٦ ـ ٣٤١.

(٢) أي انفتحت واتسعت.

(٣) صحيح مسلم جـ١ ص ٣٤٩ ومنتخب كنز العمال جـ ٦ ص ١١٩.

(٤) الصُرى: القطع أى ما يقطعك عن مسألتى.

(٥) جـ ١ ص ٣٥١.

(٦) النواجذ الأسنان.

(٧) حادى الأرواح ص ٤٢٦.

(٨) جـ ٦ ص ١٢١ وما بعدها.

(٩) هذه الرواية والتى بعدها نقلها ابن كثير في الفتن جـ٢ ص ٢٥٤.

(١٠) وانظر المرجع السابق ص ٢٥٦ يرويه من المسند.

(١١) وفي التذكرة أيضا وبعض الروايات قبلها ص ٥٠٠ ـ ٥٠٢.

(١٢) ج ٧ ص ٢١١.

(١٣) حادي الأرواح ص ٣٠٥ والنهاية في الفتن ص ٣٦٠ ومنتخب كنز العمال ج ٦ ص ١٠٧.

شكاء .. ودع

{والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا}

للشاعر الراحل :
عمر بهاء الدين الأميري

حـــبـــال تحـــزُّ أخـــاديدها
على عُنُقي، من مـــــرير العنـا
وشـــوكُ يســـدّ على زفـــرتي
مـــســالكهـا، من قـتـاد الضنى
وحـــيـــــدٌ يلوب على صنوه
أبيّ شــجيّ كـــبـــيـــرُ المُنى
غـريب مـدى عـمـري مـصـعـدُ
تـوزعـنـي الـهـمّ بـين الـدّنـى
فـفي المشـرقين وفي المغـربين
غـــريب هـناك، غـــريب هـنا

* * *

وأخـــفقُ حـــتى كـــأنَّ خـــلايا
كـيـاني قلوب، كـخـفق السنا
ولو كنت أسكنُ، كـــانت تجــومُ
السّمـاوات، لا الأرض لي مسكنا
ولكن أبى الحـــرُّ إلا مُضـــيـــا
يجـــاهدُ في الله حـــتى الفنا
وإنْ يَشْكُ كـانت شكاة الطمـوح
إذا عـــــز مطلبُه أمـــعـنـا

* * *

حـــيـــاتي مـــصـــابرة لا تني
وويلى إذا الصـــبـــر يومـــاً ونى
بك الله في كل أمـــــري ألوذ
وأنت لـربُّ الجـــــدا والـغـنى
تـرامـى المدى فـي طـلاب الـهُدى
وفـــيـــضـك يُحـــبى ولا يقـــتـنى

...اء .. واستهداء

وقـــــد نـاء قـلـبـي بـلأوائـه
فـــمـن منجـــد قلبي المؤمنا

وروحي اشـــرأبّ، ومـــازال يرنو
إليك، فـــرفـــقـــاً بروح رنا

وإنّ «له نســبـــاً» مـــذ نفـــخت
بـــآدم إبـــان خـلـــق الـــدُّنـــى

ومـــا هو إنســـانُ هذا الوجـــود؟
تراب تســـــامى ٠٠ وروح دنا

فـــأقـــبل بإشـــراقك الأريحي
على مـــســـتـــجـــيـــر أتى مـــذعنا

أبىّ الـهـــوى، مُسْتـــحـــرّ الجـــوى
ألحَّ عليـــــه الأسـى مـــــوهـنا

فـــإمـــا تجليت صـــغـت الاسى
عـــــوالـم عـلـوية مـن هـنـا

وحلّقتُ في جـــوّها مُصـــعـــداً
لأخـــتـــصـــر البـــون مـــا بيننا

إلـهي لقــــد وهن العظمُ منّي
وعـــزمي عن قـصـــده مـــا انثنى

وأرّقـنـي هـمٌّ ديـنـي وقـــــومـي
وآلـــي، فـكُنْ يـــا إلـــهـــي لـنـــا

أعنْ أمـــتي وأعـــدْ سَمْكهـــا
كـــيـــاناً عـــزيزاً مـــتين البنا

لتـــدعم طارفـــهـــا بالتليـــد
وتـهـــــزم ظالمهـــــا الأرعنا

وهـــيء لأمـــــــرك جُنْدَ التُّقى
ونـوّر بـقـــــرآنك الأعــــــينا

وخُذْ بيـــدي وأقلْ عـــثـــرتي
رجـــاء الذي لاذ أنْ يُحـــصـنا

فـــإنْ لم أجـــدْ أمْنَ روحي لديَّ
وجـــدْتُ بك الأمـن والمـأمـنا

من أدب الجريمة

تناول الأدب العالمي الصفات الإنسانية الوضيعه. وقد كان تناولها يهدف إلى توضيح بشاعتها وتصويرها صورة وإن كانت بليغة إلا أنها صورة تجعل النفوس تنفر منها. فهذا ابن الرومي والمتنبي يهجوان البخيل. وهذا شكسبير يصف المكر والخداع في شخص اليهودي شيلوك وقس على ذلك كثيرا. ومن جملة ما تناول الأدباء شخصية المجرم بالتحليل والوصف. فيقوم هذا الأديب أو ذاك بمناقشة الظروف البيئية والاجتماعية والوراثية التى تؤدى إلى الجنوح ويختلفون من حيث طروحاتهم في التحليل الداخلى لشخصية المجرم.

وهذا أديب الروس الشهير يؤلف رائعته «الجريمة والعقاب» ويتحدث فيها عن شاب يسكن مدينة بطرسبرج يعيش في ظروف نفسية ومالية وعائلية سيئة فتدفعه النوازع الشريرة إلى قتل مرابية عجوز ثم يسلط عليه عذاب الضمير حتى يسلم نفسه إلى العدالة لتنفيذ الحد فيه. ومن الذين وصفوا المجرم في الأدب العربي الأستاذ نجيب محفوظ في رائعته «اللص والكلاب» وقد وصف نجيب محفوظ في اللص والكلاب شخصية حقيقية واقعية كعادته في كثير من قصصه القديمة ونحن اليوم نبحر مع شكسبير وهو يصف أحد المجرمين في مسرحيته الشهيرة «مكبث».

كان الملك دنكان حاكم اسكتلنده ملكا صالحا ـ وقد انفذ جيشا بقيادة مكبث وبانكو إلى شمال اسكتلنده لتأديب العصاة فرجعا مظفرين. وفي طريقهما إلى عاصمة اسكتلنده نزلا في ضاحية من الضواحي وفي حديقة غناء تحيط بها الأشجار الباسقة انسلت بينهما ثلاثة من الأطياف النسائية. رقصت الأطياف أمامهم وبدأوا يتحدثون بصوت عال فقالت الأطياف لمكبث: إنك ستصبح ملكا بدلا من دنكان. وقالت لبانكو: إن أولادك سيصبحون ملوكا لفترة طويلة. وهجم مكبث بالسيف على الاطياف ولكنها اختفت بسرعة. وفي الطريق إلى العاصمة اعتملت الفكرة بعقل مكبث انه سيصبح ملكا تذل له النفوس والرقاب. وذهب إلى منزله حيث تقبع امرأة شريرة هي زوجته الليدي مكبث. وأفضى الى زوجته بمكنون صدره ففرحت فرحا شديدا وقد عرف عنها نزوعها

بقلم : د. طاهر تونسي
جامعة الملك عبدالعزيز ـ جدة

للشر وحماسها في فعله وها هى تحضه وتقول له: كيف ستصبح ملكا على البلاد إذا أنت أقمت في هذا المكان.

إن أهم عمل يجب عليك أن تعمله هو أن تبطش بهذا الملك الطيب دنكان، فيتردد وهذا التردد يكاد يكون صفة للمجرم في جميع الروايات الأدبية التي تناولته. فيتردد ويخبرها أنه يمت له بصله القرابة وأنه مثله من العائلة المالكة، وهنا تتدخل الليدى مكبث وتحايل زوجها وتقنعه أن عملية القتل ستتم في سهولة وانها ضرورة سياسية بعدها يصلح أمرهما ويقيما العدل والقسطاس في جنبات البلاد.

وهنا ينهار مكبث أمام غدرها فيوافق على فكره اغتيال الملك دنكان. فيستضيفا الملك في ليلة ليلاء في قلعتهم المنيعة. والملك يصدقهم ويأتى مع بعض حاشيته فيتسامرون. ثم يقرر الملك أن يذهب إلى النوم فيدخل القلعة ويصعد الدرج المؤدى إلى الغرفة ويبدأ حارساه الحراسة على بابه. وتذهب الليدى مكبث إلى الحارسين فتسقيهما خمرا فيفقدان الوعي. وتقعد الليدي مكبث في غرفة قريبة من غرفة الملك لتدبر أمور الجريمة. ويطلب منها مكبث ويتوسل ان لا تقوم زوجته بعملية القتل. فلا تتردد وتأخذ خنجرا وتذهب إلى غرفة الملك وتفتح الباب وتتقدم بخطى واثقة نحو الملك الطيب. ولكن ويا للمفاجأة. لقد تحول جسم الملك في عينيها إلى طيف أبيها. وكلما تحاول ان ترفع يد الحقد تتألم من الشبه بين هذا الرجل ووالدها الذى كانت تحبه فلا تستطيع تنفيذ الجريمة.

وتخرج وتأمر زوجها مكبث بتنفيذ الجريمة فيتردد مرة أخرى ثم يمسك بالخنجر في النهاية ويذهب الى الملك ويرفع يده عاليا وتسقط اليد بقوة وقد اخترق الخنجر جسم الملك دنكان وصاح صيحة تتقطع لها الأكباد وسالت الدماء غزيرة من تحته. وهنا يسمع مكبث وهو في طريقه إلى زوجته صوت

أطياف تقول له: وداعا للنوم يا مكبث وسيسلط عليك عذاب الضمير. وبعد أن ظن مصرع الملك سيجلب لهم الفرح فإنه قد جلب لهم الفزع فلا يستطيعان النوم وهما ينتظران الصبح ويقوم الناس وتسرى الأنباء بين الشعب. وقد وجه مكبث بتحريض من زوجته التهمة الى الحارسين. ويخاف الناس سطوة الليدى مكبث وزوجها فيظهرون انهم يصدقون الخبر. ولكن أبناء دنكان يولون الأدبار خوفا من ان يلقون نفس المصير. ويستولى مكبث على الحكم وهنا يفكر في قتل بانكو وجميع أولاده ذلك لأن الأطياف تنبأت أن أبناء بانكو سيملكون البلاد مدة طويلة. ويقيم مكبث مأدبة لبانكو فيها كل أنواع الحبور.

ويدخل بانكو وأبناؤه إلى القصر فيهجم القتله على بانكو فيقتلوه ويقتلوا ابناءه إلا واحدا منهم لاذ بالفرار. وننتقل إلى مجالس الأنس التى تعدها الليدى مكبث. إن مكبث في حالة نفسية لا تسمح له بالسرور في هذه المجالس.



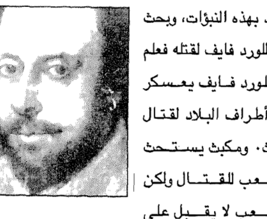
وها هو يخرج إلى ساحة أعدتها زوجته للسمر فلا يرى إلا طيف بانكو القتيل. ويمشي الشبح أمامه ثم يكاد بانكو الشبح يتحدث ويسأل مكبث عن الطريقة التي قتل بها مكبث بانكو. وتحت تأثير الشبح يحاول مكبث التحدث وتخاف زوجته أن يسمع الناس صوت زوجها مكبث فتضع يدها على فمه. ويسألها الجالسون عن حال زوجها فتقول لهم: انه يتعرض بين الفينة والفينة لنوبات من التعب الذهنى ثم تأخذه إلى الداخل ليستريح على حد زعمها. ومع مرور الأيام يزداد تعب مكبث النفسي ويرى أن القرار الوحيد الذى يجب عليه هو أن يذهب ثانية الى تلك الروضة الغناء التى شهدت النبؤات الأولى. ويركب عربة ويتسلل وحده إلى خارج المدينة ويصل الى المكان ويدخل اليه وهنا تخرج الأطياف. ولكنها تخرج على حقيقتها الشريرة.

كانت الأطياف تقعد حول قدر كبير. وينظر إلى القدر. كان القدر خليطا من الخفافيش الصغيرة وألسنة كلاب وأفاع صغيرة وأرجل سحالى وجناح بوم واسنان ذئب وعظم حوت وجذور نبات سام ومرارة خروف وكبد يهودي. ثم عرف أن ذلك ضروري للسحر الذى يقمن به وسألهن عن مستقبله فيقلن له ما يرين عن مستقبله.

قالت الأولى: إحذر من اللورد فايف.

وقالت الثانية: يا مكبث، إن أى رجل مولود من آدميه أنثى لن يستطيع ان يَمَسَّك بسوء.

وقالت الثالثة: إنك يا مكبث لن تقتل حتى تحضر إليك غابة برنام.



فسعد بهذه النبؤات، وبحث عن اللورد فايف لقتله فعلم أن اللورد فايف يعسكر على أطراف البلاد لقتال مكبث. ومكبث يستحث الشعب للقتال ولكن الشعب لا يقبل على مساندة مكبث. وبدأت المعركة وخرج ممتشقا سيفه هاجما على أعدائه واقتتل معهم اقتتالا مريرا حتى رأى لورد فايف. وطلب لورد فايف مبارزة مكبث فسر وأخبر لورد فايف بأن من يولد من أنثى لن يقتل مكبث. وهنا يخبره لورد فايف أنهم أخرجوه بعملية بطنية من بطن أمه فهو ليس مولودا منها. ورجعوا إلى أماكن القتال ثم يأتيه الناس فزعين ويخبرونه أن غابة برنام تتحرك نحو البلاد. فيذهب إلى سطح منزل من المنازل فيرى ويا هول ما يرى، إنه يرى الغابة تتحرك ويرسل الرسل. وإذا هى جذعة من جذع الجيش المعادي. لقد أمر اللورد فايف الجيش أن يحملوا قطعا من أشجار غابة برنام وذلك للتمويه على تحركهم. وفي اليوم التالى اقتتل لورد فايف مع مكبث وهجم اللورد على المجرم الأثيم وطعنه طعنات متتالية خر مكبث على اثرها صريعا.

وليست هذه هي المسرحية الوحيدة التي يتناول شكسبير فيها الجريمة فله في هذا المضمار الكثير ومنها شخصية إياجو في مسرحيته عطيل. وأجمل ما في تناوله هو ذلك التشريح النفسي الذي يقدم لشخصية المجرم مكبث ولعل لنا عودة إلى بقية مسرحيات شكسبير عن الجريمة والمجرمين.

الغنائية وشاراتها

الغنائية التي يحب الشعر العربي أن ينعت بها أحيانا - في استكراه للشعر التركيبي الملحمي والمسرحي - قد تكون صعبة المنال في ظل مفهوم السّار والمفرح، الذى يفهم منه أنه استبقاء جرثومة خيّرة لذيذة، أو مبهجة صالحة لأن تُختزن وأن تكرر وجهها مستثناة من أخرى خبيثة مرذولة، لا تريدها العين ولا تأنس إليها ولا يسيغها الحس، وإنْ حَسُنَ منظرها، وراق مشهدها، ولم يدخلها الخطل أو الفند؛ فالكون لا يستقيم لبساط المبهج المفرح أو هو يلهج بطنافيسه أو للجهد العضلى لزرابيّه أو لآلية الملهاة والمسلاة مذ حاق بالإنسان الموت ومذ جعل الله النحاس والحديد للتصدية وللجرس وللنغمات، ولباسا يقينا بأسنا، ومذ كان القرن، الذى هو البوق كذلك، ومذ عرفنا أن صاحب توقيع العدد الكبير من القصائد العربية، وغنائها «عبيد بن سريح» الذى ولد في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مكة المكرمة ومات في حكم هشام بن عبد الملك بدأ نائحاً قبل أن يَخلد الى التغني، والى عُود، ورثه عن الفرس الذين استوفدهم ابن الزبير لبناء الكعبة[١]، فحظُّ الفرح مقيس بالترح، معروف به.

وفي هذا الكفل غنّى شللي وبيرون ووردث زورث، ومن قبل ملتون وقبلهم فيرجل وهومير. إن الغنائية قد تجوز على النتفة بقسطاس، من كون دافعها وباعثها في الوجود ومثيرها على مقدار من النتفة، أو العجالة، بقياس قسط الفرح إلي التّرح، وقطافه من حصيلة الحصاد كله، ما نجثو له، وما نوكس به من حقائق الدنيا ونواميسها.

ولقد تكون القصيدة غنائية كذلك، سارة إذا ظل الشاعر معكوفا على دواعيها ودوافعها اللطيفة المطرزة، سحابة نهاره وليله، معزولا عن الأضداد الشظفة الجافية لحافته، وقد تكون المعلقة غنائية باختمار صوتى صوفي مخدوع، سُوعِد عليه الشاعر، وأعين عليه، بانقطاع من النخاع للحقول المرجعية اللطيفة المثيرة للبلهنية والتصافي كأحواض الزهور، والمرايا والرياحين والمياه، وما شابهها مما سبق أن نبه إلى مرايله ابن قتيبة في سرده وسائط استدعاء الشعر فيما نحسب قصار القصائد، وخفافها والبيت المعجب الذى لا يقوله أحد غير قائله الشاعر لانفراد فيه، وبدع واختصاص واختيال ووقف، دون مصنفات الأغاني المهجنة، وما يطلبه المستمعون في إذاعات العالم المختلفة على نفسها، مما يُعمد فيه إلى الوصال أو القطيعة وألفاظهما.

إن القاموس لم ينشأ على شاكلة القصيدة الغنائية، ولم يجىء على تيارها، أو قياسها، أو بنيتها المثالية، المرجوة، ولم يشاورها في الأمر، أو في مضادته، بل هو مفطور على سجيته، بسجايا الأشياء وأخلاقها. وقد تتباعد مشتقات الكلمة الواحدة من نص على ما هو لطيف مبهج إلى ما هو غير لطيف، بل نافر ناشز، كما نجد في مادة (غ ن ى) ذاتها، فمنها (الغناء) وهو ما طرب به، ومنها (تغانوا). بمعنى استغنى بعضهم عن بعض.

ونأتي إلى مادة «طرب» وهي من الكلمات الضدّ التي



بقلم : أ. د. كمال اسماعيل
- مصر -

تحمل معنيين، فكما أن الطرب محركة هي الفرح، فإن الطرب أيضا هو الحزن[٢].

ستفد بعد ذلك.. مسألة الحروف التى يصاغ عليها الغناء المفرح أو المحزن، وهى المهمة بأسرها في إعداد قصيدة غنائية محكمة الصنع، تصلح للإطراب بمفهومه الذى أسلفنا، مفرحا أو محزنا، إذ يستحسن أن تكون قوافيها على حركات موحدة منضبطة بكل حروفها أو تكاد، لكن الكلمة التى قد تحتمل الإطراب قد تكون ميسرة ولكنها بفطرتها لم تنشأ على الحرف الذى صيغ عليه نظير آخر أوسع في الحقل الدلالى الذى يؤمها، فإذا وجدنا صفة دلت على حقل ذوات الناب والمخلب، مثل كلمة «مفترسة» على سبيل المثال، وصودف أن ألفينا أختا جانستها من القبيل ذاته، هى كلمة «شرسة» كأنها بضع منها، يمكن أن تقع ضربا في قصيدة، قد تمكنت فيها الكلمة الأولى عروضا، أو هى الضرب، فإن ذلك لا يجرى على منوال من الوحش أو الغاب كله. ولنأخذ فضاء آخر هو للطيور، فستتعدد ألوانها في النوع الواحد وطوائفها وأصواتها ورموزها، تعدُّد ألوان قوس قزح أو يزيد. فكلمة مثل «هدهد» وهى اسم للطائر المتقصى الدّود قد نجد لها أختا، ليست شقيقة، لكنها توهم بالتناسب. هذه الكلمة هي «مغرِّد» التى يبدو أنها تصلح لقافية تالية لشطر في استهلال أو لعجز. وقد تكون هي ضالتنا التى تصلح بها القصيدة للمعنى، لكن اللفظة مفطورة بالتأكيد لقصيدة فضلى أخرى، فاعلها هو البلبل أو العندليب أو الهزار أو أى طائر يغرد. ومن ثم كان درس الاستعارة أو المجاز من أوائل الدروس المهمة هنا، كما كان مهما للبشرية، وقد تداوله العرب من قديم وسموه «البيان» وهو لتعتعة الكلمات من حقولها وإرسالها إلى حقول أخرى تعمل فيها بتحويل لتجويز النَّظم، أو الشعر، أو ما نعته العرب بالكلام الموزون المقفى. ومن هنا استكشفت البشرية الضدّ لإبلاغ المعنى أيضا ونصادف من «الضد» أمما كثيرة في فصول كتاب الخطابة الذى وضعه أرسطو في استقصاء دقائقها وتفسير ظاهرتها وتقريب الخطيب من أربه منها[٣].

كما لم يغفل العرب عن «الضد» كذلك، سواء في النظم أو في تفسيره أو في إنشاء درس الضد في علم البديع بجناحين للمفرد وللجملة، لكن البيان بمجازه واستعاراته أو الضد الزارع التظير والمغنى عن الإسهاب، لن يعمل عمل الكلمة الفاضلة التى أنشئت لمعنى ما، وأصبحت هي العهدة له، أو العمدة عليه، والراية والفسطاط والسراط. والاسطرلاب.

إن العقل الباث الفعال لا يفي في صوغ قصائد فيها كلمات من الدرجة الأولى للمجانسة، تعضدها كلمات من الدرجة الثانية أو الثالثة يدخلها الشَّوْب، أو الاختلاف لكن قوالبها اللفظية المجافية لكلمات القيادة والريادة المختلفة عنها تجيزها وتسمح لها كلمات المجانسة الأولى، مع ضغوط المعاني والاستعارات والدلالات، التي تكفلها تلك الكلمات الفذة. فـ «الهدهد» قد تتقبل في قافية تالية لفظة «السؤدد» بالجواز، بما أننا لن نكرر الكلمة الأولى «الهدهد» في القافية، في البيت الثامن كما أن «السؤدد» تتفق مع الهدهد، بما أن الهدهد يتسنَّم الأكوام العالية، وبما أن الصَّوغ قد ينفر من كلمة «تغرّد» الميتة في هذا المقام، وإن أحياها تشكيلها بالحركات، وأنها لا تصنع السناد الكريه، بتنافر غير قائم بين حركة الضم والكسرة؛ فهي للبلابل والعنادل خلقت.

إن العناية أفردت لكل شيء اسمه للنثر، لا لهدف الشعر، لذا كان الاسم الدقيق للشيء هو عمدته، فهو يحمل تعرفا وموسيقى وشاعرية وإقناعا بما يكون وثاقا دقيقا لا يتهدده المراء أو العدول أو التنازل. والعدول عن الاسم إلى اسم شقيق أو شبيه أو ذى تخم لصيق بتخمه لن يغني عن الضلال لوجدان الاسم المفقود فتيلا، في قصيدة نريد أن تبلغ الجودة، وحد الاستحسان والاستجابة، إذ الاستجابة محضرة في أصلنا، على دقة الأشياء وأسمائها، دون أشباهها وأشباه الأشياء.

إن الأشياء قد تكون دعية أو لوذعية، شهية أو

شنيعة، سوداء الشّناعة أو بيضاء الأصل، صائتة أو صامتة والشاعر اللوذعي هو الذى سيفترع موجز خصائصها كافة ويقترع عليه ويشربها أو تشربه ويتبادلان الكينونة والحيازة، والمقامة.

وعلى حرفها ستكون الصورة؛ فالحرف فالاسم، وقد لا يكون لكنه سيُحْسَب له عدم الكينونة، وستكتسب المؤازرة بصفد من ضديد الإيلاف والاستئناس والمصاحبة.

وإذا كان العدم امتلك اسما في اللغات وفي القلب البشرى والدماغ، فإن وجود اسم له لن يفرض غنائية مثالية للغة بصفده إلا إذا صوّت الصّفد وتكلم العدم، وأعلنت عن الموت الحياة؛ فالقوقعة غنائية بحيوان القوقعة وقد يؤتى الزهرة شاعريتها فرس النبي، وشاعرية الصِّفْر تكمن فيما نتخيل على جانبيه من أرقام، لا أصفار. ونعرف قدماء المصريين بالمصريين الجدد والذى استكشف النّاي الفرعوني القديم وسلّمه الموسيقى مصرى جديد.

ويبدو أن الغنائية صنيعة الحاجة، سواء كانت لحرقة أو لحنق أو لإلهاء، أو لاستنفار، وقلما تكون لحياد، وفي آونة القتل حيث تكلح الزغاريد ويطفح الجوع إلى الصدع والصرع يصح نغم الحماسة، ويتعافى اللحن القومى ويفيض «أنا النيل» و«حماة الحمى» وينكص «الجندول» و«جارة الوادي»، الا أن تتجاسرا. وكل هذه الألوان وأنوفها وحناجرها بنات الحاجة، وليست من العدم في ساق أو قدم، ولا هى كناسة الحياة، بل من حضارتها وكهربائها وأوتارها.

إن كلمة «عصفور» توحي بالشقشقة أو النقر أو التصفيق، لكن مشروعا ضارا لقصيدة غنائية قد تقود إليه كلمة «عصفور بأرجلها وحدها، فسنسأل اين الحبَّة في فلقتي المنقار، لنتعرف عليه ولأن العصفور يتوتر فيصوّت كان الأمر لصيقا بالرئة، فهو لا يصوت كله، بل يوتر بلسان ربائط من باقى الأعضاء. والعصفور بالحلق أو الوتر أو اللسان أو الربائط ليس هو العصفور المصوت إذا طاردناه بها إلى القرطاس، إذ لابد من حامل مادى في الملكوت، ونسمة تمثل هواء الكون يستمد منها هواء الزفير والشهيق لنزرعه على القرطاس ولابد من الضدّ أو النقيض مما ينبغى أن يفصل فيه الناص، أو في أقباس منه ليقتلها على القرطاس، وهو يعجن خامة العصفور، حتى لا يقتله العصفور ويتنكر له، ولا يجيء، فهو نكرة دون التعريف بالضد، وسلبه منه.

إن المكان الذى نرصد فيه العصفور مهم للغاية، ففى بيادر الغلال أو صوامع الشعير لا يكون العصفور بجناحين ومنقار، بل يكون لص حبوب بمخلاة أو بمكتل، وإنه ليضخ السباب العصبى أو الرشفات العجلى التى نوسط فيها القاموس البرجماتى وعلم نفس الطيور بحدود الضرورات الأساسية للطير والحاجات الأولية الخمس.

وقرب الفجر تتغير نغمة العصفور إلى تسبيح أو صلاة، ولذلك فإن تعيين العصفور مهم فقد يلزمه إسناد الجناحين بوضوح تام كما كان يفعل هوميروس في وصف شخوصه بإتمام جوارحهم معهم، إذ ما فرق العصفور من الجنزير أو الناعورة، ولنتأمل طيور أرستوفان وضفادعه المشفوعة بأصواتها معها على شواكلها. ومن ثم لن تقتصر الجملة اللغوية المعبرة عن طائر «العصفور» الذى نفقد لغته على ركنى الإسناد، بل ستتبع بلفيف من الموضحات والمتمات المغنية الشادية، واللواحق التى تخدر الكلمة بالصفات النوعية، وتحرزها وتستعيدها من نفسها حتى يجيء العصفور عصفورا من أضغاث الشائع وضغنه وفوضاه ومن المتشابه كالجنزير أو الناعورة أو الضفدعة، أو الثمرة أو الأذن، أو النعل أو أبى قردان ولننظر بودلير يتنازل عن المثل الأعلى لمثل آخر.

يقول:

إنه لن يكون مطلقا جمال الزخارف
النتاج الفاسد لقرن سافل
أقدام أحذية الممثل الهزلى
التى لن ترضى قلبا كقلبى

إنى جاوزت شاعر مرض اليرقان
جمهوره يشدو لجمال المستشفى
لأنى لن أصادف بين الورود الشاحبة
زهرة تشابه مثلى الأعلى
لأنه من الضرورى في هذا القلب العميق كالهوة
السيدة ماكبث...
حلم أخيل الذى يتفتح على مناخ رياح السموم
وأنت أيتها الليلة الكبيرة ابنة ميكل انج
التى تلتوى بهدوء في وضع غريب
وفتنتك مجبولة لأفواه الجبابرة[٤].

إن العصفور لكى ينضبط لنا من كل جوانبه، ويتعين من جنسه، لنسمع غناء رمزه الكتابى فإنه لزام علينا، وقد تفسخ أن ننضبط له لتلقائية التلقى، لنكون أهلا لعصفوريته.

وإذا كان الحمأ المسنون (الطين الأسود) أو اللازب (اللازق) هو جامعنا نحن والعصفور في الخلقة، فإن حلقة مفقودة لن تقع بين ما هو يطير بجناحين وبين ما هو يمشى على قدمين، ولو كان الجناح هو اليد متحورة، ولم يكن الذيل بحال هو العرقوب ونُفاخة الطائر ليست هي المشوار الكثير العثار للبشر.

إننا سنجد مالا نفسره من كلمة «عصفور» بمثل ما سترسل كلمة «عصفور» مالا تعرفه، إلينا، وستتولى لغة وسط، لها كفاءتها ومواليدها وأسباطها في الخفاء والعلن الوساطة بيننا وبين كلمة «عصفور» هذه اللغة هى لحائط أو لرصيف أو لاسلاك البرق. أو لكتابة قديمة. وسيحل رموزها مالا نفهمه أيضا من لغتنا، ومن اللغات العجوز العجماء الأخرى، من حيث إنسانية الكون وتطبعه لحيوات على شاكلة بنى البشر، أو مسخرة لخدمتهم، ومن حيث إن الشارات أو العلامات ليست مقصورة فحسب على لغة الأحرف، بل قد تكون الشواهد العجماء ذاتها ترجماناً مفوّها مفطورا ينم على ما غمض فهمه بوسائل لا نعرفها، كما تكون الكلاب والقطط والدجاج، من غير الجماد، مرايا ساطعة دالة لنا، بما لا يستطيع أن يفعله أفضل نظام لغوى إشارى مستوف لكل مشارف النحو، والصرف، والبيان والمعانى والبديع إذ ييمم الجماد والحيوانات شطر الدلالة بطرق مبهمة.

المماتنـــة:

قد تكون هي شركة للمعاجزة في تصفيف الأشطار بالمناصفة مع شاعر ثان، مثل ما نازع به امرؤ القيس التوأم اليشكرى من طلب إتمام أنصاف الأبيات حول البرق، ومشاهد الطبيعة، مما بذَّ فيه التوأم امرأ القيس، فأقلع عن المماتنة، أو عزم على الإقلاع.

المعارضة: أسلوب للتأليف الثاني، وللخيال التابع دون المبدع، بل الإمعة، لزيارة ذات ميدان الدلاء الأولى بصواع من دلو تابع، لصيد ممكن، أو مستطاع، أو مأمول.

وستبدأ المعارضة بأقران تتنافر بعقائد أدبية، ونقائض كنقائض جرير والفرزدق التميميين، وهما شاعرا العصر الأموى النيّران الكبيران وركنا المربد، وسيعقب النقائض معارضات من شعراء أحياء، لاحتساء أموات وشرب قوالبهم وقُواهم بما لم يرزق الأحياء إياها أو يوفقوا إليها لشبر أو لفتر، ولاستغلال سلطان النجاعة التى أحرزها الأولون بقافية أو روي استوقف لهما الذوق النموذج، ولم يستكثر منه، أو يتتعتع عنه أو عن جراثيمه اللوذعية، الألمعية لمزيد من الشبع، فيما يشبه الاحتماء.

ولا خلاف على أن قصائد المتنبي المحكمة الصنع لم تتضاعف بالمعارضة، إذ كانت هي أهم جراثيم نافعة للصِّ المعارضات، كما لم تتضاعف كذلك قصيدة ابن زيدون الوزير الأندلسي المتدله بولادة بنت المستكفي، وقد ضلع في موضوع القصيدة بمطلع هو:

أضحى التنائي بديلا عن تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وقد استوفد شوقي القصيدة ليضاهيها بنونيته «ياناائح الطلح»

كما لقد ندبته ميمية من مجزوء الخفيف تقول:

نام صحبي ولم أنمْ

من خيال بنا ألم[ه]

قالها عمر بن أبي ربيعة

فقال شوقي:

نام ماركو ولم أنم

يقصد أن كليوبا طرة هي التى لم تنم وليس عمر بن أبي ربيعة هذه المرة وثم فرق بين ميم الأصل، وميم المعارضة، هو ذلك الفارق بين الدخول من الباب، والولوج من الحائط أو هو بين ميم الأبجدية وميم الصدى أو التبويق.

إن معظم الشبان المتشبعين بدعاية الشعر أو مرضه يعدون أنفسهم في ثياب من عارضوهم، دون أن يكونوا في خلعتهم، إذا أتوا فعل المعارضة، فمعنى المعارضة لديهم أنهم وقفوا معهم على البلّور في درجة مجلية واحدة فيها غرضهم الشعرى العظيم، وقاموسهم، والهتاف الذى أحرزوه، وقد ينخدع المتشاعرون فيثبتون المعارضات بمداد المطبعة على أنه طبيعة وأصول مجاميع شعرية، تحمل اسماء دواوين، والديوان مجتمع الصحف والكتاب كل يحوى أسماء أهل الجيش وأهل العطية، وضعه عمر رضي الله عنه ثم ألحق الخلفاء بأبوابهم مدونات لرسم صورة الدولة، كديوان الخراج، وديوان الإنشاء، ثم كانت دواوين الشعراء الفحول أو مدوناتهم، وكأن أن أصبح الشعر هو ديوان العرب أى سجلهم، وأصبح هنالك الديوان في الموسيقى أيضا.

المثل الأعلى الشعري الآن:

المثل الأعلى الشعري الآن، ليس بنصف الجرة أو الأصيص الذى سنستنبت فيه بذرة على شاكلة البذرة الأولى إن صحت أوائلها، ولا هو القبعة التى نحسب أننا خبرناها لنفرغ منها النص النهائى.

ومن العبث أن نعتقد أن كتابة نهائية، في قبوع اسفين الحضارة، ولو أخذت الكتابة بالعمر، فإن هنالك عمر القاموس، ونحن لا نغربله، واللغة الصورية فيه لن تصير عين الناص أو رأسه بخياره، كما هى عين الناس والنسل وقصص أوائلهم وأواخرهم وأعلام البلدان والكنى والجبال والجداول. وقديما قيل في تنصيص ابن سريج: إنه خلق من كل قلب، فهو يغنى له ما يشتهى.

إن القصائد تغلف العالم، ويغلب تأليفها من قوافيها دون الأحشاء والإعواز يكون في القوافى والأحشاء، وخُسران كلمات الحشو لا تغنى فيه رسوم القوافي ولو لعق الناص الصبر، وركع على ركبتيه، واستحال الى صنم أو الى نبات الخشخاش. وما من مرء سيبسط كفيه ليحفن له أصل الكلمة الضائعة، أو يأمرها لتهرع إليه من القاموس كالحدقة أو الدرقة. وما الناص هو جامع الأصول أو معاونه الدؤوب لتحضره مواده كصفحة واحدة أو لفائف واحدة موصولة مبسوطة ليعبيء بها عينيه، إلا أن يكون المخ الآلى أو العقل الآلى الذى لم يفلح إلى الآن في نظم قصيدة وإن زاد على خزائن الشعر واحدة.

لقد لا تكون الكلمة المخبأة واحدة من ثمانين ألف كلمة هي ما في لسان العرب، وهى أقصى ما استطاع أن يجمعه واضعو القاموس، أو هى إحدى الكلمات التى أهملها الجمهور وتبلغ جميعا، مع ما أثبته بالنظر العقلى، ستة ملايين ونصف المليون.

ولقد يصاب عقل الناص بالصرفة، أو يكتب لمشروع القصيدة الجلاء ويستبدله، بدعوى كزازة اللغة وضعف انجذابها أو بطئه، وعدم موسيقيتها أو سيولتها أو مقطعيتها بالقياس بلغة أخرى كالفرنسية أو الإيطالية فيما يزعم بعض الظالمين.

هل يمكن القول بعدئذ أن قصائدنا تفد من قاموس الجيب، من المورد أو المنجد ومما أخذ الأوربيون من راصد مستعرب، ثم أعادوه إلى مستغرب، مما تنبَّه إليه أيقاظ من ناقدين عرب، كانوا من قبل حاضروا في الحداثة، ثم وكسوا بها، وقد سبقهم إلى ذلك نقاد أوربيون وجدوا الكتابة كلاسية،

وبورجوازية وأيديولوجية أى ليست شعرية بنواتها الأولى الفطرية[٦].

إن المسألة يمكن أن تكون أكثر تعقيدا، فما من لغة ارتضتها قصيدة من القصائد في يومنا هذا أو في يوم الناس السالفين إبَّان نقاء اللغة وسلطان التَّجيل والحشائش والمشافهة بها، قبل حرفة القواميس إلا أخمدت وراءها لغة فُضلى أكثر حكمة وفصاحة، وأشد إمامة وحجة وفطرة، لا تُخلد إليها عباراتنا ولا تريد، ولا يحركها الماء الآسن الذى لن يقال إنه يستدعى شارد الشعر.

من أجل ذلك نعتقد أن الرمزية بما كتبت لم تبدع الشعر وإنما صوَّتت على قبره. يقول مالارميه في قصيدة L.AZURD ، الأزرق[٧].

في روى تبادلى فيه العمدة هو النطق، دون رسوم الحروف:

من الأزرق الأزلى السخرية الهادئة
ترزح جميلة متثاقلة مثل الأزهار،
والشاعر الكليل الذى يلعن عبقريته
من خلال صحراء عقيم من الآلام.
هارب، والأعين مغلقة، أحس به ينظر
في معية من وطأة الوخز المذهل،
روحي خاوية. وأين أهرب؟ ياالليلة المذعورة
...... امنحى يا مادة
نسيان المثالى الفظ المتصل بالخطيئة
لهذا الشهيد الذى أقبل يقتسم المحفة
حيث ماشية الرجال الجذلى قد رقدت،
لأنى أحب في النهاية نُخاعى خاويا
مثل وعاء الكحل المضطجع لقدم الجدار،
ليس مع الفن الذى يزخرف الفكرة المنتحبة،
في جنازة يتثاءب تجاه وفاة معتمة
عبثاً ينتصر اللون الأزرق وإنى أسمعه يغني
في الأجراس. روحى تصنع صوتا للمزيد.
ونحن نعمل الخوف مع نصرها الشرير،
.. ولنردف مثلا آخر لـ (فاليرى) والمثل في

قصيدته الرُّمَّان

يقول:

أيها الرمان القاسى المفلوج[٨]
المؤذن لحباته بالخروج،
أحسب أنى أرى جبهات ملكية
تشظُّ من مستكشفاتها!
إذا كانت الشموس طرأت عليك،
يا للزمان المفلوج،
فقد جئت نفاخة مصطنعة
تشرخ جدرانك من الياقوت،
وإنْ جهد الذهب الصرف، في قشرتك في سُؤل القوة
صديعا في الفصوص الحمراء للعصير،
فذلك الصدع اللماع
يجعل روحى تحلم
في عمارتها الخبيئة

الهوامش:

(١) كتاب الأغانى ، أبو الفرج الأصفهانى. الدار التونسية جـ ١ ص ٢٣٣ وما بعدها.
(٢) ترتيب القاموس المحيط، الزاوى. دار المعرفة، بيروت ، جـ ٣ ص ٦٢.
(٣) الخطابة أرسطوطاليس ترجمه وحققه عبد الرحمن بدوى ، دار القلم ، بيروت ص ١٣٣.
(٤) UNE ANTHOLOGTE DE LA POESIE FRAN CAISE. ROBERT LAFFONT. P42.
(٥) كتاب الأغاني جـ ١ ص ٢٣٤.
(٦) LE DEGRE ZERO DEL'ECRITURE ROLAND BARTHES POINTS P.20 - 33
(٧) PESIE FRANCAISE MARIE LOUISE ASTRE - FRAN COISE COLMEZ BOR-DAS. PARIS 1882 P.287/
(٨) المرجع السابق ص ٣٣٣.

العلامة الشيخ:

محمد الأمين الشنقيطي

تعريف بالرجل

هو محمد الأمين علم مركب من اسمين بن محمد المختار بن عبد القادر من أولاد الطالب أوبك ينتهي نسبه إلى يعقوب بن جاكان الأبر الجد الجامع لقبيلة تجكانت، ولقبه آبه بمد الهمزة وتشديد الباء من الإباء[١] وقد رأى النور في أواسط العقد الأول من القرن الرابع عشر الهجرى ١٣٠٥هـ وكان مولده عند ماء يسمى «تنبه» من أعمال مدينة كيفة بالشرق الموريتاني.

طلبه للعلم ودراسته:

لقد حفظ القرآن في بيت أخواله وبالأخص في بيت خال له يسمى عبد الله وقد تعلم الرسم العثماني على ابن خاله سيدى محمد بن أحمد بن المختار كما أخذ عنه مقرأ نافع برواية ورش وذلك بسند متصل متسلسل إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} وعمره يومئذ لا يتجاوز بضع عشرة سنة، ثم طفق يعمق معارفه القرآنية دارسا رجزا مشهورا بأيدى القوم متداولا يعرض لضبط مختلف الكلمات ورسمها، وقد تمكن التلميذ من هذا الرجز إلى درجة التمثل والتجاوز حيث ذيله مضيفا إليه زيادة مفيدة، وبعد ذلك أخذ في أبجديات الفقه مطلعا على منظومة ابن عاشر، آخذا من الأدب نصيبا غير قليل بفضل زوجة خاله كما استفاد من والدته كثيرا فقد أخذ عنها مبادىء النحو وبعض أنساب العرب ونماذج من أيامهم عبر نظم الغزوات للأحمد البدوى، وما إن تشكلت معارف الطفل حتى أخذ في الدراسات المعمقة فسمع مختصر خليل من الشيخ محمد بن صالح، وقرأ ألفية ابن مالك على جمع من الشيوخ مواصلا تحصيل العلوم ليعول على مطالعاته الخاصة واستنباطاته، فكان يديم النظر ويواصل التحصيل حتى غدا متخصصا له اجتهادات ومباحث مبتكرة[٢].

أمارات ذكائه وفطنته:

لقد بدت على هذا الجكني أمارات الفطنة والذكاء وهو ما يزال صغيرا إذ فاق أترابه في حفظ القرآن ورسمه فازدادت عناية الوالدة به فجهزته بجهاز كامل ليغدو إلى المحظرة، فزودته بجملين يحملان الكتب والنفقة يقودهما خادم يسوق بقرات، ولما وصل إلى شيخ المحظرة سأل عنه وهو في ملأ من طلبته فأجابه الطفل على البديهة، مرتجلا أبياتا تؤكد رغبته في تعلم الصرف وإجادة النحو يقول:[٣]

بقلم : محمذن بن أحمد بن المحبوب
- موريتانيا -

هذا فتى من بنى جاكان قد نزلا
به الصبا عن لسان العرب قد عدلا
رمت به همة علياء نحوكم
إذ شام برق علوم نوره اشتعلا
فجاء يرجو ركاما من سحائبه
تكسو لسان الفتى أزهاره حللا
إذ ضاق ذرعا بجهل النحو ثم أبى
ألا يميز شكل العين من فعلا
وقد أتى اليوم صبا مولعا كلفا
بالحمد لله لا أبغى به بدلا

وقد أشار بالشطر الأخير من الأبيات الى رغبته الملحة في دراسة لامية الأفعال لابن مالك، وهى تفتتح بهذا الشطر، وأكثر من ذلك ساق في رحلته إلى الحج حادثة طريفة تدل على علو همته وتعلقه بالعلوم، فقد وفد على عالم لينال من علومه، فقدم إليه شروحا قاصرة لم تشف من جهله سقما ولم ترو من ظمأه غلة فخرج من عنده وهو بحاجة إلى إيضاح الغامض وشرح المبهم يقول: «وكان الوقت ظهرا فأخذت الكتب والمراجع فطالعت حتى العصر ثم عاودت حتى المغرب فأوقد لى خادمى أعوادا من الحطب أقرأ على ضوئها فواصلت المطالعة حتى انبثق الفجر وأنا في مجلسى لم أقم إلا لصلاة أو فرض أو تناول طعام»[٤].

عطاؤه المعرفى:

لقد تنوع عطاء الرجل المعرفى حيث شمل التأليف والتدريس والمحاضرة فانتدب لتدريس التفسير والأصول في معهد الرياض وكليتى اللغة والشريعة وكانت مدة انتدابه عشرة سنوات، ساهم أثناءها في تكوين عدد من العلماء وإضافة إلى ذلك كانت له دروس خصوصية في بيته يعم نفعها وتنتشر فائدتها حتى ذهب أحدهم إلى أنها «أشبه ما تكون بحديقة غناء احتوت أشهى الثمار وأجمل الأزهار»[٥]، وبذلك نال الحظوة والتقدير عند أهل السلطان فمنحه الملك عبد العزيز أمرا بالجنسية لجميع من ينتمى إليه ثقة به وإكراما له، ولما زار محمد الخامس ملك المغرب الرياض استأذن في استصحاب هذا الجكنى إلى المدينة فرافقه وألقى بالمسجد النبوى محاضرته المشهورة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا» أمام جمع من العلماء كبير يحضره الملك وغيره، وإلى جانب ذلك كان له دور فاعل في تدعيم الجامعة الإسلامية حيث ساهم في وضع مناهجها وشارك في إنتاجها العلمى ساعيا في الوقت نفسه إلى تأسيس رابطة العالم الإسلامى بالتعاون مع قوم آخرين.

أما مؤلفاته فيمكن أن نوجزها فيما يلى:

١ ـ رجز في فروع المذهب المالكي يختص بالعقود والبيوع والرهون (مخطوط).

٢ ـ منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والاعجاز.

٣ ـ دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب.

٤ ـ مذكرة الأصول على روضة الناظر.

٥ ـ آداب البحث والمناظرة.

٦ ـ ألفية في المنطق.

٧ ـ نظم في الفرائض ومحاضرة حول شبهة الرقيق.

٨ ـ رحلة الحج إلى بيت الله الحرام وسنعرض لها في الصفحات اللاحقة.

٩ ـ وله مجموعة من القصائد نظمها في فترة الطفولة والصبا معرضا عن روايتها بعد البلوغ والرشد، تاركا الشعر كله وراء ظهره معولا على قول الشافعي:

ولولا الشـــعــــر بالعلمـــاء يزرى

لكنت اليـــوم أشـــعــــر من لبـيـــد

١٠ ـ أضـواء البـيـان لتـفـسـيـر القـرآن بالقـرآن في سبعة أجزاء فسـر بها القرآن إلى نهاية سورة المجادلة، ومن عجيب الصدف أن يكون موقفه في هذا التفسير عند قوله تعالى: {أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون} وقد عمل تلميذه محمد سالم عطيه على إتمام هذا التـفسـيـر فوفق إلى إكـمـاله في جـزئين وبهـمـا يتم تفسير أضواء البيان.

وقد توفي رحـمـه الله يوم الخـمـيس السـابع عـشـر من ذي الحـجـة عـام (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م) وذلك بعـد مرجعه من مناسك الحج ليدفن بمكة المكرمة.

ولنختم هذه الترجمة بأبيات نظمت في رثاء الشيخ أكد ضـمنهـا أحد طلبـته أنه أنموذج العلم والتـفسـيـر وعنوان المعرفة والبيان لذلك حزنت لموته آيات المثاني وبكت لوفاته أرواح المعاني يقول:[٦]

بكت المثـــاني ترجـمـــان بيـــانهـــا

حـــامـيـمـهـــا تبكي عليـه وصـــاد

هـذا البـــيــــان وهـذه أضـــواؤه

عــزت لغــيــر الشـــيخ الانقــيـــاد

قل للذى يرتـاضــــهـــا لا تحــسـبن

أن البـــيــان صـــحــيــفـــة ومـــداد

عـجـبـوا ولا عـجـب فـتلك حـقـيـقـة

إنّ البـــيـــان بصـــيــــرة وفـــؤاد

إن المعـــانى بعـــد مـــا ألفـــتـهـــا

وتـألفت ليـــصـــيــــدهـا المصطاد

تخـشى بفـقـدك أن تعـود شـواردا

بددا فـــمـــا يدرون كـــيـف تصـــاد

تقديم الرحلة:

هي عبارة عن رحلة نثرية حجازية ظهرت مطبوعة تحت عنوان رحلة الحج إلى بيت الله الحرام وقد وردت في سبعة وثمانين ومائتين من الصفحات ذات الحجم المتوسط تغطى المقدمة التى سطر تلميذ الرجل منها ثمانية وثلاثين صـفـحـة في حين يسـتـأثر نص الرحلة بالبـاقى، وقـبل البـدء في تناول أطوار الرحلة نود لو نعرف شيئا عن طريقة تأليف هذا النص، هل سطر أيام الظعن والارتحـال أم أنه دُوِّنَ بعـد الإقـامـة والاستقرار؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال لابد من التنبيه إلى أننا لا نعلم الكثير عن الظروف التى اكتنفت ميلاد هذا النص وأحـاطت بإنجـازه إلا أننا مـع ذلك نذكـر أن الشـيخ أشـار في فـاتحـة حـديثـه إلى أن غـرضـه من تسجيل أحداث رحلته يكاد ينحصر في تقييد شوارد العلم وتبيان الأحكام وأخبار البلاد والعباد بالاضافة إلى تقديم نبذة من نوادر الأدب يقول: «فليكن في علم ناظره أنّا أردنا تقييد خبر رحلتنا إلى بيت الله الحرام ثم إلى مدينة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ليستفاد بما تضمنته من المذاكرة وأخبار البلاد والرجال وما يجول فيه الأدباء من المجال»[٧]، فهذا الكلام يكشف عن الغرض من تأليف الرحلة غير أنه لا يطلعنا على طريقة التأليف ولا يرشدنا إلى النمط الذى تم عبره، فلم يبق أمامنا إلا أن نستنتج ونقدم افتراضا مـــفـــاده أن هذا النص يبين عن شيء من النضج والاكتمال غير قليل حيث يقدم بحوثا مستفيضة مستعرضا أصعب مسائل العلم مما يجعلنا نستبعد أن يكون من وحي الساعة والارتجال فالأقرب إلى المنطق أن يكون الرجل كتب بعض المذكرات أولا ثم حررها بعد ذلك والله أعلم.

دوافع الرحلة:

لقـد أكـد هذا الجكنى أن الذى حـرك فـي نفسـه



هاجس الحج وأخرجه من دياره إنما هو الإيمان بالقرآن والائتمار بأوامره فعلى المسلم أن يجعل منه منطلقا لجميع حركاته وسكناته، وقد نبه على ذلك معلقا على الآية الكريم {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا} قائلا: «فامتثال هذه الآية الكريمة جشمنا هذا السفر المبارك السعيد حتى أتينا من مكان بعيد، فبها نهضنا هذه النهضة السريعة لا بقول عمر بن أبي ربيعة:

إن كنت حاولت دنيا أو أقمت لها
ماذا أخذت بترك الحج من ثمن[٨]

منطلق الرحلة:

لقد بدأت رحلة محمد الأمين الجكني في السابع من شهر جمادى الأخير سنة ١٣٦٧ واستمرت خمسة أشهر لتنتهي مع نهاية السنة نفسها إلا أن تأريخ الرجل لأطوار الرحلة ومراحلها قد انتهى مع ركوبه القطار من أم درمان بالسودان في أواسط ذى القعدة من السنة المذكورة. وكان منطلق الرجل من مخيم أهله ببلدة «كرو» جانب الوادى ذى البطاح والمياه والنخيل وقد أثار فراق الاهل في نفسه لواعج الحب وكوامن الغرام، فكانت لحظة الوداع مؤثرة حيث أجهش بالبكاء أولا لتسيل الدموع بعد ذلك على الخدود متبعا سبيل العرب الأول، مستحضرا قول الشاعر:[٩]

ومما شجاني أنها يوم ودعت
تولت وماء العين في الجفن حائر
فلما أعادت من بعيد بنظرة
إلي التفاتا أسلمته المحاجر

ثم تواصلت رحلة الشيخ لتشمل مدنا من الوطن الشنقيطي كثيرة فتوقف بكيفة التى سمع بساحتها أول سؤال وجه إليه أثناء رحلته وكان من أم الخير بنت المختار الجكنية، وقد أرادت تفصيل القول في شأن علم الجنس واسم الجنس مستفهمة عن معنى قول المتكلمين «إن الصفة النفسية لا يدرك بدونها الموصوف» وقد أبان لها الجواب الشافي في السؤالين المذكورين، مستعرضا معارفه في خمس صفحات، ومن بعد يمر على تامشكط ليجيب عن أسئلة تتعلق بالقياس الاستثنائي واستحالة تسلسل هيولي العالم، وفي هذه المدينة امتدحه أحد الأدباء بأبيات قال فيها:[١٠]

مني إلى المعهود ذى الفتح الجلي
درع الكماة إذا التقت في الجحفل
من كم صوب المزن عن إروائه
وانحط في المعقول عنه الدؤلي

ومن هنالك يتجه إلى مدينة العيون ليجيب عن حكم السلم في الأوراق النقدية مفصلا الحكم في منع النسخ بالإجماع، مبينا حكم الجمع بين الأمتين الأختين في التسرى وغير ذلك، ولما بلغ إلى تمبدغة تعقب حكم قاضيها الذى اختصم إليه رجلان في بعير باعه أحدهما للآخر بالوصف ثم اختلفا هل هو على الوصف الذى بيع عليه أم لا فقال القاضي للمشترى هات بينتك فقال له المشترى أعلي البينة فقال نعم فسأل القاضي الشيخ فأجابه قائلا: «الذى أعرف في دواوين المالكية إنما هو خلافه وأن البينة على البائع أنه على الوصف، وقد أشار مقيد الرحلة إلى ذلك في نظمه لفروع الإمام مالك بقوله:[١١]

والبيع إن بالوصف لا بالنظر
فالقول في الصفة قول المشتري

ومن ثم يتجه إلى مدينة النعمة ليرد على أسئلة تتعلق بالنسبة بين القدم والأزل، كما فصل هنالك القول

في موقف أهل السنة من آيات الصفات مناقشا بعد ذلك بعض القضايا الأدبية، مصححا ما ورد في أشعار العرب من حديث عن قصار النساء وظنه البعض من القصر بالتحريك الذى هو ضد الطول وليس كذلك، وإنما هو من القصر بالسكون الذى هو الحبس والإقامة في الخدر كفعل المقصورات في الخيام واستدل على ذلك بقول كُثَيْر حيث يقول:[١٢]

وأنت التى حببت كل قصيرة
إلي وما تدري بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم أرد
قصار الخطا شر النساء البحاتر

وفي هذه المدينة دار الحديث على تفسير سورة الواقعة وقياس مصدر فاعل وقد ارتحل من النعمة إلى باماكو عبر السيارة بعد أن باع الجمال، ليتوقف بقرية النواره التى ذكرته معالمها بتقلب الزمان وصروف الأيام فاستحضر بيتين سبق أن نظمهما ابراهيم بن الشيخ سيدي أيام غربته حيث قال:[١٣]

إن للدهر إن تأملت صرفا
يكسب المرء حكمة واعتبارا
ها أنا اليوم بالنوار مقيم
أي عهد بيني وبين النوارا

وبذلك يدخل الرجل البلاد المالية ليمر على قرى عديدة دون ما توقف، مقدما وصفا كاملا لتلك الشعوب ونمطها في الحياة وأسلوبها في العيش، منبها إلى بعض العادات والسلوك المنحرف دون أن يهمل جانب الديانة والمعتقد، مبينا تواضع مساكن القوم، مستعرضا مرتكزاتهم فى الاقتصاد ونماذجهم في الملبس والمأكل يقول: «ومررنا في طريقنا على قرى صغيرة مساكنها العرش والأخصاص يزرعون الذرة واللوز وليس على أبدانهم شيء من الثياب أصلا ونساؤهم حالقات الرؤوس، عاريات جميع البدن، وسمعت أنهم يأكلون الناس»[١٤]، ثم توقف بعد ذلك بقرية فاوة التى أبان فيها جواز تزويج الولي الأبعد للصغيرة الشريفة ذات الأب الغائب، موضحا ناسخ آية الوصية والأقربين، ليصل بعد ذلك إلى البلاد النيجيرية، مارا على قرية أهلها من الأعاجم الذين لا يفقهون من اللسان العربى شيئا وهى القرية الوحيدة التي صادف بها الرجل قطيعة إنسانية ولسانية حيث أحس بغربة الوجه واليد واللسان فاستحضر بيت المتنبي مستشهدا به إذ يقول:[١٥]

ولكن الفتى العربى فيها
غريب الوجه واليد واللسان

ثم يواصل المسير متجها إلى قرية مادافرى لتتعطل السيارة هناك فيسطر لنا بعض معاناته كاشفا عن تعبه وعنائه حيث بات «في خلاء من الأرض موحش كثير البعوض والنداء وأرسل الله مطرا كأفواه القرب»[١٦]، ثم يتجه إلى فور لامين على متن سيارة لرجل من أهل الشام ذى رقة في الدين إذ يتساهل في أمر الصلاة وينبذ المكتوبة وراء ظهره وذلك ما أدهش الشيخ وجعله يصرح قائلا: «ما رأينا في رحلتنا هذه رجلا أعف منه جبهة عن مسيس الأرض وهذا ما يمنعه أن تخطر الصلاة في ذهنه فضلا عن أنه يصلى»[١٧]، من بعد يدخل إلى قرية أخرى فتتعطل السيارة من جديد ليعانى الأتعاب، ماشيا على قدميه بأرض لينة دهسة لا يستأنس فيها إلا بركبه الذين أضناهم السفر فلبثوا جميعا في هذه الورطة ليلتين وهم يعالجون الطين والماء إلى أن بلغوا قرية آتيه التى صادفوا بها رجلا من العرب لا يعنى بالضيوف كثيرا فأنزلهم منزلا



غير مرضي وقد عبّر الشيخ عن ذلك بلطف، معرضا عن التصريح باسمه خوفا من الغيبة يقول: «والله ما سألت عن اسمه ولا اسم أبيه خوفا من الغيبة فأنزلنا بمكان يعوى منه الكلب وأغلقه علينا من الخارج فبتنا بليلة لا أعاد الله علينا مثلها»[١٨] وهذه الليلة المشؤومة جعلت الشيخ يستحضر نماذج من محفوظه في أدب مطاولة الليل ومقاساة الهموم مسترجعا من ذاكرته ليالي النابغة والمهلهل وامرىء القيس، منشدا في ذلك أشعارا كثيرة[١٩] ثم يبلغ إلى مدينة الجنينة بالحدود السودانية ليتلقى بالبشر والترحيب ويهيأ له النزل، وأكثر من ذلك يستضاف ليقدم دروسا بالنادى العلمي، مجيبا عن حكم انعقاد تولية المسلم إذا كانت صادرة من غير المسلم المتغلب، مفصلا القول في شرع من قبلنا مبينا سمات المسجد الذى تجزىء به الجمعة في مذهب مالك، مسطرا فتوى توضح أمر النكاح مع نية السفر، ليختم دروسه هنالك بشرح رائية عمر بن أبي ربيعة المتداولة مركزا على تبيان دلالة بيت منها وهو قوله:[٢٠]

رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت

فيضحى وأما بالعشى فيخصر

المؤلف في أرض السودان:

لقد واصل هذا الجكني المسير مع ركبه أمّا قرية الفاشر التى لم يبلغوا إليها إلا بعد جهد جهيد، حيث حبسهم الوحل ليلتين ومع ذلك لم يجدوا ما يدفع ألم الجوع أو يخفف من عناء المسير يقول: «فنزلنا عند رجل فقدم لنا من الخبز إيدامه اللبن الرائب وما قدرنا على سد خلة الجوع منه»[٢١] ثم تقسو الحياة بالرجل وتشتد الأزمات[٢٢]، ومن بعد يركب قطار الحديد إلى الخرطوم، ليتسابق إلى مجلسه أهل العلم من معهد أم درمان مجيبا عن أسئلة الطلبة واستشكالات الأساتذة، متناولا أصعب قضايا المنطق مفسرا بعض آي القرآن، مفصلا القول في قصة الغرانيق، وفي هذا المعهد نفسه تعرض لشرح أبيات من ألفية ابن مالك معززا رأيه بالشواهد النحوية وتمتد المذاكرة المعرفية لتشمل مواضيع من عمق الأصول إذ تتناول تحقيق المناط، والسبر والتقسيم، والمصالح المرسلة دون أن تهمل البلاغة حيث تعرض للمجاز وأنواعه والاستعارة وأقسامها، وفي الأخير يطلع أهل المعهد على نماذج من شعره وذلك بعد أن ألحوا عليه في الطلب وبالغوا في الرغبة في السماع منه، ثم يركب القطار من الخرطوم متجها إلى سواكن ليعبر منها إلى جدة حيث بدأ في التلبية آخذا في مناسك الحج محرما بالإفراد، مبينا أفضليته في مذهب مالك، مستطردا في ذلك علوما كثيرا، وهنا يتوقف القلم عن الكتابة حتى يوم عرفة ليحدثنا عن لقائه بأميري أبها وتبوك، مشيرا إلى أنهما ذاكراه في مسائل العلم وساءلاه عن دلالة بيت من إحدى قصائد جرير ففصل لهما فيه القول، مستعرضا القصيدة بكاملها، موضحا أوجه الإعراب الممكنة في البيت المذكور، وتختم الرحلة بفتوى فقهية كانت جوابا عن سؤال نصه: «هل شهادة الرجل والمرأتين تثبت القطع والغرم أو أحدهما دون الآخر»[٢٣].

المحور الأدبي في الرحلة:

يبدو الخطاب الأدبي حاضرا في الرحلة حضورا مكثفا، ذلك أن الشعر سايرها من الفاتحة إلى الخاتمة، وقد تنوع عبر تضاعيفها تنوعا كبيرا، لذلك نصادف نماذج شعرية تنتسب إلى مختلف العصور

الأدبية، فقد استحضر الرجل من مخزونه نماذج الجاهليين والأمويين والعباسيين وغيرهم، مضيفا إلى ذلك كله مقطوعات هي من إبداعه أيام المراهقة والشباب.

الأشعار المستشهد بها في الرحلة:

لقد تعددت النماذج الشعرية بهذه الرحلة كما ذكرنا، فبعضها يلوذ بالحقب الجاهلية، والبعض الآخر يستأنس بصدر الإسلام، وثمة نموذج يركن إلى تراث الشناقطة، وهذا ما يكشف عن تنوع ثقافة الرجل وتمكنه من ناصية الأدب ذلك أن ذاكرته ترفده بالنماذج الشعرية كلما اكتنفته ظروف إنسانية مشابهة للظروف التى أنتجت محفوظه الأدبي، وسنضرب على ذلك مثلا بقضية الرجل الذى أعانه على استرجاع جوازه فاعترف له بالجميل وانطلق لسانه يردد بيتا من الشعر داعيا إلى اعتبار المعروف أمرا شاملا يعم المال والجاه فمن شفع بجاهه كأنما منح مبلغا من ماله يقول:[٢٤]

وإذا امرؤ أسدى اليك صنيعة
من جاهه فكأنها من ماله

ثم يسجل لنا صلته برجل آخر أكرم مثواه وأحسن نزله فأنشد فيه بيتين كان أحد الأدباء قد نظمهما في مدح أحمد بن صلاح الذى تنازعت في فضله حاسة السمع وحاسة البصر فصدقت رؤيته ما يبلغ الأذن من خبره يقول:[٢٥]

كانت محادثة الخلان تخبرنا
عن أحمد بن صلاح أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت
أذني بأحسن مما قد رأى بصري

وإلى جانب ذلك استحضر أبياتا لمحمد سالم بن الشين الحسني ليقارن فيها بين حاله المضطربة بعد النعيم وحال ناظم الأبيات الذى سطرها تعلة وسلوى وتبيانا لتقلب الزمان الذى رمى به بعيدا وطرحه أرضا لا يؤانسه إلا كلب متوحش نباح، وذلك بعد أن نعم بمحاورة فتى صباح وأنس بمغازلة بيض أوانس ناعمات، فكأن صاحب الرحلة في ابتعاده عن الأهل وتقلب الزمان به يتقاطع في الحالة الشعورية مع هذا الشاعر، فكل منهما عاش حسرة بعد حبور وعرف أزمة بعد سرور فالشيخ يجوب الصحراء الإفريقية دون محاور ولا أنيس والشاعر يطوف بالأرض من غير موالف ولا جليس والأبيات هي:[٢٦]

إن يطرحوني ارضا لا يؤانسنى
إلا ألص هريت الشدق نباح
فكم تكنفنى في ظل مدرسة
شم الأنوف لهم كتب وألواح
وكم أغازل جماء العظام على
أنيابها العنبر الهندى والراح

ولم يفت صاحبنا التنبيه إلى بعض الليالى العصيبات الطوال التى عرف أيام ارتحاله مؤكدا أنها أشبه ما تكون بليالى المهلهل والنابغة، مستحضرا أبياتا للأول الذى ضاق ذرعا بمطاولة الليل وضجر من ساعاته التى لا تنقضى يقول:[٢٧]

أليلتنا بذي حسم انيري
إذا أنت انقضيت فلا تحوري
كأن كواكب الجوزاء عوذ
معطلة على ربع كسير
كأن الجدي في مثناة ربق
أسير أو بمنزلة الأسير
كواكبها زواحف لاغبات
كأن سماها بيدي مدير
وأنقذني بياض الصبح منها
لقد أنقذت من شر خطير



وبعد استعراض جانب من أدبيات مطاولة الليل يتعرض لرائية عمر بن أبي ربيعة مقدما من خلالها درسا أدبيا، أملى ضمنه القصيدة بكاملها متوقفا عند بعض أبياتها، ليبرز مضمونها اللغوي والأدبي، مركزا بصورة خاصة على قول عمر:

رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت
فيضحى وأما بالعشي فيخصر

فقد تتبع هذا البيت بالشرح قائلا: «إن «أيما» لغة في أما ومعنى يضحى يبرز للشمس من غير كن يحجبها عنه وقوله يخصر مضارع خصر بالكسر يخصر بالفتح خصرا بفتحتين على القياس إذا أصابه البرد»[٢٨]

موقف الرجل من بعض المضيفين:

لقد آنس الرجل من بعض المضيفين جانبا من التقصير أثناء ارتحاله فنبه إلى تباطئهم أحيانا في تقديم النزل وذلك ما عبر عنه بلطف حيث ذكر أنه مر في سفره على رجل لم يكرم مثواه مكتفيا بأن يرسل إليه قرب الغروب قطعة من عصيدة الدخن، وهذا النموذج في التعامل مع الأضياف ذكر صاحبنا ببعض الأشعار القديمة التى تدعو إلى الصبر والجلد سعيا إلى تحمل الجوع ومطاردته بكل مأكول ولو قلت قيمته الغذائية ونقص طعمه وساء مذاقه كالرغيف اليابس مثلا لذلك استحضر في هذا المقام بيتين قديمين هما:[٢٩]

الجوع يطرد بالرغيف اليابس
فعلام تكثر حسرتي ووساوسي
والموت سوى حين عدل قسمة
بين الخليفة والفقير البائس

وفي خضم الحديث عن إكرام الضيف وقرى القادم استرجع من ذاكرته بيتين آخرين نظمهما أحد الأدباء تنبيها إلى بخل رجل لا يقدم لضيفه إلا وجبة واحدة في اليوم، معتبرا ذلك سياسة غذائية تنجي من المرض وتصلح المعدة يقول:[٣٠]

أبو جعفر رجل عالم
بما يصلح المعدة الفاسدة
تخوف تخمة أضيافه
فعودهم أكلة واحدة

ولما بلغ إلى سواكن وأراد ركوب القطار ازداد الزحام وتسابق الركاب على المركز لإكمال إجراءات السفر فكان بواب المركز يومئذ يقدم بعضا من أخلاط الناس، معرضا عن الشيخ فأثر ذلك في نفسه وطفق ينشد قول عصام بن عبيد الزماني:[٣١]

أدخلت قبلي قوما لم يكن لهم
في الحق أن يدخل الأبواب قدامي

دروس الرجل أيام الحج:

لقد قدم شيخنا الجكني دروسا أدبية أثناء حجّه وذلك لما مرّ في يوم عرفة قرب مسجد نمرة، حيث التقى هنالك بأميري أبها وتبوك وجرت بينه وبينهما محاورة أدبية أفضت إلى درس هام شرح الشيخ خلاله قصيدة جرير التى هجا بها الأخطل والتى مطلعها:

بان الخليط ولو طوعت ما بانا
وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

وقد ركز اهتمامه في الشرح على إبراز معنى بيت كان الأميران السابقان قد سألاه عن مضمونه وإعرابه والبيت المذكور هو قوله:

هل تتركن إلى القسيسين هجرتكم
ومسحهم صلبهم الرحمن قربانا

فبين الشيخ القول في هذا البيت تبيانا مشيرا إلى أنه في ذم الأخطل وقومه بني تغلب إذ يلمزهم جرير بميلهم إلى دين النصارى حيث يهاجرون إلى القسيسين ويمسحون صلبانهم التي يدعون أنها تقربهم إلى الله، فقوله ومسحهم صلبهم مصدر مضاف الى فاعله ورحمن يحتمل فيما يظهر وجهين أحدهما أن رحمن بدل من قوله صلبهم لأن الرحمن المذكور هو عين الصلب المتقرب به إلى الله وقربانا بدل من رحمان على جواز أن يكون من البدل بدل والوجه الثاني من الإعراب أن يكون قوله رحمن قربانا منصوب بعامل محذوف تقديره ومسحهم صلبهم يجعلونها رحمانا، وما يسبق إلى الذهن من أن قوله قربانا مفعول لأجله لا يصح لأن القربان اسم لما يتقرب به إلى الله لا مصدر بمعنى التقرب، فظهر أنه ليس مفعولا لأجله[٣٢]

منتوج الرجل الشعري عبر الرحلة:

لم يكثر الشيخ عبر رحلته من تقديم نماذجه الشعرية وإنما اكتفى ببعض الأبيات التي نظم ردا على أحد أساتذة أم درمان كان قد سأله عن مدى تمكنه من نسج القريض فأجابه مسترجعا ذاكرته، مستحضرا نماذج من أشعار المراهقة وغزليات الصبا، وقد بلغت أربع مقطوعات موزعة بين أغراض مختلفة تشمل الزهد والحث على طلب العلم والتغزل والاعتذار وتقع في ٧٨ من الأبيات وبذلك كان شاعرا مطبوعا ينبعث الشعر من ذهنه جبلة وهو مع ذلك حريص على ألا يتوصل به إلى أي غرض مذموم ولا يتزلف به إلى الملوك لذلك صرح قائلا في الرد على الذى سأله عن ملكته الشعرية: «فقلت له أما الجبلية والطبيعة فنعم وأما من حيث التوصل بالشعر إلى الأغراض والأكل به من الملوك والأمراء فلا»[٣٣] ولعل رحلة الرجل خير شاهد على هذا إذ لم ينظم عبرها بيتا واحدا تكسبا ولم يحمله بعد الشقة وانقطاع السبيل على التزلف لأحد أو التقرب منه بنظم، وإنما كان يكتفى بإنشاد الأشعار المنظومة في حالات مشابهة للحالة التى تمر به فيستحضرها من ذاكرته ويستشهد بها، ولما ألح عليه أستاذ المعهد المذكور طالبا منه أن يسمعه بعض شعره استرجع من ذاكرته أبياتا، وأوضح جانبا من تجربته الشعرية القديمة يقول: «إن عهدي بنسج القريض أيام الصبا وأكثر ما جرى على لسانى منه الغزل في عنفوان الشباب، وربما قلت مقطوعات في طلب العلم والاشتغال به»[٣٤] وهكذا فقد نظم أبياتا أكد خلالها أنه أنقذ من داء الغرام والهوى وذلك بفعل التقدم في السن إذ علا رأسه شيب يزين مفارقه ويحمله على الصد عن سبيل اللهو والمجون، مستلهما نهج الأكابر وحلمهم فلم يعد جمال الفتاة يغريه ولا مبسم الطفلة المغناج يستبيه بل هو قادر على ضبط النفس أمام مغريات الجمال ومفاتن الحياة، حتى ولو تعلق الأمر بذات ثدي كرمانة الروض وجبين كشمس الأصيل، ومضجع كديباج الحرير يقول:[٣٥]

أنقذت من داء الهوى بعلاج
شيب يزين مفارقي كالتاج
قد صدني حلم الأكابر عن لمى
شفة الفتاة الطفلة المغناج
ماء الشباب زارع في صدرها
رمانتي روض كحق العاج



وكـــأنـهـــا قـــد أدرجت في برقع

يا ويلتـــاه بهـــا شـــعـــاع ســـراج

وكـــأنما شـــمس الأصـــيل مـــذابة

تنســـاب فـــوق جـــبـــينهـــا الوهاج

يعلو لموقع جنبـــهـــا في خـــدرها

فـــوق الحـــشـــيـــشـــة ناعم الديبـــاج

ثم يمتد به الخيال عبر هذه المقطوعة إلى الحديث عن الخمرة بعد أن تناول المرأة مؤكدا إعراضه عن سبيلها، مصرحا أنه لا ينخدع بكاساتها ولا تستميله غلمانها فهو قادر على أن يمنع نفسه من التعلق بها مهما عتقت في الدن وراق منظرها أو تبرجت في مظهر أخاذ يسحر العين ويستميل القلب وحتى لو طابت النفوس بمديرها الذى ينظر بناظرتي رشأ ويرمى بسهم صائب ويخطو بخطو مؤثر يقول:[٣٦]

لا تطبـــيـــني عـــاتق في دنهـــا

رقت فـــراقت في رقـــاق زجـــاج

مـــخـــضـــوبة منهـــا بنان مـــديرها

إذ لم تكن مـــفـــتـــولة بمزاج

طابت نفـــوس الشـــرب حـــيث أدارها

رشـــأ رمى بلحـــاظ طرف ســـاج

ثم يستطرد إلى الموسيقى مشيرا إلى أنها لا تستهويه ولا تأخذ بلُبّه مهما انطلقت أوتارها في ألحان شجية معززة برنات المثانى، مشبعة بترجيعات صوتية مؤثرة تلوذ بالقلب وتأخذ بالفؤاد يقول:[٣٧]

أو ذات عـــــود أنطـقـت أوتـارهـا

بلحـــون قـــول للقلوب شـــواج

فـــتـــخـــال رنات المثـــاني أحـــرفـــا

قـــد رددت في الحلق من مـــهـــتـــاج

ونود هنا لو ننبه إلى أن الشاعر قد ضم إلى الأبيات السابقة أبياتا في بحرها ورويها وذلك احتفاء بمقدم أحد أبناء عمومته وهو محمد البيضاوي الذى زار البلاد الموريتانية، قادما من تاوردانت ولم يتفق لصاحبنا أن يلاقيه فاستعان بالأبيات السالفة موفرا على نفسه الوقت متخذا منها مقدمة غزلية مضيفا إليها بيتين هما:[٣٨]

بل إنما اهتـــاج الفـــؤاد لشـــأنه

أن فـــاته مـــرأى حلى الأفـــواج

راضت به جـــاكـــان أثبـــاج العـــلا

من بعـــــد زلزلة عن الأثبـــــاج

الحث على طلب العلم:

لقد نظم الرجل مقطوعة تحض على العلم وتدعو إلى الاشتغال بمسائله وذلك ردا على بعض الأصدقاء الذين نصحوا له بالمسارعة في التزوج حتى لا يفوت الأوان فلا يصادف عند الإرادة من تصلح لمثله وقد استعان على ذلك ببعض المعانى التقليدية مقدما بعض الصور المستجادة أيام الجاهليين، مضفيا على أبياته نغمة جادة تدعو إلى العلم وتعرض عن اللهو، مسطرا أوصاف مرغوبة ناصحيه عبر المحاورة التالية (فقالوا .. فقلت) إلا أن الأوصاف التى ذكر تبدو في مجملها تبيانا للمخزون الغزلى وتوضيحا للمحفوظ الأدبي إذ تمتح من الذاكرة التراثية أكثر مما تصف المرأة، لائذة بالقول إنها ذات دلال وسهام لا تخطيء، بشوشة للرجال قتالة، ورغم هذه الأوصاف الغزلية الأخاذة فإن صاحبنا يصد عن سبيل هذه المرأة مشتغلا بأبكار العلم التى يظل لها عاكفا حتى يستبين غامضها ويبيت بشأنها مفكرا ليستبيح حماها الذى كان منيعا يقول:[٣٩]

دعـاني الناصحون إلى النكاح
غـداة تزوجت بيض الملاح
فـقـالوا لي تزوج ذات دل
خلوب اللحظ جـائلة الوشـاح
كـأن لحـاظهـا رشـقـات نبل
تنيق القلب آلام الجـراح
ولا عـجب إذا كـانت لحـاظ
لبيـضـاء المحـاجـر كـالرمـاح
فكم قـتلت كـمـيـا ذا دلاص
ضـعـيـفـات الجـفـون بلا سـلاح
فـقلت لهم دعـوني إن قلبي
من الغي الصـراح اليـوم صـاح
ولي شـغـل بأبكار عـذارى
كـأن وجـوهـهـا غـرر الصـبـاح
أراهـا في المهـارق لابسـات
براقع من مـعـانيـهـا الصـحـاح
أبيت مـفكرا فـيـهـا فـتـضـحى
لفـهـم الفـدم خـافـضـة الجناح
أبحت حـريمـهـا جـبـرا عليـهـا
ومـا كـان الحـريم بمسـتـبـاح

الحضور الشنقيطي بالمراكز الافريقية:

يمكن أن نقول إن للشناقطة حضورا مكثفا في أغلب المناطق الإفريقية التى مر عبرها الشيخ فقل أن ينزل منزلا إلا ولقي بعضا من قومه أو بنى وطنه وذلك ما أبعده عن الغربة النفسية التى عانى منها بعض رحالاتنا، فقد كان يجد في إخوانه سلوة وعزاء، فقد التقى بأبناء عمومته من الجكنيين، فقبيلة الرجل من القبائل التى عمت شهرتها الآفاق، فهي معروفة بدورها العلمي الرائد ونشاطها التجاري المكثف في المناطق الإفريقية، ويبدو ذلك واضحا من خلال هذا النص الذى كشف عن حضور هذه القبيلة في مختلف المراكز التجارية التى مر بها ا لرجل، فلما دخل باماكو لقي أحد أبناء عمومته من التجار، كان من طلبته السابقين فأحسن ضيافته وأتحفه ببعض الهدايا يقول: «وجاءت بنا السيارة إلى باماكو فنزلنا عند رجل منا طيب الشمائل بالغ في إكرامنا وأهدى لنا ثيابا»[٤٠] وفي قرية مبتى صادف صاحبنا تجارا من قومه فاكرموه وأحسنوا إليه يقول: «وجاءت بنا السيارة إلى بلدة مبتى فنزلنا في دار فيها تجار منا فبالغوا في إكرامنا ثم حملونا في البريد الفرنساوي»[٤١]، أما في قرية فاو التى على الحدود مع النيجر فيلاقى فيها كذلك رجلا من أهله يقول: «ثم دخلنا فاوة وقت الضحى فنزلت عند تاجر من أبناء العم اسمه الزاوى فأحسن إلينا غاية الإحسان»[٤٢]، وفي انيامى باتشاد يلتقى برجل محب للعلم حريص على التعلم عمل على الاستفادة منه حيث قرأ عليه سلم الأخضرى في المنطق يقول: «وكان يكتب ما أملى عليه من إيضاح معانيه ليلا ونهارا خوفا من معاجلة السفر قبل الإتمام حتى أتى على آخره فجاء ذلك الإملاء شرحا وافيا وعن غيره كافيا»[٤٣] وفي قرية مرادى من أرض النيجر ينزل صاحبنا ضيفا عند سلطانها ليجد أمامه رجلا من أبناء عمه كان هو الآخر ضيفا عند السلطان يقول: «ومكثنا في ضيافته خمسة أيام وأخونا الذى كان عنده قبلنا يخدمنا أتم خدمة»[٤٤]، وفي الخرطوم ينزل عند رجل يسمى عبد الباقى فيلتقى في ساحته بالفقيه الأديب محمد محمود الجكني ليتحاورا في بعض مسائل العلم.



أسلوب الرحلة:

لقد كان أسلوب الرحلة سهلا واضحا يميل إلى الموسوعية واستعراض المعارف فقد استودع الرجل رحلته علوما كثيرة فهي تجمع اللغة إلى الأدب والتصوف إلى الفقه والتفسير إلى الأصول والحديث إلى علوم القرآن معولة في كل ذلك على التراث الأدبي مستحضرة جملة من النصوص الجاهلية والاسلامية مدونة بعض النوادر الأدبية والطرف العجيبة ملقية الضوء على طبيعة الارتحال يومئذ وما يلقى المسافر من مضايقة ومعاناة دون أن تنسى التنبيه إلى دور الحواضر الإسلامية في نشر المعارف وبث العلوم.

الهوامش:

(١) محمد الأمين الشنقيطي الجكني: مقدمة رحلة الحج إلى بيت الله الحرام.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٥.

(٥) المرجع السابق، ص ٣٦.

(٦) المرجع السابق، ص ٤٠.

(٧) المرجع السابق، ص ٤٧.

(٨) المرجع السابق، ص ٥٠.

(٩) المرجع السابق، ص ٦١.

(١٠) المرجع السابق، ص ٦٨.

(١١) المرجع السابق، ص ٧٠.

(١٢) المرجع السابق، ص ٧٢.

(١٣) المرجع السابق، ص ٧٨.

(١٤) المرجع السابق، ص ٨٠.

(١٥) المرجع السابق، ص ٨١.

(١٦) المرجع السابق، ص ٨٥.

(١٧) المرجع السابق، ص ٨٧.

(١٨) المرجع السابق، ص ٩٠.

(١٩) المرجع السابق، ص ٩١.

(٢٠) المرجع السابق، ص ٩٥.

(٢١) المرجع السابق، ص ٩٧.

(٢٢) المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٢٣) المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٢٤) المرجع السابق، ص ١٠٦.

(٢٥) المرجع السابق، ص ١١٠.

(٢٦) المرجع السابق، ص ١١٢.

(٢٧) المرجع السابق، ص ١١٧.

(٢٨) المرجع السابق، ص ١٢٠.

(٢٩) المرجع السابق، ص ١٢١.

(٣٠) المرجع السابق، ص ١٢٥.

(٣١) المرجع السابق، ص ١٢٦.

(٣٢) المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٣٣) المرجع السابق، ص ١٣٠.

(٣٤) المرجع السابق، ص ١٣١.

(٣٥) المرجع السابق، ص ١٣٢.

(٣٦) المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٣٧) المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٣٨) المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٣٩) المرجع السابق، ص ١٤١.

(٤٠) المرجع السابق، ص ١٤٧.

(٤١) المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٤٢) المرجع السابق، ص ١٥٢.

(٤٣) المرجع السابق، ص ١٥٥.

(٤٤) المرجع السابق، ص ١١٤.

البوصلة الحية (هج

البوصلة جهاز بسيط يستخدم لتحديد الإتجاهات الجغرافية، والمبدأ الأساسي في الجهاز هو ابرة مغناطيسية مرتكزة على حامل، وهي حرة الحركة، وتشير إلى الشمال المغناطيسي للأرض أو الجنوب حسب موقعها، وبهذا الجهاز استطاع الإنسان أن يمخر عباب البحار والمحيطات ويسير بالاتجاه الصحيح دون أن يضل، كما يعتمد عليه في رحلات الفضاء (الطيران). فالجهاز يحدد زاوية الانحراف وزاوية الميل للابرة ويستطيع الملاح أن يحدد من الزاويتين موقعه بكل دقة في البحر أو البر أو الجو، ويستعين بخرائط أعدّت بشكل خاص للملاحة.

فهل تمتلك الأحياء جهازاً حيوياً في جسمها يعمل كما تعمل البوصلة؟ وكيف تحدد الحيوانات المهاجرة اتجاه الرحلة وهي لم تسلك المسار من قبل؟ وكيف تعود الطيور إلى أعشاشها في رحلة العودة قاطعة آلاف الكيلومترات؟

في هذه الدراسة سوف نتناول كل ما يتعلق بحس التوجه عند الحيوانات، وهذا الحس ظاهر بشكل واضح في الحيوانات المهاجرة، لذلك سيكون التركيز على هجرات الحيوان، في عالم الأسماك والبرمائيات والزواحف والطيور والثدييات، وبعض الحشرات.

وقد اخترنا للدراسة عنوان «البوصلة الحية» كي تلفت الأنظار إلى السر الإلهي الذي يوجه تلك الأحياء، إنه موجود بالتاكيد ولكن لم نستطع حتى الآن أن نحدد موقعه في الجسم تماماً، وقد يكون هذا السر مركباً من عوامل كثيرة بعضها داخلي وبعضها خارجي، وما ذلك على الله بعزيز.

كيف يحدد الإنسان الجهات؟

حدد الإنسان الجهات الأربعة الرئيسية من ظواهر فلكية كالشمس والقمر والنجوم، ولحسن حظ الإنسان، أنْ كان نجم القطب على امتداد محور الأرض الوهمي، لذلك يحدد هذا النجم الشمال الجغرافي بدقة في الليالي الصافية، ويحتاج الإنسان لتحديد الاتجاهات في السفر ليلا في الصحارى أو البحار إذا كانت الرحلة طويلة.

وقد وجد الإنسان بالتجربة أن الاتجاهات الرئيسية «الشرق والغرب والشمال والجنوب» غير كافية لتحديد الاتجاه الصحيح نحو هدف معين، فهناك آلاف الاتجاهات الثانوية بالإضافة إلى اتجاه الأعلى والأسفل، والاتجاهات المائلة، فاعتمد على معالم أرضية لتحديد الاتجاهات لمسافات قصيرة، وهذه المعالم لا تصلح في الرحلات الطويلة ولا تصلح في البحار والمحيطات، وبعد اختراع الطائرات وبدء رحلات الطيران أصبحت الحاجة إلى تحديد الإتجاهات ضرورة، وأي خطأ يمكن أن يؤدي إلى كارثة أو هلاك محقق. فاخترع الإنسان سبل ووسائل لمعرفة وتحديد الإتجاهات، فرسم الخرائط بدقة وطوَّر جهاز البوصلة، وحالياً يعتمد على أجهزة الكترونية دقيقة يتم توجيهها عن بُعد، فأنزل مركبات فضائية على القمر وعلى المريخ في المكان المحدد سلفاً ونسبة



إعداد: محمد فيض الله الحامدي
- سوريا -

ـــرة الحيـــوان)

الخطأ كانت صغيرة جداً.

إن الإنسان اعتمد على الشمس والقمر والنجوم والرياح والمعالم الأرضية، في تحديد الاتجاهات أثناء تنقلاته، واستعان بالأجهزة ويعتمد عليها، فهل تعتمد الحيوانات على تلك الظواهر؟ وهل في أجسامها أجهزة حيوية لتحديد الاتجاهات؟ لنرى!!

حس الإتجاه عند الأحياء:

البحث في حس الإتجاه عند الأحياء متشعب، فالأحياء الدقيقة «وحيدات الخلية» تتجه نحو الغذاء أو الضوء أو الحرارة بحاسة معينة، والنباتات تقوم بانتحاءات نحو الضوء أو الحرارة أو المواد الكيميائية أو بتأثير الجاذبية الأرضية، فهي تتجه نحو هدف أو تبتعد عنه «راجع حس التوجه عند النباتات - في العدد (٥٣٤) من مجلة المنهل - المجلد (٥٨) العام (٦٢) الربيعان ١٤١٧هـ - يوليو/ أغسطس ١٩٩٦ - ص ١٨٢».

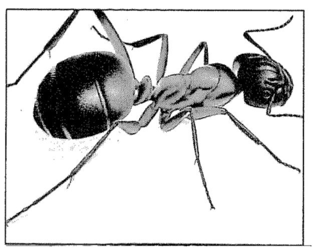
والخلايا أثناء تشكل الجنين تتحرك بالاتجاه المطلوب وبالسرعة المناسبة، ليأتي كل نسيج في مكانه الصحيح، فكيف يحدث ذلك؟

عرف الإنسان جزءاً من الحقيقة، وما خفي أكبر!

والآن مع الأمثلة من عالم الحيوان:

أولا: الحشرات: طائفة من مفصليات الأرجل لها أنواع كثيرة تقدر بمئات الآلاف من الأنواع، وتتصف بصفات تميزها عن العناكب والقشريات وكثيرات الأرجل، فهي سداسية الأرجل، ولها رأس وصدر وبطن، وقد تكون لها أجنحة، ومن الحشرات النمل والنحل والفراش والجراد والذباب والقمل والصراصير والخنافس، وسيقتصر الحديث عن النمل والنحل والفراش والجراد.

(١) النمل: حشرات اجتماعية راقية، أحْصي منها اكثر من ستة آلاف نوع، ولها نظام اجتماعي محير، وما يهمنا هنا كيفية تحديد الإتجاهات، فالنملة تخرج من بيتها (المنملة) بحثاً عن الغذاء، وتعود إلى بيتها، وتفعل أخواتها مثل ما فعلت يومياً، وقد يحدد النمل طريقاً ثابتاً ليسير عليه طابور النمل جيئة وذهاباً، وعرف العلماء بعض أسرار التواصل في مجتمع النمل، فلغته كيميائية، وايمائية (حركات جسمية وملامسة بقرون الاستشعار)، فهل يحدد النمل الاتجاه باللغة؟



النمل يحدد الاتجاه بدقة وبعض الأنواع تسترشد بالضوء المستقطب للنجوم نهاراً.

أجرى العالم السويسرى فيهنر Whner تجارب مع زملائه على نوع من النمل يعيش في الصحراء التونسية (شمال أفريقيا) - لمعرفة حس التوجه عنده،

فوجد أن هذا النوع من النمل، يحدد إتجاهه إلى مساكنه رغم وضع الحواجز واخفاء معالم الأرض واعتقد أن النمل يسترشد بالشمس، فحجب ضوء الشمس عنها، ورغم ذلك كانت تحدد الإتجاه الصحيح، واعتقد فيهنر أن النمل يسترشد بالضوء المستقطب للنجوم نهاراً، وتوصل إلى نفس النتيجة العالم الإيطالي سانشي (Sanchi).

وعند البحث في حاسة الاتجاه عند الكائنات الحية، لابد من التنويه إلى دور الذاكرة! فالإنسان يحدد الاتجاهات الصحيحة بفضل ذاكرته، وكم من شخص أخطأ في الوصول إلى هدفه في المدن الكبيرة لعدم تذكره معالم الطريق، فالذاكرة في الإنسان عامل أساسي في ضبط الاتجاه الصحيح، فهل يعتمد النمل علي ذاكرة؟

إن النمل وبقية الحشرات تقوم بأفعالها بشكل غريزي، ولكن لا نستبعد دور الخبرة الفردية أو الاجتماعية، فالنحل يهاجر بشكل جماعي أحياناً ولا يعود إلى مكانه الأول، وهذا يعني أن الغريزة صقلتها المعطيات الجديدة، ومازال الطريق إلى معرفة الأسرار طويلا.

(٢) **النحل:** النحل من الحشرات الاجتماعية الراقية مثل النمل، وله لغته في التفاهم فهو يحدد الاتجاه بدقة، وقد أمضى العالم الألماني كارل فون فريش K.V. Frishسنوات طويلة في دراسة النحل، وطرق اتصاله، وله كتاب شهير بعنوان «النحل الراقص» ترجم إلى العربية، يبين فيه أن الرقص لغة النحل بشكل أساسي، وتوصل إلى حقائق كثيرة عن سلوك النحل، لكن لم يقطع الشك حول حس التوجه عند النحل.

وُضعتْ بعض أفراد النحل في صندوق، ونقلت بعيداً عن الخلية مسافة لا تقل عن (٣) كم. وأخلي سبيلها، فطارت دورتين، وتوجهت نحو موقع الخلية التي أخذت منها، وقد عادت إلى الخلية تماماً، وقد وَسَمَهَا العالم بعلامات محددة قبل التجربة ليميزها عن بقية النحلات المغادرة للخلية بحثاً عن الغذاء، فهل استرشدت النحلات الموسومة بالمعالم الأرضية؟

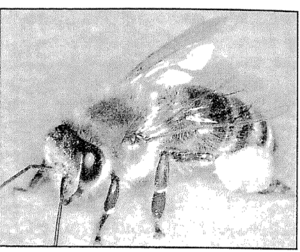
وفي تجربة أخرى نقلت خلية إلى ساحل البحر، وأخذتْ منها عشرون نحلة وضعت في صندوق بعد وَسْمها بعلامات معينة، ونقل الصندوق باتجاه البر مسافة عدة كيلومترات، وأخذت عشرون نحلة أخرى من نفس الخلية ووسمت بعلامات تختلف عن العلامات السابقة، ووضعت في صندوق، نقل إلى قارب في البحر، وابتعد القارب في عرض البحر مسافة مماثلة لبعد الصندوق الأول في البر، واطلق سراح النحلات الأربعين في نفس الوقت، فعادت (١٧) نحلة من البر إلى الخلية ولم تصل أي نحلة من القارب إلى الخلية! فهل معالم الأرض هي المرشد؟.

هذه التجربة توحي بأن النحل اعتمد على حاسة البصر وليس الشم، لأن النحل يعتمد على حاسة الشم في المسافات القريبة.

وفي تجربة مثيرة ، نُقلت الخلية إلى مكان يبعد عن مكانها الأساسي مسافة (٥٠) متراً، فلاحظ العالم أن النحلات العائدة كانت تزور المكان الأول، وتحوم حتى تهتدي إلى الخلية في مكانها الجديد بفضل الرائحة المنبعثة من الخلية.

إن النحل ينشط نهاراً، وهذا يعني أن حاسة البصر لها دور كبير في حياة النحل، وقد يكون موقع الشمس في السماء في فترة معينة مُحَدِّداً أو علامة لتحديد الاتجاه عند النحل، فإذا كانت الشمس في نظر النحلة تشكل زاوية مقدارها (٤٥ْ) مئوية أثناء رحلة الذهاب بالنسبة لمسارها وعلى جهة اليسار، ففي رحلة العودة بعد زمن قليل تكون الشمس على يمين مسار النحلة بزاوية (٤٥) درجة، لذلك تعود النحلة إلى الخلية بدقة، ولإثبات هذا الإفتراض أجريت تجربة مثيرة على النحل، فقد تم حجز بعض النحلات العائدة إلى الخلية في صندوق لمدة اكثر من ساعة، وفي هذه الفترة انتقلت الشمس مسافة معينة في الفضاء، وأطلق سراح النحلات المحجوزة فطارت باتجاه زائف بزاوية معينة مع الشمس، كما لو أنها كانت عائدة قبل ساعة وبدأت تحوم في مكان مفترض لوجود الخلية، فكأنها

تستطيع تقدير المسافات أيضاً، وتأكد العالم أن النحل يحدد اتجاهه في كل وقت في النهار مسترشداً بالشمس لذلك يضل طريقه ليلا، ويعتمد على حاسة الشم في المسافات القريبة للخلية، وتبقى هناك اسئلة بدون أجوبة، كيف تعرف النحلة اليمين واليسار؟ وكيف تحدد الزوايا؟ إنه سر إلهي، مرتبط بالوحي {وأوحى ربك إلى النحل}.



نحلة عادت إلى الخلية وهي تحمل على الرجل الخلفية حبوب الطلع وفي جوفها رحيق الأزهار.

(٣) الفراش المهاجر: كافة الحشرات تعرف أماكن سكنها، فالدبابير والزنابير وغيرها تهتدي إلى أعشاشها تماماً رغم ابتعادها عن العش مئات الأمتار أثناء تجولها بحثاً عن الغذاء، وأذكر هنا سلوك زنبور الوحل، يصنع هذا الزنبور شرنقة من الوحل تشبه بذرة التمر، ويضع فيها بيضة واحدة، بعد تثبيتها في مكان معين على الجدار أو السقف (تثبيت الشرنقة)، ثم يبحث عن فرائس في أماكن بعيدة، فيصطاد عنكبوتين اثنين (فقط) ويخدرهما، ويضعهما في الشرنقة مع البيضة، ثم يغلق الشرنقة، ويذهب بلا عودة، فكيف يعرف مكان الشرنقة؟ أثناء صنعها وجلب العنكبوتين؟.

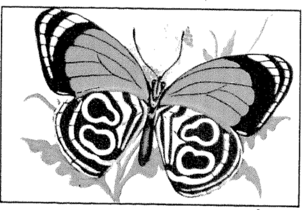
لا شك أن هذا الزنبور يعتمد علي معالم أرضية بفضل حاسة البصر، لأنه ينشط نهاراً، وسلوكه غريزي، فهو يصطاد عنكبوتين فقط (لا ثلاثة) وهذا العدد كاف لتغذية اليرقة التي ستخرج من البيضة، فيكون غذاؤها جاهزاً طرياً، كيف عرف العدد؟ كيف قدَّر حاجة اليرقة؟

الإجابة على تلك الاسئلة تخرجنا عن أهداف هذه الدراسة ولكن نقول: (سبحان الله).

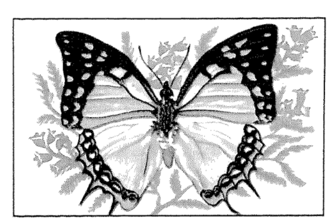
نعود للفراش المهاجر، الفراش من الحشرات حرشفيات الأجنحة، يظهر في الربيع في اكثر الأحيان ويبدي ألواناً عجيبة، وله أنماط من السلوك يحير الألباب، وما يهمنا هنا هو هجرة بعض الأنواع في رحلات طويلة جداً تقدر بآلاف الكيلومترات.

ففراشة السيدة المنقوشة Painted lady تعيش في الربيع في أوربا وعندما يحين الشتاء تهاجر إلى شمال أفريقيا للتناسل، هجرة من الشمال إلى الجنوب، وتعود في الربيع بهجرة معاكسة من الجنوب إلى الشمال قاطعة فضاء البحر الأبيض المتوسط، فتصل إلى بريطانيا في شهر حزيران، فتضع بيضها، وفي تموز تخرج اليرقات، وتنمو إلى فراشات كاملة في شهر آب، يموت قسم كبير منها، وما بقي يهاجر جنوباً إلى شمال أفريقيا في الموعد المحدد من أجل السفاد (التناسل) فكيف عرفت الفراشات الجديدة الطريق؟

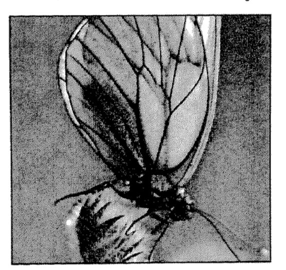
والفراش الملكي يقطع مسافة (٢٥٠٠) كيلومتر تقريباً من شرق كندا إلى (سان لويس بوتسي) في المكسيك حيث يمضي فترة الشتاء الدافئة، وفي الربيع يعود إلى كندا لوضع البيض، ويعيد الفراش الملكي الصغير (الجيل الجديد) هذه الهجرة دون سابق خبرة فكيف عرف ذلك؟ إن الهدف من هذه الهجرات هو الحفاظ على النوع، وشاءت حكمة الخالق أن تكون دورة الحياة لهذا النوع بهذا الشكل، لماذا؟ (سبحان الله).



جمال ورقّة وتناظر في اللون.


زهرة ترشف رحيق الأزهار.

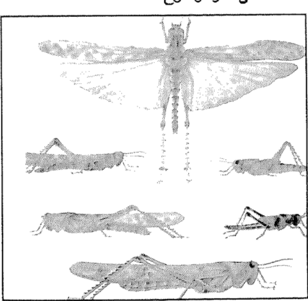

فراشة في حالة استراحة على مجموعة أزهار متى تهاجر؟


فراشة متحفزة للطيران! استراحة أم بحث عن الطعام.

(٤) الجراد: يهاجر الجراد بشكل غير دوري من الأماكن الفقيرة بالغذاء إلى الأماكن الأوفر غذاء، ويتألف سرب الجراد المهاجر من عدة ملايين جرادة، وقد يصل العدد إلى مليار جرادة. ودوافع الهجرة هي البحث عن الغذاء، لكن الملفت للنظر هو حرص الجراد على الطيران والزحف باتجاه واحد، ويتحدى كل العوائق والصعوبات، والأغرب، عندما تخرج حوريات الجراد وهي لا تستطيع الطيران لعدم اكتمال أجنحتها، تقفز وتزحف باتجاه واحد فكيف حدد الأفراد اتجاه رحلتهم؟ ولماذا؟.

إن البحث عن الغذاء يفترض التحرك في جميع الاتجاهات، ولكن هنا نحن أمام سر عن حاسة الاتجاه، قد يكشف العلم مستقبلا بعضاً من أسرارها.

إن سلوك أي حيوان، هو حركة معقدة نتيجة التفاعل بين البيئة وحواس الكائن الحي، فالرطوبة ودرجة الحرارة وحركة الرياح، وميل أشعة الشمس وموقع القمر ومواقع النجوم، كلها عوامل تؤثر في حواس الحيوان، فيسلك سلوكاً معيناً، يساعده على البقاء، وهذا السلوك غريزي لأن الحيوان لا يفكر وليس لديه ملكة العقل، لكنه الهام رباني. لو فكرت الفراشة المهاجرة أو الجرادة المهاجرة بأنها ستقطع آلاف الكيلومترات، وستتعرض للهلاك والتعب، لما هاجرت، ولو عرفت أهداف الرحلة لابتكرت وسائل توفر عليها المشقة والعناء، فالغريزة الهام رباني، تضبط السلوك للحفاظ على الفرد والنوع.


الجراد أنواع كثيرة والنوع المهاجر في اكثر الأحيان هو الجراد الأصفر، طول الفرد يصل إلى (٥) سم فإذا مر السرب على أرض خضراء تركها جرداء.



ثانياً : حس التوجه في الفقريات :

الفقريات شعبة من الحيوانات، لها عمود فقري وهيكل عظمي، وقد صنفها العلماء في خمسة صنوف هي: الاسماك، البرمائيات، الزواحف، الطيور، الثدييات، وسوف نتناول من كل صنف بعض الأمثلة عن هجرة الحيوان، لنتعرف على أسرار البوصلة الحية.

١ ـ الاسماك :

ـ ثعبان السمك: يعيش في الأنهار، ويُعَمِّر حتى عشرة سنوات، وله سلالات مختلفة أشهرها سلالة تعيش في نهر النيل في افريقيا، وسلالة تعيش في أنهار غرب أوربا، وسلالة تعيش في أنهار أمريكا الشمالية، وعندما تبلغ من العمر عشرة سنوات، تنشط بشكل ملحوظ، وتبدأ الرحلة الطويلة الشاقة.

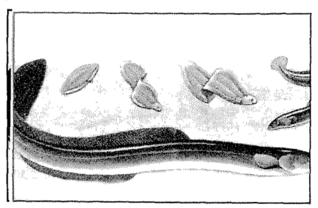
فثعابين السمك النيلية، تهبط من أعالي النيل إلى المصب، وتعبر إلى البحر الأبيض المتوسط، ثم تسبح باتجاه الغرب، إلى مضيق جبل طارق، ومنه إلي المحيط الأطلسي وتتجه شطر بقعة (الإنسال) التي تقع قرب جزائر (بوهاما)، قرب سواحل الولايات المتحدة الأمريكية.

في نفس الفترة تصل ثعابين السمك الأوربية التي تغادر موطنها النهري إلى بقعة الإنسال، كما تصل الثعابين المهاجرة من أنهار امريكا الشمالية نحو الجنوب في المحيط الأطلسي، عندما تصل الذكور والإناث إلى بقعة الإنسال، تهبط إلى القاع، فتضع الإناث بيضها وتقذف الذكور نطافها على البيض من أجل تلقيحها، وبعد أن تفقس البيوض، تخرج صغار ثعابين السمك، وهي شفافة ولها شكل بيضوي، وتتحرك بمجموعها نحو الشرق قليلا، ثم تتشعب إلى ثلاثة شعب.

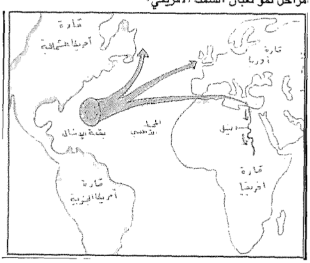
قسم يتجه نحو الشرق قاطعاً آلاف الكيلومترات في المحيط الأطلسي، ليصل إلي مضيق جبل طارق، ومنه إلى البحر الأبيض المتوسط، ثم إلى مصب نهر النيل، حيث كان الآباء قبل عدة سنوات، فتبقى الذكور عند المصب، وتصعد الإناث إلى أعالي النيل.

وقسم يتجه نحو غرب أوربا باتجاه الشرق والشمال، ليدخل إلى الأنهار حيث كان الأسلاف هناك. والقسم الثالث يتجه شمالا حتى يصل إلى مصبات الأنهار في شرق امريكا الشمالية، فكيف عرفت هذه الاسماك مسيرة آبائها؟ وبعد عدة سنوات ستقوم هذه الاسماك برحلة العودة إلى بقعة الإنسال لتعيد دورة الحياة فهل تتذكر رحلتها الأولى؟.

إن هجرة ثعابين السمك من الألغاز التي لم تحل بعد!؟ كيف اتفقت السلالات الثلاثة على موقع واحد هو بقعة الإنسال؟ وبماذا تسترشد؟ في رحلتها الطويلة التي تدوم ثلاث سنوات وتقطع آلاف الكيلومترات؟.



مراحل نمو ثعبان السمك الأمريكي.



خارطة توضح رحلة صغار ثعابين السمك من بقعة الإنسال إلى موطن الآباء.

ـ سمك السالمون: (سمك سليمان).

تعيش اسماك السالمون في البحار وتقصد الأنهار وقت التكاثر، بعكس ما تفعله ثعابين السمك. وتقطع في رحلتها مسافات طويلة. تضع أسماك السالمون بيضها في قاع النهر، قرب الأعالي (المنابع)، وبعد التلقيح يفقس البيض، فتخرج صغار السالمون، وتبقى في النهر مدة عامين، ثم تهاجر إلى البحر، فتمكث فيه اكثر من سنتين، تنشط فيه وتتغذى بشراهة فتنمو

بسرعة وفي فترة التكاثر تهاجر الاسماك الكبيرة من البحر الى النهر (الموطن الأصلي)، وقد عرف العلماء ذلك من وسم زعانف مئات الاسماك بعلامات مميزة، فكيف عرفت الأسماك طريقها إلى النهر بعد سنتين من العيش في البحر؟.

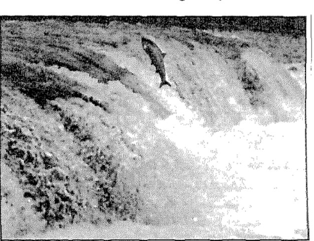
وقد أجرى العلماء تجربة بارعة، إذ نقلوا بيض أسماك السالمون الملقحة من نهر إلى نهر آخر، وبعد الفقس عاشت الصغار في النهر الجديد، وتم وسمها بعلامات معينة، وبعد عامين هاجرت إلى البحر، وفي رحلة العودة، عادت إلى النهر الجديد ولم تعد إلى النهر الذي أخذت منه البيض، وهذه التجربة تضعنا أمام نتيجة هامة وهي:

أولا: اسماك السالمون لا تعتمد على الغريزة في تحديد الاتجاه.

ثانيا: اسماك السالمون تعتمد على حاسة الشم في تحديد مصب النهر الذي ترعرعت فيه بعد خروجها من البيض.

ولكن تبقى بعض التساؤلات بدون إجابة شافية، فهل يعرف سمك السالمون مصب النهر بالصدفة؟ أم أنه يقطع مئات الكيلومترات باتجاه المصب بحاسة الشم؟ وهل حاسة الشم لديه قوية الى هذه الدرجة؟

والإحتمال الأول لتعليل حس التوجه عند السالمون هو تحديد جهة المصب بطريقة ما، قد يكون المجال المغناطيسي الأرضي له دور، أو كثافة الماء في البحر، وربما عوامل أخرى، وعندما تصل الاسماك إلى مسافات قريبة من المصب، يبدأ دور حاسة الشم في تحديد المصب تماماً، فتصعد الاسماك إلى النهر، وتتحدى الصعاب، حتى لو كانت شلالات عارمة.



ـ سمكة سالمون بالغة تقفز عكس تيار الماء (فوق الشلال) لتصل إلى قرب المنابع من أجل التناسل ووضع البيض.

ـ رامي السهم: هو نوع من الأسماك، يحدد اتجاه الهدف بدقة. عندما تبصر سمكة رامي السهم حشرة على ورقة نباتية خارج الماء، تقترب السمكة من سطح الماء، وتحدد اتجاه قذف الماء بدقة، فتقذف الماء ولا تخطىء الهدف.. إذ تسقط الحشرة في الماء، فتسرع إليها السمكة وتلتقطها، كيف تحدد السمكة الاتجاه بدقة؟ علماً بأن سطح الماء يكسر الأشعة، وخط النظر من عين السمكة إلى الحشرة وهمي!

إن السمكة تراعي هذه الظاهرة الفيزيائية، وتصوب قذائفها المائية إلى الحشرة.

إن كل الاسماك من هذا النوع تمارس الصيد بهذه الطريقة وهي لم تتعلمها، تفعل ذلك بالغريزة، وهذا يضعنا أمام لغز من الغاز الحياة عن حاسة الاتجاه في الحيوان!.. فسبحان الله الذي خلق فقدر فهدى.

٢ ـ البرمائيات:

البرمائيات حيوانات لها دورة حياة ثنائية، تضع بيضها في الماء، وتخرج صغارها فتقضي فترة من عمرها في الماء، تتنفس بالغلاصم، وهذا هو الطور المائي من حياتها، وبعد ذلك تفقد غلاصمها فتتنفس بالرئتين والجلد الرطب وهذا هو الطور البري، لذلك سميت برمائيات، ولا تعتبر السلاحف أو التماسيح أو الطيور برمائية لأن صغارها تتنفس اكسجين الهواء فلها طور واحد وإن كانت تقضي معظم وقتها في الماء.

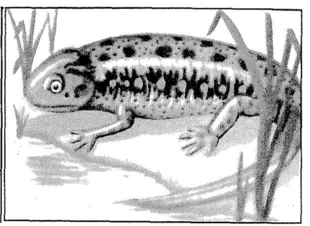
والبرمائيات معروفة ومنتشرة في كل مكان، نعرف منها الضفادع القافزة وهي عديمة الذنب في طور البلوغ، وهناك برمائيات مذنبة، يبقى ذيلها في مرحلة البلوغ ولا تقفز مثل جنس السلمندر Sala mander وجنس التريتون Triton.



أجرى العالم تويتي Tweti من جامعة ستانفورد تجارب كثيرة على السلمندر الذي يعيش في البحيرات، فأخذ مجموعة منها وأبعدها عن البحيرة مسافة كبيرة، بحيث لا يمكن رؤية الماء أو شم الرائحة، ووسمها بعلامات مميزة، وراقبها فعادت إلى البحيرة بعد جهد كبير.

وأجرى تجارب مماثلة على سلمندرات عمياء، وكانت تقصد البحيرة من أي اتجاه تنقل إليه. فظن تويتي أن الحواس الأخرى ترشد السلمندر، فوضع مجموعة على أرض مفروشة بالراتنج لإسقاط دور حاسة اللمس مع التربة، فاتخذت السلمندرات الاتجاه الصحيح نحو البحيرة.

إن حسن التوجه عند السلمندر مازال سراً، لكن بكل تأكيد يهتدي بعوامل خارجية وقد تكون رطوبة الهواء في الجو إحدى تلك العوامل. فيتوجه دائماً نحو مصدر الرطوبة لأنه لا يعيش بعيداً عن الماء.



التريتون Triton.



نوع من السلمندر Salamander.

٢ - الزواحف:

صنف الزواحف يضم أربع رتب هي:

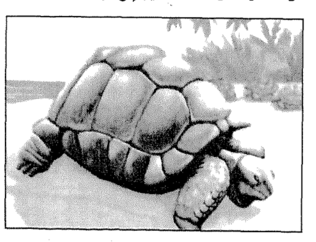
- رتبة الثعابين (زواحف عديمة الأرجل) مثل: البوا - الكوبرى - ذات الأجراس.
- رتبة العظايا مثل: الضب - الحرباء - القنقور - الورل ... الخ.
- رتبة التماسيح مثل: تمساح النيل - تمساح الآمازون.
- رتبة السلاحف مثل: السلحفاة البرية - السلحفاة المائية.

وكافة الزواحف تتمتع بحس التوجه، نكتفي هنا بمثل عن السلاحف المائية.

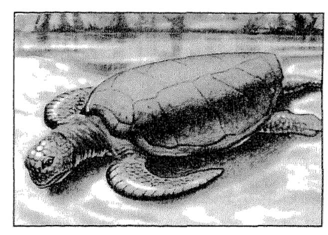
في كل عام في السواحل الإستوائية، تخرج السلاحف المائية مع حلول الظلام إلى الشاطىء وهي تزحف على الرمال الناعمة بأطرافها التي تشبه المجاديف، فتترك على الرمال آثاراً تشبه سراط الدبابة، وتبتعد مسافة معينة، فتحفر حفرة مناسبة بأطرافها، وتضع فيها ما يقارب مائة بيضة، ثم تطمرها بالرمل.

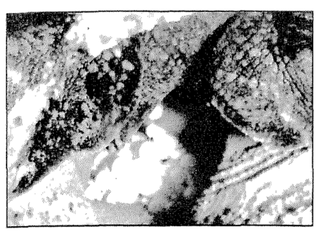
بعد تسعة أسابيع يفقس البيض، فتخرج الصغار ذات الدرقات اللينة، وتتجه صوب البحر مباشرة بسرعات جنونية، لأنها تتعرض لهجمات الأعداء وبشكل خاص الطيور، وقسْمٌ منها يصبح غذاء للطيور، ويصل عدد لا بأس به إلى البحر، فكيف عرفت صغار السلاحف الاتجاه إلى البحر؟.

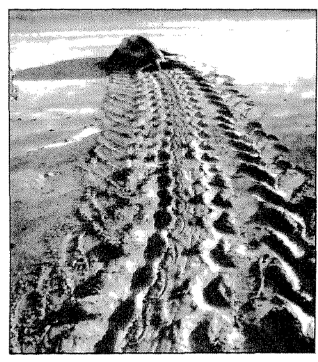
إنها تتجه بعد خروجها من البيض مباشرة إلى البحر؟ لماذا لا تزحف باتجاهات أخرى؟ هل تسترشد بحاسة البصر؟ أم بالحواس الأخرى؟ وكيف عرفت الأم أن صغارها لن تضل الطريق إلى البحر؟.

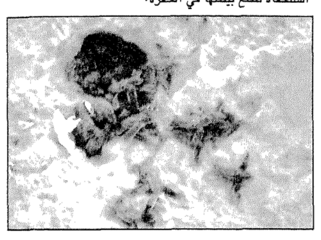


سلحفاة برية أرجلها قائمة.


سلحفاة مائية Turtle لاحظ شكل الأرجل.


السلحفاة تضع بيضها في الحفرة.


سلحفاه مائية خرجت من البحر إلى مكان آمن لتضع بيضها في حفرة وتطمرها بالرمال وتعود إلى البحر.




صغير السلحفاة يشق البيضة.

٤ ـ الطيور:

أحصى العلماء اكثر من (٨٥٠) نوعاً من الطيور، واكثر من ثلث هذه الأنواع يهاجر من مكان لآخر، يقول: كلارنس ـ ج ـ هايلاندر مؤلف كتاب «الطيور والطيران»: «الهجرة في معناها العام تعني تحرك بعض الحيوانات من منطقة لأخرى، وقد تمتد هذه الهجرة مدة تتروح بين ثلاث وخمس سنوات، كما في الصقور والبوم أو تسع سنوات مثل الطهيوج (وهي هجرة الطريق الواحد) أو (الهجرة النهائية)، ولعل أجدر الأمثلة على ذلك هي حيوانات اللاموس القارضة التي تتحرك في هجرة جماعية من الأراضي الجبلية التي تنشأ فيها، إلى البحر حيث تلقى حتفها بنوع من الغرق الجماعي».

درست ظاهرة الهجرة في الطيور دراسة عميقة، اكثر من دراستها في الأنواع الأخرى من الحيوانات لأسباب عديدة منها:

ـ يمكن وسم الطيور بعلامات مميزة بسهولة،



كتعليق حلقات في رقابها أو أرجلها.
- تثبيت أجهزة الكترونية في أماكن معينة من جسمها.
- يمكن ملاحظة هجرتها بسهولة اكثر من ملاحظة هجرة ثعبان السمك مثلا.

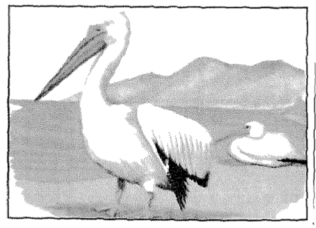
والهدف من الدراسات هو: معرفة أسباب الهجرة، والعوامل التي تسترشد بها الطيور في هجرتها، وفيما يلي أمثلة عن هجرات بعض الأنواع من الطيور المشهورة.

أ- هجرة البجع من أوربا إلى افريقيا:

نوع من البجع يعيش في المانيا (الشرقية والغربية) (التجارب قبل توحيد الالمانيتين) يهاجر هذا النوع من المانيا إلى وادي النيل في افريقيا مع حلول الشتاء، والغريب أن البجع الذى يقطن في المانيا الشرقية يسلك طريقاً خاصاً، يمر من آسيا الصغرى واليونان، بينما يسلك بجع المانيا الغربية طريقاً عبر فرنسا وجبل طارق ثم إلى شمال أفريقيا ومنها إلى وادي النيل.

أجرى العلماء تجربة مثيرة، تم فيها نقل بيض البجع من المانيا الشرقية إلى الغربية، والعكس أيضاً، وبعد فقس البيض، تم وسم الصغار بعلامات مميزة وتمت مراقبتها، وعندما حان موعد الهجرة، لم تهاجر صغار البجع المنقولة من الكبار، بل اتخذت اتجاهاً للحاق بآبائها، فانحرفت البجعات ذات الأصل من المانيا الشرقية نحو الشرق لتلحق بآبائها، واتجهت ذات الأصل من المانيا الغربية نحو الغرب لتلحق بآبائها.

كيف عرفت ذلك؟ هل توجهت بالغريزة؟ أم بعوامل الطبيعة؟ أم بالشمس؟ ومازال هذا السر لغزاً يحير العلماء!؟.

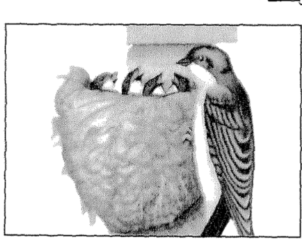


البجع من الطيور المهاجرة.

ب- هجرة السنونو:

يعيش السنونو في المناطق الدافئة، لذلك يلاحظ في الربيع والصيف في المناطق المدارية المعتدلة شمالا، وفي الصيف يتواجد في أوربا، وقبيل حلول الشتاء يهاجر إلى المناطق الاستوائية الحارة في افريقيا، قاطعاً مسافات كبيرة عبر البحر الأبيض المتوسط والصحراء الأفريقية. ويعود في أواخر الشتاء وبداية الربيع إلى أماكن تواجده في أوربا والمناطق المعتدلة.

وقد أجرى العلماء تجارب دقيقة عليها، ففي احدى التجارب أخذت سبعة أفراد من السنونو (Swallows) من أعشاشها في مدينة (بريمن) Bremen في المانيا، ووسمت باللون الأحمر على الريش الأبيض للبطن، ونقلت إلى كريدون Crydon قرب لندن بالطائرة وأطلقت هناك، فعادت خمسة منها إلى أعشاشها في بريمن، قاطعة مسافة (٧٠٠) كيلومتراً، فكيف عرفت الاتجاه؟ وكيف حددت مكان العش؟ هل استرشدت بالشمس؟ أم بالرياح؟ أم بالمجال المغناطيسي الأرضي؟ إنه سر الهي، يدل على إبداعه وحكمته.



السنونو طائر مهاجر.

ج- هجرة جلم الماء: (Shear Water)

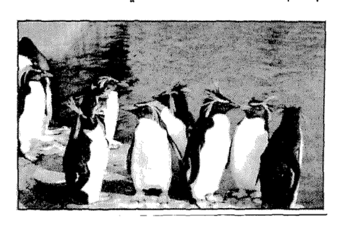
يقطع هذا الطائر مسافات هائلة في هجرته من الجنوب إلى الشمال عبر المحيط الأطلسي، إلى جرينلاند حيث يتكاثر هناك.

ولهذا الطائر حاسة اتجاه قوية، فقد نُقل طائران

بعد وسمهما بعلامات مميزة (حلقة مرقمة مثبتة في الرجل) نُقلا من (ويلز) في بريطانيا، إلى فينيسيا (البندقية) في ايطاليا، مسافة تزيد على (١٦٠٠) كيلومترا، وأطلق سراحهما، فعاد أحدهما الى عشه بعد اسبوعين، بينما عاد الثاني بعد حلول الربيع الثاني، فكيف عرف الأول اتجاه الطريق إلى ويلز؟ هل قطع المسافة المستقيمة من البندقية إلى ويلز؟ أم سلك طريق البحر فيكون قد قطع اكثر من (٦٥٠٠) كيلومتر؟.

د ـ هجرة البطريق: (Penguin)

البطريق طائر لا يستطيع الطيران، يعيش في المناطق القطبية الباردة، ويستطيع السباحة في الماء بسهولة، نوع منه يهاجر من منطقة القطب الجنوبي إلى أمريكا الجنوبية، ويعود ثانية إلى القطب الجنوبي، بشكل دوري بتعاقب الفصول، يقطع في البحر مسافات كبيرة، فكيف يعرف اتجاه القارة؟ ولا توجد معالم في البحر؟ هل يسترشد بالشمس؟ أم بالنجوم؟ أم يقوم بهذه الهجرة بشكل غريزي؟



نوع من البطريق في القطب الجنوبي.
افترض العلماء أن البطريق يسترشد بخطوط المجال المغناطيسي الأرضي، لكن التجارب لم تؤكد بشكل قاطع هذا الافتراض؟!.

هـ ـ هجرات أخرى:

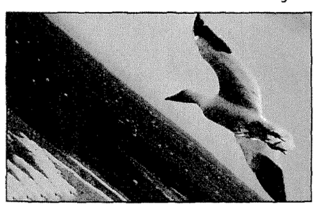
تهاجر طيور أخرى من مكان لآخر، في رحلة الشتاء والصيف بحثاً عن الدفء أو الغذاء أو من أجل التكاثر.

فاوز البرنقيل: يعيش في المناطق الشمالية الباردة، وعندما يحل الشتاء تتجمد البحيرات فلا يستطيع البقاء في تلك البقاع، فيهاجر جنوباً حيث الشتاء الأدفأ، والبحيرات لا تتجمد، فيستقر، ويبحث عن غذائه.

والهدهد: طائر ملون جميل، له زوائد ريشية في قمة رأسه تشبه المنقار ويعرف (بطائر سليمان) له رحلات سنوية بين الشمال والجنوب حيث الغذاء الوفير من الحشرات والديدان. وهناك مئات الأنواع المهاجرة، والسمات العامة للطيور المهاجرة هي:



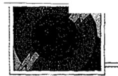
الطيور المائية تهاجر أيضاً بحثاً عن الدفء والمكان الملائم للتكاثر.



رحلة هادئة للبط البري إلى حيث الغذاء الوفير والطقس الملائم.

أولا: قدرتها الكبيرة على الطيران بدون تعب.

ثانيا: سرعتها النسبية عالية: فالغراب يقطع مسافة (٧٥) كيلومتراً في الساعة. والزرزور يقطع مسافة (٨٥) كيلومتراً في الساعة، واليمامة تقطع مسافة (٣٠٠) كيلومتراً في الساعة.



ونميز بين ثلاثة أشكال من الهجرات:

- هجرات طويلة تستغرق مدد زمنية طويلة، عدة سنوات، تقطع فيها الطيور مسافات تقدر بآلاف الكيلومترات.

- هجرات متوسطة سنوية، تقطع فيها الطيور مئات وأحياناً آلاف الكيلومترات حسب نوعها وبيئتها.

- هجرات غير محددة، مستمرة، التنقل من مكان لآخر بحثاً عن الغذاء.

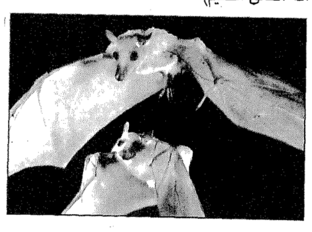
في كل هذه الهجرات، يبحث العلماء عن سر الحاسة التي توجه الطيور في هجرتها. وقد لاحظ الكاتب، وبالتحديد في شهر شباط سنة ١٩٩٠م في موقع شمال مدينة حلب في سورية، سلوك بعض الغربان في تنقلاتها اليومية، كانت الغربان تنطلق من الجنوب إلى الشرق في تمام الساعة السادسة والربع في صباح كل يوم، واستمر هذا التوقيت مدة اسبوعين، وكانت تطير في مسار محدد وتقوم بمناورات غريبة، وتأخذ في طيرانها شكلا أقرب ما يكون إلى السلسلة المجدولة. فكيف تحدد وقت الإنطلاق إلى مكان الغذاء؟ وكيف تعرف الاتجاه تماماً؟

أسرار وأسرار لم نعرف عنها إلا القليل (فسبحان الله الخالق الحكيم).

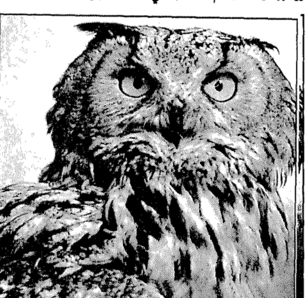


خبير يضع حلقة في رقبة البطة وأخرى في رجلها.

تهاجر الطيور الكبيرة كالتم والاوز والبط بنظام دقيق على شكل أرتال أو بشكل السهم والخبراء يدرسون أسباب الهجرة وكيفية تحديد الاتجاه بتعليم بعض الطيور وذلك بوضع حلقات في أرجلها ورقابها واطلاقها ثم امساكها في أماكن أخرى.



الخفاش من الثدييات الطائرة.



هناك مثل يقول «اتبع البوم يدلك على الخراب» فهذا الطائر أصبح مصدر التشاؤم لارتياده الأماكن المهجورة والأطلال وهو في الحقيقة يبحث عن مأوى له في هذه الأمكنة، وبحثاً عن الفئران والجرذان التي تأوي إلى هذه الأمكنة. فكيف يحدد البوم اماكن الأطلال ليلا؟ للبوم حاسة بصر حادة، وعينان واسعتان، فلها قوة ابصار أعظم من قوة ابصار الإنسان ليلا بكثير.

٥ ـ الثدييات:

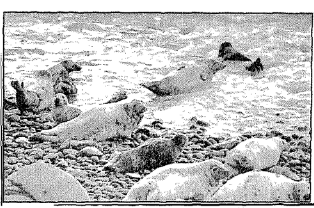
الثدييات أقل الحيوانات هجرة، لأنها تتكيف مع البيئة، لكن بعض الأنواع تهاجر بشكل جماعي منها:

أ ـ هجرة الخفاش:

الخفاش كما هو معروف من الثدييات الطائرة، له أنواع عديدة وهو ليلي النشاط، توجد منه ثلاثة أنواع تعيش في أمريكا الشمالية تهاجر في بداية الشتاء من الشمال إلي الجنوب في مجموعات، والغريب أن مجموعات الذكور منفصلة عن الإناث أثناء الهجرة.

والمعروف عن الخفاش أنه يتصل أو يتعرف على الحواجز والحشرات بفضل الأمواج الصوتية غير المسموعة من قبل الإنسان وفق المبدأ المعمول به في الرادار، فهل يعتمد الخفاش في رحلته على راداره؟ والخفاش يهاجر ليلا فهل يسترشد بالنجوم؟

الخفاش بشكل عام غير ضار، فهو يأكل الحشرات، لكن بعض الأنواع في امريكا الجنوبية تمتص دماء الحيوانات أو الإنسان النائم بعد أن تجرح جلده بدون أن يشعر بذلك، وبعضها يتناول أنواع من الفاكهة.



الفقمة تهاجر سنوياً إلى بقعة محددة على الشاطيء.

ب ـ هجرة الفقمة:

الفقمة حيوان ثديي يعيش في البحار، أحصي منها (٣٥) نوعاً، ففي كل عام تقطع آلاف الفقمات، المحيط الباسفيكي الشمالي باتجاه مجموعة الجزر الصغيرة غير المسكونة قرب آلاسكاء، وتصل إليها في الربيع، ويصل عددها إلى عدة ملايين، تصل الذكور أولا في شهر آيار وتحدد مواقعها، وفي حزيران تصل الإناث حيث يتم السفاد (التزاوج) بعد صراع عنيف بين الذكور، فكيف عرفت الفقمات الطريق إلى تلك الجزر؟

وتقوم معظم أنواع اللبونات البحرية المماثلة بهذه الرحلات، منها أفيال البحر التي تتميز بوجود نابين طويلين يتدليان من الشفة العليا.

وفي بداية الشتاء تكون جميع الفقمات قد تركت الجزر باتجاه الجنوب في رحلة طويلة شاقة، فالذكور تبقى قرب آلاسكا، أما الإناث فتصل إلى شواطيء اليابان وشواطيء كاليفورنيا حيث المياه اكثر دفئاً.

ج ـ هجرة اللاموس:

حيوان ثديي قارض صغير، يستوطن المناطق الشمالية الباردة في آسيا وأوربا وأمريكا، يتغذى على الحبوب والفواكه والنباتات، يتكاثر مرتين في السنة، فتضع الأنثى خمسة صغار في كل مرة، وتبدأ هجرة اللاموس عندما ينقص الغذاء، يهاجر بأعداد كبيرة بالملايين، فيتجه نحو البحر ويقتحم الصعاب دون تراجع، يقذف نفسه في مياه الأنهار والبحار، أي ينتحر، فهجرته هجرة انتحار لماذا؟ لم يعرف السر بعد؟!.

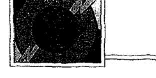


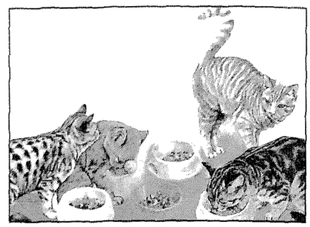
القطط تتمتع بحاسة اتجاه دقيقة فهي تعرف المنزل الذي عاشت فيه، إذا ابعدت عنه، حتى في حالة اغلاق عينيها أو وضعها في صندوق إذا لم تتعرض لمكروه أثناء عودتها، وقد لاحظ الانسان هذه الظاهرة عند القطط، فكيف تحدد الإتجاه الصحيح؟. القط يعتمد بالتاكيد على حاسة البصر ولكن لابد أنه يتمتع بذاكرة قوية.

ـ في الصورة، الأم تنظر جانباً كأنها تفكر في أمر ما، بينما صغيرها ينظر بارتياب إلى المصور.

د ـ حس الاتجاه عند القطط:

حس الإتجاه عند القطط ملحوظ، ومن النوادر التي تحكى أن رجلا عصب عيني قطة ليتخلص منها، وحملها وهي معصوبة العينين إلى مكان بعيد، في الشعاب الجبلية وتركها في مكان موحش، وعندما أراد




كما تكون أخلاق الناس كذلك القطط.

العودة ضل طريقه، فعاد إلى القطة ورفع العصابة عن عينيها وتركها، وتبعها فأوصلته إلى البيت.

خلاصة ما تقدم من أمثلة، إن ظاهرة الهجرة عن الحيوانات منتشرة في معظم الأجناس والفصائل، ولها دوافع عديدة كما سنرى في الفقرات القادمة، وما نريد معرفته هو الإجابة على سؤالين أساسيين هما:

أولا: لماذا تهاجر الحيوانات؟

ثانيا: كيف تعرف الطريق وبماذا تسترشد؟

لماذا تهاجر الحيوانات؟

سؤال يدفعنا للبحث في اسباب الهجرة عند الحيوانات، وبشكل خاص الهجرات الطويلة، وقد وضعت أربعة احتمالات لدوافع الهجرة هي:

- دافع اقتصادي (البحث عن الغذاء).
- دافع جغرافي (البحث عن البيئة المناسبة)
- دافع جنسي (اختيار مكان مناسب للتناسل)
- دافع غريزي (الهجرة إلى الموطن الأول).

وقد تشترك الدوافع الأربعة في بعض هجرات الأنواع، أو اكثر من دافع، ولاثبات صحة هذه الدوافع، أجرى علماء الحيوان تجارب واختبارات كثيرة على حجرات الحيوان وبشكل خاص (الطيور) وتمت مراقبة الهجرات ميدانياً، وتحديد أوقاتها.

فالدافع الإقتصادي: يظهر واضحا في هجرة (الجراد)، لأن الجراد لا يهاجر إذا كان الغذاء وفيراً في مكان إقامته، وعندما ينضب الغذاء، تنطلق حشود الجراد في اتجاه محدد بحثاً عن مكان أوفر غذاء، لكن هذا الدافع لا يعلل هجرة سمك الانقليس (ثعبان السمك) أو هجرة بعض أنواع الطيور.

والدافع الجغرافي: يلاحظ عند كثير من الحيوانات المهاجرة، ومعظم الهجرات تكون باتجاه الأماكن الدافئة، فالهدهد والسنونو تهاجر من الشمال إلى الجنوب عندما يحل فصل الشتاء في الشمال، حيث الجنوب يكون دافئاً، وخاصة قرب المناطق الإستوائية، وفي الربيع والصيف، تعود هذه الطيور إلى الشمال، إلى موطنها حيث الدفء والغذاء. وبعض الحيتان والفقمة تهاجر من الشمال إلى الجنوب شتاء والعكس صيفاً بحثاً عن الدفء والغذاء.

والدافع الجنسي: قد يعلل هجرة ثعابين السمك، وسمك سليمان، وبعض أنواع الطيور، ولإثبات هذا الدافع، قام العلماء باستئصال الغدد التناسلية لبعض الطيور قبل موعد الهجرة لتثبيط الدافع الجنسي، وعندما حان موعد الهجرة، هاجرت الطيور التي استؤصلت غددها التناسلية أيضاً. وهذا يعني أن دافع الهجرة غير معروف لكن الهدف الجنسي يتحقق في هذه الهجرات.

والدافع الغريزي: يفسر هجرة الفراش الملكي، وحيوان اللاموس، وأنواع أخرى من الطيور والحشرات، إذ يعتقد العلماء أن هجرة هذه الأنواع أصبحت غريزية نتيجة قيام الأسلاف بهجرات دورية منذ ملايين السنين، فأصبحت جزءا من السلوك الغريزي الذي يورث مثل بقية الصفات الوراثية. فاللاموس يهاجر باتجاه المياه، الأنهار أو البحار ويقذف نفسه في الماء فيهلك ولا يعلل الدافع إلا بالغريزة.

البوصلة الحية:

بماذا تسترشد الحيوانات في هجرتها؟

إذا كانت الهجرات القصيرة، أو عودة الحيوانات إلى أماكنها وأوكارها، تفسر بالمعالم الأرضية، بفضل الحواس، مثل عودة الطائر إلى عشه والحشرات إلى

أوكارها، وعودة الثدييات إلى بيوتها، فالبقرة والشاة والماعز والكلب والقطة، تعود إلى منزل صاحبها مساء، بعد أن تتجول في الحقول بعيداً عن المنزل لكن في الهجرات الطويلة لا تصلح المعالم الأرضية لتحديد الاتجاه، فكيف تحدد الحيوانات المهاجرة اتجاه الرحلة؟ هل تمتلك بوصلة حية؟.

وضعت فرضيات عديدة، وأجريت تجارب لإثبات صحتها، وتلك الفرضيات هي:

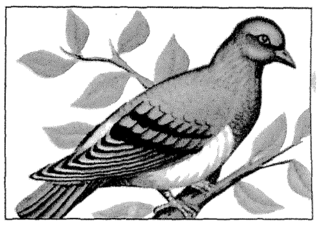
- قد تسترشد الحيوانات النهارية بالشمس (ضوء النهار).
- قد تسترشد الحيوانات الليلية بالنجوم (مواقع النجوم).
- قد تسترشد الحيوانات البحرية باختلاف تركيز ملوحة المياه ودرجة الحرارة.
- قد تسترشد الحيوانات بخطوط المجال المغناطيسي الأرضي.

لا شك أن الحواس لها دور في الهجرة، ومن تفاعل الحواس مع العوامل الخارجية إضافة لوجود الدوافع، يتحدد اتجاه الهجرة ومسارها.

والآن مع الفرضيات:

أولا: فرضية الاسترشاد بالشمس:

وجدنا أن النحل يسترشد بموقع الشمس في قبة السماء أثناء تجوله في الحقول بعيداً عن الخلية، فيحدد اتجاه رحلة العودة إلى الخلية من تقدير الزاوية التي



- الحمام يسترشد بالشمس في تحديد مكانه.

يصنعها اتجاه طيرانه مع سمت الشمس، ويعتمد على حاسة البصر.

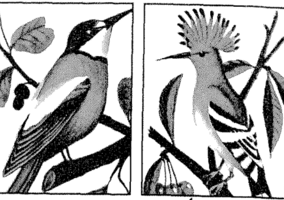
وقد أجريت تجارب على طائر الحمام، وهو من الطيور التي تستأنس، وخاصة الحمام الزاجل، وهو مشهور بقدرته على العودة إلى مكان سكنه بدقة متناهية، وسرعة نسبية كبيرة.

ودلت التجارب أن الحمام يسترشد بموقع الشمس في تحديد الإتجاه، وكانت الحمامات التي خضعت للتجارب تعدل اتجاه الطيران بمقدار انحراف الشمس نحو الغرب كلما طال الزمن، فكأن حاسة الاتجاه، والإحساس بالزمن، مضبوطتان بدورة الشمس الظاهرية، ولا شك أن الحمام يعتمد على حاسة البصر في تحديد معالم الطريق فيعود إلى أبراجه.

ثانيا: فرضية الإسترشاد بالنجوم:

بعض الطيور تهاجر ليلا في الاتجاه الصحيح، وتقطع مسافات كبيرة، وخاصة في الليالي الصحوة، وهذا ما دفع العلماء لافتراض أن الطيور المهاجرة ليلا تسترشد بالنجوم، وقد أجرى العالم سوبار من جامعة (فريبرغ) في ألمانيا تجربة على طيور صغيرة مغردة، تهاجر عادة في أواخر الخريف ليلا، فربى مجموعة من هذه الطيور في أقفاص خاصة، وحمل هذه الأقفاص في موعد الهجرة إلى قاعة، فيها نموذج آلي للقبة السماوية، وقد حُددت عليها مواقع النجوم بدقة، في مرصد (بريمن)، ويمكن تحريك القبة بشكل دائري أفقي، في بداية التجربة تم تغطية الأقفاص بالقماش، ووضعت تحت القبة، وقد ثبتت القبة على وضع مشابه للقبة السماوية تماماً في وضعها الراهن (وقت





ـ الهدهد يهاجر نهاراً. الوروار يهاجر ليلا.

التجربة) ثم رفعت الأغطية عن الأقفاص، فلاحظ سويار أن معظم الطيور كانت تقف وترفرف باتجاه *الرحلة الطبيعية السنوية، في الوقت الذي بدأت الطيور* الحرة بهجرتها من الشمال إلى الجنوب. وقام بتغطية الأقفاص ثانية، وأدار القبة بمقدار ربع دورة، أي تغيرت مواقع النجوم بمقدار (٩٠) درجة، وعندما رفع سويار الأغطية عن الأقفاص، لاحظ أن الطيور أخذت اتجاهاً جديداً كأنها على الطبيعة، أي دارت بمقدار (٩٠) درجة. وهذا يؤكد أن الطيور تسترشد بمواقع النجوم، فهل يمكن القطع بصحة هذه التجربة؟.

لقد أجريت تجارب أخرى مماثلة على طيور أخرى، فكانت النتائج تؤكد استفادة الطيور من مواقع النجوم في تحديد اتجاه طيرانها ليلا، ولما كانت النجوم غير ثابتة باستثناء نجم القطب، فإن الطيور تعدل اتجاه طيرانها بمقدار يتناسب مع تغير مواقع النجوم ظاهرياً، وإلا لكانت رحلتها دائرية ولما وصلت إلى هدفها.

ثالثا: فرضية الإسترشاد باختلاف تركيز ماء البحر وحرارته:

بالنسبة للحيوانات البحرية المهاجرة، يمكن أن تكون درجات تركيز ملوحة ماء البحار واختلاف درجات الحرارة بالاتجاهين العمودي والأفقي عوامل مساعدة لتحديد اتجاه الهجرة، فدرجة حرارة الماء تنخفض كلما اتجهنا نحو العروض العليا، من المنطقة الإستوائية إلى القطبين، وقد تكون لدى الحيوانات قدرات حسية تميز التغيرات الطفيفة جداً في درجات الحرارة، وتحدث في البحر تيارات حمل مستمرة، وتجري في البحار أنهار من المياه العذبة وأنهار لها درجة حرارة وكثافة مختلفة عن حرارة وكثافة ماء البحر. وقد تستفيد الحيوانات المهاجرة من هذه العوامل، لكن في الرحلات الطويلة كرحلة ثعبان السمك من النيل إلى بقعة الإنسال في المحيط الأطلسي، يصبح دور تلك العوامل ثانوياً.

رابعا: فرضية الاسترشاد بخطوط المجال المغناطيسي الأرضي:

لاحظ العلماء أن حشيشة الفلفل لها جذور تترتب أثناء نموها وفق خطوط المجال المغناطيسي الأرضي، وهذا يفيد أن الخلايا الحية يمكن أن تتأثر بالمجال المغناطيسي الأرضي.

وضع العلماء افتراضاً باعتماد بعض الحيوانات المهاجرة في رحلات طويلة على خطوط المجال المغناطيسي الأرضي، وهذه الخطوط موجودة ليلا ونهاراً، فإذا صح هذا الإفتراض فلابد أن تؤكده التجارب.

ثبّت العلماء مغانط معدنية قرب رأس الطائر المهاجر، وتحت جسمه، وكذلك تحت جسم السلاحف والدلافين والأسماك، وكانت النتائج سلبية، أي لم تتأثر الحيوانات الخاضعة للتجربة بهذه المغانط، ولو كانت تسترشد بالمجال المغناطيسي الأرضي، فإن وجود المغانط المعدنية يحدث تشويشاً في خطوط المجال المغناطيسي الأرضي، وهذا سيؤدي إلى اضطراب سير الحيوان المهاجر في رحلته.

نخلص مما تقدم أن حس التوجه عند الأحياء ظاهرة حيوية، لم يتوصل العلماء إلى معرفة أسرارها كاملة، وكل ما وصل إليه العلماء هو احتمالات لا اكثر.

فأين يمكن اكتشاف البوصلة الحية؟

في الجهاز العصبي؟ في دماغ الحيوان؟ وربما تكون مركبة من عوامل داخلية وعوامل خارجية، سبحان الله {**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**} (الانعام/ ٣٨).

(من آثار ابن جني في اللغة)

الآثار المفقودة [٣]

* هذه الدراسات في المكتبة التراثية لها أهميتها العلمية لانها توضح للقارئين بعامة، والباحثين بخاصة الجهد العلمي والفكري الذي بذله علماؤنا الافاضل في السالف في تدوين العلم وتسجيله.

في الحلقة السابقة من هذا الموضوع المنشورة في العدد (شوال وذو القعدة ١٤١٨هـ) تناول الدكتور الينبعاوى ثمانية عشر اثراً مفقوداً .. وفي هذه الحلقة يكمل ما بدأه.

ـ المنهل ـ

[الحلقة الأخيرة]

بقلم:
د. غنيم غانم الينبعاوي
كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى

٣١ ـ مد الأصوات:

لم يذكره ابن جني في اجازته ولا في آثاره التي بين أيدينا، وقد ذكره ياقوت الحموي فقال: «هو رسالة في مد الأصوات، ومقادير المدات، كتبها الى أبي اسحاق ابراهيم بن أحمد الطبري مقدارها ستة عشرة ورقة بخط ولده «عا»[١٧٠].

وقد ذكر هذه الرسالة ابن شاكر الكتبي[١٧١] واسماعيل باشا البغدادي[١٧٢]، والدكتور محمد أسعد طلس[١٧٣] نقلا عن معجم الأدباء لياقوت الحموي.

٣٢ ـ مسائل نحوية:

لم يذكره ابن جني بهذا الاسم في اجازته العلمية، ولا ورد ذكره في كتبه التي بين أيدينا، وانما ذكره (ياقوت الحموى) نقلا عما حدثه به علم الدين، أبو محمد القاسم بن أحمد الأندلسي[١٧٤]، قال: «وجدت في مسائل نحوية، تُنسب الى ابن جني، قال: لم أسمع لأبي علي شعرا قط[١٧٥].

ويستمر (الحموي) في ذكر ما أورده (الأندلسي) عما وجده في مسائل ابن جني من ايراد محاورة بين شاعر لم يحدد الراوى اسمه وبين أبي علي الفارسي وما قاله من الشعر فقال أبو علي: «ان خاطرى لا

يواتيني[١٧٦] على قوله، مع تحقيقي للعلوم التي هي من موارده[١٧٧].

ويستمر الشاعر في سؤال أبي علي عما قاله من الشعر، فيجيبه أبو علي بقوله: «ما أعهد لي شعرا الا ثلاثة أبيات قلتها في الشيب[١٧٨].

وقد أورد (ياقوت الحموي) هذه الأبيات نكتفي بذكر أولها، وهو:

خضبتُ الشيّب لما كان عيباً

وخضبُ الشيّب أولى أن يُعابا

وهذه المسائل التي ذكرها (الأندلسي) وأوردها (ياقوت) في كتابه لم تصل الينا منها أمثلة لنعرف ما إذا كانت كتابا مستقلا برأسه؟ أو مسائل وردت في كتبه التي بين أيدينا؟ أو في مؤلفاته المفقودة.

٣٣ ـ المعاني المجردة:

هكذا ذكره ياقوت الحموي[١٧٩]، وابن شاكر الكتبي[١٨٠] وابن قاضي شهبة [١٨١]، واسماعيل باشا البغدادي[١٨٢]، والدكتور فاضل السامرائي[١٨٣]، وقال عنه الدكتور محمد أسعد طلس[١٨٤] «لم أعثر عليه فيما لدي من مظان».

٣٤ ـ المعتلات في كلام العرب:

أورده ابن جني نفسه في كتابه «سر صناعة الإعراب» وذكر أنه اذا أتته فرصة سيضع كتابا في المعتلات يقول ابن جني في (لام) (عزة)، و(عزون): «قياسها أن تكون في الأصل (عزوة) لأنها الجماعة، فهي من معنى عزوت الرجل الى أبيه: إذا نسبته اليه، وألحقته به، فهذا هو معنى الجماعة، ألا ترى أن بعضها مضموم الى بعض، ملحق به.. على أنهم قد قالوا أيضا: عزيته الى أبيه، فالأصل في (عزة) على هذا (عزية).

وإن وجدت فسحة، وأمكن الوقت عملت باذن الله كتابا أذكر فيه جميع المعتلات في كلام العرب، وأميز ذوات الهمز من ذوات الواو، ومن ذوات الياء، واعطى كل جزء منها حظه من القول مُسْتَقْصَى إن شاء الله تعالى[١٨٥].

وقد دفع ابن جني الى التفكير في تأليف كتاب في المعتلات أن شيخه أبا علي الفارسي أملى شيئا في موضوع المعتلات على بعض تلاميذه وأنه ضاع في جملة كتبه التي أصابها الحريق بمدينة بغداد، وقد أورد ذلك ابن جني نقلا عما ذكره الفارسي قال: «ذكر شيخنا أبو علي أن بعض اخوانه سأله بفارس آملا شيئا من ذلك ـ أي من المعتلات ـ فأملى منه صدرا كبيرا، وتقصى القول فيه، وأنه هلك في جملة ما فقده، وأصيب به من كتبه. وحدثني أبو علي أنه وقع حريق بمدينة السلام، فذهب به جميع علم البصريين، قال: وكنت كتبت ذلك كله بخطي، وقرأته على أصحابنا، فلم أجد في الصندوق الذى احترق شيئا البتة الا نصف كتاب الطلاق عن محمد بن الحسن[١٨٦].

وقد أورد ياقوت الحموي[١٨٧] قصة ضياع كتاب الفارسي ورغبة ابن جني في تأليف كتاب في المعتلات في كلام العرب اذا أمكن الوقت، وقد أورد ياقوت هذا الخبر نقلا عما قرأه في كتاب تاريخ أبي غالب بن مهذب المعري [١٨٨].

ولا ندري إن كان ابن جني قد كتب في المعتلات كتابا، أو أنه قد عاجله الأجل قبل أن يظهر هذا الكتاب.

٣٥- المُعْرب في شرح قوافي أبي الحسن الأخفش:

ذكره ابن جني في كتابه (التنبيه على شرح مشكلات الحماسة)[١٨٩] أكثر من مرة، كما ذكره الاشبيلي[١٩٠]، والنديم [١٩١]، وياقوت الحموي[١٩٢]، وابن الجوزي[١٩٣]، وابن شاكر الكتبي[١٩٤]، وكتاب (القوافي) لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش حققه الدكتور عزة حسن، وطبع في دمشق سنة ١٩٧٠م.

قال الدكتور عزة في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب: «شرح أبو الفتح ابن جني كتاب (القوافي) للأخفش في كتاب سماه (المُعْرب)، وقد ذكر هذا الكتاب ابن جني نفسه في كلام له نقله عبد القادر البغدادي في (خزانة الأدب)[١٩٥].

كما أشار الدكتور (عزة) الى أن ابن منظور صاحب لسان العرب قد نقل كثيرا من كتاب (المُعْرب) لابن جني حين شرح الأسماء المستعملة في فن القوافي ثم أضاف الدكتور عزة قائلا: «درج ابن منظور على نقل كلام ابن جني بعد ايراد كلام الأخفش في أغلب الأحيان[١٩٦].

ومن الأمثلة التي أوردها ابن منظور في تعريف (الإيطاء) قال: «قال الأخفش: الايطاء ردّ كلمة قد قَفَّيْت بها مرة نحو قافية على رجُل، وأخرى على رجل في قصيدة فهذا عيب عند العرب لا يختلفون فيه.. قال ابن جني: ووجه استقباح العرب الإيطاء أنه دال عندهم على قلة مادة الشاعر ونزارة ما عنده، حتى يُضْطرّ الى اعادة القافية الواحدة في القصيدة بلفظها ومعناها، فيجري هذا عندهم لما ذكرناه مجرى العيّ والحَصْر[١٩٧].

وأشار الأستاذ أحمد راتب النفاخ الى كتاب الأخفش وشرحه لابن جني قائلا: «جاء جامعا لأصول هذا العلم وكبرت مسائله، كان بمثابة الأصل الأول فيه فقلما خلا من النقل عنه، أو حكاية مذاهبه فيه كتاب مما ألف في القوافي من بعده، ويظهر أن هذا مما دعا أبا الفتح ابن جني الى «أن يشرحه في كتاب سماه (المُعْرب) وهو كما يبدو من النقول في مسائل هذا العلم، ودقائقه وكان اذا ألم ببعضها في كتبه الأخرى أحال عليه في تقصي ذلك، وتحقيق القول فيه[١٩٨].

وقد رجع ابن سيده الى كتاب (القوافي) للأخفش، وشرحه لابن جني في كتاب (المحكم) يقول الأستاذ النفاخ: «وعلى كتاب أبي الحسن وشرحه المذكور عول اللغوى الأندلسي أبو الحسن علي بن اسماعيل، المعروف بابن سيده (٤٥٨هـ) في مصطلحات هذا العلم وقد أولاها في معجمه (المحكم) عناية كبيرة، فكان ينقل ما قال أبو الحسن في كل منها، ويسوق عقبه ما قال أبو الفتح في شرحه[١٩٩].

٣٦- مقدمات أبواب التصريف:

لم يذكره ابن جني في اجازته، ولم يشر اليه في



كتبه التي بين أيدينا. وقد ذكره ياقوت الحموي في (معجم الأدباء)[٢٠٠]، وابن شاكر الكتبي في (عيون التواريخ)[٢٠١]، وابن قاضي شهبة الأسدي في (طبقات النحاة واللغويين)[٢٠٢]، واسماعيل باشا البغدادي في (هدية العارفين)[٢٠٣].

وهذا الكتاب - كما يبدو من عنوانه - من الدراسات الصرفية لابن جني، وهو ما يزال مفقودا، لم نعثر عليه، حتى اعداد هذا البحث، ولم نقف على نصوص منه في الكتب التي بين أيدينا. وقد رجّح الأستاذ محمد علي النجار[٢٠٤] أن هذا الكتاب هو مختصر التصريف الملوكي الذي سبق الكلام عنه.

أما الدكتور طلس فيقول: «وهو غير التصريف الملوكي في الغالب[٢٠٥].

وبما أن الكتاب مفقود، فلا ندرى أيهما الصواب؟ غير أني أميل الى ما ذهب اليه باحث آخر، هو الدكتور حسين شرف في أن مقدمات أبواب التصريف، كتاب آخر غير التصريف الملوكي ويعلل ذلك بقوله: «لأن مقدمات أبواب التصريف لا تكون مختصرا للتصريف»[٢٠٦].

ونضيف الى ما ذكره الدكتور شرف الى أن كتب التراجم أشارت الى الكتابين المذكورين، على أنها من مؤلفات ابن جني.

٣٧ـ المقصور والممدود:

لم يذكره ابن جني في اجازته العلمية، ولا في كتبه التي وصلت الينا ، وقد ذكره القفطي (ت ٦٤٦هـ) في (انبـاه الرواة)[٢٠٧] وابن خلكان (ت ٦٨١هـ) في (وفيات الأعيان)[٢٠٨]، والذهبي (ت ٧٤٨هـ) في (تاريخ الاسلام)[٢٠٩]، وحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) في (كشف الظنون)[٢١٠]، وابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) في (شذرات الذهب)[٢١١].

وذكره الدكتور أحمد عبد المجيد هريدي في مقدمة تحقيقه[٢١٢] لكتاب (المقصور والممدود) لأبي علي اسماعيل بن القاسم القالي (ت ٣٥٦هـ) نقلا عن المصادر السابقة التي أشارت الى كتاب ابن جني لم أعثر على نصوص من المقصور والممدود لابن جني في الكتب التي بين أيدينا، وهو من آثاره المفقودة حتى الآن.

٣٨ـ المهذب في النحو:

هكذا ذكره اسماعيل باشا البغدادي[٢١٣]، وفي وفيات الأعيان[٢١٤] لابن خلكان «المهذب».

وقال حاجي خليفة : «المهذب في..)[٢١٥] لأبي الفتح عثمان ابن جني الموصلي النحوي»[٢١٦].

وقال عنه الدكتور محمد أسعد طلس: «لم أهتد اليه، ولا عرفت الموضوع الذى بحث فيه»[٢١٧].

٣٩ـ النوادر الممتعة في العربية:

هكذا سماه ابن جني في اجازته[٢١٨]، وفي كتابه (المسائل الخاطريات)[٢١٩] وذكره في (الخصائص) بهذا الاسم ونقل منه.

قال ابن جني - وهو يروي ما أنشده أبو زيد من

طريف الضرورات وغريبها، ووحشيها وعجيبها - «وكذلك ما أنشده أبو زيد للزَّفيات السَّعدي:

يا ابلى ما ذامهُ فتأبيَهْ

ماء رواء ونصيِّ[٢٢٠] حوليهْ

هذا بأفواهك حتى تأبيَهْ

حتى تروحى أصلا[٢٢١] تُبارِيهْ

تبارى العانة[٢٢٢] فوق الزازيه[٢٢٣]

هكذا رويناه عن أبي زيد، وأما الكوفيون، فرووه على خلاف هذا، يقولون: «فتأبيه»، «ونصّ حوليْه» و«حتى تأبيّه»، و«فوق الزازيه»، فينشدونه من السريع، لا من الرجز، كما أنشده أبو زيد. وقد ذكرت هذه الأبيات بما يجب فيها في كتابي: (في النوادر الممتعة)، ومقداره ألف ورقة، وفيه من كلتا الروايتين صنعة طريفة»[٢٢٤].

وهذا الكتاب ضاع في حياة ابن جني مع كتاب آخر له، وهو (المحاسن في العربية) ولذلك قال عنهما ابن جني في اجازته، وقد شذ أصله عنّي، فإن وقعا كلاهما - أي النواد والمحاسن - أو شيء منهما، فهو بما أجزت[٢٢٥].

قال الدكتور محمد أسعد طلس عن ضياع الكتابين: «يظهر أن هذين قد فقدا أيام محنة ابن جني»[٢٢٦] ولم يذكر الدكتور طلس طبيعة هذه المحنة التى مر بها ابن جني، وسببها ومكانها.

ونقل محمد بن يعقوب الفيروزابادي عن (النوادر الممتعة) لابن جني نصين، جاء في أولهما: «حكى ابن جني في كتاب «النوادر الممتعة» بسنده عن الفضل بن اسحاق، قال: لقيت إعرابياً فقلت: ممن الرجل؟ فقال: من بني أسد. قلت: فمن أين أقبلت؟ قال: من هذه البادية[٢٢٧].

أما النص الثاني الذى نقله الفيروزابادي[٢٢٨] عن ابن جني فهو عن موضع يُدْعى «ملل» بين المدينة ومكة وهي حرّة سوداء.

٤٠ - الهجاء:

من الموضوعات التي تعنى بالرسم الاملائي (الهجاء) وقد جعله أبو القاسم الزجاجي على ضربين فقال: «اعلم أن الهجاء على ضربين: ضرب منه للسمع، وضرب منه لرأي العين. فأما ما كان منه للسمع، فهو لاقامة وزن الشعر. وما كان منه لرأى العين: فانه صورة وضعت لحروف المعجم، وهي ثمانية وعشرون حرفا»[٢٢٩].

ويقول الزجاجي: «ألا ترى أن الكتاب يكتبون «الرحمن» باللام وهي في السمع: «راء» مشددة. وكذلك «الضارب» و«الذاهب» تكتب على المعنى، واللفظ على خلافه[٢٣٠].

وقد أفرد بعض العلماء للهجاء كتبا مثل ثعلب وأبي حاتم السجستاني وابن درستويه[٢٣١] وغيرهم، وتناوله آخرون في مؤلفاتهم كالزجاجي[٢٣٢] والمجاشعي[٢٣٣].

أما ابن جني فقد بحثه في كتابه (الخصائص) وذكر أنه سيضع كتابا في الهجاء بقوله: «وان فسح في



المدة أنشأنا كتابا في الهجاء، وأودعناه ما هذه سبيله، وهذا شرحه، مما لم تجر عادة بايداع مثله[٢٣٤].

٤١ ـ الوقف والابتداء:

لم يذكره ابن جني في اجازته ولا في كتبه التي وصلت الينا، وقد ذكرها النديم، في (الفهرست)[٢٣٥]، وياقوت الحموي في (معجم الأدباء)[٢٣٦]، وابن شاكر الكتبي في (عيون التواريخ)[٢٣٧] وابن قاضي شهبة في (طبقات النحاة واللغويين)[٢٣٨]، واسماعيل باشا البغدادي في (هدية العارفين)[٢٣٩].

وذكره الدكتور محمد أسعد طلس، قال: «ولم أر من أشار الى وجوده أو نقل عنه»[٢٤٠].

وفي ختام كلامي عن هذه الآثار لابن جني أقف قليلا لأصحح خطأ فأقول: أشار (بروكلمان) الى أن المستشرق «دورن»[٢٤١] ذكر أن ابن جني شرح كتاب (التصريف) للتَّوَّزي حين قال: «حقق (دورن) أن المخطوط رقم ٢١١ في مكتبة (بطر سبرج) هو كتاب التصريف لأبي محمد عبد الله بن محمد بن هارون التَّوَّزي[٢٤٢] (بفتح التاء والواو وتشديدهما) المتوفى سنة ٢٣٣هـ مع شرح ابن جنى المتوفى سنة ٣٩٢هـ بناء على مطلع الكلام في هذا الكتاب، وإن اختلف العنوان المدوّن على الكتاب عن ذلك[٢٤٣].

وشرح ابن جني هذا لم يذكره ابن جني نفسه في اجازته ولا في كتبه التي وصلت، ولم تذكره كتب التراجم التي تناولت حياة ابن جني وكتبه. وقد كتبت الى عالمين جليلين لهما جهد مشكور في تحقيق كتب التراث العربي الاسلامي وهما الأستاذان أحمد راتب النفاخ[٢٤٤] والدكتور فؤاد سزكين[٢٤٥] راغبا المساعدة في معرفة شيء عن شرح ابن جني المذكور فأجابني الأستاذ النفاخ مشكورا بما يلي: «اني لفي ريبة من صحة هذا الذى ذهب اليه (دورن) فاني لم أصب فيما وقعت عليه من تراجم التَّوَّزي أن له كتابا في التصريف، ولا أذكر أنه حكى عنه شيء في هذا الباب، ويغلب على ظنّي أنه لم يكن من رجال هذا العلم، وانما هو حافظ لغة. ولو كان له كتاب في التصريف يبلغ في قدره أن يتصدّى ابن جني لشرحه لما خفى ذكره هذا الخفاء».

كذلك أجابني الدكتور سزكين مشكورا قال: «إن الكتاب المذكور.. هو شرح ابن جني على تصريف (المازني) لا (التَّوَّزي)، وبيان الفهرس غير صحيح، فالمفهرس في مكتبة (ليننغراد) صحّف اسم المازني خطأ بالتَّوَّزى».

وزيادة في التوضيح أقول أن بروكلمان ذكر في كتابه (تاريخ الأدب العربي)[٢٤٦] وهو يعدد نسخ كتاب المنصف شرح تصريف المازني لابن جني ـ أن منه نسخة في مكتبة (بطرسبرج أول)[٢٤٧] برقم ٢١١ وهو الرقم نفسه الذى ذكره (دورن) لكتاب التوّزي.

الهوامش:

(١٧٠) *معجم الأدباء* جـ١٢/ ١١٣.

(١٧١) *عيون التواريخ* جـ١٢/ ١٥٠.

(١٧٢) هدية العارفين جـ ١/ ٦٥٢ .

(١٧٣) أبو الفتح ابن جني للدكتور طلس: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٣٢ ص ٦٦١ .

(١٧٤) إمام في العربية، وعالم بالقرآن والقراءات مات سنة ٦٦١هـ، انظر: بغية الوعاة للسيوطي جـ ٢/ ٢٥٠ .

(١٧٥) معجم الأدباء جـ ٧ / ٢٥١ .

(١٧٦) أي لا يطاوعني.

(١٧٧) معجم الأدباء جـ ٧ / ٢٥١

(١٧٨) المرجع نفسه جـ ٧ / ٢٥١ .

(١٧٩) معجم الأدباء جـ ١٢/ ١١٣ .

(١٨٠) عيون التواريخ جـ ١٢/ ١٥٠ .

(١٨١) طبقات اللغويين والنحاة ص ٣٩٨ .

(١٨٢) هدية العارفين جـ ١/ ٦٥٢ .

(١٨٣) ابن جنى النحوى ص ٨٧ وما بعدها .

(١٨٤) أبو الفتح ابن جنى للدكتور طلس: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٣٢ ص ٦٦٢ .

(١٨٥) سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق د. حسن هنداوي جـ ٢/ ٦٠٦ .

(١٨٦) المرجع نفسه جـ ٢/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧ .

(١٨٧) معجم الأدباء جـ ٧/ ٢٥٦ .

(١٨٨) تاريخ أبي غالب من الكتب المفقودة التى لم أقف عليها .

(١٨٩) التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ورقة ٢٣، ٢٨، ٥٧، ٩٤، ١٠٦، ١١٥ .

(١٩٠) فهرسة ما رواه عن شيوخه ص ٣١٧ .

(١٩١) الفهرست ص ١٢٨ .

(١٩٢) معجم الأدباء جـ ١٢، ١١٣ .

(١٩٣) المنتظم جـ ٧/ ٢٢٠ .

(١٩٤) عيون التواريخ جـ ١٢/ ١٥٠ .

(١٩٥) مقدمة تحقيق القوافي ص ١٩ وانظر: خزانة الأدب جـ ٩/ ٤٩ .

(١٩٦) مقدمة تحقيق القوافي ص ١٩ .

(١٩٧) لسان العرب لابن منظور (وطأ).

(١٩٨) مقدمة تحقيق كتاب القوافي للأخفش. للأستاذ احمد راتب النفاخ، طبعة دار القلم ببيروت سنة ١٩٧٤م ص ٣١ .

(١٩٩) المرجع نفسه ص ٣١ .

(٢٠٠) معجم الأدباء جـ ١٢/ ١١٣ .

(٢٠١) عيون التواريخ جـ ١٢/ ١٥٠ .

(٢٠٢) طبقات النحاة واللغويين ص ٣٩٨ .

(٢٠٣) هدية العارفين جـ ١/ ٦٥٢ .

(٢٠٤) مقدمة تحقيق الخصائص جـ ١/ ٦٥ .

(٢٠٥) أبو الفتح ابن جنى للدكتور طلس: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٣٢ ص ٦٦٣ .

(٢٠٦) مقدمة تحقيق كتاب اللمع لابن جنى للدكتور حسين شرف ص ٤٠ .

(٢٠٧) إنباه الرواة جـ ٢/ ٣٣٦ .

(٢٠٨) وفيات الأعيان جـ ٣/ ٢٤٧ .

(٢٠٩) تاريخ الاسلام: الجزء العاشر، حوادث سنة ٣٩٢هـ (صفحات المخطوط غير مرقمة).

(٢١٠) كشف الظنون جـ ١/ ١٤٦١ .

(٢١١) شذرات الذهب جـ ٣/ ١٤٠ .



(٢١٢) مـجلة مـعـهـد المخطوطات العـربيـة، المجلد العشرون الجزء الثاني ذو الحجة ١٣٩٤هـ، نوفمبر سنة ١٩٧٤م ص ٦٣.

(٢١٣) هدية العارفين جـ ١/ ٦٥٣.

(٢١٤) وفيات الأعيان جـ ٣/ ٣٤٦.

(٢١٥) بيـاض في طبـعـة الكتـاب ذهب بموضـوع الكتاب.

(٢١٦) كشف الظنون جـ ٢/ ١٩١٤.

(٢١٧) أبو الفتح ابن جني للدكتور طلس: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٣٢ ص ٦٦٣.

(٢١٨) معجم الأدباء جـ ١٢/١١١.

(٢١٩) الخاطريات (القسم المطبوع) ص ٦٤.

(٢٢٠) نصيّ: نبت من أفضل المراعي.

(٢٢١) الأصل: جمع أصيل وهو العشيّ.

(٢٢٢) العانة: القطيع من حمر الوحشي.

(٢٢٣) الزازية: المكان المرتفع.

(٢٢٤) الخصائص جـ ١/ ٣٣٢.

(٢٢٥) معجم الأدباء جـ ١٢/١١١

(٢٢٦) أبو الفتح ابن جنى للدكتور طلس: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٣٢ ص ٦٦٣.

(٢٢٧) المغانم المطابة في معـالم طابة للفيروز ابادي (قسم المواضع) تحقيق الأستـاذ حمد الجاسـر ص ٢٢٩.

(٢٢٨) المرجع نفسه ص ٢٩٢.

(٢٢٩) الجمل في النحو للزجاجي تحقيق د. على توفيق الحمد ص ٢٧٣.

(٢٣٠) المرجع نفسه ص ٢٧٣.

(٢٣١) وفيـات الأعيـان لابن خلكان جـ ٢/ ٤٣٣، جـ ٣/٤٤.

(٢٣٢) الجمل في النحو ص ٢٧٠، ٢٧٣.

(٢٣٣) في كـتـابه: الإشـارة إلى تحسين العـبـارة ص ١٢١.

(٢٣٤) الخصائص جـ ٣/٢٣٠.

(٢٣٥) الفهرست ص ١٢٨.

(٢٣٦) معجم الأدباء جـ ١٢/١١٣.

(٢٣٧) عيون التواريخ جـ ١٢/ ١٥٠

(٢٣٨) طبقات النحاة واللغويين ص ٣٩٨.

(٢٣٩) هدية العارفين جـ ١ / ٦٥٢.

(٢٤٠) أبو الفتح ابن جنى للدكتور طلس: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٣٢ ص ٦٦٤.

(٢٤١) انظر في ترجمة (لورن): المستشرقون لنجيب العقيقى جـ ٣/ ٩٣٧.

(٢٤٢) بغية الوعاة للسيوطى جـ ٢/٦١.

(٢٤٣) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الطبعة العربية) جـ٢/ ١٦٢ (في ترجمة التَّوَّزي).

(٢٤٤) أستاذ في جامعة دمشق..

(٢٤٥) عالم تركي، من مؤلفاته المشهورة (تاريخ التراث العربي) وقد تُرجم إلى العربية.

(٢٤٦) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الطبعة العربية) جـ ٢/ ٢٤٦.

(٢٤٧) إحدى مكتبات روسيا.

ابن جني .. وموقفه من اللغة وما قيس عليها

توطئة:

الذي يقرأ ابن جني (ت ٣٩٣) في كتاباته يلحظ عصرنة التراث في تفكيره اللغوي لقد سبق هذا المفكر اللغوي مفكري القرن الرابع الهجري بعقليته ذات الحداثة والمعاصرة. ومرد ذلك يرجع الى ذهنه الثاقب وسعة أفقه بحيث أصبح رائد الحلبة آنذاك.

إن التفكير بعقلية التجديد وإضفاء لباس التحدي وتجاوز حدود الزمن والمكان للفظة ليس بالأمر الهين وخاصة واللفظة ترزح تحت ظل التأصيل التراثي فهو يحتاج إلى ذكاء حاد وجرأة لا نظير لها وهذا ما نراه في صوتياته وموقفه من نشأة اللغة **واحتجاجه باللغات المذمومة وتساهله بتداولها قبلياً، واحتجاج بعض العلماء اللغويين بها.**

استناداً إلى تسامحه وهذا بدوره يستند على ظاهرة الاشتقاق .. كل ذلك وجزء منه نلمسه في بحثنا الموسوم (ابن جني وموقفه من اللغة وما قيس عليها).

أولا: جزء من الدراسة الصوتية عند ابن جني:

لقد سبق ابن جني غيره من علماء اللغة بتشبيهه الحلق بالناي (المزمار) وتشبيهه مدارج الحروف ومخارجها بفتحات هذا المزمار الذي توضع عليه الأنامل، ولعله أفاد بقوة ملاحظته هذه وغيرها من دراسات الفلاسفة الذين سبقوه في علم الأصوات.

وقد أجمل هذه الدراسات الصوتية فيما يلي:

- عدد حروف المعجم وترتيبها وذوقها.
- وصف مخارج الحروف وصفاً تشريحياً دقيقاً.
- ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال، أو الإدغام، أو النقل، أو الحذف.
- بيان الصفات العامة للحروف وتقسيمها إلى أقسام مختلفة.
- نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد من أنها راجعة إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج[١].

لقد استفاد علماء اللغة والمفسرون من منهجية الخليل وسيبويه وابن جني حيث نظموا دراسات وقواعد أسسوها على دراسات من سبقهم في مضمار الصوتيات. ففي فن التجويد مثلا ألفوا كتباً الغرض منها تلاوة القرآن الكريم وأداؤه صحيحاً.

يقول المستشرق برجستراسر:

«لكنهم - يقصد مؤلفي علم التجويد - لم يزيدوا على أصول قواعد الأصوات شيئاً يسيراً، وانما زادوا شيئاً يسيراً في التفاصيل»[٢].

«وفي البلاغة والنقد عرض لفصاحة اللفظ المفرد - بأسلوب علمي (علي بن عيسى الرماني) في كتابه «النكت في إعجاز القرآن العظيم»[٣].

معتمداً إلى ما ذهب إليه الخليل وسيبويه وابن جني (وممن عرض لذلك من أصحاب البلاغة ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) في كتابه «سر الفصاحة»[٤] فأخذ كلامه بنصه وحرفه ومزج به كلام الفلاسفة في الأصوات[٥].

وكذلك من علماء البلاغة عبد القاهر الجرجاني

بقلم : د. جاسب الربيعي
استاذ علم اللغة المساعد
المعهد المهنى العالى لاعداد المعلمين - ليبيا

حيث كتب في «دلائل الإعجاز»[٦] كلاماً في فصاحة الألفاظ المفردة.. (وابن الأثير هو الآخر تعرض لهذا اللون متأثراً بابن جني في تأليف اللفظ من الأحرف المتباعدة المخارج)[٧].

بعد هذه المقدمة الموجزة عرّفنا فيها قدرة ابن جني ومنزلته العلمية وفهمه أسرار العربية وانفراده ببعض جزئياتها عن أسلافه من اللغويين والنحاة، ننتقل لنتعرف رأي ابن جني في مسألتين مهمتين شغلتا الكثير من المختصين في مجال اللغة وعلومها وفنونها وهما: «باب القول على اللغة وما هي نشأتها»، «باب ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم».

ثانيا: أصل اللغة عند ابن جني:

يقول ابن جني في تعريفه للغة (اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)[٨] وهذا بالنسبة إلى حدها، أما اختلافها فيذكره في كلامه أمواضعة هي أم الهامٌ ذكره في باب القول عليها.

وينقل لنا د. الراجحي قول ابن جني: (وأما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها «فَعلَة» من «لَغْوة».. وقالوا فيها لغات ولغون ككرات وكرون وقيل منها: لغى - يلغى، اذا - هذى ومصدره (اللّغا) قال الشاعر:

وربِّ أسراب حجيج كُظَّم
عن اللغا ورفث التكلم

وكذلك بمعنى (اللغو) قال تعالى: {وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراما}[٩]، وفي الحديث الشريف: «من قال في الجمعة صهْ فقد لغا»[١٠] أي تكلم.

اللغة إلهام أم اصطلاح:

عند الخوض في مثل هذا الموضوع من موضوعات اللغة الشائكة ينبغي التأمل وعدم الجري وراء الأحكام جزافاً أو إضفاء الحجج القطعية في أصل اللغة. فهذا ابن جني يتحرج بالقول في أصلها أهي من الله تعالى أوقفها على آدم عليه السلام. أم اصطلاح؟! وظل العالم متردداً فتارة ينسب القول من إنها توقيف إلى أبي علي الفارسي[١١] ثم يؤول ما ذهب إليه أبو علي بأن الله أقدر آدم على أن واضع عليها، ويعزز رأيه بالذهاب إلى رأي أبي الحسن الأشعري.. من هذا كله وغيره إن ابن جني لم يقطع في أصل اللغة بل نراه يؤول معنى «علَّم» في الآية الكريمة: {وعلم آدم الأسماء كلها}[١٢]، ثم نراه في مكان آخر يتقبل المذهب القائل باصطلاح اللغة.. ولنذكر جزءاً من آرائه في نشأة اللغة: «هذا الموضوع محوج إلى فضل تأمل غير إن أكثر أهل النظر على إن اصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحيٌ وتوقيف!!.. إلا إن أبا علي - رحمه الله - قال لي يوماً هي من عند الله واحتج بقوله سبحانه: {وعلّم آدم الأسماء كلها}.

وهذا لا يتناول موضع الخلاف وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله: (أقدر آدم على أن يواضع عليها وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة فإذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به وقد كان أبو علي - رحمه الله - أيضاً قال في بعض كلامه وهذا أيضاً من رأي أبي الحسن على انه لم يمنع قول من قال: (انها تواضع منه، على أنه قد فسر هذا بأن قيل: إن الله سبحانه علَّم آدم أسماء جميع المخلوقات فجميع اللغات العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية وغير ذلك من سائر اللغات فكان آدم وولده يتكلمون بها ثم إن ولده تفرقوا في الدنيا وعلق كل منهم بلغة فغلبت عليه[١٣].

وعوداً إلى الآية الكريمة والتي ذكرت الأسماء دون غيرها وهو لا شك اعتراض وارد على ألسنة الذين لا يذهبون إلى التوقيف في أصل اللغة، يجيب ابن جني: (فإن قيل فاللغة فيها أسماء وأفعال وحروف وليس يجوز أن يكون المُعلَّم من ذلك الأسماء دون غيرها.. قيل اعتقد ذلك من حيث كانت الأسماء أقوى القُبلُ الثلاثْ ولابد لكل كلام مفيد من الاسم، وقد تستغني الجملة المستقلة من كل واحد من الحرف والفعل فلما كانت الأسماء من القوة الأولية في النفس والرتبة على مالا نفاد به جاز أن يكتفي بها مما هو تال لها ومحمول في الحاجة اليه عليها)[١٤]، هذا ملخص رأي ابن جني في كون اللغة إلهام من الله تعالى.. ولنستمر في صحبة هذا العالم الجليل لنرى عن كثب تقبله من أن اللغة اصطلاح ومواضعة إلا انه يظل أسير فكرة نظرية التوقيف لما يحس فيه من مُسلّمة قرآنية بقوله: وذلك إنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة ما يملك عليَّ جانب الفكر.. ووارد الأخبار المأثورة بأنها من عند

الله عز وجل فقوّى في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه وتعالى وإنها وحي»[١٥].

نستنتج من كلام ابن جني في هذا المقطع الجميل ان بناء اللغة ودقته لا يمكن أن يكون وليد عقل بشري، كما أن اختلاف اللغات هو الآخر يشكل إعجازاً لن يؤتى بمثيله إضافة الى القرائن الأخرى التي تحكي أسرار اللغة والتي يعجز ابناؤها وغيرهم الإتيان بمثلها كل ذلك وغيره كان يؤكد انها غير بشرية الصنع. قال تعالى: {ومن آياته خلْقُ السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم}[١٦].

وأضيف الى ما ذهب إليه ابن جني من دقة اللغة «فتتبعي للآية الكريمة حيث وردت لفظة (السنتكم) بعد تقديرها بعبارة (ومن آياته) يدل - والله أعلم - على ان اللغة وتعدد الألسنة هو خلق من الله تعالى كخلق السماوات والأرض فلما كان خلق هذا آية من آياته فكذلك تعدد الألسنة «اللغات» هو خلق يشبه - في دقته وتمامه وأسراره - خلق السماوات والأرض، أي هو مُعْجِزٌ، وهذا بدوره أيضاً يؤكد خلق اللغة بتعدد السنتها من انها وحي من الله في نظري»[١٧] نعود الى موقف ابن جني من اصطلاح اللغة قال: «لنعد فلنقل في الإعتلال لمن قال بأن اللغة لا تكون وحياً وذلك انهم ذهبوا ان أصل اللغة لابد فيه من المواضعة! قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا الى الإبانة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظاً إذا ذُكر عرف به ما مسماه ليمتاز من غيره وليغني عن احضاره لبلوغ الغرض في ابانة حاله بل قد يحتاج في كثير من الأحوال الى ذكر ما لا يمكن احضاره ولا ادناؤه كالفاني، وحال اجتماع الضدين.. وغير هذا .. وكيفية المواضعة:

كأنهم جاؤا الى واحد من بني آدم فأومأوا اليه وقالوا: إنسان إنسان فأي وقت سُمع هذا اللفظ عُلمَ ان المراد به هذا الضرب من المخلوق، وإن أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا الى ذلك فقالوا: يد، عين، رأس، قدم، ونحو ذلك فمتى سمعت اللفظة من هذا عُرف معناها.. فيما سوى هذا من الأسماء والأفعال والحروف، ثم لك من بعد ذلك أن تنقل هذه المواضعة الى غيرها فتقول في الذي اسمه (إنسان) فليجعل «مرْد» والذي اسمه (رأس) فليجعل مكانه «سرْد».. وكذلك لو بدأت اللغة الفارسية)[١٨]، والذين يشكلون على هذه النظرية يقولون: القديم سبحانه وتعالى لا يجوز أن يواضع أحداً من عباده على شيء، لأن المواضعة تحتاج الى جارحة يُومأُ بها ويشار الى المطلوب معرفته؛ والله تعالى لا جارحة له.. أما اجابة الذاهبين الى المواضعة بقولهم: يجوز أن ينقل الله اللغة بين عباده بأن يقول: الذي كنتم تعبرون عنه بكذا عبروا عنه بكذا، وهذا لا يوجب الجارحة ولا الإشارة.. أو أنهم يقولون: كأن يحدث بجسم من الأجسام كخشبة أو غيرها اقبالا على شخص وتحريكاً لها نحوه ويسمع في تحريك الخشبة نحو ذلك الشخص أو الشيء صوتاً يضعه اسماً له.. فتمثل الخشبة الجارحة.

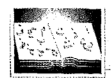
هذا ملخص النظرية القائلة بالإصطلاح أو المواضعة والتي لا يميل اليها ابن جني كميله الى نظرية المحاكاة للأصوات المسموعة كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وصهيل الفرس أو قناعته - شبه التامة - في نظرية التوقيف مع وقفة تأمل!!.

ثالثاً: رأي ابن جني في «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب»:

بقدر ما في هذا الموضوع من غموض فهو جميل ولطيف في طريقته، ومنفعة عامة إذا ما أحسن استعماله وحسُن انتقاؤه، ومعنى القياس هو أن تجعل لمادة معينة سبق وإن سمعتها عن لسان لغوي واستشهاد في نثر أو شعر فتقيس عليه وبذلك تدخل ما أردت أن تقوله أو قلته في كلام العرب لأنك وجدت مُتكأ اتكأت عليه قديماً؛ وبالقياس فانك تضيف الى ما قيل ثروة جديدة؛ كما اننا به نوسع لوناً من ألوان الكلام سمحت به لغتنا الخالدة، وهو اعراب ما كان أعجمياً وإدخالنا إياه كلام العرب.

ومن القياس على كلام العرب بعض ما سمعناه من اسم الفاعل، والمفعول فقسنا عليه غيره لعدم امكاننا من سماع كل ما قيل من هذه الأسماء فاذا سمعنا (جاء عليّ) جوّزنا قول: (كرُم محمدٌ).. وقولنا في الاسم الأعجمي (الخشكان) (طاب الخشكان) باعرابنا له أدخلناه كلام العرب.

ويؤكد لنا هذا ابن جني في باب ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب في كتابه الجليل «الخصائص»[١٩] بقوله: «.. يؤكد هذا عندك أن ما



أعرب من أجناس الأعجمية قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها الا تراهم يصرفون من العلم نحو (آجر) و(ابريسم) و(فرند) و(فيروزج) وجميع ما تدخله لام التعريف وذلك أنه لما دخلته اللام في نحو: الديباج، والفرند، والهرين، والآجر أشبه أصول كلام العرب أعني النكرات فجرى في الصرف ومنعه مجراها»، ولو نظرنا الى الشاعر العربي (رؤبة) نراه يشتق من الأعجمي النكرة كما يشتق من أصول لغته دون تحرج أو عناء ففي بيته:

هل يُنجيني جلفٌ سفنيتْ
أو فضة أو ذهب كبريتْ

فاشتقاقه للفظة «سفنيت» من «السفت» قياساً على لغته في «زحليل» من الزحل.. ذكرها أبو علي نقلا عن ابن جني في خصائصه[٢٠]. ويمضي أبو علي نقلا عن ابن الأنباري: أن العرب اشتقت من الاسم الأعجمي (درهم) فجعلته من كلامها بقولهم (درهمت الخبازي) أي صارت كالدراهم وحكى أبو زيد: (رجل مُدرْهم) واشتقت (المزرج) من الزرجون وهي الخمر، كقول الراجز:

هل تعرف الدار لام الخزرج
منها فظلت اليوم كالمزرج

وكذلك من القياس على انه كلام عربي من أنك: «لو مررت على قوم يتلاقون بينهم مسائل أبنية التصريف نحو قولهم: في مثال (صمعمع) من الضرب (ضريرب) ومن القتل (قتلتل) ومن الأكل (أكلكل) ومن الشرب (شربرب) ومن الخروج (خرجرج) ومن الدخول (دخلخل) ومن جعفر (جعفرر) ونحو ذلك فقال له القائل: بأية لغة كان هؤلاء يتكلمون؟ لم نجد بداً من أن يقولوا بالعربية، وإن كانت العرب لم تنطق بواحد من هذه الحروف ويعود ابن جني ليقول[٢١]:

«وهذا باب مطرد متقاود وقد كنت ذكرت طرفاً منه في كتابي (شرح التصريف) الى عثمان غير أن الطريف ما ذكرت لك فكل ما قيس على كلامهم فهو من كلامهم ولهذا قال من قال في (العجّاج) و(رؤبة) انهما قاسا اللغة وتصرفا فيها وأقدما على ما لم يأت به من قبلهما، وقد كان (الفرزدق) يلغز الأبيات ويأمر بالقائها على ابن ابي اسحق وحكى الكسائي أنه سأل بعض الأعراب عن أحد مطايب الجزور فقال: مطيبٌ ، وضحك الأعرابي من نفسه كيف تكلف لهم ذلك من كلامه؛ فهذا ضرب من القياس ركبه الأعرابي حتى دعاه الضحك من نفسه في تعاطيه اياه.

ويذكر أبو بكر: أن منفعة الاشتقاق لصاحبه أن يسمع الرجل اللفظة فيشك فيها فاذا رأى الاشتقاق قابلا لها أنس وزال استيحاشه منها فهل هذا إلا الاعتماد في تثبيت اللغة على القياس، ومع هذا انك لو سمعت (ظرف) ولم تسمع (يظرف) هل كنت تتوقف على أن تقول (يظرف) راكباً له غير مستعصي منه وكذلك لو سمعت (سلم) ولم تسمع مضارعه أكنت تَرْعَ أو ترتدع أن تقول (يسلم) قياساً أقوى من كثير من سماع غيره ونظائر ذلك فاشية كبيرة».

الهوامش:

(١) سر صناعة الاعراب/ جـ١ ص ١٤.
(٢) التطور النحوي للغة العربية/ برجستراتر/ ص٥٠.
(٣) النكت في اعجاز القرآن العظيم/ علي بن عيسى الرماني ص ٧٠٦ «محفوظة».
(٤) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص ٤٧، ٦٠، ٩١.
(٥) سر الصناعة، جـ ١، ص ١٧.
(٦) دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ٤٥، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٢٩٥، ٢٩، ٣٠٢، ٣١١، ٤٠١.
(٧) المثل السائر، ابن الأثير، جـ ١ ص ١٤٢ - ١٩٢.
(٨) الخصائص جـ ١ ص ٣١.
(٩) الفرقان: ٧٢.
(١٠) الخصائص، جـ ١ ص ٣١.
(١١) فقه اللغه في الكتب العربية ، د. عبده الراجحي، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.
(١٢) البقرة/ ٣١.
(١٣) الخصائص، جـ ١ ص ٤١.
(١٤) المصدر السابق، جـ ١ ص ٤٤.
(١٥) فقه اللغة، ص ٢٢٣.
(١٦) الروم: ٢٢.
(١٧) مقالات في اللغة، د. جاسب الربيعي، المقالة الثانية.
(١٨) فقه اللغة، الراجحي، ص ٢٢٠.
(١٩) الخصائص، جـ ١ ص ٣٥٧ - ٣٦٦.
(٢٠) فقه اللغة، الراجحي ص ٢٤٤ - ٢٤٨.
(٢١) المصدران السابقان.

مكانة العروبة والا[سلام]

** العروبة ليست خصوصية للأمة العربية بالمعنى القومي وإنما هي لازمة من لوازم الاسلام

** الدولة الاسلامية لابد أن تكون عربية اللغة والثقافة والفكر

** كل صنيع خير يأتيه الانسان المسلم هو عبادة دينية



بقلم المفكر الإسلامي :
أ.د. محمد عمارة ـ مصر

لنسأل أولا:

ما هي «الهوية الحضارية» التى نقول بتميّز أمتنا الإسلامية وحضارتها في سماتها وقسماتها؟.

وما هي أبرز هذه السمات والقسمات التي تتميّز بها حضارتنا عن غيرها من الحضارات الإنسانية؟..

إن «الهُوِيَّة» ـ بضم الهاء وكسر الواو ـ مصطلح استعمله العرب والمسلمون القدماء .. وهو منسوب إلى «هُو» .. وهذه النسبة تشير إلى ما يحمله من مضمون، فهي تعني ـ كما يقول الشريف الجرجاني (٧٤٠ ـ ٨١٦هـ/ ١٣٤٠ ـ ١٤١٣م) «الحقيقة المطلقة، المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق»[١].. أما معاجمنا الحديثة، فإنها لم تخرج عن هذا المضمون، عندما قالت عن «الهوية»: إنها «حقيقة الشيء، أو الشخص المطلقة، المشتملة على صفاته الجوهرية، التي تميزه عن غيره».. وتسمى أيضاً: «وحدة الذات»[٢]. وبعبارات أدخل في موضوعنا، فإننا نستطيع أن نقول: **إن الهوية الحضارية لأمة من الأمم، هي: القدْر الثابت، والجوهري، والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميّز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية القومية طابعا تتميّز به عن الشخصيات القومية الأخرى.**

وإذا شئنا أن نضرب بعض الأمثال للقسمات

ـلام في هـويتنـا الحضـاريـة

الجوهرية التي غدت، لعمومها واستمراريتها، جزءاً أصيلا في هوية أمتنا العربية الإسلامية وقسمات تميّز حضارة أمتنا عن الحضارات الأخرى، ومن ثم تشهد لما نحن بصدده من التعددية الحضارية، فإننا سنجد قسمات من مثل: **العروبة.. والتدين. والوسطية..**

فالعروبة: بالمعنى الحضاري والفكري والثقافي - وليس العرقي والعنصري - قد غدت هوية حضارية لهذه الجماعة البشرية التي تعرّبت بعد الفتح العربي الإسلامي، والتي أصبح ولاؤها وانتماؤها لكل ما هو عربي، وليس للأطوار الحضارية التي سبقت، في تاريخها، طور الاستعراب.. ولقد استوت في هذا الولاء والانتماء للعروبة بأولئك الذين انحدروا من أصلاب عربية، بالمعنى العرقي، بل وبرزت جهودها الفكرية في بلورة السمات الحضارية المتميزة للحضارة العربية الإسلامية حتى كادت تملأ ساحة هذا الميدان!.

وكما أصاب التعريب البشر، فجعلهم جزءاً من نسيج الأمة الجديدة، كذلك أصاب المواريث الحضارية لشعوب البلاد التي أصابها التعريب.. فلقد أحيا الإسلام الصالح من هذه المواريث، بعد أن كادت تموت في ظل القهر البيزنطي القديم، ولم يمارس الإسلام ضدها حرب «المسخ والنسخ والتشويه» التي مارستها الحضارة الغربية وتمارسها ضد المواريث الحضارية لأهل البلاد التي ابتليت بالاستعمار الغربي الحديث.

فكما دخلت شعوب البلاد، بعد الفتح العربي الإسلامي، إلى نسيج الجماعة العربية بالتعريب، كذلك **غدت هذه المواريث الحضارية القديمة جزءاً أصيلا في الحضارة الجديدة**، التي تبلورت على أرض هذه الأمة، كمحصلة لتفاعل الإسلام، بروحه الشابة وأفقه العقلاني، مع الصالح من هذه المواريث.. وإذا كان «**الإسلام الدين**»، الذي هو وضع إلهي، والذي يجب أن ننزهه عن الإضافات والبدع والإبداعات البشرية، قد اختص به الذين تدينوا به من المسلمين، فإن «**الإسلام الحضارة**»، أي «الحضارة العربية الإسلامية»، بعلومها وفنونها الدنيوية، قد جاءت ثمرة «**للإسلام الدين**» دون أن تقف عند حدود أركانه ونطاق عقائده وآفاق شريعته، وأيضاً دون أن تناقض أو تخالف هذا الدين.. كما جاءت علوم هذه الحضارة وفنونها ثمرة لإبداع المسلمين وغير المسلمين، أي للأمة المتعددة في الشرائع الدينية.. فهي ثمرة للإسلام، تتجاوز نواته.. إنها «**الدائرة الحضارية**» التي انداخت من حول «**النواة الدينية**» **لديانة الإسلام!**.. ففيها تلك الإسهامات والإضافات التي دخلت نسيج هذه الحضارة من المواريث التي سبقت ظهور الإسلام، وفيها إبداعات الذين تعربوا، ومنحوا ولاءهم وانتماءهم لهذه الحضارة، مع بقائهم، في التدين، على الشرائع الدينية التي سبقت ظهور الإسلام.

فعروبة البشر.. وعروبة الحضارة هي سمة من السمات الثوابت، التي غدت جزءاً من «الهوية» - أي الجوهر - التي تميّز أمتنا وحضارتنا عن

غيرها من الأمم والحضارات.

وجدير بالذكر والتنويه أن هذه العروبة ليست خصوصية للأمة العربية، بالمعنى القومي، وإنما هي لازمة من لوازم الإسلام.. فهي عروبة اللغة، التي يستحيل على المسلم من أي جنس أو لون أو قومية أن يفقه القرآن العربي المعجز، فيبلغ في فقهه مرتبة الاجتهاد والتشريع دون أن يكون عربي اللغة، كما يستحيل على هذا المسلم، من أي لون أو جنس أو قومية أن يفقه علوم الشريعة الإسلامية، وفي مقدمتها الحديث النبوي الشريف، وعلومه، ومدونات الفقه الإسلامي، وأصوله، وأغلبها عربي اللغة، دون أن يكون هذا الفقيه عربي الفكر واللغة والثقافة.. فإذا لم تكن العربية شرطاً في التدين بالعقيدة الإسلامية، لعالميتها، فإنها شرط للتفقه في الإسلام والبلوغ في شريعته مبلغ الاجتهاد والتشريع.. فأهل الاجتهاد والحل والعقد في المجتمع الإسلامي - أي السلطة التشريعية - وأهل الإمامة - أي قمة السلطة التنفيذية - وأهل الحكم بما أنزل الله - أي **السلطة القضائية** - لابد أن يكونوا من الذين بلغوا في العربية وعلومها المرتبة التي تتيح لهم فقه القرآن والسنة ومصادر التشريع.. أي أن **«الدولة الإسلامية» لابد وأن تكون عربية اللغة والفكر والثقافة،** بصرف النظر عن لغة وقومية الرعية والعامة والجمهور.. **ومن هنا جاء ارتباط الإسلام بالعروبة الحضارية،** وصارت العربية لغة الإسلام، تنتشر بانتشاره، ولم يعارض في ذلك سوى الشعوبيين، الذين وإن أظهروا العداء للعروبة وحدها فلقد قام الدليل على عدائهم للإسلام أيضاً.

تلك هي العروبة، الوثيقة الصلة بالإسلام.. والتي غدت السبيل إلى فقهه، ومن ثم السبيل إلى تجسيد تأثيراته في الواقع.. تلك التأثيرات التي هي الحضارة العربية الإسلامية.. وهي - كما أسلفنا - **عروبة الفكر والثقافة.. العروبة الحضارية التي أثمرها الإسلام.. وليست عروبة الجاهلية وعصبيتها العرقية القاصرة الشوهاء، التي أسقطها الإسلام!.**

وإذا كان «عموم» العروبة في الأمة - كجماعة بشرية - وفي حضارتها - بعلومها وفنونها وآدابها - هو مما لا يحتاج إلى إثبات أو إيضاح .. فإن البعض قد يرتاب في «**ثبات**» هذه القسمة بوجه عوامل التطور والتغير، داخلية كانت أو خارجية، ومن ثم فإن هذا **البعض قد يرتاب في كون هذه «العروبة» واحدة من القسمات التي تمثل «هوية» لهذه الأمة، في المستقبل،** كما كانت في ماضيها وحاضرها!.. **فهذا البعض قد يحلو له النظر إلى «العروبة» كمجرد قسمة من قسمات «البناء الفكري الفوقي»،** الذي يصيبه التطور والتغير عندما يتطور ويتغير «**البناء المادي التحتي**»، للمجتمع، كما هو الحال مع بعض «**الأفكار**» والعادات التي تتبع في البقاء أو الذهاب الظروف المادية التي تبعثها وتستدعيها!..

ومع عزوفنا، في هذا المقام، عن النقد للطابع المطلق الذي يضفيه هذا البعض على مقولة «البناء الفوقي» و«البناء التحتي»، والارتباط «الميكانيكي» بينهما.. فإننا نعتقد - بخصوص موضوعنا - أن نظرة متأملة للتحديات التي جوبهت بها عروبة الأمة وعروبة حضارتها عبر تاريخنا المليء بالتحديات، ستجعلنا على يقين من أن «العروبة» هي «هوية».. وليست مجرد «بناء فوقي» يتغير بما يصيب «البناء المادي التحتي» من تطور وتغيير.

لقد سيطر «الترك - المماليك» و«الترك - العثمانيون» على مقدرات هذه الأمة العربية الإسلامية أغلب قرون تاريخها الإسلامي.. فلقد

استخلصوا حكمها لسلطانهم منذ تأسست دولة المماليك البحرية (٦٤٨هـ - ١٢٥٠م) وحتى انهيار الدولة العثمانية (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م) وقبل هذه القرون السبعة التي استخلص الترك فيها لسلطانهم حكم الأمة امتدت هيمنة نفوذهم على دولها منذ عصر الخليفة العباسي المتوكل (٢٠٦ - ٢٤٧هـ/ ٨٢١ - ٨٦١م) أي لأكثر من ثلاثة قرون.. أي أن هيمنتهم على الدولة وانفرادهم بها قد امتدت في تاريخنا لأكثر من عشرة قرون.

ثم جاء الاستعمار الغربي وهيمن على مقدراتنا وحياتنا قرابة القرنين من الزمان.

وفي ظل «الترك المماليك»، الذين كانوا فرسان العصر، وحماة الديار والحضارة من الخطر الخارجي الماحق - تترياً وصليبياً - لقاء أن تصبح هذه الديار «طُعْمة» لهم وإقطاعاً حربياً لأمرائهم وأجنادهم. في ظل هذا التسلط المملوكي كانت «الدولة» أعجمية.. فتعرضت العربية لتحديات الركاكة والتراجع والجمود.

أما في ظل عجمة «الترك - العثمانيين»، فلقد بلغ التحدي للعروبة حد محاولة «تتريك العرب» كي يتحولوا إلى «أتراك».. وكان تعليم الصغار لغتهم العربية مطلباً تناضل من أجله الأحزاب والجمعيات وتعقد في سبيله المؤتمرات.

ثم تصاعد التحدي للعروبة والعربية في ظل الهيمنة الاستعمارية الغربية، فبلغ القمة في محاولات «فرنسة الجزائر»، وسحق الهوية العربية لبلاد الشمال الافريقي، و«تغريب» فكر الأمة.. ومحاربة العربية بمشاريع كتابتها بالحرف اللاتيني مرة، واستبدال العاميات بها مرة ثانية.. والتخطيط لسيادة الجهل بها في كل الأحايين.. وتهميشها في مدارس التعليم الأجنبي، التي كانت تتخرج فيها صفوة الحاكمين ورجال الإدارة العليا.. إلى آخر هذه المحاولات، وأمثالها، التي توالت في تاريخنا شواهد على ما جابه العروبة في تلك الأحقاب المتطاولة والقرون المتعاقبة من تحديات.

**** الحضارة الاسلامية عمقت صلتها بخالقها، والحضارات الأخرى مقطوعة الصلة بخالقها**

**** حضارة المسلمين تميزت بالعمق والشمول لروح التدين**

لكن «العروبة»، رغم هذه التحديات - التي تمثل عوامل وتحولات قامت في أرض الواقع - قد ظلت صامدة شامخة مستعصية على التحرك من موقعها الحصين.. فليست هي إذن «بالبناء الفوقي» الذي يصيبه التغير بتغير الظروف .. وإنما هي «جوهر - ثابت»، كما هي «عام وشامل»، له صفة «الاستمرار».. إنها «هوية»، وليست مجرد «تراث».

والتدين: هو الآخر قسمة من القسمات الجوهرية والثوابت التي تكوّن جزءاً من «هوية» هذه الأمة.. ونحن بالطبع، لا نزعم أن أمتنا هي وحدها المتدينة من بين الأمم الأخرى.. لكننا نقول: إن ما يميّز أمتنا - كهوية لها - في التديّن، أمران:

أولهما: عمق التدين في ضمائر أبنائها وقلوبهم، ليس في الحقبة الإسلامية وحدها، وإنما

**** نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا**
**** الحضارة المؤمنة، هي الحضارة التي يذكر فيها اسم الله في كل شيء**

عبر تاريخ الشرق الطويل.. فوطن أمتنا، تاريخياً، هو مهد الديانات ومهبط الرسالات.. ولقد عرفت هذه الأمة «روح التدين» ولم تقف فقط عند «طقوسه» ومظاهره.. فالتدين ليس هامشاً يستكمل به الإنسان مظاهر دنياه، وإنما هو روح قائم وحاضر في كل صغيرة وكبيرة من حياة إنسان هذه الأمة.. **إن حضارات أخرى قد وقفت بالعبادة الدينية عند طقوس وشعائر يؤديها الإنسان في أيام معلومه وأماكن محددة..** لكننا نرى، في الإسلام، أن **كل صنيع خير يأتيه الإنسان،** في كل لحظة من لحظات حياته، وفي أي ميدان من الميادين هو **عبادة دينية،** وتديّن خالص للديان، سبحانه وتعالى.. فلقد حدد الله، سبحانه وتعالى، أن المهمة العظمى والوحيدة لخلقه هي أن يعبدوه: **{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}** (الذاريات/٥٦).. وغير متصور، بالطبع، أن يظن ظان، وإلا كان معتوهاً، أن المهمة الوحيدة للإنسان هي مواصلة الشعائر العبادية التي جاءت بها الشريعة، من صلاة وصيام .. إلخ.. لتمتلىء بها كل لحظات حياة الإنسان، لأن نبي الإسلام {صلى الله عليه وسلم} يعلمنا أن هذا ليس تديناً، وإنما هو الغلو المنهي عنه في الإسلام.. فلقد نهى عن هذا الغلو أولئك الذين أرادوا صيام النهار أبداً وقيام الليل دائماً.. ونبه أمته على أن دينها يسر، ودعاها إلى أن توغل فيه برفق، لأن الغلو تنطع، والمنْبَتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

إذن، فالعبادة، التي هي الرسالة الوحيدة والعمل الفريد للإنسان المسلم، هي كل عمل خير يأتيه الإنسان في هذه الحياة، بدءاً من عمارة الكون وزينة الأرض وسياسة الدولة وإصلاح المجتمع، إلى المتع الإنسانية المشروعة التي أحلها الله.. فكل فروض العين ـ الفردية ـ والكفائية ـ الاجتماعية ـ وسننها ومندوباتها ومباحاتها، أي كل نشاط إنساني تتطلبه عمارة الكون من قبل الإنسان، كخليفة لله، سبحانه وتعالى، في هذه المهمة ـ الاستخلاف ـ هو بعض من العبادة لله.. وبهذا المعنى، وفي هذا الضوء نجد أن **للتدين في حضارتنا عمقاً وشمولا لا نلحظهما في غيرها من الحضارات.**

وإذا كانت الحضارة الغربية قد حولت النصرانية ـ وهي، في أصولها الأولى: ديانة التصوف المسالم والسلام المتصوف ـ حولتها إلى مجرد قسمة خالية من الروحانية، وطقوس فقيرة في هذه الروحانية، في إطار هذه الحضارة التي تميّزت بطابعها المادي منذ جاهليتها اليونانية وحتى عصرها الحديث.. إذا كان هذا هو حال الحضارة الغربية مع «جوهر التدين»، فليس هذا هو حال حضارتنا المتدينة بالطبع والفطرة مع ما شهدت من شرائع الأديان.

لقد تحدث جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ ـ ١٣١٤هـ/ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م) عن أن التدين في

حـضـارتنا قـد بلغ حـد «الطبع والجـبلّة» حـتى تستعصي الروح الإيمانية على الاقتلاع حتى عند الذين يتوهمون أنهم قد اقتلعوها بالزندقة والمروق من الدين والإلحاد فيه والتحلل من التكاليف التي حددتها شريعة الإسلام.. وإذا كان أمثال هؤلاء، في الحضارة الغربية، يفاخرون بالزندقة ويعلنون عن المروق ويبشرون بالإلحاد ويباهون بالتحلل من التكاليف الشرعية، فإن أمثالهم عندنا - وهم من الندرة بمكان - يدركون أن خيارهم الإلحادي هو «عورة» لا يليق بالعاقل المسئول أن يراها منه غيره من الناس!..

فروح التدين تبلغ لدى المسلم الحد الذي تجعل من الإسلام «وطنا» و«جنسية» و«هوية حضارية»، يغضب لها، ويسعد بها حتى الذين يتوهمون خلاصهم منها بالزندقة والإلحاد.. إنها تبقى طابعة لهم، وأثرها فيهم باق وفاعل كأثر الجرح بعد أن يندمل! - على حد قول جمال الدين الأفغاني.

وليس كذلك، ولم يكن، حال الحضارة الغربية مع التدين بالنصرانية عندما تدينت بها الدولة الرومانية.. فلذلك الحال قد أجاد التعبير عن حقيقته إمام المعتزلة، قاضي القضاه عبد الجبار بن أحمد (٤١٥هـ ١٠٢٤م) عندما تحدث عنه فقال: إن النصرانية عندما دخلت روما، لم تتنصر روما، ولكن النصرانية هي التي تروّمت!.

لقد تحولت النصرانية عن روحها وروحانياتها، وغدت مجرد قسمة من قسمات حضارة ذات طابع مادي غالب، إن في الفكر أو في السلوك.. وشتان بين حضارة هذا هو موقفها من التدين، وهذا هو حظها من جوهره، وبين حضارتنا العربية الإسلامية التي جعلت من كل مناحي النشاط الإنساني الدنيوية عبادة وتديناً، عندما جعلت كل سعى إلى الخير استجابة لنداء الخالق الذي خلق الإنسان وحمّله أمانة عمارة الأرض، وترقية المجتمعات، والاستمتاع بالطيبات، كالرسالة العظمى للإنسان في هذه الحياة.

ثانيهما: عموم روح التدين في البناء الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية..

فالتدين - وخاصة في الحضارة الغربية - قد وقف عند «الفرد» واقتصر على علاقة الإنسان - كفرد - بخالقه.. أما في حضارتنا العربية الإسلامية، فلقد وجدناه يتعدى علوم الوحي والشرع إلى علوم الدنيا وفنونها، فهو الروح العامة السريان في كل علوم التمدن المدني والإبداع الحضاري وتنمية العمران البشري، وليست محصورة فقط فيما عرفته الحضارة الغربية تحت عنوان «اللاهوت».. فنحن أبناء «حضارة مؤمنة»، ارتبطت فيها العلوم جميعاً، بما فيها «العلوم البحتة» بالقاعدة الإيمانية.. إنها «الحضارة المؤمنة»، التي يذكر فيها اسم الله في كل شيء، وليس فقط في الصلوات .. نستفتح الأكل باسمه.. ونختمه بحمده.. ونهلّ بذكره على الذبائح.. ونلجأ إليه عند الحزن، وعند السرور.. في وقت الضحك، وساعة البكاء.. فكل مسعى الإنسان عبادة، حتى ترويحه عن النفس، بل ومباشرته متع الجنس المشروع!.. إنها الحضارة التي قال الإمام الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ/ ١٠٥٨ - ١١١١م) عن غاية العلماء من العلم فيها: «طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله».. الحضارة التي لم تربط ، فقط صلاح الدنيا بصلاح الدين، بل وجعلت صلاح الدنيا الشرط والأساس لصلاح الدين.. وعلى حد قول الإمام الغزالي: «**إن نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا..** فنظام الدين، بالمعرفة والعبادة، لا يتوصل إليهما إلا بصحة

البدن، وبقاء الحياة، وسلامة قدر الحاجات، من الكسوة، والمسكن، والأقوات، والأمن.. فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية. وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقاً بحراسة نفسه من سيوف الظلمة، وطلب قُوته من وجوه الغلبة، متى يفرغ للعلم والعمل؟! وهما وسيلتاه إلى سعادة الآخرة؟.

فإذن، إن نظام الدنيا، أعني مقادير الحاجة، شرط لنظام الدين!»[٣].

فاذا كتب التيفاشي (٥٨٠ ـ ٦٥١هـ/ ١١٨٤ ـ ١٢٥٣م) في «الجيولوجيا» طبيعة الأرض ـ كتابه «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» نراه يفتتحه بـ: «الحمد لله. بسم الله الرحمن الرحيم. وبه نستعين».. على نحو ما يصنع الفقهاء في استهلال مصنفات الفقه الإسلامي[٤].

وإذا صنف ابن حزم الأندلسي (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ/ ٩٩٤ ـ ١٠٦٤م) في «الحب» كتابه (طوق الحمامه في الإلف والإيلاف) فإنه يستهله بـ: «بسم الله الرحمن الرحيم. وبه نستعين .. أفضل ما أبتدىء به حمد الله عز وجل بما هو أهله، ثم الصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله خاصة، وعلى جميع أنبيائه عامة..» وفي ختام كتابه هذا عن «الحب» يقول لقارئه: «جعلنا الله وإياك من الصابرين الشاكرين الحامدين الذاكرين، آمين آمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما».. فكأنه فيسلوف إلهي يصنف في فن الإلهيات[٥].

فحضارتنا العربية الإسلامية ليست الحضارة الغربية، التي تدرس ظواهر النفس الإنسانية مقطوعة الصلة بخالق هذه النفس، سبحانه وتعالى.. والتي تدرس ظواهر الطبيعة كجزء أو أجزاء من عالم بلا خالق، فتكوّن بذلك لدى العلماء والباحثين والقراء عقولا ملحدة، حتى ولو لم تطرح قضية الإلحاد للنقاش.. لأن حضارتنا المؤمنة تدرس كل الظواهر الاجتماعية والنفسية والطبيعية باعتبارها ميادين في عالم له خالق سوّاه ويرعاه، فلا تقف عند الأسباب المادية المؤثرة، وإنما تشير إلى سبب الأسباب وخالق هذه الأسباب الذي أودعها مالها من فعل وتأثير.. ثم إنها تنظر إلى هذه المباحث باعتبارها واجبات شرعية للكشف عن الأسرار التي أودعها الخالق في هذا الوجود، وحمّل الإنسان أمانة إماطة اللثام عن هذه الأسرار.. **ولذلك، فإن علوم هذه الحضارة، لا تسهم فقط في تنمية الروح الإيمانية لدى علمائها، وإنما هي قد ربطت وتربط بين هذه العلوم ـ كوسائل ـ وبين الحكم والغايات والمقاصد التي وضعها الخالق للإنسان، كخليفة له، عليه أن يتخلق بأخلاق الله في الوجود!..** فعلى حين ظنت الحضارة الغربية أن الانتصارات العلمية هي «تحرير» للعقل الإنساني من الإيمان بالدين، أكدت حضارتنا أن المباحث العلمية ـ حتى الكونية منها ـ هي تكليف إلهي، تزيد العقل العلمي إيماناً بخالق هذا الوجود الذي يبحث عن الأسرار التي أودعها الخالق فيه.

فعلماء الحضارات الوضعية المادية، التي عزلت مناهج البحث العلمي فيها الدين عن الدنيا، إنما **{يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون}** (الروم/٧).. أما علماء الحضارة المؤمنة، فإن علمهم بأسرار الكون عبادة تزيدهم خشية لله، ومثوبة في الدار الآخرة **{ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها، ومن الجبال جُدَدٌ بيضٌ وحُمْرٌ مختلفٌ ألوانها وغرابيبُ سُود. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك، إنما يخشى**

الله من عبــاده العلمــاء، إن الله عــزيز غـفــور] (فاطر/٢٧، ٢٨).

ومثل ذلك صنعت حضارتنا عندما ربطت «السياسة» بـ «الشريعة» ومقاصدها ـ والعدل هو أعظم هذه المقاصد وأولها ـ فأقامت بينهما الصلات التي تنفي الفصل العلماني بين «الدين» و«الدولة والمجتمع»، وذلك دون أن تجعل هذه «السياسة» ديناً خالصاً ـ فتقدسها وتثبتها قدسية الدين وثباته ـ كما كان الحال في الكهانة الكنسية الغربية في العصور الوسطى المظلمة.

وإذا كانت الحضارة الغربية قد عزلت «السياسة» عن «الأخلاق» و«القيم»، عندما جعلت من «الميكيافيلية» مذهبها السائد في الفلسفة السياسية، فاجتمعت وأجمعت على أن **«القوة» هي «القيمة» في عالم السياسة**، وعلى أن الغايات تبرر الوسائل، وصكت للسياسة ذلك التعريف الذي يقول إنها: **«فن الممكن من الواقع»**.. فإن حضارتنا العربية الإسلامية قد ربطت «السياسة» بـ «القيم» و«الأخلاق»، وجعلت «العدل» هو القيمة الكبرى في عالم السياسة، والمقصد الأعظم من مقاصد الشريعة.. وما أعمقه وأبلغ دلالاته ذلك التعريف الذي صكته حضارتنا للسياسة، بلسان الإمام أبو الوفاء ابن عقيل البغدادي (٤٣١ ـ ٥١٣هـ/ ١٠٤٠ ـ ١١١٩م) عندما عرّفها فقال: **«السياسة: ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد»**[٦].

فهنا الربط العضوي ما بين السبل والحكمة.. ما بين الوسائل والغايات.. ما بين التدابير السياسية والقيم والأخلاق.

وهذه الروح المتدينة في حضارتنا العربية الإسلامية، كان ولا يزال محورها ومزاجها هو «التوحيد».. به تميّز تدينها، وتميزت سماتها وقسماتها جميعاً.. حتى لنستطيع أن نقول: إن هذا «التوحيد» قد غدا «هوية» تتميّز به أمتنا وحضارتنا عن غيرها من الأمم والحضارات.. وهي قد بلغت في تصوراتها له الذروة في النقاء، والقمة في التجريد.. فكان تحريراً للعقل والروح من العبودية للطواغيت.

فهو، إذن، التدين .. والتدين بروح التوحيد وعقيدته.. قد بلغ ويبلغ في حضارتنا العربية الإسلامية مبلغ «الهوية»، والقسمة الثابتة، والسمة الشاملة، والخصيصة التي غدت معلماً من المعالم التي تتميّز به حضارتنا عن غيرها من الحضارات.

«البحث موصول»

الهوامش:

(١) (التعريفات) ـ مادة «هوية» ـ طبعة القاهرة ١٩٣٨م.

(٢) (المعجم الفلسفي) ـ وضع مجمع اللغة العربية ـ مادة «هوية» طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩م.

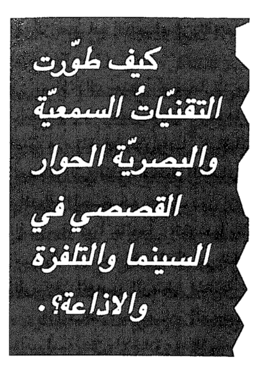
(٣) (الاقتصاد في الاعتقاد) ص ١٣٥، طبعة صبيح ـ القاهرة.

(٤) ص ٣٧، تحقيق: د. محمد يوسف حسن، د. محمود بسيوني خفاجي. طبعة القاهرة ١٩٧٧م.

(٥) (رسائل ابن حزم الأندلسي) جـ١ ص ٣١٠، تحقيق: د. إحسان عباس، طبعة بيروت سنة ١٩٨٠م.

(٦) ابن القيم (أعلام الموقعين) جـ٤ ص ٣٧٢، طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م. و(الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) ص ١٧ ـ ١٩. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٨م.

بين التكنولوجيا والأدب



كانت للثورة التكنولوجية في القرن العشرين أهمية كبرى في ابتكار فنون ابداعية جديدة، لها اتصال وثيق بالفنون الابداعية السابقة، غير انَّ لها أيضاً شكلها الخاص وأدواتها الفنية واساسياتها المختلفة والمستقلة، وتجلى الأثر التكنولوجي في اختراع السينما واجهزة المرئيات والمسموعات من أبسط أنواع العدسات إلى الكاميرات الألكترونية المتطورة، وظهور القصّة السينمائية والقصّة التلفزيونية والقصة الاذاعية التي تكتب جميعاً تحت هاجس مراعاة شروط تنفيذها بوساطة الآلة التكنولوجية التصويرية والمونتاجية والصوتية والضوئية والاخراجية. فولدت حاجات لفنون ذات صيغة تنفيذية تضع القصة في سياق التنفيذ التكنولوجي البصري أو السمعي في مقدمتها فن السيناريو الذي هو عملية كتابة «قصة تُروى بالصور[١]، تخضع إلى تقطيع اخراجي يحولها إلى مشاهد عدّة عبر فهم المخرج الخاص في التعامل مع زوايا الكاميرا واختيار اللقطات المناسبة والمؤثرات السمعية والبصرية. وقد صار من تقاليد بناء القصة المعاملة تكنولوجياً في اخراجها وتنفيذها سينمياً واذاعياً، أن يكون لها حوارها الخاص الذي يكتب في ضوء شروط مغايرة، أهمها مراعاة كونه حواراً ليست له علاقة قائمة مع السرد الوارد عادة في الرواية أو القصة، وغير مصمم تحت تأثيرات النص المكتوب للمسرح، وانما ثمة علاقة جديدة يقيمها الحوار مع عناصر سينمائية واذاعية تتحكم فيها مواصفات الآلة وتسهم في جعل الحوار واقعاً تحت تأثير زمني أو مكاني معين في سياق تصعيد التوتر، لتتم صناعة الايقاع الزمني للعمل، إذ «تقدم كل من الكاميرا والميكرفون وسائل عديدة لتركيز الحدث وهو مالا يتوافر في المسرح»[٢].

ففي السينما كما في المسرح يتخذ الممثل لنفسه مكاناً مؤثراً بفعل التأثير الاخراجي، ينافس الأداء الدلالي للغة من حيث إنَّها نص مكتوب فقط.

بقلم : د. فاتح عبدالسلام
- الاردن -

فعبارة حواريّة من الممكن أن تؤدى تنفيذياً من الممثل في أكثر من شكل وايحاء ما بين دلالة على الحب أو الكره أو الحزن أو السخرية. إذ انَّ «معنى المقطع يقدمه الممثل وليس اللغة التي هي المسبب فقط»[٣] غير انَّ ثمّة أموراً مضافة في خصوصية الحوار السينمي تكتسب قيمتها الدلالية من مجموع المفردات السينمية الداخلة في تكوين العمل بوصفه وحدة متكاملة، فإذا «صوِّر المتكلم بلقطة بعيدة فإنَّ تجاوره مع ما يحيط به من بيته يمكن أيضاً أن يغير معاني الكلمات. واذا تمَّ نطق نفس السطر في لقطة كبيرة سيكون لها معنى جديداً في التأكيد. انَّ فوائد التزامن يمكن أن تمتد إلى الاصوات الأخرى، فالموسيقى والمؤثرات الصوتية يمكن أن تعدل معاني الكلمات كثيراً.

نفس الجملة السابقة اذا ما نطقت من خلال غرفة الصدى ستكتسبُ دلالات مختلفة عن الجملة وهي تهمس بحميمية إذا تطابق هزيم الرعد مع نطق جملة فإنَّ التأثير يكون مختلفاً عن زقزقة الطيور أو نحيب الريح»[٤].

فالمعاني المتعددة المكتسبة من مؤثرات الصوت وزوايا الكاميرا والملحقات السينمية الخاضعة للتأثير التكنولوجي، يستحيل تجسيدها بنفس التأثير الدلالي في النص المكتوب غير المنتج، حتى لو أقحم الكاتب نفسه مُعلقاً على كل جملة منطوقة من قبل الشخصية. ومن المهم أن نبين هنا أنَّ واحداً «من الاختلافات الكبيرة بين حوار المسرح وحوار السينما هو درجة الكثافة»[٥] إذ يعمد المسرح بطبيعته إلى التوضيح، فالمسرح مكان يجمع بين المرئيات والمسموعات غير أنَّ الكلمة المنطوقة هي السائدة دائماً. ويكون التوضيح هنا تعويضاً عن الخسارة الصورية لأنَّ الجمهور المسرحي غير موجود في قاعة المسرح على درجة واحدة من القرب الى خشبة العرض. وتكون الغالبية دائماً بعيدة عن ادراك تفاصيل التغيّرات في المرئيات. أمَّا في السينما فإنه «طالما أن باستطاعة اللقطة الكبيرة أن ترينا أدق التفصيلات فإن التعليق الشفهي غالباً ما يكون زائداً. هذه المرونة المكانية تعني بأن ليس على اللغة أن تحمل العبء الثقيل الذي يحمله الحوار المسرحي»[٦].

إن وظيفة الحوار من حيثُ ارتباطها بشخصية القصة وحدثها تتشابه في الرواية والقصة والفلم والتمثيلية في مسألة أساس هي ان «الحوار وظيفة شخصية، إذا عرفت الشخصية فعلى حوارك أنْ يجري متدفقاً إلى جانب قصتك»[٧] ساعياً إلى تنمية الحدث والكشف عن الصراع بين الشخصيات وتبين المظهرية السلوكية الوجدانية والانفعالية لها.

أمَّا من حيث نوعية اللغة المنطوقة في السينما، فهناك نوعان أساسان هما: الحوار الفردي والحوار الثنائي. وهي حالة تشبه التقسيم النوعي للحوار في الرواية والقصة والمسرحية إلا أن للحوار الفردي في السينما سمة تميزه، فهو «يقرن غالباً مع الافلام الوثائقية التي يقدم للجمهور فيها معلق من خارج الشاشة المعلومات المادية المرافقة للمرئيات.. ويجب أن يقدم التعليق الشيء غير الموجود في الصورة، وإنَّ القاعدة الكبرى في استخدام هذا الاسلوب هو تجنب اعادة المعلومات الموجودة في الصورة»[٨]، فضلا عن استخدام الحوار الفردي في الافلام الخيالية، ويفيد هذا الاسلوب خاصة في تركيز الاحداث والزمان. ويسبق تعليق المعلق احداث الفيلم بشكل يقود فيه إلى مركز الاحداث وتصاعدها. ومن هذا الحوار يتفرع الحوار الفردي السردي الذي «يستخدم بصورة شمولية ليقدم صورة ساخرة مباينة للمرئيات.. ويربط

بين الكثير من الاحداث بانتقالات ضرورية وتعليقات فلسفية»[٩].

وتمثل المرئيات في هذا المجال (الماضي)، في حين يكون المجرى الصوتي للمعلق هو (الحاضر) وانّ ذلك هو الشكل الخارجي للحوار الفردي في السينما. وفي الوقت نفسه هناك شكل آخر هو الحوار الفردي الداخلي الذي يكون «من اثمن الأدوات بيد المخرج إذْ انه يستطيع بواسطته أن يوصل ما تفكر به الشخصية»[١٠]، وهو أحد الابتكارات الدرامية المستعارة أصلا من المسرح، ويعرف بالمناجاة المنفردة Soliloquy «أي ان اللاقطة تنصت للشخصية بالذات وهي تتكلم مع نفسها بينما تسجل آلة التصوير المشهد»(١١).

أمَّا الحوار الثنائي في السينما فهو يعادل الديالوج Dialogue في الادب من حيث انه حوار خارجي ظاهر، يشترك فيه طرفان، بيد أنه يمتاز بالتجاوب الخاص مع المؤثرات والادوات السينمية كما ذكرتُ آنفاً.

إنَّ اختلاف نوعية الحوار وأساليبه يرتبط باختلاف البناء الدرامي للقصة المقدمة سينمياً أو تلفزيونياً أو اذاعياً. فالقصة الاذاعية المسماة التمثيلية الاذاعية يرتكز حوارها على الدقة في نقل المعلومة والتسلسل الواضح في تناول تصاعد الحدث والاحتكام إلى التنوع الدلالي بنبرات صوت الممثل لأنه عنصر أساس في توجيه المتلقي إلى زاوية تأثير معينة للتمثيلية المقدمة. فصوت الممثل مع الفواصل الموسيقية أو الموسيقى المصاحبة هي الادوات التنفيذية في نقل حوار التمثيلية إلى المستمع فليست ثمة صورة أو اثارة أو مؤثر مرئي معين، وكل شيء يضع في حسبانه أنه يتوجه إلى مستمع لا مشاهد. إذ انَّ «التمثيلية الاذاعية تتكون من الكلمات. والكلمات هي التي تقوم بكل شيء، فليس هناك ممثلون يرون وهم يتغيرون وفقا للدور. وليس هناك مسرح يخترع ليشابه المكان.. ولكنَّ الكلمة المنطوقة وحدها هي التي تثير الخيال، وتمد المستمع بمنظر الشخصية وملبسها وحركاتها»[١٢].

فالحوار الاذاعي يؤدي من خلال الصوت امكانية توصيل بديلة عن الامكانات البصرية في المضمار نفسه. ويمكن القول أنَّ التمثيلية الاذاعية المسموعة في أغلب الاحيان هي حوارية خالصة تماماً تعتمد على الصوت المنطوق، وانها تتوجه إلى الأذن مباشرة دون المرور بالعين.

الهوامش:

(١) سدْ فيلد/ السيناريو (ترجمة: سامي محمد) دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٩، ٢٣.

(٢) جون هاوارد لوسون/ فن كتابة السيناريو (ترجمة ابراهيم الصحن مراجعة سعد لبيب) منشورات معهد التدريب الاذاعي والتلفزيوني، بغداد، ١٩٧٤، ١٧٨.

(٣)، (٤) لوي دي جانيتي/ فهم السينما (ترجمة جعفر علي) دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١، ٢٩٣.

(٥)، (٦) لوي دي جانيتي/ فهم السينما، ٢٩٩.

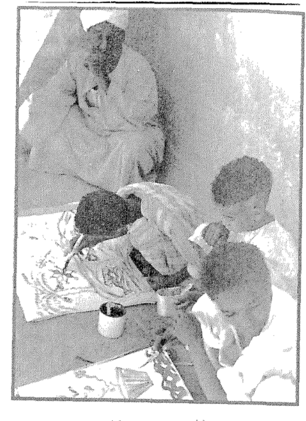
(٧) سدْفيلد/ السيناريو، ٤٢.

(٨) لوي دي جانيتي/ فهم السينما، ٢٩٦.

(٩)، (١٠) المرجع نفسه، ٢٩٧.

(١١) نفسه، ٢٩٩.

(١٢) د. طه عبد الفتاح مقلد/ الحوار في القصة والمسرحية والاذاعة والتلفزيون، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٥، ٢٨٣.



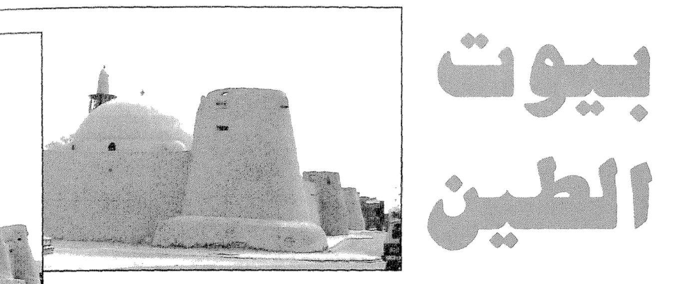
في البلدان والعمران ..
في التقاليد والأعراف
في تقاطيع وجوه الناس
السائح يستقرىء
الملامح ويرسم اللوحة



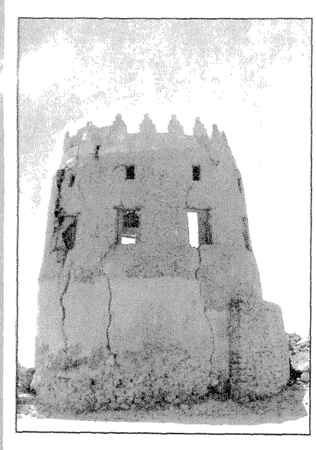
المغرب
بلاد القصبات .. والمدن العتيقة

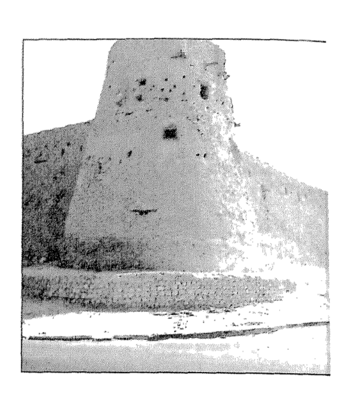


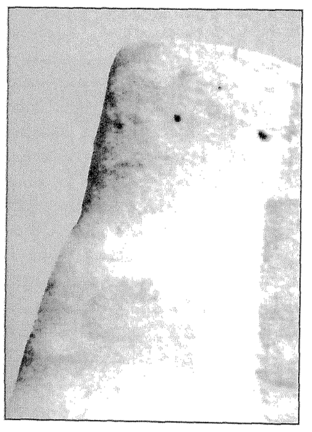
بيوت الطين











«القرية» على خارطة العالم العربي، كانت قديماً تقـام أبنيـتـهـا على الطين اللَّبِن.. بل حـتى بعض القـصـور والقـلاع شـيـدت بالطين، ولازالت بقـاياها موجـودة حتى يومنا هذا في بعض الدول العربية ومن الخصائص الغنية المعمارية المحفوظة للطين اللَّبن انه يتكيف مع الجو الخارجي حرارة وبرودة.

وبخاصة في ايام الصيف القائظ تجد بيوت اللَّبِن مـحـتـفظة بدرجـة مـعـتـدلة من البـرودة، ذلك لان من خاصية اللَّبن درجات الحراة العالية تنكسر عند جسمه الخـارجي، ويـبـقى الداخل مـحـتـفظاً بدرجـة برودته المعتدلة.

وعلى الواقع المعـاش الآن، في حين تجـد البـيت المبني بالطين اللَّبن محتفظاً بدرجة برودته المعتدلة، تجد البيت المجاور له المبني بالأسمنت المسلح اكثر حرارة بالداخل لدرجة غير محتملة.

النوبة .. أرض الذه

الحلقة الأولي

لم تكن أرض النوبة سـواء القديمة أو الجديدة بمنأى عنى، والشعب النوبي ليس بغريب مني أيضا، فقد عشت ومازلت أعيش بينهم، تربطني بهم صداقة وزمالة عرفت عنهم الكثير من عاداتهم ولغتهم بلهجاتها، شاركتهم أفراحهم وأحزانهم، دخلت بيوتهم بدعوة صديق أو زميل، وأحيانا مرافقاً للسياح الذين يأتون إلى أسوان ويرغبون في التعرف على أهل النوبة الأمر الذى جعلنى أقرأ عنهم الكثير في الكتب والمراجع سواء كانت تلك المراجع بالعربية أو الأجنبية وذهبت مرات عديدة إلى قراهم الجديدة في وادى كوم امبو شمال أسوان بـ ٤٥ كم بعد أن هاجروا إليها مضطرين عام ١٩٦٤م أثناء بناء السد العالى وغرق أرضهم بمياه بحيرة ناصر أو كما يطلق عليها أحيانا بحيرة السد.

لم يُقدر لي أن أشاهد بلاد النوبة القديمة فقد كنت صغيراً أيام عملية التهجير الكبرى، والآن قد غطت البحيرة أرضهم بخزان من المياه يعد من أكبر الخزانات الصناعية في العالم، مساحته ٥٠٠٠ كم بطول ٥٠٠ كم تجاه الجنوب يمتد منها ٣٢٠كم في الأراضي المصرية والباقي داخل الأراضي السودانية بمتوسط عرض ١٠كم.

كانت بلاد النوبة القديمة وقراها تمتد وتنتشر على ضفتى النيل الغربية والشرقية داخل طبيعة صحراوية وجبلية صعبة الأمر الذى جعلها تعيش في عزلة نسبية عن مصر.

عاشوا بعيداً عن العمران والحضارة ردحاً من الزمن ونقص شديد في الخدمات العامة من طرق وصحة وتعليم، وكانوا في الماضي البعيد ممالك مستقلة اتصلت حضارتهم بحضارة الفراعنة، وسيطر عليها المصريون القدماء لتأمين الحدود وبنوا على أرضها المعابد الشامخة كالتى في منطقة أبو سمبل في عهد الأسرة الخامسة والعشرين التى حكم بعض ملوكها مصر كالملك طهراقا، و«نكتانبوا» أيام مملكتي «نباتا» و«كوش».

عرفت أن أهل النوبة رغم أنهم تجمعهم صفات كثيرة وأهمها البشرة السمراء والشكل الوسيم وتقاطيع الوجه الصغيرة والطول المتوسط ويتحدثون جميعهم اليوم اللغة العربية إلى جانب لغة أهل النوبة، وهم في الشمال من أرض النوبة يختلفون عن أهل النوبة في الجنوب الذين يشبهون الزنوج في بعض تقاطيع الوجه واللون الأسود وهم في الجنوب يعرفون باسم «الفيدجاوية» ولغتهم «فديدجا» وفي الشمال سكن «الكنوز» بالقرب من الحدود المصرية ولغتهم «الماتوكية» وبينهما سكن العرب في عدة قرى منفصلة وكذلك «الكشاف» وهم الذين أصبحوا نوبيين بالمصاهرة والاختلاط وهؤلاء ترجع أصولهم إلى الجنود الذين أرسلهم السلطان سليم الأول إلى مصر عام ١٥٢٠م بعد أن أصبحت مصر ولاية عثمانية، وكل هؤلاء تمت هجرتهم إلى الشمال وروعي في نقلهم أن تكون قراهم بنفس الترتيب الذى كان في الماضى وعدد هذه القرى ٣٩ قرية.

تعددت رحلاتى إلى أرض النوبة القديمة وتنوعت الوسائل التى استخدمتها في الوصول إلى مدينة أبو سمبل لزيارة معبديها اللذين يرجع بناؤهما إلى عصر

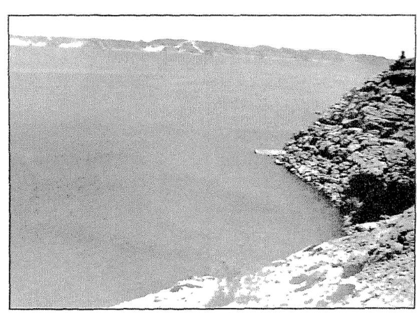
بقلم : فتحى عبدالحميد المراغي
- مصـر -

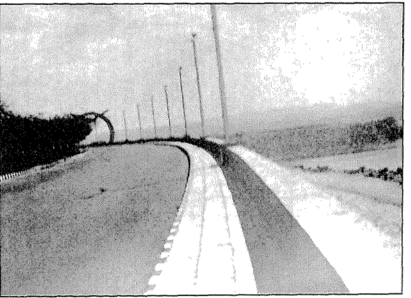


ـ نموذج للقرية النوبية.

ـ النوبيات في زيهن التقليدي

الملك رمسيس الثانى أشهر الفراعنة في البناء والتعمير، وفي كل مرة كنت مرافقاً للمجموعات السياحية، وللوصول إليها يفضل ركوب الطائرة لاختصار الوقت إذ تقطع الطائرة حوالى ٢٥ دقيقة من أسوان إلى أبو سمبل وبعض المجموعات السياحية تفضل المراكب السياحية عن طريق بحيرة ناصر لزيارة المعابد القديمة التى تم إنقاذها بالرفع أو النقل إلى أماكن بعيدة عن ارتفاع منسوب البحيرة ومنهم من يشق الصحراء خلال الطريق الذي يصل بين أسوان وابو سمبل ومسافته ٢٦٠ كم ويحتمل المسافر أعباء السفر ومشقته بالسيارة أو الأوتوبيس المكيف وهم بالطبع من عشاق الصحراء والمناطق الجبلية الوعرة والطريق يشق الصحراء الغربية الممتدة، يتشكل لون رمالها طوال اليوم بين الأصفر والأبيض عندما تتعامد عليها أشعة الشمس وقت الظهيرة فتبدو من بعيد كالبحر الملىء بالماء وعندما تقترب منها تظهر لك حقيقة الصحراء القاحلة إذن فهو السراب، وعلى طول الطريق تظهر الكثبان الرملية وكتل من الأحجار الرملية التى تكون أشكالا غريبة ومختلفة تميل غالبا إلى اللون البني، شكلتها الرياح والطبيعة بأشكال مختلفة، وهذه الكتل الحجرية نحت فيها رمسيس الثاني معابده الستة في بلاد النوبة والتى منها معبد الدر والسبوع ومعبدا أبو سمبل ، ورغم أن الأرض الممتدة برية قاحلة إلا أن قاعها رسوبى غريني، ويُعجب السياح «بكرنفالات» الجمال القادمة من السودان فيلتقطون لها الصور وكذلك لقطيع الأغنام للبدو وكذلك للطيور والصقور،


- جزء من بحيرة ناصر


- جسم السد العالي

التى غمرتها مياه النيل.. رحلة الغرض منها التعرف على جزء من أرض الذهب.. فكلمة «نوبة» من «نوب» في اللغة القديمة والتى تعنى الذهب وأول وثيقة في التاريخ ذكرت كلمة النوبة كانت في كتاب الجغرافيا لاسترابون اليونانى عام ٢٥ ق.م، تشير إلى الجانب الغربي للنيل في ليبيا وكانت مأهولة بالنوبيين وهم لا يتبعون أثيوبيا وكانوا ينقسمون إلى ممالك عدة.

عُرفت بلاد النوبة في العصور الفرعونية المتأخرة باسم «تاكنست» أو بلاد كنست كما كانت تعرف باسم بلاد «تاتسى» أي بلاد حاملي الأقواس وعرفت النوبة أيضا في التاريخ ببلاد «كوشى» وكوش هذا هو الجد الأعلى للنوبيين وهو أخو مصرايم الجد الأعلى للمصريين وهما من حام بن نوح ...... المهم أن بلاد النوبة سواء في الشمال أو الجنوب عُرفت ببلاد الذهب لقربها من مناجم الذهب القديمة ولا زالت النساء النوبيات يتقلدن الذهب ويفخرن بامتلاكهن له.

بدأت الرحلة الساعة الخامسة صباحاً وكنا قد وصلنا إلى شاطىء البحيرة الغربي بالقرب من مصنع الأسماك الحديث بالاوتوبيس الذى أقلنا من وسط مدينة أسوان وتضم المجموعة نوبيين من الكنوز والفدجاوية والكشاف وزميل من القاهرة وآخر من قنا واثنين من أسوان وكل منهم له اهتماماته الخاصة وهواياته المحببة كالرسم والتصوير وصيد الأسماك أما عن نفسى فهوايتي القراءة والتسجيل والحديث مع الخلائق والبحث عن المجهول.

عم سيد السائق نوبي من الكشاف طويل القامة لون بشرته فاتح تقاطيع وجهه خليط ما بين أهل النوبة وأهل البلقان يتحدث العربية ويفهم النوبية جيدا يعتز بشخصيته ونسبه الذى يرجع الى هؤلاء الجند الذين أرسلهم سليم الأول لتأمين المنطقة وجباية الأموال

ويستمر الطريق حتى يصل إلى كوبرى حديث فوق قناة «توشكا» التى سوف تستقبل مياه البحيرة عندما يرتفع منسوب الماء فيها وبعده يجرى الطريق حتى يصل إلى مدينة أبو سمبل السياحية.

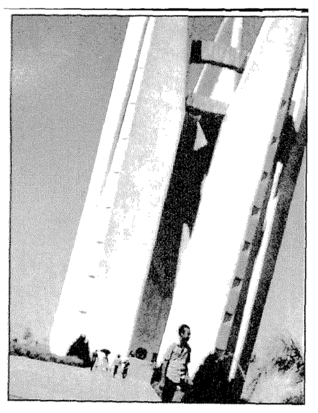
لم تكن رحلتي هذه المرة كمرافق للسياح بل مع أصدقاء وزملاء من أهل النوبة ولم تكن الرحلة طويلة إلى أبو سمبل ولكن إلى منطقة «جرف حسين» على بعد ٩٠ كم جنوب أسوان..

رحلة نيلية جميلة بمركب معد لذلك.. جولة سريعة في البحيرة شاهدت فيها أرض النوبة القديمة

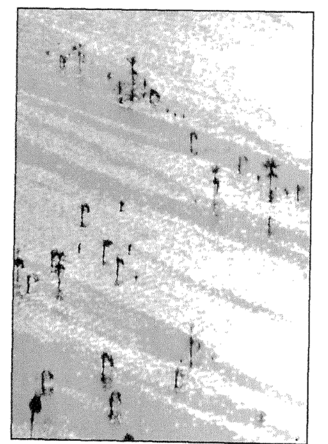


ودائما ما يقول عن النوبيين أنهم برابرة فأجداده سيطروا على بلاد النوبة من الكنوز والفيدجاويين والدناقلة وتركز الجند العثمانيون في المنطقة واستقروا في «أبريم» وجزيرة «ساي» أقصى الجنوب وكان هؤلاء الجند خليط من الشرق والغرب جمعوا من الدول التى كانت تسيطر عليها الدولة العثمانية وأطلق عليهم اسم الكشاف لأنهم كانوا يستطلعون المنطقة ويراقبونها فمن هؤلاء الكشاف أتراك وأكراد وبلقان ومن منطقة البوسنة والهرسك وبمرور الزمن اختلط هؤلاء الكشاف بالنوبيين وتزاوجوا منهم وأصبحوا مخلطين ولازالت عائلاتهم تقيم وتحمل أسماءها القديمة كالعنتبلية والتوردياب والقائم مقامات والشويشات والطوبيشات، وظل الكشاف لهم سطوتهم على المنطقة حتى قيام الثورة المهدية في السودان عام ١٨٢٢م والتي غزت بلاد النوبة للقضاء على هؤلاء الكشاف فكانت بلاد النوبة في تلك الفترة ميداناً للمعارك بين أنصار المهدي والقوات المصرية والبريطانية الأمر الذى جعل هؤلاء الكشاف ينتمون أخيرا إلى الجيش النوبي بالمصاهرة فقد كان النوبي لا يستطيع أن يرفض أحد هؤلاء الكشاف إذا ما تقدم كي يتزوج ابنته.

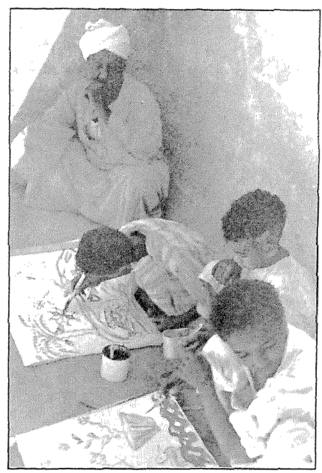
كان النسيم عليلا في صباح ذلك اليوم ورغم أننا مازلنا في فصل الصيف إلا أن برداً خفيفاً كان يهب علينا من آن لآخر ورغم الهدوء والسكينة اللذين خيما على المكان إلا أن الكائنات كلها تسبح بحمد الله فمنذ ساعة واحدة كنا قد أدينا صلاة الفجر فها هى الطيور تزقزق والبلابل تغرد والحشرات تصوصو وأحجار الجرانيت البعيدة تكاد تنطق فهى شاهدة على كل ما حدث عبر العصور، والماء في البحيرة يرقص تحت وطأة نسمات الصباح المشهد رائع مهيب ونحن نجلس على سطح المركب على كراسى خيزران تحت مظلة من القماش فالشمس قد بدأت تشرق ويظهر نورها من بين الجبال البعيدة وبدأت تظهر بوضوح المعالم الرئيسية للمنطقة.. جسم السد العالى ورمز الصداقة ذلك المبنى المرتفع بأعمدته الخمسة التي تشكل كل منها زهرة اللوتس، ومن بعيد رمال الصحراء الغربية والمناطق العمرانية الجديدة عبر ميناء أسوان النهرى



- رمز الصداقة



- أرض النوبة وهي تغرق بمياه بحيرة ناصر عام ١٩٦٤م ويظهر فيها النخيل.



ـ بعض أطفال النوبة.

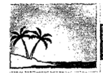
من الناحية الشرقية وآخر محطة لخطوط السكة الحديد المصرية، وبدأت الحركة تدب في البحيرة ومراكب الصيد ورجال الرى والسد العالى يستقلون اللنشات الصغيرة بعضها متجه إلى المقاييس الموضوعة وسط الماء وأخرى متجهة إلى قنطرة المفيض على الضفة الغربية للنيل التى أُنشئتْ بغرض تصريف المياه الزائدة من أقصى منسوب للبحيرة ١٨٣م فنحن في أول سبتمبر من عام ١٩٩٦م وكثر الكلام عن فيضان هذا العام المرتفع والذى سيصل منسوبه فى البحيرة إلى أكثر من ١٧٨م.

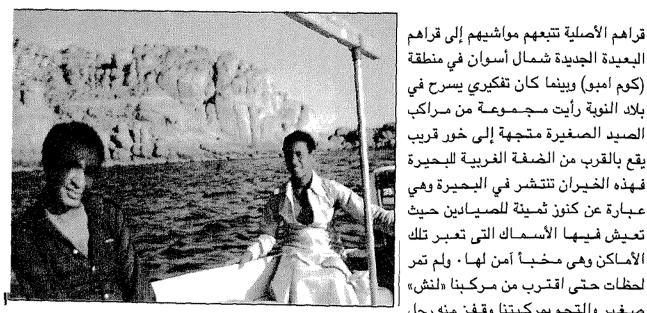
تطرقنا في الحديث عن الزلازل التى حدثت عام ١٩٨٢م وعام ١٩٩٣م والسيول في السودان .. يبدو أن النهار من أوله جميل وكل شيء يوحى بسحر فتان يولد الخواطر ويحث النفس على النشاط فالشمس قد أطلت توا برأسها وهى تتلألأ لتنير الدنيا واقترب مركبنا من معبد كلابشة أحد المعابد التى أنقذت ونقلت من الجنوب إلى مكان قريب من السد العالى وهى معبد بطلمى رومانى ورغم أن الوقت كان مبكراً إلا أننى أرى مجموعة من السياح متجهين إلى المعبد يقودهم مرشدهم السياحى وعلى الشاطىء البعيد قرية سياحية وسط الصحراء وتمتد مبانيها حتى حافة البحيرة.

ابتعد المركب عن جسم السد العالى الذى بدا أمام عينى من بعيد كالجسر الذي يعترض تدفق المياه الغزيرة التى تملأ البحيرة فجسم السد ارتفاعه ١١١متر من فوق قاع النهر بعرض ٩٥٠م مرتفعا إلى أعلى ويتدرج آخذا الشكل الهرمي إلى أن يصل عرضه إلى ٤٠م بطول ٣٫٦٠٠ كم.. لقد تغيرت طبيعة المنطقة فبعد أن كان مجرى النيل ضيقا يشق المناطق الصخرية الوعرة ويحنو أحيانا إلى الصحراء والتلال الرملية ويتعرج كثيرا إلى أن يصل إلى الشلال الأول عند أسوان وكانت المياه تتدفق فوق تلك الصخور ويسلك النيل طريقه بين الجزر والأرخبيل وبعد ذلك يسير في هدوء يحمل الطمي والغرين حتى يصل إلى مصبه في البحر الأبيض المتوسط عند مدينتى دمياط ورشيد. والآن تدخل المياه في أنفاق صناعية مارة بتوربينات تولد الكهرباء ويخرج الماء صافيا ويحجز الطمى في البحيرة التى تكونت واتسع مسطحها وتباعدت الشطآن وغطت الجبال الشرقية وهي من الصخور النارية الجرانيتية تمتد بحذاء البحر الذى تكون نتيجة هزات أرضية وزلازل صنع ذلك الأخدود العظيم الذى يعرف اليوم باسم البحر الأحمر.

وبينما كانت المركب تسير في عرض البحيرة والشمس ترسل أشعتها الحارة التي لم نشعر بها كثيرا لوجود المظلة التى تظللنا والريح الذى يحمل رذاذ المياه المتطايرة مع سرعة المركب كانت تمر أسراب من طيور الزرزور والعصافير وطيور أخرى من النورس المهاجرة والتى كانت تقترب منا لنلقى لها بعض الطعام في الماء لتهبط فوقه لالتقاط غذائها منه.

هبت على وجهي نسمة متعشة ملأت رئتى بالهواء فاسترخيت بجسمي على مقعدى الخيزران ورحت أحلق في الطبيعة الجميلة والبحيرة الكبيرة وأراضيها الزراعية والسواقي والنخيل، وتم نقل هؤلاء النوبيين من



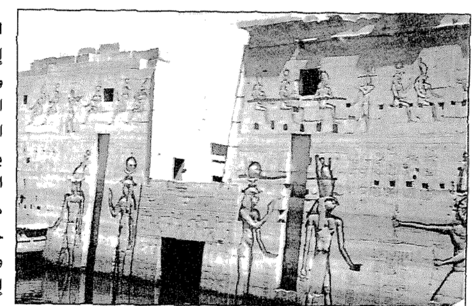


- جولة في النيل بين الصخور.



- أحد المعابد التي أنقذت عند الفيضانات.

قراهم الأصلية تتبعهم مواشيهم إلى قراهم البعيدة الجديدة شمال أسوان في منطقة (كوم امبو) وبينما كان تفكيري يسرح في بلاد النوبة رأيت مجموعة من مراكب الصيد الصغيرة متجهة إلى خور قريب يقع بالقرب من الضفة الغربية للبحيرة فهذه الخيران تنتشر في البحيرة وهي عبارة عن كنوز ثمينة للصيادين حيث تعيش فيها الأسماك التى تعبر تلك الأماكن وهى مخبأ آمن لها. ولم تمر لحظات حتى اقترب من مركبنا «لنش» صغير والتحم بمركبتنا وقفز منه رجل صعيدى بجلبابه الفضفاض الواسع يلف رأسه بعمامة كبيرة بيضاء يتبعه غلام يحمل على كتفه قفة مليئة بالأسماك وسلمها إلى رئيس المركب عم عبد الصمد النوبي انتهزت هذه الفرصة واستدعيت ذلك الرجل الصعيدى كى نجلس معا ونحتسى الشاي ودار ذلك الحديث بيني وبينه فعرفت أنه صعيدي من سوهاج من مركز جهينة وهو من مشايخ الصيادين في المنطقة رحل إلى أسوان عام ١٩٦٦م وبدأ عمله كصياد في البحيرة والآن يرأس مجموعة كبيرة من الصيادين التابعين لإحدى الجمعيات التي تشرف على عملية صيد الأسماك في البحيرة، فالبحيرة بطولها وعرضها مقسمة إلى مناطق بين الصيادين الصعايدة ويقصد بهم النازحون من محافظتي سوهاج وقنا، ولا تزال مركبنا في مياه الصعايدة الممتدة من جنوب السد العالى وتبدأ من منطقتي كروسكو وتوماس وعافية لمسافة ١٠ كم تجاه الجنوب ويعمل في كل منطقة مجموعة من الصيادين تنقسم إلى مجموعات صغيرة تنتشر في كل أنحاء المنطقة المقررة لهم بمراكبهم الصغيرة ومعدات الصيد ولكل مجموعة لنش صغير يمد أفرادها بالأطعمة اللازمة ويعود محملا بالأسماك للمصنع الخاص بعملية تشفية الأسماك وأغلب هذه الأنواع من السمك الأبيض البلطى والساموس، عرفت من الرجل حقيقة الأسماك التى وجدت في البحيرة داخل الخيران وعلى جسمها مكتوب عبارة «لا إله إلا الله» فأكد لي هذه الحقيقة.. سبحان الله وقد عثر على الكثير منها في خور «سنجارى» .. حدثني الرجل عن أحوال الصيادين وكيف يقضون الليالى الطوال في البحيرة بعيداً عن أسرهم سعيا وراء الرزق ولابد للصياد أن يكون رجلا صبورا عارفا خبايا المسالك والطرق ومجموعة الجزر وهو يضطر مرات كثيرة إلى البيات على إحدى الجزر فعليه بخبرته



ـ نقوش فرعونيه على حائط في معبد ايزيس بفيله.

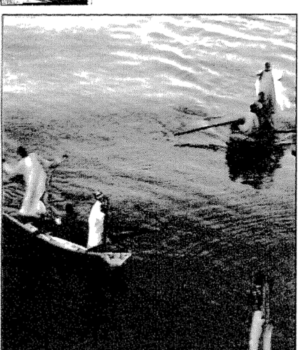
أن يختار جزيرة نظيفة مؤقتة بمعنى أن الجزر التى تغطيها المياه بارتفاع مناسب للبحيرة هى آمن الجزر فلا تعيش فيها العقارب والثعابين أما عن التماسيح والتى ظهرت منها أعداد كبيرة داخل البحيرة فالتماسيح الضخمة مكانها بالقرب من الشواطىء البعيدة والصخور وهناك تماسيح صغيرة يقوم أحيانا باقتناصها الصياد وهذا الأمر يحتاج الى خبرة وممارسة فعندما يرفع التمساح رأسه ويمد فمه يضع الصياد الماهر وبسرعة في فمه خشبة طويلة يقبض عليها بأسنانه فتذهب قوة التمساح في هذه الحالة ويقوم الصياد بربط فمه بالحبل ويجره إلى المركب ويقوم ببيعه لمحلات الأنتيكات التى امتلأت بهم الآن أما عن الأسماك فقد زاد إنتاجها داخل البحيرة ففي عام ١٩٦٨م كانت البحيرة تنتج ٢٦٠٠ طن سمك في اليوم وقفز ذلك الإنتاج عام ١٩٧٨ حتى وصل إلى ٢٢٫٥٠٠ طن مترى في اليوم الواحد وهو الآن يصل إلى أكثر من ٣٤ ألف طن مترى في اليوم.

وما أن وصلت بنا المركب بالقرب من أحد الخيران حتى قفز شيخ الصيادين إلى مركب صيد صغيرة يدعو لنا بالسلامة وانطلقت مركبنا تشق مياه البحيرة تجاه الجنوب حيث تزداد البحيرة اتساعاً وتتباعد الشطآن ويكثر السمك ففي هذا الخزان فرصة كبيرة للأسماك كي تنمو وتكبر وتصل إلى حجم ضخم فبعض الأسماك وصل وزنها إلى ١٠ كيلو وفي البحيرة قوانين صارمة لعملية الصيد فلا يستطيع الصياد أن يستخدم أنواع الديناميت لصيد الأسماك والبحيرة تختلف عن مجرى النهر شمال السد العالى حيث تكثر السدود والخزانات والمصارف والقنوات التى يهرب إليها السمك ويصطاده الصيادون بكل سهولة في هذه اللحظة سمعت صوت أحد الأصدقاء كان جالسا على مقعده عند مؤخرة المركب يلقي بسنارته في المياه ويقول الله اكبر فقد اصطاد سمكة كبيرة من النوع البلطى تزن حوالى ٣ ك وحملها غلام نوبي صغير إلى المطبخ لتطهى مع الأسماك التى تجهز للغذاء وفي عرض البحيرة أرى المياه زرقاء صافية وأمواجها فضية متلألأة وفي بعض المناطق ظهرت أنواع من النباتات العالقة والطحالب الزرقاء والخضراء المعروفة باسم «سيمانوفيتا» وهي قادرة على تثبيت النتروجين الذى يؤثر بالطبع على كمية المحصول السمكى كما يسبب تغييرا في طعم الماء ورائحته وبمرور الماء عبر الشلال تزول تلك الرائحة فالمنطقة الشمالية أقل انتاجا من الجنوبية فالبحيرة باتساعها أصبح لها خصائص «هيدروجرافية» وكيمائية مميزة وزادت نسبة الملوحة في البحيرة نتيجة لعملية التبخر الأمر الذى غير من طبيعة المنطقة الجافة فبعد أن كانت المنطقة نادرا ما يسقط فيها أمطار تتكرر الأمطار الآن اكثر من مرة في السنة الواحدة هذا بالاضافة إلى اللجوء إلى زراعة شواطىء البحيرة وإقامة المجتمعات العمرانية على ضفافها الأمر الذي سيغير من طبيعة المنطقة كليا وهناك آراء تعارض إقامة مجتمعات سكانية في المنطقة الأمر الذى سيؤدى بدوره الى انحطاط مياه البحيرة وهي الخزان الرئيسي الذي يمد مصر بالماء بما تصرفه الزراعه فيه من مخلفات طبيعية



وكيميائية وعضوية من أنواع الأسمدة والمبيدات فالمنطقة محمية طبيعية وهى كعازل يفصل بين افريقيا البحر المتوسط وافريقيا المدارية فيكون من السهل انتقال الأمراض من الجنوب الاستوائى إلى الشمال ولكن هناك زراعات صحراوية بديلة كأشجار النخيل لانتاج التمور الجيدة وكذلك أشجار الدوم هذا إلى جانب الزراعات البسيطة على الشاطىء.

اقتربت المركب من الشاطىء الغربى بالقرب من منطقة تشبه الواحة الصغيرة وفيها بعض أشجار النخيل السامقة المثقلة بثمارها وعدد من أشجار الدوم القصيرة بأفرعها الكثيرة تتدلى منها حبات الدوم وهى فى حجم البرتقالة ولكن لونها بني لون جذوعها الصخور المحيطة بها، وبالقرب من شجرة الجميز الوحيدة ذات الجذع الضخم تنمو نباتات الحنظل ثمارها في حجم كرة التنس وسميت بذلك لأن مذاقها شديد المرارة ويستخدمه أهل المنطقة كدهان لعلاج الروماتيزم، وفي المنطقة جماعة من البدو المتنقلين مع أغنامهم وكلما اقتربنا من الشاطىء كانت السعادة تغمرنا فالوجوه مبتسمة وخصوصا عم عبد الصمد فله ذكريات كثيرة فنحن لازلنا داخل المنطقة التى كان يسكنها الكنوز والتى كانت تمتد من عند الشلال الأول قرب جزيرة فيلة الغريقة التى انتشلت منها معابدها ونقلت إلى جزيرة «ايجيلكا» ولأن الهدوء كان الطابع الغالب على المكان رحت أسرح مع ذكرياتى وزياراتى المتعددة بالقرب من جزيرة «فيله» أو زيارة المعابد الأثرية بعد نقلها سواء كانت رحلات جماعية مرافقا مجموعات السواح أو زيارة فردية مستقلا مركبا صغيرا أمتع نفسى بالطبيعة الخلابة حيث الصخور الجرانيتية الوردية وألوان أخرى مختلفة من اللون النحاسي والازرق واللون البنفسجي الزاهي والرمادي والاسود الذي يعطي الماء سمرة تتناسق مع خضرة الزروع التي تنمو بين ثنايا الصخور تكوينات جميلة متداخلة وفي مناطق أخرى أرى الماء أزرق كالسماء ولأن المكان خيالى يخرجنى معه عن حدود النفس إلى آفاق بعيدة وأذهب معه إلى الجزيرة وتاريخها وإلى القصص التى حيكت عنها في العهود الوسطى والتى



- صيادو الأسماك فوق المراكب.

ما هى إلا ضرب من الأساطير كألف ليلة وليلة.

«فأنس الوجود» ذلك الشاب الذى أطلق اسمه على الجزيرة في العصور الاسلامية و«زهرة الورد» ابنة الأمير الذى سجن ابنته على أرض الجزيرة وداخل أحد صروحها ليبعدها عن حبيبها «أنس الوجود» والتمساح الذى ظهر على الشاطىء فجأة فامتطى الشاب ظهره وقاده إلى مكان حبيبته على الجزيرة التى كانت عليها المعابد القديمة وهي معابد فرعونية وبطلمية ورومانية. ومعبد آخر بناه «نكتانبو» أحد ملوك بلاد النوبة والاسم القديم للجزيرة كان (بيلاك) أو (بيلاخ) وأطلق عليها الأقباط الركن والحصن الذى دائما ما يقام عند الحدود فقد كانت الجزيرة بمثابة الحد والفاصل الذى يفصل بين مصر وبين بلاد النوبة القديمة وهى الآن تقع ما بين السد العالى وخزان أسوان القديم الذى بنى عام ١٨٩٧م وانتهى بناؤه عام ١٩٣٣م وبالقرب منه تجاه الشمال تقع قرى نوبية كثيرة سواء على مجموعة الجزر أو على الضفة الغربية للنيل وتظهر بيوت هذه القرى من بعيد كعلب الكبريت.

- للرحلة صلة -

المغرب.. بلاد القصبات.. والمدن العتيقة

ـ مشهد من مدينة طنجة.

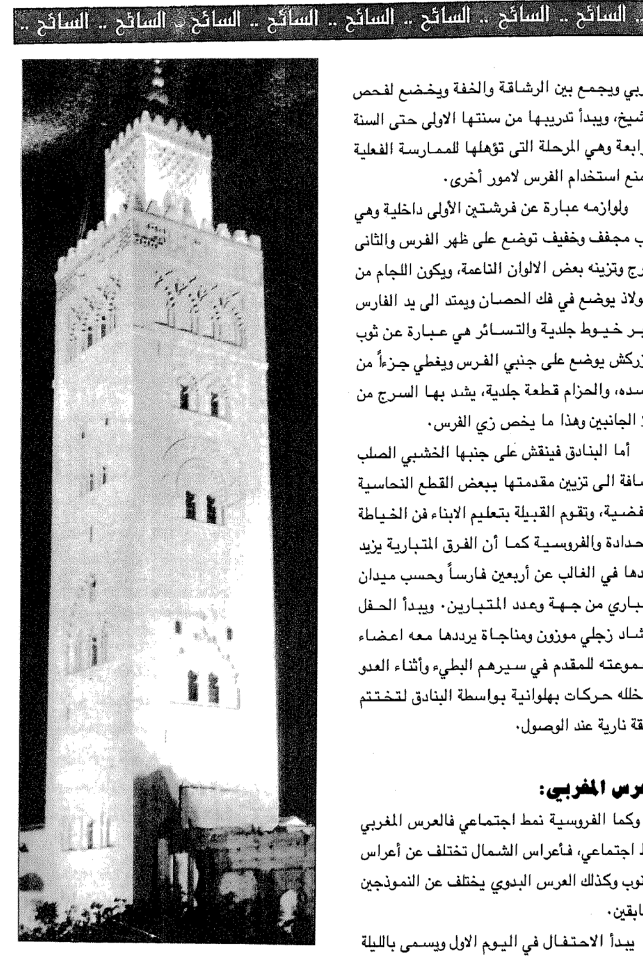
الفروسية:

الفروسية في المغرب ظاهرة اجتماعية تتعايش وتتفاعل مع البيئة العامة للمجتمع المغربي سواء على مستوى العائلة الواحدة أو الاحتفاظ بالذاكرة الشعبية والفلكلور الشعبي.

الفروسية هي تعبير عن الحضارة ويؤدي الفارس والفرس أدواراً محددة في زمن السلم والحرب، فالفارس حديث العهد يجب أن يكون ملازماً لشيخ الفرسان وَيُعْرَف بالمقدم، وهي شخصية تحظى باحترام وتقدير ومعرفة بخبايا الميدان ويعتبر مرجعاً في حالة حدوث حالة استعصى عليهم حلها، بالاضافة الى اللباس الذي يتكون من اليونس والجلباب والعمامة والبلغة.

المرحلة الأولى هي الأصعب والنجاح فيها دليل الاستمرارية وتكون الدراسة نظرية أول الأمر وتتميز بالمراقبة اللصيقة، ومن اللوازم الفرس والصهوة والحزام ومقادير الكلأ والعلف للفرس بالاضافة الى المقياس الكمي للذخيرة المطلوبة لكل عدوة وعند النجاح يقام احتفال يمتطي الفارس الجديد فرس معلمه وهي دليل على رضاه كما أن اللوازم عند الفارس تخضع جميعها الى الفحوص من قبل خبيرين في المجال. فالفرس يجب أن يكون من أصل

بقلم : باسل يوسف النيرب
ـ الاردن ـ عمان



ـ صومعة الكتبية.

عربي ويجمع بين الرشاقة والخفة ويخضع لفحص الشيخ، ويبدأ تدريبها من سنتها الاولى حتى السنة الرابعة وهي المرحلة التى تؤهلها للممارسة الفعلية ويمنع استخدام الفرس لامور أخرى.

ولوازمه عبارة عن فرشتين الأولى داخلية وهي ثوب مجفف وخفيف توضع على ظهر الفرس والثانى سرج وتزينه بعض الالوان الناعمة، ويكون اللجام من الفولاذ يوضع في فك الحصان ويمتد الى يد الفارس عبر خيوط جلدية والتسائر هي عبارة عن ثوب مزركش يوضع على جنبي الفرس ويغطي جزءاً من جسده، والحزام قطعة جلدية، يشد بها السرج من كلا الجانبين وهذا ما يخص زي الفرس.

أما البنادق فينقش على جنبها الخشبي الصلب اضافة الى تزيين مقدمتها ببعض القطع النحاسية والفضية، وتقوم القبيلة بتعليم الابناء فن الخياطة والحدادة والفروسية كما أن الفرق المتبارية يزيد عددها في الغالب عن أربعين فارساً وحسب ميدان التباري من جهة وعدد المتبارين. ويبدأ الحفل بانشاد زجلي موزون ومناجاة يرددها معه اعضاء مجموعته للمقدم في سيرهم البطيء وأثناء العدو وتتخلله حركات بهلوانية بواسطة البنادق لتختتم بطلقة نارية عند الوصول.

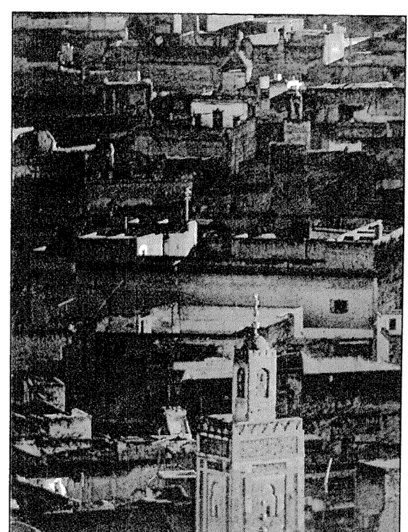
العرس المغربي:

وكما الفروسية نمط اجتماعي فالعرس المغربي نمط اجتماعي، فأعراس الشمال تختلف عن أعراس الجنوب وكذلك العرس البدوي يختلف عن النموذجين السابقين.

يبدأ الاحتفال في اليوم الاول ويسمى بالليلة الصغيرة وتضع فيه العروس الحناء بنقوش مزخرفة

على نغمات الطبول والدفوف، وترتدي العروس ثياباً بيضاء مزركشة وتتلحف بإزار كبير ويحيط بها جماعة من صديقاتها اللواتى يتبركن بحنائها المزينة بالسكر والشمع.

واليوم الثاني ويدعى بيوم الظهور أو القيولي ويضم الزوجين فقط ويحضرا في أبهى زينة، ويبدأ الحفل على أصوات القصائد والاغاني، والعروس في هذا اليوم تزين بالجواهر والتاج المسمى بالحنطور.



اليوم الثالث وهو يوم الخرجه وهو اليوم الذى تخرج فيه من بيت أبيها الى بيت زوجها وتحمل فيه العروس وتضع خماراً أبيض على رأسها حتى لا يظهر وجهها وتزف في موكب من الشموع والطبول.

وتستمر العروس في الراحة حتى اليوم السابع الذى يعرف بالحزام حيث تقوم بشد خصرها بحزام إيذانا بالتشمير عن الساعد والبدء بأعمال البيت.

أما عرس البادية فهو أبسط ويستغرق يومي الملاك والركبه فتضع العروس الحناء في اليوم الأول وفي اليوم الثاني تذهب الى دار العريس، حيث يقام حفل ليلي يستمر حتى الصباح ويقدم فيه الهدايا وهي عبارة عن مبالغ مالية وفي نهاية الحفل تنتقل العروس الى دارها في موكب من السيارات.

تاريخ وقصبات:

القصبات هي عبارة عن نوع من القلاع، طين معجون ومجفف وهي من ممتلكات الدولة، وتمتاز القصبة بتعدد الاسوار ونقوش مزخرفة متعددة وهي منتشرة في الحواضر وخارجها وفي الغالب مربعه ومستطيلة ويوجد بها أبراج تصل فيما بينها، كذلك تحتوى على سكن القائد والمسجد ومستودع مؤن ويوجد في المغرب ٧٦ قصبة ومن أشهرها:

قصبة شفشاون:

وهي من أهم المعالم التاريخية في شمال المغرب بناها الحسن بن محمد العلمي الفقيه ويمتد عمرها الى ٥٠٠ سنة وشيدت بقصد صد الغارات البرتغالية من ناحية طنجة، وبعد الاستقلال أقيم متحف تعرض فيه المنسوجات الحرفية ومركز للدراسات والبحوث



الاندلسية ورواق للعروض الفنية.

قصبة أصيلة:

هذه القصبة حاول حاكم سبته سنة ٦٣٣ هدمها خوفاً من احتلال البرتغاليين واحتلوها سنة ٨٧٦ بقيادة الفونسو الخامس وأسر محمد بن الوطاسي وابنته وزوجته وبقوا أسرى لدى البرتغاليين سبع سنوات.



- زي العروس التقليدي.

قصبة أزمور:

تقع جنوب الدار البيضاء وهي محصنة بثمانين برجاً ومدفعاً، وكانت نقطة لاحتلال الشمال المغربي كله، ومملكتي مراكش وفاس وفي ١٥٠٨ حاول البرتغاليون مهاجمة أزمور فقام المغاربة بقصف الاسطول من فوق القصبة.

قصبة شاله:

ترجع حسب بعض المؤرخين الى الرومان، وقد انطلقت الفتوحات الاسلامية منها في المغرب واستقر بها المولى إدريس، ثم أصبحت رباطاً للمجاهدين الذين وقفوا في وجه طغيان امارة يور غواطه ويوجد داخلها ماء وحديقة وقصور.

أما قصبات الجنوب فأقدمها ابن جدو وتقع في الأطلس الجنوبي وفي مدينة ورزازات تنتصب قصبه ناوربت وهي الاجمل من الناحية العمرانية ثم قصبة نافراوت التى أسست قبل ثلاثة قرون.

والحديث عن المغرب لا ينتهي بذكر الفروسية والعرس المغربي وقصبات المغرب فلابد أن نلقي أضواء سريعة على مدن تلك المملكة.

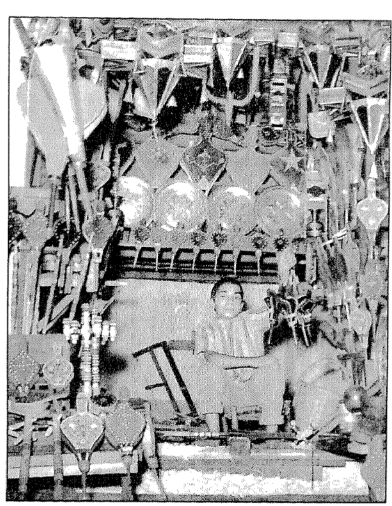
فاس:

فاس العاصمة العلمية التي بنيت في عهد المولى ادريس الثاني سنة ٨٠٨هـ ويوجد بها جامع القرويين الذي بنته فاطمه ومريم كريمتا محمد بن عبد الله القيرواني عام ٨٥٩م.

فاس الاولى بناها إدريس الثاني واشهر ما فيها جامع القرويين وآثار بني مدين، اما فاس الجديدة وبها قصر السلطان وعمرها ٨٠٠ عام ومقبرة الملوك العلويين والحي الغربي وهي بلا ملامح هندسية.

وفاس الثالثة المدينة التي بناها الأوربيون وظهرت عام ١٩١٦ حول ثكنات القوات الفرنسية فجاءت دون رونق أو جمال هندسي.

مدينة فاس العتيقة تضم ثلاثة عشر ألف مسكن منها سبعة آلاف مصنفة كبنايات تاريخية في الحملة التي قامت بها اليونسكو للمحافظة على الآثار وكان المشروع يحتوي على النقاط التالية:


- متجر للمصنوعات اليدوية.

المساجد ومدينة القرميد الأخضر.
والسيراميك الازرق في باب يوجلود.

وخير ما يختصر فاس ما قاله على بن زرع الفاسي في كتابه الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس فقال: لم تزل مدينة فاس من حين أسست دار فقه وعلم وصلاح ودين، وهي قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها .. ومدينة فاس لم تزل ام بلاد المغرب في القديم والجديد وقد حملت بين عذوبة الماء، واعتدال الهواء وطيب التربة وحسن الثمرة وسعة المحراث وعظيم بركته وقرب الحطب وكثرة عدده وشجره وبها منازل مؤنقة وبساتين مشرقة ورياض مورقة وأسواق مرتبة وعيون منهمرة وأنهار متدفقة وأشجار ملتفة وجنات دائرة بها محتفة.

- انقاذ الآثار الاسلامية الآخذة بالتداعي وتتجلى فى مدرسة الطلاب المحيطة بجامع القرويين.

- انقاذ القصور الكبيرة التي عجز أصحابها عن اصلاحها وأخذوا يقسمونها الى غرف صغيرة للايجار.

- اصلاح الاسوار المحيطة بفاس.

- اصلاح عيون المياه.

- اصلاح العطب في مياه الاودية التي كانت تصب في وادي فاس.

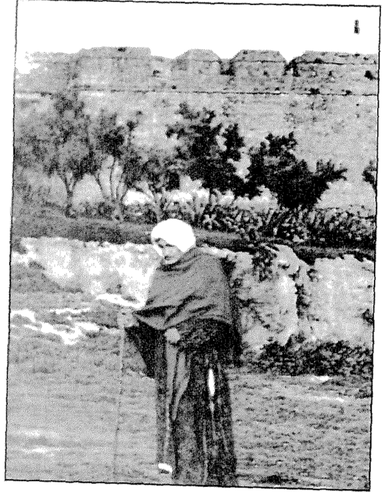
- اصلاح مكتبة جامع القرويين وإنشاء مكتبة علمية عصرية لانقاذ الكتب النادرة.

والحديث يطول عن فاس .. ففاس مدينة

تطوان:

تأسست مدينة تطوان عام ١٣٠٧ في عهد الدولة المرينية على يد السلطان أبو ثابت وفي القرن السادس عشر أدت حروب الملوك الكاثوليك الاسبان ضد المسلمين الى هجرة آلاف المسلمين واليهود الى المغرب فنزلوا إلى تطوان.

من أبواب المدينة باب القلعة، الرموز، المقابر، النوادر وتطوان مدينة المآذن، يتميز أهل تتطوان بلغتهم الخاصة ويسمونها لغة أهل تطوان وهي مزيج من العربية ودخلت كلمات أسبانية وفرنسية وتركية نتيجة للجوار والمصاهرة وكلمة تطوان في اللغة العربية لا تعني شيئا ولكن في اللهجة البربرية تعني افتح عينيك ويتميز أهل تطوان بتخفيف النطق بالحروف.


ـ آثار قلاع قديمة جنوب المغرب.

مراكش:

قال عنها ابن بطوطة (حَفظَ الله مراكش الغراء من بلد وحبذا أهلها السادات من سكن إن حلها نازح الاوطان مقترب أسلوه بالأنس عن أهل وعن وطن).

في ١٠٧٠ قرر المرابطون أن يسبقوا في مراكش الحالية حتى يتحكموا في الطرق والمواصلات المؤدية الى جبال أطلس. وقد تمكن يوسف بن تاشفين بعد أن قضى على دولة الادارسة من اقناع عجوز من قبيلة المعامدة لتبيعه أرضها الواقعة عند سفح جبال أطلس السوداء وقد أطلق على المكان اسم مراكش ومعناها بلهجة البربر مر بسرعة وفي اللغة العربية لا يوجد لها معنى.

من أهم معالم مراكش جامع الكتبية ومنارته السامقة التى يبلغ ارتفاعها ٢٠٠ قدم ويعتبر هذا الجامع من اقدم الجوامع التي بناها الموحدون واسمه مشتق من باعة الكتب بدأ بناؤه عام ١١٥٠ واكتمل في عهد السلطان يعقوب المنصور ١١٨٤.

قصر البديع الذي وصفه مضحك السلطان احمد بن منصور بعد أن سأله عن رأيه في هذا القصر قال سينتهي قريباً رائعاً وهدمه مولاي اسماعيل وأمر ببنائه أحمد المنصور في القرن ١٦ وقد طلب السلطان من جميع الحرفيين بناء القصر من بلاد مختلفة وقايض الرخام المستورد من ايطاليا بالسكر وكافأ عماله بكرم واهتم بتسلية أطفالهم، كذلك بالنسبة الى قصر الباهية الذى بناه احمد بن موسى عام ١٨٩٤.

ومقابر السعديين التى بناها السلطان أحمد المنصور ويشمل المدفن جناحين مدفون فيها ٦٢ سلطاناً مع زوجاتهم وأولادهم ويمتد الجناح الاول على يسار الداخل على ١٢ عموداً من المرمر.

مكناس:

أطلق عليها اسم المدينة الملكية طوال خمسين عاماً وقال عنها ابن بطوطة وصلتُ الى مكناس العجيبة الخضرة النضرة ذات البساتين والجنان المحيطة بها الزيتون من جميع نواحيها.

كلمة مكناسه هي الاصل الذى اشتق منه مكناس وهي قبائل قدمت من الشرق وعند وادي يوفكرون (وادي السلحفاه) الذي يقع بين مكناس القديمة والحديثة توقفت هذه القبائل وشيدت قراها فوق حافة هذا الوادي.

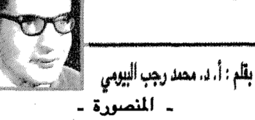
الأستاذ أحمد شفيع السيد

انتقل الى رحمة الله منذ ثلاثين عاما، ولا تزال ذكرياته الطيبة، تملأ نفوس تلاميذه، لأنه كان نمطا فريداً في سماحة النفس، ورحابة الصدر، وبذل العون المسعف، مع فكاهة نادرة، ودعابة فريدة، هذا إلى أستاذيته الأدبية في فنه، ومقدرته الشعرية ذات البديهة الحاضرة، أذكر أن صديقى الأستاذ أحمد الشرباصى قد خاض معي في سيرة أستاذنا الكبير، فقال فيما قال، إنّ العهد بالتلميذ أن يمدح أستاذه بقصائده، ولكن الشيخ أحمد شفيع كان يمدح تلاميذه إذا رأى من بوادر النجابة في مناقشاتهم ما يدلُّ على استعداد، ثم عرض عليّ قصيدة جيدة قالها الأستاذ في تلميذه أحمد الشرباصي وفيها يقول عنه:

قبسٌ من الإصلاح لاح بصيصهُ
سيزيده كرُّ المدى إشعالا
وإذا رأيت الفجر يبسم ضوؤه
فارقب لأنوار الضحى إقبالا
فالبحر ماذا كان؟ كان جداولا
والبدر ماذا كان؟ كان هلالا
والأُسْد في وثباتها وثباتها
درجتْ على آجامها أشبالا

وكنت منذ التحقت بالكلية أسمع عن مآثره ما يملأ الصدر إعجابا، ولكنه يُدَرِّسُ للسنة الرابعة، وأنا بالسنة الأولى، ولا سبيل إلى التعرف به، لأني لا أحب أن أفرض مودة دون تمهيد، ثم حقق الله رجائى، حين جاء الامتحان الشفوي آخر العام، فكان الأستاذ أحد أعضاء اللجنة، وبدا أنه كان يسمع عني، ويقرأ مشجعا بعض ما أكتب، وانتظرت أن يسألني في المقرر المدروس نحواً وبلاغة ونصوصا وقرآنا، كما ينصّ قانون الامتحان، ولكنه فاجأني بقوله: لا أريد منك غير إجابة واحدة عن سؤال واحد، فإذا وفقك الله فستستريح من الأسئلة المتعدّدة! ما رأيك في كتاب «الأدب الجاهلي» الذى درسته بالكلية هذا العام، قلت: إن الكتاب من تأليف أستاذنا الضليع محمد هاشم عطية، ومكانته الأدبية لا تنكر، ولكني أرى أن تقيده بمواد المنهج الدراسي، قد أتخم الكتاب من ناحية، كما لم يسعف المؤلف بالتحليل الكاشف لبعض المسائل الدقيقة التى تتطلب الأناة!

ابتسم الشيخ ونظر إلى زملائه متفرسا، ثم قال: أريد بعض الإفصاح عما أجملت، قلت لقد تكلم الأستاذ الجليل عن قضايا البيئة الجاهلية، وعن الانتحال في الشعر الجاهلي، وعن أيام العرب، وعن الأمثال والحكم والوصايا والخطب، وعن المعلقات واختلاف الأنظار في ملابساتها وتسميتها، ثم أفرد لكل شاعر ترجمة تفيض بأخباره، مع ذكر نصوص في الأغراض المختلفة للشعر الجاهلي، وهذا كله لا يبلغ مداه



بقلم: أ. د. محمد رجب البيومي
- المنصورة -

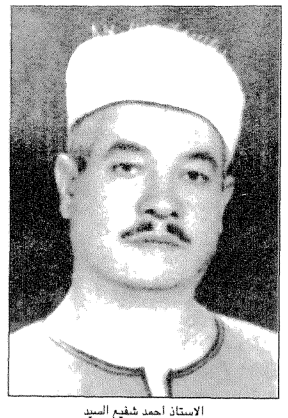
في التحقيق العلمي بكتاب واحد، والأستاذ قادر كل المقدرة على أن يخص كل موضوع بكتاب مستقل، ولكنه المنهج!

قال الشيخ، وما رأيك في أسلوب الكتاب التعبيري، قلت: إن بعض الأساتذة يأخذون عليه إبداعه الفني، في حلاوة السرد، وجمال التركيب، وتعدد الصور، ويرون ذلك عائقاً عن استشفاف الحقائق الأدبية، والأولى أن تصاغ بأسلوب علمي خالص، ولست مع هؤلاء، لأن المؤلف لم يجمح به الخيال إلى ما يعدّ غريبا عن موضوعه، فكلّ ما ذكره يدور في فلك الأدب الجاهلى، أما جمال الأسلوب، وحسن انسجامه، فمما يحسب للكتاب، ولا يمكن أن يكون موضع مؤاخذة، لأن تاريخ الأدب يزداد بهاء وقربا إلى النفس إذا كتب بلغة الأديب، والمؤلف أديب موهوب فلابد أن يكون نتاجه صورة من أدبه، وأشهد أن حقائق الكتاب من الوضوح والدقة بحيث لم تسبح في محيط زاخر كما يقول بعض الأساتذة، وهذا رأيي.

فالتفت الأستاذ إلى زملائه، وقال إننا نعدّ الطالب ليكون ذا نظرة أدبية مستقلة، وليستطيع التعبير عن نظرته هذه في وضوح ويسر، وقد كان للطالب نظرته الكاشفة، وتعبيره الهادىء، ولن نطلب منه أكثر من ذلك، تفضل يا بني مشكورا فقد أجبت! وخرجتُ متعجبا أن أسأل سؤالا واحدا! ثم رأيتُ درجاتي في الامتحان قد وصلت إلى النهاية المرموقة! فذهبت إلى شكره قائلا لماذا لم تسألني في النحو؟ قال قد سألتك لأنك لم تخطىء في تعبيرك، لم تكن اللجنة نائمة!.

(دعوة حبيبة):

مضت أيام، وظهرت مجلة الرسالة حافلة بنقاش علمي مثمر بين تلميذين نجيبين من تلاميذ الأستاذ أحمد شفيع هما الدكتور على العمارى والدكتور كامل شاهين، وكانا لا يزالان مدرسين بالقسم الابتدائى، ومدار النقاش حول علوم البلاغة بين التقليد والتجديد، لأن العماري قد قرأ كلاما للأستاذ الكبير أمين الخولى انتقص فيه جهود القدماء في الحقل البلاغي، ونادى



الاستاذ احمد شفيع السيد

بالتجديد في أمور يعدّها من ابتكاره الموفق، فكتب العمارى عدة مقالات يحاول فيها توهين ما اتجه إليه الأستاذ الخولى، ورأى الأستاذ كامل شاهين أن مقالات العمارى تحتاج إلى نقد كاشف، فردّ بمقالات معارضة، وتطرق الزميلان إلى عبارات ليست من النقد الأدبي في شيء، وتعد خروجا عن التي هي أحسن، وقد قرأ الأستاذ شفيع ما كتب تلميذاه، فحدد لهما موعدا لتناول الغذاء لديه، وبعث بمن يدعوني مع الصديقين، وكنت لم أعرفهما من قبل، فتم اللقاء الكريم في منزل الشيخ النبيل، وقد اتجه النقاش إلى مباسطات أدبية لطيفة، ثم قال الشيخ رحمه الله: «لقد ألّف الأستاذ ابراهيم مصطفى كتاب إحياء النحو، ومع نظراته الموضوعية السديدة وجدناه ينتقص القدماء بدون موجب، فانبرى الأستاذ محمد عرفة للرد عليه في كتاب (النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة» وقد عرض كتابه على الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ليكتب مقدمته، ولكن الشيخ الأكبر رأى من عبارات الهجوم القارص ما يبعد عن مجال النقد العلمي النزيه، فأشار على المؤلف أن يحذف كل ما ينبىء عن التنقيص، لأن الجدل لا يستقيم مع الثلب! ونزل الأستاذ عرفه على رأي الأستاذ الأكبر فجاء كتابه مقالا للنقد الجاد، وقد

قرأت ما كتبه العماري وشاهين فأعجبت بالنظرات الصائبة، والمنطق السديد، ولكني وجدت هجوما بدأه العماري مع الأستاذ الخولي، وأنا لا أوافق عليه، لأن النقد البلاغي لا يستدعي الهجوم الناقم، ثم جاء كامل شاهين، فهاجم العماري بعبارات لا مبرر لها، واندفع العماري إلى مثل ما بدأ صاحبه، بل زاد عليه كثيرا، وقد دعوتكما الآن لنتعاهد على حرية النقد من ناحية، ثم على تجنب العبارات اللاذعة لأنها تسيء ولا تفيد! فما رأيكما؟».

قلت، وأنا معك يا سيدي، فقال الزميلان: هذا درسٌ مفيد، ولن نحيد عن الحسنى بعد الآن!.

صداقة عريقة:

توثقت علاقتي بالأستاذ الكبير إلى درجة لم تتح لي مع أستاذ آخر، بل لم أشهد نظيرها فيما أعلم، وقد لمست من حدبه على طلابه ما بلغ حد العجب، لأنه كان يبذل ما يستطيع في تحقيق رغبات مستعصية لذوي الحاجات ممن عضهم الدهر بنابه، وأذكر بهذا الصدد حادثة طريفة سردتها في ترجمة حياته، ولكني أعيدها لتكون مثالا للأبوة الحانية، والمروءة النبيلة، فقد زاره ذات ليلة أحد تلاميذه، وعليه من سمات الحزن والحيرة مالا مزيد عليه. فدهش الشيخ لما تلبّث الطالب من الارتباك اليائس، وعجل بسؤاله عن بواعث ألمه، فقال إنّ والده كان موظفاً بدائرة الأمير عمر طوسون، وقد فصل بالأمس لوشاية كاذبة، فنفد مصدر رزقه الوحيد، وهو رب أسرة كبيرة، وله طلاب بالمدارس والجامعة، وليس يدري الطالب شيئا عن مستقبله ومستقبل اخوته الذين يسكنون معه بالقاهرة طلابا مثله، فصرفه الأستاذ مهدئا على أن يعود إليه بعد يومين، ولم ينم ليلته، بل نظم قصيدة استعطاف حملها بنفسه إلى مقر الأمير بالاسكندرية، وسافر من الصباح متجها إلى شيخ المعهد الديني بالثغر، وكان على صلة وطيدة بالأمير، فطلب منه أن يحدد مع سكرتير الأمير موعدا للقائه اليوم، وشرح لفضيلة شيخ المعهد ما جاء من أجله، وسرعان ما تحدد الموعد، وتقدم الزائران فوجدا من حسن الاستقبال وبشاشة اللقاء ما شجع الشيخ شفيع على أن ينشد قصيدته وكان مطلعها:

نحنُ في منزل الأمير ولا فضل

لدينا يعلو لقاء الأمير

فاستمع الأمير سعيداً بما قال الأستاذ، وعرض الأمر عليه في إيجاز، فقال في اهتمام: هذا المطلب الصغير لا يستدعي أن يحضر فضيلة الأستاذ أحمد شفيع من القاهرة بنفسه، وكان عليه أن يتفضل بحديث تليفوني ليجدني طوع رغبته. ثم أصدر أمره الفوري باعادة الموظف المفصول مع زيادة راتبه خمسة جنيهات، وكان يتقاضى عشرة قبلها! ورجع الأستاذ في المساء الى القاهرة وهو في أكمل سعادة لأن للمروءة مذاقا شهيا لدى الكرام من ذوي العواطف النبيلة.

هذه قصة دالة، ولها أمثلة كثيرة، ودلالتها واضحة لا تحتاج إلى تفصيل.

(اهتمام علمي):

كنتُ في زيارة الأديب الكبير الأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي أثناء إقامته بأحد فنادق القاهرة، فحدثني عن رغبته في لقاء أستاذ متخصص في الأدب الأندلسي لأن لديه بعض المعضلات العسيرة التى تتطلب الحلّ على يد باحث متخصص! فذكرت اسم الأستاذ أحمد شفيع السيد، وحدثته بما أعلم من فضله العلمي، وإطلاعه الشامل، وهو بعد أستاذ الأدب الأندلسي بالكلية، فارتاح النشاشيبي لما سمع، وكتب لي بطاقة يدعوه فيها إلى تناول الغذاء معه بالفندق، وسارعت الى الشيخ، فقرأ البطاقة مفكرا، وقد علاه سهوم لا عهد به، فقلت ماذا؟ قال: يا بني: إن العلامة النشاشيبي بحر زاخر، وقد ناقش الفحول من أمثال أحمد العوامري وأحمد أمين والرافعي والاسكندري فأوفى على الغاية عمقا واستنتاجا ودقة ملاحظة، فأين أنا منه؟ ثم إذا كان الأمر كذلك، فاذهب اليه اليوم مدعيا أنك لم تجدني، وتحرَّ عن موضوع النقاش لأستعد، فذهبت إلى الأستاذ. وعرفت منه أن النقاش

سيدور حول شخصية ابن بشكوال المؤلف الأندلسي صاحب الصلة وغيرها، ولم أكد أخبر الشيخ حتى عكف على قراءة مؤلفات ابن بشكوال، ثم امتد إلى قراءة ما كتب عنه من ترجمات وشذور في مختلف الكتب الأندلسية، وبذل جهدا في هذا النطاق، وكأنه يستعد لتأليف كتاب خاص بالرجل، ثم أتيحت المقابلة بعد أسبوع كما أرجأ الشيخ، وذهبت معه إلى لقاء النشاشيبي فوجدنا ما نعهد من كرم اللقاء، وبدأ النشاشيبي يذكر ملاحظات عن ابن بشكوال، والأستاذ يجيب في دقة، ويعلل ويشرح في إسهاب، حتى بلغ مبلغا كبيرا من نفس إسعاف، وشدَّ على يده مرحبا، وأهداه بعض كتبه في عبارات تصفه بالأستاذية الكبرى، ورجع الشيخ سعيدا مبتهجا باللقاء، ولكني قلت له في الطريق، لماذا أحجمت عن نقاش النشاشيبي قبل أن تعرف موضع البحث؟ إنني أناقشه كما أشاء دون تهيب، فقال الأستاذ: يا رجب، أنت لا تزال طالبا، وإذا أخطأت في نقاشك فلن يقول إن طالبا قد أخطأ، لأن الطالب مظنه الخطأ، وقد قدمتني إليه أستاذاً للأدب الأندلسي بكلية اللغة العربية بالأزهر، فإذا تعرضت للنقاش في مسألة لا أعلم عنها شيئا، وقلت ما لم يقنع الأستاذ، فماذا يكون نظره إليّ، بل ماذا يكون نظره لعلماء الأزهر وأساتذة الكليات!.

(موقف آخر):

أعدّ أحد طلاب الدراسات العليا بتخصص الأدب رسالة الأستاذية (الدكتوراة) بعد أن بذل جهده الجاهد سبع سنوات لا يفتر عن العمل الجاد، وألفت لجنة المناقشة برئاسة الأستاذ الكبير حامد محيسن عضو هيئة كبار العلماء، وعميد الكلية السابق، ففوجيء الأستاذ أحمد شفيع بمجيء الطالب إليه شاكياً متألماً، لأن رئيس اللجنة قابله بنفور شديد، وأخبره أنه أكثر من المراجع إلى حد الإتخام، حتى ليكاد يكون ناقلا! لا باحثا، فأمر الشيخ شفيع بإحضار نسخة من الرسالة سارع الطالب بتقديمها إليه، فقرأها قراءة مستوعبة، ثم ذهب إلى منزل الأستاذ حامد محيسن، ليسأله عن





- أمين الخولي.　　- محمد اسعاف النشاشيبي.

سر غضبه على الباحث، فقال الشيخ، وكان ذا حدّة - إن كثرة المراجع التي يتباهى بها في آخر الرسالة تدل على أنه ناقل فقط! قال الشيخ، لقد عكفت على قراءة الرسالة أسبوعاً، ووجدت الدارس قد أجاد في مواضع مختلفة، وأخرج مذكرة من جيبه سرد فيها مواضع الإجادة، وإذا كان قد أكثر من المراجع فهذا مما يحمد له، إذ دل على وفرة الاطلاع، فقال الشيخ: لست معك في هذا المنحى؟ فضحك الشيخ شفيع وسأله: هل لو اقتصر الباحث على مرجع واحد أيكون قد أدى واجبه على نحو يرضيك؟! فقال الشيخ وكأنه يكابر، المرجع الواحد إذا كان أصيلا يكفي! إن السطر الواحد من الكتاب الجيد يتضمن المحمول والموضوع، والمنفي والمبثت، والمسند والمسند إليه، وكل هذه مجالات للبحث العلمي الدقيق فماذا تقول يا شفيع! فقال الشيخ، لقد نسيت أن الدارس مبتدىء، وأنه يكتب أول بحث علمي جاد وسينتفع بملاحظاتك وتوجيهات اللجنة عند النقاش، وحينئذ سيسلك النهج الذى سترتضيه، ثم إن زملاءه ليسوا أفضل منه، وقد قبلت رسائلهم، فلماذا لا تخصه بفضلك. فيكون تلميذا من جنودك، يذكر لك فضل التشجيع والتنويه! قال الشيخ: تلك هي المسألة: الميزان ليس واحدا، فما أدقق فيه لا أجد أحداً يلتفت إليه، لن أكون بخساً على الطالب، فابعثه لأحدَّد له موعد النقاش، قال الشيخ: جزاك الله خيرا، وتابع المسألة، وحضر مجلس النقاش، ونال الطالب ما يرتضيه!

هذه بعض مروءات الشيخ الكريم! وأقول بعض المروءات لأن لديّ من أمثالها الكثير!.

المغيرة بن شعبة ت: ٥٠ هـ

كان من دهاة العرب، وذي الحزم والرأي منها، بالإضافة إلى أنه كان ذا حيل ثاقبة، وكان يقال له في الجاهلية والإسلام: مُغيرة الرأي، وكان يقال: ما اعتلج في صدر المغيرة أمران إلا اختار أحزمهما[١]، وقيل إنه تزوج أكثر من ثمانين امرأة، فيهن ثلاث بنات لأبي سفيان بن حرب، وفيهن حفصة بنت سعد بن أبي وقاص، كان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال: إنكن لطويلات الأعناق، كريماتُ الأخلاق، ولكني رجل مطلاق، فاعتددن، ومن أقواله: النساء أربع، والرجال أربعة، رجل مذكر وامرأة مؤنثة فهو قوام عليها، ورجل مؤنث وامرأة مذكرة فهي قوامة عليه، ورجل مذكر وامرأة مذكرة، فهما كالوعلين ينتطحان، ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة، فهما لا يأتيان بخير، ولا يفلحان، وأخيرا فمن أقواله: نكحتُ تسعا وثمانين امرأة فما أمسكت امرأة منهن على حُب، أمسكها لولدها، ولحسبها.. الخ.

وفي أول الأمر كان من سدنة «اللات»، وكان كثير الأسفار، فله سفرة إلى المقوقس في مصر، وقد صور لنا كيف دخل الإسكندرية، فإذا المقوقس في مجلس مطل على البحر، فركب قاربا حتى حاذى مجلسه، وكيف سأل عنه، وأنزله في الكنيسة ـ مع صحب معه ـ وأجرى عليهم الضيافة، وكيف هان أمره على المقوقس دون أصحابه الذين أكرمهم وأهداهم، فلما خرجوا من عنده، وأخذوا يستمتعون بما نالوا عزمتُ على قتلهم، وكان أن سقيتهم الخمر، ثم قتلتهم، وأخذت جميع ما كان معهم، ثم كان قدومه على النبي {صلى الله عليه وسلم}، وعليه ثياب السفر، فسلم بسلام الإسلام، وحين رآه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وكان به عارفا قال: ابن أخي عروة؟ فقال: نعم جئت أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فقال الرسول: الحمدُ لله الذي هداك إلى الإسلام.

وقد رويت عنه من قبل أحاديث عن الدهاء والحزم، وحين سافر إلى الحيرة واحتال مع أصحابه على أن يسقيهم خمراً، ولم يكن معهم إلا درهما زائفا، وقد نجح في هذا ورجع لهم بزقاق الخمر، وبالدرهم الزائف، وقد طمع في زواج هند بنت النعمان بن المنذر، وهي بدير هند متنصرة عمياء، بنت تسعين سنة فقالت له: من أنت؟ قال: أنا المغيرة بن شعبة، قالت: أنت عامل هذه المدَرَة؟ ـ تعني الكوفة ـ قال: نعم، قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتُ خاطبا إليك نفسك، قالت: أما والله لو كنت جئت تبغي جمالا أو دينا أو حسباً لزوجناك، ولكنك أردت أن تجلس في موسم من مواسم العرب، فتقول: تزوجت بنت النعمان بن المنذر، وهذا أمر لا يكون أبدا، أو ما يكفيك فخرا أن تكون في ملك النعمان وبلاده، تديرهما كما تريد، وبكت! وكان بينهما حوار بشأن القبائل، خرج منه وهو يقول:

أدركت ما منيتُ نفسي خاليا ... لله درك يا ابنة النعمان
ولقد رددت على المغيرة ذهنه ... إن الملوك بطيئة الإذعان
يا هند حسبك قد صدقت فأمسكي ... والصدق خير مقالة الإنسان!

ومن المعروف في أول الأمر أن قريشا كانت قد

بقلم: أ. د. عبده بدوي
ـ الكويت ـ

بعثته عام الحديبية، فحضر إلى الرسول وأتاه يكلمه، وجعل يمس لحيته، فأغضب هذا بعض المسلمين، إلى حد أن أحدهم قال: اكفف يدك قبل ألا تصل إليك، عُرض وقد لزم الرسول بعد ذلك، كما لزم أبا بكر، وحين عرض على أبي بكر فرس، وقال: رجل من الأنصار: أحملني عليها، فرفض أبو بكر، فرد الأنصاري: أنا خير منك ومن أبيك، غضب المغيرة بن شعبة، وقام فأخذ برأسه وركبه، وسقط على أنفه، فتوعده الأنصار وطلبوا أن يستقيدوا منه، وحين بلغ ذلك أبا بكر غضب للمغيرة وقام وقال: أما بعد فقد بلغني عن رجال منكم زعموا أني مقيدهم من المغيرة، ووالله لئن أخرجهم من دارهم، أقرب إليهم من أن أقيدهم من وزعة الله[٢] الذي يزعون إليه.

وقد ولاه عمر بن الخطاب عدة ولايات، إحداها البصرة، ومنها دخل مع الفرس في أكثر من موقعة فانتصر عليهم، ثم ولاه بعد ذلك الكوفة فقتل عُمَرُ وهو واليها.

والمعروف أنه كان يبر الشعراء، ومن هذا أن حسان بن ثابت جلس بالخيف من منى وهو يومئذ مكفوف، وقد زفر زفرة ثم قال:

وكأن حافرها بكل خميلة
صاع يكيل به شحيح معدم
عاري الأشاجع من ثقيف أصله
عبد، ويزعم أنه من يقدم

فلما سمعه المغيرة، عاد فبعث إليه بخمسة آلاف درهم، فلما أتاه بها الرسول قال: من بعث هذه؟ فقال الرسول: المغيرة بن شعبة سمع ما قلت فأرسل لك هذا، فقال: واسوأتاه، وقبل الدراهم[٣].

وقيل إنه أول من خضب بالسواد، فقد خرج على الناس، وكان عهدهم به أبيض الشعر، فإذا شعره أسود، فكان أن عجب الناس من هذا الأمر.

وأخيرا فقد قيل في وصفه: كان أصهب الشعر جدا، أكشف، يفرق رأسه قرونا أربعة، أقلص الشفتين، مهتوماً، ضخم الهامة، عبل الذراعين، طوالا، أعور، بعيد ما بعد المنكبين.

وقد كان يستأنس برأيه في الأمور الكبار، فقد بلغ أبا بكر وعمر أن الناس يريدون أن يعود الأمر شورى بين المهاجرين، فأرسلا إلى أبي عبيدة بن الجراح، والمغيرة بن شعبة، فسألاهما عن الرأي فقال المغيرة: أرى أن تلقوا العباس، فتجعلوا في هذا الأمر نصيبا له ولعقبه، فتقطعوا بذلك ناحية علي بن أبي طالب[٤].

ولعل هذا الرأي هو الذي جعل معاوية يرضى عنه، ويقره على الكوفة، وأخيرا كانت وفاته في خلافة معاوية وهو ابن سبعين، ويقال إنه لما نزل به الموت قال: اللهم هذي يدي بايعتُ بها نبيك {صلى الله عليه وسلم} وجاهدتُ في سبيلك، فاغفر لي ما يعلمون من ذنوبي وما لا يعلمون[٥]، ومن الأقوال التي تؤثر عنه: تارك الأخوان متروك، والعيش في إلقاء الحشمة، والزيادة في كل شيء سرف إلا في المعروف[٦].

الهوامش:

(١) الإعجاز والإيجاز لأبي منصور الثعالبي ٧٢، منشورات المكتب العالمي، بيروت.

(٢) الوزعة: جمع وازع، وهو الذي يكف الناس عن الإقدام على الشر.

(٣) كان حسان قد قال فيه من قبل:

لو أن اللؤم يُنسب كان عبداً
قبيح اللون أعور من ثقيف
تركت الدين والإسلام جهلا
غداة لقيت صاحبة النصيف
وراجعت الصبا، وذكرت لهواً
من الأحشاء، والخصر اللطيف

- الهجاء والهجاءون في الجاهلية، د. محمد محمد حسين ص ٢٤٦، ط٣.

(٤) نثر الدر لأبي سعد منصور بن الحسين الآني، تحقيق محمد علي قربه، علي محمد البجاوي ١/٤٠٣.

(٥) كتاب التعازي والمراثي للمبرد. تحقيق محمد الديباجي ص ٢٢٩ ط٢.

(٦) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ٧٢، ٧٣.

كتاب الحيوان .. قـ

لم يكن الأدب والفكر العربي كريما، ككرمه على فئة من شداته، لعل من أبرزهم الجاحظ، الذي يحتل مساحة واسعة من تراثنا العربي، ومازالت خيوله نافرة بحاجة الى ترويض ابتدأ أوله؛ ومازال المشوار يبدو ممتدا. ولذلك فلا عجب أن تتوالى الدراسات التي تأخذ برقاب بعضها مسهمة في استكناه فكر وأسلوب هذا الفذ، ولعل طول عمره، وذهنه الوقاد وثقافته المتنوعة، أمور مكنته من أن يكون خلاصة لمن سبقه، وأن يبذ مجايليه بطروحاته الأعمق والأكثر.

وكتاب الحيوان - الذي سأتناوله عارضا وناقدا - هو واحد من كتبه التي تربو على المائة والخمسين، ولكنه بطوله وتنوع موضوعاته، جاء بمثابة (بيضة الديك)، حيث ألفه في أيامه الأخيره، وأودعه عصارة فكره، ودقائق تجاربه، مما أشاع فيه الحياة والحيوية، حتى كأن الجاحظ يطالعك خلف كل جملة مبتسما، وهو يقول: ها أنذا!!.. وقد امتلأ علما حتى أفاض في كل العلوم ولا تفيض الكأس إلا عند امتلائها.

ولم أشأ في دراستي هذه، والتي هي كالسهم يدلك على المقصود، أن أركن لجاهزية الأحكام المتداولة بحجة تواترها، ولا أن أتعلق بركب من سبق لسبقه؛ وإنما جعلت الحكمة هدفي، فعشت الحدث، وحرصت أن أتبين ملامح الجاحظ خلف كل كلمة يسطرها يراعه.

هل الجاحظ اتخذ الليل جملا؛ وكتابه وسيلة، لنشر آرائه، وبث أفكاره! أزعم أن هذا هو السؤال الأكثر أهمية في دراسة كهذه - ودعك من أفكاره مجملة فمجال البحث فيها في غير هذا الموضع - وإذا كان الجاحظ متهما بالعصبية للعرب (١ - ١٣)، ومدانا بأنه[١]: (الصحفي المتحدث بلسان المعتزلة، ناشر وقائع الدعوى - دعوى خلق القرآن - مموها بظهور ابن أبي داؤود على ابن حنبل الإمام)، ومرميا بعقله النصوص الشرعية، فهل كان كتابه الذي بين أيدينا منبرا يرسل منه ذبذباته الفكرية.. لنرى!

نجد الجاحظ في كتابه هذا ينطلق من مبدئه المحوري، وهو أن العقل هو الأساس ولا شيء يقف أمامه حتى النقل، ولذا فكثيرا ما يورد العبارات الموحية بهذا كقوله (٧ - ٥٨٧) (وليعلم أن عقله منحة من ربه، وأن استطاعته عارية عنده، وأنه إنما يستبقي النعمة بإدامة الشكر)، وقوله: (ولو وقفت على جناح بعوضة، وقوف معتبر، وتأملته تأمل متفكر، بعد أن تكون ثاقب النظر، سليم الآلة غوصا على المعنى، لا يعتريك من الخواطر إلا على حسب صحة عقلك) (١ - ١٢٦). وغيرها.

والمعتزلة - والجاحظ أحدهم - عندما يأرزون الى العقل فهم يرون دلالته القطعية، بخلاف الدلالات الظنية، وذلك عندما تحدث الجاحظ عن قوله تعالى: (ما نفدت كلمات الله) نراه يقول (١ - ١٢٧)

بقلم : عبدالله بن صالح الوشمي
عضو نادي القصيم الأدبي - السعودية

ـراءة ثانيـة



الجاحظ

(والكلمـات في هـذا الموضع ليس يريد بهـا القـول، والكلام المؤلف من الحـــروف، وإنما يريد النعم والأعاجيب والصلاة وما أشبه ذلك).

ولذلك فـعـقـلانيـتـه التي هدته عندما نعى على بعض المفسرين زعمـهم أن السنور خلق من عطسة الأسـد، والخنزير من عطسـة الفيل (٥ ـ ٣٠٦) هي التي أوقعته هنا في شرك تـأويل صفة من صفات الله عن مـرادها ألا وهـي كـلامـــه {صلى الله عليــه وسلم}[٢].

ومن خلال تصفحنا لكتاب الحيوان، لا نجد فيه دعوة صريحة لمذهب المعتزلة يسوق صاحبها الأدلة لاقناع قـارئه، بل نجـده يشـيـر (٧ ـ ٥٨٥) إلى أن كتـابه غير مـختص بأمور العقائد المختلف عليـها ويبـتـدىء في أولهـا بقـوله (٧ ـ ٥٨٥): (وليس هذا الكتـاب يرحـمك الله في إيجـاب الوعـد والوعـيـد فيعترض عليه المرجيء)، ومعلوم أن الوعد والوعيد من المبادىء الخمسة التي لا يصبح الشخص معتزلياً إلا بالإيمان[٣] بهـا، ولكنك وبجـانب هذا نقـرأ من كلامه ما يشي باعتزاليته، كقوله في مقدمته لكتابه (١ ـ ١٦) :(وعبت كتـابي في خلق القـرآن.. وعبت معارضتي للزيدية، وتفضيل الاعتزال على كل نحلة)، ونراه يمدح المعتـزلة وأنهم (١ ـ ١٣١) (أشـرف أهل الحكمـة)، وهـو أيضـاً في حـديثـه (١ ـ ١٢١) عن المناظرات كأنه يحذر من أن تكون مناظرات لا قيمة لهـا، وأن تكون (عوضـاً من النظر في التوحيد ـ وهو يخشى أن يسـقط ـ القـول في الوعد والوعيد)، وينقل قـول بعضـهم (١ ـ ١٣٢): (ولو كان بدل النظر فيهما النظر في التـوحيد وفي نفي التـشـبيـه، وفي الوعـد والوعيد، وفي التعديل والتجويز) وتلاحظ أنه يركز في هذه المواضع على أصول المعتزلة الخمسة.

ومن إشــاراته إلى العـدل ـ وهو من أصـولهم الخمسة ـ وقد ستروا تحته نفي القدر، وقالوا: إن الله لا يخلق الشر، ولا يقضي به، إذ لو خلقه، ثم يعذبهم عليـه يكون ذلك جوراً[٤]!! قـوله ـ أي الجـاحظ (١ ـ ١٢٣) ـ (ولو كـان الشـر صـرفـاً هلك الخلق، أو كـان الخـيـر مـحـضـاً سـقطت المحنه، وتقطعت أسـبـاب الفكرة).

وقد نلمح في قوله (١ ـ ٢٠٧): (فإذا كان العرب يشـتـقون كلاماً من كلامـهم، وأسـمـاء من أسمـائهم، واللغة عارية في أيديهم ممن خلقهم، ومكنهم وألهمهم وعلمـهم، وكان ذلك منهم صوابا عند جمـيع الناس، فـالذي أعـارهم هذه النعمـة، أحق بالاشـتـقـاق وأوجب طاعـة) أقـول: قد تدل هذه العبـارة على مـا قيل عنهم أنهم[٥] مـشـبـهـة الأفـعـال، لأنهم قـاسـوا أفـعـال الله تعالى على أفعال عباده، وجعلوا ما يحسن من العباد

يحسن منه، وما يقبح من العباد يقبح منه.

ومما ينتشر في كتابه من ثناء على المعتزلة قوله (٤ - ١١٣) (٤ - ٨٣): (لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام واختطفت، وسرقت، ولولا المعتزلة لهلك العوام) ولذا فهذه المقولة وما سبقها ما هي إلا أصابع تشير إلى فكر صاحبها، وأنه عمد إلى أن يبث شيئاً من أفكاره ومعتقداته، حتى وإن لم تكن على سبيل التأكيد والاقناع...، ولا عجب..! فالإنسان ابن لثقافته، بنوة لا تقل عن بنوة الصلب، يعمل جاهداً في إقناع الناس بها، وإن لم يستطع، نَشَرَها، وذلك أضعف الإيمان بها.

على الرغم من أن كتاب الحيوان، ليس متخصصاً في العلوم الشرعية، إلا أنه جاء مشتملا على كثير منها، كالتفسير والحديث ولئن كنا قد عرفنا منهجه في تناوله للآيات، فحري بنا أن نعرج على الحديث الشريف في كتاب الحيوان، وكيف جعل من عقله ميزانا يحتكم إليه فيه وفي غيره..! مكتفين من القلادة بما أحاط بالعنق. فقد أورد الجاحظ في كتابه عددا من الأحاديث المنسوبة إلى الرسول {صلى الله عليه وسلم}، سواء في مناظرته أو في استدلالاته.. ولنا أن نتساءل ما هو منهج الجاحظ في إيرادها.. ومن ثم في التعامل معها.

فعلى حين أنه يورد الأحاديث الصحيحة، بل وقد يحكم عليها بالصحة (٦ - ٤٦٠) مما يوحي بحرصه وتدقيقه، نجده يورد أحاديث ضعيفة في سياق يوحي بجهله بضعفها، ولا نقول تلبيسه، وذلك مثل قوله: (عمر الذباب أربعون يوماً) (لا تذبحوا الديك فإن الشيطان يفرح به) و(كل ذباب في النار إلا النحلة)، وهو مع إيراده للضعيف فقد يورد المنكر كقوله: (أوصيكم بالشاة خيراً فتفقدوا مرابضها من الحجارة والشوك فإنها في الجنة)، وقد يورد ما لا أصل له، كقوله: (كونوا بلهاء كالحمامة) و(إن الديك الأبيض صديقي، وعدو عدو الله).

وقد ينسب للرسول {صلى الله عيه وسلم} ما هو موضوع كقوله (إن مما خلق الله تعالى لديكا، عرفه تحت العرش وبراثنه في الأرض السفلى) للوقوف على مواضعها راجع (٣ - ٥١٧) (٢ - ٣٨٧) (٣ - ٥٤٧) (٥ - ٣٥٥) (٣ - ٤٦٦) (٢ - ٣٤٦) (٣ - ٣٤٦)، وقد استخدم في حديث واحد فقط مما سبق صيغة التعريض، وهو مع ذلك يستخدم عقله في قبوله للأحاديث أو رفضها كما قال (١ - ١٨٤): بعد ذكره لحديث - بلا نظر لصحته منا أو لعدمها - يقول: (وهل يحل لنا أن نصدق بهذا الحديث) ولذلك فكتاب الحيوان لا يكتسب مصداقية كاملة سواء من حيث نوعية الأحاديث الواردة فيه، أو نوعية التعامل معها.

واعتماد الجاحظ وركونه إلى عقله، لا يقتصر على الآيات والأحاديث، فهو يبني كتابه في مجمله على تقديس العقل، وعدم الخروج على سلطانه، ولذلك فقد نعى على بعض الفرق فكرهم، وقد أصاب في هذه وسفه أحلامهم، وتكلم عن آرائهم ساخراً حيناً، وتاركا لسان حاله يسخر منهم في حين آخر مكتفياً بـ (يكفيك من شر سماعه)، فرد على الدهرية (٧ - ٥٨٨) (٥ - ١٩٨)، وعلى الملحدين والصوفية (٥ - ٣٣٢)، ورد على الزرادشتية في عدة مواضع (٥ - ٢٩٧) (٥ - ٢١٠)، وعلى المجوسية (٥ - ٢٩٨)، وذم الخوارج والرافضة واليهود والنصارى (١ - ١٣٣).

ويستمر كاتبنا في سخريته من سخافات بعض الناس، محكما في نظرته عقله، حيث يرى أن بعض الناس يعتقد اعتقادات يمليها عليهم جهلهم وكونها لا تتلاءم ومستوى عقولهم فيبحثون عن تفاسير لها لا تسكت ضميراً؛ ولا تقنع عقلا، فتأتي كأضغاث الأحلام فيكر عليها وعليهم بعقله مسفها وساخراً، فتراه يسمي من يعتقد أن الخنافس تجلب الرزق بالمفاليس (٣ - ٥٢٨)، ويشير إشارة نفسية ان الذي



أثار هذا الأمر من مدافنه هو الطمع، ثم وبأسلوب لا تشم منه إلا السخرية المرة يتكلم عمن يعتقد أن الذباب الكبير مبشر بقدوم غائب، وبرء سقيم فتراه لا ينابذه ولا يطرده، يقول الجاحظ (٣ ـ ٥٢٨): وإذا اراد الله عــز وجل أن يُنْسيء في أجل شيء من الحيوان، هيأ لذلك سبباً.

وهو حين يتحدث عن بعض الروايات المخالفة للعقل لا يعيبها لذاتها، وإنما يعيب من يؤمن بها، حيث يرى (١ ـ ١١٣) أن بعض الرواة يورد روايته على سبيل التعجب لا غير.

وللإنصاف.. فمع أن عقله قد أوقعه في أخطاء متنوعة حول الآيات القرآنية، والأحاديث، والروايات الأخرى[٦]، فقد أفاده إعمال عقله في نفي كثير من الخرافات، ودحض عدد من الشبه وقد مر بعضها فيما سبق.

من المسائل التي أخذت بحظ وافر من الدراسة والبحث، مسألة ما هو الواجب على المبدع في إبداعه هل يعيش في برج عاجي مع الرومانتيكية يقتات الخيال والمثال، أو أن يركب قاطرة الواقعية وينضم إلى جمهور المتفرجين.

احسب أن قراءة واحدة على عجل لكتاب الحيوان، تستدعي تساؤلا كهذا لكل من كان له قلب أو ألقى السمع، وهو شهيد، ذلك أن الجاحظ في تناوله لأحداث الحياة، وفي تسجيله لنبضاتها، لم يجعل نفسه ـ دلاليا ـ في كثير من المواضع إلا آلة تصوير تنقل لك ما أمامه، وآلة تسجيل تعيد لك ما سبق وأن قيل، وحيث أنه يرى أن ذكر بعض الأمور غير المحمودة لو كان لا يحل، (لكان في باب اللهو، والضحك والسرور، والبطالة والتشاغل ما يجوز كل فن) (٣ ـ ٣٩٩) ولذا فتراه لا يتورع عن ذكر كثير من الأمور المفرطة في الاستقباح والاستهجان (٣ ـ ٤٣٧) (٦ ـ ٥٥٦) (١ ـ ١٠٧)، مصوراً فيها لحظات الضعف الإنساني ولا يغرك قوله عن بعضها (٢ ـ ٢٩٠): (إنها من الشعر الذي قيل في الديك مما يكتب للهزل، وليس للجد والفائدة)، وقد يورد الشيء المستقبح ذكره في باب لم يقصد منه إلا إتمام الجزء (٥ ـ ٣٨٦)، كما أنه يورد بعضها ولا فائدة من ورائها مطلقاً (٣ ـ ٤٠١)، فضلا عن إيراده لما اتصور أنه قد يحدث لبساً لمن لا بصر له (٣ ـ ٤٠٥)، فليت شعري ما الغرض من كل هذا..!

إن على المبدع ألا يكتب لنا ما نراه بأعيننا، فيكفينا ابصاره، وليدع هذه للمؤرخ، أما الأديب فليس هذا من شأنه، بل في أحيان كثيرة قد يختلق الحدث ولا يكتفي بما وقع، ولكن المهم هو أن يفعل هذا الحدث، بتفاعله هو وبتحريك المتلقي معه.

إننا حين نقرأ كتابات مصوري الواقع، نقرأها بدافع حب الاستطلاع والمعرفة فقط، أما حين نتملى ونتأمل إبداعات المبدعين وتجلياتهم، فإننا نشبع رغبة المعرفة، والاكتشاف والجمال.

هل نزور أذن!! تلك حال من تطرف في واقعيته فهرب منها إلى مثاليته، على حين أن المطلوب هو التنصيص على البطولات والقدرات حتى نفتح للنفس آفاقها وأما لحظات التخلف، فعاملها بفطرتك، حتى وإن كانت واقعا، فإن الواقع قزم لا ينتصر على الثوابت.

ونحن هنا نسجل ضد الجاحظ إيراده ما سبق، في سياقات لا تنبيء عن كراهية واستهجان، فضلا عن أن تكون دافعا لاستملاحها وتناقلها، ومع أننا لا نرى قدسية ما عدا الوحيين من تراثنا المعرفي، فإننا لا نريد أن نواجه باللحظات الليلية كشاهد ادانه لإسقاط تراثنا فحبذا لو كان حظ ما أورده الجاحظ وافرا من التذكير بما يجب.

فهل نرجع هذا الإغراق، وعدم المبالاة لحالة نفسية، أم لطبيعة اجتماعية، أم لنزعة فكرية، وحتى

نصل إلى نتيجة مرضية فلابد من دراسة لحياة الجاحظ وثقافته وذلك من خلال جميع كتاباته، ومع ذلك فكأن الجاحظ قد أحس بضعف هذا النوع من التعامل مع القراء، فساق لنا مخرجا أكد لنا به سوء فعله فيقول (٣ - ٣٩٩): (وان كنت صاحب علم وجد وكنت ممرنا موقحا، وكنت ألف تفكير وتنقير، ودراسة كتب وحلف تبيين وكان ذلك عادة لك، لم يضرك مكانه من الكتاب، وتخطيه إلا ما هو أولى بك) ألم يك من الأولى خلو أي كتاب من أشياء تستدعي أن يقال للقارئ: (لم يضرك مكانه من الكتاب).

من المقولات ذات النسبة المشتركة، قولهم: (الأسلوب هو الرجل)، أي أن لكل كاتب أسلوباً يرتئيه ويمتاز به، فالأسلوب وصاحبه طرفان يؤدي كل منهما للآخر، ومن أوضح الأمثلة على ذلك (الجاحظ) بأسلوبه المترسل، الذي بذ به سابقيه وترأس مدرسة لاحقيه. فما هو أسلوبه؟ وبماذا امتاز.. وهل نتفق معه أم لا..!!

بداية لا نشك أن الجاحظ قد اختط لنفسه منهجاً وأسلوباً يسير عليه، دل على ذلك كلماته التي تشي بهذا: (سنذكر شأنه وشأن بلال في موضعه من الكتاب (٣ - ٥٩٣) (وهذا الباب سيقع في موضعه إن شاء الله تعالى) (٢ - ٢٩١) وقوله مفصلا (٤ - ٧٢): (وسنذكر من ذلك في هذا الموضع طرفاً، ونؤخر الباقي إلى الموضع الذي نذكر فيه جملة القول في النعام)، وغيرها مما يدل على وعي منهجي نتبينه في تضاعيف كلامه.

وإذا كان الجاحظ صاحب ثقافة موسوعية فها هو يبني هيكل كتابه وعليه طابع فكره وثقافته فيقول (٣ - ٣٩٩): (وعلى أني عزمت والله الموفق أن أوشح هذا الكتاب، وأفصل أبوابه، بنوادر من الشعر، وضروب من الأحاديث، ليخرج قارئ هذا الكتاب من باب إلى باب، ومن شكل إلى شكل)، ويقول في موضع آخر (١ - ٦٥) (أن ذلك ليس مما يمل ويعتد علي فيه بالاطالة لأنه وإن كان كتابا واحدا فإنه كتب كثيرة).

وهذا التنوع في مواضيعه ليس ديدن الجاحظ فيه الرواية فقط وإنما عمد إلى الواقع، يستنبطه ويستمليه، فحدثك بما رأى وما سمع وما شارك فيه فها هو يحدثك (٢ - ٣٣٠) عن أناس دعوه مرة ليشاركهم عملهم، ومرة يخبرك بضمير المتكلم (وأنا رأيت) (٢ - ٣٣٨) (٣ - ٤٥٧) (٣ - ٥٢٧)، وحدثني صديق (٢ - ٣٥٩)، ومرة ينقل ويؤكد صحة نقله (خبرني من اخواني من لا أتهم خبره) (٣ - ٤٧٢) أو (من أثق به) (٣ - ٤٨٠) و(كان هو والكذب لا يأخذان في طريق) (٥ - ٣٤٥)، وحينا ينقل عن أحد أهل العلم ثم يصفه بأنه (يجب أن يفضي إلى حقائقها، وتثبيت أعيانها بعللها، وتميز أجناسها، وتعرف مقادير قواها) (٤ - ٢٤)، ومرة يقول: (والبحريون عندنا بالبصرة) (٤ - ١٢٢) وقد يعتد بالتواتر (فما أحصي عدد من أخبرني) (٤ - ١٢٣)، وهو في ذلك يسوق أفكاره على لسان أحد متناظرين، أو يسبقها بـ (وأقول) (٤ - ١١٣)، أو (قال أبو عثمان) (٧ - ٦٤٤) (٧ - ٦٥٢)، وقد يعلق ويحشي على ما يروي (٤ - ١٦٥) (٣ - ٥٢٨)، وقد يتجنب هذا خشية الإطالة (٧ - ٦٦٢) وهو حين يبني كتابه على عدة مناظرات قد تستغرق عشرات الصفحات كالتي بين الديك والكلب أو بين الفيل والبعير، فإن ذلك يمكنه من أن يجسد أفكاره ويسلحها على هؤلاء، ومنطلقه في هذا أنه يستظرف (احتجاج متنازعين في الكلام، وهما لا يحسنان منه شيئا، فانهما يثيران من غريب الطيب، ما يضحك كل ثكلان، وإن تشدد، وكل غضبان، وإن أحرقه لهيب الغضب) (٣ - ٣٩٩).

ويستمر في مشاركته في الأحداث، فمرة يتشكك من نسبة بيت (قال العبدي إن كان قاله) (٤ - ٩٩)، (قال تأبط شراً إن كان قاله) (٣ - ٤٢٢)، وحيناً يستغرب من أمر وكأنه ينكره، لكنه يورده من



حيث انه حديث أحد الأعلام كالأصمعي (٤ ـ ١٣٨)، وقد يستبعد عدة أخبار (ولا أدري أي الخبرين أبعد) (٤ ـ ٥١)، ومرة يسبق روايته بما يشعر بشكه فيها كزعم ويزعم (٦ ـ ٥٦٣) (٥ ـ ٢٠٦).

ومما يلمحه المتأمل في أسلوب الجاحظ إقراره باستطراده في كتابه وبأنه لا بأس بذكر ما يعرض في ذهنه من الأبواب الطويلة والعلمية البحتة (٤ ـ ٢٤١)، وبأنه يستنشط القارىء بالاحتجاجات الصحيحة والمزوجة (٣ ـ ٣٩٩)، وهو قد عزم على توشيح كتابه بضروب الشعر والأحاديث ليخرج قارىء كتابه من باب لآخر ومن شكل لآخر (٣ ـ ٤٠٠)، ويسوق التعاليل لتبرير فعله فيقول: بأن جمود الكتاب (مما لا يخف لسماعه، ولا تهش النفوس لقراءته وقد يحتمل ذلك صاحب الصناعة، وملتمس الثواب والحسنه، فمتى وجدنا من ذلك باباً يحتمل أن يوشح بالأشعار الطريفة البليغة، والأخبار الطريفة العجيبة تكلفنا ذلك ورويناه أجمع، لما ينتفع به القارىء) (٥ ـ ٢٤١)، ويستمر في إقناع نفسه أولا: وإقناع القارىء ثانياً فيذكر أن كون الكتاب حول موضوع واحد يطول على القارىء، وقد يستطيل كل قصير (٦ ـ ٥٧٥)، معللا ذلك بقوله (٣ ـ ٤٠٠): (فإني رأيت الأسماع تمل الأصوات المطربة والأغاني الحسنة، والأوتار الفصيحة، إذا طال عليها ذلك)، ونسي أن ذلك لا يتيح لنا أن نطالب صاحب الصوت الحسن بأن يقبح صوته، أو أن ينقل لنا قبح غيره، حتى لا نمله، ويستمر في تبريره ولا ينزع عنه حتى يظن أن الفتق قد ارتتق.. وهيهات!!

ونحن على حين أننا نجده يبدع في تناوله، وتسلسله، واستدلاله، وتوالي أفكاره حتى لا يجد لنازع سهما (٣ ـ ٥٥٧/ ٥٦٣)، وحتى يشار إليه بالسبق إشارة غرقى إلى ساحل، على حين ذلك نجده يستطرد استطراداً يوقع قارئه في الملل، وتشوش الفكر فلا يعلم القارىء في أي موضوع هو يقرأ ويطلب، ولا صاحب الكتاب يبحث وينقب.

ومثال ذلك (٢ ـ ٢٦٢): أنه تحدث عن أعرابي له ابنان، أحدهما مشتهر بملاعبة الكلاب والآخر بالحملان، ثم ذكر قول الأول عندما عابه والده بذلك:

لولا الكلاب وهرشها من دونها
كان الوقير فراسة لذئاب

ثم ذكر أن الوقير اسم للغنم الكثيرة السائمة، وأورد بيتاً للشماخ يدل عليه، ثم بيتاً آخر يؤكد كلام الغلام، ثم قصة لامرأة قدمت مكة وكانت جميلة، فتعرض لها عمر بن أبي ربيعه، فلما أرادت الطواف خرج معها أخوها، فأعرض عنها عمر وأنشد:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له
وتتقي صولة المستأسد الحامي

ثم انطلق يتحدث عن أخلاق عمر بن أبي ربيعه، ورأي الناس فيه وأنه ولد ليلة مات عمر بن الخطاب.. وهكذا في استطراد يذكرنا بأحاديث الكبار والبطالين (على ذكر هذا هل سمعتم بذاك).

وإذا كان هذا الاستطراد يحظى من الجاحظ بعدَّة تبريرات، مع إقراره بأن النظام والاجتماع أفضل (٥ ـ ٢٥٧)، فإنه يوقعه في عدَّة مخالفات كعدم الترابط كما سبق، وكالتكرار لغير ما فائدة (١ ـ ١١٩ + ٥ ـ ٢٩٦)، وقد يسوق حديثا ويشوبه بهزل، وحديثا صحيحا يشوبه بخرافة (٤ ـ ٤٨١)، كما أن استطراده يجره إلى ما لا يقصده ولا يتغياه سلفا (٤ ـ ٤٨١).

وإذا كان بعض الدارسين يعد تباعد ما حقه التقارب المباشر دليلا على المنهجية الواعية فإننا ومن جانب آخر قد نراه دليلا على الفوضى الكلامية، وجعل الكلام العلمي سجلا للذكريات، ومصنفا في الخواطر، لا يسير على سنن، ولا ينضبط في قرن، كما نراه تكلم عن نيران العجم والعرب في مختتم الجزء الرابع، وجعل بقية الكلام في مفتتح الجزء الخامس وهذا يجعلنا نتساءل.. كيف حدث هذا! وما الغرض منه! ومراوحة الجاحظ بين الإحكام المتناهي دقة، وبين تماوت وتفكك الأسلوب تستدعي

تساؤلا مفاده.. هل هذه العملية مقصودة! أم أن الجاحظ يوجف في سيره نحو واحدة لكن الأخرى تعترض له وتفرض نفسها عليه لزاما. أعتقد أن الجاحظ يتغيا النظام والسير المنطقي - ولا عجب فهو ابن بجدة هذه الأمور وأبو عذرتها - لكنه يقع عن غير إرادة أو قل: عن غير قدرة في الفوضوية التي يسميها دفع الملل وتنشيط القارىء من باب تسمية الأشياء بغير اسمها.

والجاحظ حين يلمح في حديثه إلى الاستطراد، فإن الأمر يلتاث عليه ويستعجم، فيخلط بين الاستطراد/ النظرية، والاستطراد/ الممارسة، إذ أنه ليس معنى أنْ يقول الإنسان الصواب أن يتقن عمله، وبذلك فإننا نجد الحظ تخطى الجاحظ حين يمارس الاستطراد، فيقع في مصيدة (رجع بنا القول) وهي عبارة تمثل التداخل بين مشاعر المبدعين فكما أن الشاعر حين تعوزه الحيلة أن ينتقل إلى غرضه بحسن تخلص يلجأ إلى (فدع هذا)، فذلك اصبح الناثر يتنقل بين أفكاره عبر هذه الجملة، وكأنها لمسة حاسوب، حيث تجيء خالية من أي دلالة على الاتصال، على الرغم من أنها تنتشر إلى حد تشكيلها ظاهرة واضحة (٢ - ٢٥٤، ٣ - ٤٩٠، ٣ - ٥٣٦، ٥ - ٢٣٠، ٦ - ٤٨٩، ٤ - ٢٨)، وقد يوقعه هذا النمط من الكتابة بالجمل التي لا رابط لها بما سبق ولا بما يلحق (٢ - ٣٨٢).

والاستقراء والتمحيص يثبتان لنا أن الجاحظ يقع في استطراده مضطرا بالرغم من كل تبريراته المنطقية، والتي ظن بها أن الأمر على طرف الثمام يسهل تناوله، فتراه يقول: (وسنخبر عن تقرير ما في هذه القصيدة مفرقا إذ لم نقدر عليه مجموعا متصلا، ولو أمكن ذلك لكان أحسن للكتاب وأوضح وأفهم لمعناه) (٧ - ٦١١ - ٦١٢)، ويقول: (فإن وجدت فيه خللا من اضطراب لفظ ومن سوء تأليف، أو من تقطيع نظام، ومن وقوع الشيء في غير موضعه، فلا تنكر بعد أن صورت عندك حالي التي ابتدأت عليها كتابي) (٤ - ٨٤)، ثم يطالب قارئه أن ينظر فيه نظر من يلتمس لصاحبه المخارج، ويكرر معنى هذه المطالبة في نظريته حول من يقرأون ليقدحوا، ويطالبهم باعتبار خطأ الناسخ، وسوء تحفظ المعارض (٧ - ٥٨٤).

ولعلنا نستأنس - بعد ذكرنا للأدلة الصريحة - بما ينثره الجاحظ تباعا من كلمات تخرج من لا وعيه، حيث يكتنف شعوره ما يعتمل في صدور القراء الجادين من شك، فتراه يردد (اللهم جنبنا التكلف) (٤ - ٤٨) وفضول القول (٦ - ٣٩٠)، وأن تدعونا محبة اتمام هذا الكتاب إلى أن نصل الصدق بالكذب، وأن ندخل الباطل في تضاعيف الحق (٧ - ٥٨٤)، ثم يدعو قارئه أن يأخذ المحاسن ويتجنب المساويء.

ونحن نعلم أن الإنسان له عقل باطن يفكر به، وكل كلمة تخرج من فمه، لها رصيد من ذلك التفكير، فكان عقل الجاحظ الباطن صدى لما يحسه من سامعيه وقارئيه، فخرجت مشاعره على فلتات لسانه.

فهل الجاحظ هو ثعلب الحصن أعياه بعد العنب؛ فرماه بالحموضة!! وإذا كان ذلك كذلك فما سبب عجزه! وهو من هو علما وقدرة وعقلا! (سؤال يأتي كعجز لهذه القضية).

ذكر الجاحظ لاضطراب اسلوبه في كتابه هذا أسبابا عدة يقول (٤ - ٨٤): (وقد صادف هذا الكتاب مني حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه، وأول ذلك العلة الشديدة، والثانية قلة الأعوان، والثالثة طول الكتاب، والرابعة أني لو تكلفت كتابا في طوله وعدد ألفاظه ومعانيه، ثم كان من كتب العرض والجوهر، والصفرة، والتوليد، والمداخلة، والغرائز، والنحاس لكان أسهل وأقصر أياما وأسرع فراغا) ولكن ! أليس لنا أن نتساءل حول الثقافة الموسوعية في ذهن المؤلف أليس لها دالة على كون المؤلف يأتي كاجترار الذكريات، وكذلك كبر الجاحظ، وكونه من عصر قد



يختلف فهمه لسنن التأليف ولحيثيات الأسلوب، ثم لا نغفل أن الجاحظ دوره الإملاء، ودور غيره الكتابة ولذلك حرص بنفسه على أن ينتبه القارئ لخطأ الناسخ ولا يتغافل عنه، ومعلوم أن المملي غير الكاتب، فالأول إن كرر فلعله لطلب، أو لملاحظته بُعد المعنى عن السامع، وإن أخل فلعله لعدم ترتيب الذهن أو لأن فترات الإملاء يتخللها ما يتخللها من مشاغل وهموم تقطع إتقان حبك حبل الأفكار، ولأن إنشاءه لهذا الكتاب استغرق أياما كثيرة إن لم يكن أشهرا، بدليل إشارته لذلك في الاستشهاد السابق ومع ذلك فهو يكرر مطالبته بإشراك القارئ في سد الخلل، وشعب الصدع، فيقول (٧ ـ ٥٨٤): (لعله لو تدبره بعقل غير مدخول، وتصفحه وهو محترس من عوارض الحسد، ومن عارض التبرع، ومن أخلاق من عسى أن يتسع القول بمقدار ضيق صدره، ويرسل لسانه إرسال الجاهل بكنه ما يكون منه، ولو جعل بدل شغله بقليل ما يرى من المذموم تنقله بكثير ما يرى من المحمود، كان ذلك اشبه بالأدب المرضي، والخيم الصالح، وأشد مشاكله للحكمة، وأبعد من سلطانه الطيش، وأقرب إلى عادة السلف، وسيرة الأولين، وأجدر أن يهب الله تعالى له السلامة في كتبه، والدفاع عن حجته يوم مناضلته خصومه، ومقارعة أعدائه)، وقراءة أخرى لهذا النص تستطيع من خلالها أن تستبين أي مشاعر كانت تدور بفلك فكر هذا الكاتب، وليته عاود وتملى نصيحته في أول كتابه حين قال (١ ـ ٦٢): (وينبغي لمن كتب كتابا أن لا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له أعداء، وكلهم عالم بالأمور، وكلهم متفرغ له ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلا، ولا يرضى بالرأي الفطير، فإن لابتداء الكتاب فتنة وعجبا فإذا سكنت الطبيعة، وهدأت الحركة، وتراجعت الأخلاط، وعادت النفس وافرة، أعاد النظر فيه، فتوقف عند فصوله، توقف من يكون دون طبعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب).

مازال كتاب الحيوان، حفرة كلما أخذت منها اتسعت، وهكذا الشأن في كل كتب هذا الفذ، الذي بلغ الغاية وضرب في كل فن بنصيب، دله في ذلك عقل عبقري، وأسلوب طري.

ولئن تعرضت هنا لبعض المسائل التي تعكر صفو الماء ولا تغير طعمه، فقد بقي غيرها مما يحتاج ويحتاج، فأين حديثه عن المجتمع الذى صور لنا مجرياته في كتابه هذا، وهل كان لخبرته من نصيب، وعلام يدل نقده لشخصياته، وماذا تمثل آراءه الشعرية في ميزان النقد المعاصر، وهل كان للإدارة والطب وعلم النفس والتربية في كتابه من حظ! إذا لابد من قراءة ثانية لهذا السفر العظيم.

وأخيرا .. هذه أحرفي أكتبها تحية لهذا الفكر الذي مازال مجراه ممرعاً، والذي نثر روحه وفكره أسطرا يقرأوها الناس، ومازالت خيوله نافرة بحاجة إلى ترويض، ابتدأ أوله، ومازال المشوار يبدو ممتدا ..

الهوامش:

(*) المعتمد في هذه الدراسة هو الكتاب طباعة الشركة اللبنانية للكتاب ط١ تحقيق فوزي عطوي.

(١) بكر أبو زيد (المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل ١ ـ ٣٩٠).

(٢) راجع شرح العقيدة الطحاوية للدمشقي تحقيق التركي والأرناؤوط (١ ـ ١٩٠)، وتفسير السعدي لهذه الآية، ولآية (قبل أن تنفد كلمات الله).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢ ـ ٤٠٣).

(٤) نفسه (٢ ـ ٧٩٢).

(٥) نفسه (٢ ـ ٧٩٢).

(٦) من مثل استنتاجه من سجن عثمان بن عفان لضابىء بن الحرث، أنه لإمكانية حدوث ما ذكر، وهذا غير مسلم له إذ أن هناك حدوداً شرعية ومع ذلك فلا يلزم من موته في حبسه أن يكون هذا هو الحكم بحقه. هذا على التسليم بصحة الخبر (١ ـ ٢١٩).

رحيل شاعر

في رثاء صديقي الشاعر المرحوم محمد سعيد الجشي، توفي دون معاناة.

صمتت يا هزار
يا بسمة ، جميلة ، في مجلس السمّارْ
يا نغمة حزينة في موكب الرثاء
ومجلس العزاء
يا موجة ليس لها قرارْ
يا من عشقت الشعر تستوحيه
من فاطمة الزهراء
والسبطين
من محمد
من ربّ ذي الفقارْ
يا من تشيع الأنس في ندينا
وتزرع البشر على وجوهنا
وتفتحُ البسمة في ثغورنا
ويا حضورا دائما - في خاطري
يا وحدة في ساعة احتضارْ

***

يا نبع حسّ دافق العطاء
يا من سكبت الدمع والغناء
كيف تلاشى الزهرُ والعطورْ
وهاجرتْ عن روضك الطُيورْ
يا جدولا عاسره المسارْ

***

ماذا لو أنّ الصيف والجفاف والسموم
وظلمة المساء والخواء والغيوم
ماذا لو أن القحط والعداء والفناء
على زهور الحبّ والجمال والغناء
لم تأتمرْ فتُحكم الحصارْ

***

يا شاعري لو شاءت الأقدار
لما فقدنا الإخوة الأخيار
ولا شربنا الليل بالنهارْ
فحينما تهاجرُ الأطيارْ
عن روضنا تساقطُ الثمارْ
وتذبلُ الزهورُ والأشجارْ
ويُقْتَلُ اللحنُ على شفاهنا
وتكثرُ الأنةُ في غنائنا
ويرحلُ الربيعُ والأوتارْ

***

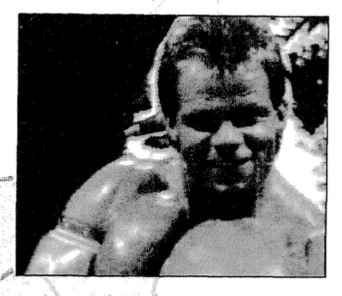
يا وافياً في زمن القسوة والجفاء والجحودْ
وضاحكاً في زمن شعارُه الصُدودْ
يا من صحبْت العلم والصلاح والعطاء
ولم تزلْ تبْسُمُ في مواطن البلاء
وتعشقُ المساء والنهارْ

***

معذرة أنْ لمْ أكُنْ
بين الذين احتشدوا
في حفلك الأخيرْ
إذ وضعوا السريرْ
وأجهشوا
وأقفلوا وراءك الستارْ

شـــعر : محمد سعيد البريكي
- الجبيل الصناعية -

بين السطور



أول القصيدة الامريكية ـ من شطحات الصبا ـ

في طفولتنا كان للكتب الامريكية سحر وأي سحر فهي تخاطب احشاءنا مباشرة دون المرور على الحجاب الحاجز أو الكابح المسمى بالعقل الذي يميز الغث من السمين ويجعلنا نلقي بها في سلة المهملات بمجرد قراءة العنوان، والكتاب يقرأ من عنوانه، وأول القصيدة الامريكية كآخرها كفر في كفر وكان الكتاب الذي يشد انتباهي دائما ـ والذى اكتشفت بعد قراءته انه مجرد اعلان تجارى على شكل كتاب رغم انه مائة صفحة من القطع الظريف ـ هو كتاب «كيف تصبح عملاقاً في الجسم دون أن تستهلك كميات اضافية من البطاطا» وبعد أن يستعرض الكتاب عمالقة النحافة امثال كوبر ولورى وجون وجاك وفشلهم في ايجاد عمل لنحافتهم الشديدة ويأسهم من الحياة ومحاولتهم الانتحار حتى تم افتتاح محلات لبيع العضلات الصناعية في احيائهم السكنية واصبحت الحياة وردية دون استهلاك كميات بطاطا اضافية عندما وصلت لنهاية الكتاب اكتشفت أن هناك جزءاً ثانياً من الكتاب بعنوان «كيف تصبح عملاقاً في الجسم دون أن تضطر لتركيب عضلات صناعية» فأخذت ابحث عنه عند بائعي الكتب القديمة ـ الروبابيكيا ـ حتى وجدته عند بائع بطاطا مشوية يلف البطاطا في اوراقه للزبائن حتى تصل الثقافة لمستحقيها في اوراق تغليف الطعام.

باراسايكولوجيا ـ حكاية من مارستان مصر ـ

كانت مشكلة المشاكل في مصحة الامراض العقلية في نوبات سهر الاطباء فأن يترك الطبيب فراشه الدافيء في منزله وعشاءه الساخن وزوجه واولاده ثم يبيت ليلة رمادية في مستشفى مجانين تحوي ثلاثة آلاف مريض عقلي ويقبع في سكن الاطباء ساكناً منتظرا حلول المصائب دون أن يغمض له جفن، وما أن يشقشق الفجر وتزقزق عصافير المصحة ـ أي تنعب غربانها ـ حتى يأخذ الطبيب ذيله في اسنانه ويذهب

بقلم : د. عبدالغني عبدالحميد رجب
ـ مصر ـ

لمنزله يحاول أن يتصيد النوم الطائر من عينيه. كان أحد الزملاء لا يكلف بأي نوبات سهر وعندما أتساءل عن السبب كان الزملاء القدامى يقولون لي «دعه في حاله» وكنت اعتقد أن هناك ظروفاً تمنعه من السهر لكن واقع الحال ينفي ذلك فهو سليم الجسم والعقل ولا توجد ظروف عائلية تمنعه فهو يعمل في عيادة خاصة ليلا فلم اجد بداً من مواجهته وفوجئت بمجرد اثارة موضوع نوبات السهر معه بصوت غريب لا يدرى احد مصدره يهدد ويتوعد قام الزملاء بتهدئة الصوت واختلوا بى قائلين ان هذا الزميل يتلبسه عفريت من الجن ويرفض العفريت المبيت في مصحة للامراض العقلية - رغم انه لن يشعر فيها بالوحدة فهي ممتلئة بالعفاريت - عشر سنوات مرت وكنا قد تركنا العمل في المصحة وتشتتنا في المعمورة ثم تقابلنا وابلغني وهو يضحك انه كان قد تلقى دورة تدريبية في التحدث من البطن.

قيس وقيس - من أغاريد الطفولة -

قيس هو حجة المحبين في الأرض فكل من ادعى شيئاً من المحبة قيس بقيس وليلى هي محبوبة رمزية اكثر من كونها لحماً ودماً وشعراً واسناناً وعندما سئل احد افراد القبيلة عنهما قال إن هناك مائة مجنون في القبيلة فقال السائل إنه يسأل عن المجنون الذى كان يشبب بليلى فقال كلهم كانوا يشببون بليلى.

في المرحلة الاولية من التعليم الابتدائي حدثنا معلمنا عن قيس وليلى وقصة حبهما المشبوبة رغم اننا في سن لا يجعلنا ندرك على المستوى العقلى تلك القصة وإن كنا ندركها على المستوى الروحي وما أن وصلت الى المنزل حتى امسكت بالورقة والقلم وجلست في الحديقة واخذت اشبب بليلى بلغتى الساذجة واقرأ ما كتبته لاخوتى وكان خالي الذى يسكن في نفس المنزل في الدور العلوي قد تزوج حديثاً من فتاة جميلة تسمى «ليلى» فما أن سمعت شقيقتي اشعارى في ليلى حتى هددتنى انها سوف تقول لخالي وعندما اخبرتها أنني أتغزل في ليلى زوجة ورد وحبيبة قيس قالت: سوف أقول لورد.

بنك التسليف الزراعي - من اغاريد الطفولة -

عندما كنا اطفالا نقضى اجازة الصيف في الريف قبل أن تغزوه المدينة المتمثلة في السلع الاستهلاكية الاستفزازية ننطلق بين المزارع نلهو ونلعب ونركب الحمير ونشرب اللبن ولم يكن ينقصنا الا الحلوى التى لم نكن نذوقها الا نادراً وقد كنت اسمع اسم «بنك التسليف الزراعي» يتردد في احاديث المزارعين فقد كان يقرضهم بضمان المحصول الذى ما أن تاكله الآفات الزراعية حتى يتم الحجز على منزل المزارع وبهائمه وملابسه لكن الذى كان يثير انتباهي كلمة «التسليف» دون أن ادرك توابع التسليف وزوابعه وعندما كان الاهل يسألونني ماذا تريد أن تصبح عندما تكبر كنت اقول لهم أريد أن اكون مزارعاً لكي

اقترض خمسة قروش من بنك التسليف اشترى بها حلوى.

الطب النفسي.

- التحليل النفسي ينجح تماما مع العقلاء ... يجعلهم مجانين.

- لا يوجد مستحيل امام الطب النفسي فالرجل الذي يعلن احد الاطباء انه مجنون يعلن طبيب آخر أنه عاقل.

- ممارسة الطب النفسي نوع من علاج المرض النفسي لاطباء الامراض النفسية «علاج بالعمل».

اللغة العالمية - من شطحات الصبا -

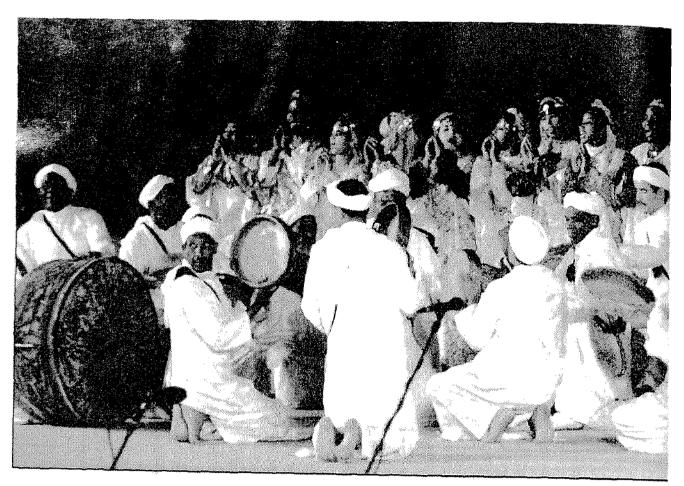
يفرك كفيه سعادة وسروراً ويرفع حاجبيه تعجباً ودهشة ويخرج لسانه سخرية واستهزاء ويزوي ما بين حاجبيه حزناً وأسى ويعقد جبينه عند التفكير العميق وعندما يصم احداً بالجنون فإنه يقوم بحركة دائرية بأصابعه بجوار الاذن والابتسامة يحدد مقدارها بالمسافة ما بين الشدقين ومصمصة اللسان دلالة على الشفقه واحيانا التعجب الممتزج بالسخرية والغزل القديم بترقيص الحواجب للمحبوبه واطلاق صفير الغزل مع الغمز بالعين واحيانا يكون الوقوف على الساق الواحدة تعبيراً عن الدهشة الشديدة اما الصفير فهو يختلف حسب نوعه فهناك صفير الدهشة وصفير الاستهجان وصفير الاستحسان وصفير الغزل.

المطيباتي - من اغاريد الطفولة -

كان يلوح وكأنه من علية اهل الريف فجلبابه الانيق وشاربه المهذب وعمامته الفاخرة ونعاله المزخرفة توحي بذلك بالاضافة الى بسطة في الجسم وبياض في



البشرة ولا ادرى لماذا كان في معية المطرب الشعبي - أبي حلوه - الذي حضر مع جوقته لاحياء المولد بالقرية. جلس في الصف الاول قريبا جداً من ابي حلوه وما إن بدأ ابو حلوه في الغناء حتى قام الرجل من مكانه وكأنما قرصه عقرب وبدأ يصفق تصفيقاً حاداً ويشجع المطرب مما أخلّ بوقار الرجل الذى كان عليه في أول الامر ومتى بدأ الرجل في الجلوس بوقار مرّة أخرى حتى أرسل أبو حلوه آهاته ولياليه وعيويه - آه .. ياليل .. يا عين فانتفض الرجل متواجداً وقام من مكانه يتراقص وقد بدا عليه الانسجام الشديد واصابت العدوى الآخرين على الرغم من ان المطرب لا يتمتع بصوت جميل الا أن الجمهور تواجد ومنهم من كان يردد معه اغانيه ومنهم من كان يرقص والجميع يصفقون وهكذا مضت الليلة في حبور وانشراح ظلت عيناي تتابعان الرجل اعجاباً باعجابه بالفن الشعبي،



عندما حان الرحيل واقتسام النقوط فوجئت بأبي حلوه يعطي الرجل قسماً من النقود - رغم أن الرجل كان قد دفع بالنقوط لابي حلوه اعجاباً بالغناء واقتدى به الآخرون - وادركت في طفولتي الباكره أن هناك شيئاً غير طبيعى ولم افهم ذلك الشيء الا متأخراً وعلمت أن هناك من كبار المطربين من يفعلون فعله ويستأجرون من يطرب لهم فالابتهاج يعدى مثل الجرب وتحدد موقفى بعدها من الغناء.. والتجارة.

النعامة علاج نفسي - حكاية من مارستان مصر -

يعتقد الناس أن النعامة عندما تستشعر الخطر تدفن رأسها في الرمال. كان زميلنا في المصحة العقلية ينصح المترددين على العيادة الخارجية ويعانون من القلق والتوتر بدفن رءوسهم في الرمال ليس تشبها بالنعامة في الهروب من الخطر الداهم وانما لاخراج الشحنات الكهربائية الزائدة والتى تسبب القلق والتوتر فالرمال في رأيه موصل جيد للكهرباء.

اطروحة:

كانت اطروحته لنيل درجة الماجستير في الطب النفسي عن الباذنجان كسبب للجنون اما الدكتوراه فعن الباذنجان كعلاج للجنون.

ايقاع الحياة.

عندما تغرب الشمس ينهزم النهار .. ينهزم مرحليا لكي يعود أقوى مما كان في اليوم التالى والعنقاء عندما تحترق فإنها تنبعث من رمادها الخاص وقد استعادت في فتوتها العنفوان والفراشه عندما تتغذى بالنور أو يتغذى عليها النور فتحترق بالنار فلكي تصل الى كينونتها التى خُلقت لها وتصل الارضي بالسماوى عبر برزخ النور والنار.

الخلافة الإسلامية في ضوء دراسات المعاصرين

هذه الدراسة كنت قد أعددتها بمناسبة احتفالات وزارة الثقافة المصرية بمئوية الدكتور محمد حسين هيكل - تحت المحور الاسلامي في أعمال هيكل - (كتاب - الصديق أبو بكر لمحمد حسين هيكل) - وتخيرت كتاب الصديق لأبرز إيمان هيكل بقضية الخلافة الإسلامية ولأؤكد أنَّ دفاعه عن علي عبد الرازق - لم يكن دفاعا عن آراء علي عبد الرازق في الخلافة الاسلامية وإنما كان دفاعا عن مبدأ حرية الرأي وحرية التعبير مع وجوب مناقشة الرأي بالرأي وإبطال الحجة بالحجة - لا سيما وأن فكراً يتسلل ويكاد يسود بأن محمد حسين هيكل من قادة التنوير وأنه ضد الخلافة الاسلامية.

وقد تناولت في هذا البحث زاوية واحدة من مبحث واحد ألا وهو قتال من منعوا الزكاة في حروب أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - للمرتدين.

وانبثقت عن دراسة هذه الزاوية مباحث متعددة تناولتْ قضية الخلافة الإسلامية بأبعادها المختلفة في ضوء دراسات المعاصرين.

ولأن للمستشار محمد سعيد العشماوي رأيا مؤداه إلغاء ركن الزكاة في كتابه الخلافة الإسلامية (ص ٨٦) حيث يذهب إلى أن الزكاة كانت اختيارية للناس تفيد الإحسان بالمال عموما - أما الصدقة التي سميت زكاة فيما بعد فقد كانت تدفع إلى النبي [صلى الله عليه وسلم] ذاته بصفة النبوة لا بوصف الحكم مقابل صلاته على الناس، ويستشهد بالآية الآتية: (خُذْ من أموالهم صدقة تُطَهِّرهم وتزكيهم بها وصَلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم)[١].

فرأى المستشار عشماوي أن الزكاة في بدء أمرها اختيارية، وأن الزكاة المعروفة في الاسلام تدفع للنبى ذاته بصفة النبوة مقابل صلاته على الناس. وأنها بموت الرسول [صلى الله عليه وسلم] انتهت فركن الزكاة في نظر المستشار لا وجود له.

ونسأل المستشار: هل يجيز عقله أن تكون نبوة نبينا وظيفة يؤدي بها الصلاة على الناس مقابل أجر يدفعونه له؟! وأن فريضة الزكاة انتهت بموت الرسول (صلوات الله وسلامه عليه) لهذا السبب؟!

المستشار يذهب إلى هذا بل وإلى ما هو أبعد منه - المستشار يذهب إلى أن أبا بكر خلط بين حقوق النبي وحقوق الحكام، ونص قوله بالحرف: «لاستجلاء مدى خلط أبى بكر الصديق بين حقوق النبى وحقوق الحكام وتأثيره على نظام الخلافة» (ص ٨٦).

فكان لزاما وإنصافا أن نعرض رأي المستشار في ضوء آراء المحدثين ممن يعدونهم من التنويريين من نحو طه حسين وهيكل والعقاد وغيرهم.

وبداية يأتي رد العقاد في تعليقه على من إحتجوا بتلك الآية الكريمة التى ذكرها عشماوي: يقول العقاد: «أناس



بقلم: أ.د. البدراوي زهران
- مصر -

من بعض القبائل آمنوا بالزكاة ولم يؤمنوا بمن يؤدونها إليه واحتجوا بآيات من القرآن الكريم حرّفوها إلى المعنى الذى أرادوه ومنها: {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم}.. قالوا فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا، وأبوا أن يدفعوها وإن علموا أن دفعها فريضة من فرائض الدين[٢].

فرأى العقاد قاطع بأن العرب الذين امتنعوا عن دفع الزكاة للصديق يعلمون أن دفعها فريضة من فرائض الدين، وهم أقرب إلى عهد النبوة وإلى فهم أحكام الدين وهم أعلم الناس بلغتهم وفهم لغة القرآن وآياته.

فلو كان ما ذهب إليه المستشار يمثل حقيقة لغوية أو واقعية لوجدنا صداه عندهم وليرجع المستشار إلى ما قاله المفسرون في هذه الآية ليرى أن ما بناه على فهمه هذا لا سند له ولا أساس.

وقد تكرر الأمر بالزكاة والربط بين الصلاة والزكاة في آيات كثيرة من القرآن الكريم نذكر منها على سبيل التمثيل: {وأقيمو الصلاة وآتوا الزكاة} وفي سورة البقرة وحدها وردت مرات متعددة آية ٤٣ وآية ٨٣ - وآية ١١٠ - وجاء كذلك في سورة البقرة: {وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة} آية ٢٢٧ - وجاء كذلك في سورة البقرة وفي سورة النساء كذلك {وأقام الصلاة وآتى الزكاة} البقرة ١١٧ - النساء ٧٧ - كما جاء في النساء كذلك {والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة} النساء ١٦٢ - كما جاء في المائدة {أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة} المائدة ١٢ - كما جاء في الأعراف: {الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة} الأعراف ١٥٦.

هذه الآيات قليل من كثير[٣].

لقد ردَّ أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - على أصحاب هذا الفهم السقيم من المرتدين مانعي الزكاة الذين احتجوا بهذا الفهم العَيبيِّ وقاتلهم حتى أدوا الزكاة كما كانوا يؤدونها إلى الرسول {صلى الله عليه وسلم} حتى قال الصديق: «والله لو منعونى عناقا أو عقالا كانوا يؤدونها إلى الرسول {صلى الله عليه وسلم} لأقاتلنهم على منعه».

فرأى العشماوي بأن أبا بكر خلط بين حقوق النبي وحقوق الحكام - لا سند له ولا دليل عليه من مانعي الزكاة أنفسهم ولا من أقوال المرتدين وأفعالهم ولا من الفهم الصحيح للآية التى استشهد بها ولا من بقية آيات القرآن الكريم ولا من الفهم السوى لأركان الإسلام وفروضه - ولا من عرض المعاصرين له لهذه القضية ولا من فهمهم لهذه النقطة بخاصة.

في هذه النقطة يقول طه حسين:[٤] «ومهما يكن من شيء فقد أتيح لأبى بكر بفضل هذا المزاج المعقول من الرفق في موضع الرفق، والعنف في موطن العنف أن يقضي على الردة ويعيد العرب إلى الإسلام طائعين أو كارهين بعد أن خرجوا منه - كلٌّ ذلك في العام الأول من خلافته»، ويقول طه حسين بعد ذلك:

«وكان أبو بكر رحمه الله يفكر حين استخلف في أن ينفذ الخطة التى كان يعلم أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سينفذها لو عاش - وهي تحرير العرب خارج الجزيرة بعد أن أسلم العرب داخل الجزيرة[٥] - ولكنه ينظر فإذا الكذابون قد ظهروا قبل وفاة النبي وتبعهم كثير من العرب - وإذا سائر العرب في الجزيرة قد عادوا إلى جاهليتهم ينظرون إلى الزكاة التى كانت تؤخذ من أغنيائهم لترد على فقرائهم على أنها أتاوة تجبى إلى ملك يقيم بالمدينة.

وكانوا قد أذعنوا بالزكاة لما أمر الله به من أداء الزكاة في حياة النبي دون أن تطيب عنها نفوسهم - قدَّروا أن النبي أقوى من أن يغلب فدانوا له بالطاعة[٦] - فلما رأوا أنه قد مات وأن الأمر قد انتقل الى رجل من أصحابه لا يعدو أن يكون عربيا مثلهم - اضطربت نفوسهم أولا - ثم انكرت ما عرفت ثانياً.

ورأت أن هذه الزكاة انما هي ضريبة تؤدى لقريش فأخذتها العزة بالاثم وكرهوا أن يؤدوا الى قبيلة من القبائل العربية وهي قريش وإلى رجل بعينه من هذه القبيلة - هو أبو بكر - ما كانوا يؤدونه إلى النبي الذى كان يأتيه خبر السماء - فأرادوا أن يصالحوا قريشا ورئيسها أبا بكر على الاسلام كله لا

يستثنون منه إلا الزكاة التى لم يألفوها في جاهليتهم فلما أبى أبو بكر نفضوا طاعته واستخفوا به ويمن معه لقلتهم وكثرة العرب حتى قال قائلهم:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا
فيا لعباد الله ما لأبي بكر[٧]

ويضيف طه حسين بعد ما سبق: «رجع العرب كفارا بعد إسلامهم وهمُّوا باستئناف الحياة التى كانوا يحيونها في جاهليتهم لولا أن عاجلهم أبو بكر فردَّ إليهم رشدهم أو ردهم الى الرشد بعد أن همُّوا بالغيِّ[٨] - فلا غرابة إذن في أن يكون هذا كله محبطاً للصالحين من المسلمين ومخرجا لرجل كأبي بكر عن طوره الذى ألفه من لين الجانب ورقة القلب وإيثار الرفق على العنف.

فهل فيما عرضه طه حسين ما يمكن أن يزيل الخلط الذى ذهب اليه العشماوي.

ولا سيما وأن معاجلة أبي بكر لهؤلاء المرتدين ردت إليهم رشدهم أو ردتهم الى رشدهم بعد أن هموا بالغيِّ هذا ما يراه طه حسين.

كما أن في قول طه حسين: أن موقف هؤلاء المرتدين كان محبطاً للصالحين من المسلمين وأن ما صار إليه أمر أبي بكر معهم لم يكن فيه غرابة عندما آثر العنف معهم على ما ألفه الناس فيه من لين الجانب ورقة القلب وإيثار الرفق - ما يؤكد أن أبا بكر كان على حق فيما فعله معهم.

ولا سيما وأن المرتدين كانوا أصنافا منهم من ادعى النبوة مثل طليحة وغيره وأنه قد وردت كتب من أمراء النبي {صلى الله عليه وسلم} من الأنحاء المختلفة في شبه الجزيرة العربية تفيد بوجود انتقاض عام أو انتقاض خاص عن الإسلام - واعتداء المنتقضين عن اسلامهم على من بقي على اسلامه بين أظهرهم[١٠].

وهنا نأمل أن نجد جوابا عند المستشار عشماوي: إذا كان الرسول {صلى الله عليه وسلم} قد كلف أمراءه في جميع الأنحاء التي بعث بهم إليها أن يأخذوا الزكاة من أغنيائهم ويردوها على فقرائهم فهل كانت الزكاة إذن اختيارية؟، وهل عليهم أن يتركوا أمره بعد موته؟ أو كنت تنتظر من أمراء الدولة الإسلامية وقد عينهم النبي أن يتركوا مواقعهم بعد موت النبي {صلى الله عليه وسلم}؟ وهل كان الأمراء يأخذون الزكاة ويردونها على النبي {صلى الله عليه وسلم} مقابل صلاته لهم؟ أو أنهم يردونها على فقرائهم؟ وهل حدث من أبي بكر إذن تخليط وأن عليك أن تستجليه لتزيل تأثيره على نظام الخلافة.

يأتي رأى الدكتور هيكل في هذه القضية ولعله يجلي الحقيقة للمستشار، يلمس هيكل نقطة محددة وهي أنه: «كان قد بقي قوم على إسلامهم ثم أبوا أداء الزكاة لأبي بكر» يعلق هيكل على موقف هؤلاء بقوله: «وسواء أكان إباؤهم أداءها راجعا إلى حرص الناس على المال وتحايلهم على التحلل من بذله كتحايلهم على اقتناصه وامساكه - وذهابهم في هذا وفي ذاك الى حد التضحية بالحياة في سبيله - أم كان راجعا إلى عدهم إياها إتاوة لم يبق بعد وفاة رسول الله ما يسوغ دفعها لمن اختاره أهل المدينة أميرا عليهم - فإنهم أضربوا عن أدائها وأعلنوا أنهم لن ينزلوا على حكم أبي بكر فيها»[١١].

تجمعت جموع مانعي الزكاة من عبس وذبيان يهاجمون المدينة وبعثوا وفودهم إلى أبي بكر على أن يقيموا الصلاة وألا يؤتوا الزكاة.

ونسأل المستشار: ما سبب طلبهم إذا كانت الزكاة تدفع إلى النبي ذاته بصفة النبوة؟ أو كانت الزكاة اختيارية؟، ولماذا ربطوا بين الصلاة والزكاة.

وهل ترى أنه كان على خليفة رسول الله أن يوادعهم؟

ألم تكن هذه حربا فرضها الخارجون على نظام الدولة؟

هل في أنظمة العالم كله شرقيه وغربيه قديمه وحديثه من يرى أن على الحاكم العام للدولة أن يطيع الخارجين عليها وأن يستجيب لطلب المرتدين على نظامها وأحكامها؟!!

أما أبو بكر فقد نهض لقتالهم وتتبعهم حتى ذي



حسا - وأما هم فقد انضم اليهم بقية جموعهم ودار القتال في غسق الليل.

وانتصر المقاتلون من مانعي الزكاة - فقد لجئوا إلى حيلة وضعوها أمام إبل المسلمين فنفرت الإبل براكبيها مرتدة حتى دخلت بهم المدينة.

وهنا نسأل المستشار عشماوي: أكان على أبي بكر أن يترك عاصمة الدولة يحتلها المرتدون والخارجون على نظام الدولة؟ - نسمع الجواب من هيكل: يقول الدكتور هيكل: «أما أبو بكر والمسلمون معه فلم يغمض لهم تلك الليلة جفن بل بات يتهيأ ويعبيء فلما كان الثلث الأخير من الليل خرج يمشي على رأس من معه وقد جعل لهم ميمنة وميسرة وساقة، وأغذوا جميعا السير، فما طلع الفجر حتى كانوا جميعا مع العدو في صعيد واحد»[١٢].

ثم يضيف هيكل: «وقد وضع المسلمون السيوف في القوم فهبوا فزعين يقاتلون ولكن هيهات لقد أمعن رجال أبي بكر فيهم قتلا وهم في عماية الصبح يضطرب حابلهم بنابلهم»[١٣].

يجدر بنا هنا أن نسجل لهيكل رأيه الذى أفصح عنه بقوله:

«هنا يقف الإنسان خاشعا ملكه الإعجاب بأبي بكر وبإيمانه وثباته وحزمه، فذلك موقف يذكرنا بمواقف الرسول عليه السلام»، ويضيف الدكتور هيكل: «وإن لهذه الغزوة الأولى من غزوات أبي بكر لجلالا ما اشبهه بجلال غزوة بدر»، ويوضح: «هنا وقف أهل المدينة وأبو بكر على رأسهم وهم قلة أمام هذه الجموع الغفيرة من عبس وذبيان وغطفان وغيرهم من القبائل.

ويوم بدر تحصن محمد {صلى الله عليه وسلم} بإيمانه وإيمان أصحابه وينصر الله إياهم على المشركين وهنا تحصن أبو بكر بإيمانه وإيمان أصحابه فانتصر كما انتصر الرسول {صلى الله عليه وسلم} ثم كان لنصره الأثر البالغ في حياة المسلمين[١٤].

أي الفريقين كنت تود أن ينتصر؟! أي الفريقين على حق؟! وأيهما على باطل؟! ما رأى المستشار في قتلى المرتدين؟ وما رأيه في قتلى المسلمين؟.

أقرَّ المرتدون أن من قتل منهم في النار، وأن من قتل من المسلمين في الجنة، كما أقروا بأن يدفعوا دية قتلى المسلمين وأن يغنم المسلمون ما أخذوه منهم وأن ما أخذوه من المسلمين مردود عليهم - كما أقروا أن يخرجوا من ديارهم.

رُوي عن عبد الله بن مسعود قوله: «عزم الله لأبي بكر على قتالهم فوالله ما رضى منهم الا بالمحطة المخزية أو الحرب المجلية، فأما المخطة المخزية فبأن يُقرّوا بأن من قتل منهم في النار، وأن من قتل منا في الجنة، وأن نغنم ما أخذنا منهم وأن ما أخذوه منا مردود علينا، وأما الحرب المجلية فأن يخرجوا من ديارهم»[١٥].

فهل يدعى مدع من المستشرقين وأتباعهم مهما كان، أنه أفهم لهؤلاء العرب من أنفسهم وأنه أفقه في آيات القرآن والإسلام من أبي بكر وأصحاب الرسول وأنه أفضل في فهم اللغة من أبناء القبائل التى نزل القرآن بلسانهم.

ندع هيكل يعلق حيث يقول:

«ما هذا كله؟ - أليست هي المعجزة أراد الله أن يتم بها النصر لدينه؟!! وهل تتضافر الأقدار بمحض المصادفة هذا التضافر الذى دوَّى في أنحاء شبه الجزيرة»[١٦].

كما يفصح هيكل عن إعجابه بأبي بكر عندما خرج كرّة أخرى لقتال من منعوا الزكاة حيث يقول: «فأما أبو بكر فكان قد سما فوق الاعتبارات القبلية وما يتصل بها وتوجه بكل قلبه ورأيه وعزيمته إلى تنفيذ الخطة التي رسمها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في تلك السياسة والتى أعلنها يوم بويع والتى سار عليها إلى أن لقى ربه»[١٧].

لكن مستشرقا صدره مملوء بحقد دفين على الإسلام ونبي الاسلام ينقل عنه المستشار عشماوى رأيا ويلقى عليه مهابة وجلالا.

يقول:

«لقد قال عالم اجتماع معاصر (جوستاف لوبون؛ حضارة العرب)»: «إن سيوف العرب لابد أن تكون دائما مشهورة فإذا لم توجه إلى الغير فإنها توجه إلى أنفسهم».

ثم يضيف: «ولعل هذا المعنى كان واضحا بجلاء، أو غائما في خفاء لدى أبي بكر الصديق فحرص على أن تشهر السيوف لحسم قضية الصدقة لصالح الخلافة، حتى لا توجه هذه السيوف إلى الخلافة نفسها في ظروف حروب الردة، وعدم استقرار الخلافة بعد، ولعل المعنى ذاته هو الذي دفع بعد ذلك إلى توالي الغزو، كما أنه هو الذى يفسر تاريخ الخلافة والصراع عليها، ويلقي الضوء على كثير من الحوادث منذ العهد البعيد حتى وقتنا المعاصر»[١٨].

عبارات هلامية القابض عليها كالقابض على الماء ما دلالة: «ويلقى الضوء على كثير من الحوادث منذ العهد البعيد حتى وقتنا المعاصر»؟!! وما دلالة بقية ما قال؟!!

لكن لنستمع إلى أقوال مستشرقين غربيين يستشهد بها العقاد يقول عن أبي بكر: «فكان هو كما يقول الغربيون في تعبيراتهم حين يذكرون الأعمال التى تدل على صاحبها بجميع خصائصه ولباب شعوره وتفكيره».

«في حروب الردة كان أبو بكر هو أبا بكر على سوائه وجلائه»[١٩]، فالعقاد ينص: على أن أبا بكر: «شرع السنة الصالحة في توطيد العقيدة بين العرب بما صنعه في حروب الردة، وشرع السنة الصالحة في تأمين الدولة من أعدائها بتيسير البعوث وفتح الفتوح فكان له السبق على خلفاء الإسلام في هذين العملين الجليلين»[٢٠].

يقول العقاد: «بعثة أسامة كانت العنوان الأول لسياسة عامة في الدولة الاسلامية هي في ذلك الحين خير السياسات كان قوامها كله طاعة ما أمر به رسول الله فإن بقيت الطاعة فقد بقي كل شيء.

أبو بكر رأى العصمة حق العصمة في رأى واحد لا رأى قبله ولا رأى بعده وهو الطاعة في غير لين ولا هوادة ولا إبطاء[٢١]، بل ويطلب من أسامة أن يكون منهجه الطاعة - فيقول له: «اصنع ما أمرك به رسول الله، ولا تقصرن في شيء من أمر رسول الله [صلى الله عليه وسلم][٢٢].

ويضيف العقاد بعد ذلك أن درس الطاعة تكرر في أوسع نطاق؛ تكرر في حروب الردة التى هي مفخرة أبي بكر غير مدافع أو هي مفخرته الخاصة التى انفرد بها في تاريخ الدعوة الإسلامية بغير «شريك»».

«كانت بعثة أسامة بن زيد، وكانت حروب الردة، وكانت بعوث العراق والشام فقام على هذه المآثر الثلاث التى لا تقضى حقها من الإكبار كل ما قام بعد ذلك من بناء»[٢٣].

أما ما يراه الدكتور هيكل فتحدده عبارته الآتية:

«على أن ما يملك الإنسان من الإعجاب بأبى بكر لا يشوبه من العجب شيء فقد آلى الصديق على نفسه منذ اللحظة الأولى ألا يدع شيئا كان يصنعه رسول الله [صلى الله عليه وسلم] إلا صنعه، أما وذلك عزمه الذى لا يحيد عنه فلا عجب أن يأبى المساومة في أمر يتصل بما فرض الله في كتابه، وأن يذكر كلما طلب إليه أحد أن ينزل عن شيء لم يكن رسول الله ليرضى أن ينزل عنه هذه الكلمة الخالدة على الزمن كلمات رسول الله:

- والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»[٢٤].

ويضيف هيكل ما صنعه الصديق مما ينطبق على هذا فيقول: «هذا ما صنع أبو بكر حين تحدث إليه أصحابه في العدول عن بعث أسامه - وهو موقفه حين تحدثوا إليه فيما يطلب العرب من منع الزكاة، وذلك هو الإيمان الصادق الذى لا يغلبه في الحياة غالب لأنه يستهين بالموت ويسمو لذلك على ما في الحياة.

وهذا الإيمان الصادق الذى لا يغلبه الموت ولا يغلبه زخرف هذه الحياة هو الذى حفظ الإسلام في



صفائه وكماله في ذلك الوقت الدقيق الذى كاد يومئذ يتخطاه»[٢٥].

هذا كلام هيكل ومن قبله كلام العقاد فأين هذا وذاك مما يقوله سعادة المستشار: «واضحا بجلاء أو غائما في خفاء.. ولعل المعنى ذاته هو الذى دفع بعد ذلك إلى توالى الغزو .. الذى يفسر تاريخ الخلافة».

أي تفسير؟! وأي خفاء؟! وأي جلاء؟!

هل الصديق كان يطلب مجدا لذاته وأحفاده؟!

إن الصديق يلقي بنفسه في المهالك طاعة لله ولرسوله لا كما ظننت أنت وظن معك الجوستاف لوبون،

إن كنت لا تدري فاقرأ ما كتبه هيكل:

قال أبو بكر لأسامة وجنده:[٢٦] استريحوا واريحوا ظهوركم ثم استخلف أسامة على المدينة ـ ونادى في رجاله الأولين بالخروج معه إلى ذى القصة.. وناشده المسلمون قائلين: ننشدك الله يا خليفة رسول الله ألا تعرض نفسك فإنك إن تُصَبْ لم يكن للناس نظام ـ ومقامك أشد على العدو فابعث رجلا فإن أصيب أمَّرْتَ آخر»، ولكن أبا بكر قال لهم: «لا والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي وخرج ومن حوله الميمنة والميسرة والساقة»[٢٦].

أرأيت كيف يُعبِّر اقدامه استجابة لأمر الله وطاعة لرسوله ولا يستجيب لما يدعوه اليه الصحابة الأولون بأن يبقى في المدينة ويؤمر على الجيش غيره.

كم من العمر بقى بعد هذا

ولما استخلف من بعده عمر قال: وددت لو أن بيني وبين الفرس جبلا من نار فلا يصلون إلي ولا أصل اليهم».

حروب تفرض على دولة

أين هو ذلك المعنى الواضح في جلاء أو الغائم في خفاء لدى الصديق أو لدى عمر.

ونسأل المستشار: هل سار الصديق على سياسة غير التى رسمها رسول الله {صلى الله عليه وسلم}

أليست بعثة أسامة هي التى جهزها رسول الله وأمر بها؟

أليس الرسول هو الذى ولى الأمراء في أنحاء الدولة الإسلامية المختلفة وأمرهم بأن يأخذوا الزكاة من الأغنياء ويردوها على الفقراء.

ماذا ينتظر من حاكم دولة أعلنت طوائف فيها العصيان وتكتلت وقوى موقفها روح التمرد في بقية أنحاء الدولة.

أين هو ذلك المعنى الذى كان لدى الصديق والذى حرص فيه على أن تشهر السيوف لحسم قضية الصدقة، حتى لا توجه إلى الخلافة نفسها. وأي صدقة تلك يا رجل؟

يقول العشماوي:[٢٧] «وقد غضب أبو بكر من موقف رجال هذه القبائل (أسد وغطفان وطيء) وأبى الا محاربتهم حتى يدفعوا له الصدقة (يصف العشماوى الصدقة بقوله الآتى بين قوسين «الإتاوة أو الجزية») ونلاحظ أنه لا يذكرها باسم الزكاة وإنما يذكرها دائما باسم الصدقة لحاجة في نفسه ـ المهم نتابع بقية قول العشماوي:

«وأبى إلا محاربتهم حتى يدفعوا له الصدقة (الإتاوة أو الجزية) عن يد وهم صاغرون».

ونسأل العشماوي:

هل الزكاة أتاوة؟ ـ أو هل هي جزية ـ يدفعها المسلمون عن يد وهم صاغرون؟!

عموما نتابع ذكر أقوال العشماوي التى تكشف عن تعصبه الأعمى وتبرز سوءاته حيث يأتى بجزء من الحوار الذى دار بين أبى بكر وعمر في هذا الموقف ويصيغه على هواه وفق تعصبه الأعمى على النحو الأتي:

«ثم قال أبو بكر لعمر ينتهره: أجبّار في الجاهلية خوار في الاسلام».

ويعلق العشماوي على هذه العبارة بنص قوله الآتي:

«يريد بذلك أن يصفه بالخور إذ جادله في رأيه

ويحمسه على الانضمام إليه» ويتابع العشماوى تعليقه بقوله: حيث يضيف لتعليقه الخاطىء السابق تعليقا آخر ويقفز من قول إلى قول فيقول: «وعمر آنذاك لم يكن حديث عهد بالإسلام حتى يقارن موقفه ذاك بموقف قريب في الجاهلية ذلك أنه أسلم والنبي في مكة، وكان من أسباب نصرة الاسلام حتى قيل إن اسلامه كان فتحا ـ وظل مع النبي والمؤمنين طوال عهد المدينة (عشر سنوات) لم يظهر عليه فيها ضعف أو يبدو خور، لكن حديث ابي بكر كان أسلوبا جديدا يتهم فيه الرئيس أو الخليفة أى معاون له أو وزير أو مشير بالضعف والخور إن لم يوافقه على رأيه وينصاع لأى قرار يتخذه»، ثم يقول: «وقد أتى الأسلوب أكله وأنتج ثمره إذ وافق عمر أبا بكر على حروب الصدقة ـ ربما ليدفع عن نفسه تهمة الضعف والخور».

يقول العشماوى: «إن حروب الصدقة التى أعلنها أبو بكر الصديق وانتصر فيها رأيه وعمله تعد منحنى خطيرا في الخلافة منذ بدأت ومنعطفا شديدا غيَّرها فور نشوئها ومنقلبا سيئا انحدرت إليه عبر تاريخها ذلك أنه أدى إلى نتائج بعيدة المدى شديدة الأثر شاملة المعانى».

ثم يأخذ المستشار بعد قوله هذا في ذكر هذه النتائج فيقول:

فلقد شرَّعت حق الخلفاء في اغتصاب الحقوق الخاصة بالنبي والتي لا يجوز أن تنتقل منه الى غيره، سواء أكان قريباً له أو غير قريب، خليفة أو ملكا أو اميرا أو رئيسا.

فمنذ خلط أبو بكر بين حقوق النبي الخاصة به وحده كالحق في اقتضاء صدقة من المؤمنين، وبين حقوقه هو كخليفة للمسلمين ورئيسا لجماعتهم اضطرب الحاجز بين ما للنبي وما للناس واهتز الحاجب بين حقوق النبوة وحقوق الرؤساء وصار الخلفاء يغتصبون حقوق النبي.

لنتأمل أقوال العشماوي السابقة:

يرى العشماوى أن حروب الردة التى انتصر فيها أبو بكر برأيه وعمله تعد منحنى خطيرا في الخلافة ومنقلبا سيئا انحدرت إليه الخلافة عبر تاريخها ـ ولنتأمل هنا جرأة العشماوي في حق الصديق أنه يرى أيضا أن أبا بكر خلط بين حقوق النبي الخاصة به وحده مثل أخذه الزكاة من المؤمنين وحقه كخليفة وأن أبا بكر فتح الباب للخلفاء من بعده لاغتصاب حقوق النبي ألا يعرف العشماوي مكانة الصديق في القرآن وعند النبي وعند عامة المسلمين وخاصتهم؟!! بم يسمى القارىء مثل هذا؟! العشماوي يتحدث عن الصديق الذي لازم النبي وهو ينزل عليه الوحي واقتدى به والذى وصف بأنه أول المتبعين والذي جاء ذكره في القرآن الكريم بقوله تعالى: {والذي جاء بالصدق وصدق به}.

يصفه بأنه خلط في فهمه للقرآن ولمنهج الرسول وأنه أخطأ ـ تأمل عظمة العشماوي جعلت الصديق يخلط ويخطىء !! يا للعظمة.

العشماوي على حق وانه يصوب لأبي بكر خطأه!! والصديق لا مانع عنده أن يسمع مثل هذا الكلام من العشماوي ولمن هو أكثر عداوة له من العشماوي!! ولكن على العشماوي أن يجيب.

ماذا كان على أبي بكر أن يصنع مع الولاة الذين بعث بهم الرسول إلى الأقاليم وطلب منهم أن يجمعوا الزكاة من أغنيائهم ويردوها على فقرائهم؟

وماذا كان ويجب على الصديق إزاء بعثة أسامة ـ وماذا كان يجب على الصديق إزاء أمة الإسلام التى تكونت دولتها وتوحدت كلمتها ـ وهل أنت يا عشماوي ترى رأيا غير الذى اجمعت عليه أمة الاسلام يوم بايعت الصديق وتلقى الخلافة والبيعة بيمينه من أيمانهم.

إن ما رواه أبو رجاء الحيوي

حيث يقول: دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلا يقبل رأس رجل ويقول له: أنا فداؤك ولولا أنت لهلكنا.



قلت من المقبِّل؟ ومن المقبَّل.

قالوا: هو عمر يقبل رأس أبي بكر في قتال أهل الردة - إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين.

ويعلق عباس العقاد على ما رواه أبو رجاء الحيوي بقوله:

«وأبو رجاء من ثقات الرواة - وكلا الرجلين جدير بما روى عنه من مودة واكبار[٢٨].

ثم يضيف العقاد بعد ذلك:

«ولقد شاء القدر أن يكون أبو بكر بطل الاسلام في حرب الردة غير مدافع، فهو فيها صاحب الشرف الأول بين ذوي الرأى وذوي العمل في تلك الحروب. وكأنما عمر قد وضع بشفتيه شفاه المسلمين جميعا على ذلك الرأس الجليل يوم انحنى عليه بالتكريم والتقبيل»[٢٩].

الهوامش:

(١) سورة التوبة آية ١٠٣ - ٩/١٠٣

(٢) عبقرية الصديق ص ١٢٥.

(٣) انظر على سبيل التمثيل في سورة التوبة آيات ٥ ، ١١، ١٨، ٧١ وفي سورة الكهف آية ٨١ - وفي سورة مريم آيام ١٣، ٣١، ٥٥، وفي سورة الأنبياء ٧٣ وفي سورة الحج آيات ٤١، ٧٨، وفي سورة المؤمنون آية ٤، وفي سورة النور آيات ٣٧، ٥٦، وفي سورة النمل آية ٣، وفي سورة الروم آية ٣٩، وفي سورة لقمان آية ٤، وفي سورة الأحزاب آية ٢٣، وفي فصلت آية ٧، وفي سورة المجادلة آية ١٣، وفي سورة المزمل آية ٢٠.، وفي سورة البينة آية ٥، ... الخ

(٤) الشيخان لطه حسين من ص ٨٦.

(٥) نبدي هنا ملاحظة على عبارة طه حسين هذه وهى أن الرسول بعث للناس كافة بشيرا ونذيرا داخل الجزيرة وخارجها.

(٦) لم تُجْبَ الزكاة في الاسلام نتيجة القهر أو الخوف من البطش وإنما نتيجة لرسوخ الإيمان الذى تنبثق عنه العبادات التي تربي السلوك.

(٧) طه حسين/ الشيخان ص ٨١/ ٨٢.

لنا ملاحظات على بعض أقوال لطه حسين هنا ولكن موقفه في عمومه فيه تبيين وتبرير وفيه ما يمكن أن يرد عشماوي إلى صوابه.

(٨) طه حسين: الشيخان ص ص ٨٣، ٨٤.

(٩) عبارة طليحة نذكر بها المستشار: (نبي من الحليفين أسد وغطفان أحب الينا من نبي من قريش).

(١٠) أسد الغابة - والبداية والنهاية لابن كثير ، وسيرة ابن هشام.

(١١) الدكتور محمد حسين هيكل: الصديق أبو بكر ص ٩٥.

(١٢) هيكل السابق ص ٩٧.

(١٣) هيكل السابق ص ٩٨.

(١٤) هيكل السابق ص ٩٩.

(١٥) هيكل السابق ص ١٠١.

(١٦) هيكل السابق ص ١٠١.

(١٧) هيكل السابق ص ١٠٣.

(١٨) محمد سعيد عشماوي: الخلافة الاسلامية ص ١٠٥.

(١٩) العقاد: عبقرية الصديق ص ١١٨.

(٢٠) العقاد: عبقرية الصديق ص ١١٢ وما بعدها... وانظر الصديق والدولة الإسلامية من ص ١١٢.

(٢١) العقاد: السابق ص ١١٧.

(٢٢) العقاد: السابق ص ١١٨.

(٢٣) العقاد: (السابق) ص ١١٥.

(٢٤) هيكل: الصديق أبو بكر ص ٩٩.

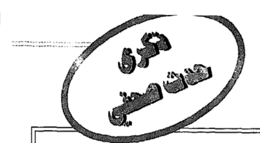
(٢٥) هيكل: الصديق أبو بكر ص ٩٩.

(٢٦) هيكل: السابق ص ١٠١.

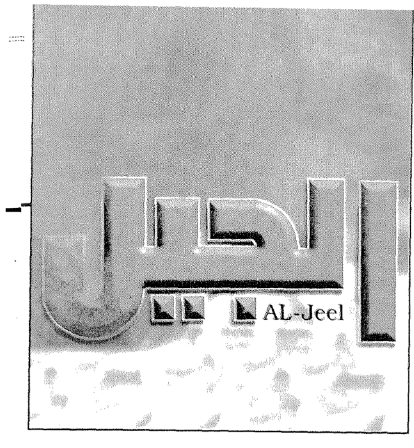
(٢٧) الخلافة الاسلامية ص ص ١٠٢، ١٠٣.

(٢٨) عباس العقاد ، عبقرية الصديق ص ١٣٦ واقرأ من ص ١٢٢ وما بعدها.

(٢٩) المرجع السابق.



هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامة، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، .. وهي أسطر معدودة تبقى في الذاكرة خصبة معطاءة أبداً.
ودور الصحافة لا يخفى على ذي بصيرة، وهو دور هام جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول الصحافة الى العالم العربي ساهمت في تبصير شعوبه بأمور لم يكن يتسنى لهم أن يعرفوها.
ونظرا للدور البناء والمؤثر الذى تقوم به الصحافة في المجالات المختلفة لخدمة المجتمع، وإضاءة الطريق أمام هذا المجتمع للارتقاء والتحضر - فقد حرصت حكومة خادم الحرمين الشريفين الرشيدة على مؤازرة ومساندة الصحافة في المملكة العربية السعودية وتقديم الدعم السخي لها لاستحداث آلاتها والسير مع التقدم التقني العالمي خطوة بخطوة. وذلك تدعيماً لدور هذه الصحافة في تنمية المجتمع وازدهاره.
وفي هذا الباب ستلقي المنهل شهريا الضوء على مطبوعة سعودية أو عربية .. متتبعة نشأتها وتطورها.



في مثل هذا الشهر «جمادى الأولى» من العام ١٤٠٣هـ - صدر العدد الأول من الزميلة مجلة الجيل - وهي مجلة نصف شهرية تصدرها الرئاسة العامة لرعاية الشباب وتعنى بالثقافة والرياضة والفنون - وتلقي الضوء على ما تقدمه هذه المؤسسة الشبابية من دعم ومساندة في المجالات التي تهم أبناءنا الشباب في كل مناحي حياتهم.

التأسيس:

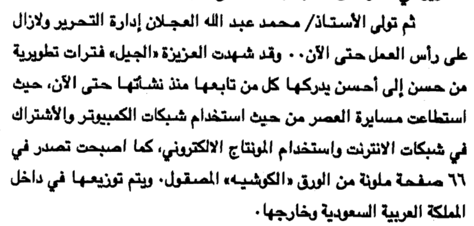
صدرت «الجيل» في بداياتها على شكل ملحق بحجم «التابلويد» في ١٦ صفحة - في المناسبات الرياضية التى ترعاها الرئاسة العامة لرعاية الشباب - وبعد فترة أصبح هذا الملحق يصدر بشكل دوري يوم الأحد من كل أسبوع واستمر كذلك حتى اوائل عام ١٤٠٣هـ - وكان رئيس تحريرها المرحوم/ على آل على - مدير ادارة الاعلام والنشر بالرئاسة العامة لرعاية الشباب آنذاك - ومن بعده تولى رئاسة التحرير الأستاذ/ منصور عبد العزيز الحضيري - مدير ادارة الاعلام

مجلة الجيل .. ومسيرة التطور

والنشر بالرئاسة العامة لرعاية الشباب ـ حاليا ـ وفي عهده استمرت «الجيل» في الصدور أسبوعيا حتى العدد (٣٣٤) في ١٤٠٢/٩/١٣هـ وهو آخر عدد في الأصدار الأسبوعي.

بعد ذلك التاريخ توقف الأصدار لمدة ثمانية شهور.

ولما كان هذا الملحق قد صادف نجاحا وقبولا مشجعا فقد رأى المسئولون إصدار المجلة (الأم) بدلا من الملحق ـ وفعلا صدر العدد الأول منها في مثل هذا الشهر جمادى الأولى ١٤٠٣هـ وكان رئيس تحريرها فى ذلك الوقت الأستاذ/ منصور عبد العزيز الخضيري.. بعد ذلك أسندت



ادارتها العامة إلى الأستاذ/ محمد بن احمد الشدى ـ الذي عيّن الأستاذ/ عبد الله محمد الشهيل رئيسا للتحرير، وقد استمر الأستاذ الشهيل في منصبه لمدة أربع سنوات تقريبا ثم تولى الأستاذ/ سليمان العقيلي إدارة التحرير في الفترة من ١٤١٢/٥/٢٥ حتى ١٤١٧/٨/١هـ.

ثم تولى الأستاذ/ محمد عبد الله العجلان إدارة التحرير ولازال على رأس العمل حتى الآن.. وقد شهدت العزيزة «الجيل» فترات تطويرية من حسن إلى أحسن يدركها كل من تابعها منذ نشأتها حتى الآن، حيث استطاعت مسايرة العصر من حيث استخدام شبكات الكمبيوتر والأشتراك في شبكات الانترنت واستخدام المونتاج الالكتروني، كما اصبحت تصدر في ٦٦ صفحة ملونة من الورق «الكوشيه» المصقول. ويتم توزيعها في داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ومجلة المنهل إذ تنتهز مناسبة مرور ستة عشر عاما على صدور أول عدد من الزميلة مجلة «الجيل» لترجو لها ولمنسوبيها دوام التقدم والرقي.

إعداد: يعقوب السيد حسنين

ـ محمد بن احمد الشدى
المدير العام



ـ عبد الله محمد الشهيل
رئيس التحرير السابق



ـ محمد عبد الله العجلان
مدير الادارة مدير التحرير



أمّاه

شعر : عمار صبيح التميمي
- ليبيا -

إلى والدتي الغالية وعالمي الصغير ..

أمّي يـا بحـــــرا أزرق فـي عَيْنَيْ ريَّانْ
يا نبض نُجُوم خلف سحـابات الـوديانْ
عـيناكِ الدفْء أحـسـهـمـا دنيـا وأمـانْ
عـيناك البلسمُ يمسح عن قلبي الأحـزان
يا نور المغـرب قـبِّل أزهار البـسـتـان
يَنْدَى فـيـبعـثـر أطيـافـاً فـوق الشُطآن
وينوِّبُ في ليل الدُّنيـا بعض النسـيـانْ

* * *

الـلـيـل يُدثِّرني بـظـلام كـاد يـذُوبْ
يتـوسـدُ قلبـاً مُغـتـرباً مـا بين دُرُوبْ
وأتت كـفـاك الناعـمـتـان كطعم حليبْ
يمسـحن الليل الأزرق عن نبـضـات غـريبْ
كي تزرع حُلمـا قـدسـيـا مـا بين قلُوبْ
وتنوب في ليل الدُنيـا بعض النسـيـانْ

* * *

يتـمـادى مُوجُ البـحـر اذا هزته رياح
فـيـثـورُ كـمـا ثارت نفسي عن حـرٍّ جـراح
فـاذا بِسنّا وجـهك حلوا كـزهُور أقـاح
يلقي بيـديه إلى ليل سـاه مـرتـاح
ويطهـرُ نفـسـا من دنس الموت السـفـاح
وينوب في ليل الدُنيـا بعض النسـيـانْ

١١١

جوارمح ابنتي

بحث عن أهمية عمل المرأة فى بيتها



رسالة من بديع الزمان .. الى السيدة الجميلة

العيش بالمقلوب

بين الكتابة والقاريء

أوراق زوجية

هن

مجلة شعرية ذات أداء متخصص تخاطب عقل المرأة ووجدانها

العيش بالمقلوب

بقلم: د. زهراء محمد سعيد محمد
ـ الاردن ـ

يلاحظ على الكثير من البلدان النامية ـ والدول العربية منها ـ التباس الرؤيا سواء في تحديد مفهوم العلم والتكنولوجيا أو في كيفية وضع مثل هذه السياسات موضع التنفيذ السليم، فكثيرا ما تفهم وبشكل خاص التكنولوجيا بانها المرادف للتكنيك في حين أن التكنولوجيا تمثل: نسقاً من الصيغ المستخدمة كوسائل في انشطة الانسان المتعددة والتي تنطوي على خبرات العمل في المجتمع. بينما يعني التكنيك «المعرفة المتجسدة في الواقع المادي لتحقيق غايات معينة»، فهو اذن يمثل، «الاسلوب المتبع لاستخدام القوة الانتاجية الكامنة في التكنولوجيا»، وبذا يعكس قوة الانسان الاجتماعية والتي يمثل العلم احد المقومات العامة لهذه القوة (AL - ABDUL RAHMAN,I).

وعليه فإن توجه العلم والتكنولوجيا يجب أن يكون للانسان وأن يسخر لخدمته ورفاهه لانهما ثمرة من ثمار جهوده، ومن هنا يتضح مبدأ التلازم، أي تلك العلاقة الوثيقة ما بين العلم والعلاقات الانتاجية والاجتماعية لكل مجتمع من المجتمعات، والسؤال الذي يجب أن يوجه باستمرار هو: لمصلحة من يستخدم العلم والتكنولوجيا؟ وللأجابة على هذا السؤال نقول إن العلم والتكنولوجيا هما مسخران لخدمة الانسانية ولتعميق «انسانية الانسان» لأن الانسان هو الغاية العظمى لكل التطورات الاجتماعية وعلى العكس من ذلك تكون الخسارة الكبرى اذا ما سخر العلم والتكنولوجيا لمصلحة فئة معينة في مجتمع معين لخدمة اهدافها واغراضها الربحية فقط.

لذا يخطىء الكثيرون وفي مقدمتهم ما يسمى بفئة التكنوقراط الحديث اعتبار العلم والتكنولوجيا ظاهرة مطلقة معزولة عن الانسان وبالتالي عن المجتمع والعلاقات الانتاجية السائدة فيه، فحصر هذا المفهوم ضمن المختبرات واعمال البحث والتطوير، دون نظرة شمولية للبعد الاجتماعي ـ الانساني لهما لن يؤدي بالتالي الى تحقيق الاهداف الاجتماعية والانسانية التي سخرا لخدمتها. فالعلم والتكنولوجيا موجودة في كل مكان، في الارض ـ والفضاء ـ والعلم الى جانب كونه نظام متكامل في المعرفة النظرية عن الحقيقة الموضوعية، هو في الوقت نفسه نظام للتصرف والنشاط الانساني الذي يعتبر الاسلوب المنهجي الجدلي من مقوماته الاساسية، وبذا يفترض في الانسان ليست المعرفة والعلم فقط بل كيفية نقل وتطبيق هذه المعرفة والعلم بشكل يتفق ومتطلباته حيثما وجد (AL-ABDUL RAHMAN,2).

في هذا البحث نقوم بعرض واحدة من اغرب واطول التجارب الارضية التي خاضها الانسان مضحيا في سبيل تعزيز انسانيته الى جوار خدمة



العلم والتكنولوجيا عندما يطلب منه غزو الفضاء عابرا قارات النجوم ولفترات طويلة تحت حالة انعدام الوزن ليقدم نفسه تحت مجهر الفحص والتحليل الفسيولوجي وتحت انامل التنقيب النفسي في محاولة لدراسة التاثيرات الفسيولوجية والنفسية التي تحدث لرواد الفضاء عند تعرضهم لشهور عديدة - ولربما سنوات - لحالة انعدام الوزن والحالات الاخرى التي تحدث خارج غلاف الكرة الارضية.

أول تجربة من نوعها في التاريخ:

جرت بنجاح في معهد الدراسات الطبية البايولوجية في روسيا أول تجربة من نوعها في التاريخ - تاريخ طب رواد الفضاء - وذلك لدراسة التاثيرات الفسيولوجية والنفسية التي تحدث لرواد الفضاء عند تعرضهم لفترات طويلة تحت حالة انعدام الوزن.

فلقد تطوع عشرة اشخاص لهذه التجربة وعاشوا (٣٧٠ يوما) في وضع مقلوب تماما، فكانوا يتناولون الطعام ويغتسلون ويمارسون الرياضة مضطجعين. إن دقة التجربة العلمية لم تسمح لهم بالجلوس فحسب، بل برفع رؤوسهم ايضا، اضف الى ذلك، أن الأسرّة في مختبرات المعهد كانت معدة بطريقة تكون فيها منطقة الرأس اقل انخفاضا من منطقة الارجل بخمس درجات. لقد هيئت جميع الاجواء المشابهة للاجواء التي يعيشها - ويمكن أن يعيشها - رواد الفضاء في اثناء الرحلات الفضائية لمعرفة بعض التأثيرات الفسيولوجية التي تحدث لرواد الفضاء عند تعرضهم لحالات من انعدام الوزن خلال رحلاتهم الطويلة عبر الفضاء. كما اجريت هذه التجربة بعد أن تطوع هؤلاء الاشخاص بعد ان قرروا أن يضحوا براحتهم وصحتهم وربما بحياتهم من اجل اولئك الذين سيعملون

في محطات الفضاء سنين طويلة ويقودون مركباتهم من كوكب الى آخر.

فعلى رغم جميع الدراسات التي اجريت من خلال الرحلات المعقدة لرواد الفضاء - سواء الروس أو الاميركان - لم يتوصل العلماء على نحو كامل الى تأثير انعدام الوزن في اعضاء الانسان وفي نفسيته.

لقد وضعت هذه التجربة ايضا لاجل الناس العاديين الذين لا ينوون مغادرة الارض الى كوكب آخَر ابدا.

إن أكثر الأطباء خبرة لا يستطيع أن يحدد أن هذه الاعراض أو تلك يمكن أن تعد علامة للمرحلة القادمة عند تفاقم المرض، وبفضل هؤلاء المتطوعين امكن التوصل الى معرفة هذه الحالة نسبيا.

وُزِّع المتطوعون على مجموعتين: الأولى خضعت للتجربة منذ اللحظات الأولى إذ بدأ متطوعوها يمارسون تمرينات رواد الفضاء جميعها، ثم حقنوا بالعقاقير التي تساعد في تنظيم العمليات الداخلية لأجسام رواد الفضاء مثل كمية الكالسيوم في العظام وما شابه ذلك.

أما المجموعة الثانية فقد خضع متطوعوها للتجربة بعد مرور (١٢٠) يوما من الراحة التامة. لقد ظهر تأثير السكون المطلق قبل كل شيء في القلب وفي نشاط تكوين الخلايا، إذ أن عدم الحركة يؤدي الى ليونة الهيكل العظمي ونقص الكالسيوم في العظام. ونقص المناعة في الجسم وأية نزلة برد يمكن أن تؤدي الى نتائج وخيمة لذا تطلب من المتطوعين الالتزام والضبط العاليين في اثناء التجربة، ورغم كل هذه الاجراءات فقد اصيب بعضهم بالتهاب الاغشية المخاطية وبعضهم الآخر بآلام عند الخروج وأصيب آخرون بآلام في الاسنان ومنهم من اصيب نزلة برد بسيطة.

وبعد مرور الاشهر الاربعة الأولى فُحصت المجموعتان فحصا دقيقا وشمل الفحص القلب وجهاز التنفس وحركة الاعصاب والعظام والمفاصل وأدى هذا الى معرفة تأثير انعدام الوزن فيهم لهذه الفترة بواسطة جهاز الجذب وكانت النتيجة: أن اعضاء المجموعة الثانية لم يستطيعوا مجارات رفاقهم في المجموعة الأولى الذين كانوا يمارسون انشطتهم بفاعلية اكبر وفي الاشهر الاربعة اللاحقة كان الجميع يعملون على حد سواء ثم تغير برنامج المجموعتين فيما بعد.

هذا ولقد ذكر احد المختصين بعلم النفس عن هذه التجربة انه يجب التنويه على أن عدد الذين خاضوا هذه التجربة في البداية كان عشرة اشخاص ولكن بعد مرور اربعة اشهر تعرض احدهم لوعكة صحية حادة فقد كان هذا المتطوع شديد الحساسية إذ كان الجو غير الاعتيادي قد اثر فيه داخليا مما اضطره الى التخلي عن التجربة. وبهذا الصدد وُجِّهَ سؤال الى جميع الاشخاص الخاضعين للتجربة: هل تود الجلوس؟ هل ترغب في انزال رجلك الى الأرض؟.

فكان جواب الجميع الرفض، علما أن اي واحد منهم كان يستطيع أن يتخلى عن التجربة دون أن يكون لذلك اي تأثير فيه. لقد كان هؤلاء جميعا يدركون جيدا انهم يقومون بواجب انساني غير اعتيادي.

أحد المتطوعين كان اسمه (غارين) ولقد ذكر انه يمارس هذه التجربة ثالث مرة وهو يقوم بجميع الانشطة وهو في الحالة الافقية، كما يحاول ممارسة



الركض وهو ممدد بتحريك رجليه بتوازن وفق نظام محكم من الاحزمة الجلدية ويتصبب العرق منه من شدة الاجهاد. وذكر انه استطاع حتى الآن أن يركض مسافة (٢٠٠٠) كم.

كانت الاشهر الأولى على بعضهم صعبة جداً، وبدأ آخرون يعانون في منتصف المدة، بل أن قسما منهم بلغ ذروة المعاناة في الأيام الاخيرة وها هي التجربة تقترب من نهايتها لتنظر فيما وراءها الى النتائج.

يقول احد المشرفين على التجربة أن المرحلة القادمة بعد التجربة هي مرحلة رد الاعتبار وهي جزء مهم من التجربة وحتى بعد عام من التجربة يجب مراقبة الحالة الصحية للذين خضعوا للتجربة من المتطوعين التسعة.. ولكننا نستطيع القول أن الهدف الرئيسى من التجربة قد تحقق بنجاح وقد هيئت وانجزت وسائل وقائية وحيوية جدا لرواد الفضاء بما في ذلك بعض العقاقير التي تساعد جسم الانسان في اداء وظائفه عند التعرض لانعدام الوزن على مدى فترات طويلة وللحفاظ على الاداء العالي لجميع وظائف جسم الإنسان.

الهوامش:

(١) التكنولوجيا وافاق المستقبل- الجزء الثاني- للباحث الدكتور سالم آل عبد الرحمن ، قيد النشر.

(٢) حاجات العلم ومستلزمات التكنولوجيا: نظرات لتقويم تجربة العرب العلمية في القرن العشرين ، أ.د. سالم آل عبد الرحمن ص ١٨، جـ ٢ (دراسات قيد النشر).



بين الكتابة والقارىء

ما الذي يشدنا الى القراءة لكاتب دون آخر؟

ما الذي يغرس فينا الرغبة ويدفعنا الى معرفة نتاج قلمه وفيض احساسه وخلاصة فكره؟.

لماذا يا ترى نجد في انفسنا هذا التجاوب وهذا التفاعل بيننا وبين بعض الكتاب؟ وتفقد هذا كله تجاه كتَّاب آخرين؟.

أترانا وجدنا عنده بوح نفوسنا الصامتة وانعكاس مشاعرنا المكبوتة، والتعبير عن آرائنا الكامنة؟! ربما لعدة عوامل لا نقدر على ابراز هذا الصراع مهما تكن مواضيعه ودوافعه.

نحن لا نقدر على إبراز مشاعرنا، احساسنا، معاناتنا، وجهة نظرنا في أمور كثيرة شاملة تشملنا كبشر، كأفراد على اختلاف طبقاتنا الإجتماعية وانتماءاتنا الفكرية والمادية.. هذا الصراع قد تجمده ظروف الحياة وقد نؤخره دائماً الى مراتب بعيدة من الإهمال والتجاهل لعدة أسباب كثيرة مختلفة تخص كلا منا ولكنها موجودة.

ثم تسكن النفس الثائرة عندما تجد من يعبر عن انفعالاتها.. وتجفف دموعنا عندما تبكي دموع أخرى بأحزاننا.. وتغرد بلابل صداحة بأفراحنا، كأن ذلك كله إجابة لرغبة تطلب بإلحاح جناحاً تحلق به.. وسماء تنطلق الى رحابها مشاعرنا المكبلة بملل الزمن وضغط المسؤوليات.

لا شك أن نجاح الكاتب في جذب القراء إليه هو إيضاح جلي بأنه قد بنى جسراً قوياً بينه وبينهم وابتدع هذا التواصل الناجح عبر المسافات وعلى اختلاف المستويات.. إنه كمحاضر ناجح، قاعة درسه لا تحدها امتار معدودة ولا تقتصر على فئة معينة من المتلقين بل هي مساحات هائلة تربطه بهم.. قلوب مفعمة بالمشاعر ونفوس تنبض بالكلمات التى كتبها هو من نبضهم وانعكاس اكثر إشراقاً لإحساسهم ووجدانهم.

لا يكتب كل من أهّل للكتابة والتواصل الفكري ولقاء الناس فكرياً.. لا يكتب برفاهية أيا كانت مظاهرها تبعده عن واقع يعيشه أغلبية الناس واقع معتدل في كل شيء له همومه ومطالبه وأفراحه.. لا يكتب لهم مثلا عن مظاهر التفوق الموسيقي لسيمفونية ما، لعازف ما،.. وهم في أشد الحاجة لمن يعبر عن احتياجاتهم اليومية،

بقلم : هند احمد هرساني
- جدة -

ومعاناتهم الإنسانية في مظاهر شتى ومواضع كثيرة.

لا يحدثهم بعض الكتاب عن مظاهر المثالية الموجودة في المجتمع ونحن نجابه مشاكل تعصف بشبابنا يجب ان نتحد جميعاً لمواجهتها وعدم تجاهلها.. مواجهتها أولا والإعتراف بوجودها ثانياً، ولا نستبعد مثالية نادرة يختص بها مجتمعنا من التلوث بتيارها القذر فنحن بشر والأخطار والمشاكل تصلنا الى هنا نتيجة اتصالاتنا عبر وسائل شتى بالعالم بسلبياته وايجابياته.. لا نخادع انفسنا وندللها بأننا بعيدون عن هذا الداء.. إننا بهذا نغالط أنفسنا ونهزأ بها.. بل نضع مشاكلنا مهما تكن في تنوعها وعمقها تحت «مشرط» الجراح.. قد يكون العلاج دموياً ومؤلماً ولكنه يصل الى الداء ليخلصنا منه بإذن الله تعالى كحل جذري وحاسم.

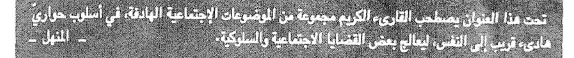
إذا: فلتكن الكتابة اللقاء بين القارئ والكاتب لقاء حقيقياً لا ينتهي بإغلاق وطي الصحيفة أو الكتاب.. واستخدامه في مهمات منزلية أخرى.

بل هو لقاء يثمر عن التفاعل والتجاوب في النهاية والعمل الإيجابي ثمرة مرجوة لكل كاتب يأمل من قرائه ايجاد الخطوة الفعلية في الإنجاز.. في إجلاء ما يمكن عمله وما هو مطلوب أداؤه.. وترجمة دقيقة لافكاره النزيهة التي تنشد صالح المجموع وصلاح المجتمع.. يا ليتنا نجد فيما نكتب ونقرأ التحام الفكر بين الكاتب والقارىء والعمل بعد ذلك بشكل مادي ومحسوس على بث الحياة في مبادىء سامية وقوية ننتفع بها جميعاً كأفراد مجتمع واحد متبادل التأثير.. فالفكر ليس رفاهية والكتابة ليست عملا خاصاً بمستوى علمى محدد ولا بفئة لا تجد ما يشغلها غير الكتابة في الحياة لإبراز القدرة التعبيرية ويعكس ثقافاتنا فقط: إنه دعوة إرشاد ونصح وتوضيح وتفاعل مع الآخرين وبهم من أجل البناء بشكل متحضر مشرق بالرأي الواضح المستنير.

الفكر ليس رفاهية كما سبق وذكرت والكتابة ليست عملا يعكس فراغنا ورغبتنا في الكتابة والظهور.

إنه نبض ينادي نبض قلوب الآخرين ودعوة دافئة مخلصة لنفكر جميعاً كخطوة أولى للبناء وتصحيح الأخطاء ربما كلمة نكتبها بعمق وصدق واحساس وواقعية يجد القارىء انها هي ذاتها مشاعره التي اقضت مضجعه وهي دمعته التي اقلقت سكينته.

نرجو ان تكون الكتابة من أجل الآخرين هي تغريد اذا سعدوا.. ودمعة اذا حزنوا تطفىء سعير الضعف الإنساني وتواسي القلوب اليائسة.. وكلمة حق تعبر عن اختلاجات عديدة لا يخلو وجدان منها وصدى لخلجات القلوب وبلسم يداوي الجراح واساس قوي يعلو به البناء.

حوار مع ابنتي (٣)

بحث عن أهمية عمل المرأة في بيتها

قالت لي ابنتي: أتسمح لي ببعض وقتك يا أبت؟

قلت: تفضلي يا ابنتي.

قالت: عرضت علينا مدرّسة التربية الإسلامية عدة موضوعات لتختار كل طالبة موضوعاً منها تحضره في البيت.

قلت: وماذا اخترت؟

قالت: لقد اخترت موضوعاً عنوانه «عمل المرأة في بيتها لا يقل أهمية عن عمل الرجل خارج البيت».

قلت: أحسنت الاختيار يا سارة، فهو موضوع يصحح تصورات واعتقادات خاطئة ترسخت في أذهان كثير من الناس .. والنساء منهم خاصة.

قلت: أرجو أن تساعدني يا أبي في إعداده.

قلت: حباً وكرامة أيتها الغالية.

قالت: لقد زودتني المدرّسة بعدة عناصر ذكرت لي أنها يمكن أن تساعدني في إعداد البحث.

قلت: لو قرأتها عليّ يا ابنتي.

قالت: أولا: مادة عمل المرأة أجلّ من مادة عمل الرجل.

ثانيا: ثمرات عمل المرأة أثمن من ثمرات عمل الرجل.

ثالثا: عمل المرأة في بيتها آمن من عملها خارجه.

رابعاً: أجرها على عملها في بيتها أكبر من أجرها على عملها خارجه.

خامساً: أي إضافة ترينها إلى ما سبق من عناصر.

قلت: إنها عناصر اختيرت بذكاء، وهي تشمل أهم ميزات عمل المرأة في بيتها.

قالت: فيما يتعلق بالعنصر الأول يا أبي؛ كيف تكون مادة عمل المرأة أجل من مادة عمل الرجل؟

قلت: تعلمين يا ابنتي أن الرجل، إذا كان مهندساً أو عاملا فإن مادة عمله هي الحجارة والحديد والاسمنت، وإذا كان مزارعاً فمادة عمله هي البذور والتراب والماء، وإذا كان تاجراً فمادة عمله هي السلع المختلفة التي يتاجر بها، وهكذا.. بينما مادة عمل المرأة هي الأطفال الذين ترعاهم وتربيهم، ولا شك في أن الأطفال أجلّ من الحجارة والحديد والإسمنت والبذور والتراب والماء والسلع على الرغم من أهميتها وضرورتها للحياة.. لكنها تبقى دون الأطفال الذين تُعدُّ تنشئتهم وتربيتهم أجل عمل وأسمى غاية وأفضل استثمار.

قالت: وماذا يا أبي عن كون ثمرات عمل الرجل، فالمهندس يبني العمارات والمنشآت والجسور والمدن، والمزارع يساعد في توفير الغذاء، والتاجر يوفر مختلف السلع.. وهي ثمرات ذات قيمة كبيرة، لكن تبقى ثمرات عمل المرأة أكثر قيمة، وأعظم ربحاً، لأن المهندس والمزارع والتاجر والطبيب والمعلم.. إنما ينجحون في الحياة برعايتها لهم، وتنشئتها عقولهم، وتربيتها نفوسهم.

قالت: حتى عملها في بيتها له قيمة مادية، أليس كذلك يا أبي؟.

قلت: بلى يا ابنتي، لقد أصدرت الأمم المتحدة تقريراً عن القيمة الاقتصادية لعمل المرأة في البيت جاء فيه أنه لو أن نساء العالم تلقين أجوراً نظير القيام بالأعمال المنزلية لبلغ ذلك نصف الدخل القومي لكل بلد. ولو قامت الزوجات بالإضراب عن القيام بالأعمال المنزلية لعمت الفوضى العالم، سيسير الأطفال حفاة عراة في الشوارع، ويرقد الرضع في أسرّتهم جياعاً تحت وطأة البرد القارس، وستتراكم جبال من الملابس القذرة دون غسيل، ولن يكون هناك طعام للأكل ولا ماء للشرب. لو حدث هذا الإضراب؛ فسيقدر العالم أجمع القيمة الهائلة لعمل المرأة في البيت.

قالت: ألم يذكر التقرير القيمة المادية لهذه الأعمال؟

قلت: بلى يا ابنتي. لقد ذكر أن المرأة لو تقاضت أجراً لقاء القيام بأعمالها المنزلية لكان أجرها أكثر من ١٤٥٠٠ دولاراً في السنة، لأن هذا الأجر هو المطلوب دفعه لمن سيقوم بأعمال ربة البيت في المنزل.

محمد رشيد العويِّد
- الكويت -

قالت: إنه أجر ليس قليلا يا أبي.

قلت: وهو أكثر من هذا، لأن تقرير الأمم المتحدة صدر في العام الميلادي ١٩٨٥، ومنذ ذاك التاريخ زادت أثمان الأشياء والخدمات كثيراً، أي أن أجر المرأة سيكون أكبر لو حسب اليوم من جديد.

قالت: نصل يا أبت الى العنصر الثالث وهو أن عمل المرأة في بيتها آمن من عملها خارجه، فهل هذا الأمن يأتيها من ابتعادها عن المصانع وورش البناء وحوادث السيارات؟

قلت: هذا يوفر لها شيئاً من الأمن، لكن الأمن الأهم والأعظم يوفره ابتعادها عن الرجل الأجنبي عنها.

قالت: الرجل الذي يشاركها العمل؟

قلت: الذي يشاركها العمل والذي تصادفه في الطريق، وهذه هي المرأة الغربية باتت تفتقد الأمن بعد خروجها من بيتها للعمل أو لغير العمل.

قالت: هل هناك أمثلة أستفيد منها في بحثي؟

قلت: الأمثلة كثيرة يا سارة، والإحصاءات التي تؤكد ذلك تشمل معظم بلدان الغرب. في أميركا مثلا، أربعون مليون امرأة عاملة يتعرضن لمضايقات رؤسائهن فقط، فما هو يا ترى عدد من يتعرضن لمضايقات زملائهن؟

قالت: أربعون مليون امرأة في أميركا وحدها يا أبي؟

قلت: أجل، وتقول «كارن سوفينيه» مديرة قسم النصائح والإرشاد في معهد النساء العاملات بالولايات المتحدة إن ٧١٪ من النساء اللواتي اشتكين للمكتب من مضايقات رؤسائهن انتهى بهن الأمر إلى ترك العمل، فقد فُصلت منهن ٢٨٪، بينما نُقلت ٤٣٪ منهن إلى وظائف أخرى تعرضن فيها إلى قدر أكبر من المضايقات مما حملهن على الاستقالة.

قالت: إنها نسبة كبيرة يا والدي، وهي تشير إلى فقدان المرأة العاملة للأمن في مكان عملها.

قلت: هذا عدا ما تفقده من أمن وهي في طريقها إلى عملها أو عودتها منه، فقد أشارت دراسة أميركية أخرى إلى أن ٣١٪ من النساء القاطنات في المدن الكبرى يخشين من السير بمفردهن، حتى في أحيائهن، في وضح النهار. وأن كثيرات من النساء الأميركيات تعلمن الكاراتيه لحماية أنفسهن من الرجال.

قالت: يبقى العنصر الرابع يا أبي وهو أن أجرها على عملها في بيتها أكبر من أجرها على عملها خارجه.

قلت: إذا كان المقصود أجرها في الدنيا فهو كون الرجل ملزماً بالإنفاق عليها، سواء أكان زوجها أم أباها أم أخاها أم ابنها، ألا تعمل المرأة خارج بيتها لتحصل على مال تنفقه على نفسها وأولادها.. الإسلام أوجب هذه النفقة على غيرها لتتفرغ هي لرعاية زوجها وأولادها؟!

هذا عدا الأجر الذي تجده في حماية زوجها، وبر أبنائها، البر الذي شدّ فتاة أميركية فأسلمت، لأنها لم تكن تصدق أن هناك أبناء يبرون أمهاتهم ويحبونهن كما يحب الأبناء أمهاتهم في الإسلام.

قالت: وأجرها في الآخرة؟

قلت: أجر عظيم عظيم جداً يا ابنتي: جنة عرضها كعرض السماء والأرض، جنة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فإذا كانت زوجة مطيعة زوجها، محسنة رعايته وتوفير الراحة له، فإنها تكسب رضاه، فإذا كسبت رضاه دخلت الجنة، فعن مساور الحميري عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنهم جميعاً، قالت: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» رواه ابن ماجة والترمذي.

والوقائع تشهد بأن المرأة العاملة خارج بيتها، تعجز عن إرضاء زوجها، ولا تنجح فيه مثل ما تنجح المرأة المتفرغة لبيتها وزوجها وأولادها.

قالت: والمرأة الأم يشهد لها حديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «الجنة تحت أقدام الأمهات».

قلت: أجل يا ابنتي، ولكن نص الحديث ليس بالصيغة التي قلتها وشاعت بين الناس، إنما هو، كما روي عن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة جاء إلى النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: يارسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك. فقال: «هل لك من أم؟ قال: نعم. قال: فالزمها فإن الجنة تحت رجليها»، رواه النسائي في كتاب الجهاد.

قالت: لا أدري يا أبي، بعد هذا كله، كيف تؤثر المرأة العمل خارج البيت على العمل داخله؟!

قلت: على أي حال فإن الإسلام لا يحرم العمل على المرأة، والمجتمع المسلم في حاجة إلى طبيبات ومعلمات، وهؤلاء يمكن أن يكن من اللواتي لم يكتب لهن الزواج، أو تزوجن ولم يرزقن بأطفال.

قالت: لقد بات الموضوع بعناصره واضحاً يا أبي، فشكراً جزيلا لك على عونك لي، وسأكتبه وأرجو أن أنال به درجة عالية إن شاء الله.

قلت: وإني لأرجو أن يرفعك الله به درجات عنده سبحانه.

رسالة من بديع الزمان إلى السيدة الجميلة

* هو أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد.
* ولد في ١٣ جمادى الآخرة سنة ٣٥٨ هجرية.
* فارق همذان سنة ٣٨٠هـ.
* ثم ارتحل إلى جرجان وأقام بها مدة.
* ثم غادرها إلى نيسابور سنة ٣٩٢هـ.. وفيها كتب أربعمائة مقامة، جاء بها على لسان أبي الفتح الإسكندري.
* طار ذكره في الآفاق.. كما زار معظم بلاد خراسان، وسجستان وغزنة.
* ثم ألقى عصاه بهراه فاتخذها دار قراره وصاهر بها أبا علي الحسين بن محمد الخشنامي، وقد أثرى ثراء كبيراً واقتنى بفضل صهره الكثير من الضياع.
* توفي سنة ٣٩٨هـ.
* قال عنه الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر: بديع الزمان، ومعجزة همذان، ونادرة الفلك، وبكر عطارد، وفرد الدهر، وغرة العصر.. ولم نر نظيره في الذكاء وسرعة الخاطر، وشرف الطبع، وصفاء الذهن، وقوة النفس.. ولم ندرك نظيره في طُرَف النثر وملحه، وغرر النظم ونكته.

سيدتى الجميلة، أم السلسبيل:

أشكرك يا سيدتى على رسالتك الرقيقة التي بعثت بها إليَّ مع إحدى وصيفاتك تطلبين مني أمرين عجيبين لم يدر بخلدى أن يطلبهما منى إنسان، ولم يدر بخلدى أيضا أن تبعثي بها إحدى العقيلات الكريمات «بهراة»..

قلت في رسالتك: «صحيح أنا لم أقابلك من قبل لا في همذان، ولا في سجستان، ولا في جرجان، ولا نيسابور.. وكيف أستطيع يا سيدي أن ألاحقك في رحلاتك وجولاتك؟ وكيف ألاحقك يا سيدي في تقصى أخبارك التى راجت بين الخافقين؟ وقد امتزج فيها الصحيح بالزائف. حتى أصبحت كالأساطير التى يفتن بها الناس وهم في فتنتهم يخترعون الأقاصيص حول حياتك ومغامراتك ومخاطراتك.. وأنا يا سيدي لا أنشد سوى أمرين لا يهمنى سواهما ولا أتمنى غيرهما. أنشد أولا أن أعرف سيرة الحب في حياتك، ما فعل الحب بك، وما فعلته مع الحب.

أما الأمر الآخر الذي أود أن أعرفه عنك: هل أنت يا سيدي بديع الزمان، سخي بالذهب مثل سخائك بالأدب؟ أم أن هذا سبيل وذاك سبيل؟..

وأول ما أود أن أقوله لسيدتنا الجميلة أم السلسبيل:

محمد عبدالواحد حجازي
- مصر -

إن الحب هو روحي وحياتي، فأنا أعيش به وله ..
ففي إحدى رحلاتي ذهبت إلى جرجان والتقيت بأميرها أبي الحارث الفريغوني وأحسن الرجل إليّ الصنيع وقربني منه وخلطني بأهله حتى لكأنني واحد منهم وما كان أسعده حين قلت له يوما:

يا سيد الأمراء افخر فما ملك
إلا تمناك مولى واشتهاك أبا
إذا دعتك المعالي عُرْد هامتها
لم ترض كسرى ولا من قبله ذنبا
يا من يراه ملوك الأرض فوقهم
كما يرون على أبراجها الشهبا

سيدتي الجميلة أم السلسبيل:

أرجوك أرجوك أن تعتبري رسالتي هذه سراً، ما ينبغي لأحد أن يطلع عليها فتذيع وتشيع بين الناس وتكون سببا في نكبتي بين أولادي وخراب بيتي وانني لواثق أنك سوف توصين وصيفتك التي حملت إلي رسالتك الرقيقة بأن تصون أسراري ولا تجعلها أحدوثة للتفكه أو قصة للسمر والتلهي.. أول ما تعلقت، أو أول ما تفتح قلبي للحب كان لفتاة هيفاء ممشوقة القوام نضرة رائعة الحسن. ويبدو أنها كانت من بنات الترك تعيش بين وصيفات أميرنا أبي الحارث.. وأحبتني هي حبا جما، واستهامت بي في شغف عنيف.. وكانت لا تترك فرصة أزور فيها الأمير إلا اخترعت ألف وسيلة وحيلة كي تحظى بلقائي فنظل سويعات نتبادل أنغام الهوى وألحان التهيام.

لو رأيتها يا سيدتي الجميلة، وأنت خير من يقدر الجمال، لراعك حسنها وبهاؤها، ولأيقنت أنني كنت على حق حين أحببتها.. وهاك يا سيدتي صورتها وحكايتها معي:

وطفلة كقضيب البان منعطفا
إذا مشت وهلال الشهر منتقبا
تظل تنثر من أجفانها حببا
دوني وتنظم من أسنانها حببا
قالت وقد علقت نيلي تودعني
والوجد يخنقها بالدمع منسكبا

وقبل أن أغادر جرجان ذهبت ليلا إلى حيث تسكن هذه الحبيبة وقبلت جدار بيتها، وما بي حب الحيطان ولكن شغف بالقُطّان، ولا عشق الجدران ولكن شوق الى السكان.. وهكذا انتهى حبي بتلك الحسناء.

ولما ذهبت إلى نيسابور، رحب بي أميرها وأسفر وجهه عن ود وقبول .. وسكنت قريبا من قصره.. وكان يطيب لي أن أخلو بنفسي أتذكر أيام طفولتي الأولى وأنا في همذان بين والديّ وأهلي ولداتي ممن كانوا يلهون معي.. وذات ليلة تهادى إلى سمعي غناء عذب رقيق هائم في هواه متيم بعشق أضناه.. كانت معانيه ترمز إلى حب يؤرق صاحبه. وفجأة حدث ما أدهشني - فتحت صاحبة الصوت باب مسكنها وخرجت لتقف بضع لحظات تحت شجرة ياسمين عتيقة تجود بأزاهيرها بين الحين والحين.. ثم خطت بضع خطوات وهي تميس دلالا وكأنها كانت تقول: أنا الهوى .. أنا الحب .. أنا الدنيا .. وأمام هذا المشهد الأسطوري لم أملك إلا أن أتغنى بحبي وشوقي إليها. فأسمعتها علها تلتفت إليّ وتنحو نحوي فيكون اللقاء الذى أتمناه والحب الذى أتوق إليه، فقلت:

طربا فقد رق الظلا
م ورق أنفاس الصباح
وسرى إلى القلب العليـ
ـل عليل أنفاس الرياح

وملـيـــــــحـــــــة ترنو بـنـر
جـــســـة وتبـيــسـم عن أقـــاح
قـــــامت وقــــــد بـرد الحـ
ـلـيُّ تميس فـي ثنى الوشـــــاح
تشـــــدو وكل غـنـائـهـــــا
برد على كــبـــد افـــتــــراحى
يا لـيل هـل لك مـن صـــبـــاح
أم هــل لـنـجـــــمـك من بـراح
طـربـا فــــــــلا يـد لـلـوُا
حي والصـبـــا خـضـر النواحى
ســأريق مـــاء شـبـــيــبـتي
مـــــا بين ريحـــــان وراح

وقــد خــيّل إليّ - أو ربما اقــتـنعت - أن هـذه الحسناء تهوى الحب وتعشقه، وتهوى تعذيب من يقع في هواها. فقـد تواعدنا وتواصلنا وذهبت معـهـا الليالي إلى حيث المراح حتى الصباح. ومع هذا فقد كنت استغرب منها غرامها الشديد بمماطلتي في الوعود وإخلافي في المواعيد.. فكنت أسهر الليالي المتصلة عسـاها تجود بلقـاء تحت شجـيـرات الياسمين. وصرت أقاسي عذابا ليس عليه قدرة أو احتمال. وصادفتها يوما وهي خارجة لبعض شأنها فقلت لها: حبيبتي، إلى متى هذا الدلال المعذب؟ أليست لك وعود أو عهود؟ أي أستاذ هذا الذي علمك دهاء الحب ومكر الهوى؟

كــوى فــؤادي وشــوى قلبي ومـر
علم أجـفــاني إدمــان الســهــر
جـــارة بيـــتنا ابوك لو قــــدر
سيـم فـؤادى منه خسـفــا وضـرر

سيدتي الجميلة، أم السلسبيل:

لا أخـفي عليك أننى عـشـقت جـارتي الحـسـناء فشغلت بها وهمت في حسنها ورضيت بقسوة دلالها وكـأنه الصـهـبـاء التي تزين لشـاربـهـا حـلاوة الدنيا وزخرفها فتنسيه تبعاتها وأثقالها.. وحدث أن كنت في زيارة مولانا أمير نيسابور - وفي حضرته تحلو الكؤوس - فقلت - والأمير ينصت إلي مستملحاً بهجا:

اســـقـنيــــهـــا والأمـــا
ني لهــــا عــــرف يبـــوح
إن فــي الأيـام أســــــرا
راً بهــــا ســــوف تبـــوح
لا يـغـــــرنك جـــســم
صـــــادق الحـــســن وروح
إنمـــا نـــحـــن إلـــى الآ
جــــال نـغــــــدو ونـروح
بينمـــا أنت صـــحـــيـح الـ
ـجـــســم إذ أنت طـريـح
فــاسـقـنيـهــا مـثـل مــا يلفظه
الـــديـــك الـــنـبـــيـــح
إنمـا الـدهـر عـــــــــدو
ولـن أصـــــفـى نـصـــيـح
ولسـان الــدهــر بـالـوعـ
ـظ لـواعـــيـــه فـــصـــيح
نســتــبـــيح الدهـر والأيـ
ـام مـنـا تســتـــبــيـح

ولقد كنت يا سيدتي الجميلة محظوظا في هذا البلد نيسابور.. كنت محظوظاً بالحسان اللاتي كن يترقبنني في غدوي ورواحي ويبعثن إلي الرسل.. إلا فتاة منهن لم أستطع إلا أن أسلم إليها قياد فؤادي؛ فتميل به حيث تميل وتصرفه حسبما تشاء. فلم أعص لها أمرا، ولم أظهر لها قلقا أو ضجرا..

فكنت أغالب كبرياءها بفضل حبي لها:

شـمـاسـة قلب ليس يألف طائره
وعـازب لب أول الحب آخـره
ورئم أبت ألحـاظه أن تغـبني
وفود الهوى أو يبرح الصدر خاطره
بساحـر مـا ضمت عليه جفـونه
وريان مـا التـفت عليـه مـآزره
وأبيض مـا تحت الصـدار لو انه
تجـرد لاحت للعـيـون سـرائره
فـيا قلب هذا العشق حـقـا وهذه
مـوارده حـتى تبين مـصـادره
فـلا الأنس مـردود إليك شـريده
ولا النوم مـعطوف عليك أواصـره
ويا دمع أدركني إن الصبـر خـانني
بنصـرك والمخـذول من أنت ناصـره

هذه يا سيدتي الجميلة أم السلسبيل حكايتي مع الحب أو حكاية الحب معي .. ومع هذا:

قـسـمـا لقـد عـجم الزمـا
ن كنانتي عـوداً فـعـودا
وأرانـي الأيـام شـو
سـا والمنى بيـضـا وسـوداً
ولقـد أسـاء فـمـا رفـعـ
ـت إليـه طرفي مـسـتـزيدا
كـلا وسـر فـمـا حطط
ـت له لثـامي مـسـتـجـيـدا
لقـيت تصـاريف الزمـا
ن فلم أجـد إلا حـسـودا

سيدتي الجميلة أم السلسبيل:

أما عن سخائي بالأدب، وأنه ليس مثل سخائي بالذهب فهذا أمر رماني به أحد الذى ألحوا عليَّ في طلب المال من المكدين والمتسولين ولا يسعني إلا أن أورد إليك ما سبق أن كتبته إلى ذلك الملحف السؤول.. قلت: «عافاك الله : مثل الإنسان في الإحسان، مثل الأشجار في الإثمار، وسبيل من ابتدأ بالحسنة أن يُرِقَّه إلى السنة، وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدي، وهما فؤادي ويدي، أما اليد فتولع بالجود، وأما الفؤاد فيتعلق بالوفود، ولكن هذا الخلق النفيس لا يساعده إلا الكيس، وهذا الخلق الكريم لا يحتمله إلا الكريم، ولا قرابة بين الأدب والذهب، فلم جمعت بينهما؟ والأدب لا يمكن ثرده في قصعة ولا صرفه في ثمن سلعة. قد جهدت جهدي بالطباخ أن يطبخ لي من جيمية الشمَّاخ لونا فلم يفعل، وبالقصَّاب أن يذبح أدب الكتَّاب فلم يقبل.

وأنشدت في الحمَّام ديوان أبي تمام فلم ينجع. ودفعت إلى الحجَّام مقطعات اللَّجَّام فلم يأخذ، واحتيج في البيت إلى شيء من الزيت، فأنشدت ألفا ومائتي بيت من شعر الكميت، فلم يغن. ودفعت أرجوزة العجاج في توابل السِّكباج[1] فلم ينفع، وأنت لم تقنع فماذا أصنع؟

فإن كنت تحسب اختلافك إليَّ إفضالا منك علي، فراحتي ألا تطرق ساحتي وفرجي ألا تجي، والسلام..

وبعد.

تلك يا سيدتي الجميلة رسالتي إليك لعلها تثبت عندك أنني محب شريف وعاشق عفيف.

الهوامش:

(1) مـرق يُعْمل من اللحم والخل (فـارسي معرب).

٩٤٢ـ أبو عواد:

من هو صاحب الكذبة الهتلرية الكبيرة الذى أوهم المرأة الشرقية والعربية خصوصاً أن الرجل العربي رجل شهواني لا يرى في المرأة إلا خطوط العرض والطول فانكبت من جانبها على الاكسسوارات والبرفانات والتفاهات حتى أصبحت مجرد وردة جميلة تتحمل الشوك في سبيل الوصول اليها وبعد قطفها وشمها لا نلبث أن ندوسها بالاقدام أو تذبل في مكانها؟!.. ترى من هو المسؤول عن هذا الانحطاط في منهجية العلاقة بين الرجل والمرأة؟

٩٤٢ـ أم عمرو:

صاحب الكذبة الهتلريه الذي اوهم المرأة الشرقية والعربية أن الرجل العربي لا يرى فيها إلا خطوط الطول والعرض والاكسسورات والزينات هو الرجل العربي نفسه.

٩٤٣ـ أبو عواد:

قولي لي بصراحة وكامرأة عربية ما هذا الاستخفاف بمشاعر الرجل عند بعض النساء؟! لا شك أننا نميل للجمال وننشده لكنه لا يستعبدنا أبداً، فلماذا تلجأ بعض نسائنا للأسف إلى هذه الأساليب الفجة في الإغراء المجوج الذي يكشف تفاهة صاحبة الصدر العاري وطبقات الأحمر والأخضر هل تعتقد المرأة أن كل الرجال بالضرورة قطط يسيل لعابها لعظمة أو ثيران اسبانية تهيج لمرأى اللون الأحمر.. صدقيني يا سيدتي أن بعض المناظر الحريمية التى نشاهدها على بعض الفضائيات تبعث على التقزز والاشمئزاز وهي امتهان لكرامة المرأة التي تدعي أنها شرقية ومحافظة!!! قبل أن تكون استخفافا بالمشاهد.

٩٤٣ـ أم عمرو:

لو كان الرجال يضيقون بمنظر النساء على الفضائيات لأقفلت هذه المحطات ابوابها ولما رأينا هذا السيل الجارف من الإتصالات من المعجبين من المحيط إلى الخليج. هناك خلل ما ولكنه خلل عام في النساء والرجال معاً.

٩٤٤ـ أبو عواد:

حتى لو كان الجمهور «عاوز كده» على رأى بعض المخرجين والمنتجين (التجار)، ينبغى على اذاعاتنا ومحطاتنا التلفزيونية أن تقدم فناً راقيا للمشاهد وأن لا تكون منبراً للخلاعة والتفاهة والسذاجة فتسهم بذلك في افساد الذوق العام والانحدار بمستوى الذوق الفني، وإني لأستهجن إعجاب البعض بمطربات آخر زمن يقدمن لنا طرباً يزغلل العيون دون أن يمس الأذن طرباً كلّه تحريض.

٩٤٤ـ أم عمرو:

ما دمنا نقيم الإنتاج الفني بالعائد المالي فسيبقى ما يطلبه الجمهور وما يراه مناسباً وممتعا هو السائد ولكني أعتقد مخلصة أن الجمهور مظلوم في هذه القضية فلم يرفض الجمهور عملا جيداً من قبل وأن «اللي عاوز كده» هم القائمون على محطات الإذاعة والتلفزيون انفسهم.

٩٤٥ـ أبو عواد:

كيف نقنع أنصاف العاريات أن الاحتشام للمرأة أكثر إغراء، لأننا عندما نتبارى في

أبو عواد / أم عمرو

التعري فإننا نحاكي بذلك الحيوانات وعندها تزول الفوارق.

٩٤٥ـ أم عمرو:

احترام المرأة لإنسانيتها يأتي بالتربية والتعليم في مناخ لا يميز فيه الرجل لمجرد أنه رجل وتحقر المرأة لمجرد أنها امرأة.

٩٤٦ـ أبو عواد:

إذا كانت الحضارة أن تمشي بنتي بـ «المايوه» على الشاطىء بين العراه!!.

إذاً سجلي في أعلى الصفحة أنا رجل سوبر متخلف!!

٩٤٦ـ أم عمرو:

لم يقل أي مخلوق على سطح الأرض أن الحضارة هي ان تمشي النساء بالمايوه، الحضارة علم وثقافة وتاريخ وعمل وتقدم وسمو. نحن الذين نختار هذه النماذج ونبرزها، الغرب نفسه لا يرى ان هذه هي الحضاره.

٩٤٧ـ أبو عواد:

اين هي تلك المرأة الواثقة في نفسها التي حتى لو تزوج زوجها عليها دون سبب مقنع ظلت على بيتها وأولادها رابطة الجأش توظف كل الممكن والمتاح من دهاء وذكاء لتعيده إلى بلاطها وقد أقنع تماما أنها غلطة لن تتكرر!!؟

٩٤٧ـ أم عمرو:

لا توجد امرأة تستطيع الاحتفاظ بثقتها بنفسها او بزوجها بعد ان يتزوج زوجها عليها وخصوصاً اذا كان هذا الزواج لمجرد اشباع الغرائز وليس لسبب قاهر. العدل هو أن نطالب الرجل بالامساك على بيته وزوجته وأولاده بدلا من ان نطالب المرأة بما هو فوق متناول الطبيعة البشرية.

٩٤٨ـ أبو عواد:

لماذا تُصرِّ كثير من النساء ان لم يكن الغالبية العظمى منهن على ارتداء الكعب العالي الذي يجعل خطاها متحفظة ومتعثره وفاضحة أحيانا.. وكلما كانت مقبلة أو مدبرة تسمع هذا الصوت التحذيري «طق» .. «طق» «طق».. حتى يبدأ الناس في الانتباه لتقييم طول وعرض العابره!! حقيقة مهزلة لا أرضاها للمرأة التي تتفجر عروبة وأصالة وعطاء وحبذا لو كانت أحذية نسائنا كأحذية الفلبينيات مثلا من الأنواع الرياضية والصحية التي تضع المرأة وسط الحلبة والجلبة!!

٩٤٨ـ أم عمرو:

الأفضل هنا ان نقول للمرأة البسي الحذاء المناسب للمكان المناسب وللظرف المناسب فلكل مقام مقال.

٩٤٩ـ أبو عواد:

«أنت طالق».. ترى من أوصل الزوج إلى لحظة الانفجار هذه.؟

٩٤٩ـ أم عمرو:

الذى يوصل الزوج الى لحظة الإنفجار ضيق عقله وصدره واتساع لسانه.

٩٥٠ـ أبو عواد:

جامعية تعرف الموضة والأزياء وتحفظ أغاني الفيديو كليب وأمها تباهي برقة ابنتها ونعومة أيديها بأنها لم تدخل يوماً للمطبخ أو تغسل صحناً واحداً فـ «اسفنجه الجلي» تخدش أيديها!!! بنتك يا خالتي ستكون أماً ومربية فاضلة وربة بيت لها شأن إن شاء الله.

٩٥٠ـ أم عمرو:

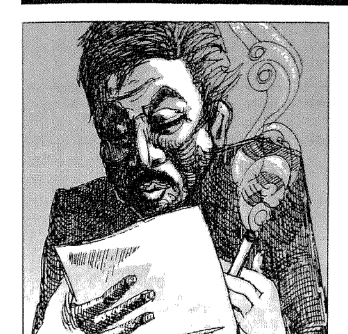
الجامعية الحقيقية لا تجد وقتا لسماع الأغاني. ولكني اتفق معك ان كثيراً من الأمهات وتحت أبهة الخدم والحشم يهملن الآن تعويد بناتهن على اعمال المنزل وهذا في رأيي خطأ فادح، أرجو أن تتداركه الأسرة العربية والمدرسة أيضا.



٣٦٩ ـ عقوق الأدباء:

الأصل في ذوي الثقافة العريقة، والأدب البارع أن يرتفعوا في سلوكهم الشخصي إلى مستوى القدوة الصالحة، لأن الذين يقرءون لهم من مئات القراء يظنون أن إلهامهم الأدبي أثر بارز لسمو نفسي وإشعاع روحي، ولكن الواقع المؤلم لا يجعل هذا الأصل قاعدة عامة، بل يُرينا من ضرائب الشذوذ الإنساني ما نحار في تعليله، وإن الإنسان ليدهش حين يرى بعض الأميّين ـ وكثير ما هم ـ ذوي سلوك خلقي أمثل، وهم بعدُ لم يستفيدوا من مطالعة كتاب، أو يلموا بصالة درس، على حين نرى أصحاب الثقافة المعترف بها ينحرفون ولا يخجلون.

وأضرب أمثلة مشهودة لبعض ما أعنيه، فأذكر أن الشاعر الكبير الأستاذ أحمد الزين رحمه الله وقد كان ملء السمع والبصر في جيله أدباً وشعرا وتحقيقاً ورواية، ترك الدنيا على غير انتظار، وخلف ديوانا شعريا نشرت بعض قصائده في الصحف من قبل، وقد وقف أخوه الأديب الشاعر القاضي الأستاذ محمد الزين منه موقفا أدع الأستاذ عباس خضر يتحدث عنه فيما كتبه تحت عنوان (قاض يحبس ديوان أخيه).



٣٧٠ ـ ديوان أحمد الزين:

قال الأستاذ عباس خضر بمجلة الرسالة ١٣/١١/١٩٥٠ ـ ببعض التصرف:

على إثر وفاة الشاعر الفقيد ـ أحمد الزين ـ توجَّه إلى منزله أخوه الشيخ محمد الزين القاضي الشرعي بمحكمة الزقازيق (وهو أيضا شاعر أديب) وتلطف مع زوجة أخيه المتوفى فطلب الديوان ليطبعه وينشره فأسلمته إياه واثقة من حسن نيته، ومرّت الأيام ولم تجد صدى للنشر غير معاذير لا حقيقة لها ثم رأت لجنة التأليف والنشر والترجمة أن تنشر الديوان تقديرا للشاعر الراحل، فقررت طبعه مع التنازل عن حقها المادي لنجل

الفقيد - وهو طفل صغير - وبعثت للشيخ القاضي كي يرد الديوان، فلم تتلق منه أي ردّ، وعلمت الزوجة فسارعت للقاء القاضي رغبة في ربح مادي تحتاج إليه في غلاء العيش، فلم يستجب لها مصرا على احتباس الديوان، فاستعانت ببعض أصدقائه فأخذ يبدي معاذير واهية لا يصدقها أحد، اذ يزعم أنه اتفق مع بعض الناشرين تارة، وأن زعيما كبيرا سيرعى الديوان بنفوذه تارة أخرى، ومضت الأيام، ولم يحقق شيء، فكررت الرجاء وعادت الزوجة تلحف في الطلب متأثرة، حتى غلبها البكاء، ولكن الأخ قال لها: إذا أحسّ هذا الكرسي أثراً لبكائك، فقد أحسست، وعاجلها بالخروج!.

أقول أن الشيخ القاضي يتعاطى الشعر، وقد نشر بعض قصائده في مجلات متواضعة، وكأنه أحس أن ديوان أخيه إذا نسب إليه سيرفع من قيمته، فأصرَّ على احتجازه، ولكن لجنة التأليف والترجمة والنشر، فهمت الغرض المنكر، فاتصلت بأصدقاء الشاعر وزملائه في دار الكتب، وطلبت منهم أن يجدوا في جمع كل ما يقدرون عليه من شعره في مختلف الصحف والمجلات، وقد شمر هؤلاء عن ساعد الجد، فجمعوا قدرا كبيرا مما قاله الشاعر الراحل، وظهر الديوان في أجمل مظهر، ولكن ما فقد أكثر مما جُمع! وكأنَّ القاضي وقد عرف أن العيون متجهة إليه، وأن رجال النقد لن يسكتوا عن شره، قد آثر السكوت المطلق.. ولم يستطع أن يبلغ مأربه المنحدر، وهو أخ شقيق! وقاض أديب.

٣٧١ - يوميات الفيلسوف القانع:

منذ أظهر الكاتب الكبير السيد مصطفى لطفي المنفلوطي روائعه الخالدة، ماجدولين، والفضيلة، والشاعر، وفي سبيل التاج، وهي قصص غربية قرأ ترجمتها وصاغها بأسلوبه الساحر، فهزت مشاعر القراء وطبعت عشرات الطبعات حتى كاد ينسى اسم المؤلف حين لا يذكر غير اسم الكاتب المبدع، منذ ذلك، وبعض أساتذه الأسلوب البياني يطمحون الى احتذاء المنفلوطي فيما صنع، وكان الأستاذ الأديب محمود مصطفى أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية قد استراح إلى مثل هذا العمل، فاتفق مع زميله في المدرسة الأستاذ أسعد عبد الملك أن يترجم له اليوميات ترجمة حرفية عن الفرنسية، ويقوم هو بما قام به المنفلوطي من الصياغة الأدبية، وظهرت اليوميات تحمل اسم الصديقين معا: محمود مصطفى وأسعد عبد الملك.

مصطفي لطفي المنفلوطي

ثم مات الأستاذ محمود مصطفى بعد خمسة عشر عاما من ظهور اليوميات، وظهرت الطبعة الثانية تحمل اسم الأستاذ أسعد عبد الملك وحده.

يقول الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف بصدد هذا الحادث، تحت عنوان (جناية أدبية) بمجلة الرسالة الصادرة بتاريخ ١٩٤٧/٧/٢١.

«وفي هذه الأيام ظهر كتاب «يوميات الفيلسوف القانع) في طبعة ثانية، ولكنه يحمل اسم الأستاذ أسعد عبد الملك وحده، ويعلل حضرته هذا الاستثناء بملكية الكتاب، بأنه أولا رأى أن أسلوب الكتاب في طبعته الأولى أشبه بأسلوب الجاحظ وابن المقفع، وكتّاب الصدر الأول، فعمد إلى تبسيطه وحذف ما فيه من كلمات وتعبيرات رآها غريبة عميقة لا تناسب روح العصر، ومن جهة ثانية فإن الأستاذ محمود مصطفى نزل له عن الإسهام في الترجمة، بعقد مؤرخ في ١٩٢٧/٩/٥».

أما مسألة تغيير الأسلوب فإنها جناية على أسلوب الأستاذ محمود مصطفى لأنها مسخ لجهده، وجناية على الكتاب لأنه حط من قيمته، على أنّي قابلت بين الطبعتين فلم أر هذا التغير إلا في كلمات وتعبيرات كان الأستاذ محمود مصطفى يشرح معناها، فحسبها صاحبنا غريبة لا تلائم روح العصر.

وأما مسألة العقد، فقد تنازل الأستاذ محمود عن الحق المادي ليتولى الأستاذ أسعد مهمة التوزيع أما الحق الأدبي فمحفوظ دون مساس! وهل يحق لدور النشر التى تشتري حق تأليف الكتب من المؤلفين أن ترفع أسماءهم وتدعي أنها من تأليفها ومن عبقرية أموالها.. إنها تجارة بأكفان الموتى وجناية أدبية أضعها تحت الأنظار.

٣٧٢ ـ تأمين الشيخ على محمود:

حين انتقل إلى رحمة الله شيخ القراء بالديار المصرية الأستاذ الشيخ على محمود اعتزم عاشقو فنه أن يقيموا حفلة تأبينية كبرى تناسب مكانه الكبير، وقد رأوا أن تسند رئاسة الحفل إلى الوزير القدير الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية وأحد المعجبين بالراحل الكبير، فقبل رئاسة الحفل عن سرور وتقدير ولكن القائمين على الحفل طلبوا من الوزير الدكتور أن يلقي كلمة مسهبة تضمن تاريخ الشيخ وأثره البارز في الحقل الفني، فاعتذر لكثرة أعبائه الحقيقة بوزارة الخارجية أثناء الحرب العالمية الثانية، ومحاولة الجيوش الألمانية اقتحام مصر بقيادة القائد الألماني (روميل) فرأى الذين تقدموا بهذا الاقتراح أن يقوم أحدهم بكتابة الكلمة الضافية متضمنه أحسن ما يقال عن الرجل، ثم يلقيها الدكتور صلاح فيكون ذلك تنويها كبيرا بالراحل، حين يتحدث عنه أكبر وزير في الدولة! وتردد الرجل ولكنه أمام الإصرار خضع لما أرادوا، وأقيمت الحفلة بدار الأوبرا الملكية، وافتتحها الدكتور صلاح الدين بالكلمة الحافلة، وقد اهتمت بها الصحف اليومية، وذكرت فقرات كثيرة منها،

أما مجلة الصباح فقد نشرتها جميعها منسوبة إلى الدكتور محمد صلاح الدين كما هو المشاهد الملموس.

ومضى عشرون عاما، ذهب فيها عهد، وجاء عهد، وأصبح الوزير الوفدي غير مرغوب في ترداد ذكره مع مكانته السياسية والفكرية المعترف بها لدى الأصلاء، ففوجىء القراء بكلمة ضافية تنشر في مجلة المجلة خاصة بالشيخ على محمود، وهي نفسها الكلمة التي نشرتها مجلة الصباح من قبل مفردة للدكتور محمد صلاح الدين! ولكنها محورة باسم أديب مشهور! ووصلت إلى المجلة تعليقات تستنكر أن تنشر كلمة الدكتور محمد صلاح الدين معزوة الى غيره، وطلب رئيس التحرير من الكاتب أن يفصح عن تعليل ما كان، فقال إنه صاحب الكلمة وقد كتبها للدكتور محمد صلاح الدين حين رأت اللجنة أن يقوم بالقاء كلمة في الحفل ومن حقه الآن أن يسترد ما كتب!

وأنا أرى أن كاتب الكلمة - إن صح زعمه - لا يجوز له أن يقتسر هديَّة سبق أن أهداها غير مجبر، وبهذا الإهداء قد انقطعت صلته بها! وما كان له أن يبعث الحرج لنفس إنسان كبير لم يشأ أصلا أن يقول، ولكنهم أجبروه على أن يقول فكيف يعلن سرّه وهو مازال حيّا يرزق؟

٢٧٣ - نصوص أدبية:

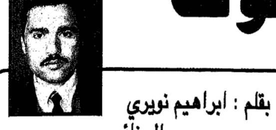
من الاحتيال الأدبي غير الحميد أذكر هذه النادرة:

أراد أحد كبار المفتشين الأوائل بوزارة التربية والتعليم في عهد من العهود السابقة، أن يؤلف لطلاب المدارس الثانوية كتابا في النصوص الأدبية يحمل اسمه وحده، وليس لديه من الوقت، وإن شئت فقلْ من الموهبة ما يساعده على إتمام العمل الأدبي على نحو سديد.

ولكنه يعرف الموهوبين من المدرسين، وقد مرّ عليهم مفتشا، فلم ير من العيب، أن يختار عشرة نصوص أدبية شعرية ونثرية تمثل العصر الأدبي الذي يتحدث عنه المقرر، ويعطي كل مدرس نصا واحدا راجيا أن يبذل جهده في شرحه تمهيدا وتعقيبا وكشفاً عن خوافي اللغة والبيان والنحو، حتى يظهر على أفضل ما يُرجى! وقد حدد المدة الزمنية الكافية لهذا العمل، فتم له ما أراد، واكتمل بين يديه كتاب أدبي حافل بالنصوص المشروحة والتعليقات الكاشفة، والأسئلة الموضحة، وسيق الكتاب الى المطبعة، فتداوله الطلاب مع بدء العام الدراسي.

ولكن المدرسين لم يعجزهم أن يعرفوا أنفسهم، وأن يجتمعوا في ناد تربوي، ليتحدث كل واحد منهم عن قصيدته التى سهر من أجلها، وجاء الخبر الى المفتش فأخذ يسترضي ويستعطف، ويعد بالترقية العاجلة ليضمن السكوت!

افتراء مكشوف



بقلم : ابراهيم نويري
- الجزائر -

في نطاق المد العلماني الذي بات يُشكّل القسمات الأساسية للحياة والعلاقات الإجتماعية في الغرب، وإشاعة مسألة تمرد الفكر والعقل على الكنيسة، والدعوة للإنطلاق والحرية ونبذ القيود، وبسط الكثير من المفاهيم الإجتماعية والإنسانية ذات الصلة بالحريات الشخصية وحقوق الإنسان.

في هذا الزخم المتماوه من الأفكار والرؤى والتوجهات تركز في ذهن بعض أهالي الشرق - أي العالم العربي والإسلامي وشعوب العالم النامي، بما في ذلك أغلبية المثقفين من أهل الرأي وحملة الأقلام - بأن أوروبا وأمريكا، وكافة شعوب وأقطار العالم الغربي، إنما بلغت هذا الشأو من المدنية والتقدم بنبذها لفكرة «الدين» وعدم الخضوع لمطالب وأوامر «اللاهوت» .. وانصياتها لمنطق العقل والتجربة دون سواهما .. والحقيقة التى ينبغي إجلاؤها، أن الأمر ليس على ذاك النحو، وإن بدا كذلك فعلا منذ الوهلة الأولى.

إن روح بطرس الناسك لم تغادر قلوب وأفئدة الغربيين يوماً، حتى أولئك الذين ثاروا ضد بعض صور التقاليد الإجتماعية التى تتحكم في أنماط السلوك داخل بيئاتهم وعلاقات مجتمعاتهم، لم يقصدوا بتلك الانتقادات - عند الفحص والرصد الموضوعي - إشعاعات العقيدة الدينية وتأثيراتها التي لا يمكن فصلها عن الإنسان بشكل من الأشكال.

إن الغرب وإن بدا لبعضنا، بفعل تأثيرات المد العلماني المعاصر، بعيداً عن الدين وعن عقيدته المسيحية، أمر لا يمكن التسليم به وإقراره لأن جميع الشواهد، ومعظم الإثباتات تجيء نقيضاً لذاك الظن والإعتقاد.

وهذه فقط بعض المحطات العابرة التى تؤكد ما ذهبنا إليه:

- قرر الجنرال ديغول إقالة وزير التعليم الفرنسي لأنه ألقي مساعدات كانت تُدفع للمدارس الإنجيلية، **مبيناً أسباب الإقالة بأن الوزير كان ملحداً،** (جريدة الفيغارو- ١٨ مارس ١٩٦٧م)

- في خطاب له قال الرئيس الأمريكي الأسبق ريغن: **«إننا بلد ديمقراطي، والكونغرس يجب أن يلبي إرادة الشعب، إن شعبنا يريد عودة الدين للمدارس، وعندما نعيد تعاليم الله والنظام للمدارس فإننا سنطرد الجريمة والمخدرات من هناك .. لقد عاد الأمل في هذه البلاد بالإنبعاث الروحي»** (من خطاب أمام الكونغرس بتاريخ ١٩٨٤/١/٣٠م).

- وقال ريغن كذلك: «السياسة والأخلاق لا يمكن الفصل بينهما، ولما كان الدين هو أساس الأخلاقيات، فإن الدين والسياسة مرتبطان بالضرورة» (مجلة نيوزويك الأمريكية: ١٧ سبتمبر ١٩٨٤م).

هذه زمتلة بسيطة جداً، لأننا لم نشأ الإسترسال مع هذه الإثباتات والشواهد .. وهي كلها تؤكد اتجاهاً واحداً فريداً، وتدعم حقيقة واحدة قائمة ومؤكدة، هي رسوخ وتجذّر العقيدة الدينية في النفسية الغربية .. ومما يدعم أكثر تلك الحقيقة الماثلة تعدد الجمعيات الخيرية والأحزاب السياسية والنوادي الثقافية القائمة على أساس ديني، أو في الأقل تحمل اسم رجل من حركات الإصلاح الديني هنا أو هناك.

ومما شاهدته بنفسي - وأكده لي كل من يعرف العاصمة الفرنسية - كثرة الشوارع والأحياء في باريس التي تحمل أسماء رجال دين وقساوسة ومبشرين للدين المسيحي.

- **إذن ما الذي يراد منا نحن المسلمين حين تتعالى الأصوات من هنا وهناك، ومن كل الجهات طالبة تقزيم الإسلام وعزله عن توجيه حياة الناس والمجتمع، وضبطه لمسار الدولة والعلاقات العامة؟!** لقد حاول الغرب بشقيه الشيوعي والليبرالي، طيلة العقود الماضية إخفاء هذه الحقيقة الكبيرة وحجبها بالأيديولوجيات والمذاهب والشعارات .. ولكن الآن، بعد تداعي البناء الوهمي، وبعد بروز الأظافر الجارحة من القفاز الحريري.. هل سنستمر في سيرنا السابق، أم أننا سنكتفي - كالعادة - بالتكيف مع كل أوضاع جديدة، بغض النظر عن دراسة هذه الأوضاع ومدى إسهامنا في ظهورها، وحقيقة علاقة ذاك التكيف وأهميته بالنسبة لديننا وحاضرنا ومستقبلنا؟!

أعتقد جازماً أن العقود القليلة القادمة تتطلب منا عملا حقيقياً وفعالا، وهذا - في نظري - لا يكون، إلا إذا انطلقنا صوب أهدافنا وطموحاتنا من ذاتنا الحضارية وشخصيتنا المتميزة.

مجلدات المنهل

المجموعة الكاملة ١٣٥٥ - ١٤١٦ هجرية

(٧٢) مجلدا فاخرا متوفرة في الألوان " الأزرق - البني - والأسود "
للاستفسار الإتصال بإدارة العلاقات العامة بالمجلة ت : ٦٤٣٢١٢٤



يمتد حتى نهاية هذا العام

السادة دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

بعد اطلاعي على شروط الاشتراك السنوي في مجلتكم (المنهل) والعرض الخاص ارغب في الآتي

☐ اشتراك سنوي (١٥٠) ريالا .

☐ (٣) سنوات (٤٠٠) ريالا مع الإصدارات .

☐ (٥) سنوات (٥٥٠) ريالا وكتاب شذرات الذهب.

وارفق لكم طيه قيمة الاشتراك حسب ما هو موضح بالقسيمة.

☐ (أ) شيك ☐ (ب) حوالة بنكية

مبلغ ________ رقم ________ بتاريخ ________

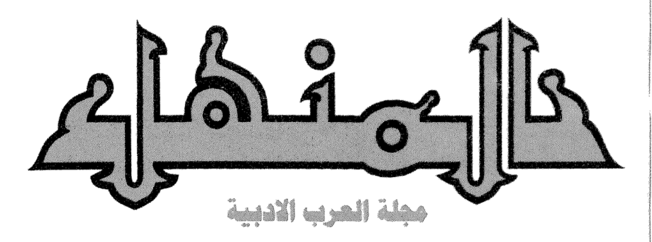
الاسم: ________ العنوان: ________

القطر: ________ المدينة: ________ المنطقة: ________ شارع: ________

بناية رقم: ________ شقة رقم: ________ ص.ب: ________ رمز بريدي ________

تليفون: ________ فاكس: ________ تلكس: ________

فضلا
تعنون الشيكات أو التحويلات
باسم (مجلة المنهل)



مجلة العرب الادبية



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣


Bibliotheca Alexandrina
0531214